المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

جهود أنور الجندي في الدفاع عن الإسلام

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب /

حسن بن أحمد يحي المسعودي

رقم الجامعي / ٤٢٥٨٨١٣٢

إشراف

أ.د / أحمد السيد رمضان

١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

العنوان : جهود أنور الجندي في الدفاع عن الإسلام عرض ونقد

الدرجة : ماجستير في العقيدة

اسم الباحث : حسن بن أحمد بن يحي المسعودي .

هدف الدراسة :

١ - الوقوف على ما قام به أنور الجندي من جهود في سبيل مواجهة الفكر الوافد.

٢ - بيان خطر وأثر الانحرافات العقدية والأفكار الغربية على الأمة الإسلامية.

٣ - كشف حقيقة الدور الذي قام به المستشرقون ودعاة التغريب وأتباع الفكر الغربي الوافد في إحيائهم للأفكار والآثار المنحرفة .

أبواب الرسالة : اشتمل البحث على أربعة أبواب وخاتمة وهي :

الباب الأول : عن حياة أنور الجندي والأوضاع السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية في الفترة التي عاش فيها .

الباب الثاني : الانحرافات العقدية التي قام الجندي بالحديث عنها وكان الحديث عن الفكر الاعتزالي ، والتصوف الفلسفي ، والفكر الباطني .

الباب الثالث : كان عن الفلسفات الهدامة والتيارات الفكرية المنحرفة .

الباب الرابع : وهو عن التغريب وقضاياه وروواده .

نتائج البحث :

١ - إن الجندي استطاع الدفاع عن قضايا الإسلام بنفس أبية رافضة لكل وسائل الضغوط والخضوع ، و على أكثر من جهة وثغر .

٢ - خطورة عقائد وأفكار تلك الفرق التي تعرض لها الجندي وأنها تتشابه في كثير من عقائدها .

٣ - سلامة مواجهة الجندي للمسائل التي تعرض لها وأنها منطلقة من فهم دقيق لعقيدة الإسلام الواضحة النقية بخلاف تلك المفاهيم والانحرافات الزائفة .

٤- إن أنور الجندي كانت له قدم السبق في مواجهة التغريب والغزو الفكري .

The summery of the study of the master degree

- Title :- The efforts that Anwar AL – Jundy did to defend Islam is in focus
- Degree :- master degree in faith
- Researcher :- Hassan Ahmad Yahiya AL- Massoudy

The aim of the study:-

١. To show what Anwar AL – Jundy did to fight the west conception
٢. To show how dangerous is the west aberrance on the Islamic nation
٣. To show what the orientalist did of bringing that aberrance in faith

Chapters of the study:-

١. Chapter one :- specialized for Anwar AL – Jundy life and the political , religious ,social and intellectual situations in his time
٢. Chapter two :- the aberrance in faith that Anwar AL – Jundy talked about and it is :-
The philosophy of quietism, inner intellectual and retirement in belief.
٣. Chapter three: - the philosophy of the intellectual aberrance.
٤. Chapter four :- is about the deportation and his cases and his pioneer

The result of the study:-

١. Anwar AL – Jundy could stand and defense for the Islamic issues.
٢. How wrong is that groups and how it is similar in the wrong path.
٣. Anwar AL – Jundy was right in his closely examined of these groups and their wrong intellectual.
٤. Anwar AL – Jundy used an easy way in his writes so everyone can understand it easily.

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهدية ونستغفره ونتوب إليه ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سئيات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وبعد ...

لا يخفى على أحد من الناس ما لحق بالأمة الإسلامية في هذا العصر الحديث من ضربات متوالية وحربٍ ضروسٍ لا هوادة فيها كانت نتائجها موجعة وآثارها واضحة ، سعت فيها دوائر الشر إلى محو الإسلام من الوجود إما بواسطة إحياء تراث مزيف منحرف قد اندرس وأصبح في عالم النسيان أو بنشر تلك الفلسفات و التيارات المنحرفة المعادية لكل الأديان أو بمحاولة تغييب الأمة عن دينها وعقيدتها وذلك بمسخ هويتها وتغريبها إلى غير ذلك من الوسائل المتعددة التي يطول ذكرها

ولكن من سنة الله عزوجل في الكون بقاء الصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة ،وأنه سبحانه وتعالى مؤيد دينه وناصره في كل عصر وزمان بكوكبة من حملة العلم والفكر يقومون بالدفاع عن حياض الدين وحماية بيضته من أهل الباطل والزيغ والضلال ،ويتصدون بكل قوة وحزم لتلك التيارات الفكرية المنحرفة ، والثقافات والعقائد الوافدة فكانت لهم بصمات مشهودة ومواقف محمودة استطاعوا – بحمد الله- من خلالها أن يقللوا من أثر تلك الانحرافات على مجتمعاتهم وأمتهم ، وكان من بين أولئك الأفذاذ الذين نبغوا في هذا العصر أنور الجندي الذي عُرَف عنه غيرته التامة على ثوابت الأمة وعقيدتها ، فجعل حياته وجُلَّ وقته فداءً لهذا الدين؛ فقاوم وجاهد بكل ما أوتي من عزيمة وإصرار ، وكان لحياته نصيب من اسمه فكان نوراً يستهدي به فئام من الناس وجندياً مدافعاً عن الإسلام أمام تلك السموم فكان رحمه الله يؤلف الكتب ويراسل الصحف والمجلات ، ويعقد المجالس والندوات ، ويحضر الاجتماعات والمؤتمرات.فترك لنا موسوعات متعددة وكتباً وأبحاثاً متفرقة ومقالات عدة متناثرة ، جعلت من حياته وآثاره وما قام به من أعمال هدفاً لكثير من الباحثين ومورداً عذباً للدارسين،فرأيت أن تجمع جهوده وما قدمه من مواقف موضوعاً لدراستي الماجستير فجعلته بعنوان« جهود أنور الجندي في الدفاع عن الإسلام عرض ونقد »، وإضافة إلى ما سبق ،هناك أسباب أخرى دفعتني لاختيار هذا الموضوع يمكن أن أجملها فيما يلي :

١- رغبتي في دراسة شخصية معاصرة لها دور بارز ورائد في مواجهة الانحرافات العقدية والمذاهب والتيارات الغربية المعاصرة .

٢- إن قراءة كتب أنور الجندي تعطي الباحث إلماماً بواقع وتاريخ فترة تعتبر من أصعب وأخطر الفترات على العالم الإسلامي وقد كانت له إسهاماته ومشاركاته الواضحة خلالها .

٣- إن الفرق والمذاهب والتيارات التي كتب عنها أنور الجندي ووقف منها موقف العالم المسلم الناقد مازالت تنخر جسد الأمة المسلمة.وهي بحاجة ماسة لعرضها ودراستها ومناقشتها عل ضوء ما قام به العلماء الربانيون والذين يعد الجندي منهم .

٤- إن الجندي كان له دور رائد وواضح في الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه ورصد محاولات أعداء الدين في الداخل والخارج في النيل منه ، ومع ذلك لم تجد كتبه ومؤلفاته بل حتى حياته ذلك الاهتمام ففي آخر حياته رحمه الله لقي من صنوف الإهمال والجفاء الشئ الكثير حتى أن جنازته لم يشهدها إلا عدد قليل فكان حرياً بطلبة العلم ومؤسساته العناية به وبأمثاله .

٥- تحفيز همم العلماء والدعاة إلى النظر في سيرة هذا الرجل ومواقفه حيث نذر أكثر من نصف قرن من عمره في الدفاع عن الإسلام ، و لم يكن بمعزل عن قضايا أمته وعصره ، بل كان حاضراً فيها بالقلم واللسان في كل موقع ومكان .

الدراسات السابقة :

لقد بدأت الكتابة عن أنور الجندي في آخر حياته رحمه الله فقدمت عنه عدة رسائل علميه في عدة مجالات ومن هذه الرسائل :

١- الأدب الإسلامي ونقده عند أنور الحندي ، تقدم بها الباحث محمد رشدان العصيمي لنيل درجة الماجستير من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد نوقشت في ١/ ١٢/ ١٤٢١هـ .

٢- أنور الجندي الناقد المقاوم لمحاولات التغريب في الأدب العربي الحديث ، تقدم بها الباحث بوليان كونان أبوبكر محمد لنيل درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية جامعة كاليكوت في الهند وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٢٦هـ

٣- أنور الجندي وجهوده الأدبية،تقدم بها الباحث محمد مبروك إبراهيم لنيل درجة الماجستير،من قسم الدراسات الأدبية،كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.وهي لم تناقش بعد .

وهذه الرسائل الثلاث ليس لها علاقة برسالتي فهي تهتم بالناحية الأدبية عند أنور الجندي وما قام به من جهود في النقد الأدبي وتقويمه .

٤- أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد التبشير والاستشراق والتغريب ، تقدم بها الباحث عمر السيد أبو سلامة لنيل درجة الماجستير من جامعة الأزهر وقد نوقشت الرسالة ٢٤/ ٢/ ١٤٢٧هـ .

وهذه الرسالة وقفت عليها وهي لا تمت لدراستي بصلة ؛ لكونها تحدثت عن جانب لم أقم بدراسته وهو التبشير (التنصير) والاستشراق وحتى الباب الذي خصصه للحديث عن التغريب لم يتعرض للفصول التي تحدثت عنها بل كان حديثه عن نظرة الجندي التاريخية للتغريب وحديثه عن أهداف التغريب ثم أبرز كتابات الجندي في مواجهة التغريب وموقفه من الحضارة الغربية ،وهذه المسائل تختلف عما تحدثت عنه في رسالتي .

٥- أنور الجندي وجهوده في علم الكلام ، تقدمت بها الباحثة سنير عبدالرحمن ، لنيل درجة الدكتوراه من كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الأزهر ، وقد نوقشت الرسالة عام ١٤٢٨هـ .وهذه الرسالة يتضح من عنوانها أنها تتحدث عن مسائل العقيدة ، لذا فهي لا تتفق مع دراستي .

٦- جهود أنور الجندي في تجديد الفكر الإسلامي التبشير والاستشراق والتغريب،تقدم بها الباحث محمد السيد عبد ربه لنيل درجة الماجستير من كلية الدراسات الإسلامية ، جامعة الأزهر ، فرع القاهرة ، وقد نوقشت الرسالة، وهذه الرسالة تناولت جهود أنور الجندي في الفكر الإسلامي عموماً .

خطة البحث

وقد قسمت البحث في هذا الموضوع على أربعة أبواب وهي على النحو التالي :

الباب الأول : عصره وحياته وفيه فصلان :

الفصل الأول:عصره ويشتمل على ما يلي :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة الفكرية والثقافية .

المبحث الرابع : الحالة الدينية .

الفصل الثاني:حياة أنور الجندي ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : مؤلفاته ومقالاته.

المبحث الرابع : جهود أنور الجندي الدعوية :

المبحث الخامس:مرضه ووفاته وأقوال العلماء والمفكرين فيه.

الباب الثاني : موقف أنور الجندي من الانحرافات العقدية وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي .

الفصل الثاني :موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الصوفي الفلسفي .

الفصل الثالث : موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني الشعوبي .

الباب الثالث:موقف أنور الجندي من الفلسفات الهدامة والتيارات الفكرية المنحرفة وفيه فصلان :

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من الفلسفات الهدامة وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الدهرية .

المبحث الثاني : الغنوصية .

المبحث الثالث : الفلسفة اليونانية (الهلينية).

المبحث الرابع : الروحية الحديثة .

الفصل الثاني : موقف أنور الجندي من التيارات الفكرية وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الداروينية

المبحث الثاني : الفرويدية

المبحث الثالث : الوجـــودية

المبحث الرابع: العلمانية

المبحث الخامس : القومية .

المبحث السادس : العالمية

الباب الرابع : موقف أنور الجندي من قضايا التغريب وفيه تمهيد و فصول :

التمهيد فيه: معنى التغريب ،مصادر التغريب ، أهداف التغريب ، الغزو الفكري وصلته بالتغريب .

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من تغريب الشريعة الإسلامية وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : خصائص الشريعة الإسلامية .
المطلب الثاني : الشبهات المثارة حول الشريعة الإسلامية وتفنيدها .
المطلب الثالث : إثبات عدم صلاحية العمل بالقوانين الوضعية .
الفصل الثاني : موقف أنور الجندي من تغريب التربية والتعليم وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : أهداف تغريب التربية والتعليم
المطلب الثاني: وسائل تغريب التربية والتعليم .
المطلب الثالث :مظاهر تغريب التربية والتعليم .
الفصل الثالث : موقف أنور الجندي من تغريب اللغة العربية وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : الدعوة إلى العامية .
المطلب الثاني : الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .
المطلب الثالث : اللغة الوسطى .
المطلب الرابع : دعوى تطوير اللغة وإصلاحها .
الفصل الرابع :موقف أنور الجندي من تغريب المرأة المسلمة وفيه ثلاثة مطالب :
المطلب الأول : إثبات فساد حركة تحرير المرأة وبيان بطلانها .
المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب والتحرر ونقض دعاويهم المسمومة .
المطلب الثالث :وسائل دعاة التغريب في إفساد المرأة المسلمة .
الفصل الخامس : موقف أنور الجندي من تغريب الشباب وفيه مطلبان :
المطلب الأول :أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الشباب المسلم .
المطلب الثاني : سبل تلافي هذه المخاطر.
الخاتمة وتحدثت فيها عن أبرز النتائج والتوصيات .

منهجي في البحث :

١ -استخدمت المنهج الاستقرائي في استقصاء ما قام به أنور الجندي من كتابات ومقالات نحو المبحث الذي يتم الحديث عنه .

٢ -قدمت بذكر تعريف شامل عن كل فكرة أريد أن أبين فيها جهود أنور الجندي وبينت ما تقوم عليه من أفكار ومعتقدات وأسس. وكثيراً ما أهتم فيها بكلام الجندي إلا في حالة عدم وجود ذلك، فإني أعضده بالرجوع إلى المراجع المعتمدة والأصيلة .

٣- اعتمدت في الغالب على المنهج التحليلي الوصفي حيث أقوم بذكر أبرز المسائل التي تعرض الجندي لها ونقدها ومن ثم أقوم بذكرها على أهميتها مقدماً في ذلك كلام العلماء المعتبرين من أئمة السلف، ثم أذكر كلام الجندي في المبحث أو القضية التي نحن بصددها ، خاصة في بيان حكم الإسلام في الانحرافات العقدية والفلسفات والتيارات الوافدة .

٤- حرصت على نقل كلام الجندي في كثير من القضايا بالنص إلا في بعض الحالات فإني أقوم بتلخيص كلامه ونقل المراد منه .

٥- إذا تكرر كلام الجندي على مسألة واحدة و لم يكن في الموضع المتكرر اختلاف و لا زيادة ، فإني أنقل كلامه من أول موضع ورد فيه مع الإحالة على المواضع الأخرى . وإذا تكرر كلامه مع اختلاف أشرت إلى ذلك ، أو مع زيادة بلا اختلاف اعتمدت في النقل على الموضع الذي توسع فيه مع الإحالة على المواضع الأخرى .

٦- قمت بتعقب الجندي في المسائل التي خالف فيها القول الصواب أو أنه لم يتوسع في الرد على مسألة معينة وقد سلكت في ذلك طريقتين فمرة أتعقبه في صلب البحث عند عرض موقف الجندي من قضية معينة ، أو في الهامش. ومرة أتعقبه في نهاية كل مبحث وهذا في الغالب .

٧- أما بالنسبة للنقول فإني إذا نقلت كلاماً بنصه ، دون تبديل أو تغيير في كلمة من الكلمات فإني أذكر في الهامش اسم المرجع دون كلمة انظر ، أما في حالة تصرفي في النص المنقول تصرفاً يسيراً أو نقلته بالمعنى فإني أذكر في الهامش كلمة انظر .

٨- التزمت عند النقل من أي مصدر أو مرجع ذكر بياناته كاملة مرتبة هكذا : اسم الكتاب / اسم المؤلف / اسم المحقق أو المعلق (إن وجد) / الجزء والصفحة / دار النشر ، ومكانها ، ثم رقم الطبعة وتاريخها . هذا عند ذكر المرجع في أول وروده أما عند تكرره فإني أكتفي بذكر اسم الكتاب والمؤلف ، أو باسم الكتاب فحسب . وما لم يوجد معلومات عن الكتاب فإني أسكت عنه .

٩- قمت بعزو الآيات الموجودة في البحث إلى مواضعها في القرآن بذكر اسم السورة ، والآية .

١٠- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها المعتمدة ، فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بهما في التخريج ، وإلاّ خرجته من كتب السنن .

١١- شرحت بعض الألفاظ التي شعرت أنها بحاجة إلى توضيح .

١٢- ترجمت للأعلام المذكورين في صلب البحث ، في أول موضع يرد فيه ، وتركت بعضهم إما لشهرته أو أني لم أستطع أن أقف على ترجمة له وهذا قليل مع بذل الجهد في ذلك .

١٣- عرفت بالطوائف والفرق والمذاهب التي ذكرت في الرسالة تعريفاً موجزاً عند ورودها .

١٤- ذيلت البحث بفهارس للمراجع والموضوعات .

أما عن الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة البحث فهي كثيرة ولكن سأكتفي بما يخص الجانب البحثي ومنها :

١- طول البحث وتنوعه وتشعبه في كثير من القضايا حيث درست فيه الفرق، ثم الفلسفات الهدامة والتيارات الفكرية الوافدة ، ثم كان خاتمة الأبواب عن التغريب بشتى أنواعه ومجالاته ، وفي نظري أن باباً من هذه الأبواب السابقة يكفى لرسالة الماجستير .

٢- صعوبة الحصول على كتب أنور الجندي مع أن كتبه كثيرة ومتعددة ،وكنت أظن أن جمع كتبه أمرٌ متيسرٌ خاصة في بلده ولكن عندما سافرت وبحثت في الدور التي طبعت له لم أجد شيئاً يذكر ، ومررت على المكتبات العامة ودور النشر الأخرى بالقاهرة ، فكانت الإجابة في الغالب بالنفي حتى يممت نحو بيع الكتب القديمة والمستعملة في سور الأزبكية ووجدت – بحمد الله – عدداً لا بأس به ، ثم زرت بعض الإخوة الباحثين المهتمين بكتب أنور الجندي وصورت كثيراً منها ، ثم في سفرة أخرى زرت مكتبة أنور الجندي في داره بالطالبية واستعنت بما أكمل مسيرة البحث والحمد لله .

٣- ومن الصعوبات الأسلوب الذي كان يتبعه الجندي في التعامل مع المصادر والكتب إذ كان رحمه الله ينقل من كتب ومجلات وصحف قديمة وغير متوفرة والأصعب من ذلك أنه لم يكن يُشير إلى اسم الكتاب فضلاً عن رقم الصفحة أو الطبعة مما جعلني أقوم بالبحث عن مواطن الكلام المنقول عنه في كتبه المتنوعة والمتفرقة .

وفي الختام فإني أحمد الله تبارك وتعالى وهو أهل للثناء والحمد أن يسر لي طلب العلم في هذه الجامعة العريقة ، وأعانني على إكمال هذا البحث ، ثم الشكر المتتابع لأستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور / أحمد السيد رمضان الذي أحسب أنني مهما بالغت في الثناء فلن أكافئه على ذلك فقد سدد وقوم وفتح لي صدره وداره ووهبني كثيراً من وقته

فكان مثالاً للمشرف الذي أعطى وأوفى فجزاه الله عني خيرا وبارك له في علمه وعمره وأقر عينه بصلاح ذريته .والشكر كذلك موصول لشيخنا الفاضل الأستاذ الدكتور/ علي بن نفيع العلياني الذي حظينا بإشرافه على البحث في سنته الأولى.كما أتوجه بالشكر الخالص إلى المناقشين الكريمين والشيخين الفاضلين/ فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:محمد عبدالحافظ عبده حافظ ، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ سعود بن عبدالعزيز العريفي لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتحملهما عناء قراءة هذا البحث ، و أسال الله تعالى أن ينفعني بما يبديان من ملاحظات وتوجيهات حول الرسالة.

كما أشكر كل من أعانني بمراجعة نص،أو تصحيح أو إعارة كتاب أو بدعوة دعاها أو بدعوة حضور لباها .

وأخيراً ... لا أدعي أنني وفيت هذا البحث حقه لما يعتريني من النقص والعجز البشري ولكن حسبي أني اجتهدت وبذلت فيه قدر استطاعتي ، وأن الحق والصواب كان غايتي فإن وفقت فهذا منة من الله وفضل. وإن أخطأت وقصرت فمن نفسي ومن الشيطان ، وأرجو أن يكون صدق النية ورغبتي في طلب الحق والصواب شفيعاً لي في عفو ربي وغفرانه .وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبالله التوفيق ،،،

الباب الأول: عصره وحياته وفيه فصلان :

الفصل الأول:عصره ويشتمل على ما يلي :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة الفكرية والثقافية .

المبحث الرابع : الحالة الدينية .

الفصل الثاني:حياة أَنور الجندي ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : مؤلفاته ومقالاته.

المبحث الرابع : جهود أَنور الجندي الدعوية :

المبحث الخامس:مرضه ووفاته وأقوال العلماء والمفكرين فيه.

الفصل الأول: عصره ويشتمل على ما يلي :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة الفكرية والثقافية .

المبحث الرابع : الحالة الدينية .

المبحث الأول

الحالة السياسية

عاش أنور الجندي رحمه الله في فترة من أصعب الفترات على الأمة الإسلامية فولادته كانت في عام ١٩١٧م من القرن العشرين الميلادي.ووفاته في آخره عام ٢٠٠٢م،وبالتالي يكون عاصر عهدين مختلفين من السياسة وهما عهد الملكية والجمهورية،وهذا القرن كان حافلاً بالأحداث الأليمة والوقائع الجسيمة ليس على مصر فحسب،وإنما على الأمة الإسلامية ؛ولذا فمن الطبيعي أن يكون لها تأثير على الفرد والجماعة.ويمكن تقسيم أحداث هذه الفترة على النحو التالي :

١- إلغاء الخلافة الإسلامية :

تعتبر الخلافة الإسلامية جزءاً من الدين الإسلامي،فهي تقوم بحماية الدين وتنفيذ حدوده وأحكامه،كما تقوم على حماية المسلمين،وتوحيد كلمتهم وجمع شملهم،وكانت الخلافة العثمانية قوة ترتعد لها فرائص أوربا،وظلت هذه الخلافة فترة من الزمن ترعى المسلمين وتدافع عن مصالحهم من كل صائل وعدو وهذا كله دفع أوربا للتآمر على تقويض هذه الخلافة وعزلها عن القيام بدورها.وكان من أخطر تلك المؤامرات التي انطلقت من داخل الدولة العثمانية الجمعيات السرية في تركيا التي توحدت مع حزب الاتحاد والترقي [(١)] للقيام بالثورة ضد الخليفة عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م،ثم عزل السلطان عبدالحميد الثاني [(٢)] سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ،وَوَضِع بدلاً عنه أخوه محمد رشاد إلا أنه في الحقيقة لا يملك أي سلطة فعلية وإنما السلطة أصبحت بيد جمعية الاتحاد والترقي،وتم زج الدولة المتداعية في أتون الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣- ١٣٣٧هـ / ١٩١٤- ١٩١٨م وسقطت تركيا بعد هزيمتها في الحرب واحتل اليونان والحلفاء أجزاء منها،وفي عام ١٣٤١هـ/١٩٢٣م أعلن قيام الجمهورية التركية وأسقطت الخلافة وألغيت في عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م وقد تم

---

(١) - هي جمعية تركية نشأت في أوربا كحركة مناوئه لنظام الخلافة العثمانية تحت ستار التجديد والتحديث ، وقد ركزت نشاطها في بداية الأمر على النشاط الفكري ، ثم تدرج العمل إلى أن كونت خلايا سرية في الأستانة ، وانضم إليها العديد من يهود الدونمه ، وهي في حقيقتها مؤسسة ماسونية يهودية ، أقيمت للإطاحة بالسلطان عبدالحميد.(انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف وتخطيط ومتابعة د. مانع الجهني ،٢/ ١٠٤٨ ،دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٨ه)

(٢) - عبدالحميد بن عبدالمجيد ولد في الثالث عشر من شهر شعبان عام ١٢٥٧هـ ، وتولى العرش بعد أخيه مراد ، يعتبر أحد أشهر سلاطين بني عثمان قاطبةً. رفض تسليم فلسطين لليهود رغم كل الإغراءات المادية توفي في السابع والعشرين من ربيع الآخر عام ١٣٣٦هـ .(انظر : من أعلام المورد ،ص٢٨١)

لأعداء الإسلام هدفهم المطلوب وهو إلغاء الخلافة الإسلامية ليشرعوا في تحقيق بقية أهدافهم المنشودة وهي :

- تمزيق الخلافة الإسلامية العثمانية .
- السيطرة على الأجزاء العربية من الدولة ووضعها تحت سلطان الاحتلال البريطاني والفرنسي .
- إنشاء دولة لليهود في فلسطين [1].

٢- الاستعمار الغربي لمعظم البلاد الإسلامية و منها مصر :

لقد وقعت مصر تحت الاحتلال الانجليزي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م لذلك عاصر الجندي الاحتلال الغاشم على مصر وقد شهد تأثيرات هذا الاحتلال على الوضع العام في البلاد،وما جلبه من اعتداء على الدستور والحريات،وقيام الاحتجاجات والمقاومة ضد الانجليز وقد كان الجندي حاضراً تلك الأحداث ومعايشها بوجدانه وفكره فألف كتاباً أسماه «اخرجوا من بلادنا » يقول فيه:"ينبغي أن يعرف الناس من خلال هذه الصيحة أنه قد آن الأوان لأن يفهم الشعب حقوقه ويتمسك بها قوية حراً لا يهاب ولا يتراجع و لا يخاف ويطالب بها دون أن يعتمد على هذه الحفنة من الزعماء وينبغي أن نقول للإنجليز من خلال هذه الصيحة في عزم وتصميم وفي مداومة وعلانية وفي كل مناسبة وفي غير مناسبة عندما يشرق الصباح وعندما يأتي المساء اخرجوا من بلادنا صيحة تحرك الساكن وتُيَقِّظ النائم وتثبت للإنجليز أنه لا حق لهم في بلادنا وأن النشيد الذي لا بد أن يردده كل مصري اخرجوا من بلادنا " [2].

وقد تنازع مصر في هذه الحقبة تياران :

تيار وطني يغلب عليه الاهتمام بالحرية والاستقلال وجلاء القوات المستعمرة من البلاد وهو تيار قوي له خلفية إسلامية ،وإن كانت أبعاد التنظيم الاجتماعي الإسلامي لم تكن واضحة أمامه .

وتيار علماني أنشأه المستعمر حمل لواء مصر للمصريين ويدعو إلى الانفصال عن العالم الإسلامي والبلاد العربية ...وكانت الغلبة للتيار التغريبي؛لأن بريطانيا كانت وراءه

---

[1] - انظر : حاضر العالم الإسلامي ، د. جميل المصري ، ص ١١٩ ، دار أم القرى ، عمان ، ط الثانية ، عام ١٤٠٩هـ ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة ، علي بخيت الزهراني ص ٧٥٠ – ٧٥١، دار الرسالة ، مكة، احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام،د. سعد الدين السيد صالح،ص ١٣٩ ،مكتبة الصحابة،الشارقة ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ).

[2] - اخرجوا من بلادنا ، أنور الجندي ، ص ١٤- ١٥ ، دار الطباعة ، القاهرة ، عام ١٩٤٦م .

،وكان النفوذ الغربي خلال أكثر من ثلاثين عاماً يعمل على إعداد جيل من المتغربين(المتفرنجين) الذين لهم ولاء ثقافي واجتماعي للغرب .

و في هذه المرحلة كانت مصر تحكمها ثلاث قوى هي :

١- الدولة المحتلة تحت اسم الحاكم الفعلي .

٢- القصر تحت اسم الحاكم الشرعي .

٣- الأحزاب.وكلها كانت ذات ولاء لبريطانيا وولاء للنظام الغربي الرأسمالي،ولم يكن خلافها إلا في نوعية الحكم ووسائله وليست في غاياته فهي كلها تؤمن بالتعامل مع هذا النفوذ[1] .

ونتيجة لهذا الاحتلال الظالم قامت الاحتجاجات والثورات،وكان لعلماء الأزهر الدور الكبير في عملية إذكاء روح الجهاد عند الشعب المصري،و من أبرز تلك الجهود ثورة الشعب المصري عام ١٩١٩م ضد الإنجليز،إذ كان الأزهر هو المكان الذي انطلقت منه الثورة،وظلّ يقاوم الاحتلال البريطاني في حدود ما توافرت لديه من وسائل وإمكانيات لكن ما لبث أن انحصر دور الأزهر وضعف؛وذلك نتيج ة استضعافهم من قبل الانكليز بعد أن انقسموا تجاه الحاكم والسلطة وهذا أثر بدوره على دور الأزهر إذ أصبح في نظر الأحزاب مؤسسة موالية للسلطة ، وفي هذا المناخ ظهرت جمعيات إسلامية أخذت تلعب دوراً بارزاً في المجتمع المصري منها «جمعية الشبان المسلمين [2]» ،«جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية » و«جماعة الإخوان المسلمين»عام ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م[3] .

لقد أخذ الشعب بشتى الوسائل لطرد الاحتلال فمرة يدعو إلى الثورات،وتارة بالمعاهدات وأخرى بالمقاطعة العامة للاحتلال ليخرج من البلاد.وفي ذلك يقول الجندي:" هذا وإن أصر المحتل على موقفه الغاصب الظالم فلا بد من مقاطعة منظمة نخطوا إليها اليوم أولى خطواتنا بإعلان عدم التعاون معهم اقتصادياً،وذلك بالإضراب عن شراء كل ما هو إنجليزي أو التعامل مع أي شركة إنجليزية ،وعدم التعاون معهم ثقافياً بمقاطعة المجلات والصحف والكتب الإنجليزية،وعدم التعاون معهم اجتماعياً وذلك بقطع علائق الصداقة الشخصية والعائلية ،والانسحاب من عضوية الأندية والهيئات التي تضم العناصر الإنجليزية ،

---

(١) - انظر : عقبات في طريق النهضة ، أنور الجندي ، ص ٨٢-٨٣، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٢)- هي جمعية أنشئت بالقاهرة عام ١٩٢٧م ،ممن أشرف عليها محمد الخضر حسين . من أهدافها بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة ، والسعي لإنارة الأفكار بالمعارف ، والعمل على بث روح الشباب والفتوة ، والتمرس على الرياضة .(انظر : الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ٨٨٦ ، دار الجيل ،بيروت ، ط الثانية ، عام ٢٠٠١م).

(٣) - انظر:الأصولية في مصر غياب الديمقراطية أم فشل التنمية،د.هدى رزق،ص ١١-١٢،دار الفرات للنشر،بيروت،ط الأولى،عام ٢٠٠٣م .

وعدم التعاون معهم روحياً،وذلك بالاتجاه إلى العلي الكبير مذل الجبارين وقاصم المتكبرين والإلحاح في الدعاء،وقبل ذلك تشحن النفوس بالكراهية لهم وبيان عيوبهم" [1].وجاءت خطوة أخرى وهي توقيع معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م،ولكنها لم تحقق الجلاء الذي تنشده مصر بل قضت بانتقال الاحتلال إلى منطقة قناة السويس،وأخذ الإنجليز يتدخلون في شؤون البلاد ويدبرون المؤامرات،ويسقطون الوزارات ، ويفتعلون الأزمات ،وهذا ما دفع الشعب إلى المظاهرات والاحتجاجات مطالبة الانجليز بالجلاء وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية. وتحت هذه الضغوط بإعلان الجهاد ضدهم تم إجلاءهم وخروجهم من مصر[2].وأعقب هذه المرحلة ثورة يوليو عام ١٩٥٢م التي كانت نتيجة أسباب قوية مهدت وعجلت بها من أبرزها :

١- العبث بالدستور وبحقوق الأمة والعداء السافر لحزب الأغلبية .

٢- حرب فلسطين وما كشفت عنه من تهاون وخيانات .

٣- الاستعمار الطاغي الذي اتخذ من القصر ورجاله ومن سادة الإقطاع عونه ودعامته.

٤- حريق القاهرة الذي اتخذ أساساً لإقالة حكومة الوفد،و لم تستطع الوزارات أن تستقر بعد هذه الإقالة [3] .

وقد انطلقت الثورة على ثلاث مراحل وهي :

المرحلة الأولى :

وكانت تهدف إلى العمل على السيطرة على القوات المسلحة بالاستيلاء على مبنى القيادة العسكرية بمنطقة كوبري القبة واعتقال كبار ضباط الجيش حتى لا يحرك هؤلاء قوات ضد الحركة ثم السيطرة على مداخل القاهرة ويقوم سلاح الطيران بالتحليق فوق القاهرة والإسكندرية لمنع «الملك فاروق»[4]من الهرب والمراقبة للقوات البريطانية في القناة وتتجه وحدات من المشاة للسيطرة على الإذاعة وشبكة التلفزيون ويبدأ ذلك في منتصف الليل ٢٢-٢٣يوليو .

---

[1] - اخرجوا من بلادنا ص ٣١.

[2] - انظر: مصر المجاهدة ، عبدالرحمن الرافعي ٦/ ٤١ بتصرف ، التاريخ الإسلامي الحديث المعاصر ، د. إسماعيل ياغي،محمود شاكر ٢/ ٤٠.

[3] - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية،د. أحمد شلبي ٥/ ٥٤٠، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ،ط الخامسة،عام ٢٠٠٠م.

[4] - فاروق (١٣٣٨ - ١٣٨٤ هـ = ١٩٢٠ - ١٩٦٥ م) فاروق بن أحمد فؤاد بن إسماعيل (الخديوي) بن إبراهيم بن محمد علي: آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي . ولد في القاهرة سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م وتعلم بها وخلف أباه ملكا على مصر سنة ١٩٣٦ م، وأرغمته ثورة مصر (١٩٥٢ م) على خلع نفسه. وأقام فاروق في رومة و توفي بها سنة ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥ م. (انظر : الأعلام للزركلي ١٢٨/٥ ،دار العلم للملايين، بيروت،ط السادسة عشرة ،عام ٢٠٠٥م).

المرحلة الثانية :

السيطرة على الجهاز المدني بتعيين وزارة مدنية تنال ثقة الشعب ويتضح ولاؤها للانقلاب

المرحلة الثالثة :

التخلص من الملك،ونجحت الثورة في الوصول إلى ما تريد وطرد الملك من مصر وراح غير مأسوف عليه[1].ثم طرأ على الثورة ما غير مجراها واتضحت بعد ذلك حقيقة هذه الثورة نتيجة تلك الحقائق والوثائق التي بثتها كتابات رجال المخابرات الأمريكية المركزية. وبعد ما شهد به رجال ثقات عاصروا تلك الأحداث،فلم يعد خافياً أن الانقلاب العسكري الذي تم إنما كان انقلاباً لصالح اليهود والنصارى في مصر[2] .

ثم بدء عصر جديد هو عهد عبدالناصر [3]وما تلاه من أحداث جسيمة من أبرزها : العدوان الثلاثي على مصر عام ١٣٧٥/١٩٥٦م على إثر إعلان تأميم قناة السويس،وتمت الوحدة بين مصر وسوريا،وصدرت القوانين التي عرفت بالقوانين الاشتراكية التي قيل عنها: إنها أفقرت الأغنياء وأجاعت الفقراء ،وقام بحرب على اليمن من سنة ١٣٨١هـ/١٩٦٢م إلى سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ثم كانت حرب ١٩٦٧م التي سميت بالنكسة والحق أنها نتيجة طبيعية لمقدمات هزلية فهي لم تكن حرباً بالمعنى الصحيح،وإنما كانت نزقاً من القيادة،ومن يوم إلى يوم تنكشف مواقف مخزية من الذين أعلنوها أو كانت في يدهم سلطات إدارتها [4].

لقد كانت سياسة عبدالناصر شؤماً على مصر وهو كما يسميه د.أحمد شلبي «عصر المظالم والهزائم» فقد قام بحلِّ هيئة كبار العلماء،وكان شديد القسوة على جماعة الإخوان المسلمين ؛ ألقاهم جميعاً في السجون،وعرَّضهم للتعذيب البشع،وقتل شنقاً صفوة من علماء المسلمين في قمتهم سيد قطب [5]،وأجرى ما أسماه تطوير الأزهر الذي يسميه الأزهريون تدمير الأزهر[6].

---

(١) - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي ٢٦/٥.

(٢) - انظر:حاضر العالم الإسلامي . د. علي جريشة ، ص ٢٢٢ بتصرف، دار المجتمع ، جدة ، ط الرابعة ، عام ١٤١٠هـ .

(٣) - جمال عبدالناصر(١٩١٨ - ١٩٧٠ م) ثائر عسكري،حكم مصر ثمانية عشر عاماً،حول مصر إلى نظام اشتراكي،وأعلن الوحدة مع سوريا من مؤلفاته : فلسفة الثورة ،الميثاق.(انظر : الأعلام لخير الدّين الزركلي٢/ ١٤٣).

(٤) - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥/ ٥٤٩ .

(٥) - سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، من مواليد قرية موشا في أسيوط ولد سنة ١٣٢٤هـ .تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام. وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ١٩٥٣م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة ١٣٨٧هـ . له كتب كثيرة منها :العدالة الاجتماعية في الاسلام و التصوير الفني في القرآن، المستقبل لهذا الدين ، في ظلال القرآن ، معالم في الطريق .(انظر : الأعلام ١٤٧/٣).

(٦) - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥/ ٥٥٣.

ويمكن تلخيص المراحل السياسة التي مرت بها مصر بثلاث مراحل من حيث الصراعات الداخلية وهي:

أولاً:الصراعات الحزبية وتمتد من ٢رجب ١٣٤٠هـ ١٩٢٢م إلي ٢ ذي القعدة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.وتتميز هذه المرحلة بزيادة عدد الأحزاب في مصر مع مرور الأيام وعدد منها قد انشق عن حزب الوفد ويلتقي معظمها على محاربة حزب الوفد ويخطط لذلك القصر والإنجليز كي يبقى التوازن قائماً حسب اعتقادهم فلا يطغى الوفد ويتحكم في البلاد وتكون له القوة ربما خرج عن رأي المحتلين أما القصر فيختلف عن المحتل في نظرته هذه لأن الوفد على خلاف دائم مع القصر فكل منهما يريد أن لا يكون له منازع في حرية اليد،ولا معادٍ في بسط النفوذ .

ثانياً :الصراع بين السلطة والإخوان المسلمين وتمتد من ٢ذي القعدة ١٣٧١هـ إلى ١٥ شعبان ١٣٩٠ هـ / ٢٨شباط ١٩٥٢م إلى ٢٣يوليو ١٩٧٠م وتتميز هذه المرحلة باتخاذ كل الإجراءات لإضعاف شأن الإخوان واستعداء الناس عليهم وتسخير وسائل الإعلام للنيل منهم وفي الوقت نفسه التمجيد لشخصية الحاكم و إدواء غروره بالسلطة .

ثالثاً: تعدد الجماعات الإسلامية وتمتد من ١٥شعبان ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م إلى وفاة المترجم له رحمه الله وتتميز بعودة الحياة الحزبية فيما بينها وتنقل الأخوان بين الأحزاب وتعدد الجماعات الإسلامية [1] .

[1] - انظر : أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد التبشير والاستشراق والتغريب ١/ ٣٥ ،للطالب / عمر أبو سلامة ، رسالة ماجستير ، بجامعة الأزهر ، غير منشورة .

المبحث الثاني

الحالة الاجتماعية

وأدت تلك الاضطرابات السياسية نتيجة الاستعمار إلى آثار سلبيه على المجتمع المصري فقد دخلت بعض العادات والتقاليد الغربية التي لم يتقبلها جمهور المصريين مثل انتشار حانات الخمر ودور الملاهي الليلية،ودور البغاء وأوراق اليانصيب،وزادت دور السينما والمسارح الليلية وامتلأت صفحات المجلات في نقل أخبار الممثلين والممثلات والمغنيين والمغنيات والمراقص،ودخلت الفتاة العارية مدرسة الفنون الجميلة فلقيت ترحيباً زاد عن زميلتها المحجبة، وكثرت الترجمة للقصص الخليعة، والمذاهب الأدبية الهدامة والمعادية للدين، وكثرت حفلات الرقص في بيوت الأغنياء .

و كان لكل هذه المظاهر أثر على الشباب حيث صادفت هوى في نفوسهم وأغرتهم على التمرد على كل ما هو قديم والاستخفاف بالعادات الموروثة أو لقي في هذه العادات إرضاء لنـــزواته فأقبل على تعلم الرقص مع الفتيات كي يجارى في عاداته أبناء الجاليات الأجنبية[1].

ومن أشد تلك الآثار الاجتماعية ما حصل للشباب من إفساد ومسخ لهويتهم؛وذلك نتيجة"نشر المخدرات انتشاراً مروعاً ينذر بالخطر الشديد ولاسيما بعد أن امتد إلى الشباب وهم جيل الغد وبعد أن ظهر نوع جديد لم يطرق اسمه أسماع الناس قبل الحرب العالمية الثانية وهو الكوكايين ومشتقاته واشتغلت الصحف بالكلام عن تفاقم هذا الداء الوبيل وطالبت بتشديد العقوبة فيه وتجارة الرقيق الأبيض [2] ودور البغاء.وكلها من الأدواء التي حملها إلينا الغرب وكله مما كان يحترفه الغربيون ويكادون يحتكرونه احتكاراً" [3].

وقد نتج عن احتلال مصر التوسع في الأخطار الاجتماعية التالية :

١- الدعارة الرسمية ٢- المخدرات ٣- الإقطاع والرق الاجتماعي ٤-السخرة والكرباج... وقد أدى منع الفلاح من التملك ،أو ظلمه في محصوله إلى أن ساءت حالة الفلاحين لدرجة اضطرت أكثر أهالي القرى إلى الهجرة من قراهم وزاد في ذلك أعمال السخرة التي كانت تستخدم لإصلاح أراضى الولاة والحكام وقد حشد لها عدد كبير من شباب الفلاحين،

---

(١) - انظر: الصحافة السياسية في مصر منذ نشأها حتى الحرب العالمية الثانية ، أنور الجندي ، ص ٥٩٨،الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم،د. رمضان الغريب ، ص ١٦٠- ١٦١، دار الحرم ، القاهرة ، ط الأولى ،١٤٢٣هـ .

(٢) - و لعل يقصد بذلك الفتيات البيض من الشركسيات ، فقد كانت في القاهرة عام ١٩٠٠م أكثر من ثلاثة ألاف جارية . (انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، للجندي ص ٦٧).

(٣) - الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية ، أنور الجندي ، ص ١٠٩.

وعملية حفر قناة السويس أسوأ مثل لفقدان عشرة آلاف عامل من شباب الوطن .وقد كان الضرب بالكرباج عادة مألوفة في جباية الضرائب ،ولم يكن هناك قانون يحمى الفقير أو المظلوم و لم تكن هناك رقابة على الحكام [1].

و لم يتوقف تأثير الاحتلال وما عقبه من عصر المظالم على المجتمع الخارجي بل امتد أيضاً إلى المحيط الداخلي فنجد أن المرأة المسلمة في الغالب الأعم غزاها الفكر الصليبي أو الصهيوني قاصداً إلى إخراجها من فضائلها وفي مقدمتها الستر والعفة والشرف...وقد دب فيها الوهن،بعدما بعدت عن أحكام الإسلام فالعلاقات بين الزوجين متوترة ،وعلى الأحسن فاترة،والعلاقات بين أفراد الأسرة الآخرين تفككت تقليداً للغرب الصليبي ،ومظاهر قطع الرحم والخصام تزيد عن مظاهر الوئام والسلام،ومظاهر التظالم بين أفراد الأسرة الواحدة والتشاحن على الميراث وعلى غيره من أغراض الحياة الدنيا كثيرة وكبيرة وعميقة ، والمجتمع المسلم لم يعد جسداً واحداً بل تقطعت أوصاله وأجزاؤه داخل البلد الواحد إلى أحزاب وفرق وعصبيات وساد الفكر الصليبي والصهيوني ، أو ما يريده هذا وذاك أن يسود وضَعُفَ فيه التكافل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي[2].

---

[1] - انظر : تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال ما بين الحربين العالميتين ، أنور الجندي،ص ٦٦-٦٧، دار الاعتصام ، القاهرة .

[2] - انظر: حاضر العالم الإسلامي ص ٨٨-٨٩ بتصرف يسير.

المبحث الثالث

الحالة الفكرية والثقافية

تميز هذا القرن بثورة فكرية وثقافية عارمة وصراعٍ بين الدين والقيم من ناحية والأفكار الوافدة الهدامة من جهة أخرى،فنجد أن الصحافة كان لها دور بارز في بلورة الاتجاهات الفكرية وخاصة ما يسمي بصحافة الرأي وهى التي تسلط عليها الأعداء وأخذوا من خلالها شن حملاتهم التغريبية وبث سمومهم الفكرية "وقد شهدت العقود التي تلت ثورة ١٩١٩م نهضة صحفية كبرى شملت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة كما شملت المجلات الشهرية وكانت الصحافة مستقلة أحياناً وتابعة للأحزاب أحياناً أخرى وقد تنافست هذه الصحافة لرفع المستوى الفكري والسياسي بين الجماهير ويمكن القول بأن مكانة الصحافة قبل ثورة ٢٣يوليو أعظم بكثير من مكانتها بعد هذه الثورة سواء في ناحية العدد أو الحرية أو روعة التحرير والأداء"(١).

وقد مر التعليم في زمن المحتل بأسوأ المراحل حيث كان المستعمرون غاية في الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الإرساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التي كانت تدرس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والبلاد العربية كالأزهر والزيتونة والقرويين ومعاهد الحديث ورجالها والعاملين بها وإحلال مناهج جديدة ومقررات جديدة(٢).وفي عهد الاحتلال ألغيت مجانية التعليم تدريجياً ووقفت حركة إنشاء المدارس وتم إغلاق بعضها وجعل تعليم العلوم بالإنجليزية ابتداءً من الصف الثالث الابتدائي وحل المدرسون الإنجليز مكان المصريين ناهيك أن مناهج التعليم حرصت على إبعاد التاريخ القومي عن التلاميذ لكي ينشأ الجيل جاهلاً بتاريخ بلاده لا يفرق بين الاحتلال والاستقلال...وصار غاية التعليم محاربة الشعور الوطني وإماتة النفوس وانحط التعليم في المدارس الثانوية وتضاءلت مناهجه وعصف الانحلال بالتعليم الحربي والصناعي(٣).

ومع ذلك فقد شهد عصر ما قبل الثورة – من عام ١٩١٩م– تحسناً كبيراً في مجال التعليم ، فكثرت المدارس كثرة هائلة ابتداء من رياض الأطفال حتى التعليم الجامعي،ومن مفاخر هذه الفترة،أنها قضت على الازدواج في التعليم فلم تعد هناك مدارس أولية ومدارس

---

(١) - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ٥٣/٩.
(٢) - انظر: الخنجر الذي طعن به المسلمون، أنور الجندي ص ٧ - ٨ ، دار الاعتصام ، القاهرة .
(٣) - انظر: مصر والسودان ، عبدالرحمن الرافعي ص ١١٦- ١١٨ بتصرف.

ابتدائية بل أصبحت جميع مدارس المرحلة الأولى ابتدائية،وفي عهد حكومة الوفد سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م أصبح التعليم الابتدائي مجاناً،وفي حكومة الوفد سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م صدر قانون بجعل التعليم الثانوي بالمجان كذلك،ومن مفاخر هذا العصر أيضاً أن الجامعات بدأت تكثر عدداً وكيفاً وقد أنشأت حكومة الوفد سنة ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م جامعة الإسكندرية،وجامعة عين شمس،و جامعة أسيوط،ونال الأزهر عناية كبيرة بعد نجاح ثورة ١٣٣٨هـ/١٩١٩م وبخاصة عندما صدر قانون إصلاح الأزهر سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م وبمقتضاها أصبح للأزهر معاهده وكلياته،ودخلت إصلاحات كبيرة في مناهجه،مما مكنه من القيام بنهضة عظيمة في مجال الدراسات الإسلامية واللغة العربية[1] .

وعندما جاء عصر الحكم الجمهوري وبعد رحيل الاحتلال،تراجع التعليم كثيراً وأصبح تعليماً علمانياً عمد إلى إقصاء الدين والتاريخ الإسلامي إلى الآن .

فقد رفع عبد الناصر فترة حكمه شعار:(التعليم والماء كالهواء،ينبغي إتاحته للجميع) ،ولكن الحقيقة أن عبد الناصر أراد أن ينشئ أجيالاً ذات ولاء لثورته عن طريق التعليم الإلزامي،وفي خط مواز كان لا بد من التخفيف من ثقل الأزهر ، فكان ما عرف بمشروع التطوير في عام ١٣٨١هـ/١٩٦١م،وفرض الميثاق،ورفع الولاء للقومية العربية والاشتراكية وهو ما يعرف في الأوساط الإسلامية بقانون تدمير الأزهر .

وحين جاء السادات وانقلب على حكم عبد الناصر أراد البحث عن الذات من جديد ، فبدت المناهج مترددة بين الإسلام والعروبة حيناً،ثم لم تلبث أن نحت منحى جديداً رُسم لها إبان الانفتاح و معاهدة سلام مع الصهاينة؛حيث ظهرت سياسة تعليمية جديدة تتواءم مع استراتيجية السلام الأمريكية التي لم تقنع بمجرد تهميش الإسلام أو تفريغه من محتواه أو حتى اختزاله في بعض الشعائر والآداب ، وإنما الاستبعاد التام لكل ما هو إسلامي من أجل إعادة ترتيب أوضاع المنطقة وقد فرغت مناهج وزارة التربية من المحتوى الإسلامي[2].

لم يسلم العالم الإسلامي من غزو فكري وتغريبي منظم استخدمت فيه شتى الوسائل ،وقد كان لمصر النصيب الأوفر خلال هذا القرن فقد كانت الانحرافات الفكرية تعمل جنباً

---

(١) - انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي ٩/ ٥٢.

(٢) - انظر مجلة البيان العدد ١٦١ ص ٧٠ . سنة ١٤٢٢هـ شهر محرم ، ولمزيد من تلك الحقائق ينظر : واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين ،لسعيد عبدالحكيم زيد ص ٧١- ١٠٩،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ .

لجنب مع الاحتلال قي تغريب الأمة ومسخ هويتها،فظهرت الحملات التنصيرية المنظمة التي كانت تعمل علانية دون خفاء ومن تلك الوسائل إنشاء الجامعة الأمريكية التي تبنت كل المفاهيم التنصيرية في مصر وأخذت على عاتقها مهمة العمل التنصيري.

يقول الجندي : " إن ظاهرة الإرساليات التبشيرية في العالم الإسلامي هي أخطر الظواهر الاجتماعية التي يجب أن تدرس في توسع للتعرف على الدور الخطير الذي قامت وتقوم به في محاربة الإسلام وتزييف مفاهيمه واحتواء معتنقيه، وتمهيد السبيل لتثبيت دعائم النفوذ الأجنبي على مدى قرن كامل من الزمان وخاصة بعد أن توسعت واقتحمت مجال الثقافة والصحافة بعد المدرسة والجامعة"(١).

كما ظهرت وبشكل خطير ومخيف مذاهب فكرية تناقض الإسلام تماماً كالعلمانية والوجودية والإباحية والقومية وغيرها من المذاهب الضالة الإلحادية كالمذهب الشيوعي الذي ينكر أن يكون هناك خالق ومع ذلك لقي قبولاً بين فئات المثقفين في بعض المجتمعات(٢) .

وهكذا أصبحت الحياة الثقافية و الفكرية عبثاً ومجوناً مستمراً بين هؤلاء المستعمرين الذين بذلوا جهودهم في محاولة تحقيق أجيال ممسوخة التفكير تتسلم الراية عند رحيلهم وهو في الحقيقة ما جرى بحيث أصبح المتمسك بزمام الأمور في قنوات التأثير من أولئك المتغربين التابعين للغرب. ومع ذلك كله وجد في الأمة الإسلامية من كان يدرك خطر هذا الواقع المؤلم والمخزي فأخذ على نفسه مواجهة تلك الانحرافات وكشف زيفها والتحذير من مفاسدها و من أولئك أنور الجندي – نحسبه كذلك والله حسيبه -الذي جعل من حياته محامياً ومدافعاً عن الأمة وتراثها وكل ما يمكن أن يصيبها من مطاعن الأعداء .

(١) - التبشير الغربي ، أنور الجندي ، ص ٧ ، دار الاعتصام ، القاهرة .
(٢) - حاضر العالم الإسلامي ص ٥٦.

المبحث الرابع
الحالة الدينية في مصر

كان للوضع السياسي المضطرب في مصر خلال الفترة الماضية ،كل التأثير على الحالة الدينية والاجتماعية،فإن لتلك الاضطرابات والانقلابات،وما صاحب ذلك من احتلال صليبي،وتمكين لأهل الذمة من السيطرة على وسائل التغيير والتأثير.الأثر الواضح في حصول انحرافات عقدية ودينية كبيرة،نتج عنها فساد في التصور وفساد في السلوك .

ومن أشد الانحرافات العقدية التي سادت هذه الفترة انتشار التصوف بعقائده الفاسدة المنحرفة فقد أحدث هذا الفكر مفاسد كثيرة فى بنية الأمة،ليس أقلها التواكل،وترك الأخذ بالأسباب،وإهمال عمارة الأرض،والانحراف فى عقيدة القضاء والقدر،وعدم إحساس الإنسان بمسئوليته عن خطئه حين يخطئ، والانصراف عن الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والفصل بين الدنيا والآخرة،وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة فى حس المسلم،وإفساد التوازن الدقيق الجميل الذي يحدثه الإسلام الصحيح فى النفس،فيجعل الإنسان يعمل بجهده كله فى واقع الأرض، وقلبه معلق بالله واليوم الآخر،أو بعبارة أخرى التوازن الدقيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة[1] .

وهذا الفساد صاحبه سيطرة ونفوذ من هؤلاء المتصوفة لمناطقهم"فكان المتصوف إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس،وتكاثر حوله عددهم وسدوا طريقه ،وانهالوا على يديه وقدميه تقبيلاً ولثماً...وفي عام ١٩٣٦م كتب وزير الأوقاف المصري كتاباً إلى شيخ الأزهر الأستاذ «المراغي»[2]في شأن البدع الشائعة،واقترح تأليف لجنة يشرف عليها الأزهر،وتكون مهمتها تمحيص هذه البدع الشائعة بين الطبقات في مصر،ووضع قواعد تستند إليها الحكومة في مصادرة كل ما لا يتفق مع تعاليم الدين،وبعد تبادل الرأي عزموا على تكوين لجنة يرأسها مفتى الديار المصرية الشيخ «عبدالمجيد سليم»[3]،وصدر قرار لوضع كتاب جامع عن البدع الفاشية والمنافية للإسلام،وما فرغوا من تكوين اللجنة حتى

---

[1]-كيف ندعو الناس؟ . محمد قطب ، ص ١٥٠، دار الشروق ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٤٢٤هـ .

[2] - محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم المراغي: ولد عام ١٢٩٨هـ ، تولى مشيخة الجامع الأزهر،ولد بالمراغة في الصعيد، وتعلم بالقاهرة، وتتلمذ على الشيخ محمد عبده.وعين شيخاً للأزهر سنة ١٩٢٨م توفى بالإسكندرية عام ١٣٦٤هـ .له مؤلفات منها : بحوث في التشريع الاسلامي، كتاب الأولياء والمحجورين . (انظر : الأعلام ٧/ ١٠٣).

[3] - عبدالمجيد سليم ،ولد عام ١٢٩٩هـ في قرية ميت شهالة بالقرب من المنوفية ، درس بالأزهر العلوم المشهورة ،والفلسفة ،وقد اشتغل بالتدريس في المعاهد الدينية ، وعين شيخاً للأزهر ، توفي عام ١٣٧٤هـ ، له فتاوى تبلغ خمسة عشر ألف فتوى . (انظر: الأعلام : ٤/ ١٤٩، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ،إشراف وتقديم أ.د محمود زقزوق ، ٦٨٩- ٦٩٤، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،القاهرة ، عام ١٤٢٥هـ)

ثارت ثائرة الصوفية ، وأرسلت مشيختهم بياناً إلى الوزير تعلن فيه الاحتجاج اللين على معاليه ؛لأنه تخطى بكتابه هذا سلطة يحق لها القانون الإشراف والهيمنة على كل ما يتعلق بشؤون الصوفية دون غيرها من السلطات ثم ختمت بيانها بتوجيه كلمة فيها شئ من العنف إلى شيخ الأزهر "[1] .

وقد كان من أظهر مميزات التصوف في هذا العصر،تحوله من ظاهرة وجدانية فردية ، إلى ظاهرة اجتماعية .تتمثل في حياة أتباعه في رحاب الزوايا [2] تحت إرشاد شيوخهم ممن مكنتهم شخصياتهم من اجتذاب المريدين ويسرت لهم ثقة المحسنين من الأمراء والأثرياء الذين تكفلوا بكل ما تتطلبه حياة هؤلاء المجاورين .

أما عن الطرق الصوفية التي ظهرت في هذا العصر،فقد تجاوزت الثمانين طريقة منها الشاذلية[3] والتيجانية [4]...وكان يميز بعضها عن البعض الآخر اللباس بألوانه المزركشة، وكذا الأوراد التي كان يضعها شيخ كل طريقة ويحرص عليها أتباعه في حياته وبعد مماته،وكانت تختلف هذه الأورا د في أسلوب إلقائها إما بمصاحبة الدفوف أو الإنشا د الحر، أما مضمونها فكان لا يعدو أن يكون بعض الأدعية،أو اقتباسات من قصائد المديح النبوي،أو محاكاة لمعاني القرآن الكريم،أما عن شيوخ الطرق ، فكان معظمهم يستحل المحرمات،ويخرج على العرف والقانون،فنجد منهم من يستولى على الأموال الأوقاف والنذور،ومن يستبيح الزنا والعبث بالغلمان،ويستحل شرب الخمور وتعاطي المخدرات، وغير ذلك من المخازي وانتهاك المحرمات وخرق الحدود الأمر الذي يؤكد ابتعاد مثل هذه الطرق عن الأخلاق الإسلامية التي يعبر عنها الزهد[5] .

يقول الجندي:"لقد كان لانتشار المتصوفة الذين يدعون معرفة الأسرار وسقوط التكاليف السماوية أثره في فساد معنى الدين،وقد حرص الأجانب على حضور حلقاتهم

---

[1] - التصوف في مصر إبان العصر العثماني ص ١٨٥، د. توفيق الطويل ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، عام ١٣٦ﻫ .

[2] - الزوايا :تعددت الآراء حول سبب التسمية : فمنهم يرى أن كلمة ز اوية تطلق على صومعة الراهب المسيحي ، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى ،ومنهم من يرى أن الزاوية مدرسة دينية ودار للضيافة المجانية ، فهي بذلك تشبه الدير في العصور الوسطى ،ويرى آخر أن الزوايا كالخانقاهات والرباطات إلا أنها تقام فيها الأذكار .(انظر :تاريخ التصوف في سوريا النشأة والتطور،د. عبود العسكري ص ٩٦).

[3] - الشاذلية : طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو".(انظر : الموسوعة الميسرة ١/ ٢٧٩)

[4] - التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا، وأن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة .(انظر :الموسوعة الميسرة ١/ ٢٨٥).

[5] - انظر: الفكر المصري الحديث بين النقض والنقد ،د. عصمت نصار ،ص ١١ بتصرف،المكتبة المصرية، الإسكندرية،ط الأولى،عام ٢٠٠٤م.

ونقلوا هذه الصور على أنها صورة الإسلام وكان يعمل في القاهرة وحدها ٨٠ مولدا في السنة يظهر فيها عديد من الأخطاء الاجتماعية" [١].

وهناك جانب آخر لا يقل خطره عن التصوف ألا وهو الفكر الإرجائي [٢] الذي يعتبر من أشد الانحرافات التي كانت موجودة في هذه الفترة فقد أحدث مفاسد عظيمة فى بنية الأمة منذ أخذت تتفلت من التكاليف، والفكر الإرجائي يوهمها أنه لا بأس عليها من هذا التفلت، ما دام قلبها عامراً بالإيمان! ويهوج الأمة فى التفلت حتى تقع فى الشرك الواضح الصريح، سواء شرك الاعتقاد أو شرك العبادة أو شرك الحاكمية، ثم يظل الفكر الإرجائي يوهم الناس أنهم ما زالوا بخير، وما زالوا مؤمنين![٣]

ومن مظاهر الانحراف العقدي في مصر خلال هذه الفترة بناء المساجد والقباب على الأضرحة والقبور حتى أصبحت تزيد عن الألف ضريح ،وهذه الأضرحة تجد عند الناس كل احترام وتبجيل مما دفع كثيراً من الناس إلى الحرص على الصلاة في المسجد الذي به ضريح ، والتمسح بذلك الضريح وتقبيله طلباً للبركة ، وكذلك التوسل بجاه صاحبه، وإظهار الرجاء والحاجة لدى صاحب هذا القبر وبذل النذور والصدقات إليه[٤] .

ومما سبب ضعف الحالة الدينية بمصر في ذلك الوقت كثرة انتشار البدع حتى غدت حياة أكثر المسلمين ممزوجة بها ،فدخلت كثيراً من العبادات ألوانٌ شتى من البدع والمحدثات فعلى سبيل المثال نجد بدعة الموالد ويشتهر منها : المولد النبوي ،ومولد البدوي الذي حضره عام ١٤١٦هـ/١٩٩٦م حوالي ثلاثة ملايين زائر[٥] ، ومولد أبي الحسن الشاذلي [٦] ... ويوم الاحتفال بالمولد النبوي يكون إجازة رسمية في البلاد، ويقام في كل محافظة

---

(١) - تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال ما بين الحربين العالميتين ،أنور الجندي،ص ٦٦-٦٧، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٢) - المرجئة :هم الذين يقولون بإخراج العمل من الإيمان،ويقولون :لا يضر مع الإيمان معصية،كما لا ينفع مع الكفر طاعة،وهم أصناف منهم مرجئة الفقهاء،والجهمية،و الكلابية،والكرامية،والأشاعرة.(انظر:الفرق بين الفرق للبغدادي، تحقيق :محمد محي الدين عبدالحميد،ص ١٣٩ ،المكتبة العصرية ،بيروت،عام ١٤٢٤هـ،آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية،د.عبدالله السند ص ٨٦، دار التوحيد،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٨هـ) .

(٣) -كيف ندعو الناس؟ ، محمد قطب ص ١٤٨.

(٤) - انظر : دمعة على التوحيد ،كتاب المنتدى ،ص ٤٨، المنتدى الإسلامي ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ .

(٥) -انظر:تقرير الحالة الدينية بمصر،الصادر بمركز الأهرام للدراسات السياسية و الاستراتيجية سنة ١٩٩٧م.عن مجلة البيان العدد ١٣٢،ص ٧٠.

(٦) - أبو الحسن علي بن عبدالله بن عبدالجبار بن يوسف الهذلي ، الشاذلي ، نشأ بقرية شاذلة في بلاد المغرب ، نزل الإسكندرية . اهتم بالعلوم الشرعية حتى أتقنها ، سلك مسلك التصوف واجتهد فيه وبرع حتى أصبح شيخ عموم الطريقة الشاذلية المنسوبة إليه توفي سنة ٦٥٦هـ . له كتب منها : حزب الشاذلي ، رسالة الأمين ، نزهة القلوب وبغية المطلوب .(انظر: الأعلام ٤/ ٣٠٥) .

بمصر،ويغلب على هذا الاحتفال الشعبي الفولكلوري المصطبغ بالصبغة الدينية ،وإنشاد المدائح النبوية التي لا تخلو من ألفاظ شركية[١].

وتكثر المنكرات خلال هذه الاحتفالات الدينية حتى أسماها الشيخ رشيد رضا [٢]مفاسد لا موالد وقال عنها:"فالموالد أسواق الفسوق، فهي خيام للعواهر وحانات الكاسيات العاريات،ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل،يقصد بها إضحاك الناس "[٣].

ونتيجة لهذا الانحراف والواقع المر الذي كانت تعيشه مصر ظهرت جماعات ودعوات سعت إلى إصلاح المجتمع وانتشاله من تلك المظاهر المنحرفة ،فظهرت جماعة أنصار السنة المحمدية[٤]سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م،وبعدها ظهرت جماعة الإخوان المسلمين سنة١٣٤٦هـ/١٩٢٨م وقبلهما كانت الجمعية الشرعية[٥].بالإضافة إلى بروز شخصيات علمية وفكرية كان لها دور كبير في مجابهة وسائل تغريب الأمة ومسخ هويتها ،وكان من بين أولئك أنور الجندي الذي استطاع رحمه الله أن يسهم بدور كبير في بيان خطر تلك الفرق التي دعمها الاستعمار الغربي ؛وأن يكشف ما انطوت عليه من عقائد فاسدة منحرفة بعيدة تماماً عن الإسلام،وغيرها من التيارات الفكرية المنحرفة التي جل هدفها إخراج المسلم من دينه وجعله تابعاً ذليلاً للغرب.

---

[١] - انظر : دمعة على التوحيد ص ٤٨-٤٩.

[٢] - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي ، أحد رجال الإصلاح الإسلامي ، ومن الكتاب،والعلماء بالحديث والادب والتاريخ والتفسير.ولد ونشأ في القلمون - من أعمال طرابلس الشام- سنة ١٢٨٢هـ ، وتعلم فيها وفي طرابلس.انتقل إلى مصر وتتلمذ على يد الشيخ محمد عبده ، توفي سنة ١٣٥٤هـ . أشهر آثاره مجلة المنار ، تفسير القرآن الكريم ، الوحي المحمدي .(انظر : الأعلام ١٢٦/٦ ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر متولي ص٥٩ومابعدها).

[٣] - انظر : تفسير القرآن الحكيم (المنار) ، محمد رشيد رضا ، ٢/ ٧٥ ، دار المنار ، القاهرة ، ط الثانية ،عام ١٣٦٦هـ .

[٤] - جماعة إسلامية سلفية قامت في مصر أولاً ثم انتشرت في غيرها للدعوة إلى الإسلام على أساس من التوحيد الخالص والسنة الصحيحة لتطهير الاعتقاد ونبذ البدع والخرافات كشرط لعودة الخلافة ونهضة الأمة الإسلامية ، أسسها الشيخ حامد الفقي.(انظر:الموسوعة الميسرة ٣٢/١).

[٥] - هيئة دينية كبيرة أنشأها الشيخ محمود خطاب السبكي في بدايات القرن العشرين بمصر، هدفها رعاية شعائر الدين وتطبيق أحكامه وتخليصها من البدع والأهواء التي ليست من الدين، وتسمى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية.حملت هذه الجمعية على عاتقها أمانة الدعوة والإرشاد في جميع محافظات مصر، وشيدت كثيرًا من المساجد الجامعة التي تضم إلى جانبها مستوصفات طبية وصيدليات عامة ومدارس ومكاتب تحفيظ القرآن، وأقسامًا تشمل تعليم الحرف اليدوية الصغيرة والآلة الكاتبة والتطريز والخياطة، إلى غير ذلك من جوانب المفهوم العام للدين والحياة.(انظر: الموسوعة العربية العالمية ٨/ ٤٤٦، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ).

الفصل الثاني:حياة أَنور الجندي ويشتمل على عدة مباحث:

المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.

المبحث الثاني : عقيدته .

المبحث الثالث : مؤلفاته ومقالاته.

المبحث الرابع: المآخذ على مؤلفاته :

المبحث الخامس : جهود أَنور الجندي الدعوية :

المبحث السادس:مرضه ووفاته وأقوال العلماء والمفكرين فيه.

المبحث الأول

اسمه ونسبه ونشأته

هو أحمد أنور سيد أحمد الجندي فرغلي فارس الشاعري ، كان مولده في الخامس من ربيع الأول سنة خمسٍ وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من الهجرة الموافق ديسمبر سنة ست عشرة وتسعمائة بعد الألف من الميلاد،في مدينة ديروط من أعمال محافظة أسيوط بمصر [1]، وأصل أسرة الجندي من منطقة الحديدة باليمن [2]،وكان للجندي أخوان هما محمد الجندي الحاصل على الإجازة العالية في اللغة العربية وهو مدرس للغة العربية في أسيوط، وعبدالمحسن وهو تاجر،وأختان هما إحسان الجندي،وزينب الجندي ،وكان ترتيبه فيهم الثاني وتزوج من ابنة عمه نفيسة عبدالعال الجندي ،ورزق منها بابنة واحدة واسمها فائزة أم عبدالله وقد توفيت زوجته ولم يتزوج غيرها وهذا لا شك هيأ للجندي جواً كبيراً من العزلة والانقطاع من أجل القراءة والكتابة ومتابعة خطط ومؤامرات التغريب والفساد[3] .

نشأته :

نشأ الجندي رحمه الله في بيت دين وعلم ، وتفتحت عيناه على كتب التراث المكتوبة بالمداد[4] الشيني الأسود،وقد ميزت عناوينها باللون الأحمر،مما ترك في نفسه هوى خاصاً بكتب التراث.وكان والده رجل أعمال يتاجر بالقطن ولكنه كان من محبي أهل العلم والفضل ، عود بنيه على صلاة الفجر في المسجد.يقول الجندي:" كان يوقظنا لننادي للصلاة في طرق المدينة ، ولنهرع إلى المسجد حيث ندير حلقات البكرة القائمة على البئر لترفع الماء إلى صنابير المياه في المسجد،حتى إذا انتهينا من ذلك صعدنا إلى المنارة — المئذنة — نسبق المؤذنين لنؤدي ما يسمى المبادرة [5].وقد ربانا رحمه الله على الإيمان العميق وحب الناس ومساعدتهم،ورعاية الجار والاتصال بالعلماء وحضور مجالس العلم التي كانت تعقد في

[1] - انظر :علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ،ص ٤٦، دار الاعتصام، القاهرة .مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٣، ص ٣٢،

[2] - انظر : مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٣ ص ٣٢،

[3] - انظر : أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق والتبشير والتغريب ١/ ٦٣.

[4] - المداد: ما يكتب به ومددت الدواة مدا من باب قتل جعلت فيها المداد وأمددتها بالألف لغة والمدة بالفتح غمس القلم في الدواة مرة للكتابة ومددت من الدواة واستمددت منها أخذت منها بالقلم للكتابة . (انظر: المصباح المنير ، للفيومي، اعتنى به يوسف الشيخ محمد، ص٢٩٢،المكتبة العصرية ، بيروت ، عام ١٤٢٨هـ).

[5] - وهي ما يقدم الآذان من الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وبيته وصحبه ،و الابتهال إلى الله بالمغفرة والدعاء والاستغفار و صاحب ذلك بعض الكلمات البدعية المنكرة التي لا يقرها الشرع. وهي ما تزال إلى هذا الوقت في بعض القرى والهجر . (استفدت هذا من شيخنا الأستاذ الدكتور : محمود محمد مزروعة وفقه الله).

المساجد من صلاة العصر إلى صلاة المغرب [1].وقد اهتم والده بتربيته فقد سماه أنور تيمناً بالقائد التركي أنور باشا[2] وإعجاباً بجهاده الذي كان يخطف الأبصار حينئذ ، واستقدم له ولإخوته شيخاً يحفظهم القرآن في البيت[3] .

ولاشك أن لجده وأبيه الأثر الكبير في تنشئته تنشئة إيمانية تربوية ، نميا فيه حب الإسلام والتأدب بآداب القرآن وفي هذا يقول الجندي : "وكنا نذهب إلى مترل جدنا للوالدة، القاضي الشرعي فنجد عنده كتب التراث التي كان يحبها... وكان يأتي بالصحيفة اليومية ويدعونا إلى قراءتها ،ونتنافس على قراءة عناوينها وفهم موضوعاتها ، ونشأنا وفي بيتنا مكتبة حافلة فقرأنا في مطلع الحياة في «مقدمة ابن خلدون »[4]و«الإحياء»للغزالي[5]، و«تفسير الجلالين»،و«البخاري»،و«قصص الأنبياء» فنفهم قليلاً ولكنّا نحس بأن هناك جواً عطراً مؤنقاً من رحمات الله،خاصة عندما بنى الوالد مسجداً أمام مترلنا ، فكنا نتنقل من مجالس الذكر إلى حلقات العلم،وكان يجمعنا لنقرأ معاً آيات القرآن وأسماء الله الحسنى كل هذا كان أرضية حقيقية لما جاء بعد ذلك حين قرأنا الرسالة والهلال والمقتطف[6]"[7].

وكانت حياة الجندي مليئة بالجد والتحصيل منذ الصغر فقد كان منذ بواكير صباه يتردد من بيت علم إلى بيت علم فإذا غادر مكتبة داره اتجه جنوباً إلى بيت الشيخ طه سائلاً عن الإحياء، وإذا ذهب غرباً فإلى بيت الشيخ بكر ليقرأ لديه البخاري وإذا اتجه شمالاً فإلى مسجد القرية ،... حتى دكان القرية كان مملوكاً للأستاذ محمد إبراهيم صاحب جريدة الأماني القومية فأحاله إلى محل للفكر والثقافة إلى جانب السلع والبضائع[8] .

---

(1) - انظر : مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٣، ص ٣٢.

(2) - أنور باشا (١٨٨١- ١٩٢٢م) قائد تركي و زعيم سياسي ، اشترك في حرب طرابلس عام ١٩١١م وحرب البلقان الثانية ، عمل وزيراً للحربية التركية ، قتل بالقرب من بخارى . انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٢٠٥، محمد شفيق غربال .

(3) - انظر:مجلة المنار الجديد،العدد رقم ١٨، ص ١٠٥،شهادة العصر والتاريخ ، الجندي ، ص٢٩،دار المنارة ،جدة ،ط الأولى، عام ١٤١٣هـ .

(4) - هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون التونسي ، المالكي ولد في تونس سنة ٧٣٢هـ ، أديب ، مؤرخ ، اجتماعي ، تولى القضاء في مصر ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ بالقاهرة .من كتبه : المقدمة . (انظر : الأعلام ٣/٣٣٠) .

(5) - هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، لازم إمام الحرمين . برع في الفقه ، ومهر في الكلام والجدل وألف في الأصول والفقه والكلام . من كتبه إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، الاقتصاد في الاعتقاد ، توفي سنة ٥٠٥هـ . (انظر : طبقات الشافعية الكبرى ،للسبكي ، تحقيق محمود الطناحي ،عبدالفتاح الحلو ٦/١٩١وما بعدها ، دار إحياء الكتب العربية ، سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ١٩/ ٣٢٢وما بعدها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ،عام ١٤٠٢هـ) .

(6) - مجلة شهرية أدبية علمية ، أنشأها في بيروت يعقوب صروف وفارس نمر ١٨٧٦م ، ثم نقلاها إلى القاهرة عام ١٨٨٥م، استمرت تصدر إلى نهاية ١٩٥٢م . (الموسوعة العربية الميسرة ٤/ ٢٣١٤).

(7) - مجلة الأدب الإسلامي العدد ٣٣، ٣٢.

(8) - انظر:شهادة العصر والتاريخ ص ٣٠- ٣١ ، مجلة المنار الجديد العدد ١٨، ص ١٠٥.

ثم انتقل أنور الجندي من ديروط إلى القاهرة عام ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م والتحق بجماعة الإخوان المسلمين وكان مسكنه في حي الطالبية بمنطقة الهرم بمحافظة الجيزة وهو من الأحياء الشعبية الفقيرة في بيت قديم متهالك،كثيراً ما ينقطع عنه الماء كسائر بيوت الحي[١].

وقد كان للصحف والمجلات التي استمر الجندي في قراءتها الاتصال الكبير والأثر العميق في إثارة التفاعل بين قراءاته السابقة والحديثة ، فبدأت هذه الخيوط تتجمع لتشكل نوعاً من التركيز الفكري حتى هدى الله قلبه لمفهوم الإسلام الجامع ، ومن ثم تفتحت له آفاق السنة النبوية والسيرة النبوية بعد القرآن[٢].

❖ أكثر الشخصيات التي أثرت في تنشئة أنور الجندي وتكوينه الفكري :

* الشيخ :محمد فخر الدين أستاذ العقاد يقول الجندي:"عرفت رجلاً جليلاً هو الشيخ فخر الدين ، وكانت معرفتي إياه عاملاً أساسياً في إعطائي الاتجاه الفكري لونه الأصيل ومنهجه الصحيح ، وبخاصة في الإنتاج الذي كنت أنشره في الصحافة العامة ، ثم في الصحافة الإسلامية "[٣].

*زكي مبارك[٤] يقول الجندي:" وكان يغلب على المزاج الأدب والكتابة الذاتية ونحاول أن نربط أنفسنا بالقاهرة في طموح بالغ إلى العمل بالصحافة ،وكان الأستاذ محمد إبراهيم الديروطي صاحب جريدة الأماني القومية قد أغراني بالعمل معه فغافلت أهلي ذات مساء لأركب قطاراً منتصف الليل إلى القاهرة لألتحق بالعمل معه لولا أن من أودعته حقيبتي وشى بي إلى الوالد الذي اقتنصني قبل أن أهم بقطع التذكرة ووعدني بأن يصطحبني إلى القاهرة في إجازة الصيف وهناك التقينا بالدكتور زكي مبارك في محل أسدية الحلواني حيث حطم مطامعي في العمل بالأدب أو الصحافة ودعاني أن أركز على دراسة علوم التجارة والاقتصاد مما يتفق مع عملي في بنك مصر،وكان من فضل الله تبارك وتعالى أن تأخرت في الريف عشر سنين قبل أن ألتحق بالصحافة .

---

(١) - مجلة المجتمع ، العدد ١٦٩٢، ص ٤٨ ، مقال : المستشار عبدالله العقيل .

(٢) - علماء ومفكرون عرفتهم ص ٤٩.

(٣) - المصدر نفسه ، نفس الصفحة

(٤) - هو زكي بن عبدالسلام بن مبارك ،أديب ،من كبار الكتّاب المعاصرين ولد سنة ١٣٠٨هـ في قرية سنتريس بمنوفية مصر،تعلم في الأزهر ، وحصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية توفي عام ١٣٧١هـ من كتبه : التصوف الإسلامي . (انظر الإعلام ٣/ ٤٧-٤٨).

وكانت هذه الفترة قد صهرتني وأعادت تشكيلي النفسي وحولتني من هدف وهمي إلى هدف أصيل حيث اختفت مطامع الكتابة الأدبية وزخرف الصحافة الرخيصة وبرزت الوجهة الإسلامية الحاسمة "(١) .

* محمد حسين هيكل (٢) وقد كانت لمقالات هيكل الدور في توجيه الجندي إلى خطر التغريب يقول الجندي:"بدأت أواجه الخطر في السابعة عشرة عندما قرأت ترجمة كتاب وجهة الإسلام الذي ألفه المستشرقون الخمسة هاملتون جب (٣) وزملائه عام ١٩٣٤م حين لخصَّه محمد حسين هيكل في السياسية الأسبوعية ... فهز نفسي هزاً أن وجدت هؤلاء الجماعة يعلنون عن هدف بُيِّت ضد الشرق والإسلام،وهو تغريب هذه الأمة وقد قالوا إنهم يريدون أن يعرفوا إلى أي حد وصلوا في عملية التغريب،وما هي الخطط التي تمكنهم من الوصول إلى تحقيق هذه المؤامرة الخطيرة وقد أخذوا يدرسون العالم الإسلامي من أندونيسي ا إلى الهند إلى البلاد العربية من العراق إلى المغرب،هزني هذا السر الخطير الذي تفجر مرة أخرى بين يدي شاب يخطو خطواته الأولى في مجال الأدب والكتابة والصحافة "(٤).

ويقول الجندي : " وكان هذا الكتاب هو نقطة التحول في وجهتي من الدراسات الأدبية الخالصة إلى العمل من أجل مقاومة الغزو الاستشراقي والتغريب "(٥) .

* حسن البنَّا(٦) كانت علاقة الجندي به وثيقة جداً وتأثر به تأثراً بالغاً.قال الجندي :" التقيت بالإمام الشهيد حسن البنَّا الذي صحح إسلامي وإسلام عشرات الألوف من المثقفين حين فهمنا منه ولأول مرة أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع،وأننا مطالبون بأن نستعيد تطبيق شريعة الإسلام في مجتمعنا لله خالصاً وهي التي حجبها النفوذ الاستعماري،وأن نرفض الحضارة الغربية لفسادها وإن كنا نقبل منها الجانب العلمي والتجريبي لنضعه في إطار مفهومنا الإسلامي الأصيل. لقد وجهنا الإمام الشهيد حسن البنَّا إلى الدعوة إلى تصحيح

---

(١) - شهادة العصر والتاريخ ص ٣١.

(٢) - محمد حسين هيكل : أديب مصري من رواد النهضة،ولد عام ١٨٨٨م،وقد عمل رئيساً لتحرير مجلة السياسة الأسبوعية وتولى وزارة المعارف،توفي عام ١٩٥٦م .من مؤلفاته : حياة محمد ، أوقات الفراغ ، وثورة الأدب .(انظر : الأعلام ٦/ ١٠٧) .

(٣)- هاملتون جب (١٨٩٥- ١٩٧١م) مستشرق إنجليزي، ولد بالإسكندرية ،وعمل بالمجامع اللغوية ،وتأثر بتوماس أرنولد، كما عمل بدوائر الاستعمار وخدم الاحتلال البريطاني . من مؤلفاته : دراسات في حضارة الإسلام ، الاتجاهات الحديثة في الإسلام .(انظر : موسوعة المستشرقين ، د. عبدالرحمن بدوي ص ١٧٤، دار العلم للملايين ، بيروت، ط الثالثة ، عام ١٩٩٣م).

(٤) - المدرسة الإسلامية على طريق الأصالة ،أنور الجندي ،ص ٢٥٦،دار الاعتصام،القاهرة ،مقدمات العلوم والمناهج ١٠/ ٧٣٢.

(٥) - شهادة العصر والتاريخ ص ٣٢.

(٦) - حسن أحمد عبدالرحمن البنَّا ، ولد عام ١٩٠٦م ولد بالمحمودية ،مصلح إسلامي ، ومؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشدها الأول ، تخرج في دار العلوم واشتغل بالتدريس ، واتجه لخدمة الدعوة الإسلامية اغتيل عام ١٩٤٩ م .من مؤلفاته : الرسائل ،ومذكرات الدعوة والداعية . (انظر : الأعلام للزركلي ٢/ ١٨٣- ١٨٤، حسن البناء ، أنور الجندي ص ١٨وما بعدها ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى عام ١٤٢١هـ).

المفاهيم وتحرير القيم في سبيل بناء المجتمع الإسلامي على منهج القرآن وعن طريق هذا الفهم استطعت أن أجد الإجابة على كل الأسئلة التي كانت تملأ علي مشاعري ،وكان ذلك هو منطلق عملي الذي ما زلت أواصله منذ أربعين سنة "[١].

تعليمه :

تلقى تعليمه منذ الصغر وظهر نبوغه وهو في المرحلة الإعدادية حيث أقدم وهو في هذه المرحلة على إلقاء محاضرة عن الأدب العربي الحديث وأعلامه، وقد كان لهذا العمل ردود فعل غريبة،إذ تعذر على مستمعيها أن تكون من عمله،فعمد بعضهم على إجراء البحث عن مصادر هذه المحاضرة ،في أدراجه و أوراقه في الفصل.فكان تقدير السامعين لها أن المحاضرة منقولة لا محالة؛لأن أسلوبها الأدبي فوق طاقة تلميذ من تلك المرحلة،فأرادوا التيقن من ذلك ليقارن بين ما ذكرته في المحاضرة وما أكتبه في هذه الكراسة ظناً منهم أن هذه المحاضرة أخذت من بعض المجلات [٢].

و نتيجة لظروف والده المادية التحق بالعمل في بنك مصر في بواكير شبابه ، بعد أن أنهى دراسته التجارية المتوسطة ، ثم تابع في المساء دراساته الجامعية للتجارة والاقتصاد وأعمال المصارف ،وإدارة الأعمال عام ١٩٣٢م،وكذلك واصل دراسته للغة الانجليزية بالجامعة الأمريكية لتتبع الزيغ والضلال من قبل المستشرقين والمستغربين ، وكشف شبهاتهم حول الإسلام والرد عليها [٣].

ويقول الجندي عن عمله بالمصرف:"فقد حرصت أن يكون عملي بعيداً عن حسابات الربا،ويكون قاصراً على الأعمال التجارية وحدها،مع خوفي وحذري من الخطر الذي يلحق بي،وكنت حريصاً على نظافة اليد وطهارة التعامل،وبث روح الإيمان فيمن حولنا،وكنا في هذا أشبه بالمضطر الذي لا يغفل عن مصدر الخطر،ويدعو الله أن يحرره منه"[٤].

أما الوظيفة التي كان الجندي رحمه الله يعشقها وتتوق نفسه لها فهي الكتابة.التي كانت تسرى في روحه وتأخذ جل وقته فهو منذ أن كان عمره سبعة عشر عاماً وهو يكتب في

---

(١) - شهادة العصر والتاريخ ص ٣٢.
(٢) - علماء ومفكرون عرفتهم ص ٥٢، شهادة العصر والتاريخ ص ١٠٧ ، آفاق جديدة في الأدب ص ٢٥٠بتصرف .
(٣) - مجلة المنار الجديد العدد الثامن ، ص ١٠٥.
(٤) - علماء ومفكرون عرفتهم ص ٥١-٥٢.

أشهر الصحف والمجلات،فقد كتب عن الشاعر «حافظ إبراهيم »[1]،عندما أعلنت مجلة أبولو[2] إصدار عدد عن شاعر النيل بمناسبة وفاته عام ١٩٣٣م وكان في طليعة الكتّاب أنور الجندي ووقتها كان حدثاً،وكتب أيضاً في جريدتي البلاغ[3] وكوكب الشرق[4].

وعندما كان يعمل في البنك لم يغفل عن الكتابة،بل إنه ترك العمل في المصرف، والتحق بالعمل الصحفي في جريدة الجمهورية ليمارس وظيفته المفضلة،ثم تفرغ بعد ذلك للكتابة والتأليف وحضور المحاضرات والمؤتمرات المحلية والعالمية[5] .

مكانة الأستاذ أنور الجندي في مواجهة تلك الأفكار المنحرفة .

لا شك أن أنور الجندي بما قدم من مواقف وجهود كبيرة في الدفاع عن الإسلام جعلته يحظى بمكانة عالية فأصبح من رواد الفكر الإسلامي،وقد اتسم بعدة سمات ومميزات أهلته أن يكتسب هذه المنـــزلة ، والتي منها :

١- الإطلاع على المعلومة أو الفكرة من مضانها الأصيلة والقديمة، فكان يرجع إلى كل فن حسب المجال الذي يتناوله فمثلاً نجده عندما أراد أن يكشف أسرار الأحزاب السياسية وأخطاءها كتب في ذلك أربعة أجزاء،وكان يذهب يومياً إلى دار الكتب المصرية ليجمع من الصحف هذه النصوص.حتى قالت أخبار اليوم في تعليق (إن الحزبية السياسية تهاجم لأول مرة بالوثائق المدعمة بالأرقام والنصوص)[6].

٢- الواقعية في طرح العلاج أو البدائل: فقد كان يعيش مجتمعه ويشعر بالمعوقات وضعف الإمكانيات فكانت هذه السمة حاضرة في ذهنه،ولذلك لم تكن الحلول والأفكار التي قدمها بعيدة المنال،بل كانت معقولة ممكنة التطبيق وسهلة التنفيذ.

٣- تأصيل المصطلحات وضبطها : فالمصطلحات إذا لم تحرر وتضبط فإنها تؤدي إلى انحراف في الفهم والإفهام ،وهي من أشد العناصر الثقافية أثراً وفتكاً في ثقافات الشعوب. وقد اعتنى

---

[1] - هو محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، ولد بديروط سنة ١٢٨٧م ، نشأ يتيماً التحق بالمدرسة الحربية ، وتخرج برتبة ملازم ثان ، وسافر مع حملة إلى السودان وسكن بالخرطوم ، ثم أحيل إلى المعاش ، لق ب بشاعر النيل وطار صيته و اشتهر شعره ونثره ، توفي سنة ١٣٥١هـ . من مؤلفاته : ديوان حافظ ، ليالي سطيح . (انظر : الأعلام ٦/ ٧٦) .

[2] - مجلة مصرية شهرية ،تأثرت بالنزعة الغربية ، ترأسها أحمد زكي أبوشادي ، صدر العدد الأول منها في سبتمبر عام ١٩٣٢م وتوقفت في ديسمبر عام ١٩٣٤م ،وملامحها العامة تشير إلى أنها من المجلات التغريبية . (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٥٥ . الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ١/ ٧٤).

[3] - صدرت عام ١٩٢٣م لمحررها عبدالقادر حمزة تميزت بالخشونة ، والتجريح في مقابلة جريدة السياسة .

[4] - أصدرها أحمد حافظ عوض ، ومكرم عبيد . (انظر الموسوعة العربية ٢/ ١١١٥) .

[5] - انظر : أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق والاستعمار والتغريب ١/ ١٢٥، عمر أبو سلامة ، رسالة ماجستير ، مقدمة لجامعة الأزهر غير منشورة .

[6] - شهادة العصر والتاريخ ، للجندي ص ١٨١.

الجندي عناية فائقة بهذا الأمر حتى جعله من الأولويات عنده ،ولذا نجد بعض مؤلفاته تعالج هذا الجانب مثل كتاب : «الإسلام والمصطلحات المعاصرة» ، «الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي» ، «أسلمة المناهج والعلوم» وغيرها .

٤- الإنصاف : فقد اتصف الجندي بهذه الخاصية التي قلت في هذا الزمن ، فكان يأخذ الحق من كل أحد ، وينقل الحقائق بنصها منسوبة إلى أصحابها حتى ولو كانوا من الغربيين أو ممن يختلف معهم في المنهج ،و الأمثلة على ذلك كثيرة منها ما:نقله عن «نبيه أمين فارس »عند نقده لبعض أفكار القومية .ثم قال الجندي :" وهذه كلمة منصفة من كاتب تغريبي يعترف بها بالرغم مما له من آراء أخرى مسمومة مغرضة "[١].

٥- الاستقلالية : مما جعل الجندي يبرز في هذه المجالات و يخلّف وراءه هذه المؤلفات العديدة ؛ أنه لم يعمل في دائرة ما ، بل رفض العمل في كثير من الدول رغبةً في أن يكون قلمه حراً صادقاً لا يكتب إلا ما يؤمن به ، غير متأثرٍ بفكر معين.

---

[١] - انظر : العروبة والإسلام ص ٣٨٠.

المبحث الثاني

عقيدته

إن المطالع لتراث الجندي يجد أنه لم يخص مسائل العقيدة بتأليف معين،ولكن من خلال كتاباته وما قرره من مسائل تلحظ بجلاء ووضوح ذلك المنهج الذي كان يسير عليه وينتهجه في مسائل الاعتقاد،وبالتالي نستطيع أن نبين ما كان عليه من اعتقاد وحتى لا نستعجل في إعطاء حكم مسبق علي عقيدته نذكر بعض تلك النقولات من كتبه حول مسائل العقيدة .

ففي مسائل الإيمان يقول الجندي:"والإيمان عبارة عن تصديق قلبي، والإسلام عبارة عن طاعة وانقياد ظاهر ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات :١٤].

وفي قول الإمام أحمد : الإسلام علانية،والإيمان في القلب،وقد فسر الإيمان بالأعمال .وقيل أي الإسلام أفضل قال :الإيمان ، وقيل من ضيع الأعمال ، فهو مؤمن عاصٍ ناقص الإيمان ، لا يكفر .

والإيمان عقيدة وعمل،دعامته التصديق بالقلب والعمل بالجوارح،وهو شهادة باللسان،وعمل بالأركان،و لا يتحقق الإيمان إلا بالسلوك والعمل،ويكون ارتباط الإيمان و تمامه بالأعمال "[١].

ويقول الجندي:"والإيمان في اللغة التصديق،آمن بالشيء:صدق وضده التكذيب. والإيمان في الشرع:إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي عليه الصلاة والسلام، واعتقاده وتصديقه،فمن اعتقد وشهد وعمل،فهو مؤمن "[٢].

وبين الجندي أنواع التوحيد الثلاثة بتقسيماته المعروفة فقال:" يؤمن المسلم بوحدانية الربوبية فلا خالق و لا مدبر ولا متصرف سوى الله ؛كما يؤمن بوحدانية الإلوهية فلا معبود ولا مسؤول ،و لا مستعان سوى الله،و لا ريب أن توحيد الألوهية هو أخطر ما دعا إليه الإسلام،وهو عمل الإنسان كالعبادة،ويدخل فيه الاستعانة والاستغاثة،وقد كان توحيد الربوبية معروفاً عند العرب قبل الإسلام كالإيمان بالله خالقاً ورازقاً ،وكان مفرق الطرق بين الشرك والتوحيد هو توحيد الألوهية الذي لم يقر به المشركون في الجاهلية حين أخذوا يوجهون عبادتهم إلى الأصنام،فلم ينفعهم الإيمان بتوحيد الربوبية،وبقي كثير منهم على

---

[١] - معلمة الإسلام ، أنور الجندي ١/ ٨٤، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٠٥هـ .

[٢] - المصدر السابق، نفس الصفحة .

الشرك ، ومات عليه ...ومفهوم التوحيد هو:أن يتحرر الإنسان من عبادة كل ما سوى الله ، فلا يعبد إلا إياه،ولا يخضع لغيره،ولا يؤمن بسلطان إلا سلطانه،فالأصل الأول للوحدانية هو التحرر من عبودية غير الله،والتحرر من كل سلطان غير سلطان الله،هذا المفهوم هو دعوة الله – تبارك وتعالى – إلى البشر جميعاً منذ خلق آدم،هي دعوة كل رسول أرسله الله تبارك وتعالى بدأ بها أولهم نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ وعليهم جميعاً "[1].

ويبين الجندي أركان كلمة التوحيد قائلاً :"لا إله إلا الله :أداة التوحيد،وهي مسقطة لجميع الآلهة المدعاة،هادية لمختلف أنواع العبادة فمعنى (لا إله)هو نفي لكل معبود في الوجود ، وإبطال لعبادته ومعنى (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده ، وهو الله،هي تأكيد لتوحيد الله بربوبيته (أي أفعاله) وبإلوهيته (أي بعبادته)وهي تختلف عن قولهم لا خالق إلا الله أو ما هو في معنى ذلك من أفعال الرزق وغيره ، وإنما تعنى إسلام الوجه لله [2].

أما عن توحيد الأسماء والصفات فقد ذهب فيه إلى مذهب السلف فقال:"وللخالق جل وعلا أسماء وصفات تليق بجلاله علينا أن نعرفها ونحفظها ونستعملها،وهي أسماء الله الحسنى التي أمر الله سبحانه بأن يدعى بها ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف ١٨٠]وقال رسول الله ﷺ "إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة" وفي رواية "من أحصاها"[3] ...وفي هذه الأسماء علم واحد وضع للذات القدسية،وهو لفظ الجلالة الله وكلها ملاحظ فيها معنى الصفات ولكل اسم من أسماء الله تعالى خواص وأسرار تتعلق به جل شأنه"[4] .

ويقول الجندي :" ويقرر الإسلام أنه لا يصح أن يطلق على الله تبارك و تعالى اسم أو وصف لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسماً لله ، فلا يصح أن نقول مهندس الكون الأعظم أو المدير العام لشؤون الخلق ، وقد نهينا عما لم يرد في كتاب ولا سنة ،على المسلم أن يفرق بين المعنى الذي يقصد بالنسبة لله تبارك وتعالى ، وبينما يقصد بالنسبة للبشر ، فالمعنى الذي يقصد باللفظ في صفات الله تعالى ، يختلف اختلافاً كلياً عن المعنى الذي يقصد بهذا اللفظ عينه في صفات المخلوقين فأنت تقول الله عالم ،و العلم صفة لفلان من الناس،وفرق بين التركيبين فإن علم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهى كماله ،ولا يعد علم المخلوقين شيئاً إلى

---

(١) - المصدر السابق ١/ ٦٠- ٦١ .
(٢) - المصدر السابق ١/ ٧٣.
(٣) - أصل الحديث في صحيح البخاري ،كتاب الدعوات ، باب : لله مائة اسم غير واحد ... حديث رقم ٦٤١٠ ،١١/ ٢١٨.
(٤) - معلمة الإسلام ١/ ٦٨.

جانبه،وكذلك الأمر بالنسبة لألفاظ الحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة،ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا يشبه أحداً من خلقه[1].

ويقول الجندي عن بقية الصفات:"فالله تبارك وتعالى قادر على كل شئ بالاختراع من العدم،وعلمه واحد يعلم به الموجودات بتفاصيلها من غير حس ولا بديهة ولا استدلال ، وسمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات ، ولا يحدث شئ في العالم إلا بإرادته ، وما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، والله حي بلا روح ولا ابتداء ، وكلام الله صفة أزلية ، وهو كلام الله غير مخلوق ، ولا محدث ولا حادث ، وأسماء الله تسعة وتسعون وهي ثلاثة أقسام[2] : صفات أزلية نحو (واحد ، أول) وصفات أزلية قائمة بذاته نحو (حي ، قادر) وصفات مشتقة من أفعالة نحو (خالق ،رازق) والله تعالى يراه المؤمنون في الآخرة"[3] .

وينقل عن «ابن تيمية» رحمه الله خلاصة المذهب السلفي في باب الصفات فيقول :" والأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسله نفياً وإثباتاً فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وإثبات هذه الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف و لا تعطيل،وكذلك ينفون ما نفاه عن نفسه من غير إلحاد في أسمائه و لا في آياته وبلا تشبيه ولا تعطيل بما يحقق إثبات وحدانيته بنفي التمثيل ، وأن ما ورد في القرآن من الأسماء والصفات في ذات الله وصفاته مقرر ثابت لا ينكر ولكنها لا تخضع لمقاييسنا نحن البشر،وأن الله سبحانه واجب الوجود هو موجد هذا الكون وأن كل ممكن لا بد له من موجد،وأن الوجود لا بد له من موجد واجب بذاته غنى عن ما سواه ، قديم أزلي ، لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم "[4].

ويبين الجندي عقيدته في القدر قائلاً :"الإيمان بالقضاء والقدر من شرط الإيمان ... ومفهوم هذه العقيدة أن الله لم يجعل الإنسان مكرهاً على فعل شئ،ولكنه أراده أن يكون عاقلاً مكلفاً،ومنحه تمييزاً واختياراً وعقلاً مدركاً،جعله به مكلفاً مختاراً بالتكاليف الشرعية . أي جعله حراً يفعل ما يختار،وهذه الحرية التي أرادها الله له ومنحها إياه هي من إرادة الله ، فلا يأتي العبد شيئاً،ولا يذره إلا بعلم الله وتقديره،وأن معنى تقدير الله للأشياء إنما هو جعلها

---

[1] - المصدر السابق ١/ ٥٩

[2] - هذا الكلام من الجندي عليه ملاحظات فلا يصح أولاً حصر أسماء الله في تسعة وتسعين اسماً ، بل لله عزوجل أسماء استأثر بها عنده في علم الغيب كما جاءت بذلك النصوص ، كذلك لا يقبل من الجندي جعله الأسماء هي الصفات حتى يقسمها ثلاثة أقسام، بل الصفات غير الأسماء.

[3] - المصدر السابق ١/ ٧٤.

[4] - القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ص ١٧٦-١٧٧،

بمقدار مخصوص ونظام محدود ، وهو بمثابة ربط لأجزاء الكون على نحو محكم دقيق ، لا تفاوت فيه ، وبحيث لا يصطدم فيه شئ بآخر ، ولا يناقض جرم مع غيره ، فمن زعم أن لا إرادة له ولا حرية ، فقد انسلخ من إنسانيته ، والمسلم لا يحكم على شئ مقدر إلا بعد وقوعه لا قبله ، وبهذا لا يناقض العمل القدر ولا القدر العمل"[1].

ويقول:(إن قدر الله يعنى علمه الأزلي بما سيكون من شؤون خلقه،فإن علمه أزلي – سبحانه – لا يتضمن الإجبار،ولا يعنى الإكراه والاضطرار،وليس الشر من الله ، ولكنه من عمل الإنسان ، وبما كسب يداه ... يقول الإمام «ابن تيمية»:جمهور أهل السنة المثبتين للقدر من جميع الطوائف،يقولون إن العبد فاعل حقيقة،واستطاعة حقيقة،وهم ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية،وأن الله خالق الأشياء بالأسباب،والله خلق العبد والقدرة التي يكون بها فعله ، فإن العبد فاعل لفعله حقيقة،فقولهم في خلق العبد بإرادة وقدرة كقولهم في خلق سائر الحوادث بأسبابها.

ويقول ابن القيم :" تقع الحركة بقدرة العبد وإرادته التي جعلها الله فيه ، ويضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة المسبب إلى سببه،ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق،إنما المقدور واقع بالقدرة الحادثة وقوع المسبب بسببه ، والسبب والمسبب والفاعل كلها لله،وليس في الوجود شئ مستقل بالتأثير سوى مشيئة الله وقدرته،وكل ما سواه مخلوق لله.والفعل يقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً،كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه،وبقدرة العبد سبباً ومباشرة "[2].

وكان الجندي رحمه الله على منهج السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة ،فيقدم الأدلة النقلية على الدليل العقلي.وكلامه في ذلك مستفيض فمثلاً يقول:"والإسلام لا يقبل تقديم العقل على النص كما لا يقبل فكرة تقديس العقل البشري أو تأليهه فنحن المسلمين نقدم الوحي على العقل ونرى أن الوحى سابق للعقل،وعلى العقل أن ينظم خطواته لكي ينسجم مع الوحى.إن دور العقل هو أن ينسجم مع الدين وليس دور الدين أن ينسجم مع العقل فالإسلام هو الدين الذي لم تدخله أهواء البشرية وقد سبقت دائرة الوحى التي سبقت العقل عندما علم الله تبارك وتعالى أدم الأسماء كلها ، فضلاً عن مجال القدرة الذاتية التي

---

[1] - معلمة الإسلام ١/ ٩٤-٩٥.

[2] - المصدر السابق ١/ ٢٢٨-٢٢٩

جعلت من العقل طاقة واحدة من طاقات الوحي في جزئيات من أجزاء الواقع سمح له بها الوحى نفسه "[١].

إذن من خلال تلك العبارات السابقة يتبين ما عليه أنور الجندي من عقيدة أهل السنة والجماعة ،بل إنه صرح بقوله :" إن مذهبنا هو مذهب أهل السنة والجماعة وليس مذهب الفلاسفة أو الباطنية أو المعتزلة الغلاة أو التصوف الفلسفي "[٢] .

[١] - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ، أنور الجندي ص ١٩٩-٢٠٠،

[٢] - الشبهات و الأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ١٣١.

المبحث الثالث

مؤلفاته

توجد له مؤلفات كثيرة متنوعة وقد كتبت في ميادين مختلفة[1] :

أ/ الموسوعات :

أولاً:موسوعة مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل،وتشمل عشرة أجزاء وتقع في ٦٣٠٧من الصفحات وهي:عبارة عن مجموعة كتب متفرقة له.قام بضم كل مجموعة تحت عنوان يجمعها وهي :

١- الفكر الإسلامي (بناء الفكر الإسلامي وتطوره - مخططات غزو الفكر الإسلامي - مؤامرات إنبعاث الفكر الوثني الهليني والشرقي القديم) ط الأولى ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م دار الأنصار بالقاهرة.

٢- تاريخ الإسلام (من فجر الإسلام إلي العصر الحديث - عالم الإسلام وعالم الغرب- من الوحدة الإسلامية إلي الترك والعرب).

٣- العالم الإسلامي المعاصر (عالم الإسلام المعاصر - العالم الإسلامي والغزو الصهيوني - العالم الإسلامي والغزوة الشيوعية).

٤- اللغة والأدب والثقافة (اللغة العربية وقضاياها - خصائص الأدب الغربي وقضية الشعوبية - الثقافة العربية اسلامية أصولها وانتماءها) ط دار الأنصار ١٩٨٢ م .

٥- التبشير والاستشراق والدعوات الهدامة (التبشير والاستشراق وأثرهما في الفكر والاجتماع - المؤامرة على تاريخ الإسلام - الإسلام والدعوات الهدامة) ط دار الأنصار ١٩٨٣م .

٦- المجتمع الإسلامي (نظام الإسلام -قضايا المجتمع - التربية الإسلامية ومناهج التعليم) ط دار الأنصار ١٩٨٥م .

٧- الحضارة والعلم والعلوم الاجتماعية (مفاهيم العلوم الاجتماعية - الإسلام والحضارة - الإسلام والتكنولوجيا) ط دار الأنصار ١٩٨٦م .

٨- طابع الإسلام بين الأديان والأيديولوجيات (عطاء الإسلام للبشرية - العلمانية في ضوء الإسلام - والأيديولوجيات المعاصرة) ط دار الأنصار ١٩٨٦م .

---

[1] - انظر : أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق والتبشير والتغريب ١/ ١٧٠- ١٩٧، جريدة معلمة الإسلام ص٦ – ١٢، موقع معلمة الإسلام أنور الجندي www: anwaraalgendi.com ، مجلة المجتمع ، العدد ١٦٩٢، ص ٥٠ ، مجلة الفيصل ، العدد ٣٢٦، شعبان ١٤٢٤هـ ، محمد خير يوسف .

٩- المنهج الغربي أخطاؤه والشبهات المثارة ضد الإسلام (أخطاء المنهج الغربي الوافد – من التبعية إلي الأصالة دراسة قضايا التعل ي والشريعة واللغة العربية – موقف الإسلام من الفلسفات القديمة).

١٠- تاريخ اليقظة الإسلامية في مراحلها الثلاث (اليقظة الإسلامية فى مواجهة الاستعمار ــ اليقظة الإسلامية فى التغريب – اليقظة الإسلامية فى الشيوعية – والموسوعة طبعة دار الأنصار١٤٠٩ هــ.

ثانياً : الموسوعة الإسلامية العربية وتتكون من الأجزاء التالية :

١ – أصول الثقافة العربية ومصادرها الإسلامية طبع بدار الكتاب اللبناني ١٩٦٤م .

٢ – خصائص الأدب العربي .

٣ – العروبة والإسلام .

٤ – الإسلام والفلسفات المعاصرة .

٥ – حضارة التوحيد وحضارة الوثنية .

٦ – الفصحى لغة القرآن .

٧ – الشريعة الإسلامية في مواجهة الرأسمالية والديمقراطية والماركسية .

٨ – الإسلام والعالم المعاصر ،طبع بدار الكتاب اللبناني ، عام ١٩٧٣م .

٩ – سقوط العلمانية، طبع بدار الكتاب اللبناني ، بيروت ، عام ١٣٩٩هــ

١٠ – الإسلام والدعوات الهدامة ، طبع بدار الكتاب اللبناني، بيروت عام ١٩٨٢م .

١١ – الفلسفات القديمة والمعاصرة في ضوء الإسلام .

١٢ – مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام ، طبع في دار الكتاب بالجزائر عام١٩٨٧م ، وطبع كذلك بدار الاعتصام بالقاهرة .

١٣ – أخطاء المنهج الغربي الوافد ،طبع بدار الكتاب اللبناني ، بيروت عام ١٩٧٤م .

١٤ – مخططات التبشير الغربي في غزو الفكر الإسلامي .

١٥ – مخططات الاستشراق في تغريب الفكر الإسلامي .

١٦ – المخططات الاستشراقية في تغريب الفكر الإسلامي .

١٧ – الإسلام وحركة التاريخ ، طبع بدار الكتاب اللبناني بيروت .

١٨ – العالم الإسلامي والاستعمار السياسي،والاجتماعي والثقافي،طبع بدار الكتاب اللبناني،بيروت الأولى ١٩٧٩م .

١٩ – التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام،طبع بدار الكتاب اللبناني،بيروت ١٩٨٢م

٢٠ – الشبهات والأخطاء الشائعة في الأدب والاجتماع والتاريخ،طبع بدار الاعتصام ١٩٧١م.

٢١ – الأخطار التي تواجه الأمم .

٢٢ – القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ، طبع بمطبعة الرسالة ، القاهرة .

٢٣ – الإسلام والثقافة العربية في مواجهة التغريب .

٢٤ – يقظة الفكر العربي في مواجهة الإستعمار،طبع بمكتبة الرسالة ،عام ١٩٧١م .

٢٥ – معالم الفكر العربي .

ثالثاً : موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر وتشمل الأجزاء التالية :

١ – النثر العربي تطوره وأعلامه .

٢ – الأدب العربي الحديث في معركة المقاومة والحرية والتجمع،طبع بمطبعة الرسالة ، عام ١٩٥٩م .

٣ – المعارك الأدبية في مصر،طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، عام ١٩٨٣م

٤ – الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية ، طبع بمطبعة الرسالة ، القاهرة[1] .

٥ – الصحافة السياسية في مصر .

٦ – الشعر العربي المعاصر تطوره وأعلامه .

٧ – القصة العربية المعاصرة تطورها وأعلامها ، طبع بمطبعة الرسالة .

٨ – اللغة العربية بين خصومها وأنصارها .

٩ – أدب المرأة العربية تطوره وأعلامه . طبع بمطبعة الرسالة .

١٠ – معالم الأدب العربي المعاصر في النقد والفنون المختلفة .

رابعاً : موسوعة التأصيل الإسلامي وتشمل أربعة أجزاء بعنوان:

من سقوط الخلافة إلى مولد الصحوة ، طبع بدار بيت الحكمة للنشر والتوزيع بالقاهرة .

---

(1) - هذا الكتاب طبع بعنوان آخر : دراسة تاريخ الغزو الثقافي والتغريب للفكر العربي الإسلامي المعاصر خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ - ١٩٤٠ م.

وهذه الموسوعة لم يكتب الجندي منها إلا أربعة الأجزاء هذه،وقد كتب على غلافها بعد العنوان السابق مع مطالع القرن الخامس عشر الهجري موسوعة التأصيل الإسلامي للفكر المعاصر ،والخروج من التبعية .

خامساً : موسوعة رسائل إلى الشباب المسلم : وتشمل عشرة أجزاء :

١ - أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي،طبع بدار الصحوة للطباعة والنشر ، عام ١٤١٣هـ .

٢ - المثل الأعلى للشباب المسلم،طبع بدار الصحوة للطباعة والنشر،عام ١٤١٤هـ .

٣ - أحاديث للشباب المسلم،طبع بدار الصحوة للطباعة والنشر ، عام ١٤١٤هـ.

٤ - مواقف تاريخية حاسمة من حضارة التوحيد،طبع دار الصحوة للطباعة والنشر ، عام ١٤١٤هـ

٥ - الوحدة الإسلامية ضرورتها والوسائل العلمية لتحقيقها،دار الصحوة للطباعة والنشر،عام١٤١٤هـ .

٦ - التيارات الوافدة ،طبع دار الصحوة للطباعة والنشر،عام ١٤١٤هـ .

٧ - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ، طبع دار الصحوة للطباعة والنشر،عام ١٤١٥هـ.

٨ - عيون التراث وذخائر التاريخ،طباعة دارالصحوة للطباعة والنشر،عام ١٤١٥هـ

٩ - التأصيل الإسلامي والخروج من التبعية،طبع دارالصحوة للطباعة والنشر عام ١٤١٦هـ .

سادساً:معلمة الإسلام،وهي تشمل مئة مصطلح في مختلف المجالات،وقد طبعت هذه الموسوعة طبعتين،الأولى منها في مجلدين،والثانية فى أربع مجلدات،بدار المكتب الإسلامي عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

سابعاً: على طريقة الأصالة وهي دراسة جديدة لموضوعات متنوعة طبع بدار الاعتصام عام ١٩٨٨م وهي تقع في مجلدين كل مجلد يحتوي خمس وعشرين رسالة :

١ - الأمة الإسلامية وحدتها ووسطيتها .

٢ - إسلامية الثقافة .

٣ - تميز الأدب الإسلامي وأصالته .

٤ - القانون الوضعي والشريعة الإسلامية .

٥ - اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية .

٦ - تأصيل القيم والمفاهيم .

٧ - في دائرة الضوء .

٨ - تحفظات على مناهج التعليم والتربية الوافدة .

٩ - أخطر ما تواصى به المسلمون على مر الأجيال .

١٠ - محاذير وتحفظات على طريق الصحوة الإسلامية .

١١ - في مواجهة ركام الفكر المطروح على الساحة اليوم .

١٢ - الأريوسية الموحدة .

١٣ - تحفظات على معالم النفس والأخلاق .

١٤ - الغزو الثقافي مدخل إلى التغريب والشعوبية .

١٥ - العالم يرفض واقع الغرب .

١٦ - رياح السموم .

١٧ - تقويم ما قدمه جيل الرواد وقراءة جديدة لكتابات الشوامخ .

١٨ - على المحجة البيضاء .

١٩ - الموسوعات العالمية والمراجع الكبرى وأخطائها .

٢٠ - سقوط النظرية المادية .

٢١ - بعث التراث الزائف .

٢٢ - احتواء العقل المسلم .

٢٣ - تجاوزات العلوم الاجتماعية والإنسانية لمفهوم الفطرة والعلم .

٢٤ - الرسول الخاتم المثل الأعلى والقدوة الحسنة .

٢٥ - لن نقبل مفهوم الغرب للفن والحضارة .

٢٦ - التحديات التي واجهت الصحوة .

٢٧ - محاولات التغريب في فصل أدبنا المعاصر عن أصوله الإسلامية .

٢٨ - الخروج من التبعية .

٢٩ - آيات الله في الآفاق .

٣٠ - أخطر قضايا العقدين الأول والثاني من الخامس عشر الهجري .

٣١ - المسلمون بين امتلاك إرادتهم والسيطرة الأجنبية .

٣٢ – تحول الدراسات التاريخية من الإقليمية إلى الإسلامية .

٣٣ – الحقائق العشر في بناء منهج الإسلام في المجتمع العالمي المعاصر .

٣٤ – مسئوليتنا إزاء أزمة البشرية المعاصرة .

٣٥ – حرب ضارية على التراث والتاريخ الإسلامي .

٣٦ – اعتراف عالمي بالقرآن .

٣٧ – مسئوليتنا تجاه الغرب في تبليغ إسلام القرآن والسنة .

٣٨ – عالمية الدعوة الإسلامية .

٣٩ – زيف ما يسمى بالحضارة اليهودية .

٤٠ – الحضارة الغربية والمجتمع المسلم .

٤١ – أخطاء في كتابة التاريخ الحديث .

٤٢ – الإسلام في مواجهة الفكر الوافد .

٤٣ – ماذا حققت حركة اليقظة في القرن الرابع عشر الهجري .

٤٤ – قضايا التراث الإسلامي .

٤٥ – إعادة النظر في قضايا الفلسفة المادية .

٤٦ – نحن أمام ثورة علمية جديدة .

٤٧ – الكتب المرفوضة من مفكري الإسلام .

٤٨ – الفقه الإسلامي ومؤامرة تطوير الشريعة .

٤٩ – المسلمون والقصة الغربية

٥٠ – أدب المقاومة والجهاد .

ثامناً : موسوعة على طريق الأصالة الإسلامية:وهي تعالج عشرين قضية هامة من القضايا المعاصرة وبيان وجهة نظر الإسلام فيها وهي :

١– ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجري طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م.

٢–الاستعمار والإسلام طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م.

٣– الصهيونية والإسلام طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م.

٤– الحضارة في مفهوم الإسلام طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م .

٥– التاريخ في مفهوم الإسلام طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

٦- فساد نظرية الربا في الاقتصاد الإسلامي طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

٧- الدرة المغتصبة بعد ثلاثين عاماً " فلسطين " طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

٨- يقظة الإسلام في تركيا . طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

٩- أكذوبتان في تاريخ الأدب الحديث طبع بدار الانصار، بالقاهرة ١٩٧٩م

١٠- التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي للتعليم،طبع بدار الاعتصام بالقاهرة عام١٩٧٩م.

١١- الدعوة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري،طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م.

١٢- بطاقة إسلامية طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

١٣- خلفيات عمر الخيام وقضية الرباعيات طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

١٤- السنة النبوية طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩م

١٥- حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

١٦- سقوط مفهوم القومية الوافد،طبع بدار الاعتصام، بالقاهرة،عام ١٩٨٠م

١٧- التجربة الغربية في بلاد المسلمين، طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

١٨- الروتاري (واجهة جديدة للماسونية)، طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

١٩- الفلكلور إحياء التراث الجاهلي والوثني، طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

٢٠ – حضارة الإسلام تشرق من جديد، طبع بدار الاعتصام بالقاهرة ١٩٨٠م

تاسعاً : في دائرة الضوء :وهي موسوعة إسلامية فكرية مبسطة في الثقافة العامة ، صدرت في خمسين حلقة و تتكون من الأجزاء التالية وقد طبعت بدار الاعتصام عام ١٩٧٩م .

١- وحدة الفكر الإسلامي

٢- الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون

٣ – في سبيل إعادة كتابة تاريخ الإسلام

٤- في مواجهة الفراغ الفكري والنفسي للشباب

٥- الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي

٦- التغريب : أخطر التحديات في وجه الإسلام

٧- تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث

٨- على الفكر الإسلامي أن يتحرر من : سارتر ، وفرويد ، ودوركايم

٩- أخطاء الفلسفة المادية

١٠- نظريات وافدة كشف الفكر الإسلامي زيفها

١١- فساد نظرية الجنس السامي واللغة السامية

١٢- موقف الإسلام من العلم والفلسفة الغربية

١٣- تصحيح المفاهيم الإسلامية

١٤- ماذا يقرأ الشباب المسلم ؟

١٥- محاذير وأخطار في وجه إحياء التراث والترجمة

١٦- رسالة المسلم

١٧- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية

١٨- قضايا الشباب المسلم

١٩- المؤامرة على الفصحى لغة القرآن

٢٠- سقوط نظرية دارون

٢١- البطولة في تاريخ الإسلام

٢٢- المسلمون في فجر القرن الوليد

٢٣- هل غير الدكتور طه حسين آراءه في سنواته الأخيرة ؟

٢٤- الطريق إلى الأصالة

٢٥- الوجه الآخر لطه حسين

٢٦- مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام

٢٧- الإسلام في وجه التحديات الوافدة والمؤثرات الأجنبية.

٢٨ - مصححو المفاهيم : الغزالي ، ابن تيمية ، ابن حزم ، ابن خلدون

٢٩- اعرضوا أنفسكم على موازين القرآن

٣٠- تحديات في وجه المجتمع الإسلامي

٣١- نظرية السامية مؤامرة على الحنيفية الإبراهيمية

٣٢- كمال أتاتورك وإسقاط الخلافة الإسلامية

٣٣- الفنون والمسرح

٣٤- التبشير الغربي

٣٥- الانقطاع الحضاري

٣٦- البهائية من الدعوات الهدامة

٣٧- الخلافة الإسلامية

٣٨- الفكر البشري القديم

٣٩- ابتعاث الأسطورة مؤامرة جديدة تواجه الفكر الإسلامي

٤٠- هزيمة الاستشراق في ملتقى الإسلام

٤١- حركة الترجمة

٤٢-الفكر الإسلامي والتحديات التي تواجهه في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

٤٣- السلطان عبدالحميد صفحة ناصعة من الجهاد والإيمان والتصميم .

٤٥- عقيدة الكاتب المسلم

٤٦- الاستشراق .

٤٧- أقدم لك الإسلام .

٤٨- حقائق عن الغزو الفكر ي للإسلام .

٤٩- مؤامرة تحديد النسل وأسطورة الانفجار السكاني .

٥٠- بناء منهج جديد للتعلم والثقافة على قاعدة الأصالة .

عاشراً :موسوعة العلوم الإسلامية:وقد طبعت بدار الاعتصام عام ١٩٨٢م ،ولم يرقمها الجندي ولذلك لم نرقمها :

- معالم تاريخ الإسلام المعاصر .
- تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ، طبع بدار الاعتصام ، عام ١٩٨٧م.
- تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ - ١٩٤٠م، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة .
- أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة ، طبع بدار الاعتصام ،القاهرة .
- من اليقظة إلى الصحوة خلال المرحلة من١٩٣٣م-١٩٨٨م،طبع بدار الاعتصام، القاهرة.
- تطور الفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية .
- في مواجهة الحملة على الإسلام ، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة
- الفكر الإسلامي والثقافة الغربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة .

الحادي عشر :موسوعة تاريخ الصحافة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري من ١٣٠١هـ:١٤٠٠هـ ،ومن ١٨٤٤م – ١٩٨٠م وتشمل الكتب التالية :

١- الصحافة السياسية في مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية ،طبع مكتبة الأنجلو المصرية ، ودار المعرفة بيروت عام ١٩٦٢م .

٢- تطور الصحافة العربية بين الحربين (١٩١٩-١٩٣٩)(إطار لملامح المجتمع وصورة العصر).

٣ - تطور الصحافة في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم.

٤- تطور الصحافة بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٣٩) في العالم العربي.

٥- تاريخ الصحافة الإسلامية الجزء الأول (المنار)

٦- تاريخ الصحافة الإسلامية الجزء الثاني(الفتح)وقد طبعتهما مكتبة الثقافة الدينية في مجلد .

٧- تاريخ الصحافة الإسلامية الجزء الثالث (وتحدث فيه عن صحف الإخوان لم يطبع)

٨- الصحافة والأقلام المسمومة طبع بدار الاعتصام ١٩٨٠م.

٩- الصحافة الكاريكاتورية[1] .

ثاني عشر : الفكرة الإسلامية وقد صدرت في أربعينيات القرن العشرين :

١ - قواعد البناء للدعوة الإسلامية .

٢ - الإسلام يزحف على قواعده،طبع بدار الطباعة والنشر الإسلامية ،عام ١٩٦٥م .

٣ - حضارة استعمار وتغريب .

٤ - الشخصية الإسلامية .

٥ - صحائف العزة وأيام المحنة في تاريخ الإسلام.

٦ - قضية وادي النيل .

٧ - مصحف وسيف .

٨ - بعث الفكرة الإسلامية .

٩ - القرآن دستور الإنسانية .

١٠ - استعمار أم استغراب .

١١ - القاهرة ترقص على بركان .

١٢ - قائد الدعوة ومجدد الفكرة .

١٣ - قضايا الأقطار الإسلامية، طبع بمكتبة مصر.

١٤ - كفاح الذبيحين فلسطين والمغرب، طبع بدار الطباعة ، عام ١٩٦٤م .

---

(1) - ألفه في الخمسينيات وضمنه رموزاً وتلميحات لنمط الحياة والمجتمع في ذلك الوقت

١٥ - انهيار الحضارة الغربية ، طبع بدار الطباعة عام ١٩٤٦م .

١٦ - مع بعثة الحج .

١٧ - الإخوان المسلمون في ميزان الحق ،القاهرة،مطبعة الأخوان المسلمين،عام ١٩٤٦م

١٨ - رهبان الليل وفرسان النهار .

١٩ - دسائس الاستعمار في الشرق .

٢٠ - الإسلام والاستعمار .

٢١ - حياة الرسول والاستعمار .

٢٢ - المجتمع الإسلامي بين عهدين .

٢٣ - الجهاد والفتح .

٢٤ - المرأة والبيت الإسلامي .

٢٥ - الزعامة والحكم في الإسلام .

٢٦ - الاقتصاد الإسلامي والمذاهب الجديدة .

٢٧ - الخلافة والجامعة الإسلامية .

٢٨ - روحانية الدعوة (عقيدة وعبادة).

٢٩ - تاريخ الأحزاب والوزارات .

٣٠ - المؤامرات الصهيونية وفلسطين .

٣١ - كيف تتحرر مصر .

٣٢ - مذكرات مسلم .

٣٣ - اخرجوا من بلادنا، طبع بدار الطباعة للنشر الإسلامية ،عام ١٩٥١م [1].

٣٤ - النيل لا يتجزأ .

٣٥ - زعماء الاحتلال بين الأحزاب والحكم .

٣٦ - لا حزبية بعد اليوم .

٣٧ - الشرق الإسلامي بين الاستعمار والحرية .

٣٨ - مجتمعنا والبيت الإسلامي .

٣٩ - بين لاظوغلي وقصر الدوبارة .

٤٠ - بين الوطنية والسياسة .

---

[1] - وقد تم اعتقال الجندي من أجل هذا الكتاب سنة كاملة .

٤١ - فضائح الأحزاب والسياسة .

٤٢ - بلادي .

٤٣ - الصراع بين الإسلام والاستعمار .

ثالث عشر : موسوعة القرن الخامس عشر الهجري :

١ - الأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، طبع بدار الاعتصام .

٢ - معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ، طبع بدار الاعتصام ،عام ١٩٨١م .

٣ - المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر،طبع بدار الاعتصام

٤ - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، طبع بدار الاعتصام، عام ١٩٨٥م.

٥ - القرن الخامس عشر قضاياه وتحدياته .

٦ - إطار إسلامي للفكر المعاصر،طبع بدار المكتب الإسلامي ،بيروت،عام ١٤٠٠م.

٧ - مشكلات العصر وقضايا الفكر .

٨ - نوابغ الإسلام ، طبع بدار الاعتصام عام ١٩٨٣.

٩ - الأخطار التي تواجه الأمم .

١٠ - الصحوة الإسلامية منطلق الأصالة ، طبع بدار الاعتصام .

١١ - تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، طبع بدار الاعتصام ،عام ١٩٨٣.

رابع عشر : موسوعة معالم التاريخ الإسلامي المعاصر :

١ -الإسلام وحركة التاريخ .

٢ -العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي .

٣ -العروبة والإسلام .

٤ -الإسلام والغرب ، طبع بالمكتبة العصرية ، عام ١٤٠٢هـ .

٥ -الوحدة الإسلامية وعودة الخلافة .

٦ -خريطة الإسلام المعاصر .

٧ -مصر العربية الإسلامية .

خامس عشر : معالم تاريخ الإسلام :

١ -تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ،طبع بمكتبة التراث الإسلامي ، عام ١٩٨٩م.

٢ -المؤامرة على الإسلام ، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة.

٣ -المخططات التلمودية والصهيونية في غزو الفكر الإسلامي،طبع بدار الاعتصام، القاهرة .

٤ -مقدمة المناهج .

٥ -من التبعية إلى الأصالة في التعليم والقانون واللغة ، طبع بدار الاعتصام ، القاهرة .

٦ -ألف مليون مسلم في مواجهة الأخطار والتحديات .

٧ -حركة اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار والتغريب والشعوبية .

ب: الكتب والأبحاث :

١- الأئمة الأربعة مالك،والشافعي،وأبو حنيفة،وابن حنبل- مركز الدراسات الصحفية التاريخية - ١٩٨٤م .

٢- ابتعاث الأسطورة «مواجهة جديدة تواجه الفكرالإسلامي »،دارالصلاح،السعودية، ١٩٨٤م

٣- أحمد زكي الملقب بشيخ العروبة حياته،آراؤه،آثاره،طبع بالمؤسسة العامة للتأليف،عام ١٩٦٣م.

٤- الأسرة طبع. بدار الاعتصام ، القاهرة .

٥- الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني،طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،مصر .

٦- الإسلام في معركة التغريب،طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة ،عام١٩٦٤م.

٧- الإسلام في وجه التغريب مخططات التبشير والاستشراق،طبع بدار الاعتصام،القاهرة .

٨- الإسلام والتيارات الوافدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٩- الإسلام والحضارة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٠- الإسلام والدعوات الصادقة ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤

١١- الإسلام والدعوات الهدامة ،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،١٩٨٢.

١٢- الإسلام والمصطلحات المعاصرة ، دار الهداية ،القاهرة ، عام ١٩٩٧م .

١٣- الإسلام يزحف إلى قواعده ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ،عام ١٣٦٥هـ

١٤- الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٩.

١٥- أصول الثقافة العربية ،طبع بدار المعرفة ، عام ١٩٧١م.

١٦- أضواء على نفسيات الأدباء .

١٧- أضواء على الأدب العربي المعاصر،طبع بدار الكاتب العربي للطباعة،مصر ،١٩٦٩م.
١٨- أضواء على الحياة والأدب ،طبع بمطبعة الرسالة بالقاهرة ، ١٩٥٦م.
١٩- أضواء على الفكر العربي الإسلامي ،طبع بالدار المصرية للتأليف والترجمة،القاهرة ،١٩٦٦م.
٢٠- أضواء على تاريخ الإسلام طبع بمطبعة الرسالة ،القاهرة ، عام ١٩٥٧م .
٢١- أضواء على حياة الأدباء المعاصرين طبع بدار الاعتصام ، القاهرة ،١٩٥٦م.
٢٢- إطار إسلامي للفكر المعاصر – المكتب الإسلامي – بيروت –١٩٨٠م.
٢٣- أعلام الإسلام وتراجم الأسماء البارزة منذ عصر النبوة إلى اليوم،طبع بدار الاعتصام.
٢٤- الأعلام الألف .
٢٥- أعلام لم ينصفهم جيلهم ،طبع بالدار القومية ،القاهرة ،١٩٦٣م.
٢٦- أقباس من السيرة العطرة ،طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ،١٩٧٣م.
٢٧- الإمام المراغي ، دار المعارف ، القاهرة ، عام ١٩٥٢م .
٢٨- أهداف التغريب في العالم الإسلامي – الأزهر الشريف – الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية – ١٩٨٧م .
٢٩- بطاقة إسلامية ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٧م .
٣٠- بماذا انتصر المسلمون ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨١م .
٣١- تاريخ الإسلام منذ فجره إلى اليوم ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٩م .
٣٢- تاريخ الدعوة الإسلامية في مرحلة الحصار من حركة الجيش إلى كامب ديفيد ، دار الاعتصام ، ١٩٨٨م .
٣٣- التأصيل الإسلامي:التيارات والفرق الضالة،والفلسفات الهدامة،دار الهداية،القاهرة، عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
٣٤- تأصيل القيم والمفاهيم .
٣٥- تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة على مناهج الفكر الإسلامي الأصيل ، مكتبة العصرية ، ١٩٨٣م .
٣٦- تحديات في وجه المجتمع الإسلامي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
٣٧- التراث، منشورات مكتب الطلبة ، جامعة قسنطينة ، ١٤٠٦ / ١٩٨٥
٣٨- تراجع الفكر المادي ، دار الهداية ، القاهرة ، عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٩م .

٣٩- تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٤٠- ترشيد الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام ، القاهرة ،

٤١- تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث (السلطان عبدالحميد والخلافة الإسلامية) دار ابن زيدون ،بيروت، وطبعة أخري بدار الكتب السلفية ، القاهرة ، عام ١٤٠٧هـ .

٤٢- تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ، دار الاعتصام القاهرة ، عام ١٩٨٣م .

٤٣- التفسير الإسلامي للفكر البشري الأيدلوجيات المعاصرة في ضوء الإسلام ، دراسة جامعة ،طبع بدار الاعتصام ، عام ١٩٧٨م .

٤٤- تقويم ما قدمه جيل الرواد قراءة جديدة لكتاب الشوامخ،دار الاعتصام،القاهرة ، ١٩٨٠م .

٤٥- الجباه العالية ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٥٨م.

٤٦- جرجي زيدان منشئ الهلال ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٤٧- جمال عبدالناصر وكفاح الشعب ، شركة النيل للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٥٦م .

٤٨- جولات في الأدب والفن والحياة، دار الأعلام للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٤٩- جوهر الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٥٠- جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة،عام ١٩٨٥م

٥١- حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني،طبع بدار الاعتصام،القاهرة ، عام١٩٨٤م.

٥٢- حركة اليقظة الإسلامية في مواجهة النفوذ الغربي والصهيونية والشيوعية،طبع بدار الاعتصام ،القاهرة،عام ١٩٧٩م .

٥٣- حسن البنا الداعية الإمام والمجدد الشهيد ، طبع بدار القلم ، دمشق ، ١٣٦٨هـ

٥٤- حضارة الإسلام تشرق من جديد ،طبع بدار الأنصار ، عام ١٩٨٠م .

٥٥- الحقائق العشر في حياة كامل كيلاني .

٥٦- حقائق مضيئة في وجه شبهات مثارة ،طبع بدار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

٥٧- دورنا الجديد في الحضارة الإنسانية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

٥٨- رجال أختلف فيهم الرأي ، طبع بدار الأنصار ،القاهرة ،

٥٩- رسالة المسلم ، طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ١٩٧٨م .

٦٠- الرسول الإنسان ، أعلام الإسلام ، دار الأعلام للطبع والنشر ،عام ١٩٥٥م .

٦١- زكي مبارك ،دارسة تحليلية لحياته وأدبه ،طبع بالدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة .

٦٢- سقوط الايدلوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ ،سلسلة دعوة الحق ،يصدر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

٦٣- سموم الاستشراق والمستشرقين ،طبع بمكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٥م

٦٤- شبهات في الفكر الإسلامي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، عام ١٩٧٨م .

٦٥- الشرق في فجر اليقظة :صور اجتماعية للعصر(١٨٧١م - ١٩٣٩م)،مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦م .

٦٦- الشعوبية في الأدب العربي الحديث ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٦٧- شهادة العصر والتاريخ -خمسون عاماً على طريق الأصالة الإسلامية ،طبع بدار المنارة ، جدة ، ١٩٩٣م .

٦٨- صفحات مجهولة من الأدب العربي المعاصر ،طبع بمكتبة الأنجلوا المصرية،عام ١٩٧٩م.

٦٩- صفحات مضيئة من التراث الإسلامي ، طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ،١٩٨٧م

٧٠- صفحات من أمجادنا ،طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

٧١- الضربات التي وجهت للانقضاض على الأمة الإسلامية،دارالاعتصام،القاهرة ،١٩٨٠م

٧٢- الطريق أمام الدعوة الإسلامية ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

٧٣- عالمية الإسلام ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ، ١٩٨٧م .

٧٤- عبدالعزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية ، طبع بدار الغرب الإسلامي ، عام ١٩٤٤م .

٧٥- عبدالعزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع،طبع بالمؤسسة المصرية العامة للتأليف .

٧٦- عطاء الإسلام الحضاري ، سلسلة دعوة الحق ، يصدر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

٧٧- عقبات في طريق النهضة مراجعة مصرية لتاريخ مصر الإسلامية منذ الحملة الفرنسية إلى النكسة ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام

٧٨- الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية،مطبعة الرسالة،القاهرة .

٧٩- الفكر الغربي دراسة نقدية،دار الشئون الإسلامية،الكويت ،عام ١٤٠٧هـ.

٨٠- الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

٨١- القرن الخامس عشر الهجري .. التحديات في وجه الدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٨٢- قضايا الأقطار الإسلامية ، طبع مكتبة مصر ، القاهرة ، عام ١٣٦٥هـ .

٨٣- قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام،طبع بمؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨١م.

٨٤- قضايا مثارة في ضوء الإسلام ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ، ١٩٨٤م .

٨٥- القومية العربية والوحدة الكبرى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة.

٨٦- كلمات خالدة من ذخائر تراثنا العربية ، الدار القومية للطباعة والنشر ،القاهرة .

٨٧-كيف يحتفظ المسلمون بالذاتية الإسلامية في مواجهة أخطار الأمم ،طبع بدار الاعتصام ، القاهرة ، عام ١٩٨٤م .

٨٨- كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار،طبع بمؤسسة الكتب الثقافة،بيروت،عام ١٩٨١م

٨٩- اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، مكتبة الأنجلوا المصرية ، ١٩٦م .

٩٠- ليظهره على الدين كله ، طبع بدار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٩١- مؤلفات في الميزان،هدية من مجلة منار الإسلام،السنة الحادي عشر،العدد الخامس .

٩٢- ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي ، سلسلة دعوة الحق ، من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

٩٣- المجتمع الإسلامي المعاصر في مواجهة رياح السموم ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٩٤- محمد الرسول (ﷺ)دارسة تحليلية لشخصية محمد ﷺ،طبع بمطابع دار الكتاب العربي،عام ١٩٦٠م.

٩٥- محمد فريد وجدي رائد التوفيق بين العلم والدين، طبعته الهيئة المصرية للكتاب،مصر ،عام ١٩٧٤م.

٩٦- مدخل إلى القرآن الكريم ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ١٩٩١م .

٩٧-المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن،دار الاعتصام،القاهرة،١٩٨٤م .

٩٨- المرأة والحب في حياة كتابنا المعاصرين،دار الاعلام للطباعة والنشر،القاهرة ، ١٩٥٥م.

٩٩- المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة،دارالمعرفة،القاهرة،عام ١٩٧١م .

١٠٠- مستقبل الإسلام بعد سقوط الشيوعية،سلسلة دعوة الحق،يصدر من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

١٠١- مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ،طبعه مجمع البحوث الإسلامية ،ط ثانية ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

١٠٢- المعاصرة في إطار الأصالة ، دار الصحوة ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

١٠٣- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن١٤الهجري .

١٠٤- معركة المقاومة العربية ، طبع مطبعة التحرير القاهرة ،عام ١٩٦١م .

١٠٥- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام،طبع بدار الاعتصام،القاهرة .

١٠٦- مفكرون وأدباء من خلال آثارهم ، طبع بدار الرشاد .

١٠٧- من أعلام الفكر والأدب،طبعته الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة،عام ١٩٦٤م.

١٠٨- من طفولة البشرية إلى رشد الإنسانية ، دار الاعتصام ، القاهرة . ١٩٧٨م .

١٠٩- من منابع الفكر الإسلامي،طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة،١٩٦٧م.

١١٠- مناهج الحكم والقيادة في الإسلام ،طبع المكتبة صيدا ، بيروت ، ١٩٨٢م .

١١١- منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، دار الاعتصام ، القاهرة ، عام ١٩٨٠م .

١١٢- موسوعة معالم الأدب العربي المعاصر حتى ١٩٤٠م .

١١٣- نجم الإسلام ما زال يصعد،طبع بدار الفضيلة،القاهرة،عام ١٩٩٨م .

١١٤- نحن العرب،طبع بالدر القومية للطباعة والنشر،القاهرة ،عام ١٩٦٠م .

١١٥- نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات والأيدلوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم،طبع بدارالاعتصام،القاهرة،عام ١٩٨٩م

١١٦- نوابغ الفكر الإسلامي ، طبع دار الرائد العربي ، عام ١٩٧٢م .

١١٧- هذا هو جمال من بني مر إلى الجمهورية العربية المتحدة،طبع بمكتبة المعارف،بيروت ، عام ١٩٦٠م.

١١٨- وحدة الفكر الإسلامي مقدمة للوحدة الإسلامية الكبرى،طبع بدار الاعتصام،القاهرة،عام ، ١٩٧٩م.

١١٩- يقظة الإسلام في تركيا ،طبع بدار الأنصار،القاهرة ، عام ١٩٧٩م .

١٢٠- اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب،طبع بدار الاعتصام،القاهرة،عام ١٩٩١م.

١٢١- يقظة الفكر العربي..حركة اليقظة في مواجهة التغريب،مطبعة زهران،القاهرة،عام ١٩٧٢م .

١٢٢- يوم من حياة الرسول ﷺ،طبع بدار الاعتصام، القاهرة ، عام ١٩٨٠م.

❖ الكتب المترجمة :

حسن البنا الرجل القرآني / بقلم الكاتب الأميركي : روبير جاكسون، ترجمة : أنور الجندي طبع المختار الإسلامي ، القاهرة ، ط ١ : ١٣٩٧ / ١٩٧٧ م .

❖ المقالات :

كان الجندي رحمه الله من المكثرين من كتابة المقالات فقد بلغت مقالاته أكثر من خمسمائة مقال في عدة مجلات ودوريات وصحف ومن عناوين تلك المقالات :

١ - العقيدة الفكرية للكاتب المسلم [١].
٢ - النظرية المادية ميراث الفلسفة اليونانية هي أخطر التحديات التى توجه الفكر الإسلامي اليوم[٢] .
٣ - تطوير الشريعة الإسلامية [٣].
٤ - العالم الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي [٤].
٥ - التنوير الغربي[٥] .
٦ - حرب الكلمة [٦].
٧ - الاستشراق وتغريب التراث [٧].

[١] - انظر : مجلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد الأول ،السنة التاسعة عشرة ، ، عام ١٤٠١هـ ، ص ١٥ .
[٢] - انظر :المصدر السابق ، العدد الرابع ،السنة التاسعة عشرة ، ، عام ١٤٠١هـ ،ص ١٢
[٣] - انظر: مجلة منار الإسلام ، العدد الحادي عشر ،السنة الثالثة عشرة ، عام ١٤٠٨هـ ، ص ٦٦.
[٤] - انظر : مجلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد الأول ،السنة السابعة ، عام ١٣٨٩م ،ص ٢٣.
[٥] - انظر : مجلة منار الإسلام ، العدد الرابع ،السنة الثامنة عشرة ، عام ١٤١٣هـ ، ص ٦٨.
[٦] - انظر: المصدر السابق ، العدد الثالث ، السنة السابعة عشرة ، ص ٦٧.
[٧] - انظر : المصدر السابق ، العدد التاسع ، السنة السادسة عشرة ، عام ١٤١١هـ ، ص ٦٨.

٨ - الوجودية أشد المذاهب العالمية عداوة للأديان [١].

٩ - أخطاء دوائر المعارف والموسوعات العالمية [٢].

١٠ - حقائق حول التراث [٣]

المآخذ على مؤلفاته :

لقد ترك أنور الجندي تراثاً ضخماً ينبغي على الأمة الإسلامية أن تتوجه بمؤسساتها العلمية في حفظه،وإعادة نشر ما يخدم البحث العلمي ويزيده إثراءً وقوة ، ولا شك أن تراثاً بهذه الحجم والسعة،وفي شتى المجالات والتخصصات لا يمكن أن يسلم من الاعتراضات والملحوظات التي هي سمة العمل البشري،وسوف أبين بعضها و أذكر ما يمكن أن يجاب به عن بعض هذه المآخذ والتي منها :

١- ما ذكره د.ناصر بن عبدالكريم العقل من أن هناك تأثراً واضحاً من بعض الكتاب والمفكرين الإسلاميين والذي منهم الأستاذ/أنور الجندي ببعض أساليب وشكليات الفكر العقلاني فتجدهم يغفلون عن الابتداء بالحمد لله في كتبهم وبعض الأحيان يغفلون حتى باسم الله وهذا قليل ونادر[٤].

ويمكن أن يجاب عن هذا المآخذ من وجهين :

الوجه الأول :أن أحاديث الابتداء بالحمد لا يصح منها شيء ، ولعل افتتاحهم بالبسملة يكفي؛ لحديث ابن عباس في قصة الرسالة لهرقل بدأ بالبسملة فقط[٥] .

الوجه الثاني :نلتمس للجندي ما التمسه ابن حجر للبخاري،عندما اعُترض عليه بكتابة البسملة دون الحمد لله في أول صحيحه،فقال:" لكن ليس فيهما أن ذلك يتعين بالنطق والكتابة معا،فلعله حمد وتشهد نطقا عند وضع الكتاب،ولم يكتب ذلك اقتصارا على البسملة ؛لأن القدر الذي يجمع الأمور الثلاثة ذكر الله وقد حصل بها "[٦].

٢- ذكر د.العقل أن بعض مؤلفات أنور الجندي تحمل عناوين انهزامية،وتحمل شعارات العروبة والقومية.وهذا الكلام أو المآخذ لا يمكن قبوله.وفي نظري أن مثل هذا الحكم يحتاج

---

(١) - انظر : المصدر السابق ، العدد الرابع ، السنة الحادية عشر ، عام ١٤٠٦، ص ٢٦.

(٢) - انظر : المصدر السابق ، العدد السادس ، السنة الحادية عشر ، عام ١٤٠٦هـ ، ص ٧٢.

(٣) - انظر : مجلة البيان ، العدد مئة وثلاث وسبعون ، السنة الرابعة عشرة ، عام ١٤٢٠هـ ،ص ٣٢.

(٤) - انظر : الاتجاهات العقلانية الحديثة ، أ.د : ناصر بن عبدالكريم العقل ، ص ٤٣٠ ، دار الفضيلة ، ط الأولى ، ١٤٢٢هـ .

(٥) - رواه البخاري في صحيحه ،كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي الناس ، رقم ٢٩٤١، ص ٥٦٤.

(٦) - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ١/ ١٠-١١.

إلى شيءٍ من الاستقراء العام لحياة الجندي، ومراحل حياته والواقع الذي كان يعيشه ، لهذا كله لا يمكن أن يسلم للدكتور ناصر العقل ما ذكره عن الجندي من وجوه :

الوجه الأول :أن الجندي بيَّن أن صنيعه هذا دافعه الاضطرار ولذلك عندما سئل قال:" كانت العروبة هي الطاقة الوحيدة المفتوحة لنا كمسلمين لنتناجى منها ونتحدث عن تاريخنا وقيمنا وتراثنا،و لم تكن لنا نافذة غيرها"[1]،وهذا يعطى دلاله أن الذي دفع الجندي لذلك إنما هو حال المضطر لا المقتنع بالفكر والمنهج.

الوجه الثاني:أن ما يدل على أن الجندي دفعه الاضطرار إلى ذلك الصنيع ما نجده من خلال مؤلفاته حيث قام بتغيير عناوين تلك الكتب ومنها على سبيل المثال:الفكر العربي في معركة التغريب والتبعية الثقافية الذي صدر عام ١٩٦٧م وقد أعاد طباعته مرة أخرى بعنوان مختلف، وهو تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠م/ ١٩٤٠م[2]،وكتاب الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر العربي، نجده بطبعة أخرى متأخرة بعنوان: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، وكتاب يقظة الفكر العربي في مواجهة الاستعمار في طبعة ثانية حديثة بعنوان: اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار .

الوجه الثالث:قد صرح الجندي في أكثر من موضع برفض مصطلح الفكر العربي وقال:"لا يوجد عقل عربي ولا ثقافة عربية،والعقل العربي عقل إسلامي أساساً حتى بين غير المسلمين، والثقافة العربية انتماؤها إسلامي؛لأنه لما كان الإسلام هو المصدر فإن الثقافة إسلامية والحضارة إسلامية والعقل إسلامي،ومحاولة فصل نتاج العصر عن المراحل السابقة مؤامرة"[3].

٣- قلة التوثيق العلمي:

أُخذ على الجندي قلة التوثيق العلمي فى مؤلفاته مما جعل بعض الباحثين يفقدون الثقة في الكاتب وفيما كتب ولا شك أن هذا إجحاف وعدم إنصاف لتراث هذا العلم الذي شغل حياته وجهده في خدمة الإسلام والدفاع عنه،والذي يستقرئ تراث الجندي ويسهب في القراءة في كتبة وأبحاثه يجد أن هناك منهجاً اتخذه فمن تلك الخطوط العريضة التي يجب أن نفهمها ونعيها :

---

(١) - شهادة العصر والتاريخ ، ص ٦٦ .

(٢) - المصدر السابق ١٣٣.

(٣) - المعاصرة في إطار الأصالة ، أنور الجندي،ص ٤٥، دار الصحوة ، ط الأولى ، عام ١٤٠٧هـ .

أ- أن الجندي كان من رواد الصحافة فكان يميل في كتاباته في الغالب إلى أسلوب الصحفي الذي يريد أن يوصل المعلومة بلغة سهلة بعيدة عن التكلف والتعقيد تناسب الشريحة التي يخاطبها وهم عامة الناس وخاصة الشباب منهم .

ب- أن الجندي لم يكن أستاذاً جامعياً مثل الدكتور محمد محمد حسين،و لم يكن تراثياً صارماً مثل الأُستاذ محمود محمد شاكر،ولكن كتب للجمهور العريض من الناس دون العلية المثقفة إيماناً منه أن هؤلاء هم هدف رسالته،ولذلك آثر الوضوح والسهولة و لم يعتن بالتوثيق والتدقيق[1] .

ج- أن الجندي كان يهتم في المقام الأول بتدوين الفكرة الأساسية والقضية التي يكتب عنها؛وهو من أجل ذلك كان يقرأ كثيراً عما يخدم فكرته في الكتب والصحف والمجلات ثم يثبت خلاصة ما قرأه دون الاهتمام بتوثيق ما يكتبه .

ومع ذلك كله من الصعب الجزم بأن الجندي لم يكن يهتم بالتوثيق دائماً فمن خلال استقراء مؤلفاته وكتبه نجده في كثير من الأحيان يذكر من ينقل عنهم بالاسم دون الإشارة إلى الكتاب أو رقم الصفحة،وفي بعض الأحيان يورد قائمة بأسماء الكتب التي استفاد منها ورجع إليها ويذكر أسماء مؤلفيها،بل نجد أن التوثيق بات سمة واضحة عند الجندي في العقدين الأخيرين فمثلاً كتاب العروبة والإسلام قد وثق فيه توثيقاً علمياً دقيقاً بعد كل باب من أبواب الكتاب،وكتاب الفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام [2].

٤- عرض الجندي لكثير من شبهات وعقائد وأفكار الفرق والفلسفات والتيارات المنحرفة لكنه لم يتوسع في رد تلك الشبهات فكان رده في الغالب عاماً يبين رفض الإسلام لمثل هذه الأفكار والعقائد بعبارة مختصرة ومؤجزة ، ولا شك أن هذا مما يؤخذ على الجندي ولكن لعلنا نجد له عذراً في ذلك للأسباب التالية :

أ- أن هذا منهج اتخذه أنور الجندي في مثل هذه المسائل فهو يقول :"ليس مطلوباً كشف دقائقها إلا لخاصة الخاصة من العلماء والباحثين ، أما تقديمها للشباب المسلم فتقدم على نحو يسير بحيث لا تحاط بطابع إغراء يجعلها متقبلة عنده،وحتى في مجال الرد على الشبهات لا تعرض على نحو مفصل بل يكفي تقديم أصولها العامة فلربما كان عرضها يغري على تقبلها وعدم الاهتمام بنقدها وهدمها "[3].

---

[1] - انظر : مجلة الأدب الإسلامي عدد ٣٣ ،ص ١.

[2] - انظر:أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد التبشير و الاستشراق والتغريب،للطالب عمر أبو سلامة ص ٢٣٠ بتصرف يسير .

[3] - الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية ص ٢٥.

ب- اتبع منهج كثير من العلماء السابقين في أن تصور بعض مقالات أهل الباطل والانحراف كفيل برفضها وعدم قبولها ،ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" إن تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده لا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم ؛ لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة بل وهم أيضا لا يفهمون حقيقة ما يقصدونه ويقولونه ولهذا يتناقضون كثيرا في قولهم ؛ وإنما ينتحلون شيئا ويقولونه أو يتبعونه "[١]

ج- أن الجندي أوضح الهدف من ذلك . يقول د.أحمد سمايلوفتش في تعليقه على منهج الجندي:" وإذا كان أنور الجندي قد حشد في بحثه هذا عدداً هائلاً من القضايا والشبهات والأسماء مواجهاً إياها بكل ما أوتي من قوة وفكر ودأب ، فإنه يشرح لنا هدفه البناء من وراء اتجاهه هذا" [٢].قائلاً :" لقد عني عشرات من الباحثين بدراسة هذه القضايا منفصلة خلال مراحل إثارتها ، ودراسة أخطاء المستشرقين وكتاب الغرب في هذه المسألة أو تلك غير أن هذه المسألة لم تكن وحدة كاملة قبل هذه الدراسة "[٣].

---

[١] - مجموع الفتاوى ٢/ ١٣٨.
[٢] - فلسفة الاستشراق ، د.أحمد سمايلوفيتش ، ص ٧٠٤.
[٣] - الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب ص ٥

المبحث الرابع

جهود أنور الجندي الدعوية

من أشق الأمور على النفس أن تختزل حياة علم من أعلام المسلمين قضى أكثر من نصف قرن في الدعوة إلى الله — نحسبه كذلك والله حسيبه — في مبحث كهذا فهو في نظري يستحق أن تكتب عنه رسالة مستقلة في هذا الجانب ، وأشير إلى بعض تلك الجوانب المضيئة في دعوته :

١- الكتابة المستمرة في الصحف والمجلات الإسلامية :

إن أنور الجندي أخذ على عاتقه تبيين الصورة وكشف الحقيقة من خلال الكتابات المختلفة بشتى الطرق والوسائل،فكان أهم ما يميز أنور الجندي الاستمرارية والتواصل حتى في أشد الظروف والمحن،فقد كانت مقالات أنور الجندي تربو على الخمسمائة مقال ؛ لأن الجندي كان صاحب قلم سيال لا يفتر عن الكتابة أبداً،بالإضافة إلى أنه كان يراسل أكثر من ثلاثين جريدة ومجلة في معظم بلاد المسلمين يقول الجندي:" ولقد كتبت في عديد من المجلات الإسلامية في البلاد العربية أما في مصر فقد واليت الكتابة في منبر الإسلام عشر سنوات كما كتبت في رابطة العالم الإسلامي في بيروت والوعي في باكستان،والوعي في الكويت،ومنار الإسلام في أبي ظبي،وقد تناولت في هذه المقالات كثيراً من الموضوعات المتصلة بالغزو الفكري والتغريب " (١)

٢- إلقاء المحاضرات والندوات من خلال المؤسسات العلمية والمؤتمرات الدولية .

لقد كان لأنور الجندي حضوره الفاعل في هذا الجانب فقد تدرب على الإلقاء منذ الصغر،وكان يلقي المحاضرات والكلمات في داخل الجامعات الإسلامية فقد زار أكثر من جامعة مثل جامعة الإمارات ، وجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض وغيرها.

وكان الجندي يحرص كثيراً على حضور جميع المؤتمرات الإسلامية في المشرق والمغرب ليعلي كلمة الحق في الجزائر و أندونسيا وفي المغرب وفي ماليزيا .

ولقد تحدث الجندي عن حضوره في هذه المؤتمرات والمشاركة فيها بأبحاث،فقال:" ولقد حضرت واشتركت وقدمت أبحاثاً لعدد من المؤتمرات الإسلامية في كل من الجزائر

---

(١) - شهادة العصر والتاريخ ص ١٨٢.

،والخرطوم ، والرباط بالمغرب ، ومكة المكرمة ، وعمان بالأردن ، وجاكرتا بإندونيسيا ، وجامعة العين بأبي ظبي ، والرياض في جامعة الإمام محمد بن سعود "(١) .

ويقول د. غريب جمعة عن الجندي :" قد دعاه الأستاذ الدكتور عبدالله شحاته لإلقاء محاضرة في كلية دار العلوم حينما كانت في مقرها القديم وقد اصطحبني معه ... فلما وصلنا إلى الكلية وافتتح الرجل المحاضرة هادئاً ثم تدفق كالسيل الجارف بصورة أدهشت الأساتذة قبل الطلاب ثم جاء دور الأسئلة .. ولقد جمعت إجابته عنها بين الصدق والصراحة والإقناع وانتهت المحاضرة .. وقف الأستاذ الدكتور عبدالله شحاتة للتعقيب وكان مما قاله يومئذ :" إنني أحيي وأقدر هذه الموسوعة العلمية المتحركة على الأرض ، والتي تسمى أنور الجندي على تواضع جم وأدب عال ...إلخ " (٢).

ويقول الشيخ حسن عاشور (٣) عن أنور الجندي : " إن أنور الجندي له أكثر من ثمانين بحثاً ألقاها بنفسه في المؤتمرات الدولية،فكان يدعو إلى أسلمة العلوم والمناهج والقوانين " (٤)،بل إن الجندي تجاوزت دعوته إلى شقائق الرجال فتقول ابنته عنه :" إنه كان يصحبها دوماً في محاضراته التي كانت تحضرها النساء " (٥).

٣- تسجيل اللقاءات التلفزيونية والإذاعية :

لم يقتصر جهد أنور الجندي في الدعوة إلى الله بوسيلة معينة بل إنه اتخذ شتى الوسائل لتحقيق ما من شأنه عزة هذا الدين ونصرته،ومن ذلك إجراء اللقاءات والحوارات(٦).

٤- تقلده أعمال من أجل الدعوة إلى الله :

وقد كان للجندي مشاركة في عدد من الوظائف التي من خلالها يتبين حرصه على الدعوة إلى الله حتى بالجهد والوقت والرأي والتي منها :

- كان مسؤولاً عن خزينة الإخوان المسلمين،وكان يقوم بتسليم رواتب شهرية إلى أسر الضباط المحسوبين على الإخوان المسلمين ممن تعرضوا للاعتقال أو الفصل من الجيش.

---

(١) - نجم الإسلام ما يزال يصعد ، أنور الجندي ، ص ٢٨٢، دار الفضيلة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٩٩٨م .

(٢) - مجلة الأدب الإسلامي ، العدد الثالث والثلاثون ، ص ٣١، مقال د. غريب جمعة .

(٣) - حسن عاشور : هو أحد جنود الدعوة الإسلامية في عالم النشر والصحافة ، رئيس تحرير مجلة الاعتصام ، والمختار الإسلامي ، وصاحب دار الاعتصام للنشر والتوزيع بالقاهرة ، والتي طبعت معظم كتب أنور الجندي . توفي عام ١٤٢٩هـ . (انظر : مجلة المجتمع ، العدد ١٨١٦، بتاريخ ٢٣/ ٨/ ٢٠٠٨م).

(٤) - المنار الجديد ، العدد ٨ ، ص ١٣٢.

(٥) - مجلة آفاق عربية ، عدد ٥٤٦، ص ١٢، عصام تليمة .

(٦) - انظر : موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com

- كان عضواً للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- كان عضواً في لجنة التعريف بالإسلام[1] .

[1] - انظر : جريدة معلمة الإسلام ص ١٨، ٢١.

المبحث الخامس:

مرضه ووفاته وأقوال العلماء والمفكرين فيه

مرض الجندي آخر عمره ، فقد كان مريضاً بالكلى (الكلية اليسرى) ثم لما اشتد عليه المرض أدخل مستشفى الجيزة الدولي وبعد أربعة وعشرين ساعة توفي رحمه الله ، وكان ذلك يوم الاثنين الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنان وعشرين وأربعة مئة بعد الألف من الهجرة الموافق ١٨/ ١/ ٢٠٠٢م،وذلك عن عمرٍ يناهز الخامسة والثمانين،وصلي عليه في مسجد السلام بمنطقة الهرم،وأمَّ المصلين عليه فضيلة الأستاذ مصطفى مشهور-المرشد العام للإخوان المسلمين رحمه الله- ودفن في مقابر الأسرة عند الكيلو٤٥ بطريق مصر الفيوم الصحراوي[١].

أقوال العلماء والمفكرين وثناؤهم عليه :

١- العلامة د.بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله قال عنه وعن د.محمد محمد حسين بعد أن ذكر جهودهما في كشفهما بعض المصطلحات الخاطئة:"والكاتبان الإسلاميان:الأُستاذ/أنور الجندي، والأُستاذ/محمد بن محمد حسين [٢] لهما فضل كبير بعد الله تعالى في بيان ذلك في تضاعيف مؤلفاتهما "[٣].

٢- د. يوسف القرضاوي يقول :"علمت أن الكاتب الإسلامي المرموق الأُستاذ أَنور الجندي وافاه الأجل بلغني ذلك أحد إخواني فقلت: يا سبحان الله يموت مثل هذا الكاتب الكبير المعروف بغزارة الإنتاج وبالتفرغ الكامل للكتابة والعلم ، والذي سخر قلمه لخدمة الإسلام وثقافته وحضاراته ودعوته أكثر من نصف قرن، ولا يعرف موته إلا بعد عدة أيام ، لا تكتب عنه صحيفة ، ولا تتحدث عنه إذاعة ، ولا يعرف به تلفاز !! .كأن الرجل لم يخلف وراءه ثروة طائلة من الكتب والموسوعات في مختلف آفاق الثقافة العربية والإسلامية ...مسكين أنور الجندي لقد ظلمته أمته ميتا كما ظلمته حيا فلم يكن الرجل ممن يسعون للظهور وتسليط الأضواء عليه بل عاش راهبا في صومعة العلم والثقافة يقرأ ويكتب ولا يبتغي من أحد جزاء ولا شكورا ولقد تتلمذت على كتبه وأنا صغير"[٤].

---

(١) - انظر : أنور الجندي وجهوده في الدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق والاستعمار والتغريب ١/ ١٢٥، عمر أبو سلامة ، مجلة المنار الجديد ، العدد الثامن ، ص ١١، : موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com.

(٢) - محمد محمد حسين ولد بسوهاج بصعيد مصر سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م،كاتب إسلامي،ملتزم،وناقد أدبي حصل على الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة ، دّرس بجامعة بنغازي ، والإسكندرية ، وبيروت،وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،توفي سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م ، من مؤلفاته : الروحية الحديثة وصلتها باليهودية ، الإسلام والحضارة الغربية ، أزمة العصر وغيرها (انظر :ذيل الأعلام ص١٩٩)

(٣) - معجم المناهي اللفظية بكر بن عبدالله أبو زيد ص ٣٧٠ ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٧هـ .

(٤) - جريدة آفاق عربية ، عدد ٥٤٤، السنة السابعة ص ١٢ بتصرف ، موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com.

٣- يقول د.عبدالعظيم المطعني:"إني أحسبه من الرعيل الأول من رجالات الدعوة وإن تأخر زمنه عن زمنهم أربعة عشر قرنا ،والعبرة بالأعمال والصفات ،لا بالمعاصرة في الأماكن والأوقات، فلقد كان أكثر الدعاة تصديا للفكر الوافد المضاد لفكر الأمة يرصده ويرد عليه بموضوعية وحكمة،ومن الملاحظ أنه كان هادئ الطبع كبير الثقة بالنفس حاضر الذهن والبديهة"[١] .

٤- د. عبد الصبور شاهين:"إن الجندي حاول أن يكون محاميا عن الأمة -وقد كان- واستطاع الدفاع عن قضايا الإسلام في انقطاع تام للعمل الإسلامي وبرؤية إسلامية صافية .. ولقد كان قلما قادرا على الجدل حاول أن يجعل للإسلام حضورا حقيقيا في التاريخ والنقد والدعوة وإنه بموته حدثت فجوة، وإني أعتب على الذين يتهمونه بالتقليد وإن الأصل عنده هو الوصول للجماهير وإفهامهم"[٢].

٥- د . مصطفي الشكعة: "..لقد لقي الجندي صنوفاً من المضايقات والإهمال ولكن له عظيم المكانة ــ إن شاء الله ــ في الآخرة وحسبه أنه وقف بمفرده مدافعا عن العربية السليبة والشريعة الغراء والتي تربص بها الرويبضة (الرويبضة: التافه يتكلم في أمر العامة) والمنافقون. إنه من معدن نفيس، معدن ورثة الأنبياء وحملة الهدى والحق والفضيلة إلي البشرية ... وهو مثال واضح للعمل الدؤوب والتخطيط المنظم والتأصيل غير المسبوق وغزارة الإنتاج"[٣] .

٦- ويقول د. شوقي ضيف عنه: "عرفت "أنور الجندي" بعد مشاكساته القوية لـ (طه حسين) ورده عليه وعكوفه على استخلاص نماذج أصيلة من التراث العربي والإسلامي وتقديمها في العصر الحديث كمثال جيد على روعة حضارتنا ... إن أنور الجندي لا يقل في كتاباته وما توصل إليه من نتائج باهرة عن العلماء والأفذاذ في تاريخنا فهو يماثل ابن تيمية ، و(ابن القيم) في موسوعيةِ المعرفة والجهاد الطويل لنصرة الإسلام وقضاياه المصيرية"[٤] .

٧- يقول عنه الشيخ الندوي : "إن أخانا "أنور الجندي" اليوم في طليعة الكتاب الإسلاميين المهتمين بأمر الغزو الفكري الاستعماري الاستشراقي للعالم الإسلامي وإنه يقف في وجهه

---

[١] - جريدة أفاق عربية العدد ٥٤٤، السنة السابعة ، ص١١، موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com.

[٢] - المصدر نفسه ، ص ١١، موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com.

[٣] - مجلة الداعي الصادرة عن الجامعة الإسلامية بالهند ، العدد ٢ ، السنة السادسة والعشرون ، ص ٤١، بتصرف ، موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com.

[٤] - المصدر السابق ، ص ٤١.

بنثره القوي وقوف الشاعر القوي (إقبال) في وجه سوءات الحضارة الغربية بشعره الفريد وإنه كثيرا ما ينحت التعابير والجمل التي يراها أوفى بأغراضه الدفاعية وبهدفه الهجومي الذي كان يسدده نحو أوكار المؤامرات الغربية ضد الإسلام"[١].

٨- تقول عنه ابنته فائزة " لقد كتب والدي الأستاذ أنور الجندي من المؤلفات ما زاد على الخمسين ألفاً من الصفحات ، حملت فكراً وضيئاً ونوراً ساطعاً وفهماً مباركاً. خطتها يداه وهو على وضوء.حرص دائماً عليه.فجاءت بالخير الكثير لأمتنا الإسلامية.لكن جانباً باهراً من شخصية والدي أنور الجندي لم يعرفه الناس لا يقل وضاءةً عن هذه المؤلفات الثمينة .

إنه الجانب التطبيقي للإسلام في حياة والدي أنور الجندي ، كان حريصاً على قيام الليل ينهض للصلاة بالليل مرات . كما كان حريصاً على البكور ... كان حلو المعشر ، رقيق العبارة . زكي النفس . يقدم النصيحة بعبارة حكيمة رقيقة بلا زجر ولا تأنيب . يصبر على الأذى ويكثر الإحسان . كان بيته مفتوحاً أبداً لكل محتاج وسائل ... اتسع صدره للناس حباً ورحمة . لكنه كان شحيحاً كل الشح بوقته . فما كان يضيع منه شئياً في جلسات طويلة أو سهرات ممتدة أبداً "[٢].

٨ -وقد عُد أنور الجندي من المجددين في الفكر الإسلامي في العصر الحديث ،وذلك في المؤتمر الدولي الأول حول مناهج التجديد في العلوم الإسلامية والعربية الذي عقد في كلية دار العلوم جامعة المنيا بمصر عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م [٣].

---

[١] - المصدر السابق ، ص ٤٠-٤١، ولمزيد من تلك الأقوال ينظر : موقع أنور الجندي على الرابط :www: anwaraalgendi.com، وجريدة معلمة الإسلام العدد الأول ، السنة الأولى ، ص ١٣-٢٤.

[٢] - من أوراق عندي مكتوبة بخط يدها ، حصلت عليها من مكتبة أنور الجندي .

[٣] - انظر: موقع إسلام أون لاين رابط biblio islam .

الباب الثاني :موقف أَنور الجندي من الانحرافات العقدية وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : موقف أَنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي .

الفصل الثاني : موقف أَنور الجندي من إحياء الفكر الصوفي الفلسفي.

الفصل الثالث : موقف أَنور الجندي من إحياء الفكر الباطني و الشعوبي .

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

التمهيد وفيه :

- التعريف والنشأة بالمعتزلة.
- أصولهم.
- منهجهم.

المبحث الأول : إحياء الفكر الاعتزالي في الغرب الحديث .

المبحث الثاني:إحياء الفكر الاعتزالي في العالم الإسلامي الحديث.

المبحث الثالث : موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي .

الفصل الأول

موقف أَنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي

تمهيد :وهذا التمهيد يشمل الكلام عن المعتزلة فيما يلي :

أولاً: التعريف والنشأة :

أ- في اللغة :

مأخوذ من اعتزل الشيء،وتعزله بمعنى تنحى عنه.ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴾ [سورة الدخان : آية 21] أراد إن لم تؤمنوا بي فلا تكونوا علي ولا معي،وعلى هذا يكون الاعتزال معناه : الانفصال والتنحي(1).

ب- اصطلاحاً :

اسم يطلق على فرقة كلامية فلسفية،ظهرت في مطلع القرن الثاني الهجري،اعتمدت على النظر العقلي المجرَّد أساساً لعقائدها وأفكارها (2).

ج- نشأتها :

نشأت هذه الفرقة في أوائل القرن الثاني بين سنة ١٠٥- ١١٠هـ في البصرة،بزعامة واصل بن عطاء الغزال(3)،وقد كان أحد تلاميذ الحسن البصري وممن يدرس عليه العلوم،و لما أثيرت مسألة حكم مرتكب الكبيرة أجاب بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين منزلتين؛أي في مرتبة وسط بين الإيمان والكفر،فطرده الحسن البصري من مجلسه،فاعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد.يقرر بما أجاب به في هذه المسألة،وانضم إليه عمرو بن عبيد (4) وجماعة آخرون فسموا بالمعتزلة(5).

---

(1) - انظر : لسان العرب لابن منظور ٤٤٠/١١ ، دار صادر ،بيروت ، ط الأولى ، القاموس المحيط ، للفيروزابادي ١٥/٤، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٤٠٠هـ.

(2) - انظر : (الموسوعة الميسرة ١/ ٦٨، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، د. عبدالله عواد المعتق ص ٢١٢، دار الرشد ،الرياض ، ط الثانية ، عام ١٤١٦هـ ، الجهمية والمعتزلة نشأتها وأصولها ومناهجها وموقف السلف منهما قديماً وحديثاً،د. ناصر العقل ص ١٢٧، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،د. غالب عواجي ٣/ ١١٦٣ ، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط الرابعة،عام ١٤٢٢هـ)

(3) - واصل بن عطاء الغزَّال،أبو حذيفة المخزومي البصري القدري،ولد في المدينة في سنة ثمانين،رأس المعتزلة وإمامهم،كان بليغاً،يلثغ في الراء فيتجنبها،توفي سنة ١٣١هـ . له تصانيف منها : أصناف المرجئة ، المنزلة بين المنزلتين .(انظر : الأعلام ٨ / ١٠٨- ١٠٩)

(4) - عمرو بن عبيد أبو عثمان البصري ، القدري رأس المعتزلة ، عُرف بالزهد والعبادة ، رويت له أقوال شنيعة في موقفه من النصوص ، وكذبه العلماء ، توفي سنة ١٤٢هـ . له كتاب العدل ، والتوحيد (انظر : سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ١٠٤/٦) .

(5) - انظر:الملل والنحل للشهرستاني ،تحقيق محمد سيد كيلاني ١/ ٤٨،مكتبة البابي الحلبي،القاهرة ، ط الأولى ،عام ١٣٩٦هـ،الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠،مجموع الفتاوى ٣/ ١٨٢-١٨٣،الجهمية والمعتزلة ،د. ناصر العقل ص ١٢٨ .

وقد مرت المعتزلة بمراحل حتى تكونت ، وهي على النحو التالي :

المرحلة الأولى : مرحلة التأثر:

هي المرحلة التي ظهر فيها أفكار جديدة دخيلة على المجتمع الإسلامي كالفلسفة اليونانية والهندية والعقائد اليهودية والنصرانية ، فتأثرت المعتزلة بهذا وكذلك بالقدرية الأولى التي ظهرت في آخر القرن الأول وهي قدرية معبد الجهني [1] فأصبحت المعتزلة وريثة هذه التركة فأطلق عليهم القدرية[2].

المرحلة الثانية : ابتداع مبادئ جديدة :

وهي المرحلة التي أنشأت المعتزلة فيها أقوالاً مبتدعة جديدة في مسائل الأسماء والأحكام ،والوعد والوعيد،وإنكار القدر،ثم تبنت مذهب الجهمية في مسألة الصفات فحكموا عقولهم المجردة في هذا الباب فكان نتيجة ذلك فتنة خلق القرآن[3] .

المرحلة الثالثة : التشكل والتكون:

وهي المرحلة التي تشكلت فيها أصولهم الخمسة بصورتها النهائية ، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري وهي الفترة التي أخذ رجالها في التصنيف والتقعيد لمذهبهم وكان من أبرزهم أبو الحسين الخياط[4] ، وأبو على الجبائي[5] ، والخليفة العباسي المأمون[6] وغيرهم[7] .

ثانياً : أصولهم :

وقد أجمعت المعتزلة على خمسة أصول هي :

١- **التوحيد** : ويعني عندهم وحدة الذات الإلهية ، بحيث لا يكون لها صفات قديمة زائدة عليها ، وعللوا بأن أخص صفات الإلوهية القدم ، فلو كانت للذات الإلهية

---

(١) - هو معبد بن عبدالله بن عويمر بن عكيم الجهني ، نزيل البصرة ، ضال مضل ، وهو من تكلم بالقدر في زمن الصحابة ، توفي سنة ٨٠هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨).

(٢) - انظر :التبصير في الدين ، لأبي المظفر الاسفرايني ص٥٧، الموسوعة الميسرة ١/ ٧٠ ،الجهمية والمعتزلة ص ١٣٥.

(٣) - انظر:الملل والنحل ١/ ٤٧،مجموع الفتاوى ١٣/١٨٣، مقالة التعطيل و الجعد بن درهم ،د. التميمي ص ٨٥-٨٧، الجهمية والمعتزلة ص ١٣٥

(٤) - هو: عبدالرحيم بن محمد أبو الحسين الخياط ، شيخ المعتزلة البغداديين ، عرف بالذكاء المفرط ، وهو معظم عند المعتزلة ، من كتبه : الانتصار والرد على الراوندي ، توفي سنة ٣٠٠ هـ (انظر : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٢٠) .

(٥) - هو أبو علي محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجُبَائي ، شيخ المعتزلة، دانت له بالرئاسة سائر طبقات المعتزلة ،كان معروفاً بقوة الجدل والكلام ، توفي سنة ٣٠٣هـ. (انظر: طبقات المعتزلة ص٨٠)

(٦) - هو : أبو العباس ، عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٧٠هـ ، وكان من رجال بنى العباس حزماً وعزماً ورأياً وعقلاً وهيبةً وحلماً ، وكان المأمون يجل أهل الكلام ، و دعا إلى القول بخلق القرآن ، توفي سنة ٢١٨هـ . (انظر سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧٢)

(٧) - انظر : الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ، لأبي الحسين الخياط ،تحقيق د. نيبرج ، ص ١٢٦ ،مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط الثانية ،عام ١٤١٣/ ١٩٩٣م ،الجهمية والمعتزلة، للعقل،ص ١٣٦-١٣٧،النفي في باب صفات الله عزوجل بين أهل السنة والجماعة و المعطلة ، للسعيداني ص ٥٥١-٥٥٢ ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .

صفات قديمة معها للزم أن تكون آلهة ، فيتعدد الإله ، فخلصوا إلى نفي صفات الله تعالى[1] .

ولذلك عرفه القاضي عبدالجبار [2] بأنه"العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه،والإقرار به.ولابد من اعتبار هذين الشرطين:العلم والإقرار جميعاً؛لأنه لو علم ولم يقر أو أقر ولم يعلم لم يكن موحداً " [3] .

٢- **العدل**:المراد به عندهم البحث في أفعال الله تعالى . وهم يعرفونه بأن أفعال الله كلها حسنة ، وأنه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه[4].

وحسب هذا التصور نفوا أن يكون الله خالقاً لأفعال العباد؛لأن في ظنهم أن ذلك ظلم مناف للعدل.فجعلوا العبد حراً مختاراً يخلق فعله كما يشاء [5].

٣- **الوعد والوعيد :**

هو عبارة عن أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، ولكن عقابه يكون أخف من عقاب الكفار[6] .

يقول عبدالجبار:"وأما علوم الوعد والوعيد فهو أنه يعلم أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب.وأنه يفعل ما وعد به،وتوعد عليه لا محالة،ولا يجوز عليه الخلف والكذب" [7].

وفي موضع آخر يقول :" اعلم أن الله تعالى إذا كلفنا الأفعال الشاقة فلا بد أن يكون في مقابلها من الثواب ما يقابله... بل لا يكفي هذا القدر حتى يبلغ الكثرة حداً لا يجوز الابتداء بمثله ولا التفضل به " [8].

---

[1] - انظر :مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لأبي الحسن الأشعري،تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد١/٢٣٦،المكتبة العصرية ،بيروت،عام ١٤١١هـ،الملل والنحل للشهرستاني ١/٤٤،أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة ،د.الأشقر ص ١٧٠،دار النفائس،عمان،ط الثانية،عام ١٤١٤هـ،المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبده ،طارق عبدالحليم ص ٤٨، دار الأرقم،برمنجهام،ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ .

[2] - هو أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار القاضي المعتزلي كان أشعرياً ثم تبنى مذهب المعتزلة ، توفي سنة ٤١٥هـ له مؤلفات عديدة منها . المغني ، شرح الأصول الخمسة . (انظر: طبقات الشافعية الكبرى ٣/٢١٩، الأعلام ٤/ ٤٧)

[3] - شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار ، تحقيق د. عبدالكريم عثمان ص ١٢٨، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ط الأولى، عام ١٣٨٤هـ .

[4] - انظر: المصدر السابق ص ١٣٢ .

[5] - انظر:المصدر السابق ص ٣٥٤-٣٥٥،جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية،د.محمد لوح ص ٢١٣،النفي في باب صفات الله ص٥٢٥ .

[6] - الملل والنحل للشهرستاني، ١/ ٤٥.

[7] - شرح الأصول الخمسة ص ١٣٥-١٣٦.

[8] - المصدر السابق ، ص ٦١٤.

٤- المنــــزلة بين المنــــزلتين :

يقول القاضي عبدالجبار في بيان معناه :"صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمناً ولا كافراً ولا منافقاً ، بل يسمى فاسقاً ، وكما لا يسمى باسم هؤلاء،فإنه لا يجري عليه أحكام هؤلاء ،بل له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين "[١].

يقول ابن المرتضى [٢] :" فقد أجمعت – المعتزلة – على المترلة بين المترلتين ، وهو أن الفاسق لا يسمى مؤمناً ولا كافراً " [٣].

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

وقد بين القاضي عبد الجبار مقصودهم بذلك فقال: " أما الأمر: فهو قول القائل لمن دونه في الرتبة: افعل، والنهي: هو قول القائل لمن دونه: لا تفعل.وأما المعروف: فهو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، ولهذا لا يقال في أفعال القديم تعالى: معروف، لم يعرف حسنها ولا دل عليها.وأما المنكر: فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه، ولو وقع من الله تعالى القبيح لا يقال: أنه منكر، لما لم يعرف قبحه ولا دل عليه " [٤] .

وسائر المعتزلة لهم فهم خاص عن بقية الأمة من حيث المفهوم والتطبيق ، فهم يعولون على عقولهم حتى في فهمهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيرون أن لا يكون هناك أي صلة للشرع في الحكم على الشيء بأنه معروف أو منكر ولهذا يكون المعروف عند المعتزلة ما أمنوا به ووافق نظرهم ، والمنكر ما يراه مخالفوهم.ويطبق المعتزلة هذا الفهم بضرورة الخروج على أئمة الجور حال قدرهم.

ثالثاً: منهجهم :

المنهج الذي سار عليه المعتزلة في تقرير مسائل العقيدة ينبني على تقديم العقل على النقل ، فالعقل عندهم هو الطريق الوحيد للوصول إلى الحقيقة ، حتى لو كانت هذه الحقيقة غيبية شرعية،فهم بالتالي أخضعوا كل عقيدة وكل فكر للعقل البشري ،وتأويل النصوص وتحريفها ، فعطَّلوا الصفات ونفوها بالكليَّة، أو أوَّلوها بشبه عقلية استحدثوها من أنفسهم ؛ بزعم

---

[١] - المصدر السابق ص ١٣٩-١٤٠.

[٢] - أحمد بن يحي بن المرتضى الحسني ، الملقب بالمهدي لدين الله ، من أئمة الزيدية باليمن ، معتزلي صاحب تصانيف كثيرة منها : ،البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، توفي سنة ٨٤٠ هـ .(انظر : الأعلام ١/ ٢٦٩).

[٣] - المنية والأمل في شرح الملل والنحل للمرتضي ، تحقيق د.محمد جواد ص ٦، دار الفكر ، بيروت ، لبنان . ط الأولى ، عام ١٩٧٩م.

[٤] - شرح الأصول الخمسة ص ١٤١.

التنـــزيه ، ونفى المثيل ، وأنكروا كثيراً من السمعيات ، وردُّوا الأخبار الدالة عليها ، بحجة أنها أخبار أحاد ، وغير ذلك من الشبه الوهمية [1] .

وقد أدى هذا المنهج عند المعتزلة إلى انحراف في كثير من مسائل العقيدة فمثلاً : في باب الأسماء والصفات قد سلكوا فيها طريقين :

الطريق الأول:النفي صراحة ،وهو قول أكثرهم فقالوا:إن الله عالم قادر،حيٌ بذاته ، لا بعلم ، ولا قدرة،ولا حياة ... وهكذا في باقي الصفات [2].

الطريق الثاني:إثبات الأسماء ونفي الصفات وهو قول بعضهم فقالوا:أن الله عالم بعلم وعلمه ذاته ... وهكذا في بقية الصفات[3].

لقد كان الفكر الاعتزالي لفترة من الزمن المسيطر على زمام الأمور ؛ وذلك نتيجة معاونة السلطان لهم – المأمون والمعتصم بالله –حتى جاء المتوكل[4] سنة ٢٣٤هـــ فأمر بترك الجدل والمناظرة والنهي عن القول بخلق القرآن وأمر بإظهار السنة [5]،ومع ذلك لم ينته عصر الاعتزال،بل ظل له أتباع حتى في القرن الثالث والرابع الهجري،ومن أشهر علمائهم المتأخرين القاضي عبدالجبار،والزمخشري [6]،ثم ما لبث أن تراجع هذا الفكر وأخذ في الانحصار والانهزام حتى كان العصر الحديث فوجد من يعتنق هذا الفكر ويعلي من شأنه ويدعو إليه وهذا ما سنبينه –بمشيئة الله– فيما يلي :

---

[1] - انظر:مجموع الفتاوى ٢/ ٧ – ٨،موقف ابن القيم من بعض الفرق، د. عبدالله عواد المعتق ص٧٨ مطابع الفرزدق،الرياض،ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ ،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٧٧.

[2] - انظر : شرح الأصول الخمسة ص ١٥١، المنية والأمل ص ٦ .

[3] - انظر : شرح الأصول الخمسة ص ١٨٣، الانتصار في الرد على ابن الراوندي ص١٥١، النفي في باب صفات الله عزوجل بين أهل السنة والجماعة و المعطلة ص ٥٦٠ .

[4] - هو أبو الفضل المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم بالله ، ولد سنة ٢٠٥ هـ ،كان ذكياً ألمعياً متواضعاً ، قوياً في الحق ناصراً له ، ويمتاز بالحلم ورجاحة العقل بويع سنة ٢٣٢ هـ،توفي سنة ٢٤٧ هـ بعد أن أظهر السنة ودحض البدعة . (انظر : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ،تحقيق د، إحسان عباس، ١/ ٣٥٠ ، دار صادر،بيروت ،عام ١٣٨٩هـ سير أعلام النبلاء ٣١/١٢ وما بعدها).

[5] - انظر : سير أعلام النبلاء ٣٤/١٢ .

[6] - هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ، معتزلي المذهب ،عالم باللغة والتفسير ، سافر إلى مكة وجاور بها زمناً فلقب بجار الله ثم عاد إلى الجرجانية في خوارزم ومات فيها سنة ٥٣٨هـ .من مؤلفاته: الكشاف في تفسير القرآن العزيز، أساس البلاغة . (انظر : وفيات الأعيان ١٦٨/٥- ١٧٤، الأعلام ٧/ ١٧٨) .

المبحث الأول

إحياء الفكر الاعتزالي في الغرب الحديث

١- التغريب والغزو الثقافي :

نبَّه الجندي في بداية حديثه عن استغلال الغرب الحديث للفكر الاعتزالي في بث الفرقة والخلاف بين صفوف المسلمين ومحاولة زرع الفتنه بينهم، فقال:"واليوم تحاول حركة التغريب والغزو الثقافي إثارة هذه المعركة على نحو أشد عنفاً وفتح باب الفتنة من جديد في محاولة لطرح هذه الشبهات والسموم التي سبق النظر فيها ودحضها والرد عليها مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامي وبأسلوب عصري،وفي أغلفة من الفكر الغربي الحديث،وفي أطر من أساليب التفسير المادي للتاريخ ، وفي تصوير خادع يستل حلقات ونقطاً ومواقف من بين أحشاء هذه المعركة في محاولة لتصوير هذه الحلقات على أنها صورة مستقلة يمكن عرضها والنظر فيها بذاتها بصرف النظر عن عصرها وارتباطاتها بالمشكلة كلها التي تعددت جوانبها وتشعبت فروعها ، ومن ذلك مثلاً ما يثار اليوم حول الاعتزال ومحاولة تصويره على أنه منهج عقلاني يتفق مع روح العصر ويصلح لأن يكون منطلقاً لتبرير الحضارة الحديثة وأوضاع المجتمعات البشرية اليوم " (١) .

ويقول الجندي :" إن محاولة الغزو الثقافي والتغريب في إحياء الاعتزال تحت اسم جديد هو العقلانية إنما يرمي إلى تمزيق وحدة الفكر الإسلامي الجامع بين العقل والوجدان "(٢).

ثم يقول :" ومن خلال دعوة بعض العلمانيين بما يسمى تجديد الأفكار والمفاهيم الإسلامية بما يساير العصر(عصر التنوير والمدنية والتقدم العلمي)،وبدعوى ما يتفق مع مقررات العقل البشري ولكي ينجح هذا الاتجاه كان لابد من البحث في تراث الإسلام نفسه ، وقد وجد ذلك في الفرق العقلانية المنحرفة القديمة التي كانت تعلن تحكيم العقل في الدين وأهمها المعتزلة وإخوان الصفا وبعض الفلاسفة . ومن تلك الاتجاهات فصل الدين عن الحياة وعن الدولة وعن العلم تقود ذلك مجموعات من القوميين والحزبيين والاشتراكيين والرأسماليين وسائر المنحرفين .إن دعوتهم هي محاولة إعطاء العقل وأحكامه حق النظر في العقيدة وأصول الدين كلياً وجزئياً" (٣) .

---

(١) - المؤامرة على الإسلام ، أنور الجندي ص٦ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ،أنور الجندي ١/ ٤١٨ ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٣٩٩هـ.

(٢) - تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ، أنور الجندي ص ١٢٨ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، مجلة منار الإسلام ص ٦٩- ٧٠ العدد العاشر .

(٣) - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ، أنور الجندي ،ص ٥٣٥، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .

٢- الاستشراق :

لقد وجد الفكر الاعتزالي في هذا العصر من يرعاه و يحتفي به وبأصحابه وخاصة المستشرقين فكان اتجاهه م إلي إحياء نوع من الكتب القديمة تمثل اتجاهاً فكرياً منحرفاً، فعملوا على نشر هذه الكتب وتحقيقها والتي منها كتب الاعتزال وهم بذلك يهدفون إلي "تفريق شمل الأمة وراء جيوب مختلفة من المعتقدات والنظريات حيث لم يكف القوى الخارجية ما طرحته من ماركسية واشتراكية ووجودية ومن بهائية و قاديانية " [١].

إن الفكر الاستشراقي كان يرمي إلي قطع العوائق من طريقهم وادعاء الالتقاء في الأصول وهو ما عبر عنه الجندي بقوله:"ولعل الاستشراق والتغريب يجدان في الاعتزال والمعتزلة منهجاً وافداً له صلته بالفكر اليوناني،فهم يعلون من شأنه لهذا الغرض ويرون مدى أثره في إفساد الفكر الإسلامي وبلبلة الآراء والحيلولة دون قيام الوحدة الجامعة فهم يجددونه ليكون له في العصر الحديث نفس الأثر القديم" [٢].

ومن هؤلاء ماسنيون[٣]:الذي تحدث عن التقصير في إحياء التراث ليمهد لما سماه الكشف الخطير على طريقته في المبالغة،حيث يقول:(إنه استكشف كتاباً عظيم الخطر في تاريخ الفلسفة الإسلامية هوكتاب «المغني»للقاضي عبدالجبار وهو كتاب يصور مذاهب المعتزلة في علم الكلام،تعرض فيه هذه المذاهب عرضاً مفصلاً وتناقش مناقشة مفصلة أيضاً) إذن فهذا هو المهم نشر كتاب في فكر المعتزلة يضلل الناس عن مفهومهم في التوحيد الخالص[٤] .

---

[١] - نفس المصدر ، ونفس الصفحة .

[٢] - المؤامرة على الإسلام،ص ١٩- ٢٠،مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٢٤ .

[٣] - هو : لويس ماسنيون ابن الطبيب الفنان فرناد ماسنيون ، مستشرق فرنسي صليبي له دراسات في التصوف عامه ، وفي الحلاج خاصة ولد في إحدى ضواحي باريس سنة ١٨٨٣م ومات سنة ١٩٦٢م (انظر: موسوعة المستشرقين ، د. عبدالرحمن بدوي ص ٣٦٣، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٩٩٣م).

[٤] - انظر : محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، ص ٣٥٠ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

المبحث الثاني

إحياء الفكر الاعتزالي في العالم الإسلامي الحديث

لقد اتجه عدد من المفكرين والكتَّاب والمثقفين الإسلاميين الذين انبهروا بالحضارة الغربية الحديثة وافتتنوا بفلسفاتها المادية فتأثروا بالفكر الغربي العقلاني المادي فحاولوا تفسير النصوص الشرعية وفق العقل الإنساني فلجأوا إلى التأويل كما صنع المعتزلة من قبل ثم أخذوا يلتمسون في مصادر الفكر الإسلامي ما يدعم تصورهم فوجدوا في المعتزلة بغيتهم فظهروا بصورة جديدة اسمها العقلانية،والتنوير،والتحديث والعصرانية وغير ذلك من المسميات البراقة وقد ذكر الجندي نماذج من أولئك قائلاً:"ومن المسلمين الذين مجدوا الاعتزال «أحمد أمين»[(١)]،«محجوب ميلاد»،«فاروق الدملوجي»،«محمد عمارة»[(٢)]...وقد حاول بعض المفكرين التماس مفهوم المعتزلة في أول العصر الحديث بعد أن درس ذلك لتلاميذه كالشيخ «جمال الدين الأفغاني»[(٣)] وتأثر به «محمد عبده» [(٤)] و«العقاد» [(٥)] و«إقبال» [(٦)]"[(٧)] .

---

(١) - هو: أحمد أمين بن الشيخ إبراهيم الطباخ عالم بالأدب ، غزير الإطلاع على الأدب ، من كبار الكتاب ولد سنة ١٢٩٥هـ درس بالأزهر ، وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية . يقول عن هزيمة المعتزلة وسقوط مذهبهم : " في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة " ضحى الإسلام ١٥٠/٣. توفي ١٣٧٣هـ. من مؤلفاته فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام .(انظر: الأعلام للزركلي ١٠١/١).

(٢) - محمد عمارة : كاتب ومفكر مصري معاصر ، ولد بكفرالشيخ عام ١٩٣١م درس بالأزهر تسع سنوات وأكمل تعليمه بكلية القاهرة وحصل على الماجستير والدكتوراه منها ، له أفكار خالف فيها المنهج الشرعي الصحيح ، وإن كان تراجع عن كثير من تلك الأفكار .ومن كتبه: التراث في ضوء العقل ، مشكلة الحرية الكاملة عند المعتزلة، الإسلام وقضايا العصر . (انظر : محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة للخراشي ١٠-٢٢، دار الجواب ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٣هـ).

(٣) - محمد بن صفدر الحسيني ، فيلسوف الإسلام في عصره ، ولد في أسعد آباد بأفغانستان سنة ١٢٥٤هـ ونشأ بكابل وتلقى العلوم العقلية والنقلية وبرع في الرياضيات،رحل إلى الهند وسافر منها إلى فرنسا ثم مصر وهي أخصب السنوات في تاريخ إنجازاته الفكرية والسياسية ،وكانت له جهود في مقاومة الاستعمار ،والرد على أصحاب الفكر المادي توفي سنة ١٣١٥هـ من مؤلفاته تاريخ الأفغان ، ورسالة الرد على الدهريين . (انظر : الأعلام ١٦٨/٦- ١٦٩، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، ص ٤٧وما بعدها).

(٤) - محمد عبده بن حسن خير الله ، من آل التركماني ، ولد سنة ١٢٦٦هـ في محلة نصر من ضواحي مدينة طنطا ، تعلم بالأزهر وعين مدرساً به ، مفتي الديار المصرية في وقته ، من كبار دعاة الإصلاح في العصر الحديث ، تأثر كثيراً بجمال الدين الأفغاني فكان من رواد المدرسة العقلية الحديثة. توفي سنة ١٣٢٣هـ .من كتبه تفسير القرآن الكريم ، رسالة التوحيد ، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية . (انظر :الأعلام ٦/ ٢٥٢، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي٩٦٩).

(٥) - هو عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد إمام في الأدب ، مصري ولد بمدينة أسوان سنة ١٣٠٦هـ ، وتوفي سنة ١٣٨٣هـ ، وله مؤلفات عدة منها : التفكير فريضة إسلامية ، وعبقرية إسلامية ، وعبقرية محمد ،وعبقرية خالد ، و المرأة في القرآن . (انظر: الأعلام ٢٦٦/٣ ، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٥٩٦- ٥٩٩).

(٦) - محمد إقبال ولد في سيالكوت بالبنجاب عام ١٨٧٧م ، نشأ في بيت أشتهر بالورع ، وتعلم في مدرسة إنجليزية ، واجتاز امتحانها بامتياز ، وترقى في التعليم حتى نال درجة الدكتوراه من جامعة ميونخ في الفلسفة . توفى عام ١٩٣٨م . من كتبه : تجديد الفكر الديني في الإسلام (انظر : موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٩١٠-٩١٣)

(٧) - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ، أنور الجندي ،ص ٥٣٦-٥٣٧ .

ومن أولئك الذين أخذوا على عاتقهم نشر الفكر الاعتزالي د. « زكي نجيب محمود» [1] والذي يزعم أنه إن كان لنا أن نحيي جزءاً من تراثنا الإسلامي فليكن الاعتزال ، حيث قال عنه الجندي :" فالعقلانية بالمعنى الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود نظرية مادية صرفة مرفوضة تماماً . وإذا كان هو وجماعة من المستشرقين والتغريبيين يعتزون من التراث بالجانب الخاص بالمعتزلة فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرافاً في مفاهيم الفكر الإسلامي " [2].

وعد الجندي «محمد عمارة » من المؤيدين للفكر الاعتزالي الذي قام بنشر تراثهم وفكرهم من جديد ونعتهم بفرسان العقلانية فقال عنه:"ومن ذلك ما نجده من تأليف الكتب وإذاعتها عن طريق دور النشر الكبرى عن المذاهب والفرق الإسلامية [3] بعد أن انطوت صفحتها وانتهى أمرها،ولم يعد لها وجود حقيقي في المجتمع الإسلامي،وهو عمل من أعمال الغزو الثقافي الذي يرمي إلي إحياء هذه الخلافات وتمزيق جبهة المسلمين والحيلولة دون التقاء المسلمين على وحدة الفكر الحقيقية المنبعثة من مفاهيم أهل السنة والجماعة،وبذلك فإن عمل محمد عمارة يقوم على نشر تاريخ الفرق الإسلامية مما يعد خطوة في هذا الطريق،وقد بدأ هذا العمل يؤدي دوره الخطير المسموم منذ بدأه أحمد أمين "[4] .

وسوف أتحدث عن بعض الذين أحيوا الفكر الاعتزالي في العالم الإسلامي كنماذج، منهم:

١- الشيخ/ محمد عبده :

لقد كان محمد عبده من أوائل الذين أسهموا في إحياء الفكر الاعتزالي،فقد أعطى للعقل أهمية ودوراً كبيراً،فأنكر بعض الغيبيات وأوَّلها باسم العقل،وجعله من أجلِّ القوى ،بل هو قوة القوى الإنسانية،وعمادها،حيث يقول محمد عبده:" اتفق أهل الملة الإسلامية،إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه،على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان:طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه،والثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة،حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل"[5].

---

(1) - زكي نجيب محمود باحث ومفكر علماني مصري معاصر ، عدّه الجندي من دعاة التغريب. ممثل الفلسفة الوضعية في العالم العربي ، ولد عام ١٩٠٥م ، نال الدكتوراه من جامعة لندن ،ودرّس بجامعة القاهرة نال جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٦٠م عن كتابه نحو فلسفة علمية ، توفي عام ١٩٩٣م، من كتبه : المنطق الوضعي ، نظرية المعرفة ، خرافة الميتافيزيقا ، تجديد الفكر العربي . (انظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص٤١٥-٤١٩، ذيل الأعلام ، أحمد العلاونة ٨٨ ، دار المنارة ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ).

(2) - شخصيات اختلف فيها الرأي ، أنور الجندي ، ص١١٧، دار الأنصار ، القاهرة .

(3) - مثل : التراث في ضوء العقل ، ومشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة ،و نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة .

(4) - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، ص٣٠١، دار الاعتصام ، القاهرة .

(5) - الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، جمع وتحقيق د.محمد عمارة، ٢٨٢/٣ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط الأولى،عام ١٩٧٨م .

وهكذا يتضح أن «محمد عبده»،بإعلائه شأن العقل،وجعله معياراً وميزاناً لنصوص الوحي،إنما هو امتداد للفكر الاعتزالي [١] .

٢- د. طه حسين [٢] :

وفي هذا العصر وجد عدد من العلمانيين المتغربين الذين تبنوا هذا الفكر دعوةً وإحياءً ومنهم الدكتور «طه حسين»،والذي استطاع الجندي رحمه الله أن يكشف مؤامراته وخططه في بعث التراث الزائف وتمجيد الفرق المنحرفة و الحركات الباطنية،يقول الجندي عنه:"إن مراجعة الأعمال التي تصدى «طه حسين» لإحيائها من التراث تكشف هويته وغايته،فهو يطمع في إحياء كتب المعتزلة والفلاسفة والباطنية ،والتصوف الفلسفي " [٣].

---

[١] - دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر ،د. جمال المرزوقي ، ص ١٣١، دار الآفاق العربية ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ .

[٢] - هو طه حسين علي سلامة ، أديب مصري مشهور،ولد سنة ١٣٠٧هـ ،كان وزيراً للمعارف في مصر، اتهم بالإلحاد في جملة من كتاباته السيئة .من مؤلفاته : في الشعر الجاهلي،على هامش السيرة ،ومستقبل الثقافة في مصر .مات سنة ١٣٩٣هـ .(انظر: الأعلام ٣/٢٣١) .

[٣] - محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، ص ٣٥٠ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

المبحث الثالث :

موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي

أولاً: وقف الجندي من دعاة إحياء الفكر الاعتزالي بكل قوة حيث بيَّن فساد هذا التصور قائلاً:"والواقع أن هذا التصور ليس سليماً وليس صحيحاً.ذلك أن الاعتزال لا يمثل الإسلام بنظرته الجامعة المتكاملة التي تربط بين العقل والوجدان فضلاً عن أن الاعتزال نفسه لم يكن في داخل قضية احتواء الاسلام إلا خيطاً من خيوط كثيرة متشابكة،وأنه عجز في إبان استعلائه عن أن يكون تعبيراً صادقاً بل لقد كان استعلاؤه خطراً كبيراً أحدث أسوأ الأثر في مصادرة الرأي والنأي عن الحق...وإذا كنا نجد اليوم من يحاول أن يتصور أن التراث الإسلامي يمكن تجزئته،وأن خير ما فيه هو عقلانية المعتزلة،فإن ذلك يختلف مع النظرة الإسلامية الجامعة التي لا ترى هذا الرأي"(1) .

ثانياً: لقد وافق كثير من العقلانيين أصحاب الفكر الغربي في زعمهم أن هزيمة المعتزلة وانتصار أهل السنة نكسة تاريخية وضررٌ بالإسلام والمسلمين وعاملٌ من عوامل التخلف والجمود،ومن هؤلاء«أحمد أمين»حيث قال:"في رأيي أن من أكبر مصائب المسلمين موت المعتزلة"(2).

مما جعل الجندي يقف من هؤلاء موقفاً حازماً بين فيه كذب وبطلان زعم أصحاب هذا الرأي،فقال:" هؤلاء الباحثون هم إما مغرضون يعرفون الحقيقة ويتجاهلونها في سبيل تمويه الأمور وغش القراء وتضليلهم عن حقيقة تاريخ الإسلام وفكره،وإما هم مع الأسف لم يستوعبوا حقائق الإسلام و لم يفهموه فهماً صحيحاً،وربما فهموه من داخل دائرة الفكر الغربي الذي كان دائماَ سيئ الرأي في الإسلام وفي الأديان عامة ، والحقيقة أن هزيمة المعتزلة – على حد تعبيرهم –كانت نتيجة طبيعية لاختلاف هذه الدعوة مع جوهر الإسلام ومع طبيعة الفكر الإسلامي ومنهج المعرفة فيه،هذا المنهج الذي يقوم على جماع العقل والوجدان ، لقد كان الاعتزال أساساً محاولة أصيلة لمواجهة المذاهب الفلسفية التي كانت تحتمي وراءها الأديان المعارضة للإسلام وقد أدى دوره في هذا المجال على أحسن وجه،وواجه علماء

---

(1) - المؤامرة على الإسلام ص ٦- ٧ ،مقدمات العلوم والمناهج ١ / ٤١٨ -٤١٩ .

(2) - ضحى الإسلام ، أحمد أمين ١٥٠/٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى عام ١٤٢٥هـ .

الكلام في الأديان والفلسفات الأخرى في قوة وأدال منهم وحقق كثيراً من النتائج وأدخل فئات من الوثريين في الإسلام"[1].

ثالثاً: لقد أحسن الجندي في بيانه أثر إحياء هذا الفكر الاعتزالي على الأمة الإسلامية، وخاصة على الشباب،فقال"ولما كانت هذه الدعوات الجديدة تواجه شباباً غضاً قليل المعرفة ،ليست له أرضية إسلامية في مجال التربية بالأسرة،أو مجال التعليم بالمدرسة فإن المظاهر الخلاّبة التي تبدو من وراء الكلمات البراقة تخدع الكثيرين وأخطر ما يتردد الآن الكتابة عن الفرق ، والنحل القديمة من منظور حيادي كاذب،يرمي في حقيقته إلى التركيز على السموم الناقعات التي عرضها أصحاب هذه المذاهب قديماَ ودحضها العلماء المسلمون ، والآن يجري عرضها مرة أخرى في خداع شديد بين مجموعات من الشباب المسلم الذي لا يعرف مدى حقيقتها ولا يدري كيف كان وضعها وكيف كان دعاتها من الزنادقة المضللين ،بل إن البعض يسعى لتقديم تاريخ زائف لهذه الأسماء في محاولة لوصفها بالبطولة وحرية الفكر" [2].

رابعاً: أجاد الجندي وأفاد في نقده العقل الذي هو أساس المعرفة عندهم ، وأوثق مصادر التلقي لديهم؛لذا شنع عليهم في ذلك الأصل الذي يجمعهم ألا وهو تقديس العقل وجعله مقدماً على الوحى فقال:" لقد أُعْطي الإنسان أمانة الحياة،وأُعْطي العقل والقلب ، ولم يكن عقله إلا جهازاً في وظيفته في حدود المعطيات والقوى المختلفة ، ولم يعط هذا العقل القدرة الكاملة على كشف كل شئ ، أو الوصول إلى كنه الوجود وأعماق الغيب.ولكنه أُعْطي مفاتيح الحقائق عن طريق الوحى أو العلم ، فأصبح له طريقه الواضح من خلال هذه المعطيات المتاحة فإذا مضى في هذا الطريق،أضاء وأعطى،أما إذا أراد أن يمضي بالعقل وحده ليكشف كل شيء، لم يجد الطريق واضحاً ، وعجز عن أن يصل إلى الحقيقة .ومن هنا كان خطر القول بقداسة العقل،أو سلطان العلم،هذه الدعوى التي حملتها الفلسفات،ورفع لواءها الفكر البشري في محاولة للاستقلال أو التجرد عن مفاتيح المعرفة الأصلية التي ألقاها الحق تبارك وتعالى لخلقه عن طريق رسالات الأنبياء والكتب المترلة " [3].

---

[1] - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ص ٢٣٠، دار الاعتصام ، القاهرة ،وأخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ،أنور الجندي ص ١٣٠،دار الكتاب اللبناني،بيروت،عام ١٩٨٢م،والقيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ، أنور الجندي ص ١٩١، مطبعة الرسالة ، القاهرة . ولقد كان للمعتزلة جهود في دعوة الكفار والرد على شبه الملاحدة والمنكرين للنبوة والمعاد كما قال الجندي ولكن بسبب غلوهم في العقل وتقديمه على النقل جعل خصومهم يتفوقون عليهم –كالفلاسفة – وما قدموه بعقولهم مما يعلم بضرورة العقل فساده وامتناعه ولذلك قال شيخ الإسلام عنهم : «لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا » ٠(انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ٣/٣٤٥)

[2] - تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ، أنور الجندي ص١٢٧، مجلة منار الإسلام ص ٦٩ العدد العاشر .

[3] - شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ص ١٨٥، المكتب الإسلامي ، بيروت عام ١٣٩٨هـ .

خامساً:أهم الأخطاء التي أخذها الجندي على الفكر الاعتزالي:

خروج المعتزلة على المنهج السلفي أدى إلى الانحراف في عقيدها وفي أفكارها فنجدهم ابتدعوا القول بالمجاز في صفات الله تعالى والسمعيات،وزعموا أن أول واجب على المكلف ليس الشهادتين والتوحيد كما هو مقرر في نصوص الشرع،بل زعموا أنه النظر،أي الاستدلال على الله بالأدلة العقلية أولاً،وكذلك من منهجهم الخاطئ في إثبات وجود الله تعالى وربوبيته عن طريق إثبات الجواهر والأجسام ،و هي طرق فلسفية عسيرة ملتوية يغني عنها الدليل العقلي والفطري[1].

وجملة القول أن ضلال المعتزلة في مصادر التلقي والاستدلال أدى إلى ضلالهم وبعدهم عن المنهج السلفي في سائر أمور العقيدة، ووقوعهم في أخطاء كثيرة منها ما يلي:

١ - تقديم العقل على النقل :

وهذه البدعة الشنيعة أضحت من عقائدهم المتأصلة قديماً وحديثاً فقام الجندي بتشخيص هذا الانحراف عندهم وعند غيرهم من أصحاب الاتجاه العقلاني في كثير من كتبه ومقالاته، فمن ذلك قوله: "اعتمدت المعتزلة العقل ولو خالف ظاهر النقل وبذلك خرجوا عن مفهوم السنة الأصيل،(فلقد كان القرآن هو المصدر الأصيل يرجع إليه الباحثون وإلى السنة،لا يصدرون عن غيره ولا يطمئنون إلى سواه،كانوا يفهمون العقائد من آيات الكتاب وهي بينات،وما اشتبه عليهم حاولوا فهمه بأساليب اللغة وهم بها خبراء وإن تعذر عليهم توقفوا وفوضوا الأمور لله[2]) غير أن المعتـزلة خالفوا هذا المنـهج وحكموا العقـل في كل شيء وجعلوه أساس بحثهم"[3].

---

[1] - انظر : الجهمية والمعتزلة نشأتهما وأصولهما ومناهجهما وموقف السلف منهما قديماً وحديثاً ، د. ناصر العقل ، ص ١٨٦- ١٨٨ .

[2] - التفويض إذا أطلق عند السلف فيراد به أحد أمرين إما التفويض العام و هو إمرار النصوص على ظواهرها ، من غير سؤال عن كيفيتها والإيمان بما دلت عليه من معاني معلومة من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل أو تفويض خاص في نصوص معينة اشتبهت اشتباهاً خاصاً على شخص معين فالواجب عليه تفويض معنى ذلك النص إلى الله حتى يتبين له . (انظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ، د.أحمد القاضي ص ٩٣ ، ٩٤ ، دار ابن الجوزي،ط الثانية ، الدمام ، عام ١٤٢٤هـ). يقول : الشيخ العثيمين رحمه الله " إن الوضوح والإشكال في النصوص الشرعية أمر نسبي ، يختلف به الناس بحسب العلم والفهم ، فقد يكون مشكلاً عند شخص ، ما هو واضح عند آخر ، والواجب عند الإشكال اتباع ما سبق من ترك التعرض له والتخبط في معناه ، أما من حيث واقع النصوص الشرعية فليس فيها بحمد الله ما هو مشكل لا يعرف أحد من الناس معناه فيما يهمهم من أمر دينهم ودنياهم ؛ لأن الله وصف القرآن بأنه نور مبين ، وبيان للناس ، وفرقان ، وأنه أنزله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة ، وهذا يقتضي ألا يكون في النصوص ما هو مشكل بحسب الواقع بحيث لا يمكن أحداً من الأمة معرفة معناه " (انظر : شرح لمعة الاعتقاد ، للعلامة الشيخ محمد العثيمين ،حققه،وخرج أحاديثه أشرف عبدالمقصود ، ص٣٣ ، مكتبة البخاري ، الإسماعيلية ، ط الثانية ، عام ١٤١٢هـ).

[3] - المؤامرة على الإسلام ص ٢٠.

وقال: " ومن رأى المعتزلة أنه إذا تعارض العقل والنقل يتبع العقل وقد رفع المعتزلة منار العقل حقاً ولكنهم اعتمدوا على العقل كلياً في كل آرائهم،فالعقل عندهم هو مصدر الواجبات الدينية والخلقية ، وهو الذي يوجب الإنسان النظر والبحث حتى يتوصل إلى معرفة الله ، والعقل هو مصدر الخير والشر يوجب على الإنسان أن يفعل الخير ويترك الشر،وإذا كان المعتزلة قد رفعوا شأن العقل فقد استمدوا ذلك من مفهوم القرآن وقيم الإسلام نفسه ولم يكن ذلك منبعثاً من الفلسفة اليونانية كما يدعي جولدسيهر [1]،فإن مفهوم العقل في الإسلام وفي آيات القرآن وأحاديث الرسول صريح واضح الدلالة ، غير أن الذي يمكن لفت النظر إليه أن الإسلام حين أعلى شأن العقل لم يفرده بالحكم والقضاء بل خلق توازناً بينه وبين البصيرة والوجدان "[2] .

٢- الاحتكام إلى العقل وسلطته :يقول الجندي:" ولعل أخطر مقولتهم : هي قولهم بسلطة العقل وقدرته على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شرع ، يقول السيد أبو الحسن الندوي : أسرف المعتزلة في تقدير سلطان العقل وحدود العلم الإنساني .والرأي : أن العقل أضعف من ذلك وأن استطاعته محدودة بإدراك ما يتعلق بشأنه هو ، وأنه منح القدرة على أن يدرك البرهان على وجود الله والنبوة العامة ونبوة محمد خاصة ، ولم يمنح القدرة على معرفة كنه الله وصفاته" [3] .

هذا الكلام الذي ذكره الجندي عليه بعض الملاحظات :

أ- عاب الجندي على المعتزلة قدرة العقل على معرفة الحسن والقبيح ولو لم يرد بها شرع ، وهذا نفس قول أهل السنة والجماعة في باب المعرفة ؛ لأن الحسن والقبح فيه ثلاثة مقامات وهي المعرفة ، والحكم ، الوجوب بالثواب أو العقاب ، فنجد أن أهل السنة والجماعة يتفقون في المقام الأول وهو المعرفة لكنهم يختلفون معهم في الوجوب التكليفي فعند أهل السنة بالشرع ، وعند المعتزلة بالعقل وكذلك الثواب والعقاب يترتب على الشرع عند أهل السنة وعلى العقل عند المعتزلة . ولذلك الجندي جاء بالمقام الأول وهو المعرفة والأولى أن يخالفهم على الحكم التكليفي[4] .

---

[1] - جولدسيهر : هو إجناس كولد صهر مستشرق مجري ولد سنة ١٢٦٦هـ تعلم في بودابست وبرلين وهاجر إلى سورية وتعرف على الشيخ طاهر الجزائري وصحبه مدة ، لازم بعض علماء الأزهر توفي سنة ١٣٤٠هـ من مؤلفاته: العقيدة والشريعة في الإسلام. (انظر: الإعلام ٨٤/١)

[2] - القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ص ٥٤ – ٥٥.

[3] - المؤامرة على الإسلام ص ٢١ ، مقدمات العلوم والمناهج ٤٢٦/١ .

[4] - انظر: مجموع الفتاوى ٨/ ٦٧٧- ٦٨٦، ١١/ ٦٧٦-٦٧٧، الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، د. محمد المدخلي ص٩٠

ب- وقع الجندي في خطأ منهجي وهو عندما ذكر كلام أبي الحسن الندوي بعد مسألة القبح والحسن عند المعتزلة مباشرة،يتبادر إلى الذهن أنه استشهاد على ذات المسألة وتعضيدها ولكن في الواقع الكلام بعيد جداً عن هذا وليس فيه إلا نقد منهج المعتزلة العقلي في الجملة .

وقال الجندي: " فإن دعوى الاحتكام إلى العقلانية في المسائل المقررة في الإسلام والتي هي من الغيبيات لا تقبل ، لان العقل وحده ليس كافياً ولو كان كافياً لقيادة الحياة لما كانت هناك حاجة إلى الرسل الذين أرسلهم الحق تبارك وتعالى للناس ، فالذي يقول إن العقل يحيط بكل شيء ينقص من كمال الإسلام الجامع بين جوانب العقل والقلب ، والروح والمادة ، وعالمي الغيب والشهادة " [(١)].

٣- فتح باب التأويل[(٢)]الفاسد :

يقول الجندي : " أخطر ما عمد إليه المعتزلة فتح باب التأويل على مصراعيه فأولوا الدليل النقلي إذا لم يتفق مع ما انتهوا إليه في بحثهم العقلي ، واستشهدوا به إذا كان يتفق مع القيمة العقلية التي خلصوا إليها ، بل أنكروا الدليل النقلي في مجال الأحاديث النبوية إذا لم يجدوا وسيلة إلا ذلك ، فهم أمام النصوص يسلمون ما وافق منها البرهان العقلي ويؤولون ما خالفه ، فالعقل هو الحكم في الآيات المتشابهات وهو الحكم على الحديث ليقرر عدم صحته إذا لم يوافق العقل ويحتمل التأويل ، وقد تطرف المعتزلة في التأويل العقلي حتى بلغوا نفي الصفات الإلهية ومنها وصلوا إلى التعطيل وهذا أسوأ ما وصل إليه غلو المعتزلة[(٣)].

٤- القول بخلق القرآن :

كانت بدعة القول بأن القرآن مخلوق مسلكاً خطيراً في تاريخ الحياة الفكرية والعقائدية في حياة الأمة المسلمة عبر عنها أنور الجندي بقوله: "تعد فكرة- القول- بخلق بالقرآن من

---

(١) - أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ، أنور الجندي ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، دار الفضيلة ، القاهرة

(٢) - التأويل في اللغة يرجع إلي معنيان رئيسيين :أحدهما : العاقبة ، والمرجع ، والمصير ، والثاني : التفسير ، والتدبر ، والبيان . وفي الاصطلاح ينقسم إلي قسمين : فالأول في استعمال السلف وأهل اللغة المتقدمين ويراد به العاقبةوالتفسير فيأتي بمعنى العاقبة وهو الغالب في استعمال القران ، ويأتي بمعني التفسير وهو اصطلاح الصحابة والسلف وكثير من أهل العلم المتقدمين . وأما الثاني وهو اصطلاح المتأخرين فمعناه صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلي الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك . (انظر : الكليات لأبي البقاء الكوفي ص ٢٦١، منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة .د. عثمان علي حسن ٢/ ٥١٧، دار الرشد ، الرياض ، ط الثانية ، ١٤١٣هـ)

وحكم التأويل على ثلاثة أقسام :

الأول : أن يكون صادراً عن اجتهاد وحسن نية بحيث إذا تبين له الحق رجع عن تأويله فهو معفو عنه .

الثاني : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وله وجه في اللغة العربية فهو فسق،وليس بكفر إلاّ أن يتضمن نقصاً أو عيباً في حق الله فيكون كفراً.

الثالث : أن يكون صادراً عن هوى وتعصب وليس له وجه في اللغة العربية فهذا كفر لأن حقيقتهالتكذيب من حيث لا وجه له . (انظر : شرح لمعة الاعتقاد للشيخ ابن عثيمين ص ٣٤)

(٣) - المؤامرة على الإسلام ص٢٤ ، مقدمات العلوم والمناهج ٤٢٨/١ .

أخطر ما وصل إليه المعتزلة من استعلاء عقلي وهو في نفس الوقت مقتلهم ومصدر هزيمتهم الساحقة . . . فقد وصف المعتزلة القرآن بالمخلوق اختلافاً ومعارضة مع ما يراه مفهوم الإسلام الأصيل من أن القرآن هو كلام الله لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق "(١).

لا يوافق الجندي على قوله : إن القرآن هو كلام الله لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، فهذا كان قبل أن يتبنى الجهمية والمعتزلة القول بخلق القرآن أما بعده فقد رد علماء السلف بالنفي والإنكار فقالوا : «القرآن كلام الله غير مخلوق» (٢).

وذكر الجندي فصول تلك المحنة العظيمة التي ألمت بأهل الحديث وأهل السنة وقد امتدت سبعة عشر عاماً وقد أثبت فيها الجندي رحمه الله أن بطلها الأول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي ثبت ثبات الأبطال ، فلم يرضخ ويأخذ بالتقية في أمر يمس العقيدة فقال: " وكانت وقفة ابن حنبل إزاء هذا التيار الجارف المتمكن بقوة السلطة أماناً للنفس الإسلامية مما حفظ لها مفهوم الإسلام الأصيل دون تحريف يخرجه عن جوهره وبساطته ومنابعه الأولى "(٣).

---

(١) - المؤامرة على الإسلام ص٢٥ ، مقدمات العلوم والمناهج ٤٢٨/١ .

(٢) - انظر : معجم المناهي اللفظية ، ص ٦٢٢.

(٣) - المؤامرة على الإسلام ص٢٩ ، مقدمات العلوم والمناهج ٤٣١/١ .

تعقيب

من خلال تلك الجهود التي قدمها الجندي في مناقشة أصول الفكر الاعتزالي البعيدة عن روح الإسلام وسلامة الفطرة يتبين لنا سلامة موقفه من ذلك الفكر وأنه سلك معهم موقف العلماء المعتبرين من أئمة السلف فنجده قد بين ما يلي :

١- ذكر الجندي خمسة أصول للمعتزلة [1]،لكنه لم يذكر الأصل الخامس وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،بل ذكر بدلاً منه العقل.وهو لا يعد من أصولهم الخمسة بل يعتبر من مصادر التلقي عندهم .

٢- اعتمد الجندي في حديثه عن المعتزلة ونقده لها على مؤلفات أصيلة للسلف مثل كتب شيخ الإسلام «ابن تيمية »« منهاج السنة »،و«مجموع الفتاوى »،وكتب تلميذه « ابن القيم » ، بالإضافة إلى كتب الفرق المؤصلة مثل كتاب «الملل والنحل » ،و«مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين»،و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» ،كما رجع إلى كتب المعتزلة أنفسهم مثل كتاب «الانتصار في الرد على ابن الراوندي» ، ونجده استفاد من كتاب الشيخ «مصطفى صبري[2]» «موقف العقل و العلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين».

٣- اهتم الجندي خلال نقده للمعتزلة لأهم مصدر للتلقي عندهم وهو العقل فذكر جملة من النصوص الشرعية التي تبين موقف الإسلام من العقل وتقديره له لكن في غير ما غلو و إسراف.

٤- قام الجندي بذكر بعض الكتّاب والمفكرين الذين قاموا بإحياء الفكر الاعتزالي في العالم الإسلامي،وقد انصب حديث الجندي في الغالب على جانب واحد وهو مصدر المعرفة عندهم وتقديسهم له وهو العقل ، لكنه أغفل قضايا أخرى أخذ دعاة إحياء الفكر الاعتزالي بالحديث عنها فمثلاً نجد د. «محمد عمارة» يكتب كتاباً كاملاً وهو «المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية» لنصرة قولهم في القدر ، ومثله «حسين أمين»[3] الذي يرى أن عقيدة الإيمان بالقدر

---

[1] - انظر: القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ، للجندي ص ٥٧.

[2] - هو مصطفى صبري التوقادي بن أحمد بن محمد القازابادي ، ولد في مدينة توقاد سنة ١٢٨٦هـ ، حفظ القرآن الكريم في صغره ، وكان محباً للعلم والعلماء ، انتقل إلى مصر عندما ضيق عليه من الاتحاديين ، توفي في الإسكندرية سنة ١٣٧٣هـ ، من كتبه : المجددون الدينيون ، موقف البشر تحت سلطان القدر. (انظر : الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد د. مفرح القوسي ص ٦٣ وما بعدها ، من منشورات مركز الملك فيل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ) .

[3] - حسين أحمد أمين ، ولد بالقاهرة سنة ١٩٣٢م ، مصري ، علماني ، شديد الهجوم على الإسلام والمتمسكين به ينطلق من قاعدة إلحادية شيوعية،تخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ثم درس الأدب الإنجليزي بجامعة لندن ، تنقل في أعمال كثيرة منها المحاماة والإذاعة ،والسلك الدبلوماسي المصري حتى وصل إلى سفير . من كتبه : معضلة الرجل الأبيض ، حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية .(انظر : الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية للقوسي ص ٦٩ ،دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ).

عقيدة بدوية ، لا تناسب المدنية والتطور الذي يشهدهما العالم اليوم ، وكذلك مسألة خلق القرآن والذي يسعى إليه أصحاب الفكر الاعتزالي العلماني ؛ وذلك لتحقيق مآرب فكرية تتصل بإزاحة أو زحزحة البعد الغيبي عن النص القرآني .

٥- امتدح الجندي بعض أئمة المعتزلة مثل «واصل بن عطاء » و«النظام»[١] و «العلاف»[٢] ومدحهم بدفاعهم عن الإسلام ضد المذاهب المختلفة من التيارات والأديان المنحرفة [٣] ، وهذا المدح والثناء لا يوافق عليه الجندي،فإن هؤلاء المعتزلة قد جرّوا على الإسلام من الويلات والمقالات؛نتيجة تأثرهم بمقالات أهل الباطل والزيغ ، واستخدامهم في مجادلة هؤلاء علم الكلام الذي حذر منه علماء السلف .

٦- استشهد الجندي بكلام للإمام أبي حامد الغزالي في موافقة العقل الصحيح على النقل الصريح وأخذ الغزالي بذلك.ولكن الجندي لم يذكر موقفه الآخر من العقل،وهو الذي يطابق فيه تماماً ما ذهب إليه المتكلمون من تفضيل العقل على الشرع خاصة عند التطبيق والتفصيل،و استدلالهم بالدليل النقلي إنما يكون على سبيل الاعتضاد لما يوافق أهواءهم ،يقول الغزالي:"كل ما ورد السمع به ينظر:فإن كان العقل مجوزاً له وجب التصديق به قطعاً،إن كانت الأدلة السمعية قاطعه في متنها ومستندها لا يتطرق إليها احتمال،ووجب التصديق بها ظنًّا إن كانت ظنية...وما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به...فإن توقف العقل في شي من ذلك فلم يقض فيه باستحالة ولا جواز وجب التصديق أيضاً لأدلة السمع ، فيكفي في وجوب التصديق انفكاك العقل عن القضاء بالإحالة "[٤].

---

[١] - النظام هو: إبراهيم بن سيار هاني البصري،من كبار علماء المعتزلة ، وهو رأس الفرقة النظامية ، وهو شيخ الجاحظ ، توفي سنة ٢٣١هـ من كتبه : الطفرة ، الجواهر والأعراض ، النبوة . (انظر : طبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ٤٤ ، سير إعلام النبلاء ٥٤١/١٠)

[٢] - هو محمد بن الهذيل العلاف ، من أئمة المعتزلة ولد في البصرة سنة ١٣٥هـ ، له مقالات في الاعتزال وجالس ومناظرات ، كف بصره في آخر عمره ، وتوفي بسامراء سنة ٢٣٥هـ ، (انظر : الأعلام ١٣١/٧)

[٣] - انظر: القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ص ٦٣.

[٤] - الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص ١٣٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٠٣هـ .

الفصل الثاني : موقفه من إحياء الفكر الصوفي الفلسفي وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول: معنى التصوف.

المبحث الثاني : نشأة التصوف ومراحله .

المبحث الثالث : قضايا التصوف الفلسفي .

المبحث الرابع : إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في الغرب الحديث.

المبحث الخامس:إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في العالم الإسلامي .

المبحث السادس:موقف الإسلام من التصوف.

المبحث السابع : موقف أَنور الجندي من التصوف الفلسفي.

الفصل الثاني

موقفه من إحياء الفكر الصوفي الفلسفي

المبحث الأول

معنى التصوف

أولاً: عند علماء اللغة

تأتي كلمة صوف في معاجم اللغة على عدة معاني منها :

الصوف المعروف وهو شعر الحيوانات ونحوها ، ومنها صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة،وتأتي بمعنى عدل ومال،كما يقال صاف السهم عن الهدف يَصُوفُ ويصيفُ أي عدل عنه،ومنه قولهم : صاف عنَى شّر فلان ، وأصاف الله عنّي شره[1].

اشتقاقات كلمة الصوفية :

سبب تسمية الصوفية بهذا الاسم:يوجد خلاف كبير منذ القدم في معنى التصوف والنسبة إليه على أقوال عديدة أبرزها ما يلي :

١- الصف الأول :

لقد نسبت الصوفية إلى هذا الاسم.وذهب إلى هذا القشيري[2] حيث قال:"فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح ، ولكن اللغة لا تقتضى هذه النسبة إلى الصف "[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :" وهذا غلط من حيث الاشتقاق اللغوي أيضاً ؛ لأن النسبة الصحيحة إلى الصف إنما هي صَفّي "[4]

٢- الصُّفّة :قيل سموا صوفية نسبة إلى الصُّفّة التي كانت لفقراء الصحابة رضي الله عنهم على عهد رسول ﷺ في آخرة المسجد النبوي [5]،وقد منع هذا الاشتقاق القشيري وشيخ الإسلام ابن تيمية؛لان النسبة إلى أهل الصفق هي«صفي»[6]

٣-الصفاء :

---

[1] - انظر : مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون ٣/ ٣٢٢ ، دار الفكر ، بيروت، لسان العرب ٩/ ٢٠٠ ، القاموس المحيط ٣/ ١٦٩، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار ٤/ ١٣٨٨، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ١٣٩٠م، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ص ٥٢٩ ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٤١٦هـ .

[2] - هو أبو القاسم ، عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحه النيسابوري الخراساني القشيري ، ولد سنة ٣٧٥هـ ، من شيوخ الصوفية ، توفي سنة ٤٦٥هـ ،من كتبه : الرسالة القشيرية . (انظر : سير أعلام النبلاء ١٨/ ٢٢٧-٢٣٣).

[3] - الرسالة القشيرية للإمام أبي القاسم القشيري ،تحقيق د. عبدالحليم محمود ،د.محمود الشريف ،٢/ ٤٤٠،دار المعارف، القاهرة .

[4] - مجموع الفتاوى ١١/ ٦،الصوفية والفقراء ،لابن تيمية ص ١١. ترتيب وتحقيق محمد طاهر الزين ،مكتبة السندس ،ط الأولى،عام ١٤١٣هـ .

[5] - انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ،ص٢٢٧،المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط الثالثة، عام ١٤١٢هـ ،

[6] - انظر : الرسالة للقشيري ٢/ ٤٤٠ ، مجموع الفتاوي ٦/١١.

أنه من «الصفاء»،والمعنى صفاء القلب والروح والُخُلق،وصفاء السلوك العام ،فهم يزعمون أن الصوفية أكثر الناس صفاءً [1]،ومال إليه «أبو نعيم الاصبهاني» [2] حيث قال:"اشتقاقه عند أهل الإشارات والمنبئين عنه بالعبارات:من الصفاء والوفاء" [3]،وقد منع القشيري هذا الرأي بقوله:"ومن قال:من الصفاء،فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة"[4]،وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[5] وابن خلدون[6].

٤- السوفية :

ذكر البيروني [7] أن كلمة الصوفية أصلها من «السوفيه» وهم الحكماء من «سوف» باليونانية التي تعني الحكمة و بها سمي الفيلسوف «بيلا سوفيا» أي محب الحكمة[8].

وقد مال بعض الباحثين المعاصرين إلى هذا القول منهم المستشرق فون هامر [9]، ود.محمد الكحلاوي[10]،ود.لطف الله خوجه[11]،وغيرهم،وقد منعه ورده بشدة المستشرق نولدكه [12].

٥- الصوف :

ونسبه قوم آخرون إلى «الصوف»، أي سموا صوفية للبسهم الصوف،وممن قال بهذا السراج

---

[1] - انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٦.

[2] - هو أحمد بن عبدالله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ولد بأصبهان سنة ٣٣٦هـ ، حافظ مؤرخ ، توفي سنة ٤٣٠هـ ، من كتبه : حلية الأولياء وطبقات الحفاظ ، دلائل النبوة . (انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣- ٤٦٤) .

[3] - حلية الأولياء ١/ ١٧، دار الكتاب العربي ، بيروت .

[4] - الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم القشيري ٢/ ٥٥٠ – ٥٥١.

[5] - انظر : مجموع الفتاوى ١/ ٣٩٦.

[6] - مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧، دار الفكر .

[7] - هو محمد بن احمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي ، ولد سنة ٣٦٢هـ ، فيلسوف،رياضي ،مؤرخ ، أقام بالهند مدة،له مصنفات منها : التفهيم لصناعة التنجيم ، تاريخ الأمم الشرقية ،تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة.توفي سنة ٤٤٠هـ .(انظر: الأعلام ٥/ ٣١٤)

[8] - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة،للبيروني،تقديم د. محمود علي مكي ص ٢٤-٢٥،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة ، ط أولى ، عام ٢٠٠٣م .

[9] - فون همر (١٧٧٤م – ١٨٥٦م) مستشرق نمساوي ، وكان فون يتقن ثلاثة لغات : العربية ، التركية ، الفارسية ، واهتم بكتاب ألف ليلة وليلة وبعض كتب الأدب الشعبي . من كتبه : تاريخ الحشاشين (الإسماعيلية)، وتاريخ الإمبراطورية العثمانية(انظر : موسوعة المستشرقين ، د. عبدالرحمن بدوي ص ٦١٣-٦١٥).

[10] - انظر : مقاربات وبحوث في التصوف المقارن، د. محمد الكحلاوي ص ٨٦، دار الطليعة ، بيروت ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٨م

[11] - انظر : هذه هي الصوفية،مجلة البيان ،الرياض،:العدد٢١٤،جمادى الآخرة سنة١٤٢٦ص١٨/١٧

[12] - تيودور نولدكه (١٨٣٦- ١٩٣١) مستشرق ألماني ، ويعد من أبرز المستشرقين الألمان ، وكان يتقن اللغة العربية ، وحصل على شهادة الدكتوراه وهو في سن العشرين ، وقد عكف على قراءة المخطوطات العربية في المكتبات الأوربية ، وعمل في عدد من الجامعات محاضراً للنحو العربي .من كتبه : تاريخ القرآن ، أبحاث لمعرفة شعراء العرب القدماء .(انظر : موسوعة المستشرقين ص ٥٩٥- ٥٩٨)،ولكلام نولدكه انظر : (دائرة المعارف الإسلامية ، إعداد وتحرير : إبراهيم خورشد وآخرون ج ٥ مادة «تصوف»، دار الشعب،القاهرة ،الصوفية في الإسلام ، د. نيكلسون ،ترجمه وعلق عليه : نور الدين شريبه ص ١١، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

الطوسي[١][٢] ، والكلاباذي[٣][٤]،وابن خلدون[٥] ، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيميه بقوله:" والنسبة في «الصوفية » إلى الصوف ؛ لأنه غالب لباس الزهاد " [٦] ، وقال كذلك :" واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح "[٧]

ثانياً : معنى التصوف اصطلاحاً:

يوجد له تعريفات كثيرة ،ومن ذلك ما يلي :

١- تعريف الجنيد[٨] :

لقد ذكر الجنيد أكثر من تعريف للتصوف ، وذلك حينما سئل عن التصوف فقال :" أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة " [٩].

وقال كذلك: " التصوف ذكر مع اجتماع،ووجد مع استماع،وعمل مع اتباع"[١٠].

وقال أيضاً: "الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً وباطناً وهي الأخلاق الإلهية"[١١].

٢- تعريف معروف الكرخي[١٢]:

"التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[١٣].

٣- تعريف ابن خلدون :

حيث قال عنه :" رعاية حسن الأدب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة بالوقوف عند

---

(١)- هو عبدالله بن علي الطوسي،أبو نصر السراج،زاهد،كان شيخ الصوفية،توفي سنة ٣٧٨هـ.له كتاب اللمع في التصوف.(انظر:الأعلام ٤/١٠٤).

(٢) - انظر : اللمع في التصوف ، للطوسي ، تحقيق عبدالحليم محمود ،ص ٤٠ ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

(٣) - هو أبو بكر ، محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري ، من علماء الصوفية ، توفي سنة ٣٨٠هـ، من أشهر مؤلفاته التعرف لمذهب أهل التصوف . (انظر : الأعلام / ٢٩٥)

(٤) - انظر : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٢٧.

(٥) - انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧.

(٦) - مجموع الفتاوى ١٠/ ٣٦٩.

(٧) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٩ تحقيق د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحي،دار طويق، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ.

(٨) - هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد البغدادي،إمام الصوفية،أشتهر عندهم بلقب سيد الطائفة،ولد سنة نيّف وعشرين ومائيتين،وصحب المحاسبي،توفي سنة ٢٩٧هـ .(انظر:حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥- ٢٨٧، طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبه ، ص١٥٥-١٦٣،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٤١٨هـ، ،الطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٨- ١٠١، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .)

(٩) - الرسالة القشيرية ٢/ ٤٤١

(١٠) - المصدر نفسه ٢/ ٤٤٢

(١١)- لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ، للقاشاني،تحقيق:سعيد عبدالفتاح ١/٣٢١،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ، عام ٢٠٠٥م.

(١٢) - معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ: أحد أعلام الزهاد والمتصوفين.ولد في كرخ ببغداد، ونشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ.اشتهر بالصلاح والزهد والورع .(انظر : الأعلام ٧/ ٢٦٩) .

(١٣) - الرسالة القشيرية ٢/ ٤٤١.

حدوده مقدماً الاهتمام بأفعال القلوب ومراقباً خفاياها حريصاً على النجاة "[١].

❖ **تعريفات المعاصرين :**

١- تعريف عبدالحليم محمود[٢] :

" التصوف :صفاء ومشاهدة "[٣].

٢- أحمد أمين :

:"التصوف كان في الأصل معناه لبس الصوف زهادة في الدنيا ،ثم صار في أغلب الأحيان إلا في القليل النادر صناعة لكسب العيش وتتطلب هذه الصناعة عمامة خضراء وسبحة غليظة والتظاهر بذكر الله ، ودعوى مخاطبة الأولياء والاتصال بهم عن طريق الروح"[٤].

٣- الدكتور زكي مبارك :

" مجموعة من الأفكار الإسلامية والنصرانية ، واليهودية ، أو الخلاصة الروحية من تلك الديانات الثلاث"[٥].

---

[١] - ابن خلدون ونظرته في التصوف ، د.ياسين الويسي ،ص ٥٢، دار نينوى ، دمشق ، ط الأولى ، عام ١٤٢٩هـ .

[٢] - عبدالحليم محمود علي ،ولد عام ١٩١٠م في قرية أبو أحمد بضواحي بلبيس بمحافظة الشرقية . حفظ القرآن صغيراً ، والتحق بالأزهر ، نال الشهادة العالمية عام ١٩٣٢، ثم سافر إلى فرنسا لا استكمال دراسته في جامعة السربون وح صل على الدكتوراه عام ١٩٤٠م ، وترقى في المناصب حتى عين شيخاً للأزهر عام ١٩٧٣م وتوفي عام ١٩٧٨م . من كتبه : التفكير الفلسفي في الإسلام ، التصوف عند ابن سينا .(انظر : موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ٦٣٩-٦٤٢).

[٣] - قضية التصوف – المدرسة الشاذلية ، عبدالحليم محمود ، ص ٤٣٨ .

[٤] - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لأحمد امين ص١٢٠ ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط الأولى،عام ١٩٥٣م .

[٥] - انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ،د. زكي مبارك ص ١٦٠ ، دار الجيل ، بيروت .

المبحث الثاني
نشأة التصوف ومراحله

أولاً : نشأة التصوف:

اختلف العلماء في بداية ظهوره، وإن كانوا متفقين على حداثة الاسم ، وعدم وجوده في عهد الرسول ﷺ وأصحابه وسلف الأمة ، وأول ما نشأ التصوف بالبصرة حيث كان المبالغة في الزهد ، وظهر بشكل مدرسة مستقلة وتيار متميز في القرن الثاني الهجري ، وأول من بنى دويرة الصوفية أصحاب عبدالواحد بن زيد[1]،يقول شيخ الإسلام :" أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار. ولهذا كان يقال : فقه كوفي وعبادة بصرية"[2].

وقال:" إن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري وإنه لم يشتهر إلا بعد القرن الثالث "[3].

ويقول ابن خلدون: " إن نشأته كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس على الدنيا، وانصرف أناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية "[4].

وذهب ابن الجوزي [5]إلى أن التصوف كان أول أمره زهداً وعبادةً،وكان عند الأوائل منهم في شكل مجاهدة النفس لاستقامتها وتقويمها وحملها على الصراط المستقيم حتى يصير تهذيبها أمراً طبيعياً،ثم تطورت الرياضة إلى الجوع والفقر ومراقبة وساوس النفس وخطراتها وأثر ذلك على لبسهم وهيئتهم فظهر لبس المرقعات والحرص على السماع والرقص والوجد[6].

---

(1) - عبدالواحد بن زيد ، الزاهد ، القدوة ، شيخ العبّاد، أبوعبيدة البصري ، قال البخاري عنه : تركوه ، وقال النسائي : متروك الحديث توفي بعد ١٥٠هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء ٧/ ١٧٨) .

(2) - مجموع الفتاوى ١١/ ٦.

(3) - المصدر السابق ١١/ ٥ .

(4) - مقدمة ابن خلدون ص٤٦٧.

(5) - هو: أبو الفرج ، عبدالرحمن بن علي بن محمد البكري البغدادي ، المعروف بابن الجوزي ، ولد ببغداد سنة ٥٠٨هـ ،كان رأساً في الوعظ ، إماماً في التفسير، علامة في التاريخ والسير ، توفي سنة ٥٩٧هـ ، من كتبه : زاد المسير في علم التفسير ، تلبيس إبليس .(انظر : الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ،تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ٢/ ٤٥٨وما بعدها ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ،سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٧٥، الأعلام ٣/ ٣١٦)

(6) - انظر : تلبيس إبليس لابن الجوزي ، تحقيق ودراسة د .أحمد بن عثمان المزيد ٣/ ٩١٩بتصرف، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، عام ١٤٢٣هـ. .

ويقول شيخ الإسلام : " وكان السلف يُسمون أهل الدين و العلم: القَّراء فيدخل فيهم: العلماء والنساك ، ثم حدث بعد ذلك اسم: الصوفية والفقراء "[١].

ثانياً : مراحله:

يمكن لنا أن نقسم مراحله إلى ثلاث :

المرحلة الأولى:(القرن الثاني الهجري):

وفي هذه المرحلة ظهرت مجاهدة الطبع ورياضة النفوس،وحملها على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والصدق وغيرها من الخصال الحسنة،وكان يغلب على أصحابها جانب العبادة،والبعد عن الناس مع التزامهم بآداب الشريعة [٢].وشاع في هذا العصر ظهور القصائد الزهدية الملحنة،وصنفت الكتب التي تجمع أخبار الزهد والزهاد المختلطة بالصحيح وغيره،وتدعو إلى الفقر،والتشدد في العبادة ، ومخالفة السنة في بعض الأمور [٣]،ومن أعلام هذه المرحلة طلق بن حبيب العنـــزي [٤]ودواد الطائي [٥] وعطاء السليمي [٦] الذي بكى حتى عمش وتعتبر رابعة العدوية [٧] من أقطاب هذه المرحلة وهي التي استحدثت ما يسمى بقصة الحب الإلهي[٨].

المرحلة الثانية : (القرن الثالث الهجري):

في هذه المرحلة نحا التصوف منحى آخر عني فيه المتصوفة بالدراسة والبحث،حيث اتجهت أفكارهم إلى التعمق في النفس بكشف أسرارها،وظهور مصطلحات غامضة لم تكن معروفة من قبل كالمقامات والأحوال،والعشق والشوق،والحب والوجد،والفناء والبقاء،كما

---

(١) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٢٩

(٢) - انظر: بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة ، محمد الناصر ، ص ٢٠٣، مكتبة السوادي ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ .

(٣) - انظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية،إدريس محمود، ١/ ٣٧- ٣٩،دار الرشد، الرياض،ط الثانية ، عام ١٤٢٦هـ .

(٤) - طلق بن حبيب العنزي ،أحد العلماء العاملين، بصري ،صدوق،عابد،رُمي بالإرجاء،مات قبل المائة. (انظر : سير أعلام النبلاء ٤/١٠٦) .

(٥) - أبو سليمان ، داود بن نصير الطائي ، الكوفي ، أحد الأولياء ثقة ، فقيه ، زاهد ، ولد بعد المائة بسنوات ،من كبار أئمة الفقه والرأي ، مات سنة ١٦٢هـ .(انظر : حلية الأولياء ٧/ ٣٤٠ ، سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٢٢) .

(٦) - عطاء السليمي ، البصري ،العابد ،من صغار التابعين ،أدرك أنس بن مالك ، وسمع من الحسن البصري . قيل أنه مات بعد الأربعين ومئه . (انظر سير أعلام النبلاء /٢١٩) .

(٧) - رابعة بنت إسماعيل العدوية القيسية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، الصالحة المشهورة ،كانت من أعيان عصرها ، زاهدة عابدة ، ناسكة ، تغنت بالشعر ، تكلم فيها أبو داود السجستاني ، واتهمها بالزندقة ، توفيت سنة ١٣٥هـ .(انظر : الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١١٤، سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤١، الأعلام ٣/١٠) .

(٨) - انظر:(الصوفية نشأتها وتطورها،محمد العبده،وطارق عبدالحليم،ص ٢٢ ،دار الأرقم،الكويت،عام ١٤٠٦هـ ،مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع،د. ناصر العقل،ص ١٢٥ ،دار الوطن،الرياض،ط الأولى،عام ١٤١٤هـ،القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ،أنور الجندي ص ١١٦).

غلت الشطحات الصوفية الطرقية فظهر الكشف والسماع والتفريق بين الشريعة والحقيقة ، والتلقي من غير الشرع[١] .

ومن أشهر أعلام هذه المرحلة الحارث المحاسبي[٢]،وأبو يزيد البسطامي[٣]،والجنيد والحلاج [٤]،وأبوطالب المكي[٥] ... وغيرهم[٦] .

المرحلة الثالثة:(القرن الرابع وما بعده):

وتعد هذه المرحلة من أخطر المراحل حيث نشأت فيها الصوفية الطرقية الضالة [٧]،وفيها ظهرت المذاهب الإلحادية والحلولية والاتحادية،ووحدة الوجود،واختلط التصوف بالفلسفة الذي تأثر بنظرية الفيض[٨]، والإشراق[٩]، والأفلاطونية المحدثة[١٠].

ومن أعلام هذه المرحلة السهروردي[١١]وابن الفارض[١٢]

---

[١]- انظر : جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على الصوفية ، د. محمد الجوير ص ١٥٨ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، ١٤٢٤هـ ، مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ص ١٢٧ ، الموسوعة الميسرة ١/ ٢٥٨- ٢٥٩ .

[٢] - هو:الحارث بن أسد المحاسبي ، وكنيته أبو عبدالله،من علماء مشائخ القول بعلوم الظاهر،وعلوم المعاملات والإشارات،له التصانيف المشهورة منها:الرعاية لحقوق الله،التوهم،مات سنة ٢٤٣هـ.(انظر:طبقات الصوفية للسلمي ص ٥٦،تاريخ بغداد ٨/ ٢١١،الطبقات الكبرى ١/ ١٥٩) .

[٣] - هو : طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي ،أحد مشائخ الصوفية ، وكان جده مجوسياً فأسلم،توفي ببسطام ،سنة ٢١٦هـ . (انظر : طبقات الصوفية ص ٦٧- ٧٤، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦).

[٤] - هو : أبو مغيث الحسن بن منصور الحلاج البيضاوي الفارسي ، إمام الزنادقة الاتحادية كان جده مجوسياً ولد سنة ٢٤٤هـ ، صحب الجنيد ، وأبا الحسن النوري ، وجماعة ولما ظهر منه ما ظهر من الكفر ودعوى الحلول ، أنكره بعض الصوفية وقبله آخرون وأثنوا عليه قتل مصلوباً ببغداد سنة ٣٠٩هـ (انظر : طبقات الصوفية للسلمي ص٣٠٧ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٣١٣-٣٥٤).

[٥] - هو : محمد بن علي بن عطيه الحارثي ، المكي،صوفي نشأ واشتهر بمكة،ورحل إلى البصرة ، فاتهم بالاعتزال ، حفظ عنه الناس أقوالاً هجروه لأجلها ، توفي سنة ٣٨٦هـ ، من أشهر كتبه : قوت القلوب .(انظر: تاريخ بغداد ٣/ ٨٩، سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٣٦، الأعلام ٦/ ٢٧٤) .

[٦] - جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على الصوفية ، د. محمد الجوير،ص ١٥٨ ،مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع،ص ١٢٧، الموسوعة الميسرة ١/ ٢٥٨- ٢٥٩.

[٧] - مثل الطريقة القادرية،والطريقة الرفاعية،والطريقة السهروردية ،والأحمدية،والبرهامية والنقشبندية والتيجانية وغيرها . (انظر:الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها ، د. عبدالله السهلي ٨١ومابعدها ، دار كنوز إشبيليا ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ) .

[٨] - الفيض هو : أن جميع الموجودات التي يتألف منها العالم صدر عن مبدأ واحد من دون أن يكون في فعل هذا المبدأ والجوهر تراخٍ أو انقطاع (انظر : المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ٢/ ١٧٢، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، عام ١٩٩٤م)

[٩] - الإشراق هو مذهب يقرر أن المعرفة مصدرها الإشراق ، وهو ضرب من الحدس الذي يربط الذات العارفة بالجواهر النورانية ،ولا يخلو من نزعة صوفية .(انظر:المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية،إصدار مجمع اللغة العربية بمصر ص ١٧٤،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة) .

[١٠] - الأفلاطونية المحدثة هي : مجموعة من آراء الفلاسفة والمفكرين الملاحدة تمتد من ٢٥٠ ق.م حتى ٥٥٠م ، وهذه الآراء تحاول إعطاء تفسير للكون والإنسان والحياة، لتلبية طموح الإنسان من النواحي الدينية والأخلاقية والعقلية ، وهي تختلف اختلافاً جوهريًا عن آراء أفلاطون اليوناني إذ إنها تؤمن بإله مفارق للكون ، وهذا الإله يفيض عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات (انظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٨٠٣) .

[١١] - هو:شهاب الدين،أبو الفتوح يحي بن حبش بن أميرك السهروردي المقتول،ولد في سهرورد سنة ٥٤٩هـ،وقد اتهم بالزندقة،والتعطيل،وقد أفتى العلماء بإباحة دمه،وقتل بحلب سنة٥٧٨هـ.وقد عرف بفلسفته الإشراقية من كتبه:الهياكل،وحكمة الإشراق.(انظر:الأعلام ٨/١٤٠) .

[١٢] - هو : أبو حفص عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي ، اشعر المتصوفين ، يلقب بسلطان العاشقين ولد سنة ٥٧٦هـ وفي شعره فلسفة بما يسمى وحدة الوجود وهو صاحب التائية المسماة بنظم السلوك وقال: شيخ الإسلام " وابن الفارض من متأخري الاتحادية صاحب القصيدة التائية المعروفة بنظم السلوك ، وقد نظم فيها الإتحاد نظماً رائق اللفظ ، فهو أخبث من اللحم الخنزير في صينية من ذهب ، وما أحسن تسميتها بنظم الشكوك " توفي ستة ٦٣٢هـ (انظر الأعلام ٥/٥٥ ، مجموع الفتاوى ٤/ ٧٣، ٧٤).

وابن عربي[١]وابن سبعين[٢]،وجلال الدين الرومي[٣] ، وغيرهم[٤] .

---

[١] - هو : محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي الأندلسي ، أبو بكر الملقب بالشيخ الكبر عند الصوفية ،فيلسوف ، صوفي من أئمة المتكلمين ، ولد بمرسيه سنة ٥٦٠هـ وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود كما يقول الذهبي . له نحو أربعمائة كتاب ورسالة منها الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم توفي سنة ٦٣٨هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٤٨ الأعلام ٦/ ٢٨١) .

[٢] - هو : عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين ، ولد سنة ٦١٤ هـ بالأندلس وهو من فلاسفة الصوفية ،وملاحدتهم ، وكان يقول بكسبية النبوة ، ووحدة الوجود ، ومات منتحراً بقطع شراء بين يده سنة ٦٦٩هـ . من كتبه : البُدّ، الهُو. (انظر: البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق د. عبدالله التركي ١٧/ ٤٩٧، دار هجر للنشر والتوزيع ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ ، الأعلام ٢٨٠/٣) .

[٣] - هو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخي الرومي،شاعر صوفي ، فارسي مشهور ولد في بلخ سنة ٦٠٤هـ ،كانت وفاته سنة ٦٧٢هـ من كتبه مثنوى معنوى . (انظر : الأعلام ١٣٠/٧) .

[٤] - انظر:الموسوعة الميسرة ١/ ٢٦٢- ٢٦٤،القيم الأساسية للفكر الإسلامي،للجندي ص ١١،النفي في باب صفات الله عزوجل ص ٤٦٤.

المبحث الثالث

قضايا التصوف الفلسفي

من أهم القضايا التي نتجت عن اختلاط التصوف بالفلسفة ما يلي :

١- القول بالحلول :

الحلول لغة : مصدر حَلَّ يَحُلّ: إذا نزل بالمكان و يقال حلّ يَحل حُلولاً. والحلّ:حلُ العُقدة. يقال حللتها أحُلها حَلاً، فانحلَّت. ومنه المثل السائر: يا عاقد اذكر حلاً، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [سورة الرعد آية :٣١] ، أي أنزلوهم دار الهلاك [(١)].

الحلول اصطلاحاً :

يعني : أن الله سبحانه يحل في الإنسان وفي غيره من أجزاء هذا الكون ، وذلك عندما يتجرد هذا الإنسان من كل أثرٍ من آثاره ، وصفة من صفاته فيتلاشى الجسم تقريباً ويذهب ولا يبقى إلاّ الحالُّ، بذلك يكتسب المخلوق صفة الخالق بزعمهم[(٢)].

وقيل: إن الحلول:يعني وجود شيء داخل شيء آخر دون أن يفقد أحدهما طبيعته أو هويته أو ذاتيته أو ماهيته فتحل الذات الإلهية في الذات الإنسانية فيحل على حد تعبيرهم اللاهوت[(٣)] في الناسوت[(٤)][(٥)].

وأول من قال بالحلول في الإسلام هو الحلاج ومن ذلك قوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا × نحن روحان حللنا بدنا[(٦)].

وكقول إبراهيم الدسوقي[(٧)]:"ما دام أنا وأنت فلا حب،إنما الحُب التمازج،واختلاط الأرواح بالأجساد "[(٨)].

---

(١) - انظر: تهذيب اللغة للأزهري ، تحقيق : عبدالسلام هارون ٤٣٥/٣ ،القاموس المحيط ٣٤٣/١ ،لسان العرب ٤٤٦/٣ ، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ،لسميح زين ص ٢٤١ ، الدار الأفريقية العربية ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

(٢) - انظر :الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل لسميح عاطف زين ص ١١٩ ، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ١٤١٣هـ.

(٣) - يعني الروح الإلهية الغير مخلوقة (انظر: المعجم الشامل ص ٨٦٧) .

(٤) - يعني الجسم البشري المخلوق . (انظر : المعجم الشامل ص ٨٦٧).

(٥) - الموسوعة الميسرة ١٠٥٩/٢ .

(٦) - ديوان الحلاج جمعه ، لويس ماسنيون ،ص ١٤٥ ،منشورات أسمار ، باريس ، عام ٢٠٠٨م .

(٧) - إبراهيم بن عبدالعزيز بن قريش الدسوقي ، شيخ الطريقة الدسوقية أو البرهامية ، من أهل دسوق ،وهي مدينة بمصر ، ولد سنة ٦٣٣هـ ، نشأ بدسوق ، وبلغ غاية التصوف بدون شيخ وهذا لا يتحقق عندهم إلا للخواص الكمَّل ، توفي سنة ٦٧٦هـ .من كتبه الجواهر .(انظر : الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٦٥ ، جامع كرامات الأولياء ،ليوسف بن إسماعيل النبهاني ،اعتنى به سمير رباب ١/ ٣٩٨ ،المكتبة العصرية ، بيروت ، عام ١٤٢٣هـ) .

(٨) - الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٧٣.

٢- الاتحاد:

لغةً : أن يصير المتعدد واحداً ، مصدر من اتحد يتحد ،فيقال اتحد الشيئان أي الأشياء أي صارت شيئاً واحداً [١].

اصطلاحاً : يعني أن يصبح الاثنان شيئاً واحداً بعد اتحادهما ببعضهما[٢] .

وقيل هو : اختلاط وامتزاج الخالق بالمخلوق ، فيكونا بعد الاتحاد ذاتاً واحدة [٣]. وعبر عنه الجندي بقوله: " هو القول بأن العبد صار هو الرب "[٤].

وأول من قال بالاتحاد في الإسلام من المتصوفة : أبو يزيد البسطامي [٥]،ومن أقواله في هذا الشأن:"من ثلاثين سنة كان الحق مرآتي ، فصرت اليوم مرآة نفسي ،لأني لست الآن من كنته،وفي قولي:أنا والحق إنكار لتوحيد الحق؛لأني عدم محض "[٦].

٣- القول بوحدة الوجود:

تعريفها : فهو "مذهب فلسفي لا ديني يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته"[٧].

ويقول الجندي عنها : بأنها " تأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله " [٨]، ويقول :"وحدة الوجود معناها أنه لا فرق بين الوجود والموجود "[٩].

وخلاصة معنى القول بوحدة الوجود هو أن الخالق عين المخلوق .

وأول القائلين بوحدة الوجود عند المتصوفة أبو يزيد البسطامي حيث قال :" سبحاني ما أعظم شأني ، للخلق أحوال ، ولا حال للعارف؛لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره "[١٠].

---

(١) - انظر : لسان العرب ١٦٤/١٥، المصباح المنير ٣٣٥ ، المعجم الوسيط ص١٠١٦.

(٢) - الصوفية في نظر الإسلام ص ١١٩ .

(٣) - انظر: عقيدة الصوفية : وحدة الوجود الخفية ، د. أحمد القصير ،ص ٢٧ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ.

(٤) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة أنور الجندي ص ١٣٢ ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت،ط الأولى،مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٤٢٦.

(٥) - انظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، د. محمد لوح ١/ ٤٨٤. دار الهجرة ، الثقبة ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ ..

(٦) - النور من كلمات طيفور ، تحقيق بدوي، مع شطحات الصوفية ، ص ٦٥

(٧) - الموسوعة الميسرة ٢/ ٧٩٥.

(٨) التيارات الوافدة للجندي ص ١٨،دار الصحوة ، القاهرة ، الشبهات والأخطاء الشائعة ص ٢٣٢، المؤامرة على الإسلام ص ٥١.

(٩) - حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والانتماء القرآني ، أنور الجندي ،ص٢٦، دار الاعتصام ، القاهرة .

(١٠) - شطحات الصوفية ، د. عبدالرحمن بدوي ص ٣٠ ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط الثالثة ، عام ١٩٧٦م .

٤- عصمة الولي :

الصوفية يدّعون العصمة لأوليائهم وأئمتهم والمراد بها المنع من الوقوع في الذنوب والخطأ والخطايا فيما يقررونه من طقوس وشعائر ،بل في كل ما يأتونه من مجون وفواقر[١].

ومن أقوالهم في ذلك : قول ابن عربي :"إن من شرط الإمام الباطن « يعني الولي » أن يكون معصوماً وليس الظاهر إن كان غيره مقام العصمة "[٢].

٥- القول بالحقيقة المحمدية :

و عرفها المتصوفة بأنها :" النور الإلهي السابق عن كل ما خلق من فيض نوره "[٣]، ويزعم ابن عربي أن أول موجود هو الحقيقة المحمدية ،وأن ذات محمد - ﷺ - نور خلق الله منه الخلق جميعاً ، فالملائكة والسماوات والأرض كل ذلك قد خلق من نور الذات الأولى وهي الذات المحمدية[٤].

وأول القائلين بها هو الحلاج عندما اعتبر أن "النور المحمدي أشرق قبل أن يكون الخلق ، ومنه استمد الأنبياء هديهم ، والأولياء معارفهم "[٥].

٦- القول بإسقاط التكاليف:

هو اصطلاح باطني استخدمه غلاة الصوفية كأحد لوازم وآثار القول بوحدة الوجود ، فيرون سقوط التكليف عمن سما في درجة القرب من الله عزوجل فلا صلاة عليه ولا زكاة ولا غيرهما من أوامر الله بل يرون أن له استباحة المحرمات ،من الزنا والخمر وغيرهما من المحرمات[٦]. مثل ما روى أبو نعيم بإسناده إلى أبي يزيد " أن رجلاً وجه إليه حصيراً وكتب معه إليه : صل عليه بالليل ، فكتب أبو يزيد إليه:إني جمعت عبادات أهل السموات والأرضين السبع فجعلتها في مخدة ووضعتها تحت خدي"[٧]،وقال كذلك :"عجبت لمن عرف الله كيف يعبده "[٨] .

---

[١] - انظر : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، د. محمد لوح، ص ٢٢٢ ،
[٢] - الفتوحات المكية لابن عربي ٣/ ١٨٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٤٠٥هـ .
[٣] - الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل سميح عاطف ، ص ٤٧٣ .
[٤] - انظر :فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، د.عبدالفتاح فؤاد، ص ٢٨٢دار الوفاء،الإسكندرية،ط الأولى،عام ٢٠٠٦م
[٥] - الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل ، لسميح عاطف زين ، ص ٤٧٣ .
[٦] - الموسوعة الميسرة ٩٦٥/٢ .
[٧] - حلية الأولياء ١٠/ ٣-٣٦.
[٨] - المصدر السابق ١٠/ ٣٧.

٧- القول بوحدة الأديان :

ومعناها :هي الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية وصواب جميع العبادات وأنها طرق إلى غاية واحدة [١].

لهذا يرى غلاة الصوفية القائلين بوحدة الوجود أن الاختلاف في العقائد الدينية لا يعدو كونه اختلافاً في وجهات النظر تهدف إلى حقيقة واحدة ، وهي حب الله الذي يجب اتخاذه مذهباً،و به تتوحد المعتقدات،ولا يعود هنالك فرق بين عقيدة وأخرى[٢].

ومن القائلين بها ابن عربي حيث عبر عن هذه العقيدة شعراً فيقول :

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة * فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف * وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنّى توجهت* ركائبه فالحب ديني وإيماني[٣]

٨- الإنسان الكامل :

هناك صلة بين فكرة وحدة الوجود والإنسان الكامل فهي تقوم على أساس من وحدة الوجود،وقد عرفها بعض المتصوفة قبل ابن عربي إلاّ أن ابن عربي يعد أول من استعمل هذا المصطلح،ويقصد به عند ابن عربي:"الكون الجامع والعالم الصغير وروح سائر الكائنات وعلتها ، ومن لا يتجلى الله بكامل صفاته إلا فيه،ولا يعرفه حق المعرفة إلا هو،ولهذا استحق أن يكون صورة الله وخليفته في أرضه "[٤].

وتوجد عند المتصوفة قضايا أخري [٥] لا تقل خطورة عن سابقتها ولكن خشية الإطالة اكتفيت بما ذكرته [٦] .

[١] - انظر : دعوة التقريب بين الأديان ، د. أحمد القاضي ١/ ٣٣٩ ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

[٢] - انظر : الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل ، ص٤٧٠ .

[٣] - انظر : ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق ، لابن عربي ص ٤٩ .

[٤] - فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية،د.محمد يوسف موسى،ص٢٥١،مؤسسة الخانجي،القاهرة ،ط الثالثة،عام ١٩٦٣م.

[٥] - مثل : الاستخفاف بعذاب الله وثوابه ، التوسل بالرسول والأولياء ، تع ظيم القبور والآثار ، القول بالحقيقة والشريعة ، الرقص والسماع ، المولد ، الخلوة... وغيرها .

[٦] - انظر : مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ١/ ٢١٣وما بعدها ، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري،د. محمد الشيخ عليو محمد ص ٤٧،دار المنهاج ، الرياض ، ط الأولى، عام ١٤٢٧هـ .

المبحث الرابع
إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في الغرب الحديث

من أخطر الأفكار التي سعى النفوذ الأجنبي إلى إحيائها في المجتمعات الإسلامية التصوف ؛وذلك لإضعاف مفهوم الإسلام،وإثارة الشبهات وتمزيق وحدة المفهوم السني وذلك عن طريق :

أ- التغريب والغزو الثقافي :

لقد جرى الكتاب التابعون لحركة التغريب وراء خطط الاستشراق وتوسعوا فيها، واهتموا بانبعاث هذه النحل المنحرفة والإذاعة بها،وكتب في ذلك «لطفي جمعة »في البلاغ عديداً من المقالات.كما كتب «توفيق دياب »عن تناسخ الأرواح وروجت الجمعية الثيوصوفية[1] لهذه المفاهيم[2].

ب- المستشرقون :

اهتم المستشرقون بالتصوف أكثر من الاعتزال وأعلوا من شأنه وأعلامه إلى الحد الذي يبلغ بعالم مثل ماسنيون أن يركز حياته كلها على دراسة الحلاج وآثاره وأخباره،كما يركز الكثيرون من مفكري الغرب على وحدة الوجود،والإشراق،والاتحاد والحلول،والفناء[3] ويعتبرون هذه المفاهيم مفاهيم إسلامية بينما هي في الواقع مفاهيم وافدة[4].

وذكر الجندي عدداً من المستشرقين تخصصوا في هذا النوع من الفكر المنحرف وكان أهمهم: ماسنيون وجولد زيهر وجب وماكدونالد [5] ومارجليوث[6]ونيكلسون[7]...وقد اهتم

---

[1] - هي الباطنية،والدعوات الثيوصوفية من أمثال الهرمسية ، والقبالة اليهودية ،والاسم مشتق من اليونانية حيث theos تعني الله،و Sophia تعني الحكمة ، فهي الحكمة الإلهية . والجمعيات الثيوصوفية وُجدت في أمريكا وانجلترا ، وأغلب أعضائها من الإناث بالذات ، ربما لتهافت أصيل في الذات النسائية يجعل النساء أكثر تعرضاً للاضطرابات النفسية ، وأكثر تقبلاً للدعوات السرية الباطنية .(انظر: المعجم الشامل ص ٢٤٠)

[2] - انظر:المؤامرة على الإسلام ص ٤٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤١- ٤٤٢.

[3] - الفناء : هو الحال التي تتجرد فيها النفس عن رغباتها وميولها،وبواعثها،بحيث تتعطل إرادتها وتموت،فإذا ماتت الإرادة،أصبحت النفس طوع الإرادة الإلهية .(انظر:البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها،د. عبدالله نومسوك ص ٤٠٧)

[4] - انظر: أخطاء المنهج الغربي الوافد ص١٣٧.

[5] - ماكدونالد (١٨٦٣- ١٩٤٣) مستشرق أمريكي الإقامة ، بريطاني المولد والتنشئة . صرف نشاطاً كبيراً في التنصير ، وفي إعداد المنصرين في مدرسة كندي ، أهتم بدراسة ألف ليلة وليلة ، أوجه الإسلام ، وله كذلك حياة الغزالي . انظر موسوعة المستشرقين ص ٥٣٨.

[6] - مارجليوث (١٨٥٨-١٩٤٠) ولد وتوفي في لندن ، وقد تخرج باللغات الشرقية من جامعة أكسفورد ، وترأس تحرير مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق . من كتبه مختارات شعرية لأرسطو ،سيرة عبدالقادر الجيلاني .(انظر : المستشرقون ، نجيب العقيقي ٥١٨/٢-٥١٩، دار المعارف ، القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٩٨٠م) .

[7] - رينولد ألين نيكلسون (١٨٦٨-١٩٤٥)مستشرق إنجليزي يعد ، بعد ماسينيون ، أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي . دخل جامعة أبردين ، ثم كلية الثالوث في كمبردج ، وصار زميلاً فيها .من كتبه : نشر ديوان مثنوي معنوي للشاعر الفارسي جلال الدين الرومي ، وله دراسات في التصوف الإسلامي ، الصوفية في الإسلام ، نشأة التصوف وتطوره ، ونشر كتب ابن عربي مثل ترجمان الأشواق . (انظر : موسوعة المستشرقين ٥٩٣- ٥٩٤، المستشرقون ٢/ ٥٢٥).

المستشرقون بدراسة الفرق المنحرفة فدرس ماسنيون التصوف الفلسفي والباطنية والقرامطة والنصيرية،واهتم بأهل الباطنية والتأويل،واهتم أكثر من غيره بدراسة الاتحاد والحلول والإشراق ووحدة الوجود[1].

يقول الجندي:" ولقد اهتمت طائفة من المستشرقين بالسهروردي ونظريته،نبشوا الكتب القديمة التي كشف المسلمون عن زيف مفاهيمها وتجاوزها إبان عصر الترجمة وأعادوها جذعة بإحياء هذه المفاهيم مرة أخرى وطرحها في أفق الفكر الإسلامي لإثارة الشبهات والشكوك في نفوس بعض المسلمين الذين لم يكتمل مفهومهم الأصيل،وكان «بروكلمان»[2] و «رنين» و«فادى برج» من أوائل هولاء فترجموا «هياكل النور» «للسهروردي» التي جمعها تحت الحكمة المشرقية وأولى ذلك اهتماماً كبيراً «بأول كرواس» [3]،و«هنرى كروبان»[4]وقال هؤلاء – يعني المستشرقين – إن شخصية السهروردي وكتبه تمثلان لحظات جوهرية في تاريخ الفكر الإسلامي "[5].

وسوف أتحدث عن نموذجين عملوا على إحياء هذا الفكر المنحرف وهما:

أ– ماسنيون :الذي يدلل الجندي على سوء نيته في البحث فهو يعتبر أفسد المستشرقين طوية وأخبثهم نية قائلاً:"ليس أدل على سوء نية الاستشراق في البحث من إصرار لويس ماسنيون على متابعة آثار الحلاج خلال أربعين سنة حتى نشر ذلك المجلد الضخم في ١٤٠٠صفحة ، ثم أخذ يتتبع متروكاته فطبع ما ورد عنه في الفقرات النثرية،ثم نشر ديوانه الشعري وقد جمعها قطعاً متفرقة من نحو مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع،وقد ركز اهتمامه على المقاطع التي يوضح بها الحلاج اتحاده بالله بل معادلته له به جل شانه عن ذلك وعلا "[6].

---

[1] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص٤٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤١- ٤٤٢.

[2] - بروكلمان مستشرق ألماني ولد في سنة ١٨٦٨م في مدينة رستوك ، وكان أبوه تاجراً ، وفي المدرسة الثانوية برستوك بدأت تظهر ميوله إلي الدراسات الشرقية ، والتحق بجامعة رستوك ، وتعلم كثيراً من لغات المشرق ، ودرس في جامعة برسلاد وعيّن مديراً لها مات سنة ١٩٥٦م ، وقد بلغت أعماله خمس مئة وخمسة وخم سين عملاً مابين كتاب ودراسة وبحث ومقالة منها كتاب تاريخ الأدب العربي (موسوعة المستشرقين ،د. عبدالرحمن بدوي ص ٩٨- ١٠٥).

[3] -كرواس ولد سنة ١٩٠٤م في مدينة براغ من أسرة يهودية ، وفي ١٩٢٢م سافر إلي فلسطين ودرس بمدرسة الدراسات الشرقية ، وأخذ الدكتوراه من جامعة برلين ، وساعد ماسنيون في نشر كتاب أخبار الحلاج وّدرس بجامعة القاهرة مدرساً للغات السامية ، وكان ماسنيون هو الذي زكى ترشيحه للتدريس في كلية الآداب . وقد مات منتحراً سنة ١٩٤٤م ومن أعماله بحث بعنوان أفلوطين العرب .(انظر: موسوعة المستشرقين ص٤٦٤- ٤٦٧).

[4] -كوربان : ولد هنري كوربان سنة ١٩٠٣م من أسرة بروتستنتية شمال فرنسا ، درس الفلسفة في كلية الآداب السوربون في باريس ، درس على يد ماسنيون وقد أهداه ماسنيون نسخة من كتاب حكمة الاشراق فكان هذا الكتاب بداية الاهتمام بالسهروردي وكانت باكورة إنتاجه رسالة صغيرة بالفارسية للسهروردي المقتول عنوانها مؤنس العشاق ، وتولى الإشراف على معهد للدراسات الإيرانية فانشأ ما عرف بالمكتبة الإيرانية جلها في ميدان التصوف والفلسفة الإشراقية مات سنة ١٩٧٨. (انظر : موسوعة المستشرقين ص٤٨٢- ٤٨٥).

[5] - المؤامرة على الإسلام ص ٦١.

[6] - الاستشراق ، أنور الجندي ، ص ١٩-٢٠، دار الاعتصام ، القاهرة .

ب-نيكلسون :عمل هذا المستشرق على إحياء التراث الصوفي الفلسفي ومن تلك الكتب التي نشرها«تذكرة الأولياء»،للعطار[1]،و«فارس نامه» ،و «ديوان المثنوي»،لجلال الدين الرومي في ٨ مجلدات،كما نشر كتاب«اللمع»،وكتاب«ترجمان الأشواق»،لابن عربي،وكتاب «كشف المحجوب »،للهجويري[2]،هذا غير ما ألف من الكتب ،والمقالات التي نشرها في صحف المستشرقين[3] .

أدرك الجندي الدور الذي قام به الاستشراق في ابتعاث وإحياء هذا الفكر الذي دب إليه الهزال،بحيث أصبح في عداد النسيان فقال:"أسدل الزمان ستان [4]النسيان على كتب التصوف القديمة فظلت في رمسها حتى جاء المستشرقون ينقبون عن مادة جديدة للفتنة يؤججون بها نيران الخلاف بين المسلمين من جديد فوجدوا ضالتهم في آثار الصوفية فأقبلوا عليها وقرءوا في ضوء العقلية المسيحية وطقوس الرهبنة أخبار المتصوفين وكتاباتهم واستهوتهم أفكاره فجمعوا من أقوال الصوفية في فنهم كل شاردة وواردة وعنوا بتنظيم موضوعاته وترتيبها حتى يمكن القول:إن بحوث التصوف الحديثة وكتاباته كلها ترجع إلى عمل المستشرقين الذين اهتموا فوق ذلك بالتعليق على موضوعاته ، وتوجيه مسائله الوجهة التي يرضونها "[5].

---

[1] - محمد بن إبراهيم بن مصطفى بن شعبان فريد الدين العطار الهمداني الصوفي ولد سنة ٥١٢هـ وتوفي مقتولاً سنة ٦٢٧هـ . من تصانيفه: أسرار نامة، تذكرة الأولياء . جمجمة نامة. جواهر اللذات.(انظر : هدية العارفين ٦/ ١١٢).

[2] - هو : علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي ، ولد فيما بين العقد التاسع والعاشر من القرن الرابع الهجري ، توفي بلاهور سنة ٤٥٦تقريباً ، من أشهر مؤلفاته : كشف المحجوب . (انظر : موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٢٧٣-٢٧٥.

[3] - انظر : الصوفية في الإسلام ، لنيكلسون ، تقديم وتعليق نور الدين شريبة ، ص ٧ .

[4] - هكذا في المطبوع ولعلها ستار

[5] - المؤامرة على الإسلام ص٤٥، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٠.

المبحث السادس

إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في العالم الإسلامي

فكما كان للمستشرقين والتغريبيين دور في إحياء هذا الفكر فكذلك كان هناك أشخاص في العالم الإسلامي أحيو ا هذا الفكر وعملوا على نشره وطباعته وسوف أتحدث عن شخصيتين كشف حالهما الجندي وهما:

أ- د.عبدالرحمن بدوي [١]والذي قال عنه الجندي:"قدم شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ويشيد بأمثال الراوندي والحلاج وغيرهما من الزنادقة،وإلى جانب ذلك فقد قدم في الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفي المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد بالسهروردي وابن عربي وابن سبعين "[٢].

ب- أدونيس[٣]:

ويقول الجندي عنه:" كانت مهمته الكبرى البحث في الكتب القديمة عن كل إباحي وملحد وزنديق لجمع آثاره وتقديمها من جديد بعد أن ردمها الزمان. وكشفت الحقائق الأصلية فساد هذا الاتجاة هذا هو العمل الكبير الذي قام به أدونيس... لقد اقتحم أدونيس أمراً شديداً في إحيائه هذه القضايا القديمة من جديد والادعاء بأنها تمثل صحوة في عصرها بينما تؤكد كل المصادر التاريخية الأصلية أن هذه الأسماء التي يعلي من شأنها هي أسماء موصومة عملت كلها ضد الإسلام وضد الدولة الإسلامية وحجبت عن أن توضع في خانة الأصالة،أو أهل الإيمان بعقيدة التوحيد أو دعاة الوحدة الإسلامية . لقد كانت الأسماء اللامعة في ثقافة أدونيس [٤] وهي مجموعة أقل ما يقال أنها تتنكر لمفهوم الإسلام الأصيل

---

[١] - عبدالرحمن بدوي بدوي محمود ، ولد سنة ١٣٣٥هـ في قرية شرباص من قرى دلتا مصر ، درس في بلدته وحصل على الليسانس من كلية الآداب قسم الفلسفة ، وعمل معيداً في قسم الفلسفة ، ودرس بجامعة عين شمس ثم كلية الآداب ببيروت ثم أستاذاً في معهد الدراسات الإسلامية التابع لجامعة السربون بباريس . فهو فيلسوف،ومؤرخ للفلسفة ، وكان من أبرز ممثلي الفلسفة الوجودية في الوطن العربي.اشتغل آخر حياته بالدفاع عن الإسلام ونبيه ﷺ فتصدى للدفاع بكتابين الأول عن الإسلام والثاني دفاع عن النبي ﷺ كتبها بالفرنسية ونشرهما في أوربا وقدم بدوي كثيراً من المؤلفات،والتحقيق،والترجمة منها:التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ،الزمان الوجودي،المنطق الصوري والرياضي ،توفي سنة ١٤٢٣هـ (انظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٦٥٠- ٦٥٤،عبدالرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب عرض ونقد ، د. عبدالقادر الغامدي ص ١٩-٢٣٩ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٨هـ)

[٢] - شخصيات اختلف فيها الرأي ، أنور الجندي ص ١٢٧، دار الاعتصام ، القاهرة .

[٣] - هو : علي أحمد سعيد أسبر النصيري الباطني الملحد ، ولد سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م في جبال العلويين في سوريا ، ويعمل استاذاً للادب العربي في الجامعة اللبنانية ، شاعر نصيري ماركسي ملحد، معاصر ، تسمى بأودنيس نسبة إلى اسم إله قديم من آلهة البابليين الذين كانوا كما تقول الأساطير يسكنون العراق وهو رمز من الخير والجمال . ويعتبر أودنيس استاذاً للحداثيين وقدوة لهم ، وهو من أكبر طواغيت هذا الزمن ، وأشهر عتاة الالحاد .من كتبه : الثابت والمتحول ، أغاني مهيار ،التحولات (انظر:كتاب العصر تحت ضوء الإسلام ص ٨٨ ، الانحراف العقدي في أدب الحداثة ، د. سعيد الغامدي١/١٠٥،دار الأندلس الخضراء،جدة،ط الأولى،عام ١٤٢٤هـ ، موسوعة أعلام العرب ٦٩وما بعدها) .

[٤] - أمثال : مهيار الديلمي ، النفري ، محي الدين بن عربي ، أبوحيان التوحيدي ، الرازي ، ابن الراوندي ، البسطامي .

القائم على التوحيد الخالص،وأنها ربيبة الفكر اليوناني الذي ترجم إلى اللغة العربية في عصر العباسيين،والذي طرح في أفق الفكر الإسلامي سموم الإلحاد والإباحية ووحدة الوجود والحلول والاتحاد"[1].

---

(1) - انظر: كُتَّاب العصر تحت ضوء الإسلام ص ٨٧- ٨٩

المبحث السادس

موقف الإسلام من التصوف

التصوف نبتة غريبة تماماً عن الإسلام،وهو بعيد كل البعد عما أوحى الله عزوجل به إلى رسولهﷺ وما نقله الصحابة والتابعون،وهو منهج فلسفي غايته معرفة الحقائق والغيب عن طريق الروح، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من تلك القضايا التى يحملها الفكر الصوفي[١].

وفي كل حال لا يمكن أن يكون هناك التقاء بين المنهج الرباني المستمد من الكتاب والسنة وبين المنهج الصوفي القائم على الذوق والكشف والإلهام وغيرها من مصادرهم المحرفة .

وعليه فإنه منذ نشأة التصوف،وقف علماء السلف من مقالاتهم وبدعهم المنكرة موقفاً حازماً رافضاً لكل تلك الشطحات،ومن أولئك الأئمة الأعلام الذين حفظ الله بهم الدين الإمام الشافعي الذي أنكر على ما ابتدعه المتصوفة في الذكر، فقال رحمه الله " خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير[٢]، يشتغلون به عن القرآن "[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله : " التغبير محدث " و نهى رحمه الله عن مجالسة الحارث المحاسبي[٤].

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد تتبع أقوالهم ، ومقالاتهم الكفرية ، فعرّى مذهبهم ، وفضح باطلهم،وبيّن مثالبهم في فتاويه وكتبه المشهورة مثل كتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن،وأولياء الشيطان» و «الاستقامة » و«التصوف والصوفية» وغيرها .

ويقول العلامة المقبلي[٥] :" فالتصوف ليس من مسمى الدين ؛لأن الدين كمل قبله،أعني دين الإسلام،ولا هو من النعمة لأنها تمت قبله،وليس التصوف داخلاً في مسمى الإسلام ؛لأن الإسلام تم قبله –وهم معترفون بالغيرية– فحينئذ هو بدعة وكل بدعة ضلالة،ولم يجيء به النبي ﷺ؛لأن كل ما جاء به النبي ﷺداخل في مسمى الشريعة،فالصوفي ليس بمتبع للنبي ﷺ"[٦].

---

(١) - سبق الحديث عنها ص ٩٦- ١٠٠

(٢) - التغبير هو:الاجتماع على الذكر والأوراد الصوفية ، وترديد الصوت بالقراءة والطرب عند سماع الذكر أو بعض الأشعار،والضرب بالقضيب ،ونحو ذلك .(انظر : الاستقامة ١/ ٢٣٨ ، مجموع الفتاوى ٦/ ٣٤١) .

(٣) - حلية الأولياء ٩/ ١٤٦.

(٤) - انظر:ذم ما عليه مدعو التصوّف،لابن قدامه المقدسي، تحقيق زهير الشاويش،ص٧،المكتب الإسلامي،بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٤٠٤هـ..

(٥) - صالح بن مهدي بن علي المقبلي: مجتهد، من أعيان الفقهاء.ولد في قرية مقبل باليمن سنة ١٠٤٧هـ ، ونشأ وتعلم فيها ، وكان على مذهب الإمام زيد رحل إلى مكة فاشتهر فيها وكان كثير الحط على المعتزلة، وعلى الأشعرية في بعض المسائل الكلامية، وعلى الصوفية في غالب مسائلهم توفي في مكة سنة ١١٠٨هـ ، من كتبه العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، المنار على البحر الزخار . (انظر الأعلام ١٩٧/٣).

(٦) - العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشايخ ، للمقبلي، ص ٤٧٠، دار البيان ، دمشق .

المطلب السابع
موقف أنور الجندي من التصوف الفلسفي

١-بيَّن الجندي مصادر التصوفي الفلسفي، وأثبت أن مصادره متعددة بعيدة عن الإسلام تماماً ، فقال:"مصادر التصوف الفلسفي هي:الفلسفة الإغريقية،والديانات الهندية،والفلسفة الفارسية، والبوذية واللاهوت المسيحي، وبيانها كما يلي :

أولاً:تسرب إلى التصوف مفهوم الفلسفة اليونانية[1] الذي يقول بوحدة الوجود التي لا تفرق بين الله تبارك وتعالى وبين خلقه ، وإنما ترى الوجود كله هو الله .

ثانياً:تسرب إلى التصوف مفهوم الفلسفة الهندية والهندوكية في التناسخ،القائل بمجيء النفس الواحدة إلي الحياة مرات متعددة ،والغاية في نظرهم من التناسخ أن تتاح فرص متعددة للنفس حتى تتهذب،كما تسرب إليها من الفلسفة الهندية مفهوم «النرفانا»[2] عند البوذية التي عندهم حال من فقدان الشعور تتخلص النفس في أثنائه من الإحساس بالألم الذي يسببه لها اتصالها بالأجسام[3].

---

(1) - من الفلاسفة القدامى القائلين بهذا الفيلسوف اليوناني هيراقليطس فالله –سبحانه وتعالى – عنده نهار وليل وصيف وشتاء ،ووفرة وقلة ،جامد وسائل ،فهو كالنار المعطرة تسمى باسم العطر الذي يفوح منها .(انظر : الموسوعة الميسرة ٢/ ٧٩٧، التيارات الوافدة للجندي ص ٢٠) .
كما ذهب إلى القول بهذ ا التأثير عدد من المستشرقين والدارسين العرب فمنهم : المستشرق آدم ميتز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد أبو ريدة ص ٤٧١، وهنرى كوربان في مقدمة مؤلفات السهروردي،ومن الدارسين الشرقيين د.علي سامي النشار ،نشأة الفكر الإسلامي ٣/ ٤٩ ،د. محمد مصطفى حلمي ، الحياة الروحية في الإسلام ص ٥٥،و عبدالقادر محمود ،الفلسفة الصوفية في الإسلام ،ص ٢١، وقاسم غني،تاريخ التصوف في الإسلام ص ١٠٨،و د.محمد الكحلاوي ، مقاربات وبحوث في التصوف المقارن ،ص ٧٦.

(2) - وهي كلمة سنسكريتية مكونة من " نير " بمعنى انتهاء و " فانا" بمعنى الشهوة . فمعنى "نيرفانا" هو: انتهاء الشهوة، أو انعدامها. (انظر : البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الوفية بها ، د. عبدالله نومسوك ص ٢٥٠ ، يقول الجندي النرفانا :كلمة غامضة معناها الإمحاء ، والسكون ، والانعدام ،والانتعاش والراحة والمقصود الروحي منها : أنها حال من فقدان الشعور تتخلص النفس في أثنائه من الإحساس بالألم الذي يسببه لها اتصالها بالأجسام. انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٢).

(3) - ذهب إلى هذا القول جمعٌ كبير من الباحثين القدامى والمحدثين ، فمن القدامى مثلاً البيروني حيث بين أن التناسخ هو من أخص خصائص الفلسفة الهندية ، ثم قال :" والى هذا المعنى ذهب من الصوفية من قال : إن الدنيا نفس نائمة والاخرة نفس يقظانة وهم يجيزون حلول الحق في الأمكنة كالسماء والعرش والكرسى ، منهم من يجيزه في جميع العالم والحيوان والشجر والجماد و يعبر عن ذلك بالظهور الكلى وإذا أجازوا ذلك فيه لم يك لحلول الأرواح بالتردد عندهم خطر"تحقيق ما للهند ص ٤٤ ، ويرى البيروني كذلك أن ما عند الصوفية من الفناء يلتقي بطريقة بتانجل – أحد حكماء الهنود القدمى – حيث قال : " والى طريق " باتنجل " ذهبت الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا : ما دمت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على اشارتك بأفنائها عنك فلا يبقى مشير ولا إشارة " تحقيق ما للهند ص ٦٦، ومدلول هذا الكلام أن أصحاب التصوف خاضوا في مقام الفناء على شاكلة فكرة الفناء لدى اليهود أي النرفانا . ومن المحدثين الذين أثبتوا هذه الصلة جمع من المستشرقين من بينهم ريتشارد هارتمان ، وما كس هورتن ، وما سنيون ، وأوليري ، ونيكلسون ، وجولدتزيهر . انظر : الصوفية في الإسلام ص ٢٢، والعقيدة والشريعة في الإسلام لزيهر ص ١٦١، في التصوف الإسلامي وتاريخه، لنيلكسون،(المقدمه لعفيفي) . ولمزيد من الدراسات حول هذه المسألة ينظر : مقاربات وبحوث في التصوف الإسلامي ،للكحلاوي ص ١٢٠-١٤٦، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية ١/ ٦٦-٧٢، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً ، لصادق سليم ص ٦٩-٨٠ ، التصوف والتفلسف لصابر طعيمة ص ٧٤- ٧٧.

ثالثاً:تسرب إلى التصوف الفلسفي من المسيحية (النصرانية المحرفة)تعذيب النفس وترك السعي في الدنيا ، وكذلك فإن الحلول مأخوذ من المسيحية كما عند اليعقوبية"[١] .

٢- بين الجندي الاتجاهات الخفية وراء دراسة واهتمام الاستشراق بالتصوف الفلسفي فقال :"ولقد عني المستشرقون والباحثون بالتصوف،وكانت عنايتهم موضع الشبهة،فهم في الحق لم يعنوا بتصوف الإسلام [٢]،ولكنهم اهتموا بالتصوف الفلسفي الذي جاء في مرحلة الاتصال بالثقافات الفارسية،والهندية،والمسيحية،وتأثر بها وحين دخلته قضايا وحدة الوجود ،والحلول،والإشراق،وكلها مفاهيم بعيده كل البعد عن مفهوم الاسلام للتصوف وهو مفهوم سمح وسهل عرفه المسلمون باسم الزهد وعرفه الرسول ﷺ حين قال:" الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منه بما في يدك "[٣][٤].

ثم يرى الجندي أن دراسة الاستشراق للإسلام لم تكن ناتجة عن منهجية علمية،وإنما كانت تنطوي عن نزعة صليبية،ويهودية،لمحاولة إثارة الشبهات حول الإسلام وعقائده؛ ولذا قاموا بتبني الحركات الزائفة والفرق المعارضة للإسلام فعمدوا إلي إعلاء شأن الجوانب الضعيفة والمضطربة .كالتصوف الفلسفي فتوجّب على علماء المسلمين ومفكّريهم مواجهة الفكر الاستشراقي الذي ألبس الحق بالباطل،فكان الجندي رحمه الله في طليعة من وقف ضد تلك المؤامرات حيث قال:"ولا ريب أن الدعوة الملحدة إلى إعادة بعث هذه الجوانب من الفكر الصوفي الفلسفي التي أثيرت في زمن معين وتحطمت واندثرت،لا ريب أن إعادة الاستشراق لها وتجديدها إنما له غرض مبيت وخبيث ، وهو الانحراف عن مفهوم الإسلام من إخراج المسلم من مفهوم الإسلام الجامع إلى مفهوم العبادة والصفاء الروحي ، فالصوفية الفلسفية بمفهوم الاتحاد والحلول ووحدة الوجود، والفناء،والإشراق هي بمثابة ضروب من تحريف الإسلام وتدميره وإخراجه من حقيقته الأصلية

---

[١] - المؤامرة على الإسلام ص٤٩، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٣.

[٢] - ليس في الإسلام ما يمكن أن يطلق عليه تصوف إسلامي ، أو سني فلم يكن لقب صوفي يعرف في صدر الإسلام ، ولم يطلق على أحد من المسلمين في عصر الرسول ﷺ، ولا في عصر الصحابةرضي الله عنهم ؛ وعلى هذا فالتصوف غير الزهد . فالتصوف منهج نشأ قبل الإسلام فكراً وسلوكاً وعقيدةً فهو مأخوذ من الهندوكية ،و البرهمية ، والفلسفة الإشراقية اليونانية .(انظر: فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم ، د.عبدالفتاح أحمد فؤاد ص٢١٥-٢١٦، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٦م) .

[٣] - الحديث لم يرد بهذا اللفظ وإنما ورد من رواية أبي ذر عن النبي ﷺ قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق مما في يدي الله " رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي : هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث. انظر: سنن الترمذي حديث رقم ٢٣٤٠ ، وقد ضعفه الألباني انظر:ضعيف سنن ابن ماجه رقم ٨٩٤، مشكاة المصابيح ، باب التوكل والصبر ٣/ ١٤٩ ، ضعيف الجامع الصغير ٣١٩٤.

[٤]- أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ، أنور الجندي ، ص ٤٩، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٤١٣هـ .

وجوهره الخالص إلي مفهوم الوثنيات والنحل التي جاء الإسلام لهدمها وكشف زيفها وإبراز فسادها "[1]

ويقول في بيان أغراض وآثار الفكر الصوفي:"ولا ريب أن هناك غاية عميقة وراء تشجيع الغرب والغزو الثقافي والتغريب للتصوف الهدام والفلسفي في بلاد المسلمين بتأليف الكتب عنه،ونشر المؤلفات الملئيه بمفاهيمه المسمومة وخاصة مؤلفات الحلاج وابن عربي والسهروردي،وابن سبعين ، فإنه ولا ريب يفسد مفهوم الإسلام الأصيل ويصرف عن طابعه الحقيقي ويهدم مقوماته وخاصة مفهوم الجهاد والتضحية والبذل والإرادة الحرة القوية المناضلة عن الحريات والحق . ذلك أن هذه المذاهب الصوفية الفلسفية إنما تحاول أن تهدم في النفس المسلمة أبرز مفاهيم التوحيد الخالص بالدعوة إلي الزهد المبالغ فيه المستمد من آثار المسيحية،أو بالاتكاء على الجوانب الروحية الخالصة،وهو الجامع بين المادة والروح ، والإسلام لا يقر مذهب القول بحلول الله في جسد إنسان أو فناء الذات الإنسانية في الذات الإلهية،و لم يدع الإسلام إلى الرهبنة أو الاعتكاف عن الحياة بل هو صريح في إنكار الانفصال عن الحياة والمجتمع،بل يوجه دعوته إلى العمل والعبادة ومراقبة الله في العمل والعبادة "[2].

كما نجده فى كتابه «الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي » يؤكد هذا المعنى بقوله:"ولقد كان من أخطر ما وصل إليه الفكر الصوفي ذلك الجانب الذي يتصل بالكرامات[3]،وإسقاط التدبير ونبذ العقل والتواكل وإسقاط التكليف من صلاة أو صوم أو حج أو غير ذلك من فرائض ، بدعوى الترقي عن العامة ، ومن ذلك مسألة التفرقة بين الظاهر والباطن ، والإيغال في تفسيرات باطنية للمصطلحات والكلمات تختلف عن مفهوم السنة الجامعة .هذا اللون من التصوف الفلسفي المنحرف وهو الذي أوصل المسلمين إلي مرحلة الجبرية الذي جعل المتصوفة أولياء للمستعمر بعد أن كانوا في إيمانهم بالجهاد حرباً عليه ، وكان لهم دورهم الواضح الضخم في مقاومة نفوذ الحملات الصليبية والإدالة منها ، ثم تحول الصوفية في إبان الاحتلال الفرنسي والبريطاني فأصبحوا أولياء للنفوذ الأجنبي "[4].

وقد استظهر الجندي أن التفات الاستشراق إلى هذا النوع من الأفكار والمذاهب المنحرفة بالذات لم يكن ترفاً علمياً بل كان يرمي لخدمة تيارات ودعوات مستحدثه معاصرة فقال : "وقد

---

(1) - المؤامرة على الإسلام ص٤٦ .

(2) - المصدر السابق ص ٤٧، ٤٨.

(3) - الكرامة : هي أمر خارق للعادة ، يظهره الله على أيدي أوليائه الصالحين ، ولا يقصد به التحدي .(انظر : التعريفات للجرجاني ص ١٨٤).

(4) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، ص ٤٦، ٤٧ ، وانظر : المؤامرة على الإسلام ص ٦، ومقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٨ كلام حول هذا المعنى .

كانت كتابات الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من كتابات عصور الضعف والتخلف،وقد التفت إليها المستشرقون وحاولوا إحياءها وإذاعتها،وذلك لخلق منطلق لدعوات الإباحة المستحدثة،وخاصة الوجودية والفرويدية وغيرها،ومحاولة لتحطيم قانون أصيل هو:قانون البعث والجزاء،وكذلك لترديد الدعوة إلي إسقاط التكليف والالتزام الأخلاقي،وذلك كله مقدمة لإشاعة الانحلال الذي يستهدف التأثير في فريضة الجهاد في سبيل الله . والمعروف أن الاعتقاد بالحلول يسقط التكليف والالتزامات وحدود الله ، ويدفع المسلمين خارج نطاق قيمهم الأساسية ، ويدمر مقوماتهم النفسية في الاندفاع نحو الترف والانحلال والفساد والشهوات،عن طريق إغذاء الغرائز،أو الاندفاع نحو الانسحاب من الحياة كالرهبانية،ومعارضة مبدأ الزواج وتكوين الأسرة،و الزهادة عن بناء الحياة ومجاهدة أهواء المجتمعات "(١).

٣- لقد اجتهد الجندي في إبطال عقائد المتصوفة وقد أفاد وأجاد في أبطال تلك العقائد التي ما زالت تعشعش في عقول كثير من أصحاب التصوف،فضلاً عن كونها تدرس في بعض بلدان العالم الإسلامي بأنها عقيدة مقررة ومقبولة مع ما فيها من الإلحاد والزندقة فنجد أن الجندي سعى إلي حماية الشباب المسلم من هذا الفكر المسموم الوافد،بتقديمه تقديماً صحيحاً مع التعريف بضروف ه في مجتمعه وانحراف مفكريه والتعريف بالأخطار المترتبة على قبوله والتحرز منه والرد على ما يخالف الإسلام منه ولذلك قام بنقد تلك القضايا التي أنتجها التصوف الفلسفي وقام على إحياءها ثلة من المستشرقين ومن تبعهم من دعاة التغريب وسوف أتحدث عن أبرزها:

أ- وحدة الوجود:

نبَّه الجندي إلى أن وحدة الوجود تقوم على مفهوم معارض تمام المعارضة لمفهوم الإسلام الذي ينــزه الله سبحانه عن الاتحاد ويقول بوحدانية الله الخالق،كما يقول باسم الله واجب الوجود،منــزه عن وجود الكائنات التي خلقها؛ذلك أن وجود الله أزلي لا بداية له،ولا نهاية .أما وجود العوالم فهو وجود حادث له بداية ونهاية ، فضلاً عن أن وجود العوالم مسبب عن الله (٢) .

كما أن الجندي أنكر تلك المصطلحات والألفاظ الكفرية التي تعتبر مدخلاً لهذا المعتقد الفاسد فقال:" ونحن في حاجة إلى أن ننبه إلى أخطاء المصطلحات التي تقول:الكل في واحد والواحد في الكل ، أو نقول : لا موجود إلا الله وأن جميع الممكنات مظاهر له ، فهذا كله يتعارض تعارضاً كاملاً مع التوحيد كما جاء به القرآن وفهمه المسلمون "(٣).

(١) - التيارات الوافدة ص٢٠، ٢١.

(٢) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢٩ .

(٣) - التيارات الوافدة ص ١٩.

ويعتبر ابن عربى كاهن وحدة الوجود الذي تفاني كثيراً لنشر هذه العقيدة الإلحادية في مؤلفاته وقصائده الشعرية،وقد استمد أصولها من مذاهب وفلسفات قديمة ولذلك يقول عنه الجندي:"وقد تأثر ابن عربي بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية ونصرانية وفارسية الأصل ، ومنها المذهب المانوي والمذهب الزردشتي وفلسفة فيلون(1)اليهودي وفلسفة الرواقيين ويعرف المورخون محي الدين ابن عربي بأنه الداعية الباطني القرمطي الذي نشأ في بلاد الأندلس في القرن السادس الهجري وتتلمذ في مدراس سرية كان يشرف عليها علماء اليهود وبعد أن أتقن رسالته على أيدي غلاة الباطنية المتصوفة في المغرب انتقل إلي بلاد المشرق داعياً إلي مذهب وحدة الوجود ، ووحدة الأديان مستمداً أصولها من الحلاج "(2).

ولقد استفحل القول بوحدة الوجود على يد مجموعة من تلاميذ وأتباع ابن عربي أمثال ابن الفارض وابن سبعين والتلمساني (3) وجلال الدين الرومي وغيرهم ، وقد تصدّى لهم علماء السلف وأنكروا هذا القول الفاسد وبيّنوا فسادها وبطلانها كابن تيمية رحمه الله فنجده يقول عنهم وعن أقوالهم بعد أن بينها وذكرها :" فأقوال هؤلاء ونحوها : باطنها أعظم كفرا وإلحادا من ظاهرها فإنه قد يظن أن ظاهرها من جنس كلام الشيوخ العارفين أهل التحقيق والتوحيد وأما باطنها فإنه أعظم كفرا وكذبا وجهلا من كلام اليهود والنصارى وعباد الأصنام . ولهذا فإن كل من كان منهم أعرف بباطن المذهب وحقيقته – كان أعظم كفرا وفسقا كالتلمساني؛فإنه كان من أعرف هؤلاء بهذا المذهب وأخبرهم بحقيقته فأخرجه ذلك إلى الفعل فكان يعظم اليهود والنصارى والمشركين ويستحل المحرمات ويصنف للنصيرية كتبا على مذهبهم يقرهم فيها على عقيدتهم الشركية .وكذلك ابن سبعين كان من أئمة هؤلاء وكان له من الكفر والسحر الذي يسمى السيمياء – والموافقة للنصارى والقرامطة والرافضة : ما يناسب أصوله . فكل من كان أخبر بباطن هذا المذهب ووافقهم عليه كان أظهر كفرا وإلحادا "(4).

(1) - فيلسوف يوناني من أصل يهودي ، ولد بالاسكندرية ، حوالي سنة ٢٠ ق.م وفلسفته مزيج من فلسفة أفلاطون ومن التوراة . وكان له أثر واضح على الافلاطونية الحديثة ، وعلى الأدب المسيحي (انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٤٧,٢٥٢،دار النهضة،القاهرة) .

(2) - مجلة منار الإسلام ، ابن عربي وحدة الوجود ، ص٩١.

(3) - سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، عفيف الدين: شاعر، كومي الاصل .كان مولده سنة ٦١٠هـ تنقل في بلاد الروم وسكن دمشق، وكان يتصوف ويتكلم على و يتبع طريقة ابن عربي واتهمه فريق برقة الدين والميل إلى مذهب النصيرية. هلك سنة ٦٩٠هـوصنف كتبا كثيرة، منها : شرح مواقف النفزي و شرح الفصوص لابن عربي. (انظر : الأعلام ١٣٠/٣) .

(4) - مجموع الفتاوي ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ٤٨٠/١، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ.

ويقول الإمام ابن تيمية بعد أن ذكر كثيراً من أقوال أصحاب مذهب وحدة الوجود :"يقولون: إن الوجود واحد، كما يقول ابن عربي - صاحب الفتوحات - وابن سبعين وابن الفارض والتلمساني وأمثالهم -عليهم من الله ما يستحقونه- فإنهم لا يجعلون للخالق سبحانه وجوداً مبايناً لوجود المخلوق ، وهو جامع كل شر في العالم ، ومبدأ ضلالهم من حيث لم يثبتوا للخالق وجوداً مبايناً لوجود المخلوق وهم يأخذون من كلام الفلاسفة شيئاً ، ومن القول الفاسد من كلام المتصوفة والمتكلمين شيئاً ومن كلام القرامطة والباطنية شيئاً فيطوفون على أبواب المذاهب ويفوزون بأخسِّ المطالب، ويثنون على ما يذكر من كلام التصوف المخلوط بالفلسفة"(١).

وقد أنكر العلامة ابن القيم هذا المذهب،بل ولعنه وحكم على من قال به بالكفر والإلحاد حيث قال :

يا أمة معبودها موطوؤها × أين الإله وثغرة الطعان

يا أمة قد صار من كفرانها × جزء يسير جملة الكفران(٢).

ولقد ذكر الجندي شرح د. محمد يوسف موسى لمقولة ابن عربي :" أن ليس هناك إلا وجود واحد هو الله ، وأن العالم كله مظاهر له " (٣)،و معنى هذا أن الحقيقة التي هي الوجود الحق هو ذاته تعالى هي في عالم الحيوان حيوان وفي عالم النبات نبات،ثم قال:"إن هذه النظرية الغامضة الصعبة التصور العسيرة الفهم بعيدة عن العقل والدين،وقال:إن الله والعالم متابيين في كل شي ومنفصلين تمام الانفصال أحدهما وجوده رهن بإرادة الآخر ولا يتفق كذلك معه بحال مادام الدين ينـــزه الله عن أن يكون أشرف مخلوقاته مجلى ومظهراً له ، وأن هذا لا يتفق مع العقل الذي يرفض أن يؤمن بشيء يعجز عن إدراكه على أي نحو كان ولعل رفض العقل والشرع لفكرة وحدة الوجود هو الذي جعل بعض المفتونين بابن عربي يبرئونه من القول بها أو الذهاب إليها "(٤).

بناءً على ما سبق من أقوال علماء السلف نجد أن الجندي لم يخرج عن قولهم قيد أنملة فهو ممن يشنع على أصحاب هذه العقيدة الفاسدة ويرفض قولهم المنكر فيقول :" ولا

---

(١) - انظر: جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ١٦٧/١، دار العطاء ، بالرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

(٢) - انظر : الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (المطبوعة مع شرحها للهراس ، ١/ ٦٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤١٥هـ .

(٣) - الفتوحات المكية لابن عربي ٢/ ٢١٥.

(٤) - الإسلام والفلسفات القديمة ، أنور الجندي ،ص ١٣٥، وانظر : فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ، د. محمد يوسف موسى ،ص ٢٥٨-٢٥٩، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٩٦٣م .

يقبل الإسلام وحدة الوجود ؛ لأن فيها انتقالاً من عقيدته الأصلية لا اله إلا الله ،إلى ما يقوله بعض الصوفية : لا موجود في الحقيقة إلا الله،وسياق كل منهما ينتهي إلي نتائج مختلفة أشد الاختلاف عن النتائج الأخرى،والمعروف أن نظرية وحدة الوجود هي فكرة ترددت أول الأمر في الفلسفة اليونانية،وهي تتعارض مع الفطرة التي جاء بها الإسلام حاثاً أتباعه على التفكير في خلق الله ناهياً عن التفكير في ذات الله ، مقرراً أن الوجود أو الكون لا يمكن أن يكون موجوداً بنفسه، ولا ريب أن كثيراً من الباحثين – دون هدى من معطيات الوحى والرسالات المنـــزلة– قد جروا أشواطاً طويلة وراء الحقائق الكونية ، فلم يهتدوا وكانت غايتهم هي إدراك الله تبارك وتعالى وإدراك ما وراء الطبيعة ، بالحواس القاصرة وبالعقل البشري المحدود ، غير مقدرين أن هذه الأدوات من حس وعقل هي في ذاتها قاصرة عن الوصول بهم إلي هذه الغاية الكبرى التي لا تتحقق إلاّ عن طريق الإيمان برسالة الله ووحيه الذي أنزله إلي أنبيائه والتي تكفل للإنسان الطمأنينة التامة في هذا المجال ٠٠٠والقول بأن الله – جل في علاه – هو الكون إنما يمثل فهماً مادياً خالصاً لذات الله تبارك تعالى يتعارض مع العقل والفطرة ومع ما أودعه الله في مجال رسالة الدين الحق الموحى به الذي أراد به سبحانه أن يطمئن النفس الإنسانية في هذا المجال حتى لا تكون في حاجة إلى البحث الذي لن تقبل به إلى شيء،وأن يفسح لها طريق التأمل والفكر في المجال الآخر،مجال العمران،واكتشاف أسرار المادة،وما أودعه في الأرض،والماء والجبال من معطيات وكنوز وهبها للإنسان ، وحرضه على البحث عنها واستخلاصها،وذلك حسبما صوره الرسول الكريم ﷺ « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا »[1][2].

ويقول كذلك :" وخطأ وحدة الوجود هو القول بأن الكل هو الله أو أن الله هو الكل والحقيقة أن الكل لله .فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الوحيدة وراء هذا العالم،حقيقة لانهائية سرمدية ، فالله سبحانه لا يندمج في العالم ولا يندمج في المادة ، ولذلك فإن قول أصحاب مذهب وحدة الوجود بأن الله والمادة وحدة لا تتجزأ هو خروج عن مفهوم الاسلام الحق الذي يقول بأن كل مسبب لابد له من سبب وكل معلول لابد له من علة والمسبب لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بالسبب،وكذلك المعلول فإنه لا يوجد بذاته وإنما يوجد بوجود العلة فإذا

---

(1) - لم يرد الحديث بهذا اللفظ وإنما جاء بقوله ﷺ : " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عزوجل " رواه الطبراني في الأوسط مجمع الزوائد ٨١/١، والبيهقي في الشعب ١/ ٢٦٢، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣/ ٥٨٠ برقم ٩٧٢، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٨٨، ٣٩٥/٤.

(2) - التيارات الوافدة ص ١٨، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٢٣٢، الإسلام والفلسفات القديمة ص١٣٣.

زال السبب أو العلة زال المسبب وزال المعلول ، والله تبارك تعالى قديم وهو أول وهو آخر،والحديث[1] مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات والمادة معلولة وحادثة ولها خالق فإذا قيل بقدم المادة شاركت المادة الله في قدمه .والمسلمون يؤمنون بثنائية الوجود: وهو أن الكون موجود ومنفصل عن الله ، وأن الله تبارك تعالى [له] ذاتية قائمة مستقلة بذاتها عن الكون المادي.والكون كله ملكه وقبضته وهو المتصرف فيه وهو الذي يمسكه لحظة بعد أخرى ولو تخلى عنه سبحانه لانتهى،وبالجملة فإن الإسلام لا يقر القول بوحدة الوجود أو أن الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً هو مجموع هذه الموجودات "[2].

ثم قال الجندي بعد ذلك : " ولا ريب أن كل ما يؤدي إلي وحدة الوجود أو الحلول لا صلة له بمفهوم الإسلام الأصيل،و لم يكن معروفاً على عهد السلف الصالح و لم يتكلم عنه أهل السنة "[3].

وأشار إلى أن مصدرها الفكر الغنوصي و أنها لا تمت للإسلام بصلة فقال :" ولا ريب أن مفهوم وحدة الوجود من دخائل الغنوصية ، وهو غير أصيل في الإسلام ، ولا فكره ، ولا في عقيدته القائمة على التوحيد الخالص"[4].

وهذا الذي ذهب إليه الجندي من بيان إنما هو نتيجة لما تضمنه هذا المذهب من انحرافات خطره يتعالى تبارك وتعالى عنها.وقد نبَّه على ذلك الجندي بقوله:"إن أخطر ما تصل إليه نظرية وحدة الوجود من دعوى القول بأن الكون هو الله – تعالى الله عن ذلك – هو إسقاط التكاليف،وتدمير المسؤولية الفردية والالتزام الأخلاقي،فحيث إن مذهب وحدة الوجود في ذاته لا يتفق مع العقل السليم الذي لا يقبل أن يكون الله–جل في علاه–هو العالم بما فيه من حيوان وجماد،فإن القول بوحدة الوجود يهدد بقيمة كبرى من قيم الإسلام هي الأخلاق"[5].

ويقول الجندي في إيضاح ذلك:" إن فكرة وحدة الوجود تحاول القضاء على قواعد أربع أساسية في بناء الشخصية الإنسانية :هي حرية الإرادة،القول بالخير والشر،والمسئولية الفردية ، الالتزام الأخلاقي. والإسلام يقرر أن الإنسان له أفعاله الاختيارية وإرادته وعليها

---

[1] - هكذا في المطبوع ولعلها الحدوث .
[2] - المؤامرة على الإسلام ص٥٢- ٥٣، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٥.
[3] - المؤامرة على الإسلام ص ٥٣.
[4] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢٩.
[5] - التيارات الوافدة ص ١٩ ، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٣٢.

تقوم المسئولية الفردية،وأن إرادة الإنسان هي مصدر حسابه وجزائه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[سورة النجم: آية ٣٩] وأن الأخلاف لا يؤاخذون بجرائر سابقتهم وأسلافهم وأن كل امرئ رهين بما كسب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٣٤] .إن القول بوحدة الوجود نفي للإلوهية وإثبات للكائنات وحدها بل إن عبارة وحدة الوجود هي عنوان آخر للإلحاد في وجود الله ، تعبر للقول بوجود المادة فقط ، مادام لا يوجد شيء وراء هذا العالم فالقول بأن الله داخله هو صورة أخرى للقول بنكرانه "[1].

ب- الحلول :

- **موقف الإسلام من الحلول:**

إن عقيدة الإسلام واضحة أتم الوضوح ليس فيها لبس أو غموض فقد جاءت بإثبات الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى،وهي من أعظم المواضيع تقريراً وتأكيداً في القرآن بحيث لا تكاد تخلو آية من التصريح أو الإشارة إلى هذا الموضوع،وردّ هذه النصوص والإسراف في تأويلها،وحملها على المحامل البعيدة فيه إبطال للقرآن الكريم بل للدين جميعاً[2]. ومن أعظم ما اتصف الله جل شأنه به العلو فهو سبحانه مستو على عرشه بذاته وهو ليس داخل العالم،بل منفصل و بائن عنه وهو مطلع على كل شئ لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء فقد قال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة الحديد: آية : ٤] قال شيخ الإسلام رحمه الله :" من اعتقد ما يعتقده الحلاج من المقالات التي قتل الحلاج عليها فهو كافر مرتد باتفاق المسلمين ؛ فإن المسلمين إنما قتلوه على الحلول والاتحاد ونحو ذلك من مقالات أهل الزندقة والإلحاد كقوله : أنا الله . وقوله : إله في السماء وإله في الأرض . وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا إله إلا الله وأن الله خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق و﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم: آية : ٩٣] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

---

[1] - التأصيل الإسلامي ص٤٩.

[2] - انظر : النفي في باب الصفات ص ٤٨٠.

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾[سورة النساء: آية : ١٧١] وقال تعالى:﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾[سورة المائدة: آية : ١٧] ، فالنصارى الذين كفرهم الله ورسوله واتفق المسلمون على كفرهم بالله ورسوله : كان من أعظم دعواهم الحلول والاتحاد بالمسيح ابن مريم فمن قال بالحلول والاتحاد في غير المسيح – كما تقوله الغالية في علي وكما تقوله الحلاجية في الحلاج والحاكمية في الحاكم وأمثال هؤلاء – فقولهم شر من قول النصارى؛لأن المسيح ابن مريم أفضل من هؤلاء كلهم"[1].

لقد ذهب الجندي إلى التصدي لهذه العقيدة ونقدها بكل جلاء ووضوح وذكر أنها عقيدة مرفوضة ومعارضة تماماً لمفهوم التوحيد فقال :" وفكرة الحلول فكرة معارضة لمفهوم التوحيد والدين الحق خاضت فيها الفلسفات الغربية والشرقية والتصوف الفلسفي وتفسيرات المسيحية (النصرانية) وهي نظرة تقوم على قولهم بأن الله – سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً – ليس كائناً خارجاً عنهم بل هو كائن حال فيهم وهو نفس ما يقول به «الحلاج»«وابن طفيل»[2] ، ولا ريب أن القول بحلول الخالق في المخلوق ،أو تجسد الخالق هو من المعتقدات الباطلة التي تناقض مبدأ التوحيد الخالص؛لأن الله تبارك وتعالى هو الخالق الباقي وأما الإنسان فما هو إلا ظاهرة تفنى وتزول والكائنات لا توجد لذاتها بل تستمد وجودها من خالقها تبارك وتعالى "[3].

ونبَّه الجندي إلى أن الله القديم [4] يختلف عن الحادث لاختلاف الماهية في كل منهما ، وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحادث ، ثم إن الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفي الحلول؛لأنه في حالة حدوثه يصبح الحال تابعاً لما حل فيه ، كما يصبح معلولاً لهذا المحل ومتأثراً به بل إنه ليصبح في غير الإمكان تصور الحال إلا بتصور المحل ،إذن ينتفي الحلول في هذه المرة كما استحال في الأولى[5].

---

[1] - مجموع الفتاوى ١/ ٥٤٨(طبعة العبيكان).

[2] - هو :أبو بكر محمد بن عبدالملك طفيل المغربي ، ولد سنة ٤٩٤هـ واشتهر بالطب والرياضيات والفلك والموسيقى والفلسفة . له آراء مخالفه لعقيدة الإسلام ، ويعد من ملاحدة الصوفية توفي سنة ٥٨١هـ له مؤلفات منها : أسرار الحكمة ، رسالة الطبعيات ، ورسالة في النفس ، رسالة حي بن يقظان (انظر : الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ٤/ ٢٩-٣٠، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٠هـ، الأعلام للزركلي ٦/ ٢٤٩ ، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص٥٦٠- ٥٦٢).

[3] - التأصيل الإسلامي ص ٥٠ .

[4] - لفظ القديم لا يطلق على الله عز وجل إلا من باب الإخبار ، أما من جهة كونه اسماً لله عز وجل فلا يصح إطلاقه على الله ؛ لأن أسماء الله توقيفية ولم يرد في كتابه سبحانه ولا سنة نبيه ﷺ تسميته بالقديم . والمقصود منه هنا الإخبار والله أعلم .

[5] - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٣٤.

ويقول:" إن مذهب الحلول يري خلاف ما يرى الإسلام والدين الحق المنـــزل من رب العالين أياً كان؛ذلك أن مذهب الحلول يرى أن الله والعالم امتزجا وأن الله والقوى الداخلية الفاعلة في العالم مترادفان،وهذا ما يسمى بمذهب الاتحاد بين الله والعالم،أما الدين الحق المنـــزل فيرى أن الله والعالم،والخالق والمخلوق،والروح والمادة :عنصران اثنان لا عنصر واحد.ولا يقر الإسلام الواحدية التي تقول بأن الله والعالم والمادة والروح والخالق والمخلوق شيء واحد "[1].

ج- الاتحاد :

- **موقف الإسلام من الاتحاد :**

رفض الإسلام هذا الاعتقاد الفاسد،الظاهر البطلان المأخوذ من مذاهب،وفلسفات ووثنيات هندية،ويونانية،ويهودية ونصرانية،كما رفضها تبعاً لذلك علماء الإسلام ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام «ابن تيمية» حيث قال:"إن الاتحاد بين الخالق والمخلوق ممتنع؛ لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإما أن يكونا بعد الاتحاد اثنين كما كانا قبله ، وهذا تعدد وليس بإتحاد وإما أن يستحيلا إلي شيء ثالث كما يتحد الماء واللبن ، أو النار والحديد فيلزم أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره،وهذا ممتنع على الله إذ الاستحالة تقتضى عدم ما كان موجوداً والله تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته الملازمة له والتي هي كمال والتي إذا عدمت كان ذلك نقصاً يتره الله تعالى عنه"[2].

ويذهب الجندي بعد إيراد هذه النصوص إلى ما ذهب إليه العلماء السابقون من فساد هذا المعتقد فقال :" وليست فكرة الاتحاد بأقل من فكرتي وحدة الوجود والحلول اضطراباً وفساداً ؛ذلك لأن قول القائل : إن العبد صار هو الرب كلام يتناقض مع نفسه ، بل ينبغي أن يتره الرب سبحانه أن يجري اللسان في حقه بأمثال هذه المحاولات "[3].

وقد استدل الجندي على بطلان هذا المعتقد بالعقل فقال:" والعقل هو الذي يقرر وجود هذا التناقض،والعقل نفسه هو الذي لا يستسيغ قبول هذا التناقض بعد أن جاء الشرع يبين فكرة فساد الاتحاد عند النصارى ، فأصل الاتحاد باطل "[4].

---

(1) - المؤامرة على الإسلام ص ٥٦،

(2) - المؤامرة على الإسلام ص ٥٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٨-٤٤٩، وقارن ما عند شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٢/ ٣٣٩ .

(3) - التيارات الوافدة ص ٢١،

(4) - المؤامرة على الإسلام ص ٥٨، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٩

ويتبين من موقف الجندي من عقيدتي الحلول والاتحاد دقة فهمه لخطر المؤامرة عندما أشار إلى أغراض نشر مثل هذه الآراء وترديدها والذي يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - إخراج المسلمين عن حقيقة دينهم وعن التوحيد الخالص .

٢ - إسقاط التكاليف ومن أعظم ذلك الجهاد .

٣ - تعطيل أحكام الشرع .

٤ - نقض رسالة الإسلام في وحدة الله وتتريهه عن الخلق وصفاته .

٥ - كونها تستتبع التناسخ فتجعل من الله - جل وعلا - موجوداً متنقلاً ، وهذا يتنافى مع صفاته جل شأنه وهي البقاء والقيام بالنفس .

٦ - الترويج لفكرة المسيحية (النصرانية) نحو تأليه عيسى النبي عليه الصلاة والسلام والدعوة إلى شئ لا يقره الإسلام وهو التقاء الألوهية والبشرية أو الالتقاء بين الألوهية والنبوة في إنسان[1].

د - الإنسان الكامل :

- **موقف الإسلام من الإنسان الكامل :**

مما لا شك فيه أن الإسلام لا يمكن أن يقبل مثل هذه الأفكار الوثنية ، لمخالفتها الصريحة لما جاء في الكتاب والسنة ، فقد أشار القرآن في أكثر من موضع إلى بشرية الرسول ﷺ كقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [سورة الكهف : آية ١١٠] ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [سورة الإسراء : آية ٩٣].ودلت السنة النبوية كذلك على هذا المعنى فقد قال عليه الصلاة والسلام منكراً على الغالين فيه:"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله" [2]،وقوله عليه الصلاة والسلام:"إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر،وأغضب كما يغضب البشر ..."[3].

والإنسان مهما بلغ في كماله فهو لا يتعدى أن يكون عبداً من عباد الله ومخلوقاً من مخلوقاته ، ولا يمكن أن يرتقي إلى مقام الألوهية في أي حال من الأحوال[4].

---

[1] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ٥٦، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٤٨.

[2] - رواه البخاري في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء ، باب وأذكر في الكتاب مريم رقم ٣٤٤٥ .

[3] - رواه مسلم في صحيحة ،كتاب البر والصلة والآداب ،باب من لعنه النبي ﷺ أو سبه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة رقم ٢٢٦٠٣ ، ص ١٠٤٥.

[4] - انظر : البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ، ص ٤٨٤.

ولهذا يقول الجندي عنها:"ليست فكرة الإنسان الكامل إسلامية المصدر فهي مما ورد في كلام أرسطو[1] وأفلاطون ثم رددها الفارابي،وجماعة إخوان الصفا واستعملها محي الدين ابن عربي في مؤلفاته،وهي محور تعاليم البرهمية،ومصدرها المانوية الإيرانية القديمة.كما ترد نفس هذه الفكرة في فلسفة فيلون وفي الفلسفة البوذية حيث يكون بوذا أكمل مخلوقات الله"[2].

والإنسان الكامل في نظر هؤلاء الصوفية هو محمد ﷺ يظهر في صورة الأولياء في كل مكان وزمان،وهو سبب خلق العالم وعلة وجوده ليعرف الله نفسه به ويتجلى كمالاته فيه،ومن أقوالهم في ذلك:"اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي،فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات،والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات،ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل...والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق،فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه وصفاته إلا في الإنسان الكامل "[3].

وقد نبّه الجندي على بطلان هذه الفكرة قائلاً:"تستهدف فكرة الإنسان الكامل إيجاد قطب أو وسيط للوصول إلى الله سبحانه وتعالى،ولذلك فإن هذه الفكرة يسقطها الإسلام ويرميها بالزيف والفساد إذ لا يقر الإسلام وجود وسيط بين الخالق تبارك وتعالى وبين الإنسان"[4].

هـــ – فكرة أن التصوف لغة عالمية :

إن هذه الفكرة ليست وليدة العصر بل نتاج فكر فلسفي منحرف تبناها دعاة منحرفون أبرزهم الحلاج الذي من خلال اعتقاده بالحلول،وجد أن الاختلاف في العقائد الدينية،لا يعدو اختلافاً في وجهات النظر مؤداه حقيقة واحدة وهي حب الله الذي يجب اتخاذه مذهباً،و به تتوحد المعتقدات،فلا يكون هناك فرق بين عقيدة وأخرى،ولا حتى بين عقيدة سماوية وعقيدة وثنية[5]،وجاء قدوة السوء القائل بوحدة الوجود «ابن عربي» فاعتنقها، فكان يرى أن للإنسان أن يدين بما يراه،بل وله أن يدين بكل دين،وفي العصر الحديث

---

[1] - هو أرسطو طاليس بن نبقوماخس ،أحد الفلاسفة الأقدمين ، ومن تلاميذ أفلاطون المقربين . ولد في اليونان سنة ٣٨٤ق.م والتحق بالأكاديمية التي أسسها أفلاطون في أثينا مات سنة ٣٢٢ق.م اشتهر عنه القول بقدم العالم.(انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص١١٢- ١١٣).

[2] - المؤامرة على الإسلام ص ٦٤.

[3] - الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر،عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي٢/٧٧ ،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٤٠٢هـ .

[4] - المؤامرة على الإسلام ص ٦٤.

[5] - الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل ، ص٤٧٠بتصرف .

أخذت هذه الفكرة في الانتشار والدعوة إليها بشتى الوسائل،وممن دعا إليها في العصر الحديث «عبدالرحمن بدوي » حيث قال:" يمتاز التصوف الإسلامي بترعة إنسانية عالمية منفتحة على سائر الأديان والأجناس،وإذا كان الإسلام في جوهره ديناً منفتحاً على كل الأجناس لا فرق عنده بين مسلم ومسلم يختلفان جنساً أو لغة أو مكاناً أو زمناً ، فإن الصوفية المسلمين قد وسعوا من الآفاق التي يستشرف إليها الإسلام ، فامتدوا بها إلى الأديان الأخرى"[1]،فقام الجندي ببيان خطرها والتحذير منها فقال:"إن فكرة التقاء الأديان ، أو أن التصوف لغة عالمية هي من أخطر الدعوات وأشدها فساداً ، وأبعدها عن مفهوم الإسلام وهي ما يقول به أصحاب وحدة الوجود والتي يروج لها الاستشراق الذي دعا إلي انبعاث الفكر الفلسفي الصوفي في العصر الحديث ، فليس صحيحاً أن الاختلاف في الأديان اختلاف في المظاهر،وليس صحيحاً أنها جميعاً تسلك طريقاً إلي الله فإن مفهوم التوحيد الخالص الذي يبرى الله من التعدد والشريك لا يوجد إلاّ في مفهوم الإسلام.وكل أشعار جلال الرومي وكتابات ابن عربي في هذا الصدد زائفة،ومضللة وليس صحيحاً أن الإيمان والكفر لا يختلفان،أو أن أصحاب الأديان و عبدة الأصنام متفقون في هدف واحد،أو أن التوراة والقرآن واحدة،ونحن نعرف أن التوراة كتبها أحبار اليهود وليست كتاب الله المترل على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام"[2].

و- إسقاط التكاليف :

من الأفكار المنكرة عند أهل التصوف زعمهم أن هناك مرتبة ومنـــزلة إذا وصلها العارف تسقط عنه التكاليف الشرعية،وتحّل له المحرمات،وأقوالهم في هذا كثيرة ومعلومة ومن ذلك قول أحدهم:"العارف لا تكليف عليه" [3]،ونقل عن رجل من المتصوفة،كان يحضر الملاهي،ويعمل عمل أهل البدع ويقول:"هذا لا يؤثر؛لأني وصلت إلى مقام لا يؤثر فيَّ معه الاختلاف"[4].

وهذه المزاعم قديمة عند أهل التصوف وقد قام العلماء بالرد عليهم،وببيان بطلان أقوالهم وحكاياهم المنكرة[5]،ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال عنهم:" أما من جعل كمال التحقيق الخروج من التكليف.فهذا مذهب الملاحدة من القرامطة والباطنية،ومن شاهم من

---

(1) - تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ،د.عبدالرحمن بدوي،ص ٢٧،وكالة المطبوعات ، الكويت ، عام ١٩٩٣م .

(2) - المؤامرة على الإسلام ص٦٩.

(3) - الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٦.

(4) - حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦.

(5) - انظر : جهود علماء السلف في القرن السادس الهجري في الرد على الصوفية ص ٣٩٩- ٤٠٥.

الملاحدة المنتسبين إلى علم أو زهد،أو تصوف أو تزهد.يقول:أحدهم إن العبد يعمل حتى تحصل له المعرفة، فإذا حصلت زال عنه التكليف، ومن قال هذا فإنه كافر مرتد باتفاق أئمة الإسلام،فإنهم متفقون على أن الأمر والنهي جار على كل بالغ عاقل، إلى أن يموت.قال تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[سورة الحجر: آية :٩٩] قال : الحسن البصري لم يجعل الله لعمل المؤمن غاية دون الموت ؛ وقرأ هذه الآية . واليقين هنا ما بعد الموت"[١].

ونجد أن الجندي يسلك مسلك علماء السلف في رفضهم هذه البدعة المنكرة ، فقال :" لا يقر الإسلام القول بإسقاط التكاليف،ورفع فريضة أداء العبادات عن الفرد – أي فرد – بدعوى أنه من وصل إلى الله تسقط عنه التكاليف،وهذا القول لم يعرفه المسلمون أيام رسول الله وهم قمة المسلمين في كل عصر ، فقد عاش رسول الله ﷺ، وعاش المسلمون حياتهم يؤدون العبادات والفروض دون أن تسقط عنهم "[٢].

ونبَّه الجندي على أن الإسلام لا يقر إسقاط الشرائع والفرائض لأي سبب من الأسباب ، وليست رسوم الشريعة في الحقيقة مظاهر تختلف عن أعمال القلوب ولكن العبادات لها مظاهرها التي هي جزء لا يتجزأ من مداخلها. وأن المسلم مهما بلغ من درجات الإيمان أو الولاية لا يسقط ذلك عنه فرضاً أو التزاماً[٣].

---

[١] - مجموع الفتاوى ١١/ ٥٣٩ ، وانظر كذلك : المصدر نفسه ١٠/ ٤٣٤.
[٢] - المؤامرة على الإسلام ص ٦٧.
[٣] - انظر : المصدر السابق ص ٦٨- ٦٩بتصرف .

«تعقيب »

لقد عرضنا فيما سبق موقف أنور الجندي من الفكر الصوفي الفلسفي ، وذلك من خلال ما كتبه رحمه الله في مؤلفاته ومقالاته ، وإن كنت اعتمدت في ذلك بصفة أساسية على ما كتبه في «المؤامرة على الإسلام»،وكتابه «الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة » ، بالإضافة إلى كتاب «التأصيل الإسلامي» وهي من أكثر كتبه حديثاً عن هذا الموضوع.

وقد لا حظنا فيما سبق أن الجندي كان موفقاً في عرضه للتصوف ، ونقده لكثير من أفكاره ومعتقداته التي ما زالت تنخر في عقيدة المسلمين ، ولم يكن الجندي بعيداً عن علماء الإسلام في الرجوع إليهم،وقراءة ردودهم ومناقشاتهم الجادة لأصحاب الفكر الصوفي الفلسفي لذا نجده :

١- اعتمد على مؤلفات أصيلة في نقدها للتصوف من أمثال كتب ابن الجوزي (تلبيس إبليس) والغزالي ، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه ابن القيم بالإضافة إلى رجوعه إلى كتب أهل التصوف لتوثيق مقالاتهم وعباراتهم الكفرية مثل كتاب الطواسين للحلاج ، وفصوص الحكم لابن عربي وغيرها كما رجع الجندي إلى مؤلفات حديثة لعلماء معاصرين عالجوا قضايا معينة في التصوف الفلسفي .

٢- أن الجندي دأب على توضيح الفكرة التي كان يناقشها أو يتعرض إليها خاصة عندما كان يتحدث عن أفكار ومعتقدات التصوف الفلسفي،فكان يعمد إلى توضيحها،وذكر ملامح تأثيرها،والقائلين بها،ثم يشرع في الرد عليها،وإن لم يكن مرتباً في بعضها بما فيه الكفاية .

٣- أثبت الجندي بما لا يدع مجالاً للشك اعتماد التصوف الفلسفي على المصادر الأجنبية ، وهذا ما كان يركز عليه في نقده لأي فكرة من الأفكار.

٤- وضَّح الجندي دور الاستشراق والتغريب ومن تابعهم في إحياء الفكر الصوفي الفلسفي سواءٌ من حيث التراث أو الأفكار، وهذا بحد ذاته يعتبر عملاً مبتكراً وجديداً لم أجد من تحدث عنه بهذا التوسع والتوضيح والله أعلم.

٥- يري الجندي أن الحلول عند من اعتقده هو" أن لله قدرة على الحلول في الأشياء والتشكل بها "[1] وهذا المعنى عند الجندي جعله يقول بالاختلاف بين الحلول ووحدة الوجود فقال : " الفرق بين الحلول ووحدة الوجود ، أن الحلول هو وجود حقيقتين مختلفتين

[1] - الإسلام والفلسفات القديمة ص ١٣٣.

«الإلهية» و«البشرية» وقيام الأولى بالثانية تحت ظروف خاصة ؛ بينما يرى أصحاب وحدة الوجود وحدة ذاتية لجميع الأشياء مع تعدد مظاهرها "[1] .

وقد نبه الجندي إلى مسألة مهمة ودقيقة وهي أن القول بالحلول ينافي وحدة الوجود كل المنافاة ؛ لأنه يقتضي حالاً ومحلول فيه ويكون الوجود وجودين لا وجوداً واحداً فكيف يكون الله – سبحانه – حالاً في العالم ويكون ليس شيئاً غيره ، والقائلون بوحدة الوجود ينكرون الحلول[2][3].

٦-الجندي لم يكن يهدف إلى دراسة التصوف من جميع جوانبه أو باعتباره موضوعاً قائماً بذاته ؛ولذلك نجده لم يعرف التصوف ويبين نشأته .

٧- اعتمد الجندي في كثير من الأحيان على الأدلة العقلية ، وما نقله عن بعض العلماء من الحجج العقلية ، وأغفل في كثير من الأحيان الاستدلال بالأدلة النقلية من الكتاب والسنة على بطلان قضايا التصوف الفلسفي مما جعلني في كثير من القضايا أبين حكم الإسلام فيها.

٨- يؤخذ على الجندي أنه لم يتعرض لكل أفكار التصوف الفلسفي فهناك شطحات لها تأثير كبير على الإسلام ومع ذلك أغفلها من مؤلفاته،فمثلاً مصادر التلقي عند الصوفية لم يعرج عليها،ولا عن ما تحدثه الطرق الصوفية من بدع منكرة كبدعة الاحتفال بالموالد ، وما يحصل فيها من السماع الباطل ، وترك للعبادات ، واختلاط ينجم عنه كبائر الموبقات مع أن هذه الشطحات كانت تجد كل مؤازرة ودعم من الاستعمار الغربي،ولكن العذر الذي يمكن التماسه للجندي أنه لم يهدف إلى الحديث عن كل أفكار التصوف،وإنما كان تركيزه على الأفكار التي أحياها المستشرقون ودعاة التغريب وأتباعهم كما سبق أن بينا[4] .

٩- يلاحظ أن الجندي لم يذكر تلك الشبهات الموجودة عند أصحاب الوحدة أو الذين أسقطوا التكاليف الشرعية وغيرهم من أصحاب الشطحات المنكرة ، فكانت ردوده سريعة موجزة ولكنها في نفس الوقت تتسم بوضوح العبارة وقوة الدلالة .

---

[1] -الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٣٣ ، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٤٢٦ ، التيارات الوافدة ص ٢٠ .بتصرف يسير .

[2] – لمناقضة أصلاً مهماً عند الصوفية وهو «الوحدة » ، وقد يكون الجندي استفاد هذا من كلام شيخ الإسلام عندما قال :" حقيقة قول هؤلاء : إن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ، ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة ،ولهذا من سماهم حلولية ، أو قال : هم قائلون بالحلول، رأوه محجوبا عن معرفة قولهم ، خارجاً عن الدخول إلى باطن أمرهم؛ لأن من قال : إن الله يحل في المخلوقات فقد قال : بأن المحلّ غير الحالّ وهذا تثنية عندهم، وإثبات لوجودين : أحدهما : وجود الحق الحال ، والثاني : وجود المخلوق المحل وهم لا يقرون بإثبات وجودين البتة.(انظر: مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٠)

[3] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٣٣، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٤٢٧.

[4] - انظر : ص ١٠٩ من الرسالة .

١٠- ذكر الجندي من العلماء الذين انتقدوا الحلول والاتحاد الغزالي وذكر بعض تلك النصوص[١] لكن الجندي لم يذكر له غير هذا الموقف حول أهل الحلول والاتحاد . وهذا لا يسلم له فإن القول الذي انتقده الغزالي قال به في كثير من كتبه ومؤلفاته وقد يكون سبب خفاء هذا القول عن الجندي إما لعدم تتبع أقواله كلها أو، ربما نتيجة اضطراب منهج الغزالي نفسه فإنه كان مضطرباً لا يقف عند عقيدة معينة أو منهج بل كما وصفه ابن رشد حين قال :" ولم يلزم الغزالي مذهباً من المذاهب في كتبه ، بل هو مع الأشعرية أشعري ومع الصوفية صوفي ومع الفلاسفة فيلسوف "[٢]

وممن لا حظ هذا التناقض والاضطراب في المنهج شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكر أنه ربما كفر في أحد المصنفات بالمقالة التي ينصرها في مصنف آخر [٣].

ومن النصوص التي تبين ميل الغزالي إلى هذا المعتقد قوله :" ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية، فليس وراء ذلك مرقاة إذ الرقي لا يتصور إلا بكثرة ، فإنه نوع إضافة يستدعي ما منه الارتقاء ، وما إليه الارتقاء ، وإذا ارتفعت الكثرة حققت الوحدة وبطلت الإضافة وطاحت الإشارة ، فلم يبق علو و لا سفل و لا نازل و لا مرتفع فاستحال الترقي واستحال العروج ، فليس وراء الأعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ، ولا مع انتفاء الكثرة عروج "[٤]

---

[١] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ٥٧، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٣٢، ١٣٣.

[٢] - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص ٢٧

[٣] - انظر مجموع الفتاوى ٣/ ٣٧٧(مطبعة العبيكان) .

[٤] - مشكاة الأنوار ص ٢٩٦، ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي ، تحقيق إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ولمزيد من أقوال الغزالي ينظر : إحياء علوم الدين ٤/ ٢٦٢- ٢٦٣، الأربعين في أصول الدين ص ١٠٤، قصيدته التائية ص ٥٢٦ في النسخة المنشورة في الحولية القطرية بتحقيق د. جلال شوقي .

الفصل الثالث:موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني والشعوبي وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : موقف أنور الجندي من الفكر الباطني .

المبحث الثاني : موقف أَنور الجندي من الشعوبية .

المبحث الثالث : موقف أَنور الجندي من جماعة إخوان الصفا .

المبحث الرابع : موقف أَنور الجندي من الفرق الباطنية الحديثة .

المبحث الأول :موقف أَنور الجندي من الفكر الباطني وفيه تمهيد وأربعة مطالب.

التمهيد وفيه :

أولاً : التعريف .

ثانياً : النشأة .

ثالثاً : معتقداهم وأصولهم .

المطلب الأول :إحياء الفكر الباطني في الغرب الحديث .

المطلب الثاني : إحياء الفكر الباطني في العالم الإسلامي .

المطلب الثالث : موقف الإسلام من الفكر الباطني .

المطلب الرابع :موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني .

المبحث الأول
موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني

تمهيد:في التعريف بهم ونشأتهم ومعتقداتهم وأصولهم :

أولاً : التعريف :

الباطن في اللغة:معناه:المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصر ولا يحيط به وهم [١].

وقيل أن معناه : الباطن من كل شئ داخله ، وجمعه بواطن،و الباطنة خلاف الظاهرة ،وبطانة الرجل : صاحب سره وداخلة أمره الذي يشاوره في أحواله[٢].

ثانياً : في الاصطلاح :

أ- عند الفلاسفة:

يطلق على التعليم الذي لا يعطى إلاّ داخل المدرسة ، للأتباع مكتملي الثقافة ، وهو نوع التعليم الذي كان أرسطو يلقيه صباحاً على طلابه من الخاصة[٣]

ب- عند الصوفية :

هو العلم المخزون،والعلم اللّدني الذي اختزنه الله عنده،فلم يؤته إلا للمخصوصين من الأولياء ...وقال بعضهم :هي أسرار الله تعالى يبديها إلى أنبيائه وأوليائه ، وسادت النبلاء من غير سماع ، ولا دراسة ، وهي من الأسرار التي لم يطلع عليها أحد إلا الخواص "[٤].

فالباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة [٥] تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة وإثبات معان باطنة لها ، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص وإخراجها عن معانيها الظاهرة ، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية[٦]

ويقول ابن الجوزي:"الباطنية:قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلي الرفض،وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة،فمحصول قولهم تعطيل الصانع،وإبطال النبوة والعبادات،

---

[١] - انظر : لسان العرب ٢/ ١٠٥.

[٢] - المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

[٣] - انظر:موسوعة لالاند الفلسفية ،أندريه لالاند،تعريب.خليل أحمد خليل ١/ ٣٦١،دار عويدات،بيروت،ط الثانية،عام ٢٠٠١م،المعجم الشامل ص ١٤٤.

[٤] - انظر:غيث المواهب العلية ٣/ ٢٣٨-٢٣٩،نقلاً عن جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية ،د. محمد لوح ص ٥٠٣،دار ابن عفان ، الخبر ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ.

[٥] - القرامطة ، الإسماعيلية ، الخرمية ، البابكية ، المحمرة ، النصيرية ، الدرزية. (انظر : فضائح الباطنية ص ٢١، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٥٢).

[٦] - انظر :دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين،د. أحمد جلي ص ٢٦٥،مركز الملك فيصل ، الرياض ، ط الثانية ، أصول الاسماعلية دراسة - تحليل- نقد، د سليمان السلومي ،ص ٢٢٢، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

وإنكارهم البعث،ولكنهم لا يُظهُرون هذا في أول أمرهم، بل يزعمون أنَّ الله حق وأن محمداً رسول الله والدين صحيح، ولكنهم يقولون: لذلك سر غير ظاهر "[١].

وقد علل الشهرستاني[٢] سبب تسميتهم بالباطنية بقوله:"إنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً،ولكل تنـــزيل تأويلاً "[٣]

ثانياً : نشأهم :

من الصعب الجزم بتحديد زمن معين لبداية ظهور الباطنية نظراً لما سلكته هذه الدعوة من التستر والتخفي؛ولهذا اختلف العلماء في ذلك : فمنهم من يذهب إلى أنها ظهرت في زمن المأمون وانتشرت في حكم المعتصم ، يقول البغدادي [٤]: " ذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولاً في زمان المأمون، وانتشرت في زمان المعتصم "[٥].

وذهب البغدادي أيضاً إلى أن ميمون القداح [٦]هو من أسس دعوة الباطنية مع جماعة معه في السجن فوضعوا مذهبهم ثم ظهرت دعوتهم بعد خروجهم من السجن[٧].

أما الديلمي[٨] فيرى أن ابتداء وضع مذهب الباطنية في سنة خمسين ومائتين من الهجرة النبوية وضعه قوم من الفلاسفة والملاحد ة والمجوس واليهود تطابق هؤلاء على بغض الإسلام وبغض نبيه ﷺ[٩].

---

(١) - تلبيس إبليس ٢/ ٦٢٢، وذكره الجندي في : الفكر الإسلامي وسموم التغريب و التبعية ص ٢٤

(٢) - هو : أبو الفتح ، محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، المتكلم الأشعري ، ولد سنة ٤٦٩هـ وتوفي سنة ٥٤٨هـ من كتبه : الإرشاد إلي عقائد العباد ، الملل والنحل ، نهاية الإقدام في علم الكلام .(انظر : هداية العارفين ١/ ٤٩٤).

(٣) - الملل والنحل ، للشهرستاني ١٩٢/١ ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، عام ١٣٩٦هـ .

(٤)- عبدالقاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الاسفراييني، ابو منصور: عالم متفنن، من أئمة الاصول.ولد ونشأ في بغداد سنة ، ورحل إلى خراسان فاستقر في نيسابور. كان يدرس في سبعة عشر فنا.وكان ذا ثروة . مات في أسفرائين سنة ٤٢٩هـ .من تصانيفه : أصول الدين و الناسخ والمنسوخ و تفسير أسماء الله الحسنى. (انظر : الأعلام للزركلي ٤٨/٤).

(٥) - الفرق بين الفرق ،للبغدادي ص٢٠٠، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ،بيروت ، عام ١٤٢٤هـ .

(٦) - هو أبو شاكر ميمون بن داود بن سعيد الديصاني المعروف بالقداح من أئمة الإسماعيلية، وإليه تنسب إليه الفرقة الميمونية ،كان يظهر التشيع ويبطن الزندقة ، ولد بمكة سنة ١٠٠هـ وتوفي بسلمية بسوريا سنة ١٧٠هـ له كتاباً في نصرة الزندقة اسمه الميزان. (انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير ١/ ٢٣٩، أعلام الإسماعيلية ، مصطفى غالب ص ٥٥٩، دار اليقظة العربية ، بيروت ، عام ١٩٦٤م ،الأعلام ٧/ ٣٤١).

(٧) - الفرق بين الفرق ص١٩٩

(٨) - محمد بن الحسن الديلمي : فقيه زيدي ، أصله من الديلم . انتقل إلي اليمن . سكن صنعاء ، توفي بوادي مر عام ٧١١هـ . من كتبه : قواعد عقائد آل محمد ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه . (انظر : الأعلام ٦/ ٨٦- ٨٧) .

(٩) - بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي ص٣، لاهور ، إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٢هـ.

هذا وقد ذهب الجندي إلي أن الأفكار الباطنية ظهرت زمن ظهور عبدالله بن سبأ [1] فهو أول من دعا إلي فكرة القداسة التي نسبت إلي علي بن أبي طالب،فكان ابن سبأ يهودياً يمثل تياراً باطنياً فهو صاحب نظرية أن القرآن له ظاهر وباطن[2].

ثالثاً :أصول ومعتقدات الباطنية :

اهتم الجندي ببيان تلك الأصول والمعتقدات التي منها ما يلي :

١- يقولون بقدم العالم ، وإنكار الصانع[3] .

٢- استمرارية النبوة وذلك بوجود واسطة بين الله والإنسان عن طريق العقل الكلي والفيض[4] ، فقد جعلوا النبوة فيضاً من أحد العقول العشرة التي اعتقدوها وقالوا بها ، فالنبوة عندهم مكتسبة اكتساباً ، ليست هبة من الله تعالى[5].

٣- إنكار المعاد واليوم الآخر [6] :يقول «مصطفى غالب»[7] مؤكداً ما ذهب إليه أسلافهم من إنكارهم للمعاد :" إن الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي إلى ما يجانسه من التراب،وينتقل عنصره الروحي إلى الملأ الأعلى،فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكاً مدبراً،وإن كان شريراً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام "[8].

٤- القول بسقوط التكاليف [9]: حيث يقول داعيهم الكبير «السجستاني»:"فإذا ظهر القائم سلام عليه ، وانقاد الخلق له ، وقهرهم بالقوة المنونة عليه ، فقد انقطع طمع المخترعين عن

---

[1] - هو عبدالهخ بن سبأ اليهودي الصنعاني ، ضل مضل من غلاة الزنادقة ، رأس الطائفة السبئية ، تظاهر بالدخول في الإسلام ليكيد للمسلمين ،ويشيع الفرقة بينهم هلك عام ٤٠هـ . (انظر : الملل والنحل ١/ ١٧٤، ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي ٢/ ٤٢٦ ، دار المعرفة ، بيروت ، عام ١٣٧٠هـ).

[2] - انظر : التأصيل الإسلامي ص ٢٥.

[3] - انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٨ ، تلبيس إبليس ،٦٢٢/٢، الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية للجندي ص ٢٤

[4] - انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٠٧، فضائح الباطنية ص ٤٩، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،د. علي سامي النشار ٢/ ٢٨٦، المؤامرة على الإسلام للجندي ص ١٠١، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ، أنور الجندي ، ص ٢٨٣، دار الاعتصام ، القاهرة .

[5] - انظر : فضائح الباطنية ص ٤٦، الإسماعيلية المعاصرة ، د. محمد الجوير ص ٨٩، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤٢٧هـ

[6] - انظر :الفرق بين الفرق ص٢٠٧،تلبيس إبليس٢/٦٤٦،نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص٢٨٣،الإسلام والدعوات الهدامة ص ١١٢.

[7] - إسماعيلي معاصر ، متعصب لفكره الباطني ،وخاصة الإسماعيلية . من مؤلفاته : تاريخ الدعوة الإسماعيلية ،أعلام الإسماعيلية ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي . (انظر : أصول الإسماعيلية د. السلومي ١/ ١١) .

[8] - الينابيع للسجستاني (المقدمة) ص ١٦.

[9] - انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٠٨، تلبيس إبليس ٢/ ٦٤٥، نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٢٨٦. المؤامرة على الإسلام ص ١٠١، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٧٩ ،

إضافة المراتب إلى أنفسهم وادعوا ما ليس من شأنهم إذ الرئاسة أن تكون لمن قدرها الله له وهو القائم سلام الله على ذكره، ويجب أيضاً رفع هذه الشريعة"[1].

٥- القول بعصمة البشر[2] : بيَّن شيخ الإسلام «ابن تيمية» أن القول بعصمة الأئمة عقيدة خاصة بالرافضة الإمامية لم يشركهم فيها أحد لا الزيدية الشيعة ولا سائر طوائف المسلمين إلا من هو شر منهم كالإسماعيلية الذين يقولون بعصمة بني عبيد[3].

وتعتبر الإمامة عندهم أحد أركان الدين بل هي الإيمان بعينه حيث يقول أحد دعاتهم :" إن الإمامة أحد أركان الدين بل هي الإيمان بعينه وهي أفضل الدعائم وأقواها لا يقوم الدين إلا بها كالدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصح إلا بوجودها"[4].

٦- التفسير الباطني للكتاب والسنة[5] : من أهم عقائدهم التي يقوم عليها مذهبهم عبر كل العصور عقيدة التأويل ، وأقوالهم في ذلك معلومة ومشهورة منها ما قاله «أحمد بن يعقوب الطيبي» معترفاً بذلك :" أعترف أن لا ظاهر إلا وله باطن،ولا صورة إلا ولها طريقة ولا طريقة إلا ولها حقيقة ولا حقيقة إلا ولها تنـزيل ولا تنـزيل إلا وله تأويل "[6].

المطلب الأول : إحياء الفكر الباطني في الغرب الحديث :

من الوسائل التي اتخذها الغرب الحديث في غزو المسلمين تزييف التراث ، حين تولى إحياء جوانب منحرفة ، تتمثل في الفلسفات والفرق والفكر الباطني الوثني وإحياء مذاهب القرامطة ، والدعوة إلى أفكارها وعقائدها المنحرفة عن طريق :

١- التغريب والغزو الثقافي :

يقول الجندي :" يعد مخطط العمل لإحياء الفرق الضالة والدعوات الهدامة من أكبر ميادين العمل للتغريب والغزو الثقافي في العصر الحديث،وهو جزء من محاولة النفوذ الأجنبي الذي يرمي إلى تزييف منهج الإسلام الصحيح وإخراجه عن مقوماته الأصيلة في محاولة لفرض تصور منحرف وزائف لا يستطيع المسلمون معه تحقيق إقامة المجتمع الإسلامي على أساس منهج أهل السنة والجماعة ، وهذه هي الحرب المعلنة منذ اليوم الأول على عقيدة

---

(1) - إثبات النبوة ، السجستاني ، تحقيق: عارف تامر ،ص ١٧٩، دار المشرق ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٨٢م .

(2) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١٠١، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٧٩ ، فضائح الباطنية ص ٤٧، الملل والنحل ١/ ١٩٢، أصول الإسماعيلية ٢/ ٤١٥، الإسماعيلية المعاصرة ،د. الجوير ص ٩٢.

(3) - انظر : منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ٢/ ٤٥٢، ط الأولى ، عام ١٤٠٦هـ .

(4) - المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ص ١٢.

(5) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١٠٠

(6) - الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، الطيبي ، تحقيق عارف تامر ص٩٢، ضمن أربع رسائل إسماعيلية

الإسلام ونظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ،لقد كان إحياء الفرق الضالة وإعادة بعثها من جديد أول هذه الأخطار "[1]

لقد كان للغرب دور كبير في إحياء الفكر الباطني ،وذلك من خلال كتبهم واحتضان بعض فرقه ، فعمد إلى عدة أعمال منها :

١- إعادة طبع بعض الكتب القديمة التي تحمل هذه السموم كطبع كتب «الحلاج» و«ابن عربي» وإعادة طبع كتاب الفتوحات المكية .

٢- إعداد أطروحات ودراسات جامعية تناقش الفرق الضالة كالقرامطة [2] والمزدكية [3] والمانوية[4] على أنها حركات حرية وعدل اجتماعي .

٣- عقد مؤتمرات لتزييف التاريخ الإسلامي وإحياء هذه الفرق الضالة وإعادتها إلي الحياة، ففي عام ١٩٤٢م عقد مؤتمر للتاريخ أطلق عليه مؤتمر بلتيمور،جمع له حشد من المستشرقين اليهود في محاولة لوضع خطة لتزييف التاريخ الإسلامي.

٤-حرص النفوذ الأجنبي على احتضان النحل المتوزعة في البلاد العربية(كالنصيرية [5] والدروز[6]).

٥-احتضن النفوذ الأجنبي فرقتين جديدتين:هما البهائية[7] في فارس والقاديانية[8] في الهند وقد حملت كل منهما سموم الفرق القديمة وشبهاتها وهما تهدفان إلي تدمير مفهوم الإسلام.

---

[1] تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٢٢ .

[2] - القرامطة :حركة باطنية ، هدامة تنتسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث ويلقب بِقرْمِط لقصر قامته وساقيه وهو من خوزستان في الأهواز ثم رحل إلى الكوفة. وقد اعتمدت هذه الحركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد ،والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية (انظر: الموسوعة الميسرة ٣١٥/١) .

[3] - المزدكية هم : أصحاب مزدك ، وقولهم كقول المانوية في الكونين والأصلين ، إلا أن مزدك يقول أن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق . ويدعون أيضًا إلى شيوعية المال والنساء لأنها سبب الشرور . (انظر: الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٩/١)

[4] - المانوية هم : أصحاب ماني بن فاتك الحكيم ، وهي من ديانات فارس ، وأخذت أصولها عن المجوسية والنصرانية وتؤمن بان العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين ، أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان . (انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٤/١).

[5] - النصيرية هي:إحدى فرق الباطنية سميت بهذا الاسم نسبة إلى محمد بن نصير النميري،و ظهرت في القرن الثالث للهجرة، أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به،مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه،وهم مع كل غاز لأرض المسلمين،ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الرافضية والباطنية.(انظر:الموسوعة الميسرة ١/ ٣١٧،فرق معاصرة ٢/ ٣٣، الخ .

[6] - الدروز هي : فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلى نشتكين الدرزي. نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام. عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا تنشرها على الناس، ولا تعلمها لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين.(انظر : الموسوعة الميسرة ٤٠٠/١ ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٩٩) .

[7] – البهائية هي : فرقة باطنية كافرة ، ظهرت في إيران ، في القرن الثالث عشر الهجري ، على يد حسين علي المازندراني،الملقب بالبهاء .(انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٤١٧، البهائية للحمد ص ٥)

[8] – القاديانية هي : طائفة كافرة ، ونحلة هدامة ، ظهرت في أوائل القرن الرابع عشر الهجري في أرض قاديان من الهند على يد رجل اسمه ميرزا غلام أحمد القادياني . (انظر : الموسوعة الميسرة ١/ ٤١٩، القاديانية للحمد ص٥ ، التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها لمزروعة ص ١٠٨، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، د. أحمد سعد حمدان ص ٢٤٣، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، د. العلياني ص٥٠١).

٦-إحياء الفكر الباطني عن طريقين ١- نظرية الحداثة[١] في مجال الأدب ٢- تقسيم الفكر الإسلامي إلى ثلاث قوى هي العرفان (الفكر الباطني) والبرهان (الفكر الفلسفي) والبيان وهو الذي يوجد أساسه في الدين ، وقد عّد في مؤخرة الركب وأعلا من شأن العرفان والبرهان ، لأنهما يمثلان الفكر الفلسفي الغنوصي والفكر الفلسفي اليوناني"[٢].

٢- الاستشراق :

اتخذ الاستشراق في إحياء هذا الفكر وتجديده كل الوسائل والمجالات لنشره فمن ذلك تمجيد هذه الحركات والدعوات الهدامة على أنها حركات إصلاحية ، وتحررية ضد الإقطاع ،وأنها ظهرت لتحقيق مبادئ الإسلام في الحرية والإخاء والمساواة[٣].

يقول الجندي :"ويتحدث المستشرقون عن الفرق السياسية في الإسلام،وعن المنطق والكلام والتصوف الفلسفي والباطنية والقرامطة والزنج[٤]وإخوان الصفا،ولا يتحدثون مطلقاً عن أهل السنة والجماعة؛لأن هذه الفرق جميعاً تعتمد الفلسفة اليونانية،والغنوص المسيحي وتتسم هذه الفرق بخاصية التأويل الباطني [٥]،والقول بأن القرآن له ظاهر وباطن، ووحدة الوجود والحلول والاتحاد والعقول السبعة ، ومن هنا نعرف لماذا أحب الاستشراق الفارابي[٦]،وابن سينا[٧]؛لأنهم يجددون الفكر اليوناني ويطرحون في أفق الفكر الإسلامي سموم الإلحاد تحت نفس العناوين التي خضعت لها النصرانية واليهودية"[٨].

---

[١] - الحداثة هي : مذهب فكري يسعى لتغيير الحياة ورفض الواقع والردة عن الدين ،والانسياق وراء الأهواء والنزعات الغامضة والتغريب المضلل ،والسعي إلى القضاء على الأخلاق والسلوك باسم التجديد وتجاوز القديم .(انظر : الحداثة من منظور إيماني ، د. عدنان النحوي ص ٦٦-٦٧، دار النحوي ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٩٨٩م) .

[٢] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٢٢- ٥٢٣.

[٣] - انظر : المصدر السابق ص ٤٥٢.

[٤] - حركة باطنية ظهرت في عصر الدولة العباسية سنة ٢٥٥هـ استمرت أربعة عشر عاماً ،كانت من أصعب الحركات سببت الخوف والهلع للمسلمين وقتلت منهم الكثير ، وقد قضى عليهم أبو العباس بن الموفق رحمه الله (انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٦/٦٨- ٧٠) .

[٥] - وهذا التأويل يختلف تماماً عن تأويل أهل الكلام فقد يكون لتأويلات أهل الكلام وجه في اللغة ، وقد يحتملها ظاهر اللفظ ، وإن كان سياق الكلام ومقصود الشارع يدل على بطلانها ، بخلاف تأويلات الباطنية فإنها لا توافق ظاهر الخطاب ولا تناسبه بحال من الأحوال،بل هي مخالفة لإجماع الأمة الإسلامية. (ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة،د. سليمان الغصن ٢/ ٧٩٦)

[٦] - هو: أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الملقب بالمعلم الثاني إمام المتفلسفة الدهرية المشائية توفي سنة ٣٣٩هـ . من كتبه : آراء أهل المدينة الفاضلة، المدخل إلى علم المنطق .(انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأبن خلكان ، حققه د. إحسان عباس ٥/ ١٥٣، موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٧٨٩).

[٧] - هو: أبو علي ، الحسين بن عبدالله ، الملقب عند أصحابه بالشيخ • الرئيس ، من المتفلسفة الدهرية ملحد باطني قرمطي زنديق منكر للمعاد من أتباع أرسطو تربى على كتب الفلاسفة • له تصانيف كثيرة في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات من كتبه القانون في الطب وأسرار الحكمة المشرقية والنجاة توفي سنة ٤٢٨هـ . (انظر: وفيات الأعيان ٢/ ١٥٧، سير أعلام النبلاء ١٧/٥٣١).

[٨] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٢٢- ٥٢٣.

ومن أشهر المستشرقين خدمة للفكر الباطني المستشرق «بول كراوس» الذي قام بنشر فكرهم وأحياء تراثهم تحت مظلة البحث العلمي، فقال عنه الجندي:"وكان «كراوس» حاقداً على الإسلام في وقت كان يتضمن الحقد على الإسلام الحقد على العروبة،ولقد اهتم «كراوس» أشد العناية بإحياء رسائل كتبها أئمة الملحدين في عصر الإلحاد والزندقة في الإسلام وإحياء أئمة الملحدين الذين اعتصموا بالعقل وأخذوا بمنطقه واستهانوا بالإيمان الديني واستخفوا به"[١].ومن ذلك :

١- رسائل ابن الراوندي[٢] التي كانت طعناً سافراً في الإسلام وهدماً صريحاً للنبوة وإبطالاً للرسالات السماوية وسخرية بالمعجزات ، واستخفافاً بإعجاز القرآن[٣].

٢-اهتم «بول كرواس»بـــ «محمد الرازي»[٤] الذي يعد أعظم أطباء عصره ولكن كراوس اهتم به ملحداً شغل نفسه بهدم النبوة استناداً إلي قيمة العقل ومنطقه،وتصدى لهدم الأديان كلها،ربما لأن ذلك خطوة إلي زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس أهلها،فقد نقد الرازي الكتب المقدسة وأثار شبهات حول بيانها وهاجم إعجاز القرآن نظماً وتأليفاً ومعنى "[٥].

ومن المستشرقين الذين ركزوا أبحاثهم على الباطنية المستشرق الانجليزي «برنارد لويس»[٦]حيث كتب عن الإسماعيلية كثيراً وأفرد لها مؤلَفين خاصين بها وهما أصول الإسماعيلية وكتابه الآخر الدعوة الإسماعيلية الجديدة الحشيشية[٧].

المطلب الثاني : إحياء الفكر الباطني في العالم الإسلامي :

كما أحيا بعض علماء الغرب من دعاة التغريب والاستشراق الفكر الباطني فكذلك على غرارهم أحيا بعض الكتّاب والمفكرين من العالم الإسلامي الحديث هذا الفكر ، يقول الجندي " ولقد طرح الكتّاب التغريبيون هذه المفاهيم في الفكر الإسلامي بمجرد عودتهم من

(١) -كتاب العصر في ضوء الإسلام ص ٣٨.

(٢) - أبو الحسين الراوندي ، أحمد بن يحي بن أسحاق ، فيلسوف مجاهر بالإلحاد . من سكان بغداد . نسبته إلى راوند من قرى أصبهان .قال: ابن كثير أحد مشاهير الزندقة ، قال عنه ابن حجر: كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد هلك سنة ٢٩٨هـ من كتبه : فضيحة المعتزلة ، الزمرد ، الدامغ . (انظر الأعلام ١/ ٢٦٧) .

(٣) -كتّاب العصر في ضوء الإسلام ص ٣٨ .

(٤) - هو: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، طبيب ، مهر في المنطق والهندسة وغيرها من العلوم الفلسفة ، ولد سنة ٢٥١هـ وتوفي سنة ٣٢٠هـ ، له أراء كثيرة شاذة ، وبعيده عن الإسلام منها إنكار النبوة ، وكان يميل إلي المانوية ألف كتباً كثيرة منها : الطب الروحاني ، الانتقاد والتحرير على المعتزلة . (انظر : الفهرست لابن النديم ، تحقيق د. ناهد عباس عثمان ص ٥٩٤- ٥٩٩، دار قطري بن الفجاءة ، ط الأولى ، عام ١٩٨٥م ، الوفي بالوفيات للصفدي ٣/ ٦٢) .

(٥) - كتّاب العصر في ضوء الإسلام ص ٣٨.

(٦) - برنارد لويس مستشرق بريطاني الأصل، يهودي المعتقد، صهيوني الفكر، أمريكي الجنسية، له إسهامات كثيرة في مجال الاستشراق، نزع في البداية إلى دراسة الفِرَق التي انبثقت عن الإسلام، فكتب عن الحشاشين، وكتب عن أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة .

(٧) - انظر : أصول الإسماعيلية ، د. سليمان السلومي ١/ ١٠.

الغرب ،فكتب «طه حسين» عن الفكر اليوناني والإغريق وفضلهم على الفكر الإسلامي وأعلن أن قادة الفكر البشري من اليونان .كما فتح الدكتور «زكي مبارك» باباً واسعاً أمام فكرة وحدة الوجود "[١].

ومن ذلك «عبدالرحمن بدوي»[٢] و«جورج قنواتي»[٣][٤]،و«عاطف العراقي»[٥][٦] حيث يتحدثون عن إعادة ابن رشد[٧] إلي الحياة ؛ لأنه يملك مفهوماً مضللاً اسمه التأويل يختلف عن مفهوم الإسلام لهذا المصطلح ويريدون عن طريق هذا المصطلح أن يتأوّلوا كل شئ حتى الذات الإلهية وكل ما يتصل بالدين من وحى وغيب،وهي محاولة لإحياء الباطنية.وهذا الاتجاه واضح في كتابات «أدونيس»[٨] و«أركون»[٩] ولكنها أشد وضوحاً في كتابات «سيد حسين نصر» في كتابه ثلاثة حكماء مسلمين هولاء الحكماء هم ابن سينا ،والسهروردي وابن عربي وكلمة حكماء هذه توحي بتقدير كبير لمن حملوا لواء الفلسفة اليونانية ، أو الفكر الإشراقي ومفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد [١٠].

---

[١] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٢٣.

[٢] - نجده اهتم بكثير من أعلام الباطنية في كتابه شخصيات قلقة في تاريخ الإسلام ويشيد بأمثال الر اوندي وابن المقفع ، والرازي ،وغيرهم من الزنادقة ، وأهل الإلحاد. (انظر : المؤامرة في الإسلام ص ١٦٢).

[٣] - جورج شحاتة قنواتي ،مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان ، ولد في الاسكندرية عام ١٩٠٥م وهلك عام ١٩٩٣م ، وقد حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة . من كتبه : المسيحيون في مصر ، المسيحية والحضارة العربية ، فلسفة أبن رشد في تاريخ الفلسفة العربية .(انظر : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر قضايا ومذاهب وشخصيات ،د. عاطف عراقي ، ص٤٥٣-٤٧٤ ، دار قباء ، القاهرة ' ط عام ١٩٩٨م)

[٤] - قام بنشر بعض كتب ابن سينا منها المدخل من كتاب الشفا، والمقولات منه أيضا ، والقسم الأول من الإلهيات ،وكتاب النفس .

[٥] - عاطف العراقي ، أستاذ الفلسفه بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، وهو من دعاة التغريب ، ويدعو إلى تبعية الحضارة الغربية ، وإنكار وجود غزو ثقافي. من كتبه : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر ، مذاهب فلاسفة المشرق ، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا .(انظر : غلاف كتابه : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر) .

[٦] - يقول عاطف عراقي :" وإذا أردنا أن نبحث عن نقطة انطلاق لما نتحدث عنه اليوم من قضايا الأصالة والمعاصرة، وإذا أردنا وصل ما انقطع. أي نجد مستقبلاً فلاسفة في وطننا العربي فلا مفر فيما يبدو لنا من تدبر آراء هذا الفيلسوف ودراستها دراسة دقيقة ، وكم في فلسفته من آراء ما زلنا في القرن العشرين بحاجة ماسة إليها .(انظر : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر،ص ٦٨)

[٧] - هو: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي أبو الوليد الفيلسوف عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه زيادات كثيرة اتهم بالزندقة فنفاه الخليفة إلى مراكش فتوفي فيها سنة ٥٩٥هـ . من كتبه : منهاج الأدلة ، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال .(انظر: الأعلام ٣١٨/٥)

[٨] - وضع كتاباً بعنوان «الثابت والمتحول » وقال فيه :إن التحول أو التجديد أو الثورة في الثقافة العربية قد ارتبطت في الدور الحاسم منها بنظرية الإمامة عند بعض الفرق الإسلامية الباطنية . (انظر :كتاب العصر في ضوء الإسلام ص ٩٦).

[٩] – محمد أركون: مفكر جزائري ولد عام ١٩٢٨م بالجزائر ، حصل على الدكتوراه من جامعة السربون سنة ١٩٦٩م ، نشأ نشأة استشراقية ألقت بظلالها على نشاطه و إنتاجه الفكري ، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والعربية . من كتبه : الفكر العربي ، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي . (انظر : الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية دراسة نقدية ،د. مفرح القوسي ص ٣٩٠ ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ)

[١٠] - انظر : كتاب العصر في ضوء الإسلام ص ٢١٥ بتصرف . وانظر مزيداً لهذه المواجهات في نفس المصدر ص ٢٨، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ١١٧، ١٢٥، ٢٢٥، ٢٥١.

بل إن دعاته اتخذوا كذلك المسرحية الشعرية أو النثرية منطلقاً لإذاعة هذا الفكر الباطني باعتبار أنها تعطي حرية أكثر للكاتب أو الشاعر حيث لا يطالب كاتب المسرحية بالصدق التاريخي أو الصدق الفني ... فالمسرحية والدراما والفن تفتح الباب واسعاً لهدم كثير من المقومات الأصلية للقضايا والأمور،فضلاً عن أنها تدمر الحقائق التاريخية، وتحدث اضطراباً شديداً بحيث تغري القارئ بقبول أخطاء كثيرة ربما تدخل إلى عقله وقلبه على نحو من انحاء الاعتقاد في صدقها [1].

كما أن هذا الفكر لم يعد حكراً على فئة معينة بل أصبحت له دور نشر [2] وجمعيات[3] وكتّاب شديدو التعصب له أمثال «عارف تامر »[4] و«مصطفي غالب » إذ جند الأول نفسه لنشر تراث الإسماعيلية مثل كتاب «الهفت والأطلة»،وكتاب« الرياض» «للكرماني» [5]،وكتاب الإيضاح «لأبي فراس »و ألف عن القرامطة أصلهم ونشأتهم وتاريخهم ،أما الإسماعيلي الآخر فمن مؤلفاته «أعلام الإسماعيلية »،و«تاريخ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي» وغيرها من الكتب [6].

المطلب الثالث : موقف الإسلام من الفكر الباطني :

إن الباطنية قامت على أصول وعقائد منحرفة بعيدة تماماً عن الإسلام وعن عقيدته الصافية الواضحة،وعليه فإن الإسلام قد رفضها وحكم عليها بالإلحاد والزندقة،وكان لعلماء المسلمين موقفاً حاسماً قوياً ظهر في كشف ضلالاتهم وانحرافاتهم،ومن أولئك العلماء «ابن حزم» [7]حيث قال عنها :" وأما من كان من غير أهل الإسلام من نصراني أو يهودي أو مجوسي أو سائر الملل أو الباطنية القائلين بإلهية إنسان من الناس أو بنبوّة أحدٍ من الناس بعد

---

[1] - عطاء الإسلام الحضاري ، أنور الجندي ، ص١٥٤، سلسلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد١٦٣،السنة الرابعة عشرة ، عدد١٦٣.

[2] - مثل دار الأندلس في بيروت ، فأنها نذرت نفسها في نشر تراث الإسماعيلية .

[3] - مثل الجمعية الإسماعيلية التي تأسست في الهند سنة ١٩٦٤م ، ونشرت في الهند ومصر كثيراً من مؤلفاتها ومخطوطاتها . (٠-انظر: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ،د. محمد عنان ص ١٣- ١٤،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، ط الثانية ،١٣٧٩هـ).

[4] - إسماعيلي نزاري معاصر ، متعصب لفكره الباطني تعصباً أعمى يقلب الحقائق ويموه الأحداث من مؤلفاته : الإمامة في الإسلام ، القرامطة أصلهم تاريخهم ونشأتهم ، حقيقة إخوان الصفا وخلان الوفاء . (انظر : أصول الإسماعيلية د. السلومي ١/ ١٠) .

[5] - هو أحمد حميد الدين الكرماني ، ولد بكرمان بفارس . صاحب التأليف العديدة في المذهب الاسماعيلي ، وكانت وفاته بعد سنة ٤١١هـ .من تصانيفه : راحة العقل ،المصابيح في إثبات الإمامة .(انظر : أعلام الإسماعيلية ص ٩٩- ١٠٢).

[6] - أصول الاسماعلية دراسة تحليل نقد ، د سليمان السلومي ١/ ١٠- ١١.

[7] - هو علي بن أحمد بن سعيد القرطبي ، إمام الظاهرية ،و لد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ ،كان حافظا عالما بعلوم الحديث والفقه ومتفنناً في علوم جمّة . توفي رحمه الله سنة ٤٥٦هـ ،و له تصانيف كثيرة منها: المحلى ، الإحكام لأصول الأحكام ، والفصل . (انظر : وفيات الأعيان ٣/ ٣٢٥).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يُعذرون بتأويلٍ أصلاً بل هم كفار مشركون على كل حال"[١].

ويقول البغدادي بعد أن ذكر بعض معتقداتهم :" وقد بيَّنَّا خروجهم عن جميع فرق الإسلام "[٢].

وقال عنهم الغزالي:" إن مذهب الباطنية مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض... وهم يوافقون اليهود والنصارى والمجوس على جملة معتقداتهم ويقرونها عليهم "[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عنهم : " إن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى وأن ما نقل عنهم وفي رسائلهم الخاصة مخالف للملل الثلاث دين الإسلام ، ودين النصارى ، ودين اليهود ، فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث...إن شرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم:ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من المرسلين لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد ﷺوعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين ...وهؤلاء اتفق علماء المسلمين على أنه لا تجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم وأوانيهم وملابسهم كأواني المجوس وملابس المجوس " [٤].

ونقل الإمام «محمد بن عبدالوهاب» إجماع أهل العلم على كفر أئمة الباطنية (العبيديين) وذكر رحمه الله أنهم لما أظهروا الشرك ومخالفة الشريعة ،وظهر منهم ما يدل على نفاقهم وشدة كفرهم. فأجمع أهل العلم: على أنهم كفار،يجب قتالهم وأن دارهم دار حرب ولذلك غزاهم المسلمون واستنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين[٥].

وبناءً على ما سبق من أقوال العلماء رحمهم الله وبيانهم مخالفة هذه الفرق الباطنية لأصول عقيدة الإسلام،نجد اتفاق العلماء في القديم والحديث على تكفير هذه الفرقة والحكم عليها بالزندقة والإلحاد ، وخروجها عن الدين الإسلامي وأصوله العظام .

---

[١] - الدرة لابن حزم، تحقيق د.أحمد بن ناصر الحمد ،د. سعيد القزقي ص ٤٤١ ،توزيع مكتبة التراث،مكة المكرمة ،ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ).

[٢] - الفرق بين الفرق ،ص ٢١٨

[٣] - فضائح الباطنية ،ص ٣٧.

[٤] - انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/ ١٣٣، ١٣٥، ١٥٥.

[٥] - انظر: مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبدالوهاب ، ص ٥١، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية ، ط عام ١٤١٨هـ .

المطلب الرابع :موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني :

أولاً:بيَّن الجندي استمداد الفكر الباطني من مذاهب فلسفية وديانات محرفة بعيدة عن المصدر الإسلامي.فقال:"والفلسفة الباطنية في صميمها مؤسسة على الفلسفة اللاهوتية اليونانية وعلى الطبيعيات استخدمت مصطلحات الفلسفة اليونانية وعقائدها "[(١)]

ويقول:"و لم تزل كلها -الباطنية- تعتمد الفلسفة اليونانية والفلسفة الغنوصية معاً أساساً لها، وخاصة الأفلاطونية المحدثة ، وجرت كلها على التأويل الفلسفي والاستناد على مفاهيم المجوسية القديمة "[(٢)].

ويرجع الجندي أساس العقيدة الباطنية إلى اليهود حيث قال :" وكان اليهود هم مؤسسي الفرق المغالية ، فقد دخل بعض أحبارهم وكهانهم في الإسلام ،ويؤكد الباحثون أن عبدالله بن سبأ هو أول من نادى بقداسة على بن أبي طالب وبفكرة وصايته عن النبي ﷺ وهو أول من هاجم الخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين واعتبرهم مغتصبين ، وأنه قال برجعة النبي ﷺ وقد تفرعت من آراء عبدالله بن سبأ سموم كثيرة "[(٣)].

يقول الجندي :" فالباطنيون يعتقدون عن إيمان بأن تراث الفكر اليوناني إنما هو تراثهم الخاص،وأن الفلاسفة (سقراط [(٤)]،أفلاطون[(٥)]،أرسطو،أفلوطين[(٦)])هم فلاسفة إسماعليون فعلاً ، فالباطنية من إحدى نواحيها في معتقداتهم فلسفية نما فيها وازدهر الفكر اليوناني"[(٧)].

ثانياً:نقد الجندي معتقدات وأصول الفكر الباطني وبيانه بطلانها،والذي منها:

١- القول بقدم العالم وإنكار الصانع :

إن معتقد الباطنية في الألوهية يناقض تماماً ما عليه أهل السنة والجماعة ولذلك نبَّه الجندي إلى حقيقة التوحيد الصحيح ورفض الإسلام لكل التفسيرات الباطلة الوافدة فقال :" والاعتقاد في وحدانية الله هو الركن الأول من أركان الإسلام ، هو مرجع كل قول ومنتهى

---

(١) - المؤامرة على الإسلام ص ١٠٤،

(٢) - التيارات الوافدة ص ١٧.

(٣) - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٨٤.

(٤) - سقراط (٤٧٠- ٣٩٩ق.م) فيلسوف يوناني ، يعد هو وأفلاطون وأرسطو ، واضعي أسس الثقافة الغربية . قال بأن الفضيلة هي المعرفة ،ولم يترك أثر مكتوب . سجن وهو في السبعين وحكم عليه بالموت .(انظر : موسوعة المورد العربية ٢/ ٦٢٣- ٦٢٤، قصة الفلسفة ، ول ديورانت ، ترجمه فتح الله المشعشع ص ١١-١٦).

(٥) - أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧ق.م) فيلسوف مثالي يوناني ، وتلميذ لسقراط ،ومؤسس المثالية الموضوعية ، مؤلف أكثر من ثلاثين محاورة فلسفية السوفسطائي ، بارمنيدس ، الجمهورية . (انظر : موسوعة الفلسفة لبدوي ١/ ١٥٤وما بعدها ، الموسوعة الفلسفية ص ٤٠)

(٦) - أفلوطين (٢٠٤- ٢٧٠م) فيلسوف روماني مصري النشأة ، يعد المؤسس الحقيقي للأفلاطونية المحدثة . (انظر : موسوعة الفلسفة لبدوي ١/ ٢٠٩، الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص ٢٨٦)

(٧) - المؤامرة على الإسلام ص ١٣٣.

كل قصد.وذات الله لا يدركها العقل ولا ينالها الحس،وكل ما يدركه العقل الإنساني هو من آثارها التي ترشد إلى وجودها ،والعقيدة بوجوده تعالى لازمة من لوازم المعنى الإنساني،فإن الإنسان مادام صاحب نظر[1] وفكر واستدلال فلا يستطيع أن ينفك عن تلك العقيدة مطلقاً .ولما كان أول أصل من أصول المحسوسات هو علمه بأنه(لا مصنوع إلا وله صانع) فتراه لا يتمالك نفسه من الحكم بأن هذا الكون لا بد له من صانع ، وقد ظل الإنسان على هذه العقيدة ألوفاً من السنين لا يعتريه منها شك حتى جاءت الفلسفة قبل المسيح -عليه السلام - بنحو ستة قرون فجاءت معها الشكوك والشبه والسفسطة .وقد أشار القرآن إلى هذه الشكوك في أكثر من موضع قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ [سورة إبراهيم: آية ١٠] ومفهوم [ذات] الله في الإسلام يتميز بمعالم واضحة فهو المبدع الحقيقي ، و هو الصانع والمدبر المتميز عن الأشياء الحادثة المتغيرة التي لا نراها سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن تشبيهات المشبهين وتجسيد المجسدين،ويرفض مفهوم الإسلام في [ذات] الله كل ما قالته الفلسفة ويعتبر مفهومها عن الله قاصراً فالله سبحانه وتعالى- في ضوء ما جاء به الوحي- هو غاية ما يتصوره العقل البشري من الكمال والتتريه،فهو سبحانه لم يلد و لم ويولد و لم يكن له كفواً أحد"[2].

٢- قولهم بأن النبوة مكتسبة وبأنها مستمرة بعد محمد ﷺ :

إن عقيدة ختم النبوة المحمدية هي إحدى العقائد الأساسية في الإسلام والتي لا يكمل إيمان المسلم بدونها ومع هذا فقد ادعى الباطنية خلاف ذلك،ولذا أبطل الجندي هذه الدعوى قائلاً :"ولا ريب أن عقيدة ختم النبوة قد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع وبالأدلة العقلية والعلمية[3] قديماً وحديثاً ، أما قديماً فقد أخذ الله تبارك وتعالى العهد على النبيين والمرسلين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[سورة آل عمران آية : ٨١] حيث أخذ هذا العهد في الأزل،أخذ أخيراً أيضاً في ليلة الإسراء والمعراج حيث حشر الله تبارك وتعالى الأنبياء والمرسلين وصلى

[1] - يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطرة السليمة ، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر ، والإنسان قد يستغني عنه في حال ، ويحتاج إليه في حال ". (انظر : درء التعارض ٨/ ٨)

[2] مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٨٠.

[3] - العطف يقتضي المغايرة ، وليس هناك فرق بين العقلية والعلمية ، فقيد العلمية غير صحيح ،كما أنه لا يوجد دليلاً عقلياً على إثبات ختم النبوة ، ولم يذكر الجندي شيئاً من ذلك .

بهم الرسول إماماً ، وهذه إشارة إلى أنه خاتم النبيين،وأن جميع أتباع هؤلاء الرسل يجب أن يأتموا بهذا الدين وبهذا الرسول وفي هذا المعنى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب آية :٤٠] وهو القائل:"أنا العاقب فلا نبي بعدي" [(١)].

كذلك قام الدليل العقلي الذي يرفض قبول أي دعوة أو أي رسول أو أي كتاب،وإنما هي كلمة السماء[(٢)] الأخيرة قد تمت والدين قد كمل والنعمة قد تمت قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة آية: ٣] [(٣)].

٣- إنكار المعاد واليوم الآخر :

رد الجندي بقوة وحزم على كل من اعتقد ذلك سواء من الدهريين [(٤)] أو الماديين[(٥)] ومن وافقهم من أصحاب الفكر الباطني فقال:"ومن قواعد الإسلام الأساسية:عقيدة البعث والإيمان بالجزاء الأخروي،وقد أجمعت الأديان السماوية على وجود حياة بعد الموت يحاسب فيها الإنسان عن عمله في الحياة الدنيا وهي حقيقة جوهرية لا يسقطها الإسلام أبداً ، ويضعها دوماً نصب الأعين ، والعقول والأفهام وتجري من كل أعمال الدنيا ،ولا ريب أن الإيمان بالجزاء والبعث عامل قوة و إيجابية،ودافع بناء وحركة،وليس عامل جمود وتخلف، وإذا لم يكن للأعمال الكبرى في حياة الإنسانية وجهة ربانية تعطى ثمرها في الدنيا،وتعطى جزاءها في الآخرة فإن رسالة الإنسان في الحياة تكون عبثاً،ولا يمكن أن تكون الحياة بغير غاية أو أن يكون وجود الإنسان في هذه الأرض بغير رسالة.وتلك الحقيقة هي أعظم معطيات رسالات السماء،فليس من المعقول أن يخلق الله هذا الكون كله عبثاً قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة المؤمنون : آية ١١٥]. إن الحياة مسؤولية ورسالة ، وهي حقيقة وتبعة ثم هي بعد ذلك بعث وجزاء وحين يتأكد للنفس الإنسانية هذا الملحظ تنـــزاح تلك الأزمة التي تحاول أن تغرقها في تيه مضل...ولا ريب أن عقيدة البعث والدار الآخرة عامل بعيد الأثر في حياة الإنسان وفي أعماله وسلوكه.ومن أجل

---

(١) - ورد الحديث بلفظ " أنا العاقب ،والعاقب الذي ليس بعده نبي " وقد أخرجه البخاري في المناقب باب :ماجاء في أسماء رسول الله ﷺرقم ٣٥٣٢ ، ومسلم ،كتاب الفضائل ،باب في أسمائه ﷺ، ٢٣٥٤، والترمذي ٢٨٤٢، والدارمي ٣/ ١٨٢٦رقم (٢٨١٧)

(٢) - لو عبر الجندي بعبارة رسالة الله الأخيرة لكان في نظري أولى من كلمة السماء؛ فهي من مخلوقات الله ولا يصح إسناد الفعل إليها والله أعلم.

(٣) - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٩٤.

(٤) - سيأتي تعريفها في مبحث الدهرية .

(٥) - الماديون هو : مذهب يرد كل شئ إلى المادة ، فهي أصل ومبدأ أول ، به دون غيره تفسر الموجودات . (انظر : المعجم الفلسفي - مجمع اللغة العربية - ص ١٦٤)

هذا أولى القرآن أمر البعث والدار الآخرة اهتماماً عظيماً،وقرن البعث بالتوحيد في مواضع كثيرة وأشار إلى تلك الجائحة التي استطالت على العصور في إنكاره ومحاولات الإفلات من أثره في الدنيا،ومن المسؤولية الفردية المترتبة على الجزاء الأخروي وأبرز المكذبين لفكرة البعث والجزاء هم الدهريون الماديون؛ذلك لأنهم يدعون إلى الإباحة،وإطلاق الغرائز والشهوات في الدنيا وهو إطلاق تخشاه النفس الإنسانية وتنفر منه إلا حين يزيف لها هذا الأمر مزيف فيحجب عنها هذه الحقيقة،ولا ريب أن الإيمان بيوم الجزاء هو أقوى باعث للمرء،يدفعه سعياً وراء الكمال والتقدم،ولا ريب أن يوم القيامة هو يوم نهاية الإنسان، وهدف الله من خلق الإنسان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ [النجم:٣٩-٤١] وفي مختلف الأديان حتى أديان قدماء المصريين:عقيدة البعث بعد الموت.ولم يزيف هذه الحقيقة غير التلموديين والوثنيين والدهريين"[(١)].

٤- القول بعصمة الأئمة :

ويرد الجندي على هذا الأصل بقوله : " فليس في الإسلام وسيط بين الله والعباد ، ولا إنسان له صفة العصمة إلا الرسول محمد ﷺالمؤيد بالوحي،والذي وصفه ربه بأنه بشر ورسول .فليس لعلم الله وريث خاص،ولم يوص الرسول – ﷺ– إلى أحد بالإمامة من بعده .وليس هناك قانون ملزماً للمسلمين غير الشريعة الإسلامية التي جاء بها القرآن الكريم،والتي اكتملت قبل أن يختار الرسول عليه الصلاة والسلام الرفيق الأعلى،وقد فصل الإسلام تماماً بين الألوهية والبشرية والنبوة،فلا يمكن أن يرقى الإنسان إلى مرتبة الألوهية " [(٢)].

٥- التأويل:

الذي يعتبر شعار كل باطني حيث يقولون:أن التنــــزيل هو الجسم والتأويل هو الروح فيرد عليهم بقوله:"ولا ريب أن هذه الدعوى باطلة تماماً وإنما هي قائمة على مفاهيم الفلسفة اللاهوتية اليونانية "[(٣)].

---

(١) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٨٣

(٢) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ،ص١١٥، التيارات الوافدة ص ١٧.

(٣) - المؤامرة على الإسلام ،ص ١٠١ .

ومن أجل ذلك يرى الجندي أن هذه التأويلات لا تقوم على اللغة،والقياس،والمنطق وتتجه إلي إنكار الحقائق الغيبية...فغايتها رفع التكليف،والضوابط ومعارضة حدود الله ،ودفع الناس إلي الشهوات والملذات [1].

٦- القول بسقوط التكاليف:

رد الجندي على هذا المعتقد الباطل عند حديثه عن موقفه من قضايا التصوف الفلسفي،وإن كان الحديث عن المتصوفة إلا أنه يدخل فيه كل من أسقط شئياً من العبادات أو عمد إلى تعطيل الشرائع[2].

ثالثاً :ذكر الجندي أهم شبهات الفكر الباطني،ثم ذكر وسائل مواجهة هذا الفكر، فقال:"ولقد قدم الفكر الباطني إلى الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي شبهات وسموماً وفكراً هداماً كان بعيد المدى في إثارة الشكوك وزلزلة النفوس، ومن ذلك:

أولاً :قدمت أحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ يحلون بها الحرام ويحرمون بها الحلال،حتى يقول بذلك أحد رؤوسهم عبدالكريم بن أبي العوجاء [3] الذي اعترف بذلك قبل موته قال: لقد وضعت أربعة الآف حديث أحللت بها الحرام وحرمت الحلال .

ثانياً : قدمت مفهوماً للعقيدة مغايراً لمفهوم التوحيد الإسلامي،سواءٌ كان مفهوم الثنائية المجوسي أو المانوي القائم على إله النور وإله الظلمة.

ثالثاً :قدمت نظرية الشيوعية المطلقة بين النساء والأموال والإباحية بين الناس[4] .

رابعاً :قدمت مبدأ تقديس الحاكم الذي ينبثق عن نظرية الحق الإلهي والتي يرى معتنقوها أن الحاكم يستمد حكمه من الله لأنه ظل الله في الأرض[5].

خامساً :دعت إلى إسقاط الفروض الدينية كالصلاة والزكاة والصوم والحج ، وإباحة شرب الخمر واللذات والشهوات ، و إباحة زواج البنات والأخوات .

سادساً :ادعو أن لكل شيء ظاهر وباطن ، ولكل تنزيل تأويل،وإلي جانب التأويل كان التحايل على الخروج عن الحدود .

---

(1) - انظر: مقدما ت العلوم والمناهج ٥/ ٣٧٣.

(2) - انظر : ص ١١٩-١٢٠ من الرسالة .

(3) - عبدالكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة.زنديق مُعثَّر قتله محمد بن سليمان العباسي بالبصرة بعد الستين ومئه .(انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٦٤٤،لسان الميزان لابن حجر،اعتنى به :عبدالفتاح أبوغدة ٢٤١/٥، مكتب المطبوعات الإسلامية،حلب،ط الأولى،عام ١٤٢٦هـ) .

(4) - من الفرق الباطنية التي كان عندها هذا الاعتقاد القرامطة وقد اتبعوا المزدكية في اعتقادهم هذا ، وأول من فعل هذا حمدان القرمطي .(انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ،الخطيب ص ١٦٥)

(5) - من الفرق الباطنية التي تقول بهذا الدروز ، فهم يقولون بألوهية الحاكم بأمر الله ، وكذلك الشيعة قالوا بأن آل بيت الرسول هم ظل الله في الأرض وأن أئمتهم معصومون ، وتتجلى فيهم الحكمة الإلهية .(انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٢٣)

سابعاً :أذاعو إباحيةٍ الكلمة في شعر بشار بن برد [1] وأبي نواس[2] وحماد بن عجرد [3] ، ودعبل الخزاعي[4]وصالح بن عبدالقدوس[5] وأقاموا للخمر ديواناً في الشعر يكاد يطغى على سائر فنونه وكذلك أسرفوا في إذاعة شعر الغلمان .

ثامناً :إنكار الوحي المترل على الرسول والقول بأن العقل الإنساني هو حلقة الاتصال بين المرء وربه،وكان ابن الراوندي في مقدمة الداعين إلي تقديس العقل والإدعاء كذباً بأن العقل هو الوحي من عند الله وأنه لا إيمان إلا بما يراه الإنسان "[6].

أما الوسائل التي تصدت للفكر الباطني،وأسهمت في تقليل آثاره على عقيدة الأمة الإسلامية ومجتمعها فمنها ما يلي :

أ- المدارس التي أنشاها نظام الملك لإقرار مذهب أهل السنة والجماعة [7]ودحض مزاعم الباطنية،وقد قامت هذه المدارس بدورها في هذه المقاومة وشارك في هذه الحملة علماء كثيرون منهم الغزالي،والباقلاني [8]،والشهرستاني وغيرهم وربط كثير من المؤرخين بين الباطنية والمجوس واستدلوا على ذلك من نصوصهم التي تطلق كلمة العقل الأول على الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ب- ظهرت فرق المتطوعة للنكير على الفساق ، وظهر خالد الدريوس الذي دعا إلي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسهل بن سلامة الأنصاري الذي دعا إلي العمل بكتاب الله .

---

(1) - بشار بن برد بن حوح بن طخارستان،أبو معاذ البصري الضرير، شاعر العصر،نزل بغداد ومدح الكبراء.وهو من موالي بني عقيل.وقد ولد أعمى.قال أبو تمام:هو أشعر الناس،اتهم بالزندقة، فضربه المهدي سبعين سوطا ليقر،فمات منها،هلك سنة ١٦٧هـ (انظر: السير ٧/٢٤) .

(2) - هو: أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي ، رئيس الشعراء ، ولد بالأهواز سنة ١٤٦هـ ونشأ بالبصرة ، وسمع من حماد بن سلمة ، وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري ، مدح الخلفاء والوزراء . له أشعار رائقة في الغزل والخمر وكان فيه مجون ، توفي سنة ١٩٦هـ له ديوان شعر (انظر : السير ٩/ ٢٧٩، الأعلام ٢/ ٢٢٥) .

(3) - حماد بن عجرد بن يونس بن كليب السوائي الكوفي مولاهم يكنى أبا عمرو ، أصله ونشأته بالكوفة ،كان ماجناً ، وأشربت روحه بالزندقة ، حتى إذا حبس في سجن الزنادقة ، وكان من دعاة الإباحية ، قتل غيلة بأمر من محمد بن سليمان العباسي سنة ١٦١هـ .(انظر : تاريخ بغداد ،للخطيب البغدادي ٨/ ١٤٨ ،مكتبة السعادة ، القاهرة ، عام١٣٤٩هـ، لسان الميزان ٣/٢٧٢).

(4) - هو: أبو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، شاعر هجاء ، ولد سنة ١٤٨هـ بالكوفة ، له شعر جيد يقول ابن خلكان عنه :كان بذي اللسان مولعاً بالهجو والحطّ من أقدار الناس توفي سنة ٢٤٦هـ له ديوان شعر . (انظر الأعلام ٢/ ٣٣٩ ، موسوعة المورد العربية ٢/ ٤٩٤).

(5) - صالح بن عبد القدوس أبو الفضل الأزدي: صاحب الفلسفة والزندقة ، قتله المهدي على الزندقة ،كان حكيم الشعراء زنديقاً متكلماً يقدمه أصحابه في الجدال عن مذهبهم . (انظر : تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٣، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٩١) .

(6) - المؤامرة على الإسلام ص ٩٨.

(7) لو عبر الجندي بالمذهب السني المقابل للتشيع والرفض ، لكان أولى إذ أن مصطلح أهل السنة والجماعة لا يطلق إلا على مذهب السلف الصالح في الاعتقاد و المدرسة النظامية كانت تدرّس المذهب الأشعري .

(8) - هو : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر: قاض، من كبار علماء الكلام.انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة ٤٠٣هـ .كان جيد الاستنباط، سريع الجواب. من كتبه إعجاز القرآن ، والإنصاف . (انظر : سير أعلام النبلاء ١٧/١٩٠ ، الأعلام ٦/ ١٧٦).

ج- عقد الخلفاء المناظرات لمناقشة آراء الباطنية والشيوعية ، ونوهضت أفكار بشار بن برد وصالح بن عبدالقدوس ورد على كثير مما أثاره أصحاب العقائد المجوسية وقد نكل المهدي بالزنادقة وأمعن في قتل الملحدين والمداهنين عن الدين ، وأمر بالرد على ما نشر من كتب ماني وابن ديصان[1]، ومرقيون[2] وما ترجم من الفارسية والفهلوية إلى العربية .

د- ظهر عدد كبير من حملة لواء الدفاع عن جوهر الإسلام منهم الحسين بن عثمان الخياط الذي ألف كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي فيما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم ، وابن الجوزي الذي ألف في الرد على الزنادقة والباطنية كتابه تلبيس إبليس حيث عرض لشبهاتهم ودحضها ... ثم ذكر الجندي ابن حزم،والغزالي،وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم و مواجهة هذا الفكر في مؤلفاتهم[3].

رابعاً : كشف الجندي عن الوسائل التي اتخذها دعاة الفكر الباطني في العصر الحديث لأجل نشر فكرهم و كتبهم ومقالاتهم فقال:"بدأت كتابات المستشرقين،ودعاة التغريب تدافع عن الباطنية والقرامطة والزنج وتعتبر هذه الحركات الضالة دعوات إصلاحية ،وتصورها على أنها ثورات قامت باسم الإسلام،بل إن الاستشراق والتغريب قد ذهبا في ذلك إلي أبعد مدى: إلى اتهام رأى السنة والجماعة والغض من قدر أولئك المجاهدين الأبرار الذين وقفوا أمام هذه المؤامرة الخطيرة،وظهر من الكتب ما يجدد الفكر الباطني الشعوبي في إعادة عرضه والدفاع عنه ، وتزيينه لإغراء الشباب المثقف به وتصويره على أنه فكر مستقل منقطع الصلة بأوضاعه وظروفه والردود التي واجهته،وأن في الإمكان إعادة طرحه في العصر الحديث كفكر عصري تقدمي،وذلك أقسى ما يمكن أن تقوم به دعوات التغريب والغزو الثقافي من التمويه والزيف وإشاعة سموم خصوم الإسلام التي سقطت بعد أن واجهت معارضة ضخمة مع الفطرة والعلم والدين الحق"[4].

ويقول :" وفي العصر الحديث ترى مفهوم الباطنية يتجدد في طبع مؤلفات ابن عربي، والحلاج،وابن الفارض ودراسة أفكارهم ومناهجهم وأساليبهم ورسائل إخوان الصفا،

---

(1) - مؤسس الديصانية ، وسمي بذلك باسم النهر الذي ولد عليه ، وهي فرقة ثنوية قريبة من المانوية ، إلا أن بينهما خلافاً في اختلاط النور بالظلمة ،وكانت تنتشر في البطائح وبخرسان والصين،ولابن ديصان كتاب روحانية الحق ، النور والظلمة .(انظر : الفهرست ص ٦٥٧- ٦٥٨).

(2) - مؤسس المرقيونية ، وهي فرقة ثنوية تتستر بالنصرانية ، وذهبت إلى إثبات أصلين قديمين هما : النور والظلمة ، مع أصل ثالث هو المُعدل والجامع بينهما وهو عيسى ، أو رسوله ، وزعموا أن من جانب الزُّهومات والمُسكرات ، وصلَّى وصام أفلت من حبائل الشيطان ، ولمرقيون ولأصحابه كتابٌ يسمونه الإنجيل . (انظر : الفهرست ص ٦٥٨، الملل والنحل ٢٥٢/١) .

(3) - المؤامرة على الإسلام ص ١٠٢-١٠٣، مقدمات العلوم والمناهج ٤٨٠/١.

(4) - المؤامرة على الإسلام ص٩٥-٩٦ ، مقدمات العلوم والمناهج ٤٧٥/١.

ويحمل رجال الأدب المعاصر مسؤولية هذا العمل الخطير الذي يجري تحت اسم الذوق الأدبي أو الفني ،كذلك فإن كتّاب العصر الذين يأخذون من هؤلاء دون أن يقدروا الخلفيات الخطيرة التي تحملها أفكارهم فهم إنما يحملون إلى مثقفي العصر سموماً وشبهات تتعارض مع أصالة الإسلام وقيمه التقدمية البناءة.ذلك أن المذاهب الباطنية في أصلها كانت تستهدف العقيدة الإسلامية من أساسها،وأن تجديد المذاهب تحت اسم الفن أو الأدب أو الفلسفة أو غيرها إنما هو محاولة جديدة لطرح هذا الفكر الفاسد المسموم مرة أخرى في أفق الفكر الإسلامي في واحدة من محاولات بلبلة العقيدة وتلويثها "[1].

وبناء على ما سبق نجد أن الجندي ذهب إلى ما ذهب إليه العلماء السابقون من أن ما تحمله الباطنية من أفكار وعقائد يمثل خروجاً عن الإسلام فقال :" وكان ضرر الباطنية على الإسلام أكبر من ضرر أعدائه الصرحاء وذلك أن الباطنيين أباحوا لأتباعهم جملة من الملذات والشهوات ، وأسقطوا عنهم فرائض العبادات كما أباحوا لهم تأويل أركان الشريعة وقد قبل علماء المسلمين من مترجمات اليونان علوم الطبعيات والرياضيات وعارضوا الإلهيات والميتافيزيقا اليونانية ... وقد ثبت أن هذه الإلهيات ليست سوى علم الأصنام عند اليونان ، وأنها عصارة مفاهيم الوثنية القومية وقد ترجموها إلى لغة الفلسفة،وأضافوا عليها صبغة من الفن .وما العقول والأفلاك إلا رموز الوثنية الإغريقية القديمة ... ومن خلال هذه المفاهيم عن الإلهيات اليونانية جاءت معارضة التوحيد،والنبوة،والوحي،والبعث،والجزاء، وهي الأصول الأصلية للإسلام و التي يعد من جحدها خارجاً عن الدين"[2].

خامساً: أجاد الجندي وأفاد في بيان حال دعاة الفكر الباطني ؛نظراً لما كان لهذه المعتقدات من أثر كبير على الفرد والمجتمع،وما أحدثه من أثر بالغٍ في تشويه العقيدة الإسلامية،وبث الفتن في صفوف المسلمين ، وإشاعة الفرقة بين مجتمعاتهم.وقد وجد دعاة الفكر الباطني كل تقدير واحترام من رجال التغريب،والغزو الثقافي،وكان لهم القدح المعلى لدى حركة الاستشراق والتبشير و كان لتراثهم الفكري الأثر الخطير على الأمة. ومن هؤلاء ما يلي :

١ - **عبدالله بن سبأ:**

---

[1] - المؤامرة على الإسلام ص١٠٤، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٨١.

[2] - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٧١.

لقد اجتهد الجندي كثيراً في بيان ما قامت عليه أفكار هذا الداعية من عقائد منحرفة، فيقول:"وقد كان عبدالله بن سبأ هو أول من أدخل في أفق الفكر الإسلامي مفاهيم الوصية،والرجعة،والتناسخ ،وقد قال برجعة النبي ﷺ، ودعا بألوهية علي رضي الله عنه"[1] .

ويقول:"أن عبدالله بن سبأ نادى بمبدأين ليسا من دين الله الحق في شي وهما من تحريف اليهودية مبدأ الرجعة ومبدأ الوصية .وفي صميم الإسلام وجوهره لا يعرف المسلمون ذلك، ولا يقرونه وقد أضاف ابن سبأ قداسة خاصة إلي الإمام علي فسماه وصياً ووليا،ومهدياً ،وإماماً،ونبياً،وإلهياً "[2].

وبياناً لأثره ودوره الفاسد في المجتمع الإسلامي يقول الجندي:"ولا ريب كانت دعوة عبدالله بن سبأ في تحريف العقيدة،دساً في الدين وتفرقة في الكلمة،واستهانة بالتاريخ، واستخفافاً بالمقومات،ووضعاً من شان الله،وإفساداً للأخلاق والإشادة بكل مذهب أجنبي ، ومن هذه النقطة بدأت حركات الهدم في الإسلام "[3].

وذهب طه حسين إلى أن شخصية عبدالله بن سبأ خيالية ولا وجود لها،و ألَّف في ذلك كتاباً ضخماً تحت اسم «الفتنه الكبرى» ، دافعه تبرئة اليهودي ابن سبأ من المؤامرة التي قام بها ،بل ينكر وجوده ويعده شخصية منتحلة ولا اثر له ولا وجود،ولذا قام أنور الجندي بجهد موفق من خلال تتبع كتابات طه حسين في هذا الإدعاء والرد عليه من جهة كون صنيعه هذا فيه موافقة لرأى اليهودية العالمية،فيقول:"والواقع أنه يمكن الآن الرجوع في كل نظريات التغريب والغزو الثقافي إلي أفكار عبدالله بن سبأ.ومن هذه الإدانة الشديدة لعبدالله بن سبأ يتابع طه حسين رأي اليهودية التلمودية في إنكار وجوده والإدعاء بأنه شخصية خيالية حيث يقول:إنه ليس لهذا اليهودي عبدالله بن سبأ يد فيها وأن ليس لليهود عمل في تأريث[4] نارها"[5].

ونظراً لعلاقة طه حسين باليهود الذي كان له اتصال مباشر بالمحافل الماسونية،وقيامه بإلقاء المحاضرات عن إسرائيل واليهودية خلال عمله بالجامعة،واحتضان بعض شباب اليهود

---

(1) - المؤامرة على الإسلام ، ص١١٩ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٩٢ .

(2) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٧٤.

(3) - نفس المصدر ونفس الصفحة .

(4) - أرَّث النار : أوقدها ، ويقال : أرَّث بين القوم : أغرى بعضهم ببعض (انظر : المعجم الوسيط ص ١٢)

(5) - المؤامرة على الإسلام ، ص١٢٣.

وفي مقدمتهم ولفنسون،بل أنه خدم اليهود أكثر أثناء دخول اليهود فلسطين بطبع عشرات الكتب التي تخدم الثقافة الصهيونية[1].

ويؤكد الجندي أن ذلك كان بداية مؤامرة تسعي إليها الصهيونية العالمية،فيقول:" يجب أن يكشف عن هذه الوجهة وخلفياتها،وأبرز ما يتصل بها هو تحقيق هدف من أهداف الصهيونية العالمية وهو:إنكار الدور الذي قام به عبدالله بن سبأ اليهودي اليمني المعروف بابن السوداء،والذي كان القائد الحقيقي للفتنة التي اضطرمت ضد سيدنا عثمان رضي الله عنه في مختلف الأقطار مصر والشام والعراق.وكان اليهود قد مهدوا لذلك في إسرائيل بطبع كتاب «أنساب الأشراف» وهو كتاب مريب و ملفق للبلاذري [2] ضاعت منه أجزاء وقد بدءوا بطبع الجزء الخامس منه بإشراف مستشرق يهودي.وقد اعتبر هذا مقدمة للدور الذي يقوم به الدكتور طه حسين بالاعتماد عليه في إنكار وجود شخصية عبدالله بن سبأ،والادعاء بأنها شخصية وهمية اخترعها المؤرخون المسلمون»[3].

ومن جهة ثانية أثبت الجندي أن الدكتور طه حسين لم يستخدم المنهج العلمي في هذا الإدعاء بل كان اعتماده الأكبر على المصادر الضعيفة وغض الطرف تماماً عن المصادر الأصيلة التي أثبتت هذه الشخصية فيقول :" هذه المراجع التي يعرض عنها طه حسين جميعاً،ويتكئ على البلاذري في كتابه الملفق .ففي جميع المراجع -ماعدا البلاذري - يرد أمر ابن سبأ في مقدمة ذلك الطبري[4] -حيث قال- : "كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء،فأسلم زمن عثمان رضي الله عنه ثم تنقل في بلدان المسلمين،يحاول ضلالتهم،فبدأ بالحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم الشام" [5] كما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل[6]،وابن حزم في الفصل[7]،و عبدالقادر البغدادي في الفرق بين الفرق [8]

---

(1) - انظر :كتاب العصر تحت ضوء الإسلام ص ٣٤.

(2) - أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري: مؤرخ، جغرافي، نسابة،نسبته إلى حب البلاذر قيل : إنه أكل منه فكان سبب علته.توفي سنة٢٧٩هـ ، من كتبه: فتوح البلدان ، أنساب الاشراف. (انظر : الأعلام ١/٢٦٧).

(3) - محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ص٢١٢- ٢١٣، دار الاعتصام ، القاهرة .

(4) - هو :أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، ولد سنة ٢٢٤هـ المؤرخ المفسر الإمام ، ولد في آمل طرستان ، واستوطن ببغداد وتوفي بها . توفي سنة ٣١٠هـ له من المؤلفات : أخبار الرسل والملوك ، جامع البيان في تفسير القرآن وغير ذلك. (انظر : طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٣٥-١٤٠،الأعلام للزركلي ٦/ ٦٩)

(5) - تاريخ الرسل والملوك ،للطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ٢/ ٤٦٩، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٩٧١م .

(6) - انظر : الملل والنحل ١/ ١٧٤.

(7) - انظر:الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٣٢٥، ٢/ ٢٧٤.

(8) - انظر : الفرق بين الفرق ص ١٦٢- ١٦٤

والإسفراييني[1] في التبصير في الدين[2]،وابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث[3] وابن عبد ربه[4] في العقد الفريد"[5][6].

٢-عبدالله بن المقفع[7] :

ومن دعاة الباطنية الذي كان لتراثهم الفكري قدح شرارة الانحراف عبدالله بن المقفع ويعد بحق حلقة ثانية للمخطط الذي رسمه عبدالله بن سبأ ويتمثل جهد أنور الجندي في الرد عليه في النقاط التالية :

أولاها:لقد كشف حقيقة عبدالله بن المقفع و الذي تتضح من خلالها مجوسيته،فيقول:"وفي مرحلة تالية جاء عبدالله بن المقفع الفارسي المجوسي الذي ادعى الإسلام وكان اسمه «روزبه» وكان من أكبر أعداء الإسلام ومن أشدهم مكراً،فهو الذي نقل إلي اللغة العربية الفكر المجوسي"[8].

وقد ذكر الجندي شواهد وأدلة استند إليها في اتهامه بالزندقة والمجوسية وهي كالتالي:

١- ما قاله الخليفة المهدي فيما روى ابن خلكان [9]أن كل كتاب زندقة يعود في أصله إلى ابن المقفع [10].

٢- باب برزويه الذي أضافه إلى كتاب كليلة ودمنة قاصداً به تشكيك ضعفاء العقيدة في الدين[11] .

---

(١) - هو شاهفور بن طاهر بن محمد الأسفرايني الشافعي ،إمام بارع صنف في التفسير والأصول ، وسافر في تحصيل طلب العلم ، توفي بطوس سنة ٤٧١هـ . من كتبه : تفسير الكتاب الكريم ، التبصير في الدين . (انظر : الأعلام ٣/٢٢٣).

(٢) - انظر : التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، أبي المظفر الاسفرايني، تحقيق محمد زاهد الكوثري ص ١٠٣، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط الأولى .

(٣) - انظر : تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ،تحقيق محمد عبدالرحيم ، ص ٧٢، دار الفكر ، بيروت ،عام ١٤١٥هـ

(٤) - هو : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي ، ولد سنة ٢٤٦هـ وتوفي سنة ٣٢٨÷ من كتبه الإرشاد في اللغة ، العقد الفريد (انظر : هدية العارفين ،لإسماعيل باشا البغدادي ١/ ٣١ ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، عام ١٩٥١م).

(٥) - انظر : العقد الفريد ، لابن عبد ربّه ، تحقيق أحمد أمين ٢/ ٤٠٤-٤٠٥ نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٥٢م .

(٦) - محاكمة فكر طه حسين ص ٢١٣

(٧) - عبدالله بن المقفع ،كاتب شاعر ، أحد النقلة من اللسان الفارسي إلي العربي وهو فارسي الأصل،وقد ترجم بعض الكتب للمنصور العباسي ، واتهم بالزندقة ، فقتله أمير البصرة سنة ١٤٥هـ .(الفهرست ص١٧٢، وفيات الأعيان ٢/١٥١، البداية والنهاية١٣/ ٣٨٤).

(٨) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٧٥.

(٩) - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الاربلي، أبو العباس: المؤرخ الحجة، والأديب الماهر، ولد في إربل سنة ٦٠٨ هـ، وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ . من كتبه : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان . (انظر : الأعلام ١/٢٢٠).

(١٠) - وفيات الأعيان ٢/ ١٥١.

(١١) - لقد رجعت إلى الباب الذي ذكره الجندي وقرأته كاملاً ، فلم أجد فيه ما يشكك في الاعتقاد .(انظر :كليلة ودمنة لعبدالله بن المقفع ، ص ٦٨، دار الشروق ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٣٩٩هـ) .

٣- ما قاله حين مر بعد إسلامه ببيت من بيوت النار مبدياً حنينه إلى ديانته القديمة[١].

٤- ما أورده القاسم بن إبراهيم [٢]في كتابه المرسوم (الرد على الزنديق اللعين) عن معارضته للقرآن وقلة احترامه له،حيث كشف في هذا الكتاب عن فقرات من كتاب معارضة ابن المقفع للقرآن وقد كان يكتب باسم النور الرحمن الرحيم،يمدح النور ويقول :إنه منبع الخير من حيث إنه متزل على محمد،وأشار إلى ما نقله ابن المقفع من الفارسية من كتب ماني،وابن ديصان،ومرقيون[٣].

٥- ما أورده المسعودي[٤] في «مروج الذهب» [٥] أن ابن المقفع وآخرين من الملاحدة ترجموا مؤلفات ماني وابن ديصان ومرقيون،كما أن ابن المقفع ترجم كتاب مزدك،ويعلق «الصفدي»[٦] بأن كتب الزنادقة الممنوعة تحوى كثيراً من آراء ابن المقفع[٧].

٦- ما أشارت إليه روايات عديدة وأكيدة عن اتصال ابن المقفع بخلفاء الشعوبيين والمجان المتهمين بالزندقة كبشار بن برد،وصالح عبدالقدوس،وحماد عجرد ،وقد اشتهروا بالاجتماع على الشرب ،و الغمز في الدين ،وكانوا جميعاً متهمين بإبطان المانوية .

٧-ارتباط اسم ابن المقفع بتهمة الزندقة عند المسعودي وابن خلكان والبيروني.

٨- ما أشار إليه المستشرق «جبريللى» من أن الفقرات التي تنتقد الدين في باب برزويه هي من وضع ابن المقفع التي حشرها دون أن يسفر بوضوح عن عقيدته الإلحادية ، وقال : "إن القطعة كلها بما فيها من جرأة في التفكير ومغزى تهكمي لاذع لا يمكن أن تكون قد كتبت وانتشرت باسم مؤلفها في دوائر بلاط فارس الساسانية ودينها الرسمي هو المزدكية أو في

---

(١) - يا بيت عاتكة الذي أتعزل ... حذر العدى و به الفؤاد موكل

إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسماً إليك مع الصدود لأميل ، وهي للأحوص بن محمد الأنصاري ، وعاتكة : هي بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية ، وأتعزل :أي أتجنب (انظر : وفيات الأعيان ٢/ ١٥١ ، المؤامرة على الإسلام ص ١٢٨).

(٢) - هو القاسم بن إبراهيم بن أسماعيل العلوي الرَّسّي ، أحد أئمة الزيدية ،كان فقيهاً متكلماً شاعراً ، توفي سنة ٢٤٦هـ . من مؤلفاته : الإمامة ، سياسة النفس ، العدل والتوحيد .(انظر :الأعلام ٥/ ١٧١) .

(٣) - انظر:نقد المسلمين للثنوية والمجوس مع الردَّ على ابن المقفع ، للرسي،تحقيق:إمام حنفي،ص ٩٣-١٤٩،دار الآفاق الجديدة،القاهرة،عام١٤٢٠هـ.

(٤) - هو: علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد.أقام بمصر وتوفي فيها، سنة ٣٤٦هـ .من كتبه : مروج الذهب ، التنبيه والإشراف و أخبار الخوارج (انظر : الأعلام ٤/٢٧٧).

(٥) - انظر : مروج الذهب للمسعودي ، تحقيق : محمد محيي الدين ٤/ ٢٧٩، دار المعرفة ، بيروت ، عام ١٤٠٢هـ.

(٦) - هو: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة.ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته.سنة ٦٩٦هـ وتوفي سنة ٧٦٤هـ . من كتبه : الوافي بالوفيات . (انظر : الأعلام ٢/٣١٥) .

(٧) - انظر : الوافي بالوفيات ١٧/ ٣٣٩.

المجتمع الإسلامي في القرن الثامن الميلادي،ولكن من المحتمل جداً أن عقلاً يسوده الشك كما كان عقل ابن المقفع قد أظهر في هذه القطعة آراء ناسباً إياها إلى شخص أجنبي"[1][2].

ثانيها : توضيح الدور الذي قام به ابن المقفع وذلك من خلال الترجمة التي جرّت على المسلمين ويلات عظيمة ومفاسد وخيمة. فيقول الجندي:" أن حركة الترجمة التي قامت في صدر الإسلام كانت تستهدف ترجمة الايجابيات من العلوم اليونانية ، ولكن المجوس الذين تولوا هذا العمل في مقدمتهم ابن المقفع في نظر المؤرخين هو أول من ترجم من إلهيات اليونان وفلسفاتهم "[3]

ويقول : " ومن أبرز كتبه التي ترجمها كتاب ديستاو وهو كتاب «مزدك» يضم عقائده كما أنه ترجم كتاب(الدرة اليتيمة) في كتاب معارضه القرآن ،ومن أهم الكتب التي ترجمها كتاب «كليلة ودمنة» وقد ضمن هذا الكتاب باباً اسماه (برزوية) وهذا الباب من أخطر الأبواب في نقد الدين عامة يتكلم فيه عن تعارض الأديان ... وكان ابن المقفع يرمى إلي نشر الإلحاد والتحلل من الإسلام "[4].

ثالثها : وقد كان التيار التغريبي يسعى دائماً في الإعلاء من شأن ابن المقفع فنعتوه بأحسن الألقاب والأوصاف وقالوا عنه: إنه علم من أعلام الفكر الحر ، وأنه مصلح اجتماعي، وصاحب الأسلوب البليغ .مما دفع الجندي أن يترجم له في كتابه «الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي» وأن ينعته بما يستحقه حيث قال عنه : " والواقع أن ابن المقفع لم يكن إلا داعية من دعاة المجوسية أعلن إسلامه تقية وتخفياً حتى تحقق أغراضه ، وأن ما نقله إلي الأدب العربي من الأدب المجوسي كان واضحاً فيه تعمد إذاعة الفكر الوثني "[5]

٣- ابن سينا :يعتبر ابن سينا من دعاة الباطنية الذين أوجد لهم دعاة التغريب والشعوبية في العصر الحديث كل حفاوة وتقدير وإعجاب فاجتهد الجندي في تقديم حقائق أساسية عنه فمن تلك الحقائق :

---

[1] - المؤامرة على الإسلام ص ١٢٩-١٣٠

[2] - وهناك رأي آخر برّأ ابن المقفع من جميع تلك الضلالات ، وذكروا أنه ليس أول من رمي بالزندقة ، فتاريخ الفكر الإسلامي مليئ برمي الزندقة والإلحاد على نوابغ الأمة من قبل الحاسدين والمنافسين لهم ، وأن دخول ابن المقفع في الإسلام كان طواعية ، وحافظ على شعائره، فلا يخرج منه إلا بيقين ، وأن الذين اتهموه بالزندقة لم يوردوا نصاً صريحاً أو ألّف كتاباً في الزندقة بعد إسلامه وقد قال بهذا أحمد أمين ، وبطرس بستاني ومحمد كُرد علي .(انظر : ضحى الإسلام ، أحمد أمين ٢٢٣/٢، مناهج اللغويين في تقرير العقيدة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ،د. محمد الشيخ ص ٨٠٢-٨٠٩)

[3] - المؤامرة على الإسلام ،ص١٢٦.

[4] - مقدمات العلوم والمناهج ٣٧٥/٥.

[5] - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٣٩١.

الحقيقة الأولى: مذهب ابن سينا الباطني :

نجد أن الجندي أنصفه في المجال الذي برع فيه وهو علم الطب فقال عنه : " ونحن نشهد بأن ابن سينا الطبيب لا غبار عليه وأنه رائد في مجاله وأن الأمر لو اقتصر على هذا الجانب العلمي في حياته لما وجد عليه من ملام ، ولكن المستشرقين والمبشرين ينفخون في آراء ابن سينا الفلسفية ويعلون من شأنها ويصفون شخصيته فوق كل الشخصيات "[١].

ولما كان حال أولئك المستشرقين ودعاة التغريب الذين يسعون دائماً في تسميم الفكر الإسلامي بطرح فكر مثل هؤلاء المارقين على أنه ممثل للفكر الإسلامي بينما هو من فلاسفة الإلحاد والزندقة لذلك بين الجندي حقيقته بقوله : "كان ابن سينا باطنياً بل داعية باطنياً كبيراً على وجه التأكيد ... ، والرجل باطني الأصل والنشأة والتربية توجه في دراسته الأولى وجهة باطنية و لم يكن مخلصاً للبويهيين [٢] ومن أعداء الغزنويين والدولة العباسية التي ناصبها الفاطميون الباطنيون العداء ، إنه يتفق في فلسفته كل الاتفاق مع العقيدة الباطنية في وجهيها الميتافيزيقي والروحاني ، وهو إضافة إلي المصادر الباطنية الموثوقة التي تؤكد كونه من كبار دعاة الباطنية "[٣].

ويستمر الجندي في كشف القناع عن حقيقته فنقل عن الدكتور محمود قاسم[٤] قائلاً: " إنه حرص على تأويل النصوص الدينية تأويلاً باطناً حتى يجعلها على وفاق مع فلسفته الخاصة وهي فلسفة إشراقية في المقام الأول ، وهي تلك الفلسفة التي انتقلت إلى أوربا وأشار إلى حياته الخاصة فقال : إنه خصص أمسياته للسمر والشراب والسماع وطلب المتعة ، وكان مسرفاً على نفسه...وقال:إن نظريته في الفيض مأخوذة مما أورده بطليموس عن العقول كما تأثر في قصيدة النفس بآراء أفلاطون "[٥].

---

(١) - المؤامرة على الإسلام ص ١٣١ .

(٢) - هكذا في الأصل و الصواب وكان مخلصاً للبويهيين ؛ لأنه تولى منصب الوزارة لبعض الأمراء البويهيين ، وهي دولة باطنية .

(٣) - المؤامرة على الإسلام ص ١٣٥، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٠٤.

(٤) - هو: محمود محمد قاسم ، واحد من كبار الرواد المعاصرين في الفكر الفلسفي في العالم الإسلامي ، ولد في سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م بقرية كفر دنوهيا التابعة لمركز الزقازيق وهو من خريجي دار العلوم . ابتعث لفرنسا وحصل على دكتوراه الدولة بمرتبة الشرف الأولى ، ثم عاد فدرّس في دار العلوم فترقى في المناصب حتى عين عميداً لها . توفي سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.له مصنفات وتحقيقات عده منها : ابن رشد وفلسفته الدينية ، المنطق الحديث ومناهج البحث ،دراسات في الفلسفة الإسلامية ، وتحقيق كتاب الشفاء ، لابن سينا ، مناهج الأدلة في عقائد الملة ،لابن رشد .(انظر: موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص١٠٤٢- ١٠٤٥) .

(٥) - المؤامرة على الإسلام ص ١٣٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٠٥، وانظر : دراسات في الفلسفة الإسلامية ،د. محمود قاسم ص ١٩٤وما بعدها .

الحقيقة الثانية : بيانه للأخطاء المنهجية والعقدية عند ابن سينا :

اجتهد الجندي في كشف المنهج الذي قامت عليه دعوة ابن سينا من مقدمات تبين فساد عقيدته الملحدة فمن ذلك :

١- إعلاء وتقديس العقل :

كان ابن سينا من أولئك الذين يعلون من شأن العقل إذ يقول عنه :" إنه أول المبتدعات ، فإن العالم العلوي والسفلي وجميع ما فيه يكون قد صدر عن العقل "[1].

ومما قاله الجندي في الرد على ذلك :" ولقد أعلى ابن سينا من شأن العقل علواً شابه به المعتزلة وزاد عليهم،فقد دعا إلى ما أسماه سلطان العقل وتقديس العقل مما هو باطني في النظرة الإسلامية الصحيحة،وليس هذا يقوله ابن سينا إلا متابعة لمناهج الهلينية اليونانية وليس له أساس إسلامي،وهذا هو موضع اتهام ابن سينا وهو في نفس الوقت موضع تقدير الاستشراق والشعوبية له،و لم يكن ابن سينا متورطاً في اتجاهه هذا،وإنما كان قاصداً إليه قصداً يقيناً لأنه كان من دعاة الباطنية وزعمائها المستورين "[2].

٢- التوفيق بين الفلسفة اليونانية والإسلام :

عجزت المناهج الفكرية الفاسدة وفي مقدمتها الفلسفة اليونانية أن تساير المنهج الرباني فابتدع الفلاسفة فكرة التوفيق بين الدين والفلسفة وكان من رواد هذا المنهج ابن سينا فكشف الجندي حقيقة هذا الأمر بقوله :" ولقد كانت محاولة ابن سينا في التوفيق بين الفلسفة اليونانية ودين الإسلام من الأعمال التلفيقية المغرضة التي لا تصدر عن مؤمن بالإسلام – إذا كانت تستهدف إخضاع العقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد للفلسفة اليونانية الوثنية الإباحية،ولقد كانت تلك كبرى مقاتله ؛ لأن هذا الاتجاه الذي سار فيه هو والفارابي إنما كان الطريق الذي رسمته الباطنية ودعت إليه إخوان الصفا"[3].

ويضيف الجندي قائلاً :"وأن محاولة التوفيق بين هذه الفلسفة وبين الفكر الإسلامي ، قد باءت بالفشل وعجزت عن أن تحقق شيئاً ،نظراً لأن أخطاء كثيرة و زيوفاً كثيرة قد لحقت بالترجمة،وأن الفكر الذي نقل إلى المسلمين من اليونان والإغريق لم يكن صحيح الأصول بل كان صورة زائفة دخلت عليها مفاهيم السريان والنساطرة المترجمين وعقائدهم ،وكانت تهدف إلى خدمة مفاهيم دينية،ومن هنا كان فسادها وعجزها عن أن تعطي الفكر الإسلامي

---

(1) - النجاة، لابن سينا ، تحقيق د. ماجد فخري ،ص٤٥٤، دار الأفق الجديد ، بيروت ،ط الأولى .

(2) - المؤامرة على الإسلام ١٣١ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/٥٠٥ .

(3) المؤامرة على الإسلام ص١٣٢، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٠٦

شيئاً ، هذا فضلاً عن نسبة كتب أرسطو إلى أفلاطون أو العكس،ومن ثم فقد قامت المعارضة الإسلامية في وجهها منذ اليوم الأول"[1].

٣- تأثر ابن سينا بالتصوف الإشراقي:

ويوضح الجندي ذلك فيقول :" إن «ابن سينا» يرى أن غاية السعادة ليست إلا مجرد اتصال بين العبد وربه ،يحظى فيه الإنسان بضرب من الإشراق لا يصدر عن الله(جل في علاه) مباشرة بل بواسطة العقل الفعال [2]. ومعنى هذا أنه يرفض (الاتحاد) ويحل محله شيئاً آخر أشد خطراً هو(الإشراق)والفلسفة الإشراقية التي حمل لواءها «السهروردي»من بعد،وتصوف «ابن سينا» لا يختلف عن تصوف الفارابي في شيء وتقاربهما يوحي بالمصدر والخلفية التي ظهرت فيما بعد علي أيدي الباحثين وهي الاتصال بالباطنية"[3] .

٤- إنكاره لعلم الله بالجزئيات :

يقول الجندي:"يري ابن سينا أن الله يعلم الكليات دون الجزئيات،وأنه إذا علم الجزئيات فإنه يعلمها بمعانيها وليس بأعيانها وشخوصها وهذا يخالف مفهوم السنة ويعارضه تماماً "[4].

٥- وأخذ الجندي على ابن سينا إطلاق بعض الأسماء على الله تبارك وتعالى،مع عدم ورودها في الكتاب والسنة .فقال الجندي:" ويؤخذ على ابن سينا أنه أطلق على الله تبارك وتعالى اسم (واجب الوجود[5])أو العلة الأولى[6]،أي أنه كان بتعبير مجرد وجود منطقي بلا إرادة وبلا معرفة ، والذي نبع منه الكون بالضرورة ، أي إن الكون هو المعلول،وبما أن العلة والمعلول ليس من الممكن فصلهما فإن الكون يتماثل في الأزلية مع الله(جل في علاه).هذا مع العلم بأن واجب الوجود أو العلة الأولى ليسا من أسماء الله تعالى الواردة في القرآن[7].

---

[1] - تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة إلى مناهج الفكر الإسلامي الأصيل ، أنور الجندي ص ٤٠-٤١ ،دار المكتبة العصرية ، بيروت ط الأولى عام ١٤٠٥هـ .

[2] - العقل الفعال هو :كل ماهية مجردة عن المادة أصلاً ، وهو المخ رج لنفوس الآدميين في العلوم من القوة إلى الفعل،ونسبته إلى المعقولات، والقوة العاقلة نسبة الشمس إلى المبصرات ،والقوة الباصرة، إذ بها يخرج الأبصار من القوة إلى الفعل . (انظر : معيار العلم في فن المنطق ، للغزالي،تحقيق د. علي بو ملحم ص ٢٦٧ ،دار الهلال،بيروت،ط الأولى،عام ١٩٩٣م ،المعجم الشامل لحفني ص ٥٤٠)

[3] - التأصيل الإسلامي ص٣٤ .

[4] - المؤامرة على الإسلام ص ١٣٣ .

[5] - واجب الوجود : هو الذي يكون وجوده من ذاته و لايحتاج إلى شيء أصلاً .(انظر : التعريفات للجرجاني ص ٢٤٤).

[6] - العلة الأولى هي : ما يتوقف عليه وجود الشئ ،ويكون خارجاً عنه مؤثراً فيه ، ويريدون بها الله ﷻ . (انظر : معيار العلم ص ٣١٢ ، الملل والنحل ٣/ ٥٤٤).

[7] - انظر : التأصيل الإسلامي ص ٣٤، وانظر لرأي ابن سينا : الشفا١/ ٣٥٤، موسوعة الفلسفة لبدوي ١/ ٤٨-٤٩

٦- ويؤخذ عليه كذلك خطاءه في أن النعيم والجحيم روحيان لا جسديان،لأن الجسد غير خالد والعالم قديم لا نهاية له [١].

وينقل الجندي نقد ابن القيم لابن سينا فيقول [٢]:"قرب ابن سينا مذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجهده،وغاية ما أمكنه أن يقربه من أقوال الجهمية الغالية في التجهم،فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم،والملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال:الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد،والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة ...وبناء عليه فالرجل - أي ابن سينا - معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد،لا مبدأ عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتاب "[٣] .

الحقيقة الثالثة : كشف الجندي فلسفة ابن سينا :

يرى الجندي أن فلسفة ابن سينا تتركز على ثلاث مسائل وهي كالتالي :

١- نظرية الفيض:

وهي من مبتكرات أفلوطين الذي أقحمها أول الأمر في الفكر الإسلامي الفارابي وطورها ووضحها ودعمها ابن سينا بحيث ينظر إليه أحياناً على أنه هو الذي ابتدعها ثم تسربت إلى الفكر الباطني والصوفي.وخلاصتها عند ابن سينا :" أن الله عقل محض وأنه يعقل ذاته ودائم التأمل فيها وحيث إن التعقل هو علة الوجود فقد فاض عن الله بالضرورة موجود واحد هو العقل الأول وعنه فاض ثان له خواص خاصة حتى العاقل العاشر وهو العقل الفعال الذي فاض عنه عالمنا الأرضي الذي نعيش فيه "[٤].

ويقول الجندي عنها:"ونظرية الفيض الأفلوطينية هذه هي أخطر النظريات الميتافيزيقية التي تحتويها العقيدة الباطنية لكونها تتعلق بالإمام الباطني،المعصوم الذي كان يصل بمترلته لدى القائمين على العقيدة أحياناً إلى درجة ينبوع المبدعات أو مبدع الذات أي العقل المحض ودرجة الربوبية "[٥].

ونبَّه الجندي إلى خطورة هذه النظرية على عقيدة المسلمين فقال:" ولا ريب أن هذه الفلسفات التي تتعلق بالعقول العشرة وهي من الفكر الأفلاطوني الفاسد ما تزال تدرس في جامعاتنا ومدارسنا على أنها نظريات فلسفية بينما هي سموم معارضة لمفهوم التوحيد

---

[١] - المصدر السابق ص٣٤ -٣٥ ، وانظر لرأي ابن سينا : النجاة ٢٩٣، الإشارات ٤/ ١٩٨.

[٢] - ذكر ذلك ابن القيم في كتابه :إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان،تحقيق : مجدي السيد ص ٦١٨ – ٦٢٠،دار الحديث ، القاهرة ،

[٣] - التأصيل الإسلامي ص٣٥ .

[٤] - المؤامرة على الإسلام ص١٣٣ ، وانظر : النجاة لابن سينا ص ٤٥٤ .

[٥] المصدر السابق ص ١٣٤ .

ومناقضة للإسلام الصحيح.ويجب أن تحاط في دراستها بالخلفية التي تكشف تطورها التاريخي ومحاولة مؤامرة الباطنية الكبرى لوضعها واستغلالها لإفساد العقلية الإسلامية والتأثير عليها، وقد تجدد هذا الفكر الوثني المضلل في العصر الحديث بواسطة الاستشراق والتبشير ودعاة التغريب دون أن يتنبه أحد إلى أخطاره ومحاذيره" [(١)].

٢- النفس الإنسانية :

يقول الجندي :" في موضوع النفس الإنسانية استرشد ابن سينا بآراء الفارابي في النفس مع إدخال كثير من التعديل ، والتفصيل عليها وتكشف قصيدة النفس لابن سينا عن تأثره الكبير بآراء أفلاطون " [(٢)].

٣-نظريةالمعرفة الإشراقية[(٣)] وهي تتضمن نظريات خاصة عن النبوة والمعجزات[(٤)]والتصوف[(٥)]

وتقوم هذه النظرية على مقتضى حصول النبوة بجهد بشري يحصل لجميع الناس نتيجة طبائعهم النفسية دون مقتضى الاصطفاء والاختيار حيث ذهب ابن سينا إلى أن هذه الدعوة مرتبطة بنظرية الفيض ، ولذلك يقول الجندي :" أما في الفلسفة الإشراقية الخاصة بآرائه في النبوة والوحي والمعجزات والنصوص فإنه يربط نظرية الفيض بنظرية مادية هي وحدة الوجود التي تقول بأن الله تجلى وأنه يتحد بكل مخلوق من مخلوقاته – سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا – ويرى أن كرامات العارفين كمعجزات الرسل ، وأن العارف متى وصل ذهل ، ومن هنا لا يكلف والتكليف لمن يعقل التكليف"[(٦)].

وينتقد الجندي هذا القول بقوله:" وهذا القول باطل ومعارض لمفهوم الإسلام الأصيل الذي لا يقر سقوط التكليف عن أي واحد من المسلمين ولا عن النبي " [(٧)].

ويختم الجندي حديثه عن هذا الباطني بقوله:"يقترب ابن سينا في هذا من أسلوب الباطنية وأن ألبسه ثوباً صوفياً براقاً،ومن أخطر آرائه التسوية بين المعجزات والكرامات

---

(١) المصدر السابق ص١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٦ .

(٣) - المعرفة الإشراقية : هي محاولة للتصوف الروحي عن طريق العقل، على أساس من فكرة الإشراق الفلسفي ، التي تمثل محاولة فلسفية توفيقية لفلاسفة المسلمين بين الاتجاه الفلسفي الأفلاطوني والأرسطي ،وبين الاتجاه الروحي عند متصوفة المسلمين .(انظر : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ،د. راجح الكردي ٣/ ١٩٨، دار الفرقان ، عمان ، ط الثانية ، عام ٢٠٠٤م).

(٤) - المعجزة : أمر خارق للعادة ، يجريها الله على أيدي أنبيائه ، وتكون سالمة عن المعارضة (انظر : التعريفات ، للجرجاني ، تحقيق : محمد باسل عيون ص ٢١٧، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية ، ٢٠٠٣م،مذكرة التوحيد للشيخ عبدالرزاق عفيفي ص ٦٠).

(٥) - المؤامرة على الإسلام ص ١٣٥.

(٦) - المصدر السابق نفس الصفحة .

(٧) - المصدر السابق نفس الصفحة .

والسحر[١] التي يستشهد عليها بتجارب الكهان من الوثنيين،وهو مادي في نظرته حيث يرجع المعجزات والسحر والكرامات إلى تأثير القوى النفسية للأجرام السماوية "[٢].

تعقيب

وقف أنور الجندي ضد الباطنية بكل حزم وعزم و لم يأل جهداً في بيان ما قامت عليه من فكر باطل منحرف ، كان تأثيره سيئاً على الإسلام وأهله فقام الجندي ببيان ما يلي:

١-ذكر الجندي معتقدات وأفكار الباطنية ، لكنه لم يذكر ما يدل من كتبهم على تلك العقائد والأفكار ، لذا أوردت من كتبهم ما يوضح ذلك .

٢- اعتمد الجندي في بيان ما عليه الباطنية من عقائد منحرفة على كتب أصيلة منها " مقالات الإسلاميين" ، " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " للبيروني ، " عيون الأخبار " لابن قتيبة ، و" الفرق بين الفرق" للبغدادي ، " فضائح الباطنية " للغزالي ، و" تلبيس إبليس " لابن الجوزي ، وكذلك كتب التاريخ الأصيلة " تاريخ الكامل" لابن الأثير ، و" تاريخ الرسل والملوك" للطبري ، ورجع إلى بعض كتب شيخ الإسلام مثل "جامع الرسائل " ، و " منهاج السنة " ، وكذلك بعض كتب ابن القيم ، بالإضافة رجوعه إلى كتب الباطنيه مثل" تاريخ الدعوة الإسماعيلية " ، " أربع رسائل للإسماعيلية " وغيرها .

٣- موافقة الجندي المنهج السلفي في رده على معتقدات الباطنية باستخدامه المنهج النقلي من الكتاب والسنة .

٤- كشف الجندي حقيقة تلك الحركات الباطنية المنحرفة مثل حركة الزنج والقرامطة وحركة بابك الخرمى والحشاشين وغيرهم من الباطنية وبيَّن أنها حركات تحمل نفس الولاء الباطني والاتجاه المجوسي الحاقد الذي يحاول هدم الإسلام وتدميره ، و أن ما قام به ثلة من المستشرقين وخصوم الإسلام في العصر الحديث من تجديد تراثها وتمجيدها هدفه تمزيق وحدة المسلمين وإثارة الخلافات من جديد[٣] .

٥- تعرض الجندي لدعاة الفكر الباطني ، وممن بين حقيقته وذكر بعض ما وقع فيه من انحرافات عقدية ابن سينا ورد على بعضها ولكن في غالب تلك الردود كانت مقتضبة

[١] - السحر : هو المخادعة ،أو التأثير في عالم العناصر ، بمقتضى القدرة المحدودة ، بمعين من الجن ، أو بأدوية ، أثر استعدادات لدى السّاحر (انظر : السحر بين الحقيقة والخيال ،د، أحمد بن ناصر الحمد ص٢٠،ط الثانية ، عام ١٤٢٠هـ).

[٢] - المصدر السابق نفس الصفحة .

[٣] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١٤٧وما بعدها .

ومجملة بل إن بعضها لم يتعقبها بشيء مثل إنكار بعث الأجساد ؛لذا رأيت أن أورد بعض الأدلة النقلية والعقلية التي تبين بطلان تلك المعتقدات وهي :

أ- إنكار علم الله للجزئيات :

وهذا القول باطل دلت على بطلانه أدلة نقلية وعقلية،فقد تضافرت نصوص الوحي المنزلة من الكتاب والسنة على إثبات صفة العلم لله تعالى فإنه سبحانه : ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة :آية ١١٦] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[سورة المائدة :آية ٩٧] ،ويعلم تعالى الممكنات،وهي التي يجوز وجودها وعدمها ما وجد منها وما لم يوجد،مما لا تقتض الحكمة إيجاده،فهو العليم الذي أحاط علمه بالعالم العلوي والسفلي لا يخلو عن علمه مكان ولا زمان،ويعلم الغيب والشهادة والظواهر والبواطن والجلي والخفي قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال : آية ٧٥] والأدلة في ذلك كثيرة(١) .

و لم يزل عقدُ الناس في ذلك على السداد،والأمة مجمعة على الإيمان بعلم الله تعالى الشامل لكل ما كان وما يكون،وما لم يكن لو كان ، كيف كان يكون،وأن الله -تبارك وتعالى- قدر الأشياء في القِدَم ، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة ، وعلامات مخصوصة عنده ، فهي تقع على حسب ما قدرها ، سبحانه وتعالى(٢) .

كذلك دل العقل على بطلان ما ذهب إليه ابن سينا ومن تابعه من الفلاسفة ، إذ لو صح أن الله لا يعلم إلا الكليات لزم ألا يعلم ذاته ، من حيث إنه واجب الوجود ، ولا العقول العشرة ، ولا النفوس ، ولا الأفلاك ، ولا غير ذلك؛لأن واجب الوجود،إنما هو موجود معين ، أي جزئي ، وليس كلياً ؛ لان الموجود الكلي لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه ،وواجب الوجود يمنع من وقوع الشركة فيه ، وكذلك الجواهر العقلية عندهم وهي العقول العشرة ، كلها جواهر معينة (جزئية) وليست أموراً كلية ، وكذلك الأفلاك فإنها معينة ، فإذا لم يعلم الله إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً منها (٣).

ب – أن النعيم والجحيم روحيان لا جسديان :

(١) - انظر : المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، د. زين شحاته ،٢/ ٤٨٧، دار بلنسية ، الرياض ، ط العاشرة ، عام ١٤٢٢هـ .

(٢) - انظر : درء التعارض ٩/ ٣٩٦، أصول الدين عند الإمام الطبري،طه رمضان،ص ١٩٨،دار الكيان،الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .

(٣) - انظر : الرد على المنطقيين ص ١٢٥. ولمزيد من الردود ينظر : تهافت الفلاسفة للغزالي ص ١٤٤، درء التعارض ٩/ ٤٠١، الوعد الأخروي شروطه وموانعه،د. السعدي ١/ ٣٣٦، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .

إن هذا القول لا يعتبر خلاصة ما ذهب إليه ابن سينا في أمر المعاد ، فهناك أقوال لم يذكرها الجندي ،فابن سينا ومن تبعه من الفلاسفة الإلهيو ن في المعاد الروحاني لهم ثلاثة آراء وهي :

أحدها : إنكار بعث الأجساد ، وإنما المعاد أو الخلود الروحاني للنفس فقط وهذا ما أشار إليه صراحة حيث قال :" فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده ، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً ، وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ فالمعاد إذن للنفس وحدها على ما تقرر "[1].

الثاني : إنكار اللذات والآلام الجسمانية المصرح بها في النصوص الشرعية .

الثالث:إنكار حقيقة النعيم والعقاب الروحي ، فاللذات الروحية ليست أكثر من التلذذ العقلي بالإدراكات والشعور بالكمالات ، والعقوبات المعنوية ليست أكثر من التألم العقلي الدائم بفقد الكمال[2] .

وهذا القول الذي نصره ابن سينا يرد عليه من وجوه :

١- أن أمر المعاد من المعلوم من الدين بالضرورة،وهو من الأمور المتفق عليها بين جميع الأديان،ودلت عليه نصوص مستفيضة من القرآن والسنة ومن تلك الأدلة قوله تعالى :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يس : آية ٧٨ – ٧٩] ،وقوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [سورة الحج : آية ٦ – ٧] ،وقوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [سورة القيامة : آية ٣ - ٤].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية طريقين على إمكان إحياء الموتى وقدرته على ذلك وهي :

الطريق الأول : طريق الوجود والعيان وهو إخباره تعالى عمن أماتهم ثم أحياهم،كما ذكر الله عن قوم موسى بقوله ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[سورة البقرة : آية ٥٥ – ٥٦] .وكما أخبر عن المضروب بالبقرة بقوله: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ

[1] - الرسالة الأضحوية لابن سينا ، تحقيق د. حسن عاصي ص ١٢٦، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٠٧هـ .

[2] - انظر : الوعد الأخروي ص ٢٩٥

﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة البقرة : آية : ٧٣] ثم قال رحمه الله :" فهذه القصص فيها من الإخبار بالموجود ما هو أعظم الدلائل على القدرة والإمكان،لإحياء الموتى،وصدق هذه الأخبار يعلم بما به يعلم صدق الرسول ، ويعلم بأخبار أخرى من غير طريق الرسول ، وإخباره بها من أعلام نبوية "[1].

الطريق الثاني :وهو طريق إثبات الإمكان والقدرة بالاعتبار والقياس بطريق الأولى ،فتارة يستدل على ذلك بالنشأة الأولى،وأن الإعادة أهون من الابتداء ،كما قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس : آية ٧٨ - ٧٩] وكما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ﴾ [سورة الروم : آية ٢٧]،وتارة يستدل على إمكان ذلك بخلق السماوات والأرض ، فإن خلقها أعظم من إعادة الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾[سورة الإسراء : آية ٩٨ - ٩٩][2].

٢- أن معاد الأبدان الذي صرحت به الشريعة مباين لما قالت به الفلاسفة من عدة جهات،منها :

* أن الجزاء الدائم يكون في الجنة أو النار،والجزاء عندهم يكون في عالم المجردات أو العقول.
* أن نعيم الأرواح يكون بأمور عظيمة؛كالحبور ،وإحلال الرضوان ورؤية الرب عياناً، ونعيم الروح عندهم لا يعدو التلذذ بالإدراكات،والشعور بالكمالات،وتخيل النعيم حسياً.
* أن عقاب الأرواح يكون بأمور بالغة الإيلام،كالندم،والحرمان من الرؤية ،وعقابها عندهم ليس أكثر من التألم بنقصان الإدراكات وفقد الكمالات[3] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" الأكل والشرب في الجنة ثابت بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين . وهو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام وكذلك الطيور والقصور في الجنة بلا ريب كما وصف ذلك في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن ﷺوكذلك إن أهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يصقون لم يخالف من المؤمنين بالله ورسوله أحد"[4].

---

(١) - درء تعارض العقل والنقل ٧/ ٣٧٧.
(٢) - المصدر السابق ٧/ ٣٧٨ ، الرد على المنطقيين ص ٣٦٥، مجموع الفتاوى ٣/ ٢٩٩.
(٣) - انظر : الوعد الأخروي ١/ ٣٢٥.
(٤) - مجموع الفتاوى ٤/ ٣١٣.

ج - نظرية الفيض :

نبه الجندي -رحمه الله- على خطورة نظرية الفيض ، وعلى رفض الإسلام لها ، لكنه لم يذكر أدلة من النقل أو العقل على بطلانها لهذا رأيت أن أورد بعض تلك الدلائل وهي :

١- أن هذه النظرية تصور الله تبارك وتعالى بما يخالف فهم الإسلام لذات الله من حيث :

أ- قولهم أن الله عقل محظ،أي وجود مطلق،وذات مجردة من كل الصفات،هذا كله يؤدي إلى إنكار الخالق؛لأن الوجود المطلق إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان[١] .

ب- الإقرار بصحة هذه النظرية يقتضى منه إنكار المشيئة الإلهية،وأن الله لا يقدر على تغيير شيء من نظام العالم،بل ليس خالقاً لهذا العالم خلقاً مباشراً،فالعالم عندهم صادر عن الله بغير قصد واختيار كما يصدر الضياء عن الشمس[٢] .

ج- من مقتضيات هذه النظرية نفى القوم علم الله بالجزئيات؛لأن إدراك المعينات عندهم إنما يكون بجسم أو قوة في جسم،والعقول المفارقة بريئة من الأجسام وعلائقها،فلا تدرك الأمور إلا على وجه كلي،وهذا قول متناقض ، ومآله إلى إنكار العلم بالكلية[٣].

٢- دعواهم أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد هو قول مردود من وجوه :

أ- إن الواحد البسيط الذي يذكرونه،إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان؛لأنه وجود مطلق ، والمطلق يوجد في الذهن لا في الخارج،فلا وجود حقيقي في الخارج إلا للموجودات المعينة المشخصة[٤].

ب- إن الواحد البسيط الذي فرضوه -إذا قدر وجوده في الخارج - يمتنع صدور المختلفات عنه بوسط أو بغير وسط ؛ لأن الواحد إذا كان الصادر عنه واحداً كما يزعمون لم يصدر عن الآخر إلا واحداً،وهكذا هلم جرا،فيلزم أن لا يكون في العالم كثرة مختلفة،فلما تيقن وجود الكثرة المختلفة الحادثة ،كان هذا منافياً لقولهم:إن الصادر الأول -أي العقل الأول - واحد[٥] .

ج- كما أن قولهم :إن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ، إنما هو قول باطل يتعارض مع العقل والنقل ؛ لأن الواحد البسيط لا يصدر عنه وحده شيء فالنار إذا أحرقت ، إنما تحرق بشرط قبول المحل لإحراقها ، فالاحتراق حاصل بسببين لا سبب واحد ، وكذلك الشعاع ،

---

[١] - انظر : الصفدية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ١/ ٨، عام ١٤٠٦هـ

[٢] - انظر : النفس والروح عند الفلاسفة والمتكلمين عرض ونقد ، مريم الحربي ، ١/ ٢٤٧، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى غير منشورة .

[٣] - انظر : الوعد الأخروي ١/ ٣٣٦.

[٤] - انظر : فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم ص ١٣٥.

[٥] - انظر : الصفدية ١/ ١٥٨-١٥٩، فلاسفة الإسلام والصوفية ص ١٣٥.

وهكذا في جميع الأمور ، هذا من ناحية العقل ،وأما من ناحية النقل فقد قال تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[سورة الذاريات : آية ٤٩] وثمة آيات كثيرة تؤكد أنه ليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء ،ولا علة،مستقلة بمعلولها من غير مشارك أصلاً[١].

٣- وإذا سلمنا صحة ثبوت قول الفلاسفة في العقول العشرة،وهي عندهم قديمة ؛لأنها لازمة لذات الله ، متولدة عنه ، فكيف نفسر حدوث الحوادث ؟ أليست الحوادث تفتقر إلى محدث ؟ و لا يمكن أن يكون محدثها هو أحد العقول القديمة،لأن محدث الحوادث لا يجوز أن يكون علة أزلية على مذهبهم ، لأن العلة الأزلية مستلزمة لمعلولها ، ويجب أن يكون معلولها مقارناً لها في الأزل ، فيمتنع إذن أن يكون شيء من الحوادث صادراً عن واجب الوجود بواسطة أو بغير واسطة ، وحينئذ لا يكون للحوادث محدث ، وهذا باطل[٢] .

٤- أن العالم لو كان صادراً عن الله لكان مماثلاً له لا أدنى منه؛لأن ما يصدر عن الذات صدوراً ضرورياً فهو مثلها،وهذا يفضى إلى القول بوحدة الوجود ولكن العالم أدنى ، فيكون ذلك دليلاً قاطعاً على أنه مخلوق لله خلقاً اختيارياً مباشراً ، لا صادراً عنه[٣] .

٥- أن أرباب هذه النظرية أقاموها على مذهب بطليموس [٤] في الفلك ويدعى فيه أن الأرض مركز العالم وأن عدد الأفلاك تسعة.وقد ثبت خطأ هذه النظرية في العصر الحديث حيث تبين أن الشمس هي المركز وأن الأرض والكواكب الأخرى هي التي تدور حولها،كما اكتشف حديثاً كواكب جديدة[٥] [٦].

---

[١] - انظر : درء التعارض ٧/ ٣٧٠ ، فلاسفة الإسلام ص ١٣٦،

[٢] - انظر : فلاسفة الإسلام ص ١٣٥.

[٣] -انظر : الوعد الأخروي ١/ ٣٤٢.

[٤] - بطليموس ، رياضي وجغرافي وعالم فلك يوناني من أهل القرن الثاني للميلاد ، نشأ وعاش في الإسكندرية . أشهر مؤلفاته المجسطي .(انظر : موسوعة المورد العربية ١/ ٢٣٢).

[٥] - انظر : ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي ص ١٩٢.

[٦] - لمزيد من الردود على هذه النظرية يراجع : تهافت الفلاسفة للغزالي ص ٧٨وما بعدها ، والإمام فخر الدين الرازي في كتابه المطالب العالية ٤/ ٢٤١-٤٢٩، والشهرستاني في كتابه نهاية الأقدام في علم الكلام ص ٥٦-٦٥، وشيخ الإسلام ابن تيمية تعرض لها في مواطن كثيرة من كتبه كالصفدية ١٧٩وما بعدها ، مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٨٦وما بعدها ، الرد على المنطقيين ١٠٢-١٠٣، ومن المحدثين : البير نري نادر ، في مقدمته لتحقيق كتاب الفارابي : آراء أهل المدينة الفاضلة ، د. حمود غرابة في كتابه ابن سينا بين الدين والفلسفة ، د. حسام الالوسي في كتابه : دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي ص ١٤٩-١٥٦، د. عيسى السعدي في كتابه : الوعد الأخروي شروطه وموانعه ١/ ٣٣٤-٣٤٣ . د. عبدالفتاح فؤاد في كتابه : فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم ص ١٣٣-١٣٦.

المبحث الثاني : موقف أَنور الجندي من الفكر الشعوبي وفيه تمهيد وأربعة مطالب .

التمهيد وفيه :

أولاً: تعريف الشعوبية .

ثانياً : نشأتها .

ثالثاً : عقائد ومبادئ الشعوبية .

المطلب الأول : إحياء الفكر الشعوبي في الغرب .

المطلب الثاني : إحياء الفكر الشعوبي في العالم الإسلامي .

المطلب الثالث : موقف الإسلام من الشعوبية .

المطلب الرابع : موقف أَنور الجندي من الشعوبية.

المبحث الثاني
موقف أنور الجندي من الفكر الشعوبي

التمهيد وفيه ما يلي :

أولاً : تعريف الشعوبية :يوجد للشعوبية عدة معانٍ أتعرض لها فيما يلي :

١- من الناحية اللغوية :

الشعوبية مشتقة من الشعب وهي الجماعة الكبيرة التي ترجع لأب واحد،وهو أوسع من القبيلة[١] .

والشعب ما تشعب من قبائل العرب أو العجم،فخص بأحدهما،ويجوز أن يكون جمع الشعوبي،وهو الذي يصغر شأن العرب [٢].

والشعوبية جمع شُعوبي-بالضم-وهو من يحتقر أمر العرب ، وينكر فضلهم،وسموا شعوبية؛لأنهم ينتصرون للشعوب الأخرى غير العرب[٣] .

٢- معناها في الاصطلاح :

أ- عرفت بأنها:حركة تتمثل مجموعة من الآراء و الأشخاص والمواقف التي عبرت عن نظرة عنصرية أساسها تفضيل الأجناس غير العربية على العرب،عن طريق ذمهم والحط من حضارتهم والعمل على إزالة سلطانهم[٤] .

ب- عرفها أصحاب المعجم الوسيط بأنها:نزعة في العصر العباسي تنكر تفضيل العرب على غيرهم وتحاول الحطَّ منهم[٥] .

ج- ويعرف الجندي الشعوبية بأنها:"تطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا العرب في القديم والحديث في الشرق والغرب،وكانوا ينقضون قدر حضارتهم وتاريخهم لأغراض في نفوسهم "[٦].

ويعبر عنها بعبارة مختصرة،فيقول:"يطلق لفظ الشعوبية على كل من ناهضوا الوجود العربي الحاضن لنظام الإسلام بهدف هدم الإسلام نفسه " [٧] .

---

(١) - انظر : المعجم الوسيط ،ص ٤٨٣.

(٢) - انظر: لسان العرب ،لابن منظور ٤٩٧/١ .

(٣) - انظر: القاموس المحيط فصل الشين باب الراء ١/ ٨٨ .

(٤) - انظر : الشعوبية ، د. عبدالله السامرائي ، ص ٨ ، المؤسسة العراقية للطباعة والنشر ، بغداد ، عام ١٩٨٤م .

(٥) - انظر: المعجم الوسيط ص ٤٨٤.

(٦) - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٢٥.

(٧) - التأصيل الإسلامي ، أنور الجندي ص ١٢٤.

وعندي أن هذا التعريف يتوافق مع ما ورد في اللغة أن الشعوبي هو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم ،ومن جهة أخرى تحديد الغاية من الشعوبية وهي محاربة الإسلام وهدم أركانه.

٢- نشأتها :

إن الدعوة الشعوبية كانت ضمن تلك المؤامرات على الإسلام فقد ظهرت في العصر العباسي الأول في إطار الإسلام وبدت وكأنها تحمل روحاً إسلامية حين دعت إلي مساواة الشعوب الأخرى بالعرب في الإدارة والمطالبة بالعدالة الاجتماعية،وإلغاء الفوارق الطبقية والعنصرية؛ومن هنا جاءت تسميتها بأهل التسوية ، ويمثلها أكثر العرب والعجم،وأطلق على أصحاب هذه الدعوة الشعوبية؛ لأنهم يقولون بأنه لا فرق بين الشعوب من عرب وغيرهم،وما لبث أن ظهرت النزعة الأخرى،والتي تميل إلي الحط من شأن العرب وتفضل غيرهم من الأمم عليهم ورفضت الإسلام وأهل العربية وهي التي يمكن أن نطلق عليها الشعوبية الفارسية [١].

ونجد أن هناك علاقة بين الباطنية والشعوبية تمثلت في وجود حركات لا يختلف جوهرها وأصولها عن أديان الفرس و التي كانت منتشرة قبل الإسلام كالراوندية [٢]وحركة الزندقة[٣]،وقد انتظمت في إطارها كثير من الدعوات الهدامة كالباطنية،والدهرية،والقرامطة والمانوية وغيرها وجميعها ترمي إلي اقتلاع النظام السياسي الإسلامي فسلكت التأثير في فروع الفكر العربي الإسلامي بالتزييف وإثارة الشبهات وتمزيق وحدته بتغليب جناح على آخر متطلعة إلى القضاء على مفهوم الفكر الإسلامي القائم على الوسطية والتكامل والحركة وجرى هذا الانحراف في ميادين العقائد،والفقه،والشريعة والتصوف والكلام واللغة والأدب والفلسفة [٤].

---

(١) انظر : الشعوبية والزندقة وأثرها في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ،د . محمد أحمد الخطيب ، ص٨، مكتبة الأقصى ، عمان ،ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ ، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ،د . عبدالحميد عرفان ، ص ٣٩٦، دارالجيل ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٢هـ .

(٢) - هي فرقة من فرق الروافض ، وهم أتباع ابن الراوندي ، نسبة إلى مدينة راوند القريبة من أصفهان ، وهي التي كانت محمد دعوتهم ، وهم يزعمون أن النبي ﷺ نص على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً ثم نص العباس على إمامة ابنه عبد الله ونص عبد الله على إمامة ابنه علي ابن عبد الله ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور .(انظر : مقالات الإسلاميين ، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق : محمد محيي عبدالحميد ١/ ٩٦ ، المكتبة العصرية ، صيدا ، عام ١٤١١هـ).

(٣) - الزندقة : هي حركة مجوسية الأصل انتشرت في أول العصر العباسي ، وقد تجلت في وضع الأحاديث المختلفة لإفساد الدين ،وفي نظم الشعر الذي فيه مجاهرة بالتهتك والخلاعة ، وبغض العرب والنيل منهم وفي الرفع من شأن العقل وتقديمه على النقل،واستغلت الشعوبية ،وقامت بحركات ثورية بدأت من بلاد فارس وامتدت في نواحي الدولة العباسية (انظر:الموسوعة الميسرة ٢/ ١٠٧٥، الشعوبية والزندقة للخطيب ص ١٣)

(٤) - انظر : القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ،أنور الجندي ص ١٢٩.

ثالثاً : عقائدها ومبادئها :

ذكر الجندي أبرز عقائد و مبادئ الشعوبية وهي كالتالي :

١- نشر الإلحاد

٢- إنكار كل الأديان ومن بينها الإسلام .

٣- الانحلال الاجتماعي .

٤- مهاجمة القيم الأخلاقية .

٥- إثارة الجدل والشك حول الخمر وغيرها من المحرمات[١] .

المطلب الأول : إحياء الفكر الشعوبي في الغرب :

استغل النفوذ الأجنبي كل الأفكار والدعوات الهدامة التي يمكن بها إضعاف الأمة الإسلامية،والوصول إلي أهدافهم الحقيقية فقاموا بإحياء وتجديد الدعوة الشعوبية وبصورة فاضحة يدعمها الثالوث الخطير من مستشرقين ومستعمرين ودعاة تغريب،يقول الجندي " ونحن نجد اليوم نفس الأسلوب يتكرر بظهور الشعوبية الحديثة التي تطعن في العرب ومقوماتهم وعقيدتهم وتحمل لواء الإباحية والإلحاد وتستخف بالقيم الأخلاقية في بناء الأسرة والجماعات،فنجد الدعوة إلى مظاهر الخلاعة والمجون والانغماس في الشهوات الجنسية وشرب الخمر تحت اسم الانطلاق والتحرر والعصرية"[٢].

وقال كذلك:"وهكذا نجد أن الشعوبيين ودعاة التغريب يعيدون إثارة هذه القضايا بعد أن حكم فيها الزمن حكماً لا رجعة فيه وينشرون هذه الصفحات مرة أخرى،ونجد هيئات التبشير والاستشراق، تتعاون مع الهيئات الرسمية على إحياء هذا التراث المسموم ورغبة في صرف الناس عن الحق وعن الصراط المستقيم "[٣]ويؤكد ذلك قائلاً:"وما تزال مؤسسة التغريب والغزو الثقافي،ومؤسسة الشعوبية الحديثة[٤] واقفة في العراء بالرغم مما تسربل به من حجب وما تحمى وراءه من مظاهر،وقد تجددت دعوتهم مرات ومرات،تجددت بعد النكسة بصورة عرفناها وكشفناها:تحت لواء علمنة الذات العربية ثم تجددت بعد انتصار رمضان بصورة أخرى ما تزال تبدي وجهها ومعالمها وهي في دعواها تقدم اسما لامعاً ذا بريق هو المعاصرة،والتحضر،والنهضة،والتقدم وكلها كلمات مسمومة ما عادت تخدع أحدا في سبيل

---

(١) - المصدر السابق ص ١٣٨ بتصرف .

(٢) - المؤامرة على الإسلام ص ١٠٨ .

(٣) - التأصيل الإسلامي ص ١٣٢.

(٤) - قامت هذه المؤسسة في بيروت مدرسة تموز التي تعمل على التخلص من الفصاحة ، وتطارد أي نوع من العروبة يشم منه رائحة التراث ومن رواد هذه المدرسة أدونيس . (انظر : الشعوبية في الأدب العربي الحديث للجندي ص ٩).

التضحية بالذات والكيان والأصالة التي إن فقدت فلن تنفع المسلمين والعرب إي بادرة تقدم ؛لأنها تكون قد أفقدتهم وجودهم ذاته،ويكونون قد انصهروا في بوتقة الأممية وذابوا في العالمية،وهم الذين وجدوا ليكونوا كالشامة البيضاء الواضحة في القطيع العريض الطويل"[(١)].

المطلب الثاني : إحياء الفكر الشعوبي في العالم الإسلامي .

نبَّه الجندي على أن الفكر الشعوبي قد تشكل منذ الثلاثينات من هذا القرن في صورة أحزاب وهيئات وجماعات ذات طابع براق على مستويات مختلفة:قومية ضيقة،وإقليمية سياسية،وشعوبية فكرية،حاولت أن تشق طريقها وتجمع حولها الشباب الغض تصنعه وفق مخطط دقيق مدروس[(٢)].

وقد وجد هذا الفكر كل تأييد ومناصرة من قبل دعاة التغريب،ورجال الحركة الحديثة الذين لم تتجسد فيهم لا الأصالة ولا المعاصرة،بل كانوا عوناً للفكر الغربي؛ولذلك يقول الجندي:"وهذا العمل قد تكرر في العصر الحديث عن طريق كتابات المستشرقين،والمبشرين وأتباعهم من دعاة التغريب،وقد عاش طه حسين عمره كله يجمع صور الفحشاء والانتقاص من تاريخ العرب والمسلمين،ويذيع بها،وتابعه على هذا الطريق عدد كبير من التغريبيين أمثال:لويس عوض[(٣)]، وأدونيس،ويوسف الخال[(٤)]وحسين فوزي[(٥)]و زكي نجيب محمود و سلامه موسى[(٦)] و محمود عزمي "[(٧)].

---

(١) – الشعوبية في الأدب العربي الحديث ، أنور الجندي ، ص ١١، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٢) - انظر : الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماءها ، أنور الجندي ،ص ٣٤٨، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط الأولى ، عام ١٩٨٢م.

(٣) -كاتب وناقد وشاعر حداثي مصري نصراني،ولد سنة ١٣٣٣هـ تخرج من جامعة القاهرة في الأدب الإنجليزي.أكمل دراسته في جامعات لندن ،ودرس في جامعة القاهرة،وعمل في الصحافة،تشبع بالفكر الاشتراكي ودعا إليه،كان من دعاة التغريب الحاقدين على الإسلام.من كتبه : ديوان بلو تولاند.(انظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها،د. سعيد الغامدي١/ ٩٢،دار الأندلس الخضراء،جدة،ط الأولى،عام ١٤٢٤هـ)

(٤) - يوسف الخال (١٣٣٥- ١٤٠٧هـ) ولد في قرية عمار الحصن في وادي النصارى ،وتخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٤٤ ، وسافر إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل في الأمم المتحدة ، وعاد إلى لبنان ليعمل في الجامعة الأميركية ، وأسس مجلة (شعر) عام ١٩٥٧ هو وشرذمة من أصحابه ، وفي عام ١٩٦٧ انشئت دار النهار للنشر فانضم إليها مديراً للتحرير ، هلك عام ١٩٨٧م . من كتبه : ديوان الحرية ، الحداثة في الشعر .(انظر : تتمة الأعلام لمحمد خير يوسف ٣١٢/٢ ، ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٢٢هـ).

(٥) - حسين فوزي (١٣١٨- ١٤٠٩هـ) باحث ، رحالة ، ذو مواهب متعددة . ولد بحي الحسين بالقاهرة ، ودرس الطب وتخرج عام ١٩٢٠م ، ودرس العلوم في جامعة السوربون ، عين عميداً بكلية العلوم الاجتماعية في جامعة الاسكندرية ، ثم مديراً لها ، حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٦م ، وكان سبباً في الدعوة لإنشاء المجلس الأعلى للفنون . (انظر : تتمة الأعلام ، ١/ ١٤٥،).

(٦) - سلامة موسى القبطي المصري،ولد عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م ، تعلم بالزقازيق وباريس ولندن ،ودعا إلى الفرعونية ، وشارك في تأسيس حزب اشتركي .هلك عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م ،ألف حرية الفكر وأبطالها في التأريخ ، نظرية التطور وأصل الإنسان ، اليوم والغد .(انظر: الأعلام ١٠٧/٣-١٠٨، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ،د.خليل أحمد خليل ٢/ ١١١٣ ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط الأولى ، عام ٢٠٠١م).

(٧) - المؤامرة على الإسلام ص ١٠٩.

ويقول:"وقدساير كثير من كتابنا ومفكرينا هذا الاتجاه على غفلة منهم،أو متابعة ورضا لقاء نفوذ وجاه ومال.كما مكن النفوذ الأجنبي للقائمين بالحركة الشعوبية – الشعوبية الحديثة في العالم العربي – فرصة السيطرة على بعض منابر الصحافة والجامعات، ونوافذ التوجيه للرأي العام "[(١)] .

ثم جاءت الشعوبية المعاصرة لتجدد تراث الشعوبية القديمة وتحمل نفس الهجوم على العرب وعلى الإسلام وعلى القيم وعلى التراث وعلى اللغة،ونجد ذلك واضحاً في كتابات كثير من الذين احتضنتهم دعوات الهدم التي تسمت بأسماء الأحزاب السياسية في بعض أجزاء الوطن العربي [(٢)]،ولاشك أن ما يفعله أولئك المستغربون والعلمانيون والحداثيون في العالم الإسلامي من كتابات خبيثة وسافرة على عقائد الإسلام،وإلحادهم المكشوف وغير ذلك من أنواع الانحراف الاعتقادي والخلقي والعملي يعد هو الامتداد الحقيقي للفكرة الشعوبية القديمة.

المطلب الثالث : موقف الإسلام من الشعوبية :

عندما سطع نور الإسلام على شعوب الأرض جاء بإذابة كل الأعراق والأجناس والانتماءات في رسالة واحدة ،ألا وهي الإسلام ، مع عدم إلغاء انتماء الأفراد والجماعات للقبائل والأعراق ومعرفة الأنساب والعناية بها ولكن كل ذلك في إطار الإسلام ولا فرق بينهم إلا بالتقوى.وقد تصدى لهذه الدعوة فريق من العلماء أمثال :الجاحظ [(٣)] والثعالبي [(٤)]والمبرد[(٥)] وابن قتيبة [(٦)] بإنتاج ضخم يدحض كل الشبهات ودافعوا عن اللغة العربية وأظهروا مزاياها وكشفوا عن جوهر حيويتها ونشط الكتاب والمفكرون العرب بربط التراث

---

(١) - المصدر السابق ، ص٣٥٠ .

(٢) - الشعوبية في الأدب العربي الحديث ، ص ٢٣.بتصرف

(٣) - هو: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري . ولد بالبصرة عام ١٥٠هـ، وهو رأس من رؤوس المعتزلة ، وقد أخذ عن الأصمعي والأخفش ، وأبي عبيده ، والنظام ، وثمامة بن الأشرس . وكان ماجناً قليل الدين ، له تصانيف في فنون مختلفة منها :كتاب البيان والتبيين ، الحيوان ، الرد على النصارى. توفي سنة ٢٠٤هـ .(انظر: الفهرست ٣٤٤- ٣٥١، تاريخ بغداد ٢١٢/١٢، السير ٥٢٦/١١-٥٣٠).

(٤) - هو : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي: من أئمة اللغة والأدب.من أهل نيسابور.كان فراءاً يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. ولد سنة ٣٥٠هـ وتوفي سنة ٤٣٠هـ ،واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ.وصنف الكتب الكثيرة الممتعة. من كتبه : يتيمة الدهر ، فقه اللغة ، سحر البلاغة . (انظر: الأعلام ١٦٣/٤).

(٥) - هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي ، المعروف بالمبرد ، إمام العربية وأحد أئمة الأدب والأخبار ولد سنة ٢١٠هـ وتوفي سنة ٢٨٦هـ من كتبه الكامل ، المقتضب ، الكافي في الأخبار (انظر: السير ٥٧٦/١٣، الأعلام ١٤٤/٧).

(٦) - هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،العلامة الكبير ،صاحب التصانيف ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ قال عنه شيخ الإسلام: أحد أعلام الأئمة والعلماء والفضلاء أجودهم تصنيفاً وأحسنهم ترصيفاً ... وهو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة،فإنه خطيب السنة كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة . له مصنفات منها:غريب الحديث ،وكتاب المعارف،وعيون الأخبار،وطبقات الشعراء توفي سنة ٢٧٦هـ (انظر :الفهرست ص١٥٢-١٥٤، تاريخ بغداد ١٧٠/١٠ ، مجموع الفتاوى ١٧/ ٣٩١-٣٩٢، السير ١٣/ ٢٩٦) .

الثقافي العربي قبل الإسلام بالأدب العربي بعد الإسلام ، واستوعبت الثقافة العربية كل جيد وحسن من ثقافات الأمم في إطار الثقافة العربية الإسلامية ومن ذلك عمد «البلاذري» في كتابه «فتوح البلدان» إلي الكشف عن الدور الضخم الذي قام به العرب في سبيل نشر الإسلام وتكوين الدولة الإسلامية[1] .

وسوف أذكر نموذجين في الرد على الشعوبية القديمة ، ذكرهما الجندي وهما :

١- الجاحظ :

ويعد في مقدمة من حملوا لواء علم الكلام ، والعلم التجريبي ، والأدب وكان دوره في مواجهة حملات الشعوبية عميقاً وضخماً فقد كشف عن القيم العربية الخلقية والاجتماعية وكان كتابه «البيان والتبيان»[2] قذى في عيون الشعوبية ولا يزال حتى اليوم فإن الذين هاجموا الجاحظ من شعوبي العصر الحديث ، كانوا يضيقون من كتابه «البيان والتبيان» ... ودافع الجاحظ عن العرب بوصفهم دعاة الإسلام ، وحملة ألويته وقد فند في كتابه هذا أقوالهم ونبه على الغلاة منهم ونقض كثيراً مما كتبوه ودسوه بين ثنايا الأخبار ليشوهوا به وجه الحقيقة ...كما رد الجاحظ على هجوم الشعوبية على اللغة العربية التي هي مظهر الثقافة العربية والفكر الإسلامي،وكانت الشعوبية تدعى أنها هي تفضل العرب بمعرفة العلم والفلسفة فكتب الجاحظ كتابه «الحيوان» فكان موسوعة شاملة لمعارف عصره ... وبذلك استطاعت المقاومة العربية الفكرية أن ترد حملة الشعوبية التي كانت تهدف إلي إدخال مفاهيم وثنية ومجوسية وساسانية لتحطيم القيم الإسلامية ،ولم يكن الهدف من الحملة على العرب مقصوداً لذاته ، وإنما كان يستهدف التشكيك في السواعد التي حملت رسالة الإسلام ومحاولة إسقاطها وإسقاط قواعد الفكر الإسلامي[3].

٢- ابن قتيبة[4] :

وقد أوضح ابن قتيبة أن الشعوبية تدفع أصحابها إلي الغلو في القول والإسراف في الذم ، وهم حين يركزون على الأمة العربية إنما ينطلقون منها إلي هدم الإسلام نفسه ، ولذلك فقد عمدت حركة المواجهة الإسلامية إلي تأصيل دور العرب الذين حملوا راية الإسلام إلى الشعوب الأخرى وأعطوا الإسلام نطاقه الجغرافي الأول بالفتوحات وصحب انتشار الإسلام

---

[1] - القيم الأساسية للفكر الإسلامي ص ١٥٥

[2] - هكذا ذكره الجندي والصواب البيان والتبيين،ولكلام الجاحظ حول الشعوبية راجع:البيان والتبيين ٣/ ٥-١٤.

[3] - انظر : القيم الأساسية للفكر الإسلامي ص١٥٥-١٥٧ بتصرف.

[4] - هناك كتاباً لابن قتيبة في الرد على الشعوبيين أسماه « فضل العرب على العجم » لكنه مفقود ، وقد نقل عنه ابن عبد ربه في العقد الفريد صفحات . انظر : العقد الفريد ٣/ ٤٠٨.

توسع العربية إذ نزل القرآن بلسان عربي مبين وجاء الحديث بالعربية الفصحى وقام العرب بالدور الأول في وضع خطوط اللغة وفي رسم المذاهب الفقهية فعربوا الدواوين والإدارة في صدر الإسلام ، وهم الذين عملوا بجد وحماسة لتكوين العلوم العربية والإسلامية ورسم إطارها العام إلى أن جاء دور الشعوب الأخرى لتشارك في هذه الثقافة فلما ساهمت تلك الشعوب فعلت ذلك باللغة العربية "[١].

كما رفض شيخ الإسلام ابن تيمية الدعوة إلى الشعوبية قائلاً:"ولا نقول بقول الشعوبية وأرذال الموالي الذين لا يحبون العرب،ولا يقرون بفضلهم،فإن قولهم بدعة وخلاف" [٢].

المطلب الرابع :موقف أنور الجندي من الشعوبية:

أ- كشف الجندي مجموعة من مقدمات استخدمها الاستعمار في دعوته إلى الشعوبية الحديثة ومن أبرزها ما يلي :

١- العودة إلى الثقافات والحضارات القديمة كالفينيقية والفرعونية ، والبابلية ، والآشورية .

٢- التفرقة بين عناصر الأمة الواحدة والدين الواحد ، فابتعث قضايا الصراع بين الأجناس والمذاهب والأديان .

٣- الكشف عن الآثار القديمة واستغلالها في هذه الدعوات .

٤- رفع صوت الآداب واللهجات الإقليمية ،والتراث الإقليمي [٣].

ب- عرض الجندي تلك الأساليب التي سلكتها الدعوة الشعوبية الحديثة في نشر زيفها وإذاعة باطلها وهي :

أولاً:إحياء السلبيات وإذاعتها ومحاولة القول بأنها تمثل الفكر الإسلامي،أو تؤرخ المجتمع الإسلامي كما حاولت بعض الدراسات اعتبار كتاب «ألف ليلة وليلة » مؤرخاً للمجتمع الإسلامي أو اعتبار كتاب« الأغاني»ممثلاً لطريقة العيش الإسلامي .

ثانياً:الغض من شأن الجوانب الإيجابية والقوية كمحاولة إثارة الشبهات والتدمير للشخصيات الضخمة ومنها المحاولات التي وجهت إلي «الغزالي» و«ابن تيمية» وابن «خلدون» و«المتنبي»[٤] .

---

[١] - المؤامرة على الإسلام ص ١١٠ .

[٢] - اقتضاء الصراط المستقيم ، لابن تيمية ١/ ٣٧٦، تحقيق د. ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ،ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ

[٣] - انظر : الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماؤها ص ٣٤٨-٣٤٩

[٤] – هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي ، الشاعرالحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ولد سنة ٣٠٣هـ وتوفي سنة ٣٥٤هـ . له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة (الأعلام للزركلي ١/ ١١٥) .

ثالثاً:محاولة إعادة صياغة التراث من وجهة نظر الصهيونية والماركسية على الطريقة التي جرى عليها طه حسين في كتاباته عن «الفتنه الكبرى» أو ما كتبه عبدالرحمن الشرقاوي [1] عن الرسول – ﷺ- أو محاولة تفسير التاريخ تفسيراً مادياً أو اقتصادياً .

رابعاً :محاولة تحليل التراث ودراسته من وجهة نظر المذاهب المادية على النحو الذي جرى عليه زكى نجيب محمود في إعلاء العقلانيات والمعتزلة ، وإنكار الجوانب الأصيلة من الفكر الإسلامي .

خامساً :محاولة الغض من شأن التاريخ الإسلامي والدور الذي قام به المفكرون المسلمون في بناء المنهج التجريبي أو منهج المعرفة العربي الإسلامي، وذلك بما يطلق عليه مؤامرة الصمت والتجاهل لهذه الجوانب .

سادساً :محاولة اعتبار حملات الانتقاص على الإسلام ومؤامرات الخارجين عليه على أنها ثورات إسلامية ، أو أنها دعوات إلي التحرر أو العدل وفي مقدمات ذلك حركة القرامطة والزنج والباطنية وغيرها[2] .

ج– نبّه الجندي إلى جملة من الأخطاء والانتقادات لأصحاب الفكر الشعوبي الحديث و منها ما يلي :

أولاً:أن هولاء الشعوبيين يقفون من التراث موقفاً انتقائياً ليس بمعنى انتقاء الأفضل الذي يعم نفعه،ورفض الباطل الذي ثبت بطلانه ،بل انتقاء ما يوافق أهواءهم ويدعم دعواهم الباطلة.

ثانياً :موافقة ما انتهى إليه بعض المستشرقين من أعوان الاستعمار الثقافي والسياسي من وصف التراث العربي الإسلامي بالجمود والتخلف ويرون أن أجود ما فيه إنما هي تلك الجوانب السلبية التي كتبها الشعوبيون دعاة الباطنية ،والقرامطة ،والزنج وخصوم الإسلام والمتآمرون عليه والراغبون في هدم دولته .

ثالثاً : كان دعاة الشعوبية يعملون على إخضاع النص للفكرة التي يفرضونها مسبقاً حسب الهوى ، ويتعاملون مع النص المضاد بالهوى تارة والتحريف تارة أخرى .

رابعاً:اتصاف دعاة الشعوبية بعدم الأمانة العلمية في نقلهم فهم يُشيدون بالزنادقة والشعوبيين والباطنيين ونقلهم للفقرات المثيرة من كتب الزنادقة كالرواندية،والمانوية،والمزدكية

---

(1) - عبدالرحمن الشرقاوي (١٩٢٠م- ١٩٨٧م) أديب صحفي مصري ، ولد بقرية الدلاتون بمحافظة المنوفية ، عمل محققاً بوزارة المعارف العمومية ، ثم رئيساً لتحرير مجلة الطليعة الأدبية ، من كتبه : الفتى مهران ، الحسين الثائر ، محمد رسول الحرية .(الموسوعة العربية ٣/ ١٦٠٣).

(2) - الشعوبية في الأدب العربي الحديث ص٢٤-٢٥.

ويستطردون في الكلام عن هذه الدعوات المسمومة بينما لا ينقلون تلك المرحلة النهائية التي انهزم فيها الباطل وانكشف وجه الحق وعادت صيحة الأصالة [1].

ثم يضيف إلى ما سبق أن الشعوبية الحديثة حلت مكان الاحتلال فالغزو الثقافي الذي قام به الاستعمار خلال إقامته في وطننا في مدى قرن تقريباً ، قد خلف قوى تعمل بعد جلائه العسكري والسياسي،وهذه القوى تعمل ليبقى النفوذ الأجنبي،ويقضي على مقومات أمتنا حتى لا نستطيع أن نجمع فكرنا ونتوحد لنواجه الحياة وليبقى له بعد ذلك سيطرته الاقتصادية [2].

ويرى الجندي :أن كيد الشعوبية ليس موجهاً إلي العرب وحدهم أو إلي الإسلام كدين ، ولكنه موجه أساساً للقضاء على مقومات الفكر العربي الذي هو المصدر الأول للحياة العقلية والروحية لهذه المنطقة في محاولة لإثارة الشكوك وخلق التفرقة والانتقاص من التاريخ والتراث،وتشويه الماضي،وهدم اللغة والإغضاء من فضل العرب،وأعلام العرب وأبطالهم في مجال السياسة والفكر والاختراع،والعمل على تجزئة الفكر العربي الإسلامي، والقضاء على روح وحدته،والفصل بين الماضي والحاضر،وفرض النظريات الغربية في مجال القومية ودراسات التاريخ والأدب،وتقويم التراث،وإذاعة الفلسفات والنظريات والمذاهب الغربية المتعددة المتضاربة التي انطوت في الغرب،أو ما تزال موضع النظر والشك،فهو يعرضها علينا كأنما هي قضايا مسلّم بها [3].

---

(1) - انظر: المصدر السابق ص ٣١، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٧١.
(2) - الثقافة العربية الإسلامية أصولها و انتماؤها ص٣٤٨، مجلة المنهل ص٨٩٣.
(3) - المصدر السابق ، ص ٣٤٩.

"تعقيب"

١- اهتم الجندي ببيان معنى الشعوبية،وذكر على ذلك أكثر من معنى ،لكنه أغفل تعريفها من جهة اللغة وهذا ما يفعله في غالب كتبه فهو لا يهتم بتأصيل المصطلح من الناحية اللغوية.

٢- اعتمد الجندي في نقده الشعوبية على كتب أصيلة مثل كتب الجاحظ البيان والتبيين ، والحيوان،وما نقله عن ابن قتيبة.

٣- ذكر الجندي بعض عقائد ومبادئ الشعوبية القديمة ،و أغفل بعضها والذي منها الحلول والتناسخ،والبداء وهو من العقائد التي قالت بها بعض الفرق الغالية وقصد به أن الله -سبحانه وتعالى يظهر له الأمر بعد أن كان خافياً عليه[1] ،والتأويل ،والتشكيك في الدين والقرآن [2]، بالإضافة إلى هجومهم على اللغة العربية ،وتبعيتهم الكاملة للغرب ونصوصهم في ذلك مشهورة ومعلومة[3].

٤- لم يستند الجندي في رده على الشعوبية بأدلة من الكتاب والسنة ،وكانت ردوده تميل إلى السرد التاريخي دون الرد العلمي المبني على هدم عقائدهم وأفكارهم .

[1] - لنقد هذه العقيدة الفاسدة، انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، د. ناصر بن عبدالله القفاري ٢/ ٩٣٥-٩٥٢.

[2] - انظر لمزيد من الكلام حول هذه العقائد : الشعوبية حركة مضادة للإسلام والأمة العربية ص ٤٧- ٧٤، والشعوبية والزندقة وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ص ٢٢-٤١.

[3] - انظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ١/ ٧٠٨وما بعدها .

المبحث الثالث :جماعة إخوان الصفا وفيه تمهيد وسبعة مطالب :

المطلب الأول :التعريف والنشأة.

المطلب الثاني :عقائدهم.

المطلب الثالث :مصادر الفكر عند جماعة إخوان الصفا.

المطلب الرابع :الصلة بين إخوان الصفا والباطنية.

المطلب الخامس :إحياء فكر جماعة إخوان الصفا في العصر الحديث.

المطلب السادس :موقف الإسلام من جماعة إخوان الصفا.

المطلب السابع :موقف أنور الجندي من جماعة إخوان الصفا.

المبحث الثالث

موقف أنور الجندي من جماعة إخوان الصفا

تمهيد

لقد غدت المؤامرة على الإسلام تتجه اتجاهات عده ، لم تفتأ قنوات الشر في صنعها، والعمل على نشرها فكانت تتنوع وتتغير حسب ما كان يراد لها من أدوار خبيثة في بث تلك السموم،فمن ذلك جماعة إخوان الصفا الذين نحوا المنحى الفكري فوضعوا رسائلهم التي كانت بمثابة الهدم،والتدمير لعقائد المسلمين لا كما يقول بعضهم من أنها :" بمثابة برنامج عملي في التثقيف والتنوير ... تأسيساً على العقيدة الصحيحة والمعرفة العلمية "[1] وعلى هذا يكون قد شاب الفكر الإسلامي كثيرٌ من الأفكار المنحرفة ، حتى أصبح كثيرٌ من الكتّاب يروج لهذا الشر والفساد على أنه من دين الإسلام.فلزم مجابهة مثل هذا الباطل ورصده وكشف زيفه،وكان الجندي من أولئك الذين وقفوا من هذه الرسائل موقف الناقد البصير لها ولآرائهم التي تحمل صبغة باطنية .وسنبين ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : التعريف والنشأة :

إخوان الصفا :هم جماعة من الشيعة الباطنية عامة،ومن الإسماعيلية خاصة،وضعوا مذهباً زعموا أنه يؤدي إلى الفوز برضوان الله؛ولذلك سموا بإخوان الصفا وخلان الوفاء، جمعوا معارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية،في رسائل تزيد على الخمسين،وتقع رسائلهم في أربعة أقسام:قسم في الرياضيات،وقسم في الجسمانيات(الطبيعيات)وقسم في النفسانيات (العقليات)،وقسم في الناموسيات(الإلهيات)فضلاً عن الرسالة الجامعة التي تجمع وتوضح كل ما جاء في هذه الرسائل[2].

نشأتها :

ظهرت في منتصف القرن الرابع الهجري في بغداد في سوق الوراقين بباب الطاق تجاه باب البصرة[3]،ويرجح بعض الباحثين ظهورها بالتحديد بين سنتي ٣٣٤-٣٧٣هـ تقريباً، وهذه السنوات كانت أياماً سيئة على العالم الإسلامي،حيث تسلط آل بويه الشيعة على معقل الخلافة العباسية،وأصبحت مكاناً لمجتمع متعدد الثقافات،متباين الأجناس والعقائد ،

---

(1) - التراث وقضايا العصر ، د.محمود إسماعيل ص٩٧، دار رؤية ، القاهرة ،ط الأولى ، عام ٢٠٠٥.

(2) - انظر : إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ، ص٥٨ - ٥٩ .. الموسوعة العربية الميسرة ٩٦/١ ، الأفلاطونية المحدثة والتوحيد الاسماعيلي ، محمد عبدالحميد الحمد ص٢٥٣، دار الحمد ، دمشق ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٣م، المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفة ، ص ٣٣ ، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين د. أحمد جلي ص٢٧٣ .

(3) - انظر: الأفلاطونية المحدثة والتوحيد الاسماعيلي ص٢٥٣ . فكرة الزمان عند إخوان الصفا ،د. صابر أبازيادة ،ص ٤١.

ويظهر أن إخوان الصفا كانوا من هؤلاء الذين أظهروا أمرهم بعد أن كان خافياً ، فنشروا مقالاتهم في الوراقين ، ووهبوها للناس[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" والعلماء يعلمون أنها إنما وضعت بعد المائة الثالثة زمان بناء القاهرة وقد ذكر واضعها فيها ما حدث في الإسلام من استيلاء النصارى على سواحل الشام ونحو ذلك من الحوادث التي حدثت بعد المائة الثالثة "[2].

المطلب الثاني: عقائدهم :

ذكر الجندي بعض معتقدات إخوان الصفا منها ما يلي :

أولاً:إنكار البعث بالأجساد [3]،حيث يقولون:"فلا تكن يا أخي ممن ينتظر بعث الأجساد ويؤمل نشر الأبدان ، فإن ذلك ظلم عظيم في حقك إذا كنت تتوهم ذلك "[4].

ثانياً:تفسير الجنة والنار تفسيراً مخالفاً لما تواتر عند المسلمين،إذ إنهم لا يؤمنون بالثواب والعقاب الحسي الموجود في الجنة والنار [5]،حيث يزعمون:"أن جهنم هي عالم الكون والفساد التي دون فلك القمر، وأن الجنة هي عالم الأرواح وسعة السموات، وأن أهل جهنم هي النفوس المتعلقة بأجساد الحيوانات التي تنالها الآلام والأوجاع دون سائر الموجودات التي في العالم "[6] .

ثالثاً : تفسير الكفر والعذاب تفسيراً باطنياً معنوياً [7] ،حيث يقولون : " لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهر وباطن ، وظواهر الأمور قشور وعظام ، وبواطنها لب ومخ ، وأن الناموس (الدين) هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس ، وله أحكام وحدود ظاهرة بينة يعلمها أهل الشريعة وعلماء أحكامها من الخاص والعام ، ولأحكامه وحدوده أسرار وبواطن لا يعرفها إلا الخواص منهم الراسخون في العلم "[8] .

ويرى الإخوان :" أن للكتب الإلهية تنـــزيلات ظاهرة وهي الألفاظ المقروءة المسموعة ،

---

(1) - انظر الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص١٧٠ دار عالم الكتب ، الرياض، ط الثانية ، عام ١٤٠٦هـ .
(2) - مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٣٤ .
(3) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٧
(4) - المصدر السابق ٣/ ٣٠٠ .
(5) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٧
(6) - رسائل إخوان الصفا ٣/ ٦٣ .
(7) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٧.
(8) - رسائل إخوان الصفا ٤/ ٤٢.

ولها تأويلات خفية باطنة وهي المعاني المفهومة المعقولة "[1]

رابعاً :اعتقادهم بأن النبوة يمكن أن تكسب عن طريق الرياضة وصفاء القلب [2] ، حيث يقولون بعد أن ذكروا عدة شروط:"إذا اجتمعت هذه الخصال في واحد من البشر ، في دور من أدوار القرانات[3] في وقت من الزمان ، فإن ذلك الشخص هو المبعوث وصاحب الزمان والإمام للناس مادام حياً . فإذا بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح الأمة ، ودون التتريل ، ولوح التأويل ، وأحكم الشريعة وأوضح المنهاج ، وأقام السنة ، وألَّف شمل الأمة ، ثم توفي ومضى إلى سبيله،بقيت تلك الخصال في أمته وراثة منه ، وإن اجتمعت تلك الخصال في واحد من أمته ، أو جُلُّها،فهو الذي يلح أن يكون خليفته في أمته بعد وفاته "[4].

خامساً : سقوط التكاليف[5] :حيث يقولون عن فروع الدين من صلاة وغيرها على لسان الحيوان أنها " قيود وأغلال وسلاسل عليكم "[6][7]

المطلب الثالث : مصادر الفكر عند جماعة إخوان الصفا :

لقد ذكر «أميل بريهن » أن مصادر رسائل إخوان الصفا التي تمثل فكرهم تنقسم إلي أربعة أجزاء :

أولها : فيثاغورثي وأفلاطوني .

ثانيها : أرسطاليسى الطبيعة .

ثالثها : خليط من الفلسفات اليونانية الثلاثة الفيثاغورسية ، الأفلاطونية ، والأرسطية .

رابعها : يتناول الإلهيات وما يتصل بالديانات والشرائع والتصوف وهو المزاج الذي التأمت

---

[1] - نفس المصدر ، نفس الصفحة .

[2] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٧.

[3] - وأما القرانات فهي اجتماعاتها – أي الكواكب – في درج البروج ودقائقها ، وهي ستة أجناس ، مائة وعشرون نوعاً : فمنها واحد وعشرون نوعاً ثنائية ، وثلاثون قراناً ثلاثية ، وخمسة وثلاثون قراناً رباعية ، وواحد وعشرون قراناً خماسية ، وواحد وثلاثون قراناً سداسية ، وقران واحد سباعي .(انظر : رسائل إخوان الصفا ٣/ ٢٥٠).

[4] - رسائل إخوان الصفا ٢/ ٢١١ .

[5] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٧.

[6] - رسائل إخوان الصفا ٢/ ٣٢٧ .

[7] - هذا ما ذكره الجندي من عقائد وأفكار لكن هناك عقائد وأفكار لم يذكرها ، ومن أهمها : أن عقيدتهم في الله محرفة فهم يرون أن الله تعالى ليس بشخص ،ولا صورة بل هوية وحدانية ، ذو قوة واحدة ، وأفعال كثيرة وصنائع عجيبة ،لا يعلم أحد من خلقه ما هو ؟وأين هو ؟ وهو الفائض من الموجودات،وهو الموجود من كل شئ،من غير المخالطة ،ومع كل شئ من غير الممازجة ،كوجود الواحد في كل عدد .(انظر : رسائل إخوان الصفا٣/ ٥١٢) ، وهم كذلك لا يعترفون بأن محمداً ﷺخاتم الأنبياء والمرسلين، ويعتقدون بتأثير النجوم في العالم ، ويعتقدون بالسحر ويقولون :" إنه ضروري ؛ للسيطرة على الملوك والدهماء ، ولأنه طريق للانقياد والطاعة "(انظر : رسائل إخوان الصفا ١/ ٣٩)، وقولهم :كذلك بالتناسخ . (انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ١٩٥وما بعدها).

فيه العناصر المؤثرة في الفلسفة الإسلامية [١].

وبهذا نجد أن فكر جماعة إخوان الصفا بعيد عن العقيدة الصافية حيث كانت الفلسفة في مقدمة تلك المصادر التي لها الأثر الأكبر على هذه الجماعة وقد اهتمت بها،واستخدمتها في تقويض أساس جميع الأديان،زاعمين أن الشريعة قد دنست بالجهالات ولذلك وجب مزجها بالفلسفة فلذا كانوا يأتون بشواهد من أقوال الفلاسفة والحكماء بجانب الشواهد من أقوال الرسل والأنبياء.وبينما يستشهدون بأقوال الفلاسفة «أرسطوطاليس» و «فيثاغورس» نجدهم يثبتون أقوالاً مأثورة عن المسيح والرسول عليهما الصلاة والسلام.ففلسفتهم حسبما يعبرون قائمة على التوفيق [٢]،لذا يقول الجندي:"إن هذه الرسائل قد حاولت أن تشكل من الفكر البشري المتعارض المتداخل بين الفلسفة اليونانية بماديتها ووثنيتها،والفكر الغنوصي بإسرافه في الخيال ،وهو الإشراق والاثنينية وغيرها منهجاً يخرج بالإسلام عن طريقه القويم فقد جمعت هذه الدعوة مزيجاً من الأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية الجديدة وإلهيات اليونان،وباطنيات المجوس "[٣].

المطلب الرابع : الصلة بين إخوان الصفا والباطنية:

من المسائل التي وفق الجندي في عرضها وبيانها صلة جماعة إخوان الصفا بالباطنية فوضع الحقيقة في نصابها عندما قال:"كانت إخوان الصفا هي أولى ثمار الحركة الباطنية فهي الجماعة السرية التي مزجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية لتخرج للناس مذهباً جديداً ، يمزج إلهيات اليونان ونظريات «أفلاطون» و «أرسطو» و «أفلوطين» و «فيثاغورس»[٤] وغيرهم بالعقيدة الإسلامية في خليط متضارب فاسد "[٥] .

ويزيد الجندي الأمر إيضاحاً في بيان حقيقة إخوان الصفا،فيقول : "الحقيقة أن إخوان الصفا ليسوا من المفكرين الأحرار،ولكنهم جماعة سرية هدامة،فهم كانوا يدعون إلي غاية مقصودة وهي إقامة إمام بعينه وبصراحة ولأنهم أحاطوا هذه الصراحة بلون من دقة البحث،ونعومة النسيج وإتقان الصقل،وخلاصة أمرهم أنهم أسسوا جمعية سرية هدامة،في

---

(١) - انظر: مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٢٤٩.

(٢) - الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، د. محمد أحمد الخطيب ، ص١١٩بتصرف ،

(٣) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص١١٩.

(٤) - فيلسوف يوناني ولد في ساموس سنة ٥٧٢ق.م ،كان رياضياً بارعاً ، أنشا فرقة دينية علمية مفتوحة للرجال والنساء ، تدرس فيها الرياضيات والعلوم الموسيقية والطب . وهوجمت مدرسته وأحرقت . وقد مات سنة ٤٩٧ق.م ،ويذكر بأنه الذي وضع لفظ فلسفة والفيثاغورية تؤمن بالتناسخ .(انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم ص٢٠-٢٦)

(٥) - المؤامرة على الإسلام ،ص١١، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٨٦ ، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ص٤٣٠.

مطلع القرن الرابع الهجري ، أفرغت على نفسها هذا اللقب البراق الخادع،ظاهرها طلب المعرفة والانتصار لأهل بيت رسول الله ﷺ وباطنها هدم بيت محمد ﷺ أي دينه الشريف وإزالة دولته الموحدة من الوجود وإقامة دولة لها دين مزيج من إسلام،ووثنية بحيث لا يستطاع فصل أحدهما عن الأخر،لذلك كان الإقدام على ذلك المزيج إقداماً على عمل خطير محفوف بكثير من المزالق وغير مأمون العاقبة "[1].

وقد استدل على صحة هذه العلاقة بينهما بعدة أدلة وشواهد منها :

١- الإجماع : فقد نقل الجندي الإجماع على ذلك فقال :"إن الإجماع منعقد على أن إخوان الصفا جماعة مشبوهة ليست من العلماء ولكنها من دعاة الباطنية والمجوسية والزنادقة الحاقدة على الإسلام واللغة العربية والدولة الإسلامية ولهم صلات واضحة وأكيدة بالحركات المريبة التي كانت تعمل على تقويض المجتمع الإسلامي"[2].

٢- نقل الجندي أقوال بعض الباحثين المعاصرين من المستشرقين وبعض دعاة الفكر الباطني المعاصرين فقال:"وفي السنوات الأخيرة أصدر «أغاخان»[3] كتابه «نور مبين حبل متين» ، وأعلن أن مؤلف إخوان الصفا هو واحد من الأئمة الإسماعيلية وهو أحمد بن عبدالله بن محمدبن اسماعيل بن جعفر الصادق،ويقول الدكتور «حسين الهمذاني» أحد دعاة «الإسماعيلية البهرة»[4]:أن الإسماعيلية يرون أن القرآن كتاب العامة ورسائل إخوان الصفا كتاب الأئمة ،وقد أكد المستشرق «كازنوفا»[5] فيما نقل عنه «نيكلسون»هذه الصلة حيث يقول:إنني على أتم الثقة من أن آراء إخوان الصفا هي برمتها آراء الإسماعيلية ومحور هذه الآراء تتصل بوحدة الكون(أي وحدة الوجود وما يتصل بها من الاتحاد والحلول مما يتنافى مع مفهوم الإسلام الصحيح)،ويؤكد «جولدزيهر»هذا المعنى حيث يعتقد أن رسائل إخوان الصفا كانت

---

(١) – العودة إلي المنابع ، أنور الجندي ص٤١،دار الاعتصام،القاهرة .

(٢) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٢٦١. سموم الاستشراق ، أنور الجندي ص ١٢-١٣، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، آفاق جديدة في الأدب ، أنور الجندي ص ٥٧، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٣) - لفظ «أغا» يعني في اللغة الفارسية السيد ولفظ «خان» يعني في نفس اللغة الرئيس أو الزعيم أو القائد الحاكم ، ولهذا فإن لقب «آغا خان» يعني في تلك اللغة السيد الرئيس أو الزعيم أو القائد الحاكم . وقد أطلقه الشيعة الإسماعيلية الإمامية على إمامهم في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تعبيراً عن ولائهم له .(انظر : الإسماعيلية المعاصرة ص ٥٥)

(٤) - كلمة ((بهرة)) بضم الباء أو((بوهرا)) أصلها هندوكي وتعني تاجر في لغة أهل كجرات بالهند،وسبب التسمية يرجع إلى الذين دعوا أهل الهند إلى المذهب الإسماعيلي،وكانوا تجاراً.والبهرة فرقة باطنية من غلاة الشيعة وبالتحديد هي الفرقة الشيعية الإسماعيلية الطيبية القائلة بإمامة المستعلي دون أخيه نزار . (انظر : دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ٣٥١).

(٥) -كازنوفا (- ١٩٢٦م) تعلم العربية وعلمها في معهد فرنسا ، ثم قدم مصر فانتدبته الجامعة المصرية أستاذاً لفقه اللغة العربية من آثاره : ترجمة الخطط للمقريزي ، محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية،علم الفلك في رسائل إخوان الصفا .(انظر: المستشرقون ١/ ٢١٩- ٢٢٠) .

الأساس التي بنيت عليه معتقدات الباطنية وأن هناك اتفاقاً بينهما في مذهب الحلول و تفسير القرآن تفسيراً غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ،وهو الأسلوب الباطن الذي عرف عنهم "[1].

٣- لم يكتف الجندي بنقل هذه الاستشهادات والدلالات على تلك الصلة بل إنه لخص لنا هذا التوافق والتشابه بين جماعة إخوان الصفا والمذهب الباطني من عدة أوجه نجملها في هذه السطور :

- إن هذه الرسائل كانت سجلات لمحافلهم السرية وأنها تمثل المذهب الباطني الاسماعيلي في دور الستر ، لما تقوم عليه من تأويلات باطنية عديدة .
- هم في مفهومهم للإمام يعارضون مفهوم الإسلام الصحيح حين يرون أن الإمام (إلهي الذات) ، وأنه معصوم ، بينما لا يقر الإسلام العصمة إلا للرسل عليهم الصلاة والسلام وآخرهم محمد بن عبدالله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك فقد كانت هذه الرسائل هدماً للمفاهيم الإسلامية الأساسية، وهدماً للنبوة وحرباً للإسلام وطعناً في الصحابة ، وقد أستغل الباطنية في نشر دعوتهم ، كما استغلوا التصوف الفلسفي وتستروا وراء أهل البيت والصوفية .
- ومن أوجه الشبه بين الإسماعيلية وإخوان الصفا الأسلوب الذي جروا عليه في نشر دعوتهم والدعاية لمذهبهم وهو أسلوب التدرج في بث الفكرة والتلطف في عرضها على الناس .
- ومن أوجه التشابه بين الجماعتين اتفاقهما اتفاقاً كلياً في مذهب الحلول فهو في رسائل إخوان الصفا كما في تعاليم الإسماعيلية.
- كذلك من الأوجه التي أشار إليها الجندي التشيع لآل البيت والدعوة إلي الإمام المنتظر أو المهدي ويرى أن المعنى في كلام إخوان الصفا للفاطميين وقرائن الأحوال تدل على أن لهم به صلة ومن الواضح في الرسائل أن من أبرز أغراضها نشر الدعوة وإعداد الأفكار لظهور أحد المهديين بالدعوة له والتعريف به[2] .

بقيت في نظري نقطة مهمة في مسألة إثبات الصلة بين الإسماعيلية وإخوان الصفا – والتي تعرض لها الجندي بشيء من الموضوعية – لكن غاب عنه ذكر نصوص من كتبهم

---

[1] - مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٢٤٨، سموم الاستشراق ص٥٧.

[2] - أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب ص٤٣٢، المؤامرة على الإسلام ص١١٣، مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٢٤٩. بتصرف.

وكلامهم تؤيد هذه الصلة و لهذا سأذكر نموذجين كدليل على صحة هذه الصلة والتشابه بينهما :

١- أسلوب المخاطبة ومنهج الدعوة حيث يقول إخوان الصفا في رسائلهم : "فإذا لقيت منهم أحداً فبشره بما يسره ، وأقر عينه بما يظنّه بعيداً مما يؤمله ، وعرّفه أن ما يرجوه غير بعيد ، وذكّر من وثقت بهم من إخواننا بما ألقينا إليك من علمنا ، وأطلعه على ما أطلعناك عليه من أسرارنا ،كيما تطمئن نفوسهم فيما يعتقدون فينا ، ويتبين لهم صدق ما هم مقرون به من أمرنا ، وأخرج إليهم من رسائلنا ما ترغب نفوسهم وترتاح إليه ، وليكن ذلك على النظام والترتيب كما بينا لك " [(١)]،وهو يتفق تماماً مع منهج الدعوة وتنظيم الدعاة عند الإسماعيلية فقد قامت دعوتهم على هذا المنهج ودليل ذلك ما ذكره البغدادي، حيث قال:" ودليلنا في ذلك ما قرأته في كتابهم المترجم السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأعظم وهي رسالة عبيدالله بن الحسن القيرواني- أي المهدي - إلى سليمان بن الحسن ادع الناس بأن تتقرب إليهم بما يميلون إليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن آنست منه رشداً فاكشف له الغطاء "[(٢)].

٢- أخذ إخوان الصفا بنظرية الفيض فمن أقوالهم :" اعلم أيها الأخ أيدك الله وإيانا بروح منه،أن الموجود الأول هو العقل الفعال،وهو الموجود الباقي الكامل ، والثاني النفس ... وأن ذات الباري علة وجود العقل،وعلة بقاء العقل،وعلة إفاضة ذلك الفيض الدائم،وعلة تمام العقل وقبوله ذلك الفيض"[(٣)]،وهذا ما نجده عند الإسماعيلية حيث عرضها «الكرماني» بنفس المعنى فنجده يرتب الموجودات ترتيباً يبدأ بالموجود الأول أو العقل الأول أو المحرك الأول،ويصفه من أنه عقل في ذاته وعقل لذاته ومعقول بذاته ، وينبعث عن هذا العقل الأول ، العقل الثاني،ويسمى المنبعث الأول أو القلم وهو في كماله الأول،ثم يأتي المنبعث الثاني وهو الأول في الموجودات القائمة بالقوة،ويوجد عن العقل الأول أو المنبعث الأول عقول سبعة وجود كل واحد منهم عن الآخر صاعداً إلى المنبعث الأول،أن كلاً منها ساطع سار فيما وجد عن الأول من الهيولى والصورة التي منا وجود السموات و الأرض وحركاتها [(٤)] .

---

(١) - رسائل إخوان الصفا ٤/ ١٤٦.

(٢) - الفرق بين الفرق ص ٢٠٧ .

(٣) - جامعة الجامعة من رسائل إخوان الصفا ، تحقيق عارف تامر ، ص ١٥١، نشر مكتبة الحياة ، بيروت .

(٤) - انظر : راحة العقل ، للكرماني ص ٩٠، ١٠١، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ٢٧٥-٢٧٦. ولمزيد من بيان صحة هذه العلاقة يراجع ما كتبه عارف تامر في كتابه حقيقة إخوان الصفا ص ٩،مقدمة تحقيقه لرسالة جامعة الجامعة ، لإخوان الصفا ص ١٠-٦٠ ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، عام ١٩٧٠هـ ، أعلام الإسماعيلية ،د. مصطفى غالب ص ١٣٢-١٣٦).

المطلب الخامس : إحياء فكر إخوان الصفا في العصر الحديث :

إن تركيز الاستشراق ودعاة التغريب على إحياء«رسائل إخوان الصفا»، ينطوي تحته أمور خفية ، تدفعهم إلى إعادة طباعتها والإشادة بها ومن تلك الأمور:

أولاً :لأنها تحمل الفكر اليوناني الهيليني بصبغة إسلامية زائفة .

ثانياً : لأنها تمثل خطة المؤامرة الباطنية المجوسية التي جرى حبكها فكرياً[1] .

وقد اهتم الاستشراق بهذه الرسائل لذلك فأول ما نشر الرسالة الجامعة والتي هي خلاصة الرسائل والتعاليم الباطنية التي اختص بقراءتها أقطاب الدعوة الإسماعيلية دون غيرهم ،«كازنوفا » ، وتم إظهار هذه الرسالة للعالم الغربي سنة ١٨٩٩م[2] .

وكشف الجندي عن دعاة التغريب الذين توجهت مخططاتهم إلي إعادة بعث هذه الرسائل وخاصة « طه حسين» عندما قال:"لقد كان من أبرز أعمال التغريب والغزو الثقافي في العصر الحديث ، ممثلاً في الاستشراق والتبشير ، إعادة طبع وإحياء «رسائل إخوان الصفا» من جديد بعد أن دفنت وماتت وكشف زيفها منذ أكثر من ألف سنة فقامت «المطبعة الكاثوليكية» ببيروت بإعادة طبع هذه الرسائل ، ثم جاء الدكتور « طه حسين » من أوربا ١٩٢٩م ليعيد طبع «رسائل إخوان الصفا» ويقدم لها ، وادعى أن إخوان الصفا قومٌ مجددون مصلحون ، قدموا للمجتمع الإسلامي الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية لإنشاء ثقافات جديدة وهي الثقافة التي يجب على الرجل المستنير أن يظفر بها على حد تعبيره ، وليس هذا عيباً في ذاته إذا ما روعي فيه أصول البحث العلمي ووضعت هذه الرسائل في موضعها الحقيقي من حيث أن جماعة إخوان الصفا ظهرت في القرن الرابع الهجري في البصرة على هيئة جماعة سرية من الباطنية والمجوس والزنادقة الحاقدين على الإسلام واللغة العربية... ولكن طه حسين خدع قومه وهو يعلم في أعماق نفسه أنه إنما يعمل على هدم القيم الإسلامية بإعادة إذاعة هذه الرسائل كجزء من مخطط التغريب والغزو الثقافي"[3] .

وينتقد الجندي «زكي مبارك» لإشادته بالرسائل حيث قال عنه :" وينضم إليه زميله زكي مبارك ليقول : من الذي يصدق أن رسائل إخوان الصفا هي أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية ؟ هكذا علمهم المستشرقون"[4].

---

[1]- مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٢٤٨.

[2]- انظر : المؤامرة على الإسلام ص ١١٤ بتصرف .

[3]- المؤامرة على الإسلام ص ١١٦ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٩٠ ،أصالة الفكر الإسلامي ص ٤٣٤بتصرف .

[4]- المؤامرة على الإسلام ص ١١٦.

المطلب السادس :موقف الإسلام من جماعة إخوان الصفا :

إن حكم الإسلام على جماعة إخوان الصفا واضح وصريح ،فهو يرفضها جملة وتفصيلاً ،ويعدها من الفرق الباطنية الخارجة عن الإسلام لما تحمله من تناقضات شرعية ومصادمات لضرورات الشرع والواقع،فضلاً عن التوافق الذي يجمعها بالفرق الباطنية المختلفة في الأفكار والمعتقدات،وقد وجه جمعٌ من العلماء النقد لهذه الجماعة ولرسائلهم،فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم :"و أصحاب « رسائل إخوان الصفا »هم على طريقة هؤلاء العبيديين ذرية " عبيد الله بن ميمون القداح "،فهل ينكر أحد ممن يعرف دين المسلمين أو اليهود أو النصارى : أن ما يقوله أصحاب« رسائل إخوان الصفا » مخالف للملل الثلاث وإن كان في ذلك من العلوم الرياضية والطبيعية وبعض المنطقية والإلهية وعلوم الأخلاق والسياسة والمترل ما لا ينكر؛فإن في ذلك من مخالفة الرسل فيما أخبرت به وأمرت به والتكذيب بكثير مما جاءت به وتبديل شرائع الرسل كلهم بما لا يخفى على عارف بملة من الملل ، فهؤلاء خارجون عن الملل الثلاث "[1].

وقد نقل الجندي عن د. «عبداللطيف محمد العبد»[2] قوله :" إن إخوان الصفا وخلان الوفا كانوا يضعون السم في العسل لخدمة أهدافهم وأن هذه الرسائل كانت سجلات لمحافلهم السرية ، وأنها تمثل المذهب الباطني الإسماعيلي في دور الستر ، لما تقوم عليه من تأويلات باطنية عديدة ، ولقد كان للمذهب الأفلاطوني المحدث تأثير بالغ في هذه الرسائل فلم يختلف إخوان الصفا عن أفلوطين في القول بأن العالم وحدة حية متكاملة نابضة بروح سارية في كل أجزائه "[3].

المطلب السابع:موقف أنور الجندي من جماعة إخوان الصفا :

نجد الجندي في موقفه منهم اتبع المسالك التالية :

المسلك الأول : من حيث الشكل :

فنجده يقول: " إن أكبر مصدر لإدانتهم أسلوبهم الرمزي وإخفاء أسمائهم والتحرز من ذكر الأعلام الذين يصدرون عن آرائهم وفكرهم تحفظاً من أن ينكشف مذهبهم أو هواهم السياسي "[4].

---

(1) - مجموع الفتاوى ٣٥/١٣٤ .

(2) - عبداللطيف بن محمد العبد ، باحث مصري معاصر ، مدرس الفلسفة بكلية دار العلوم ، في جامعة القاهرة . من كتبه : الإنسان في فكر إخوان الصفا ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، المنطق الصوري .

(3) - المؤامرة على الإسلام ، ص ١١٣، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٨٧ .

(4) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٢٦٢.

وينتقد الجندي مؤلفي هذه الرسائل ويصفهم بأنهم من أتباع المجوسية فيقول : " فقد عرف أن خمسة من أتباع المجوسية القديمة ومن أتباع ماني ومزدك ممن أعلنوا الإسلام تقية هم الذين كتبوا هذه الرسائل "[١] .

المسلك الثاني : من حيث المضمون :

يقول الجندي:"وقد وجهت إلى مضامين هذه الرسائل نقدات صريحة تكشف عن مخالفتها الجوهرية لقيم الفكر الإسلامي ووصفت بأنها تكشف عن إغراق في الخيال واعتماد على الأفكار اليونانية من غير إشباع وإقناع،وأبرز ما يكشف عن شعوبيتهم ومحاولتهم لهدم المقومات الأساسية للإسلام فكرة أنهم يؤمنون بكل الأديان والمذاهب،وإذا أرادوا تأييد رأيهم وبث دعوتهم تمثلوا بأنبياء الله المرسلين موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وأضافوا إليهم اليزدان وغازيمون وأرسطو وأفلاطون وهم يخلطون الأديان بالفلسفات في محاولة لبناء مذهب يلغي الأديان ويعيد الوحدة إلى المسلم،والنصراني،والمجوسي،واليهودي، والأفلاطوني ، والمشائي ، والفيثاغوري"[٢].

المسلك الثالث : الواقع التاريخي :

فتاريخ كل مذهب يعتبر المنهج التطبيقي العملي لأفكار ومعتقدات هذا المذهب فلا يمكن الفصل بينهما،فنجد أن الجندي نقد هذه الجماعة من خلال تاريخها فيقول:"ومن الحق أن يقال إن وقائع التاريخ أثبتت فشل هذه الدعوة وإخفاقها وعجزها عن تحقيق نظام أو عقيدة أو منهج،أو أن تنشئ مجتمعاً يقوم على أساسها[٣]؛لأنها خالفت جوهر الفطرة ، ونهج التوحيد الذي قام عليه الإسلام،كما بعدت عن المزاج الإسلامي والملامح الذاتية التي تشكلت عليها هذه الأمة " [٤].

المسلك الرابع : نقض المنهج التوفيقي :

وقد كان لمنهج التوفيق الذي سلكته جماعة إخوان الصفا دلاله واضحة في انحرافه عن المنهج الرباني فبين الجندي فساد ذلك وأن فيه من الخلط والتلفيقات والجمع بين المتناقضات محتجاً عليهم بعباراتهم فقال :"ومن أشد فساد عملهم محاولتهم صهر الأديان والعقائد كلها في صورة زائفة،ومن ذلك قولهم:الرجل الكامل يكون فارسي النسب،عربي الدين،عراقي

---

[١] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١١٦ .

[٢] - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٢٦٢، بعث التراث الزائف ص٤ .

[٣] - وصف الجندي تلك الدعوات بالفشل ، وهذا يعتبر تعبير خطابي وليس بواقع ،فإنه قد قامت دول وحركات على هذه الأفكار الباطنية الخبيثة .

[٤] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢١.

الأدب،عبراني المخبر،مسيحي المنهج،شامي النسك،يوناني العلم،هندي البصيرة،صوفي السيرة ملكي الأخلاق" [١] .

ورد الجندي هذا المنهج ومنعه بشده حيث قال:"هو من المستحيلات لاختلاف النهج والاتجاه والقيم الأساسية التي يفرق بينها فارق واحد هو التوحيد طابع الإسلام العميق الجذور"[٢].

ولقد كان الجندي يحذر من هذا المنهج الذي له في كل عصر دعاته ومجددوه وهم أهل العصرنة والتغريب ولذا يقول:"وهي دعوى تجدد في العصر الحديث حيث نرى دعاة التغريب يقولون بالتقاء الأديان والثقافات في وحدة الثقافة العالمية،التي تستمد أصولها من الفكر التلمودي الذي احتوى الفكر الغربي والحضارة الأممية.ولا يبعد هذا عما يقوله إخوان الصفا في رسائلهم حين يقولون:" ينبغي لإخواننا ألا يعادوا علماً من العلوم،أو يهجروا كتاباً من الكتب ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب؛لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم كلها "[٣].

وفنَّد هذا المنهج الفاسد بقوله :" أما مفهومنا الإسلامي ، فإن الإسلام له ذاتيته الخاصة وأصالته المفردة التي تجعله قائماً بذاته مستمداً من طوابعه وقيمه وحدها،ولا يقبل الانصهار في الفكر البشري أو الأممية والعالمية القائمة على الوثنية والمادية "[٤].

من خلال ما عرضه الجندي من نقد لهذه الرسائل يتضح موقفه منها حيث يقول:" فهي محاولة لوضع نظام جديد يحل محل الشريعة الإسلامية التي يعتقد إخوان الصفا أنها أصبحت عتيقة لا تؤدى رسالتها وقد أخفقت محاولة إخوان الصفا وفشلت،فلم تنجح في إقامة نظام عالمي أو تنشئ مجتمعاً يقوم على أساسها لأنها خالفت جوهر الإسلام وبعدت عن المزاج العربي الإسلامي،وملامح الذاتية التي أقامها الفكر الإسلامي في الأمة التي نشرت بين أهلها وأكدت أن أي محاولة لدمج الفكر الإسلامي القائم على التوحيد بأي فلسفة وثنية، كاليونانية أو الهندية أو المجوسية فإنه عمل لا يحقق شيئاً،إذ لا يمكن أن يتحقق الذوبان والانصهار مطلقاً بين الفكر الإسلامي القائم على التوحيد ومختلف هذه الديانات والمذاهب

---

[١] - المؤامرة على الإسلام ص ١١٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٩٠، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ص٤٣٥، وانظر : رسائل إخوان الصفا ٤/ ٢٤٠ .

[٢] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، ص١١٩.

[٣] - المؤامرة على الإسلام ص ١١٧، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٩٠ ،وانظر :رسائل إخوان الصفا ٤/٤١- ٤٢.

[٤] - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

والفلسفات القائمة أساساً على الوثنية والتعدد والإلحاد والإنكار،وقد فشلت هذه المحاولة كما فشلت كل المحاولات التي سبقتها[١] والتي تلتها[٢]في خلط الإسلام بغيره أو إضافة أجزاء منه إلي مذاهب وفلسفات أخرى ، وكشف الإسلام في هذه اللقاءات عن ذاتية واضحة صريحة قادرة مستحيلة عن الانصهار أو الذوبان في غيرها محتفظة بطابعها وذاتيتها وجوهرها ومزاجها حتى في أشد الفترات ضعفاً وتخلفاً " [٣].

وقال أيضاً:"وغاية ما يقال إن خطة إخوان الصفا هي امتداد لعبد الله بن سبأ ، ومن بعده عبدالله بن المقفع،وفي رسائلهم دلائل واضحة وإشارات لا تخفى عن هذه الارتباط"[٤].

تعقيب

١- رجع الجندي في حديثه عن جماعة إخوان الصفا إلى مراجع أصيلة قديمة مثل كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي ، ومصادر حديثة مثل كتاب «الإنسان في فكر إخوان الصفا» للدكتور عبداللطيف محمد العبد ،وكتاب «إخوان الصفا» د.جبور عبدالنور[٥] ،بالإضافة إلى بعض كتب المستشرقين،وكذلك نجده نقل من «رسائل إخوان الصفا » بعض النقولات التي تؤيد ما ذهبوا إليه من عقائد .

٢- اهتم الجندي بذكر عقائد وأفكار إخوان الصفا لكنه أغفل ذكر نصوص على تلك العقائد والأفكار مما دفعني إلى إيرادها .

٣- يؤخذ على الجندي عدم إيراد بعض النقولات عند بيان العلاقة بين الباطنية (الإسماعيلية)وإخوان الصفا واكتفى بنقل بعض ألفاظ المستشرقين و دعاة الإسماعيلية المعاصرين .

٤- لم يذكر أدلة من القرآن والسنة على فساد عقائدهم وأفكارهم .

---

(١) - مثل ما قام به الفارابي وابن سينا من محاولة التوفيق بين الإسلام والفلسفة واستخدموا في ذلك دعواهم أن للكتب الإلهية والنصوص الشرعية تنزيلات ظاهرة ، هي الألفاظ المقروءة المسموعة ، ولها تأويلات خفية باطنة ، هي المعاني المفهومة المعقولة ،وهذه المعاني الخفية الباطنة ، وتارة سلطوا سيف التأويل الباطل على هذه النصوص ،وقد تصدى لهذه المشاريع المغرضة علماء الشريعة وحفاظها ومن أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية ؛ فقد كشف عوارها وأبدى تناقضها في مواضع من كتبه أبرزها كتابه الموسوم بـ « السبعينية » .

(٢) - مثل ما فعله على عبدالرازق من محاولته التوفيق بين الشريعة الإسلامية والعلمانية في كتابه الإسلام و أصول الحكم إذ كان يعرض مشروعه التوفيقي من نظرة الكنيسة للحكم والولاية .

(٣) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، ص ٢٦٣.

(٤) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، ص ١٢٣.

(٥) - جبور عبدالنور(١٣٣٢هـ/١٩١٣م- ١٤١١هـ/١٩٩١م)،أحد أبرز الباحثين في مجال الدراسات الأكاديمية، ولد بلدة بحمدون في لبنان ، درس في لبنان وأكمل علومه في فرنسا . درّس في المدارس والجامعات اللبنانية واليسوعية ببيروت ، وتولى عمادة كلية التربية في الجامعة اللبنانية . من كتبه:إخوان الصفا،المعجم الأدبي.(انظر:تكملة معجم المؤلفين،محمد خير يوسف ص ١١٨-١١٩، دار ابن حزم ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ) .

المبحث الرابع : موقف الجندي من الفرق الباطنية الحديثة وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : موقف أنور الجندي من البهائية وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : معتقدات البهائية .

المسألة الثانية : مصادر الفكر البهائي .

المسألة الثالثة : علاقة البهائية بالاستعمار واليهودية العالمية

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القاديانية وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى : عقائد القاديانية :

المسألة الثانية : مصادر الفكر القادياني .

المسالة الثالثة : صلة الاستعمار البريطاني بالقاديانية .

المبحث السادس

موقف الجندي من الفرق الباطنية الحديثة

تمهيد :

اتضح من خلال اطلاعي على كتابات أنور الجندي أنه لم يتعرض للبابية [1] بشيء ذي بال؛ولذا لم أفرد لها عنواناً خاصاً واكتفيت بذكر أعظم وأخطر الفرق الباطنية المعاصرة. وهما اللتان ذكرهما الجندي وأفرد لهما رسائل وفصولاً عدة من كتبه وهما البهائية والقاديانية.

وهذه الحركات المنحرفة التي تعد امتداداً لذلك التيار الباطني تحمل نفس الأساليب الخبيثة التي عملت على إضعاف شوكة المسلمين،وخلق عقائد جديدة لا تمت إلى الإسلام بصلة ، فالبهائية والقاديانية من الفرق المنحرفة الحديثة باعتبار زمنها ولكن أصولها قديمة،فقد ادعى الباب أنه المهدى المنتظر، وقال بتعاليم الباطنية. فهي وليدة من ولائدها،تغذت من ديانات ونحل وآراء فلسفية ونزعات سياسية ثم اخترعت لنفسها صوراً من الباطل وخرجت بزعم أنها وحي سماوي[2].

وكان الجندي يدرك تماماً هذه العلاقة المتسلسلة بينهما،فقال:" يجمع الباحثون المنصفون على أن البهائية بعث جديد للباطنية،وضعت تعاليمها الأولى على أساس محو الإسلام وإزالة سلطانه " [3].

ويقول:"وما البهائية والقاديانية وليدتا الماسونية إلا حركات بديلة ووريثة للقرامطة ، وإخوان الصفا،والباطنية مع تعدد الأسماء واختلاف الأزمان فالهدف واحد" [4]،وهدفهم وغايتهم هي القضاء على دين الله الحق،وتفتيت وحدة الأمة المسلمة وتحويلها إلى طوائف

---

[1] - البابية فرقة ضالة كافرة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي موطنها الأول إيران ، ظهرت سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها والذي لقب بالباب وهو : علي بن محمد الشيرازي ولد سنة ١٢٣٣هـ ، إيراني . جاهر بعقيدة ظاهرها توحيد الأديان وقوامها تلفيق دين جديد .فادعى أنه الباب ثم المهدي المنتظر . حكم بالسجن ثم قتل رمياً بالرصاص عام ١٢٦٦هـ . له كتاب البيان .(انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١/٣٣٣، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ،للدكتور عبدالرحمن عميرة ص ٢٥٣،البابية لمحمد إبراهيم الحمد ص ٣، الأعلام للزركلي ٢ /٢٤٩)

[2] - تاريخ الفرق الإسلامية ، محمود زيادة ص ٩٢-٩٣، نقلاً عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة ،د. صلاح العادلي ص١٢٣، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، ط الأولي ، عام ١٤٢٤هـ

[3] - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص٢٨٣.

[4] - التيارات الوافدة ص ٤٠،سقوط الايدلوجيات،وكيف يملأ الإسلام الفراغ،أنور الجندي،ص٢٨،سلسلة دعوة الحق ، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي .

وأحزاب متحاربة متناحرة،بدلاً من تآلفهم وتوادّهم وتعاونهم" [١] .

وبهذا تكون قد شكلت البهائية والقاديانية لوناً من ألوان الكيد للإسلام ، وإضعاف أهله فنجد الجندي تحدث عن هذه الفرق الحديثة وعّدها من الفرق الضالة التي يجب كشف خطتها وحجبها عن أن ترصد مع الفرق الإسلامية [٢] ،وسنبين موقفه منهما في مطلبين :

المطلب الأول : موقف أنور الجندي من البهائية :

تطرق الجندي للحديث عن البهائية في أكثر من موضع فكتب عنها رسائل وعقد لها فصولاً في كتبه وأبحاثه[٣] كل ذلك دافعه بيان الأدوار الخبيثة التي تعمد إلى نشرها هذه الفرق الباطنية وسوف نقتصر في حديثنا عن البهائية على ثلاث مسائل :

المسألة الأولى :معتقدات البهائية :

أ- اهتم الجندي بذكر معتقدات البهائية و منها:

١-اعتقادهم بالحلول بمعنى أن الله ظهر في شخص الباب[٤] ، وهذه العقيدة — الحلول — تعد جوهر البهائية فهم يؤمنون بالحلول الكامل،أو بوحدة الوجود أي توحد الخالق مع مخلوقاته .فهي لا تختلف عن عقيدة غلاة المتصوفة ، والباطنية ، ولا عن الفكر القبَّالي [٥] أو الغنوصي[٦] ومن أقوالهم في ذلك قول البهاء [٧]:" لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله،ولا في جمالي إلا جماله،ولا في كينونتي إلا كينونته ، ولا في ذاتي إلا ذاته،ولا في حركتي إلا حركته ، ولا في سكوني إلا سكونه،ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود ،قل لم يكن في نفسي إلا الحق ، ولا يرى في ذاتي إلا الله "[٨].

---

[١] - التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، د. محمود مزروعة ص١٠٢. دار الرضا ، القاهرة ، ط الأولي ،عام ١٤٢٥هـ .

[٢] - سقوط الإيدلوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ ، ص ١٢٨.

[٣] - من الرسائل:البهائية من الدعوات الهدامة،معلمة الإسلام فصل (البهائية)،الإسلام والتيارات الوافدة عقد فصلاً بعنوان البهائية ، الإسلام والدعوات الهدامة عقد فصلاً بعنوان (البهائية)،وفي التأصيل الإسلامي تحدث عن الفلسفات الباطنية و منها:البهائية والقاديانية، و في الفلسفات المعاصرة ذكر فصلاً بعنوان البهائية ، وفي كتابه الشبهات والأخطاء الشائعة وضع البهائية من ضمن تلك الدعوات الهدامة .

[٤] - انظر : التأصيل الإسلامي ص ١٥٤، المؤامرة على الإسلام ص ٢٢١.

[٥] - وهو معنى التراث الصوفي اليهودي وقيل معناها التصوف ولكنها في حقيقة الواقع لا تتخذ من التصوف ،إلا الستر لتغطية حقيقتها الرهيبة السرية ، والماسونية العالمية أداة من أدواتها ، وحكماء صهيون هم منفذو مخططاتهم (انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٣٩)

[٦] - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبدالوهاب المسيري ٢/ ١٨٨، دار الشروق ، القاهرة ،ط الثانية ، عام ٢٠٠٥.

[٧] - حسين علي ابن الميرزا عباس بزرك النوري، ولد حسين في قرية نور من قرى مازندران،من إيران،عام ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٧م،عرف منذ شبابه ميله إلى علوم الصوفية والشيعة، والفلسفة اليونانية،دعا إلى بدعته في العراق والاستانة هلك سنة ١٣٠٩هـ ، ودفن في حيفا. من كتبه : الأقدس ، والإيقان . (انظر : الأعلام ٢/ ٢٤٨).

[٨] - اقتدار للمازندراني ص ١١٤، عن البهائية ،إحسان ظهير ص ٧٧.

٢- إنكار ختم النبوة بمحمد ﷺ،وفتح مجال النبوة ودعأهم بنبوة جديدة بل ودين جديد ناسخ للإسلام[١] ،حيث يقول البهاء :" لا تحسبن أنا أنزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحى تفكروا يا أولى الأفكار "[٢].

٣- إنكار معجزات الأنبياء[٣]حيث يقول البهاء:"عصا الأمر وثعبان المقدرة وبيضاء المعرفة "[٤] ، ويقول داعية البهائية الجرفادقاني :" هب أن موسى فلق البحر ، وجفف النهر ، وبدل العصا بحية تسعى ،وأخرج اليد البيضاء وغيرها من الآيات الكبرى ... فإن تلك الآيات – لو صحت على الظاهر – لم يرها غير نفوس معدودة من الجمهور"[٥].

٤- إنكار الإيمان باليوم الآخر [٦]، حيث يقولون :" أن المراد بالقيامة هو ظهور الباب"[٧].

٥- ادعاؤهم بتطور الشريعة وتبدلها ، وإسقاط التكاليف [٨]،يقول البهاء:" وأنزل لكم ما تبقى به أذكاركم وأسماؤكم في كتاب لا يأخذه المحو ، ولا تبدله شبهات المغرضين ، ضعوا ما عند القوم وخذوا ما أمرتم به من لدن آمر قديم "[٩].

٦- معارضة الجهاد حتى يقول أحدهم : "إن البشارة الأولى لجميع أهل العالم هي محو حكم الجهاد من الكتاب " أي القرآن " [١٠][١١] .

٧- إبطال الحج إلى الكعبة المشرفة [١٢]،حيث يقولون :" الحج للبيت الأعظم في بغداد ، وبيت النقطة في شيراز "[١٣]

٨- تأويل آيات القرآن بما يخرجها عن مفهومها ومدلولها اللغوي والشرعي حيث تقوم البهائية في أصولها الأولى على التأويل شأن الفرق الباطنية القديمة. بعيداً عن أصول اللغة

---

[١] - انظر : التأصيل الإسلامي ص ١٥٤، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٥.

[٢] - الأقدس ص ١٤١،عن عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، د، أحمد سعد حمدان ص ٢٢٣.

[٣] - انظر : التيارات الوافدة ص ٤٠ التأصيل الإسلامي ص ١٥٤، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٥.

[٤] - الإيقان ص ٧٨، عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة ص ٤٠٧.

[٥] - الحجج البهية ص٣٦ ، نقلاً عن جهود الأزهر ص ٤٠٨ .

[٦] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص٢١٠، ٢٢١ ، التيارات الوافدة ص ٤١.

[٧] - الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ١/ ٤١٢، نقلاً عن جهود الأزهر ص ٣٨٢.

[٨] - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٤، التأصيل الإسلامي ص ١٥٤.

[٩] - الإيقان ص ٣٤، نقلاً عن البهائية تاريخها وعقيدتها ،للوكيل ص ٢٣٩ .

[١٠] - يقول الجندي : « إنه عندما ضبط تنظيم بهائي في مصر سنة ١٩٧٢م و عند التحقيق مع أحد أتباعهم قال: إنه لو أجبر على حمل السلاح في مواجهة إسرائيل لأطلقه في الفضاء » . (انظر:المؤامرة على الإسلام ص ٢١٢).

[١١] - انظر : بشارات للمازندراني ص ١، ٣٠ ، اشراقات ص ١٠٨ عن مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٤٩، التيارات الوافدة ص ٤١.

[١٢] - انظر : التأصيل الإسلامي ص ١٥٤

[١٣] - خزينة حدود وأحكام الباب الخامس ص ٦٨ ، نقلاً عن البهائية نقدٌ و تحليل، لإحسان إلهي ظهير ص ١٧٥.

ومتعارضاً مع النواميس والسنن. وذلك بالتحايل على آيات القرآن الكريم وصرفها عما يراد من حكمة وهداية وتوجيهها إلي غايات تتعارض أساساً مع القرآن [١] وتأويل نصوص الشريعة بما يحقق الدعوة إلي إسقاط التكاليف ، والتأويل فن ابتكره اليهود[٢].

٩- تدعو البهائية إلى وحدة الأديان واتحاد العالم ونبذ التعصبات حيث يقول عبدالبهاء [٣]:" يجب على الجميع ترك التعصبات،وأن يتبادلوا زيارة الجوامع والكنائس مع بعضهم البعض ؛لأن اسم الله يذكر في جميع هذه المعابد ما دام الكل يجتمعون لعبادة الله فلا خلاف بين الجميع ، فليس منهم أحد يعبد الشيطان فيحق للمسلمين أن يذهبوا إلى كنائس النصارى وصوامع اليهود وبالعكس يذهب هؤلاء إلى المساجد الإسلامية "[٤].

١٠ – الدعوة إلى الاختلاط بين النساء والرجال والمساواة بينهما بحيث تصبح المرأة متحررة من قوامة الرجل، وإقامة الحرية الجنسية المطلقة[٥].

وهذه الأفكار والعقائد يتشابه فيها أهل الباطل والانحراف؛ولذلك نجد أن بعض هذه العقائد يتفق عليها كثير من الفرق وخاصة الفرق الباطنية وأصحاب التصوف الفلسفي ، وقد يكون هذا هو السبب الذي دفع الجندي لعدم الرد على كل فرقة لوحدها واكتفى بالرد العام الذي ينفع لكل الفرق ، ولذا كثير من هذه العقائد والأفكار قد سبق الرد عليها فنجد أن القول بالحلول تم الرد عليه عند كلامنا عن التصوف الفلسفي [٦]،أما إنكار ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وإنكار معجزات الأنبياء ،واليوم الآخر،ومعارضة الجهاد ، والتأويل فقد تم الرد عليها عند حديثنا عن الفكر الباطني[٧].

وقد رد عليهم الجندي في قولهم بتطور الشريعة وتبدلها فقال :" إن التطور الحاصل لأي شريعة أو أيدلوجية لا يمكن أن يحصل للإسلام وشريعته التي هي من عند الله والتي تحمل في طياتها وسائل تجددها وتغيرها وملائمتها للعصور والبيئات ،كما أن الإسلام نظام حاكم

---

(١) - من الأمثلة التي ذكرها الجندي قراءتهم لقولة تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[سورة الأعراف :آية ١٨٠] بفتح الباء وهذا يعني أن من أسماء الله – جل شأنه- البهاء الذي لقب به نفسه زعيم الطائفة تعالى الله عن ذلك التشبيه والحلول) . (انظر : الإسلام والتيارات الوافدة ص ٩٧، معلمة الإسلام ٤/ ٤٤٧) .

(٢) - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٤،الإسلام و التيارات الوافدة ص٩٧، معلمة الإسلام ٤/ ٤٤٧

(٣) - هو المرزا عباس أفندي ابن حسين علي المازندراني ،سمى نفسه عبدالبهاء إظهاراً لربوبية أبيه البهاء ، ولد في طهران سنة ١٢٦٠هـ ، وكان محتالاً مكاراً شرب من كل مورد ، وكان من أذكى الناس وأكثرهم خداعاً ، وقد أدخل على البهائية عقائد جديدة . هلك سنة ١٣٤٠هـ .(انظر : البهائية نقد وتحليل لإحسان ظهير ص ٣٠١وما بعدها) .

(٤) - البهائية لإحسان إلهي ظهير ص ١٠٨.

(٥) - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٥

(٦) - انظر ص ١١٤- ١١٦ من الرسالة .

(٧) - انظر ص ١٣٧- ١٤٠ من الرسالة .

وليس نظاماً مبرراً للحضارات أو المجتمعات الفاسدة ، ولا يطلب من الإسلام أن يتخفف أو يتنازل عن قوائمه وحدوده ، وإنما يطلب إلى المجتمعات أن تتغير و ترتقى وتعلو وتسمو على طفولة البشرية وأن تؤائم بينها وبين الأصول الثابتة من شريعة الله"(١).

ونَّبه الجندي على أن هذه الدعوة تتوافق مع ما دعت إليه الدعوات الإباحية الأخرى فقال :" وهذه نفس الدعوى التي ترددها اليوم دعوات الفرويدية والوجودية والتي هي من الأسس الأصيلة للمخططات التلمودية. وهم يذهبون إلي القول زوراً وبهتاناً بأن الشريعة الإسلامية لا تصلح لهذا الزمان، وفي هذا إقرار بالقوانين الوضعية وإقرار بنظام الغرب وفصل الدين عن المجتمع"(٢).

ورد الجندي على دعوتهم إلى وحدة الأديان قائلاً :"فإن الدعوى المحدثة إلى وحدة الأديان باطلة،وتستهدف ضرب مفهوم الإسلام الذي يحمل الآن وحدة مفهوم التوحيد الخالص،ويرمي أصحاب هذه الدعوات إلى إعلاء اليهودية بالقول بأنها أول التوحيد ، مع أن التوحيد جاء مع بدء الخليقة ومع نبي الله الأول نوح- عليه الصلاة والسلام -،ومن ينادي بهذه الدعوة إنما يرمي إلى إلغاء عالمية الإسلام أو تميزه الخاص،وقد جاءت دعوتا القاديانية والبهائية في محاولة جديدة في العصر الحديث للدعوة إلى وحدة الأديان بوصف كلٍ منهما بديلاً عن الإسلام "(٣).

ويقول :" و لا ريب أن كل دعوة تدعو إلى وحدة الأجناس إنما تحاول هدم الإسلام؛لأنه الدين الوحيد الذي يراد له أن يندمج وأن ينصهر وعالمية الأديان لا تستهدف إلا القضاء على عالمية الإسلام وهذه المعاني كلها مستمدة أساساً من التلمود "(٤)

المسالة الثانية : مصادر الفكر البهائي :

إن مصدر العقيدة والشريعة عندنا هو الوحي الإلهي من قرآن وسنة ، وقد صار على هذا المنهج سلفنا الصالح رضوان الله عليهم إلا أن هناك فرقاً منحرفة والتي منها البهائية اتخذت مصادر أخرى لا تتوافق مع هذا المنهج السلفي الواضح ونبَّه الجندي إلى ذلك بقوله :" الدعوة البهائية هي دعوة قديمة مجددة شكلتها أصول متعددة من الفكر الوثني اله ظهي والفكر التلمودي اليهودي والفكر الغنوصي المجوسي "(٥) .

(١) - من التبعية إلى الأصالة ص ٧٥-٧٧ بتصرف .
(٢) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٤.
(٣) - التيارات الوافدة ص٤٠ .
(٤) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٣.
(٥) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٣.

ويقول:"ومن يراجع تاريخ وفكر هذه النحلة يكتشف في يسر مصدرها و هدفها،وأنها واحدة من الدعوات الهدامة التي أرادت أن تعمل من داخل الإسلام،وإن كانت مفاهيمها وقيمها جميعها مستمدة من الفكر البشري الوثني المادي المنثور في الزرادشتية والهندوسية والمجوسية،وتراث التلمودية القديم المبثوث في التلمود والمشنا [(١)] والجمارة[(٢)]،وأن قوى خطيرة جددت هذا الفكر وحاولت ابتعاثه لخدمة أهداف معاصرة أهمها دعم الصهيونية "[(٣)].

ويذكر الجندي خلاصة مصادر الفكر البهائي بأنه مستمد من ديانات ونحل وآراء فلسفية،فيقول:"وقد كشفت الوثائق عن استمدادهم من الباطنية القديمة ، واعتمادهم على الفلسفة المادية ومفاهيم الفرويدية والجنس،وقد وصفهم صاحب كتاب «مفتاح باب الأبواب» بأن لهم ديناً خاصاً مزيجاً من أخلاط الديانات البوذية والبرهمية الوثنية ، والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلام ومن اعتقادات التصوف الفلسفي "[(٤)].

المسألة الثالثة : علاقة البهائية بالاستعمار واليهودية العالمية .

إن الاستعمار يهدف إلى وجود الاضطراب،وتفتيت وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم ، وإضعاف ما عندهم من معتقدات ، فعندما ظهر في بلاد المسلمين ساعدتهم هذه الفرق المنحرفة ؛ لأنهم يتفقون معهم في الهدف ومن هنا حاول الجندي أن يبين العلاقة القائمة بينهما فقال : " إن البهائية في إيران والقاديانية في الهند كانتا من المحاولات التبشيرية الاستشراقية الخطيرة التي ترمي إلى تحقيق هدف الماسونية في ضرب الإسلام ، وقد وصفت البهائية المتطورة عن البابية بأنها ابتكار روسي ، أراد به القياصرة الروس منافسة المساعي الغربية في ديار الإسلام "[(٥)].

ويضيف الجندي قائلاً :"وقد أحاط النفوذ الاستعماري هذه الدعوة بالتشجيع والتقدير وأفسحت لها الصحف وأهتم بها الكتاب وركزت عليها الأضواء في الوقت نفسه الذي كانت الصهيونية تحاول أن تسيطر في فلسطين وغزوات التبشير تجتاح العالم الإسلامي ومصر على الخصوص ، وقد تردد أن هذه الدعوة إنما قصد بها إلي تركيز النفوذ الاستعماري

(١) - المشناه: هي مجموعة موسوعية من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم ، وتتضمن مجموعة من الشرائع اليهودية التي وضعها معلمو المشناهعلى مدى عدة أجيال . والمشناة هي الشريعة الشفوية . (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٣٥) .

(٢) - الجماراة هي التعليقات والشروح والتفاسيرات التي وضعها الفقهاء اليهود الذين يسمون بالشراح على المشناه ، وقد وضعوها بين عامي ٢٢٠ و٥٠٠ وهي تأخذ شكل اسئلة وأجوبة (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٣٦/٢).

(٣) - معلمة الإسلام ٤/ ٤٤٦-٤٤٧.

(٤) - البهائية ص ٢١، معلمة الإسلام ٤/ ٤٥٩.

(٥) - التيارات الوافدة ص٤٠ .

في البلاد التي أظهرت فيها (إيران)وإنها حاولت أن تستمد مفاهيمها من مورثات قديمة باطنية ومجوسية ولكن براعة النفوذ الاستعماري كانت قادرة على الإعلان بها وإذاعتها والاستفادة بها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لإثارة الشكوك في النفوس وكسب مزيد من الذين تزعزت عقائدهم "[١].

وقد تتبع الجندي الحركة البهائية في مصر وعلاقة الاستعمار الانجليزي بها ومدى التسهيلات التي قدمت بحيث أتاح للحركة البهائية حرية الحركة في العالم الإسلامي ، وفي مصر اهتمت صحف التبشير والاستعمار بالحركة وأولتها قدراً أكبر من العناية ،ومن العجب أنه عندما فضحت مخططات التبشير عام ١٩٣٢م – ١٩٣٣م في مصر وخفت صوت التبشير، لم يلبث صوت الحركة البهائية أن علا ونشطت إلى العمل ،وكان لها مراكز في القاهرة والإسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية والسويس [٢].

كما نجد أن الصحف تحدثت عن – عباس البهاء الذي تبناه الاستعمار البريطاني – طويلاً واهتمت به اهتماماً كبيراً وأطالت عرض مذهبه ودعوته (المجلة الجديدة ، والهلال ، والمصور) واستمرت الأهرام زمناً طويلاً تكتب عنه ، وترجمت عدداً من المؤلفات المختلفة عنه ، وحملت الصحف تفاصيل كاملة عن مبادئ المذهب البهائي ، ودعت إليه بحسبانه آخر الأديان وأسلمها وأبعدها عن خلافات الأديان وقد أعلنت مجلة المقتطف عام ١٩٠٠م عن أول كتاب عن البهائية (الدرر البهائية)"[٣] .

أما عن دور اليهودية في احتضان البهائية فهو أمر معهود من حال اليهود إذ أنهم ينتهزون الفرص ويحسنون استغلالها بهدف تنفيذ مخططاتهم الشريرة بتفتيت قوة المسلمين ، وتفريق صفوفهم ، وإماتة روح الجهاد فيهم،حتى يستطيعوا تحقيق ما يريدون من الاستيطان في بلاد المسلمين وقد كشف الجندي هذا التآمر الخبيث بقوله:"وقد تبين أن البهائية ربيبة الصهيونية وهي التي احتضنتها وأقامت مراكز لها في جبل الكرامل في حيفا في فلسطين،وفي إسرائيل عام ١٩٦٨م عقد المؤتمر البهائي العالمي حضره ٢٢٥ شخصاً اختيروا من ٨١ جمعية وطنية تابعة للعقيدة البهائية في القارات الخمس ، وأعلن المؤتمرون أنهم يدعون إلى وحدة الجنس البشري والسلام العالمي "[٤].

---

[١] - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص٢٣٧.
[٢] - المؤامرة على الإسلام ص ٢١٠.
[٣] - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص٤٤٧-٤٤٨ ، وصاحب هذا الكتاب هو أبو الفضل الجلبائيجاني .
[٤] - المؤامرة على الإسلام ص ٢٢١.

وقد استغلت اليهودية العالمية كل حركة تؤدي إلي تمزيق الأديان وملاشا ة وجودها ولذلك فإنها سرعان ما ضمت العناصر اليهودية إلي صفوف الحركة البهائية بصورة جماعية في طهران وهمزان وكشان وتوجيهها إلى الأغراض اليهودية ومن هنا جاء تقرير «لورنس بروان» للحركة البابية والبهائية وليدتها والنظر إليها على أنها محررة للفكر الإسلامي وأن قادتها ثوار أبطال وقد جرى التعاون بين الإنجليز والروس واليهود لإنقاذ حياة البهاء «الميرزا حسين علي» وإخراجه من الهند ثم من بغداد إلي تركيا وأخيراً إلى عكا حيث أعدوا المؤامرة الكبرى بإعلان الميرزا نفسه رباً للجنود ومسيحاً جاء لهداية العالم .والدعوة إلي التجمع الصهيوني واعتبار قيام إسرائيل دليلاً من التوراة على صدق مزاعم البابية التي سرعان ما أسلمت قيادتها للبهائية ومازال المعبد الرئيس للبهائين قائماً في حيفا يمثل التعاطف بين البهائية والصهيونية "[1].

بل إن الجندي تحت عنوان البهائية تلاميذ الصهيونية في كتابه «البهائية من الدعوات الهدامة» يؤكد هذه العلاقة قائلاً:" والدارس للبهائية يجد هذا الهدف واضحاً في مخططها وتاريخها كله ... والارتباط بالصهيونية التلمودية ، كثمرة من ثمار البروتوكولات ومن هنا كانت دعوتها إلي دين جديد بشري تنصهر فيه الأديان السماوية ، بعد الحملة عليها والإدعاء بأنها كانت مصدر الصراع بين البشر ... وقد أفصحت عن انتماءاتها الصهيونية التلمودية وسلطت أضواء كثيرة حول النحلة البهائية وحاولت أقلام عدد من المستشرقين البارزين وفي مقدمتهم «لورنس بروان» في كتابه «طوالع الإسلام»، والمستشرق «جولدزيهر» الذي امتدح الحركة البهائية ، وينظر إليها أنها بوصفها حركة متحررة في الفكر الإسلامي وأنها ستؤدي إلى تنشيطه وتجديده وأن الذين قاموا بها ثوار أبطال . وهكذا يصل التضليل والزيف إلى أعلى مداه،على قلم مستشرق يهودي يروج لهذه النحلة المنحرفة "[2].

---

[1] الإسلام والتيارات الوافدة ص١٠١ ، البهائية من الدعوات الهدامة ، أنور الجندي ص١٥ ،، دار الاعتصام القاهرة ، معلمة الإسلام ، أنور الجندي ٤/ ٤٥٢، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٠٥.

[2] - البهائية من الدعوات الهدامة ص٧- ٨.

« **تعقيب** »

عد الجندي البهائية من الفرق الباطنية الحديثة التي تغلغلت في كثير من بلاد المسلمين فأصبح لزاماً على علمائها ومفكريها كشف مخططاتها ومؤامراتها فاجتهد رحمه الله في بيان حال تلك النحلة وما انطوت عليه من انحرافات سبق الحديث عنها ، ولكن مع ذلك هناك بعض المآخذ نريد أن نسجلها على الجندي منها :

١- نجد أن الجندي لم يسلك ترتيباً علمياً دقيقاً فهناك تداخل كبير فيما يكتب فتارة عندما يتناول موضوع ينتقل إلى موضوعٍ آخر دون إكماله،ثم يرجع إليه بعد صفحات وهكذا .

٢- ذكر الجندي غالب معتقدات وأفكار البهائية وقام بجهد مشكور في حصرها والتنبيه على مخالفتها الصريحة لعقيدة الإسلام،لكن يؤخذ عليه أنه خلط بين الاعتقادات والأفكار فيما كتب وفي كثير من معتقداتهم لم يذكر نصوصاً وعبارات من كتبهم تدل على هذه المعتقدات .

٣- هناك عقائد للبهائية ذكرها الجندي دون أن يرد عليها أو يناقشها مثل دعوى المساواة بين الرجل والمرأة وإبطال الحج إلى مكة .

٤- نجد الجندي لم يذكر نصوصاً من الكتاب والسنة تبين بطلان وزيف عقائد وأفكار البهائية واكتفى بالجانب الزمني لذا نجده يقول :" هذا ومع أن البهائية قد انقضى على دعوتها نصف قرن،أو يزيد فما نرى أنها استطاعت أن تحقق هدفاً واحداً من أهدافها في اتحاد المشرق أو المغرب أو اتحاد الأديان أو الأجناس أو زوال الحروب وكل ما كشفت عنه أنها موجة زائفة من موجات الإباحة والإلحاد التي حملت كل سخائم الباطنية القديمة وأعادت طرحها على البشرية مرة أخرى"[1].

[1] - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٥.

المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القاديانية

تعد القاديانية من الفرق الحديثة سليلة الباطنية الخبيثة وكانت أفكارها بمثابة خروج على النبوة المحمدية،ومؤامرة حقيقية على الإسلام ترمي إلى إضعاف القيم الإسلامية وتمجد القيم الدخيلة للفكر الأجنبي [(١)]مع تفريق وحدة المسلمين،وتوهين قوتهم،وهدم مبادئهم وعقائدهم،بالإضافة إلى تمكين الدولة البريطانية من بسط نفوذها على البلاد الإسلامية [(٢)].

وقد عرض الجندي القاديانية في بعض مؤلفاته وعدها من أخطر الدعوات وانتقد العقاد[(٣)]في جعلها من مصاف دعوات التجديد والإصلاح وسنتكلم عنها في ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عقائد القاديانية :

لقد أحسن الجندي في بيان أهم عقائد القاديانية والرد عليها وسوف أذكر أولاً ما ذكره من عقائدهم،ثم أثني بذكره للرد عليها:

١- ادعاء القادياني[(٤)] النبوة والرسالة الإلهية ،ويصور الجندي ذلك بقوله:" أعلن رسالته إلى العالم عام ١٨٨٩م وهو في الخمسين من العمر،وادعى أنه نبي "[(٥)].

ويقول كذلك:"وقد ادعى القادياني أنه أوحي إليه بما يربو على عشرة آلاف آية،وأنه مبعوث بالرسالة بعد محمد عليه الصلاة والسلام،وأن ما ينــــزل عليه وحي كالقرآن والتوراة والإنجيل"[(٦)]يقول عن نفسه:"إني مرسل من الله،وهو كل يوم يعان،ويكرم ولا يهان "[(٧)].

٢- يعتقد القاديانيون في غلام أحمد القادياني أنه المهدي المنتظر وأن المسيح حل في جسده وهذا ما أشار إليه الجندي بقوله:" وأدعى أنه نبي ومجدد ومهدي ومسيح ، وادعى أنه المهدي المنتظر الذي يترقبه المسلمون جميعاً ... ومن ذلك قوله -أي القادياني-:إن مهمة

---

(١) - المؤامرة على الإسلام ص٢١٤، مقدمات العلوم والمناهج ١/٥٥٠

(٢) - أجنحة المكر الثلاثة ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ،ص٢٧٧، دار القلم ،دمشق ، ط السادسة ، عام ١٤١٠هـ .

(٣) - هو عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد إمام في الأدب،مصري أصله من دمياط . ولد سنة ١٣٠٦هـ،توفي سنة ١٣٨٣هـ..من كتبه:التفكير فريضة إسلامية،عبقرية محمد، المرأة في القرآن .(انظر:الأعلام ٣/٢٦٦،موسوعة أعلام الفكر الإسلامي ص ٥٩٦- ٥٩٩).

(٤) - غلام أحمد بن غلام مرتضي القادياني ، وهو فارسي الأصل،ولد بقرية تسمى قاديان ، وكانت ولادته سنة ١٨٣٩م ، وتعلم بالمدارس الدينية الإسلامية ، ثم لما شب تلقفته أيدي الإنجليز، وقد ادعى في أول أمره أنه مجدد ، ثم أنه ملهم من الله ، ثم ادعى أنه المهدي المنتظر ، ثم ادّعى أنه المسيح ثم آل أمره إلي إدعا النبوة وأنه أفضلهم ، وقد أهلكه الله بمرض الكوليرا عام ١٩٠٨م في لاهور ونقلت جثته إلى قاديان. من كتبه : الاستفتاء ، البرية ، تبليغ الرسالة.(انظر : القاديانية ، إحسان إلهي ظهير ص ٤٢ وما بعدها ، عقيدة ختم النبوة ص ٢٤٢).

(٥) - العالم الإسلامي والاستعمار ص٤٥١ .

(٦) - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ،أنور الجندي ص١٢،دار الاعتصام،القاهرة،معلمة الإسلام ٤/٤٣٤ ، الإسلام والتيارات الوافدة ص١٠٦ .

(٧) - الاستفتاء ، لغلام أحمد ١٢عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية ص ٤٤٧.

المهدي هي الدعوة إلى السلام "[1] ويقول عن نفسه :" بعثني الله على رأس المائة لأجدد الدين ، وأنوِّر وجه الملة ،وأكسر الصليب،وأطفئ نار النصرانية ،وأقيم سنة خير البرية ،ولأصلح ما فسد ،وأروج ما كسد،وأنا المسيح الموعود ،والمهدي المعهود ، مَنَّ اللهُ عليَّ بالوحي والإلهام ،وكلمني كما كلم رسله الكرام "[2].

٣- إنكار فريضة الجهاد[3]:لقد شهد غلام أحمد على نفسه في كتاباته بأنه تابع وخادم وعميل للحكومة البريطانية حيث يقول في ختام كتابه"شهادة القرآن":قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ومؤازرتها،وألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة،لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين،أجاهد بلساني وبقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية،ولما فيه من خيرها والعطف عليها وأنادي بإلغاء فكرة الجهاد والتي يدين بها معظم جهالهم ، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة [4].

٤- تكفير جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بكلام القادياني[5]،حيث يقول خليفته وابنه محمود أحمد[6]:"لقيني رجل في لكنهؤ وسأل أنه قد اشتهر في الناس أنكم تكفرون المسلمين الذين لم يعتنقوا القاديانية ، فهل هذا صحيح ؟ فقلت له نعم لا شك إننا نكفرهم،فاستغرب الرجل قولي وتحير "[7].

٥- تفضيل قاديان[8] على مكة وحج المسلمين إليها ، يقول الجندي موضحاً هذا المعتقد الفاسد:" وقد ادعى القادياني .. أن الحج فريضة على المسلمين إلى قاديان،وأنها بلدة مقدسة كمكة والمدينة ، وأنها المكنى عنها في القرآن بالمسجد الأقصى"[9].

---

[1] - العالم الإسلامي والاستعمار ص٤٥١ .

[2] - الاستفتاء ص ٢٠ ، عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة ص ٤٤٦.

[3] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ٢١٠

[4] - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ص١٤ ، معلمة الإسلام ٤/ ٤٣٦.

[5] - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ص١٢ ، معلمة الإسلام ٤/٤٣٤ .

[6] - هو: محمود بن أحمد الخليفة الثاني للقاديانية ، وقد سمى نفسه خليفة بعد أن مات نور الدين خليفة القاديانية الأول سنة ١٩١٤م ، واستمر وواصل في عبوديته للاستعمار ، مات سنة ١٩٦٥م . (انظر : القاديانية لإحسان ظهير ص ٢٠٢-٢٠٦، الفرق المعاصرة ٢/ ٨٤٠).

[7] - أنوار الخلافة ، لمحمود أحمد غلام ،ص ٩٢، نقلاً عن القاديانية ، لإحسان ظهير ص ٥٠.

[8] - إحدى قرى البنجاب بالهند وهي مكان مولد غلام أحمد .و لمزيداً من الرد على هذا القول.(ينظر: كتاب الشيخ إحسان الهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة للدكتور علي بن موسى الزهراني ص ٧٤٠- ٧٤٤.

[9] - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ص١٢ .

ومن أقوالهم في ذلك :" أن القاديان هي أم القرى فالذي ينقطع عنها يُقطع ويمزق،فاتقوا من أن تقطعوا وتمزقوا ، وقد انقطع ثمرة مكة والمدينة ، ولكن ثمرة القاديان مازالت طازجة "[1].

٦- التأويل : وقد اعتمدت هذه الدعوات على سلاح التأويل الذي هو منهج اليهود القائم على مبدأ : اذبح الناس بيد بعضهم البعض،وقد أولت القاديانية آيات الجهاد تأويلاً أبعدها عن مقاصدها ، وقال القادياني صراحة : لقد أسقط الله عنكم فريضة الجهاد وهو ما وصف بأنه (ضرب ركن الجهاد بسيف التأويل)،وفي هذا متابعة لإخوان الصفا الذين قالوا : إن التأويل للحكماء والتنـــزيل للدهماء" [2].

٧- القول بتناسخ الأرواح،لذا يقول الجندي:"هي عقيدة قديمة لا تزال هناك جماعات معاصرة تعتنقها"[3]،وقد نقل أبوالحسن الندوي عن كتب المرزا غلام أنه يعتقد أن أرواح الأنبياء كانت تتناسخ وتتقمص روح بعضهم وحقيقتهم جسد بعضهم،وتظهر في مظهر الآخر[4] .

٨- القول بالحلول[5] : إن القول بالتناسخ يؤدي إلى القول بالحلول؛ لذا يقول مرزا غلام أحمد :" إن الله أرسل رجلاً كان نموذجاً لروح عيسى ، وقد ظهر في مظهره وسمي المسيح الموعود ؛ لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه،ومعنى ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به ،وقد مضى مئات من الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية،وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمد وأحمد "[6]

و قد قام الجندي بالرد على بعض تلك المعتقدات ومن ذلك ما يلي :

١- إدعاء النبوة والرسالة :

وقد ذكر رحمه الله عدة إلزامات تبين بطلان هذا الأمر منها :-

---

[1] - حقيقة الرؤيا ،لمحمود أحمد القادياني ،ص ٤٦، عن القاديانية لإحسان إلهي ص ١١٤.

[2] - المؤامرة على الإسلام ص٢١٤- ٢١٥ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٥٤.

[3] - الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي ص ٨٧ .

[4] - انظر : القادياني والقاديانية دراسة وتحليل ، لأبي الحسن الندوي ص ٧٤-٧٥.

[5] - انظر : العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٢٠٤

[6] - آلية كمالات إسلام ، مرزا غلام أحمد ، ص ٣٤٤، عن القاديانية ،د. عامر النجار ص ٦٢، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢هـ / ٢٠٠٥م .

أ- إن هذه الدعوى خارقة لإجماع الأمة المسلمة القائل بختم النبوة بمحمد ﷺ [1]،وأن تفسير القاديانية لخاتم النبوة بأنه ﷺخاتم الأنبياء أي"طابعهم "فكل نبي يظهر بعده تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه ﷺ تفسير باطل أوضح ذلك الجندي بقوله:"من أخطر دعاوى القاديانية رأيهم الزائف حين جاءوا بتفسير مبتدع لختم النبوة فالغوا به تفسير المسلمين المتفق عليه بينهم من أنه ﷺ هو خاتم النبيين فلا نبي بعده"[2].

وقال أيضاً:"وأن القادياني قد فارق الإجماع وخالفه،حين فسر « خاتم النبيين »بأنه طابعهم " [3] .

ب- إن دعوة الرسل المؤثرة يتعدى تأثيرها الزمان والمكان بخلاف الدعاوى الكاذبة التي لا يتبعها إلا السذج من الناس ،وأصحاب الأهواء . وهذا ما نقله الجندي عن محمد فريد وجدي[4] حيث قال:"لقد جرت سنة الله أن يرسل إلى الناس رسلاً لهدايتهم إلى طريق الحق وصحبت رسالة كل واحد منهم انقلابات اجتماعية خطيرة،وحوادث تطويرية كبيرة،تجاوبت أصداء حركاتها في أرجاء الأرض،فأين ما يدعيه غلام أحمد.لقد مضت على دعوته ستون سنة فلم يتبعها إلا أفراد من السذج،لقد تجشم جهداً لكي يثبت أنه نبي،فاصطدم بالنص القرآني الدال على أن النبي محمداً خاتم النبيين،وأنه لا نبي بعده،وأتى في هذا الباب بما لا يعقل من ضروب التأويل والتحريف"[5].

٢- إنكار فريضة الجهاد :

وقد رفض الجندي هذا المعتقد فقال:"هذه فكرة مستمدة من المسيحية الغربية هي فكرة السلام والدعوة إلى إلغاء السلاح وإلغاء الحروب،والتقريب بين الأديان،وهي جميعها دعاوى تكشف أن من ورائها الصهيونية العالمية والماسونية في محاولة تخذيل كل القوى المدافعة عن أرضها،ومحاولة تقبل ما يسمى بالثقافة العالمية أو الفكر العالمي أو الأخوة العالمية"[6] .

---

[1] - وممن نقل الإجماع القاضي عياض في الشفاء ٢٨٥/٢، والغزالي في الاقتصاد في الاعتقاد ص ٢٢٥ ، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/١٧ .

[2] - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ص١٢ ،معلمة الإسلام ٤/ ٤٣٤.

[3] - معلمة الإسلام ٤/ ٤٣٥ .

[4] - هو:محمد فريد بن مصطفى وجدي: مؤلف«دائرة المعارف».ولد عام ١٢٩٥هـ ونشأ بالاسكندرية أصدر بها مجلة «الحيا ة»،سكن القاهرة، وتوفي عام ١٣٧٣هـ من كتبه:المدنية و الاسلام،الفلسفة الحقة في بدائع الاكوان.(انظر:الأعلام ٣٢٩/٦،أعلام القرن الرابع عشر للجندي ص ٢٢٩-٢٣٦)

[5] العالم الإسلامي والاستعمار ص٤٥٢ -٤٥٣،مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٣٣٤ – ٣٣٥ .

[6] الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص٣٧١ .

ويخطو الجندي خطوة أخرى في طريق إبطال هذه العقيدة التي تدعو إلى مهادنة الأعداء،فيقول:« إن الإسلام يقوم على قاعدته الأصيلة سلاماً كاملاً عن طريق الجهاد، الذي هو في مفهومه الأصيل عملية دفاع وحذر واستعداد وليست عملية قتل أو قتال وحرب وهي تتمثل في الآية الكريمة:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [سورة الأنفال :آية ٦٠] ،فهي استعداد وحذر وتحصين للشعوب وتغطية في مواجهة العدو،تحمل السلام،وتفرضه، وتحول دون القتال والحرب إلا إذا اعتدى على أرض المسلمين،أو غزيت بلادهم فهنا يكون القتال من أجل استرداد الأرض وحماية الذمار»(١).

٣- فكرة التناسخ :

وقد نبَّه على بطلانها وزيفها فقال :" إن نظرية التناسخ تتعارض مع مفهوم الفطرة والعقل والدين . وهي لا تطابق الحقيقة الثابتة عن مسؤولية الإنسان والتزامه الأخلاقي ، فضلاً عن سذاجة النظرة التي تقول بها ، وتحاول أن تبررها وهي أن انتقالها من بدن إلى بدن إنما هو وسيلة لمنح الروح فرصة بعد فرصة ، لكي تتطهر من أدرانها... ونظرية التناسخ تعارض المسؤولية الفردية ألتي تناط بكل إنسان بحسب عمله في الدنيا فكيف بالروح التي تتعاورها نفوس كثيرة؟كيف يمكن تحديد جزاء كل إنسان منهم؟فإذا كانت الأرواح تتناسخ مع الحيوان أيضاً فإن الأمر يصبح أكثر اضطراباً"(٢).

ويقول:"أما الإسلام فإنه يقرر في حسم أن الروح بعد مفارقتها جسدها لا تعود إلى جسد آخر البتة،وليس هناك نص ولا دليل على عودها من عقل أو نقل،ولا ريب أن إعادة بعث هذه النظريات الباطلة هو من محاولات التغريب في حجب مفهوم الإسلام الصحيح"(٣).

ويقول كذلك:"وقد رفض الإسلام فكرة التناسخ وذهب إلى خلود النفس خلوداً نهائياً بعد حياتها الأولى المرتبطة بجسم معين ولا شك أن موقف الإسلام من خلود النفس،وبعث الأجساد،هو أظهر منطق للمسؤولية الفردية،والالتزام الأخلاقي بالحساب والجزاء في اليوم الآخر "(٤).

المسالة الثانية :مصادر الفكر القادياني:

(١) المصدر السابق ص٣٧١.

(٢) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٠٢، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩١

(٣) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٠٢، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩١ .

(٤) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٠٣، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩١- ٣٩٢

إن القاديانية كغيرها من الفرق الباطنية جمعت أفكارها من مصادر ملفقة بعيدة تماماً عن الإسلام ومنهجه في التلقي،وقد أشار الجندي إلى بعض تلك المصادر منها :

١- الفكر اليهودي والتلمودي: وقد أخذت القاديانية من هذا الفكر ما يسمى بالعنصرية وهي فكرة قائمة على الأجناس والدماء والعناصر فعمدت إلى إعلائها على وحدة الفكر التي جاء بها القرآن[١].

وقد كشف الجندي عن هذه الصلة القوية بين القاديانية والفلسفة اليهودية قائلا :" وهكذا نجد أن الاستعمار الغربي والعنصرية كانت تستهدف القضاء على الإسلام كقوة للوحدة والمقاومة،وأن خطة الحضارة الغربية في مواجهة العالم الإسلامي،إنما تهدف إلى الحكومة دون نهوض هذه القوة ، وأن قوى الاستشراق والتغريب كانت تهدف إلى البحث عن جوانب القوة والقضاء عليها ، فهم يدعون إلى وحدة الحضارة الغربية المادية الإباحية .. وقد جرى استغلال دعوات الوطنية والقومية والأقلية وغيرها في هذا السبيل، فلما سقطت جميعاً جاءت دعوات الماركسية والوجودية والفرويدية وغيرها لاحتواء الحضارة الإسلامية في بوتقة الحضارة الغربية الغازية ثم دفعت بدعوات البهائية والأحمدية والقاديانية في محاولة لكي تحول دون قيام وحدة فكر بين المسلمين "[٢]

وقد أخذ القادياني من الفكر اليهودي فكرة المهدية التي تستند إلى عقيدة الرجعة المنتقلة إلي المجتمع الإسلامي بواسطة اليهودي «عبدالله بن سبأ» فادعى القادياني "أنه المهدي المنتظر الذي يترقبه المسلمون جميعاً " [٣].

٢- الفكر الهندوسي: استقى «غلام أحمد القادياني» من الهندوسية بعض تلك العقائد المنحرفة ،وتأثر القادياني بالعقائد الهندية في غاية الوضوح ، وقد أشار إلى ذلك بقوله :" إن الهدف من القاديانية هو إعادة عهد الوثنية الأولى لتعيد ذكرى براهما وبوذا،ولكن بصورة أخرى ، يقطعون بها على صغار العقول طريق الفطرة الإسلامية،أولئك القوم هم جماعة القاديانية الهنود الذين أخذوا اسم الإسلام،وأطلقوه على عقائد مختلفة،ساقهم ميراث الوثنية للرجوع إلى العقيدة الأولى التي كانت تتنفس عنهم هذه الآلام،فدعوا إلى المنقذ وأخذوا يفكرون أيكون وريث براهما في الإلهية أم وريث بوذا في النبوة،ولكن بصورة أخرى تكون

---

[١] المؤامرة على الإسلام ص ٢١٤ بتصرف .

[٢] الإسلام والحضارة ، أنور الجندي ص٩٥ – ٩٦ ، دار الاعتصام ، القاهرة.

[٣] - العالم الإسلامي والاستعمار ص٤٥١، مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٣٣٣ .

قريبة من إدراك الجاهلية فاتخذوا من غلام قاديان نبياً يبعثون فيه عقيدة المنقذ ورأوا أنه لابد له من مبادئ ينشرها ويدعي أنه أوحى إليه بها "[1]

ويقول الجندي :"والقادياني في كلامه ما يشبه القول بالحلول ، فهو متلبس بروح السيد المسيح وروح كرشنا رب الخير عند البراهمية" [2] .

بل إنه ادعى حلول الله عز وجل فيه،وهذه العقيدة قد أخذها من الفكر المجوسي، الذين يعتقدون بالتناسخ والحلول،لذا يقول الجندي:"هي عقيدة قديمة لا تزال هناك جماعات معاصرة تعتنقها"[3].

المسألة الثالثة :صلة الاستعمار البريطاني بالقاديانية :

إن عقيدة الجهاد في سبيل الله كانت في قلوب أولئك المسلمين الذين جاهوا المستعمرين لبلادهم ، فأقضوا مضاجعهم وأفزعوا قلوبهم فعمد المستعمر إلى ضرب الإسلام بعضه ببعض فاختلقوا القاديانية وهي فرقة ضالة مضلة فرضها المستعمر لتفريق الإسلام وإبعادهم عن دينهم "فظهرت القاديانية بعد أن عجزت السلطات البريطانية عن إخضاع المسلمين بالتغريب والغزو الثقافي ،وحاولت أن تقيم طائفة من المسلمين وجماعتهم وتمزقهم إلى فرق ، فأعدت غلام أحمد القادياني لحمل لواء هذه الدعوة التي بدأت بادعاء الخروج عن مفاهيم التوحيد الخالص وانتهت بادعاء النبوة ، وقد مكنت لهم بريطانيا في الهند في إمارة خاصة تسمى« الربوة»[4]داخل باكستان،وقدمت منهم من تسنم عليا المناصب السياسية،ومن ثم تولى كبارهم مناصب الدولة والجيش،وأصبحوا عاملا خطيرا في مواجهة أهل السنة والجماعة ، وضرب مفهوم التوحيد الخالص"[5].

وهناك كثير من النقولات التي يعترف فيها القادياني صراحة بالولاء التام للحكومة البريطانية،ومن ذلك قوله:"إن الوقيعة في جانب الله أهون من الوقيعة في جانب الإنجليز"[6].

وقد نقل الجندي على لسانه في كتابه الهدى والتبصرة لمن يرى (ج ١ – ص٢٦) قوله:"ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنّا من خدامها ونصحائها ودواعي خيرها من قديم،وكان والدي غلام القادياني من نصحاء الدولة البريطانية،وكان أبي قد أمدها ــ أي

(1)- المؤامرة على الإسلام ص٢١٥ -٢١٦، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٥٥

(2)- العالم الإسلامي ، والاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص ٢٠٤ .

(3)- الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي ص ٨٧ .

(4) - سموها بذلك استعارة من نص الآية القرآنية ﴿ وآويناهما إلي ربوة ذات قرار ومعين ﴾.(انظر:الموسوعة الميسرة ١/ ٤٢٠).

(5) - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ص١١، ، معلمة الإسلام ٤٣٣/٤.

(6)- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٤٥١ ، مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٣٣٣.

الدولة البريطانية- بخمسين فارساً بخيولهم مدد أمته في أيام المفسدة — أي أيام ثورة المسلمين في الهند على الاستعمار" [1].

وذكر الجندي كذلك على لسانه في آخر كتابه "شهادة القرآن"قوله:" إن عقيدتي التي أكررها:أن الإسلام جزئين:الجزء الأول:إطاعة الله،والثاني:إطاعة الحكومة التي بسطت الأمن وآوتنا في ظلها من الظالمين وهي الحكومة البريطانية " [2].

وقد قدمت الحكومة البريطانية للقاديانيين تسهيلات ورعاية مستمرة مكنت للقاديانية من الاستمرار في دعوتها ونشر أفكارها،يقول الجندي:"و لم يلبث الإنجليز أن عمدوا إلى إبراز القاديانية لتحريف مفهوم الإسلام الأصيل،وظاهرت حكومة الهند هذه النحلة ونقلت دعاتها إلى بريطانيا وأوجدت جريدة باسمهم "إسلاميك رفيو"تنشر عقائدهم ودعايتهم،وتبنى دعوتهم جماعة من الإنجليز وابتنوا جامعاً في حي ووكنج بلندن،قد عرفوا بجماعة الأحمدية [3]،وترجموا القرآن إلى اللغتين:الإنجليزية والأوروبية" [4] .

ويقول : " وقد أمنت الحكومة جانب هذه الحركة وأيدتها في الوقت الذي كانت تحارب فيه كل دعوة صادقة،وأتاحت الفرصة لنشر مؤلفاتها،وإصدار عدد من المجلات ، وخاصة مجلة الأديان باللغة الإنجليزية "[5].

وهكذا وقف الجندي من التيار والفكر القادياني بكل حزم وجد،وبين للأمة الإسلامية وشبابها فساد هذا الفكر الباطني،وما قام به من إثارة الجدل بين العلماء،وشغل المسلمين فيما أثير من شبهات [6].

وختم حديثه بقوله : "وما يزال خطر القاديانية ماثلاً في العالم الإسلامي ، وممتداً ، وفي حاجة إلى مقاومة ووعي كبير "[7].

---

[1] - المرجع السابق ص ٤٥٢ .

[2] - الإسلام والتيارات الوافدة ص١٠٨ .

[3]- الأحمدية : أنشئت على يد محمد علي اللاهوري سنة ١٩١٤-١٩٥١ ،وانتحلت اسم الأحمدية تهرباً من القاديانية بعد افتضاحهما بين المسلمين ، وهي أخطر من الفرقة الصريحة ،لأنها اصطنعت نفاقاً تهزأ به من ضعاف العقول بحجة أن غلام أحمد كان مصلحاً ولم يكن نبياً ،وقد أصدر المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي حكماً بأن الأحمدية عوقية خارجة عن الإسلام خروجاً كاملاً،وأن معتنقيها كفار مرتدون .(انظر: العالم الإسلامي والاستعمار ص٤٥٤ ،جهود الأزهر في الرد على التيارات ص٤٦١ ،قرارات المجمع الفقهي العالمي للرابطة في دورته الأولى سنة ١٣٩٨هـ.)

[4] - المؤامرة على الإسلام ص٢١٩ .

[5] - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي ص٤٥١ ، مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٣٣٤

[6]- انظر : المؤامرة على الإسلام ص٢١٥

[7] - التأصيل الإسلامي ص١٥٨ .

((تـعـقـيـب))

لقد سعى الجندي إلى بيان ما قامت عليه القاديانية من ضلال وانحراف و أظهر خلال نقده الغيرة على عقيدة المسلمين فكشف الغطاء عنها و أبرز مساوئها المضللة و لم يألُ جهداً في مواجهتها في أوج انتشارها ومما يلاحظ :

١- اعتمد الجندي في نقده للقاديانية على مراجع أساسية مثل كتاب أبي الحسن الندوي "القادياني والقاديانية " والعلامة المودودي "ما هي القاديانية؟"، بل إنه رجع إلى مؤلفاتهم وكتبهم واجتزأ منها بعض النصوص المؤيدة لكلامه ومن تلك الكتب القاديانية شهادة القرآن ، الهدى والتبصرة لمن يرى.

٢- اهتم الجندي ببيان معتقدات و أفكار القاديانية وذكر في غالب تلك المعتقدات نصوصاً تؤيد مزاعمهم الباطلة.

٣- إنه ردّ وانتقد على معظم ما ذهبت إليه القاديانية من آراء منحرفة باطلة ونزر يسير من المعتقدات لم يكن رده واضحاً عليها. لذا نبهت عليها وبينت زيفها بشيء من الاختصار.

٤- ذكر الجندي اثناء رده على القاديانية في إبطالهم للجهاد في سبيل الله أن الإسلام يدعو للقتال ضد الأعداء في حال الدفاع من أجل استرداد الأرض وحماية الذمار [١]،وزاد الأمر إيضاحاً في كتابه «مناهج الحكم والقيادة في الإسلام» بقوله:"وهنا تتجلى عظمة الإسلام ؛لأنه دين سلام ، يؤثر السلم على الحرب ما وسعه الإيثار،فإن لم يكن من الحرب بد لحماية العقيدة ،أو صيانة الحياة أو الدفاع عن الوطن،فالحرب شر وضرورة في نفس الوقت، ذلك أن الإسلام يدعو إلى المثل الأعلى في جميع الصلات والمعاملات ، فإذا لم ينجح الأعلى في الإسلام لجأ إلى العلاج الذي لا ينجح سواه مراعاة للواقع ومجاراة للأحداث...فليس للحرب هدف إلا الدفاع لحماية الوطن وصيانة العقيدة واتقاء الخطر الواقع أو الخطر المتوقع "[٢] .

وما أشار إليه الجندي رحمه الله من قصر قتال الأعداء في حال الدفع فقط دون قتال الطلب لا يوافق عليه وهو خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة الصحيحة وإجماع سلف هذه الأمة ولعل التفصيل في هذه المسألة يخرج بنا عن نطاق البحث [٣] ولكن حسبي أن أشير إلى

---

(١) - انظر : الشبهات والأخطاء الشائعة ص٣٧١.

(٢) - مناهج الحكم والقيادة في الإسلام ص ٤٢-٤٤

(٣) - ولمزيد من التفصيل حول هذه المسألة ينظر : دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع ، للشيخ سليمان بن حمدان ص ٥ وما بعدها ، الجهاد في سبيل الله ، المود ودي ص ٢٢وما بعدها ، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ص ٣١٨- ٣٤٩، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، د. محمد خير هيكل ١/ ٥٠٦وما بعدها ، « أصول العلاقات الدولية » ، د عثمان جمعة ضميرية: ١/٩٣٦ ٩٦٩ ، مقال لسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز بعنوان الجهاد ليس للدفاع فقط ، مجلة البحوث الإسلامية ، العدد ٤١، سنة ١٤١٥هـ ، ص ٧-٣٨.

بعض الأدلة التي يتضح من خلالها أن قتال المشركين مطلقاً،وإن لم يكونوا معتدين ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[سورة التوبة : آية ٢٩] ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة التوبة : آية ١٢٣] وقوله تعالى:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٦] ، ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ... الحديث »[1]،وقد أجمع علماء الأمة على ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين"[2].

---

[1] - أخرجه البخاري في كتاب الإيمان،باب ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] برقم٢٥،ص٢٨، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله رقم ٢٢،ص ٤٣.

[2] - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، لابن تيمية ، تحقيق علي بن محمد العمران ، ص ١٥٨ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٩هـ.

الباب الثالث :موقف أَنور الجندي من الفلسفات الهدامة والتيارات الفكرية المنحرفة وفيه تمهيد وفصلان :

الفصل الأول : موقف أَنور الجندي من الفلسفات الهدامة وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الدهرية .

المبحث الثاني : الغنوصية .

المبحث الثالث : الفلسفة اليونانية .

المبحث الرابع : الروحية الحديثة .

الفصل الثاني:موقف الجندي من التيارات الفكرية المنحرفة وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : الداروينية .

المبحث الثاني : الفرويدية .

المبحث الثالث : الوجودية .

المبحث الرابع : العلمانية .

المبحث الخامس : القومية .

المبحث السادس : العالمية .

الفصل الأول

موقف أنور الجندي من الفلسفات الهدامة

تمهيد

إن الدارس لفكر الأستاذ أنور الجندي وإنتاجه العلمي يدرك أنه اهتم اهتماماً كبيراً بالفلسفة ، ومعلوم أن قضايا الفلسفة كثيرة ومتشعبة لكن الجندي ركز على الفلسفات التي كان لها الأثر الكبير في زعزعة عقيدة المسلمين.ووجدت في هذا العصر كل عناية وتقدير من قبل الاستشراق والتغريب ،ودعاة الغزو الثقافي.وهذه الفلسفات وإن كانت قديمة من ناحية النشأة والجذور لكنها حديثة من جهة إحيائها وإذاعتها والمناداة بها،وقد عالج الجندي هذه الفلسفات ونقدها وبين زيفها وفسادها في مواطن عدة من كتبه،ومقالاته كان أبرزها «الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة »[١]،«الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام»[٢]،« والإسلام والدعوات الهدامة »وقد تعرض الجندي لفلسفات عديدة من الصعب عرضها جميعاً ولكن اكتفيت بذكر الفلسفات التي خاض الإسلام معها حرباً ضروساً منذ تسللها وهي الدهرية ،والغنوصية،واليونانية(الهيلينية)،والروحية .

[١] - منها : أصول الفلسفة الغربية المسيحية .

[٢] - منها : الفلسفة المادية ، البرجماتية ، النسبية ، الأجناس ، الهيبية .

المبحث الأول : الدهرية وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : التعريف بالدهرية .

المطلب الثاني : عقائد ومبادئ الدهرية .

المطلب الثالث : الدهرية في العصر الحديث .

المطلب الرابع : موقف الإسلام من الدهرية .

المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الدهرية .

المبحث الأول
الدهرية

المطلب الأول : التعريف بالدهرية :

أولاً : في اللغة :

الدهر في اللغة:الأبد الممدود [١]،ورجل دهري أي قديم يقول ببقاء الدهر ولا يؤمن بالآخرة[٢].

يقول أبو البقاء الكوفي:الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه .والدَّهري بالفتح :هو الذي يقول : العالم موجود أزلاً وأبداً لا صانع له ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية :٢٤] .

ثانياً : في الاصطلاح :

ويُعرِّف «الغزالي» الدهريين بأنهم : طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع [٣].

كما عرفها «السكسكي»[٤] فقال:" هم الذين ينفون الربوبية ، ويحيلون الأمر والنهي والرسالة من الله – تعالى الله عن قولهم– ويقولون:هذا مستحيل في العقول ، ويجعلون الطينة قديمة ، وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام ، وينفون أن يكون في العالم ، دليل يدل على صانع ومصنوع ،خالق ومخلوق "[٥].

ويقول شيخ الإسلام «ابن تيمية» :"الدهرية الطبيعية الذين ينكرون أن يكون للعالم مبدع أبدعه ، وهو واجب الوجود بنفسه،بل يقولون:العالم نفسه واجب الوجود بنفسه"[٦].

وأصحاب المذهب الدهري الذين يقصدهم«الجندي» هم أولئك الذين اعتنقوا المذهب

---

[١] - وقد ورد في كتاب التهذيب المحدود و الصواب الممدود وهو موافق لما في اللسان ، فالدهر : الأمد الممدود . (انظر : لسان العرب ٤/ ٢٩٢) .

[٢] - تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ٦/ ١٩١، المعجم الوسيط ص ٢٩٩مادة : (دهر).

[٣] - المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ، تحقيق د. علي بوملحم ص ٣١، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ،ط الأولى، عام ١٩٩٣م.

[٤] - هو عباس بن منصور بن عباس، أبو الفضل التريمي السكسكي ، فقيه يماني من الشافعية.ولد سنة ٦١٦هـ ولي القضاء في تعز، وأقبل عليه الناس، يتلقون دروسه، توفي عام ٦٨٣هـ من كتبه :البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان .(انظر الأعلام ٣/٢٦٨).

[٥] - البرهان في معرفة عقائد الأديان ، لأبي الفضل السكسكي، تحقيق د. بسام عموش ص٣٥، مكتبة المنار ، ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ.

[٦] - شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،تحقيق د. علي بخيت الزهراني ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى، عام ١٤٢٣هـ .

الطبيعي أو المادي ، أي القائلين بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون إله حكيم ، ولذا يقول الجندي :" وقد ذهبت الدهرية إلى قدم الدهر ، كما ذهبوا إلى ترك العبادات رأساً ، وعندهم إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع وسماء تُقْلِع فهم قد أنكروا الصانع المدبر العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع"[(١)].

المطلب الثاني : عقائد ومبادئ الدهرية :

ذكر الجندي ما تقوم عليه الدهرية من عقائد و مبادئ وهي :

١- إنكار وجود الخالق وأن الكون بلا إله ولا صانع .

٢- قولهم إن الدهر قديم .

٣- إنكار البعث والإعادة.

٤- محو الأديان .

٥- وضع أساس الإباحة والاشتراك في الأموال والأبضاع بين الناس عامة [(٢)].

ومن هنا تتضح مناقضة هذه المبادئ لجميع الأديان فلا يستطيع عاقل أن يدافع عنها فضلاً عن أن يتبناها أو يدعو إليها.

المطلب الثالث :الدهرية في العصر الحديث :

يقول الجندي:"الدهرية واحدة من الدعوات الهدامة التي أذاعها النفوذ الأجنبي في البلاد الإسلامية كوسيلة من وسائل تدمير مقومات الإسلام وقيمه الأساسية ، فقد كان أبرز أهداف الاستعمار القضاء على القوة الأصيلة التي قام عليها الإسلام وهي التوحيد،فنشر في كل مكان حل فيه مفاهيم المادية والدعوة إلى القول بمعارضة وجود الخالق،وأن الكون طبيعي وجد اعتباطاً،وقد عرف هذا المذهب بالنيشرية نسبة إلى الطبيعة،وقد برزت هذه الدعوة الخطيرة في الهند حيث نشرها الإنجليز بين المسلمين،وتنبه لها «جمال الدين الأفغاني» فوضع رسالته المعروفة "الرد على الدهريين "[(٣)] .

---

(١) - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ص ١٨٠ .

(٢) – التيارات الوافدة ص١٦، مقدمات العلوم والمناهج ٥/٣٨٥ .

(٣) – التيارات الوافدة ص١٥ ، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٨٤.

وقد ذكر الجندي أن الاستعمار البريطاني هو الذي كان وراء نشر هذه الفلسفة الإلحادية فيقول : " وقد سعى الاستعمار البريطاني بهذه النظرية إلى أجواء المسلمين في الهند فبثها فيهم في عنف ، وعرفت باسم «النيشرية» أو ما أطلقه عليها جمال الدين باسم الدهرية ، وقد رأى النفوذ الاستعماري في هذه الترعة أقرب وسيلة للوصول إلى تأييد سلطانه ،وإذا كان الإسلام يطلب من أتباعه أن يكونوا أصحاب الشوكة والسلطان في أوطانهم،ولاحظوا أن ذلك طبيعة الإسلام التي لا يمكن انسلاخه عنها ولا انتزاعها من فطرة أبنائه فلا سبيل إلى إضعاف هذه العقيدة إلا بنشر التعطيل بين المسلمين،إذ الدعوة إليه أنفذ إلى قلوبهم من التثليث "[١].

وهذا الفلسفة الإلحادية كانت تسيطر على أفكار كثير من الفلاسفة الغربيين أمثال أتباع «فولتير»[٢]،و«جان جاك روسو»[٣]،والنفعيين .

وفي العالم الإسلامي كان «أحمد خان »[٤]الداعية الأول لها وذلك حينما اتصل بالاستعمار البريطاني وأظهر دعوته التي تتبنى المذهب الدهري،و نادى بأن لا وجود إلا للطبيعة العمياء وليس لهذا الكون إله حكيم،ولقب نفسه بالنيشري وإلى غير ذلك من الضلالات والترهات ، ومن ثم تلقفها الاستعمار كغيرها من الفلسفات الهدامة لتوهين عقيدة الإسلام ، ونشر إباحة المحرمات .

المطلب الرابع :موقف الإسلام من الدهرية :

إن الإسلام يرفض تلك المبادئ التي تدعو إليها الدهرية حيث أنكروا الاعتقاد في الله ، وأنكروا خلق العالم و لم يسلموا بما جاءت به الأديان الحقة كالشرائع السماوية والبعث والعقاب،وقالوا بقدم الدهر وأن المادة لا تفنى،وأن كل ما حدث في العالم إنما يرد إلى القوانين الطبيعية أي إلى حركة الأفلاك ،وهذا لا شك يناقض الإسلام مناقضة تامة؛لذا قد

---

(١) - اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، أنور الجندي ص١٠٥- ١٠٦ ، دار الاعتصام.

(٢) - فرانسوا ماري أروى فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨م)كاتب فرنسي وفيلسوف ومؤرخ وأحد زعماء حركة التنوير الفرنسية ، وكانت آراؤه عن العالم متناقضة . من مؤلفاته : رسائل فلسفية ، مبادئ فلسفة نيوتن . (انظر : الموسوعة الفلسفية السوفيتية ص ٣٥٧- ٣٥٨).

(٣) - جان جاك روسو (١٧١٢- ١٧٧٨م) ممثل الجناح اليساري بين أتباع حركة التنوير الفرنسيين ،وهو أحد منظري علم التربية . من كتبه : العقد الاجتماعي . (انظر : الموسوعة الفلسفية السوفيتية ص ٢٣٢).

(٤) - أحمد خان بن محمد متقي خان . ولد سنة ١٨١٧م ،نشأ في الهند ،كان من دعاة التغريب في العالم الإسلامي ، ومماثلا للغرب وخاصة الإنجليز ،و أخذ يدعو إلى كثير من أفكارهم عن طريق جريدته سيد الأخبار وقد دعا إلى مسالمة الاستعمار ، وإنسانية الأديان . وقد هلك عام ١٨٩٨م.(انظر : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٩٣ وما بعدها ، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث ص ١٢٣).

ردّ الله عليهم بقوله ﴿ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤] ، أي يتوهمون ويتخيلون [١] . فقولهم ما كان مستنداً إلى علم أو يقين بل كان عن ظن وتخمين .

وكان للعلماء دور بارز في الرد عليهم ،ومن هؤلاء «جمال الدين الأفغاني» حيث ساهم مساهمة واضحة في مقاومة المادية التي بدأت تنتشر في العالم الإسلامي فألف الأفغاني رسالة الرد على الدهريين[٢] لا ليرد بها على المقلدين في العالم الإسلامي ، ولكن ليرد على الغربيين أصحاب المذاهب المادية بغية إظهار الواقع ، و إعلان الحق [٣].

ومن الذين أسهموا كذلك في مواجهة هذه الفلسفة الإلحادية «علاء الدين الدهلوي»[٤] الذي ألف رسالة بعنوان الدرة السنية في الرد على المادية وإثبات النواميس الشرعية بالأدلة العقلية التي ألفها سنة ١٣١٣هـ[٥] .

المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الدهرية :

وقد تضمن رده عليهم عدة أوجه ، أهمها ما يلي :

الوجه الأول : خطر وفساد انتشار المذهب الطبيعي على المجتمع :

يقول الجندي نقلاً عن صاحب رسالة إلى الدهريين:"و أينما ذهب ذاهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة الدهرية تجلى له أنه لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاص بناء الهيئة الاجتماعية الإنسانية ، إذ لا ريب في أن الدين مطلقاً هو سلك النظام الاجتماعي ، ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة وأول تعليم لهذه الطائفة هو إعدام الأديان ، وطرح كل عقد ديني ، وأما عدم شيوع هذه الطريقة الدهرية وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه أن نظام الألفة الإنسانية – وهو من آثار الحكمة الإلهية السامية – كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتها الفاسدة ، وبهذا السر الإلهي ،

---

[١] - انظر : تفسير القران العظيم ، لابن كثير ،تحقيق : سامي بن محمد سلامة، ٧/ ٢٦٩، دار طيبة ، الرياض ،ط الثانية عام ١٤٢٠هـ

[٢] - وقد ظهرت هذه الرسالة باللغة الفارسية بمباي سنة ١٢٩٣هـ ثم ترجمت إلى الأردية سنة ١٣٠١هـ ،ثم ترجمها محمد عبده إلى العربية ونشرت هذه الترجمة في بيروت أولاً سنة ١٣٠٣هـ ثم طبعت طبعة جديدة في القاهرة سنة ١٣١٢هـ بعنوان رسالة في إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم وإثبات أن الدين أساس المدنية والكفر فساد العمران .

[٣] - انظر : جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي ،د. محمود عبدالحكيم عثمان ص ٢١٥،مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولي عام ١٤٠١هـ .

[٤] - عبد الله علاء الدين البغدادي، الدهلوي، الصديقي، الحنفي. صوفي، متكلم، حكيم.كان حياً عام ١٣١٣هـ من تصانيفه : مسالك العرفان فتوح الرحمن، والانصاف في رفع الاعتساف. (معجم المؤلفين ٦/ ٨٤).

[٥] - انظر : جمال الدين الأفغاني ، د. على عبدالحليم محمود ،ص ٦٣، دار عكاظ ، جدة ،

انبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ، ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ، ولم تقم لهم قائمة أمر ولا في وقت من الأوقات " [1] .

الوجه الثاني : بيان ضرورة الدين للمجتمع :

إن الدين و ضع إلهي ، جعله الله في نفوس البشرية لا يمكن لها أن تنفك عنه بحال من الأحوال ولذا يقول الجندي:"والواقع أن النظرة العلمية الأصيلة القائمة على استظهار عوامل الاجتماع التاريخي ، والخالصة من الهوى والعصبية والصادرة عن الفهم العميق للأمور تكشف عن أن الدين ليس مرحلة من حياة الأمم ولا حياة البشرية ؛لأنه بدأ بها وسينتهي بها فهو عنصر أصيل وكيان عضوي لم يتخلف عن تركيب الإنسان : عقله وروحه وحياته ، ولا سبيل إلى انتزاعه منه " [2].

وبعد أن بين مظاهر الطبيعيين ومقاصدهم التي يرمون إليها والمفاسد التي جروها على الأمم،وحاجة النفس البشرية إلى الدين وتأصله في تركيبة الإنسان ركز على العقائد والخصال التي يعتبر كل منها ركنا لوجود الأمم وعماداً لبناء هيئتها الاجتماعية ،ورادعاً قوياً لحفظ النفس من الوقوع في الشرور التي سعى النيشريون لتقويضها،وهذه العقائد كما ذكرها الجندي هي :

العقيدة الأولى : التصديق بأن الإنسان ملك أرضي ، وأنه أشرف المخلوقات .

العقيدة الثانية : يقين كل ذي دين أن أمته أشرف الأمم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل.

العقيدة الثالثة : جزمه بأن الإنسان ورد في هذه الدنيا لتحصيل كمال يهيئه للعروج إلى عالم أرفع وأوسع من العالم الدنيوي .

أما الخصال الثلاث فهي : الحياء والأمانة والصدق .

هذه الأسس التي أتت بها الأديان هي علة العمران وعليها تتوقف سعادة الإنسان ، وأن الماديين والدهريين والنيشريين تؤدي تعاليمهم إلى إنكار هذه الأسس فتنــــزل الإنسان

---

[1] - الرد على الدهريين ، جمال الدين الأفغاني ، تحقيق محمد عمارة ١/ ١٣٠ (الأعمال الكاملة) ، التيارات الوافدة ص ١٥ ، مقدمات العلوم والمناهج ٣٨٤/٥ ، الإسلام والدعوات الهدامة ص ٤٨

[2] – أخطاء المنهج الغربي الوافد ،ص٥٦.

منـــزلة الحيوان وتفقده الوازع على الخير وتعده لحياة ضيقة جافة لا قلب لها ولا سمو فيها وفي هذا انتكاس لخلقه وهدم لكيانه"[١] .

الوجه الثالث : مزية الدين الإسلامي بوصفه عقيدة ودين على الأديان :

إن دين الإسلام تكفل للإنسانية بالسعادة والأمن والاستقرار.فهو دين ونظام مجتمع ؛إذ يتجاوز العلاقة بين الله والإنسان إلى العلاقة بين الإنسان والإنسان،وبين الإنسان والمجتمع وأنه نظام شامل متكامل ولبيان ذلك ذكر الجندي الأمور التي تقوم عليها سعادة البشر ولا يكون توفرها إلا في الدين الإسلامي وهي أمور أربعة:

الأول : صفاء العقول من كدر الخرافات وصدأ الأوهام ، والإسلام يقتضي ذلك ؛لأن أول ركن بني عليه هو صقل القلوب بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الأوهام ، وخلع كل عقيدة بأن الله جل شأنه يظهر للناس بلباس البشر ، وأن تلك الذات المقدسة نالت في بعض أطوارها شديد الإيلام وأليم الأسقام لمصلحة أحد من الخلق.

الثاني : أن نفوس الأمم مستقبلة وجه الشرف ، طامحة إلى بلوغ الغاية منه بأن يجد كل واحد من نفسه أنه لائق بأية مرتبة من مراتب الكمال الإنساني ماعدا رتبة النبوة فإنها بمعزل عن الطمع ، فإذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعني الإقبال على وجوه الشرف تسابق كل مع الآخر في وجوه الفضائل ، وتمادت به المجاراة إلى محاسن الأعمال "[٢] .

الثالث : أن تكون عقائد الأمة وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها مبنية على البراهين القوية والأدلة الصحيحة وأن تتحامى في عقولهم مطابقة الظنون في عقائدها وتدفع عن تقليد الآباء فيها والإسلام يكاد يكون منفرداً بتقريع المعتقدين بلا دليل وتوبيخ المتتبعين للظنون .

الرابع : أن يكون في كل أمة طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة ، وطائفة أخرى على النفوس بتولي تهذيبها وتثقيف أولادها لا تني الأولى عن مكافحة الجهل وتنوير العقول

---

[١] – عقبات في طريق النهضة ، أنور الجندي ص٤٥ ، دار الاعتصام ، القاهرة ، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ص ٩٧.

[٢] - وهذا لا يكون إلا في الدين الإسلامي بعكس الأديان الأخرى ، فهو غير موجود فمثلاً البراهمة فيه نظام الطبقات ، والعنصرية في اليهودية وسلطة الرؤساء عند المسيحيين .

بالمعارف الحقة ، وتدأب الثانية على الكشف عن الاوصاف الفاضلة وحدودها ... ومن أهم أركان الإسلام نصب المعلم وإمامة المؤدب الآمر بالمعروف "[1].

تعقيب

لعلنا نلحظ فيما سبق من صنيع أنور الجندي من خلال استعراض مؤلفاته ورسائله حول هذه الفلسفة نجده لم يخرج عن ما كتبه جمال الدين الأفغاني في رسالته «الرد على الدهريين» فنجد أن دور الجندي اقتصر على تلخيصها دون الزيادة عليها مما جعله يقع في بعض الأخطاء التي وقع فيها جمال الدين فمثلاً الاختصار في الرد،بل نجده ناقش جميع الملل و لم يقتصر على المذهب الدهري وهذا يتضح من خلال المقارنة التي أجراها بين الإسلام وغيره على ضوء تلك المزايا[2].

- لم يذكر الجندي أقوالاً على معتقدات ومبادئ الدهريين .
- استخدم الجندي المنهج العقلي في نقده للدهريين ومع ذلك فمناقشته العقلية لم تكن كافية بل كانت مقتضبة .

(1) - اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ص٩٩.

(2) - انظر علم الملل ومناهج العلماء فيه ، للدكتور أحمد جود ص ٣١٩، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .

المبحث الثاني : الغنوصية وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: معنى الغنوصية .

المطلب الثاني : نشأتها .

المطلب الثالث : عقائدها .

المطلب الرابع : موقف الإسلام من الغنوصية.

المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الغنوصية .

المبحث الثاني
الغنوصيـــة

تمهيد

إن الفلسفة الغنوصية تعد من الفلسفات التي غزت جميع الأديان من أجل التوفيق بينها حتى كانت بمثابة التغريب والغزو الفكري في ذلك العصر الذي أصاب به الغرب اليوناني،الشرق وكثيراً من أفكارها كان لها تأثير كبير على الإسلام ومعتقداته وقد تعرض الجندي لها بياناً ونقداً،ولكن يحسن قبل أن نعرض موقف أنور الجندي من هذه الفلسفة ونقده لها نبين معناها ونشأتها ومصادرها وأهم عقائدها وأفكارها وهي كالتالي :

المطلب الأول: معنى الغنوصية :

اختلف الدارسون لهذا المذهب في تعريفه :

أ- فمنهم من عرفها :" مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين ، ويقوم على فكرة الصدور[1] ، ومزج المعارف الإنسانية بعضها ببعض،ويشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها،وفيه تلتقي الأفكار القبالية بالأفلاطونية الحديثة،وبعض التعاليم الشرقية ،كالمزدكية ، والمانوية ، وكان له أثره في التفكير الفلسفي في المسيحية والاسلام"[2].

ب- وعرفت بأنها:"التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا.أو هي تذوق تلك المعارف تذوقاً مباشراً بأن تلقى في النفس إلقاء فلا تستند على الاستدلال أو البرهنة العقلية "[3]

ج- وعرفت كذلك:"بأنها شيعية دينية فلسفية متعددة الصور تمثل ميول العصر خير تمثيل ، ويدل اسمها على مبدئها وغايتها .إن اللفظ اليوناني غنوسيس يعنى المعرفة فمبدؤها أن العرفان الحق ليس العلم بوساطة المعاني المجردة والاستدلال كالفلسفة ، وإنما هو العرفان الحدسي التجريبي الحاصل عن اتحاد العارف بالمعروف،وأما غايتها فهي الوصول إلى عرفان الله على هذا النحو،بكل ما في النفس من قوة حدس وعاطفة وخيال...والغنوصية صوفية تزعم أنها المثل الأعلى للمعرفة وترجع بأصلها إلى وحى الله منذ البدء وتناقله المريدون سراً ،وتعد مريديها بكشف الأسرار الإلهية وتحقيق النجاة "[4].

---

[1] - الصدور : يطلق في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على فيض الموجودات عن الواحد أو الحيز ؛ لأن الواحد عندهم يحدث العقل ، ثم يحدث النفس والعالم والموجودات الفردية على سبيل التتابع مرتبة بعضها فوق بعض . (انظر : المعجم الفلسفي ١/ ٧٣٤، د. جميل صليبا ، المعجم الشامل ،د. الحفني ص ٤٦٣).

[2] - المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ص ١٣٣، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة .

[3] - نشأة الفكر الفلسفي ١/ ١٨٦.

[4] - تاريخ الفلسفة اليونانية ، د. يوسف كرم ، ص ٢٤٤.

د- وعرفها الجندي بأنها :" مصطلح للفلسفة الشرقية التي كانت ذائعة قبل نزول الإسلام وتقوم في مجموعها على فهم بشري،يشكل نظرية مختلطة من عدة مذاهب وعقائد،معارضة كل المعارضة لمفهوم الإسلام والتوحيد القائم على أساس الفطرة"(1).

ويتضح من خلال تلك التعريفات أن الغنوصية مجموعة من التيارات الدينية والوضعية المحرفة التي تهدف إلى إيجاد حدس باطني نتيجة اتحاد العارف بالمعروف.

المطلب الثاني : نشأتها :

تشير المصادر إلى أن الغنوصية نشأت نتيجة حركة الشكاك وهم نفر استحوذ عليهم القلق في بيئتهم ، وهالهم ما كان من الاضطراب السياسي والمنازعات الدينية والاجتماعية ، فساورهم الشك في حياتهم الفكرية والنظم العقلية التي كانت سائدة في زمانهم ، فاضعفوا من قيمة البراهين العقلية في إدراك الحقيقة ، فرفضوا سلطة العقل ، وأمسكوا عن الفصل في الأمور ، وغلب عليهم التدين ، وزعموا أن إدراكهم للأمور مستمد من الحدس الباطني فهو طريق المعرفة الحقيقية ، وهم يتلقفونها من العالم العلوي . ثم ذهب هؤلاء الغنوصيون للتلفيق بين المذاهب الدينية والاجتماعية والفلسفية ، واستعانوا بالعقائد المصرية ، الهيلينية ، وبالديانات اليهودية والثنوية والنصرانية،و المذاهب الفيثاغورية والرواقية والإسكندرية(2) .

ونبَّه الجندي إلى أن الغنوصية كفكر نشأ من عصارة الديانات الشرقية والفلسفة اليونانية ،سواء كانت هذه المذاهب فارسية،وسريانية،وأفلاطونية،وفيثاغورية،وكان لهذه المذاهب اتصال بالمسيحية (النصرانية)،واليهودية،والزرادشتية،والمانوية(3).

ومال بعض الباحثين إلى أن الفكر الغنوصي ظهر منذ أن نشأ البحث في الوجود،فهي تتخذ من مبدأ الصدور منطلقاً لعقائدها التي تعتبرها أقدم عقيدة في الوجود ليس لها حد ولا نهاية(4) .

وذهب بعضهم إلى أن جذورها تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد وأن انتشارها كان في المدن الكبيرة مثل الإسكندرية وأنطاكية وروما ومدن آسيا الصغرى،وهي مدن تقع على

---

(1) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٣، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٦.

(2) - انظر: الغنوصية وموقف الإسلام منها، هدى المالكي ، ص ١٥-١٦ ، رسالة ماجستير ، بجامعة أم القرى ، غير منشورة .

(3) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥ ،مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٧٠

(4) - انظر: الغنوصية الشرقية وخطرها على الإسلام وأثرها على الفرق الإسلامية ، سعد خلف عبدالوهاب ٣٧. رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر،- فرع أسيوط - ، غير منشورة

الحدود بين الشرق المتأغرق وروما،ولكن ظل الشرق مركز جاذبيتها الثقافية،وكذلك زعماء الغنوصية الذين ظهروا في الريف كان كل نشاطهم في المدن،وعلى علاقة وثيقة بها[١].

المطلب الثالث : عقائدها :

تقوم الغنوصية على ركائز ومفاهيم متباينة الأصول مما يجعلها مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة والدين ومن هذه العقائد والمفاهيم ما يلي :

أولاً:عبادة إلهين اثنين أحدهما:النور والآخر:الظلمة،وإقامة الوجود على أصلين أو إلهين:إله خير،وإله شر[٢]،ولذلك أصبحت الثنائية عنواناً على الغنوصية كما هي في الديانات الفارسية المتأخرة التي عرفت عند المسلمين باسم المجوس[٣].

ثانياً:عبادة النار وتقديسها [٤].

ثالثاً:تجسيد الإله فجميع الفرق الغنوصية تؤمن بإله مخلص ، يهبط من السماء لتخليص البشر من شرور الحياة ،ويسير على الطريق الذي سار فيه الشر ، ثم يموت وينهض من الشر[٥] .

رابعاً:إنكار البعث والجزاء والجنة والنار[٦].

خامساً:التأويل والقول بأن للقرآن ظواهر وبواطن وأن الظواهر تجري مجرى القشر من اللب[٧].

سادساً:القول بفكرة الصدور.وقد أطلق الغنوصيون على هذه الموجودات الصادرة عن الواحد اسم(الأيونات[٨]أو الأركنة)وهي وسطاء بين الله والمادة فالشقة بين الله والمادة بعيدة تمام البعد،فكان لا بد أن تملأ بوسطاء.. بأزواج من الأيونات،تزداد كثافة كلما بعدت عن الله،وتقل كلما اقتربنا منه..وعلى النفس أن تجتاز كل الأيونات أو العوالم أو الأراكنة كما

---

(١) - انظر:موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،د. عبدالوهاب المسيري ٥/ ٣٨ بتصرف يسير،دار الشروق ،القاهرة ،ط الأولى،عام ١٩٩٩م .

(٢) - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفة القديمة ص ١٠٦.

(٣) - انظر :نشأة الفكر الإسلامي ١/ ١٨٧ ،موسوعة الفلسفة لبدوي ٢/ ٨٨،التصوف والتفلسف الوسائل والغايات،ص ٤٨ .

(٤) - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٠٦، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٦٩ ، الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٣.

(٥) - انظر:التيارات الفكرية دراسة وتحليل،د.أحمد السايح،د.سامي عفيفي ،ص ٣١،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،ط الأولى،عام ١٤١٥هـ.

(٦) - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٣٩ .

(٧) - انظر: المصدر السابق ص ١٣٨.

(٨) - الأيونات : مفردها أيون ، وتعني باللغة اليونانية دهراً أو عصراً ، ولكنها في الميثولوجيا الغنوصية تدل على فلك وقوة روحانية ، تقع في نقطة الوسط بين الفكرة والشخصية،وهي تعني القوى الأزلية الصادرة عن مبدأ الموجودات عند الغنوصيين. (انظر: الوجه الآخر للمسيح،ص ١٥٤، المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ص ٢٤).

يسمون أحياناً. تفعل هذا بالغنوص أو بالكلمة أو بروح القدس حتى تعود ثانية إلى الله[1].

سابعاً:العرفان وهو العلم بأسرار الحقائق الدينية [2]، والإنسان عندهم يستطيع أن يبلغ بهذه المعرفة التامة فيحل المشكلات جميعاً ،ويفهم كل شئ عندما يهبط على قلوبهم إشراقاً أو وحياً دون واسطة ، ودون معلم[3] .

ثامناً:القول بوحدة الوجود والحلول[4] .

تاسعا:أن الروح تلحق ببارئها بعد مفارقة البدن،وتستطيع الاتصال بالحق تعالى في هذه الحياة الدنيا أحياناً بواسطة الوجد،كما يعتبر الغنوصيون الإلهام والكشف والوحي الطريقة الوحيدة لبلوغ درجة الكمال والمعرفة التامة[5].

عاشراً:استباحة المحرمات والدعوة إلى شيوعية النساء والأموال،وإباحة نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول [6].

الحادي عشر:رفض الذبائح،ورفض إراقة الدماء،والزهد في أكل اللحوم،وعدم مس الماء الطهور [7].

المطلب الرابع :موقف الإسلام من الغنوصية :

إن الإسلام بعقيدته الصافية الواضحة نجده لا يقر أبداً ما عليه هذه الفلسفة من مبادئ و أفكار تخالفه تماماً.ومن هذه المخالفات التي يتضح من خلالها رأي الإسلام فيها :

١ – أن الإسلام دين سماوي أنزله الله تبارك وتعالى وارتضاه لخلقه في الأرض إلى قيام الساعة،ولا يقبل الله من أحد ديناً سواه .بينما الغنوصية نحلة وضعية قامت على التلفيق بين الأديان والفلسفة . كما أن الإسلام هو الدين الخاتم ، ولذلك فالرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين قال لله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ٤٠] ، فالوحي انقطع بانقطاع النبوة ، أما الغنوصية فترى أنها هي الديانة العالمية لكل البشرية،وأنها أقدم وحي أوحى الله به، وينتقل

---

(1) - انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/ ١٨٧، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٤٦.

(2) - المعجم الفلسفي ٢/ ٧٢.

(3) - انظر : التصوف والتفلسف الوسائل والغايات ص ٤٧، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص ٢٤.

(4) - انظر: الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٠٦.

(5) - انظر : تاريخ التصوف في الإسلام ص ٢١٥.

(6) - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٠٦ ، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٦٩

(7) - انظر: الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٠٦ ، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٦٩ .

من طبقة إلى أخرى،ولا يكف انتقاله ولا ينتهي فهي الوحي المتجدد و الفيض الذي ينبعث دائماً من الملأ الأعلى وعليه فالنبوة عندهم مستمرة .

٢- كما أن الإسلام يقر بوحدانية الله فهو الخالق لهذا الكون كله،بينما ذهبت الغنوصية إلى أن للكون أصلين قديمين نور وظلمة .

٣- لقد قرر الإسلام أن الله متصف بصفات الكمال،وأنه موجد الخلق من العدم؛لا أنهم صدروا منه عن طريق الفيض كما قالت الغنوصية ويبني على قولها بالصدور أن الخلق لم يوجدوا من العدم بل لهم صفة القدم كخالقهم ، وأن الإله الأعلى لا يتصف بأي صفة .

٤- أن الإسلام أثبت بشرية الأنبياء والرسل والبشر وأنهم لا يصلون إلى درجة الألوهية أو العبودية ، بينما ترى الغنوصية أن بعض البشر يصلون إلى مرتبة الألوهية فتضفي عليهم طابع القداسة والعبودية ؛ لأن الإله قد تجسد فيهم .

٥- لقد فرض الله على المسلمين شرائع وفروض أمرهم بها وندبهم إليها وتعتبر الحد الفاصل بين الإسلام وأهله ومن حاد عنها وردها عُد من أهل الكفر والزندقة ، بينما الغنوصية ألغت هذه التكاليف وأسقطتها وأباحت ما حرم الله .

٦- طرق المعرفة في الإسلام الحواس والعقل والوحي كما أن الحواس والعقل قاصرة في بعض جوانب المعرفة كمعرفة صفات الله واليوم الآخر ، فالوحي أعم تلك الطرق وأشملها وأصدقها وأثبتها ، بينما الغنوصية ترى أن الغنوصية الإشراقية هي الطريق الوحيد للحصول على المعارف العليا[1] .

ولاشك أن الغنوصية بهذه الأفكار والمعتقدات نجدها تطابق في كثير من عقائدها ومبادئها ما هو موجود عند الباطنية وبالتالي فهي خارجها عن دائرة الإسلام؛لأنها أنكرت ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الغنوصية :

لقد وقف الجندي من الغنوصية موقفاً معارضاً لكل أفكارها ومفاهيمها وعقائدها ونبَّه إلى أنها تعارض مفهوم التوحيد معارضة تامة فقال:"فهي في مجملها تخالف الإسلام والدين المنـــزل بصفة عامة في أنها تفرض منهجاً للمعرفة قائماً على الكشف والمشاهدة

---

[1] - انظر : الغنوصية وموقف الإسلام منها ص ٥٧٥ - ٥٧٧بتصرف .

والذوق وهو منهج ناقص[١] في مفهوم الإسلام الذي يجمع بين العقل والقلب في إطار الوحي وعلى قاعدة التوحيد ، أما منهج الكشف والذوق التي عرفته الغنوصية فقام على أساسه الإشراق ودخل في نطاق كل الدعوات الباطنية فإنما تتصل أساساً بمفهوم المجوسية القديم ويرتبط بالنتائج والاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، وكلاهما يعارض مفهوم الإسلام"[٢].

ويتضح موقف الجندي من الغنوصية من خلال ما يأتي :

أ- بيانه لأثر الغنوصية في العالم الإسلامي :

لقد كان الجندي يدرك تماماً مدى تأثير هذه الفلسفة على الفرق الباطنية والتصوف الفلسفي مما جعله يجتهد في بيان وكشف هذا التأثر فقال :" وقد نشأت بعد الإسلام من خلال مفاهيم الغنوصية فلسفات أبرزها الدعوة الباطنية التي تشكلت في دعوات القرامطة والحشاشين[٣] ، وبعض الفرق الغالية من الشيعة ، وبعض دعاة التصوف الفلسفي [٤] ، وكلها حاولت أن تخضع الإسلام لمفاهيم الفكر البشري ، أو تخرج الإسلام من مفاهيم التوحيد ومنهجه الرباني الفطري الأصيل " [٥].

ويقول :" والدعوة الباطنية مؤسسة على مفاهيم الغنوصية التي لها تقارب واضح ، وأصل متصل باللاهوت اليوناني والطبيعيات الإغريقية ، وقد استخدموا مصطلحات الفلسفة اليونانية وأفكارها وعقائدها في أدبهم "[٦].

بين الجندي أن القرامطة من أكثر الفرق الباطنية تأثراً بالغنوصية فقام ببيان تلك العلاقة حيث قال:" إن محاولة هذا الفكر لم تلبث أن دخلت في عديد من محاولات العمل بالتآمر على هدم الجماعة الإسلامية وإقامة جماعة الفكر البشري الوثني الغنوصي،وقد تعددت هذه المحاولات في تاريخ الإسلام وكانت أبرزها حركة القرامطة التي تعد ثمرة حقيقية لانتفاضة الفكر البشري في قلب الإسلام ، وقد كشفت التجربة بعد الوقت الطويل

---

[١] - لا يقبل من الجندي رحمه الله وصف منهج الغنوصية القائم على أساس الكشف والمشاهدة والذوق بالنقص ، فإن كلامه هذا يعني إقراره للاسأس ، وأنه يحتاج إلى تكميل ، بينما الصحيح أنه منهج مرفوض تماماً في الإسلام وبعيد كل البعد عنه .

[٢] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٣٦.

[٣] - الحشاشون : فرقة إسماعيلية سرية أسسها الحسن بن الصبّاح في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد ، فعاثت في الديار الإسلامية فساداً ، وكان مقرها قلعة أَلَموت بإيران ، قضى عليهم هولاكو في فارس ثم المماليك في سوريا . (انظر : موسوعة المورد العربية ٢/ ٤٣٣- ٤٣٤) .

[٤] - مثل : الحلاج ، ابن عربي ، السهروردي ، ابن سبعين ، وابن الفارض وغيرهم .

[٥] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٠٦.

[٦] - المصدر السابق ص ١٠٧.

عن عجزها عن تحقيق أي ثورة أو نهضة أو إصلاح ودفعت القائمين بها بالفشل ورسمت نموذجاً حياً واقعاً عن فساد أي تجربة تخرج عن أصول الإسلام وجوهر قيمه "[١].

ونبّه الجندي إلى أثر الغنوصية على التصوف الفلسفي وأوضح أن التصوف الفلسفي لم يستق معرفته من القرآن الكريم ولا من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ،بل من مصادر أجنبية منها الفلسفة الغنوصية؛ فلذا نجده يقول : " كان للفكر الغنوصي أثره البعيد المدى في مفاهيم النسك والإيمان ومفاهيم الزهد والتصوف، ذلك أن المعاني والأصول التي قام عليها الرسول ﷺدعاة النسك والزهد الإسلامي ، إنما استمدت أصولها الأولى من القرآن الكريم و ، ومن مناهج التربية الإسلامية الأصيلة – غير أنه لم يمض غير قليل بعدﷺ من سيرة الرسول أن ترجمت الفلسفات اليونانية ، والفارسية ، والهندية ، حتى دخلت إلى هذه المفاهيم القرآنية الأصلية تفاسير زائفة ، وقيم وافدة من حواشي الفكر البشري الوثنية والهيلينية أو الإشرافية الغنوصية ، وكان أبرز هذه المفاهيم الوافدة وحدة الوجود والاتحاد والحلول والإشراق "[٢].

ويرد الجندي على هذا التأثر برد إجمالي ،فيقول :" وقد تأثر التصور الصوفي بمفـــاهيم الغنوصية والفلسفات اليونانية والهندية والمسيحية عليه ، وكلها خارجها عن مفهوم التوحيد الخالص ، وبعيدة عن التصور الإسلامي ، وقيم الإسلام الأصلية " [٣].

كذلك يقول : " ليس من مفهوم الإسلام الأصيل تلك التعبيرات الغامضة التي استخدمتها هذه الفلسفات كالقول بالحقيقة الوجودية [٤] والحقيقة المحمدية [٥] وهي نظريات وافدة من البرهمية والأفلاطونية وهو تقسيم لم يعرفه المسلمون الأولون ، وهو مستمد من الفكر البشري الوثني الغنوصي "[٦].

وقد فصل الجندي كثيراً في نقد تلك المفاهيم كوحدة الوجود ، والحلول والاتحاد ،و سبق أن تحدثنا عنها في التصوف الفلسفي[٧] .

ب- نقده للغنوصية :

---

[١] - المصدر السابق ص ١٢٤.

[٢] المصدر السابق ص ١٢٦.

[٣] المصدر السابق ص ١٢٦ .

[٤] - الحقيقة الوجودية : تعرف بأنها تطابق الشيء مع الفكر . (انظر : المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ص ٣٠٦) .

[٥] - الحقيقة المحمدية : هي الذات مع التعين الأول ،وهو الاسم الأعظم. (انظر:التعريفات للجرجاني ص٢٩،معجم مصطلحات الصوفية ص ٧٩)

[٦] الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٢٨- ١٢٩

[٧] - انظر ص ١٠٩-١١٧ من الرسالة .

ومن الدلائل على وقوف الجندي في مواجهة هذا الفكر ما قام به من تفنيد عقائد ومفاهيم الغنوصية وإبطالها ومن أهمها :

١- أنَّ الله سبحانه وتعالى له صفات ثابتة استحقها لذاته ، وأنَّ الحوادث كلها لابد لها من محدث ،وهو قديم لم يزل،وليس له صورة ولا أعضاء،ولا يحويه مكان،ولا يجري عليه زمان ، ولا تلحقه الآلام واللذات ، وهو غني عن خلقه،وأنه واحد أحد،والله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ بالاختراع من العدم وعلمه واحد يعلم به الموجودات بتفاصيلها من غير حس ،ولا بديهة،ولا استدلال ،وسمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات ... والله سبحانه حي بلا روح،ولا اغتذاء .

٢- العبد مكتسب لعمله،والله خالق لكسبه،والإنسان يصح منه اكتساب الحركة والسكون والإرادة والقول والعلم والفكر،ولكنه لا يصح منه اكتساب الألوان والطعوم والروائح والإدراكات ... وإذا أكل أحد شيئاً أو شربه فإنه تناول رزقه حلالاً أو حراماً.ولو أن الله كلف خلقه فوق ما كلفهم من العبادة والأعمال والمشقات ، أو خلقهم كلهم في الجنة ،أو لم يخلقهم البته ، أو خلق الحيوان فقط ، أو خلق الجماد أو النبات دون البشر لكان ذلك كله عدلاً منه ، و لا يعد خروجاً على الحكمة ؛ ذلك لأن الله وحده له الأمر والنهي والقضاء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

٣- إثبات الرسل من الله إلى عبادة ، فمن نزل عليه الوحي من الله على لسان ملك ، وكان مؤيد بنوع من الكرامات الناقضة للعادة ، فهو نبي والرسل كثيرون أولهم أدم وأخرهم محمد – عليه الصلاة والسلام – وكل مدع للنبوة أو الألوهية لنفسه أو لغيره كافر . والأنبياء أفضل من الملائكة ، وكل نبي أفضل من أولياء أمته .

٤- الإسلام بنى على خمس :شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . فمن أنكر واجباً من هذه كان كافراً. ومن تأول المحرمات سواء حللها لنفسه على وجه من الوجوه ، أو حجة من الحجج كان كافراً .وأصول أحكام الشريعة الكتاب والسنة وإجماع السلف فمن أنكر هذه وقال : إن العلم يؤخذ من الإمام وحده فهو كافر.

٥- أن الله يعيد في الآخرة الناس والحيوانات التي كانت في الدنيا ، وسيخلق لهم الجنة والنار[١]، ثم إن عذاب القبر ، والحوض والصراط ، والميزان حق .

٦- أن المعرفة وإثبات الحقائق تكون بالحس والبداهة والاستدلال والوحي والخبر والإجماع[٢].

لقد اجتهد الجندي في بيان المواجهة الإسلامية لهذا الفكر الغنوصي ،وكيف أن الإسلام واجه الغنوصيات في البلاد التي دخلها كالعراق،وفارس،ومصر،وكانت من أخطر تلك النحل والفلسفات إذ أنها جالدته بالسيف والقلم ، وقد من الله تعالى على هذه الأمة بعلماء كان مسلكهم في الفكر والمعرفة هو منهج الصحابة والتابعين وسلف الأئمة المجتهدين وسادة المجددين ، ممن كانوا معدن السنة وحماة العقيدة ، وهم من جددوا الدين حقاً ، وبعثوا الفكر والمعرفة صدقاً ، فكانوا حراس ثغور العلم والفكر،كما كان المجاهدون وأمراء الفتوح حراس حمى الإسلام وثغور السياسة والسلطان [٣] ، فاستطاعوا أن يواجهوا هذا الفلسفة ، ولذلك يقول الجندي : " ولقد استطاع مفهوم أهل السنة والجماعة أن يعارض الغنوصية ويطاردها مطاردة صحيحة على مختلف المستويات العلمية والاجتماعية ، من حيث أنها تتعارض تعارضاً كلياً على مفهوم الإسلام القائم على التوحيد "[٤].

ويقول :" ولقد واجه المسلمون هذه الدعوة وأولوها اهتماماً كبيراً وصححوا مفاهيمها ، وكشفوا عن دخائلها التي تسربت إلى التفسير والحديث .وقاوم العلماء الغنوصيات والأفلاطونيات في مختلف فروع العلوم ، وقاوم المتكلمون الأوائل الطوائف الغنوصية مقاومة عنيفة .وأقام الفقهاء باباً في الفقه يحدد العلاقة بين المسلمين وهذه الفرق ويحرمون نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم [٥].

---

[١] - هذه العبارة خلاف ما عليه أهل السنة من أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن . وأدلة أهل السنة على ذلك مستفيضة منها قوله تعالى عن الجنة: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣)﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (الحديد: ٢١) . وعن النار: ﴿ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣١) . ومن السنة ما ورد في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ، قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» رواه البخاري ،كتاب الجنائز ، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ،رقم الحديث ١٣٧٩ ، ص ٢٦٧، ومسلم ،كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه ،رقم ٢٨٦٦،ص ١١٤٩ .والظاهر أنه قالها غير متنبه لدلالة هذه النصوص ، فمنطلقه غير منطلق أهل البدع الذين يعترضون على هذه النصوص بأن وجود الجنة والنار قبل البعث والجزاء مخالف للحكمة .

[٢] - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ١٤١-١٤٥بتصرف

[٣] - تجديد الفكر الإسلامي ،د. الحسن العلمي . ص ٧٣ ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط الأولى عام ١٤٢٤هـ .

[٤] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص١٠٦ بتصرف .

[٥] - المصدر السابق ص ١١١ .

وينبه الجندي إلى أن مواجهة الإسلام لهذه الفلسفة انطلقت من أساس مهم وهو أن الغنوصية تخالف التوحيد الإسلامي تماماً فلذا تجده يقول: "فهي في مجملها تخالف الإسلام والدين المنـــزل بصفة عامة في أنها تفرض منهجاً للمعرفة قائماً على الكشف والمشاهدة والذوق وهو منهج ناقص في مفهوم الإسلام الذي يجمع بين العقل والقلب في إطار الوحي وعلى قاعدة التوحيد ، أما منهج الكشف والذوق التي عرفته الغنوصية فقام على أساسه الإشراق ودخل في نطاق كل الدعوات الباطنية فإنما تتصل أساساً بمفهوم المجوسية القديم ويرتبط بالنتائج والاتحاد والحلول ووحدة الوجود ، وكلاهما يعارض مفهوم الإسلام"[(1)] .

ويستمر الجندي في ذكر تلك المواجهات القوية لصد ذلك التيار الغنوصي فيقول : " واستطاعت العقيدة الإسلامية بأصالتها وصلابتها أن تدحض زيف الغنوصية وتعاليمها الباطلة وكشف أهدافها الرامية إلى تدمير الإسلام،ولقد عرض العلماء المسلمون الشبهات الباطنية والغنوصية في أسلوب علمي ومنهج قرآني خالص ، وتخصص كثير منهم في الانكباب على منهج واحد للقضاء عليها نهائياً.فانصرف «واصل بن عطاء» إلى مناقضة إلحاد «بشار بن برد» ، وألف كتاباً فيه ألف مسألة للرد على المانوية ، وجادل «أبو الهذيل العلاف» الشاعر «صالح عبدالقدوس» ، وألف «الحسين بن عثمان الخياط» كتاب الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد فيما قصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم ، وكان القاضي «أبو بكر بن العربي» من أبرز من تنبه لأخطاء الزنادقة والرد عليهم . وقد دعا إلى اليقظة، وأنحى باللائمة على المؤرخين،وحذر الناس مما يكتبون،ووصفهم بأنهم يشوهون الحقائق ويطمسونها في أغلب الأحيان ، وأكثرهم لم يتوفر على الأمانة العلمية ، وقد أعلن عداءً صريحاً لمن خلطوا بين الدين والفلسفة،وتعرض في كتابه «العواصم من القواصم » إلى الفلاسفة السفسطائين والطبائعيين والإلهين،وناظر الباطنية،والحلوليين،وأرباب الإشارات من غلاة الصوفية،وظاهرية الأحكام،والفرق التي أظهرت بغضها للأشخاص باسم الإسلام .

وكتب «أبو الفرج الجوزي» في كتابه « تلبيس إبليس » فكشف كثيراً من شبهات الغنوصية والباطنية.وكشف «ابن الجوزي» عن أن المزدكية والخرمية [(2)] والبابكية[(3)] حركة

---

(1) - المصدر السابق ص ١٣٦.

(2) - الخرمية: هم امتداد للديانة الفارسية القديمة "المزدكية" الأولى، وهم الذين زادوا في انحراف التشيع، ولذلك قال النوبختي الشيعي : ومنهم كان بدء الغلو في القول حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وإنهم أنبياء وإنهم رسل، وقالوا بالتناسخ وإبطال القيامة . (انظر: فرق الشيعة للنوبختي ، تحقيق د. عبدالمنعم حفني ص٤٧ ، دار الرشاد ،القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٢هـ ، الفهرست لابن نديم : ص ٣٤٢-٣٤٤، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، ص٢٢، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٩٧٧م).

(3) - البابكية : نسبة إلى بابك الخرمى وهي فرقة من فرق الغنوصية . (انظر : فضائح الباطنية ص ١٤).

واحدة. وذكر إن فكرة التأويل مانوية ، وأن فكرة الحلول والرجعية والتناسخ من آراء الغلاة ، وأن الثنوية من تعاليم مزدك الداعي إلى استباحة الأموال والأعراض [1].

يقول:"وقد واجهت العقيدة الإسلامية الصلبة هذه الشبهات جميعها بالنقض نقضاً يقوم على أساس العقل وعلى أساس الفطرة في نفس الوقت فاندحرت هذه المذاهب وفشلت في أن تحقق شيئاً،وانتصر الإسلام على المجوسية،وانطوت المجوسية واعتنق معظم أهلها الإسلام .

وقدم الإسلام في مواجهة الباطنية نماذج من الأعلام والفقهاء والثقات الأبرار من أمثال:«عبدالله بن المبارك »،و«سفيان بن عيينة »،و«سفيان الثوري»،و«الفضيل بن عياض » وغيرهم،هربوا من الأمراء ورفضوا المناصب وعاشوا نماذج للتقوى والورع ، فأعطوا نماذج للتطبيق الإسلامي الصحيح .

كما واجه «ابن حزم»،و«الشهرستاني»،و«ابن تيمية»،و«ابن القيم»،و«الغزالي» هذه النظريات وكشفوا زيفها.ومن خلال الرد على هذه الشبهات تشكل مفهوم أهل السنة والجماعة وتوضحت عقيدة الإسلام الناصعة الخالصة من شوائب الوثنية والإلحاد والأثنينية "[2].

[1] - الاسلام في مواجهة الفلسفة القديمة ص ١٣٧-١٣٨.

[2] المصدر السابق ص١٤٠ .

« تعقيب »

لقد كانت جهود أنور الجندي في نقد الغنوصية واضحة وقوية ، حيث أظهر أن الغنوصية هي ما يمثله الفكر الباطني ، وأن الباطنية التي حدثت في الإسلام ما هي إلا صورة جلية من الباطنية القديمة الغنوصية ونجد أن الجندي اهتم بما يلي :

١ -أوضح الجندي معنى الغنوصية .

٢ -اهتم الجندي بذكر معتقدات وأفكار الغنوصية .

٣ -اعتمد الجندي في نقده على الغنوصية على كتب أصيلة وأساسية مثل كتاب الفرق بين الفرق ، وكتاب تلبيس إبليس ، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار[١] .

٤- لم يهتم الجندي بنقد تلك الأفكار والمعتقدات بإدلة من القرآن والسنة ،وكان اعتماده على الجانب العقلي .

٥- ذكر الجندي أن المعتزلة استطاعت أن تدافع عن الإسلام وأن تجادل الخصوم من الفلاسفة ومنكري الأديان والثانوية ولا شك أن هذا فيه ثناء ومدح لأهل الكلام كما أن صنيعهم هذا لا يعد من المواجهة الصحيحة فإن المعتزلة لما أخذوا في الرد على هؤلاء بمنهج كلامي فلسفي نجدهم تأثروا كثيراً بمقالاتهم ، والأولى أن يذكر الجندي ما ورد من ردود عن أهل السنة والجماعة والسلف الصالح وذلك لمعرفتهم للأدلة العقلية والحجج المنطقية أمثال الإمام أحمد في الرد على الجهمية والشافعي في محاورته لحفص الفرد [٢] ، بل إن الصحابة مثل ابن عباس رضى الله عنهما في مناقشاتهم للحرورية [٣] لم تخل من نظر عقلي وغيرهم كثير كأبي حنيفة عندما استدل على الملاحدة بالبراهين والحجج العقلية ، كما أن القرآن قد حث كثيراً على النظر العقلي ولفت الأنظار إلى الحجج العقلية وجداله مع أهل الأديان الأخرى وأدلته العقلية واضحة .

---

[١] - هو أبو محمد علي سامي بن أمين النشار ، ولد في القاهرة سنة ١٩١٧م . درس بجامعة القاهرة ،ونال درجة الماجستير منها ، ثم عمل بجامعة الإسكندرية فترة ، ثم سافر في بعثة علمية لجامعة كمبردج ليحصل على الدكتوراه منها . وعاد إلى مصر ودرس بجامعة الإسكندرية وقد انتدب إلى عدة جامعات عربية .وتوفي سنة ١٩٨٠م بالقاهرة . من كتبه : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ونقد المسلمين للمنطق الأرسطي ، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ونشأة الدين . (انظر : د. علي سامي النشار وموقفه من الفرق عرض ونقد ، للطالب : أبو زيد بن مكي ١/ ٢٣وما بعدها ، رسالة دكتوراه ، بجامعة أم القرى ، غير منشورة) .

[٢] - حفص الفرد: مبتدع قال النسائي: صاحب كلام لا يكتب حديثه وكفره الشافعي في مناظرته. (انظر لسان الميزان ١/ ٣٤٢).

[٣] - الحرورية : اسم يطلق على الخوارج في عهد علي ، نسبة إلى حروراء : موضع قرب الكوفة ، نزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش علي ﷺ . (انظر : البداية والنهاية ٧ / ٢٧٨- ٢٨٠ ،معجم البلدان ٢/ ٢٤٥) .

المبحث الثالث : الفلسفة اليونانية وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: **مفهوم الفلسفة لغة واصطلاحاً .**

المطلب الثاني : مراحل نشأة الفلسفة.

المطلب الثالث : عقائد الفلاسفة .

المطلب الرابع : موقف الإسلام من الفلسفة .

المطلب الخامس : موقف أَنور الجندي من الفلسفة اليونانية .

المبحث الثالث

الفلسفة اليونانية (الهيلينية)

المطلب الأول: مفهوم الفلسفة لغة واصطلاحاً :

أ- الأصل الاشتقاقي لكلمة الفلسفة :

الفلسفة :كلمة يونانية ، أصلها : فيلا سوفا ، فهي مركبة من كلمتين هما : فيلا،وسوفا .

وكلمة فيلا تعني :مُحِب ، وسوفا : الحكمة . فمعناها :محبة الحكمة[١] .

ب- تعريف الفلسفة في الاصطلاح:

عرفت الفلسفة بعدة تعاريف :

أولاً : عند اليونان :

١- وقد عرف سقراط الفلسفة أنها: البحث بوساطة النظر العقلي عن حقائق الأشياء ، وعن الخير والفضيلة[٢] .

٢- تعريف أرسطو لها بأنها: البحث عن علل الأشياء ومبادئها الأولى أو هي العلم الذي يبحث في الوجود من حيث هو وجود[٣].

ثانياً : في العصور الوسطى :

١- يري الفارابي أن الفلسفة هي : العلم بالموجودات بما هي موجودة [٤].

٢- وعرّفها ابن رشد بأنها: النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع[٥] .

ثالثاً : في العصور الحديثة :

١- عند بيكون الفلسفة هي : المعرفة الإنسانية المكتسبة بالعقل [٦].

٢- وعرفها ديكارت بأنها : البحث عن الجواهر الأساسية الثابتة ، والمبادئ الأولى للكائنات[٧] .

---

[١] - انظر : القاموس المحيط ص ١٠٦٢،المعجم الفلسفي ،د. جميل صليبيا ٢/ ١٦٠ ،مدخل إلى الفلسفة ، د. أحمد السيد رمضان ،ص ٨٢، مكتبة الفيصليه ، مكة المكرمة ،ط الثانية ، عام ١٤٢٦هـ .

[٢] - انظر : المدخل إلى الفلسفة ص ٨٩.

[٣] - أرسطو المعلم الأول ، لماجد الفخري ص ٢١ .

[٤] - انظر : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، د. محمد عبدالرحمن مرحبا ١/ ٣٧٧، دار عويدات ، بيروت ، عام ٢٠٠٧م .

[٥] - انظر: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص١١.

[٦] - انظر : الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب ص ١١.

[٧] - انظر : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

٣- وقد ذكر الدكتور جميل صليبا[1] أن الفلسفة هي : :" العلم المحيط بالحقائق الكلية في جمالها المطلق ، والعمل على تهذيب النفس الإنسانية ، وتحقيق جمالها وكمالها وخيريتها بطريق التأمل ، وهو طريق التفكير في الإنسان والطبيعة والكون والإله"[2] .

وذهب الجندي إلى أن الفلسفة :" إنما هي محاولة لوضع تصور وهمي وخيالي للجوانب الغيبية التي قررتها الأديان المنـــزلة من الإلوهية والغيب والوحي والبعث،ومن أحكام تحدد العلاقة بين الخالق والمخلوق وبين الإنسان والمجتمع "[3].

أما كلمة (هيلينية) فهي تعني عدة معانٍ منها : الحضارة اليونانية في أوسع اشتهارها ، وكثيراً ما عدها اليهود والمسيحيون معارضة لإيمانهم [4].وقيل إنها الحضارة الإغريقية [5] . وقيل يقصد به الزمن الذي كان فيه التفلسف الغربي وقفاً على الحضارة الإغريقية [6] .

وتعني كذلك روح وفكر العصر الهيليني ، وهو العصر الذي يقع بين خروج الإسكندر الأكبر من اليونان لغزو العالم (٣٢٣ق.م) حتى سقوط الممالك اليونانية على يد الدولة الرومانية (٣٠.م) ، وتختلط فيه الفلسفات اليونانية بالمعتقدات والأفكار غير اليونانية لشعوب آسيا الوسطى والبحر الأبيض[7] .

وبين الجندي حقيقة هذه الفلسفة وتاريخها بقوله :" الهيلينية تيار ثقافي وحضاري له سمات محددة في الفلسفة والمعمار والفنون والدين وقد دأب مفكرو الغرب على ربط الهيلينية في مقابل النزعة العبرانية الأولى التي وصفوها بالحسية التلقائية والثانية بالعقلانية .. ويرى المؤرخون المحدثون أن الهيلينية أنتجت تراثاً عقلانياً أصبح سنداً للدين المسيحي (النصراني) ، ثم أداة للفلسفات الدينية كلها التي لا تقل عن تراث الهيلينية الحسي أو التلقائي. فهي أي الهيلينية التي نظمت الفلسفة في الحقيقة وقسمتها إلى منطق وأخلاق وطبيعة ، وهي التي جعلت الأخلاق أعظم موضوعات الفكر الإنساني ، وجعلت السعادة الإنسانية هدفاً للتفلسف . ومن هنا فإن المدارس الأربع العظمى للفلسفة الهيلينية تضم ثلاث مدارس يمكن

---

[1] - هو جميل بن حبيب صليبا ،فيلسوف أديب،من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق .ولد في قرية القرعون من قرى البقاع في لبنان سنة ١٣١٩هـ،حصل على الدكتوارة من جامعة السوربون،مات سنة ١٣٩٦هـ،من كتبه :المعجم الفلسفي،من أفلاطون إلى ابن سينا .(انظر : ذيل الأعلام لعلاونة ص ٥٨) .

[2] - تاريخ الفلسفة العربية ، د.جميل صليبا ،ص ٢٣، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ط الثالثة ،عام ١٤١٥هـ .

[3] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٤٧٧، الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية ص١٦١.

[4] - معجم الإيمان المسيحي ، اختيار الأب صبحي حمودي اليسوعي ص٥٢٧، دار المشرق ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٩٨م .

[5]- المورد منير البعلبكي ص٤٢١ .

[6] - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . د. محمد البهي ص ٩٤ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط السادسة عام ١٤٠٢ هـ .

[7] - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ٩١٤.

أن تسمى دينية وهي:"الأكاديمية [1]،الرواقية[2]،مدرسة المشائين[3] "[و] مدرسة واحدة حسية بالمعنى الوثني (الأبيقورية) [4] على الرغم من صراع الشك الأكاديمي من اليقين العقلي الذي سعى إليه سقراط وأتباعه من الرواقيين،فإن الهيلينية الإسكندرية هم الذين أصلحوا بين الاتجاهين وقتلوا الروح الهيلنية في القرنين الأخيرين قبل الميلاد ومهدوا لانتصار المسيحية (النصرانية) فيما بعد.وحضارياً انتشر التأثير الهيليني شرقاً وجنوباً ليشمل كل إمبراطورية الأسكندر حتى وصل فارس والهند"[5].

والملاحظ أن الجندي لم يكن مقصوده من التسمية عصراً معيناً من عصور الفلسفة وإنما مراده الفلسفة اليونانية بكل أفكارها ومعتقداتها ومراحلها الفلسفية .

المطلب الثاني :مراحل نشأة الفلسفة اليونانية:

يمكن تقسيم مراحل تكون الفلسفة اليونانية إلى ثلاث مراحل[6] هي كالتالي :

المرحلة الأولى «النشوء والنمو»:

ويمثلها مدارس الطبيعيين الأول[7]،والمدرسة الإيلية [8] والفيثاغورية [9]والمدرسة الذرية[10]،وهذه المرحلة تميزت بنظرة فلاسفتها إلى البحث عن نشأة العالم وتكوين عناصره،وامتازت كذلك باتجاه الفكر إلى مناهج الجدل وأصول الأخلاق .

المرحلة الثانية « النضج والينوع »:

(1) - من مدارس الفلسفة اليونانية وهي بعد سقراط ،وقد انقسم تاريخها إلي الأكاديمية القديمة لأفلاطون،والمتوسطة لأرسيسيلاوس (نحو ٣١٥- ٢٤١ق.م) وقرنيادس (٢١٤- ١٢٩ق.م) ،والمحدثة لفيلون (نحو سنة ١٠٠ق.م) (انظر:المعجم الشامل لمصطلحات ص ٧٥٦) .

(2) - هي من مدارس الفلسفة اليونانية،وقد أسسها الفيلسوف زينون (٣٤٠- ٢٦٥ق.م) وسميت بذلك لأن مؤسسها أنشأ مدرسته في رواق (انظر : المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص٧٥٦ ، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١٥) .

(3) - هي من مدارس الفلسفة اليونانية وهي التي أقامها أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ق.م) ، وكان مكانها اللوقين . وسميت بذلك لأن أرسطو معلمهم الأكبر كان يعلم تلاميذه ماشياً (انظر : المعجم الشامل ص ٧٥٦، ٧٦١).

(4) - نسبة إلي الفيلسوف اليوناني أبيقور (٣٤١- ٢٧٠ق.م) .وهي مدرسة في الفلسفة ازدهرت في القرنين الثاني والأول قبل الميلاد ، وتقوم فلسفتهم في مجال العلم الطبيعي على النظرية الذرّية .(انظر : المعجم الشامل لحفني ص ١٩، مدخل إلي الفلسفة،د. حسام الآلوسي ص١٧٤) .

(5) - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ص٢٤١ .

(6) - انظر:مدخل إلى الفلسفة،الآلوسي ص ١٦١ ،محاضرات في الفلسفة الإسلامية،د.الكمالي ص ٨-٩،من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،د. مرحبا١/ ٨٤- ٨٥،الفكر الإغريقي،الخطيب ص ٩٣- ٩٤،موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة،د.صالح الغامدي ص ٦٤.

(7) - تعتبر هذه المدرسة أول محاولة لتفسير العالم تفسيراً علمياً ، بلغة المادة والقوى الطبيعية،ومن رواد هذه المدرسة طاليس ،أنكسيمندريس. (تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٢، موسوعة الفلسفة ١/ ٢٧٦) .

(8) - نسبة إلى إيليا إحدى مدن أيونية بجنوبي إيطاليا ، وهي المدرسة التي تزعمها بارمنيدس الإيلي ، وزينون الإيلي وتقول بعالم واحد له طبيعة لا تتغير،وهو إن كان واحدا في العقل فهو كثير في الحس . (انظر : المعجم الشامل ص ٧٥٨) .

(9) - نسبة إلى فيثاغورس (٥٧٢-٤٩٧م) ، أسس الجمعية الفيثاغورية ، ومن أفكارها القول بإن الحقيقة هي في أعماق أعماقها رياضية ، وبأن العدد أساس وجوهر كل شئ . (انظر : الفلسفة اليونانية ص ٢٠ ، موسوعة الفلسفة ٢/ ٢٢٨) .

(10) - هم الذين قالوا إن الأجسام لا متناهية في العدد،وليس في داخلها خلاء،بل هي ملاء تام من الذرات،وهي أجزاء لا تتجزأ .(انظر : المعجم الشامل ص ٣٦٨) .

ويمثلها سقراط وأفلاطون وأرسطو،وفيها انتقل التفكير اليوناني من الطبيعة إلى الإنسان والمجتمع وما بعد الطبيعة،وكانت الفلسفة هنا شاملة لكل موضوعاته الرئيسية القديمة .

المرحلة الثالثة « الذبول والجمود »:

وهي ما بعد أرسطو إلى الأفلاطونية المحدثة،و لم يكن يحصل فيها كبير ابتكار،وقد تحولت فيها الفلسفة من البحث النظري إلى البحث العلمي بغرض طلب السعادة !!.

المطلب الثالث :عقائد فلاسفة اليونان :

اهتم الجندي ببيان أفكار وعقائد فلاسفة اليونان منها ما يلي:

١- أنهم كانوا يعتقدون بوجود آلهة متعددة تسكن فوق السحاب،وعلى قمم جبال الأولمب في اليونان،وكان كل إله مختصاً بنوع من الظواهر الكونية،فالشمس وشروقها ومسيرها نحو المغيب من فعل الإله أبولو [١].وهطول المطر من الإله جوبيتر [٢].وهناك آلهة للحب والجمال والحكمة والحرب[٣]،ومن أقوالهم في ذلك قول سقراط :كان يميل إلى جعل إله فوق الآلهة كلها،واليونانيون بعامة كانوا يفعلون ذلك فوضعوا زيوس فوق مرتبة سائر الآلهة.كذلك يُؤْثر عن سقراط أنه أثبت صانعاً مدبراً فوق الآلهة الأخرى،والآلهة الأخرى هي أدوات يستعين بها في صنع هذا الوجود[٤].

وقول تلميذه أفلاطون:الذي يذهب إلى أن الله روح عاقل،محرك،جميل،خير،عادل ،كامل،وهو بسيط لا تنوع فيه،ثابت لا يتغير،صادق لا يكذب،ولا يتشكل أشكالاً،وهو في حاضر مستمر[٥].

٢- القول بقدم العالم[٦]:وهي من المسائل المشتهرة عنهم،بل تعتبر من مخترعاتهم الباطلة، فنجد أن أفلاطون يذهب إلى أن المادة أزلية،ويرى أن العالم مصنوع من المادة،وهذه المادة رخوة ومضطربة غير معينة ، فهي اللاوجود أو المحل المادي الذي تتوارد عليه الصور [٧]،

---

[١] - إله الموسيقى والشعر والطب والجمال الرجولي عند الإغريق .زعموا أنه ابن زيوس وشقيق أرتميس التوأم.(انظر:موسوعة المورد ١/ ٤١).

[٢] -كبير الآلهة في الميثولوجيا الرومانية . ابن سارتون وشقيق جونو وزوجها . وعلماء الميثولوجيا يذهبون إلى القول بأن جوبيتر كان في الأصل إله السماء ،وكانت له السيطرة على الأحوال الجوية .(موسوعة المورد العربية ٢/ ٤٠٢).

[٣] - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٤٩، ٩٤.

[٤] - موسوعة الفلسفة لبدوي ١/ ٥٧٩

[٥] - المصدر السابق ١/١٧٤.

[٦] - انظر : الفكر الإسلامي وسموم التغريب ص ٢١٧،التأصيل الإسلامي ص ٢٥،

[٧] - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١١٠، الفكر الإغريقي ص ١٨٤

ويقول أرسطو بقدم العالم وأن الله لم يخلقه ، وإنما كل ما بينهما من رباط إنما يعود إلى رباط العشق والمحبة فقط[1] .

٣- القول بالتناسخ[2]،يقول الفيثاغوريون إن الإنسان عوقب ووضعت نفسه في سجن هو البدن . والذي وضعها في السجن هو الله أو الآلهة،ولا يستطيع أن يتخلص بنفسه من هذا السجن ، وإنما هو يستطيع فقط أن يتحرر عن طريق الموت بانفصال النفس عن البدن . وهنا إذا انفصلت النفس عن البدن ، فإنها إما أن تحيا حياة لا مادية صرفة وذلك إذا كانت محسنة ،وإما أن تحيا حياة عذاب بأن تذهب إلى النار في هادس أو تحيا مرة أخرى حياة أرضية في جسم إنسان آخر أو في جسم حيوان،وهكذا تستمر حياة النفوس[3] .

٤- إنكار البعث بعد الموت والجنة والنار والجزاء الأخروي : فإن حاصل مذهب أرسطو إنكار البعث بعد الموت،و الجنة،والنار،والجزاء الأخروي،حيث جعل الغاية من وجود الإنسان هي التعقل والتأمل المطلق للكون ، وعند هذا الحد ينتهي دوره في الحياة[4] .

٥- إنكار علم الله للجزئيات[5]:حيث ذهب أرسطو إلى نفي علم الله لكل شئ بعلة أن ذلك يؤدي إلى النصب والكلال .ولأنه إذا عقل الأشياء صار منفعلاً عنها ولها تأثير فيه[6] .

٦- تقديس الإنسان فهو عندهم هو مقياس كل شئ في هذا العالم،ومن هنا كانت عبادة الفرد وعبادة الأجساد،ومن هنا توجهت عنايتهم إلى الإعجاب بالجسم الإنساني[7]،وهذا هو رأي السوفسطائيين[8]الذين كانوا يذهبون إلى أن الإنسان هو مقياس كل شئ،فيرتفعوا بالإنسان فوق الطبيعة ارتفاعاً تاماً،وأن يجعلوه مقياس الطبيعة بدلاً مما كانوا يفعلون من قبل حين جعلوا الطبيعة مقياس الإنسان،فغاية الإنسان عندهم اللذة،وأنكروا بذلك كل خلق فاضل يعود بالخير على المجتمع[9].

---

(1) - انظر: ابن سينا بين الدين والفلسفة ،د. حمود غرابة، ص ٧٢، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ،ط الأولى ، عام ١٣٩٢هـ .

(2) - انظر : التأصيل الإسلامي ص ٢٥.

(3) - انظر:ربيع الفكر اليوناني، لبدوي،ص ١١٤-١١٥،دار القلم،بيروت،ط الخامسة،عام ١٩٧٩م،موسوعة الفلسفة لبدوي ٢/ ٢٣٢.

(4) - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩٩- ٢٠٠، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ١٩٥-١٦٠.

(5) - انظر : التأصيل الإسلامي ص ١٨،

(6) - انظر : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٦٦.

(7) - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٥٠.

(8) - السوفسطائيون : هم جمع سوفسطائي نسبة إلى السفسطة وهي عند الفلاسفة الحكمة المموهة التي الغرض منها تغليط الخصم وإسكاته ، وقيل يقصد بها خداع الآخرين ، وتطلق إيضاً على كل فلسفة ضعيفة الأساس متهافتة المبادئ . (انظر : المعجم الفلسفي ١/ ٦٥٨) .

(9) - موسوعة الفلسفة لبدوي ١/ ٥٨٨، قصة الفلسفة اليونانية ، أحمد أمين ، د. زكي نجيب ،ص ٩٥-٩٦ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٩٣٥م ..

٧- إيمان الفلاسفة اليونانيين بالعقل وحده،حتى لقد ذهبت الفلسفة الإغريقية في تقديس العقل إلى حد تكذيب ما لا يتفق معه ولو أيده الحس،فالمنطق أصدق من الواقع [١]،حيث يجعل أفلاطون البرهان العقلي أو التأمل العقلي لعالم المثل هو الإدراك العقلي المعترف به ، والحواس لا تقدم شيئاً،فالعقل وحده طريق المعرفة ، وهو نفسه من طبيعة عالم المعقولات ، الذي هو العالم الحقيقي[٢].

ويقول سقراط :" إن العقل هو السبيل للمعرفة وليس الحس "[٣]

٨- الدعوة إلى مشايعة النساء والأولاد[٤] ،حيث يرى أفلاطون أن يكون النساء بلا استثناء أزواجاً مشاعاً لأولئك الحكام فلا يخص أحد نفسه بإحداهن وكذلك الأولاد يكونون مشاعاً ، فلا يعرف والد ولده ، ولا ولد والده[٥] .

٩- إقرار المجتمع العبودي الذي يقوم على طبقة السادة وطبقة العبيد مع التفرقة الواضحة بينهما ، ومع استحالة ارتقاء أحد من العبيد إلى طبقة السادة ،وقد حبذ «أرسطو» في كتابة «نظام الاثنيين» الرق ودافع عنه ،دعا إليه وأكد أنه لا سبيل إلى ملاشاته، ويعتبر أرسطو الرق نظاماً طبيعياً،ويحد العبد بأنه آلة للحياة ضرورية لضرورة الأعمال الآلية المنافية لكرامة المواطن الحر[٦].

١٠- إقرار الحرية الجنسية ، وخاصة ما يتصل بالشذوذ الجنسي ، واحتقار جسد المرأة وإعلاء جسد الرجل ، وقد كانت دعوة سقراط التي قتل من أجلها هي تحرير هذا المفهوم الذي ترك ظله العميق على الحضارتين اليونانية والرومانية،فقد استولى الشذوذ الجنسي على الحضارة الإغريقية كلها مئات السنين ، ولم يستنكره أحد[٧] .

وقد ختم الجندي بحديثه عن هذه الأفكار والمعتقدات بعبارة موجزة تدل دلالة واضحة على رفض الإسلام لهذه الأفكار وعدم قبولها فقال:"ولا شك أن هذه المفاهيم جميعاً تتعارض مع مفاهيم الإسلام الذي تشكل عليها منذ اليوم الأول لظهور دعوته واستكمل شريعته قبل التحاق الرسول ﷺبالرفيق الأعلى،كما استكمل منهجه قبل الاتصال بالفلسفة اليونانية"[٨] .

---

[١] - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٥٠.
[٢] - انظر : نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ص ١٣٦.
[٣] - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٢٤.
[٤] - انظر : الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٥٠.
[٥] - انظر : الجمهورية لأفلاطون ص ٣٤٤، تاريخ الفلسفة العربية ص ٥٦، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية١/ ١٤٦.
[٦] - انظر : الاسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٥٠.
[٧] - المصدر السابق ، نفس الصفحة .
[٨] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٤٩-٥٠ .

المطلب الرابع : موقف الإسلام من الفلسفة :

كما هو معلوم أن الرسول ﷺ لم يمت إلا بعد أن كمل الدين وأصبحت شريعة الإسلام واضحة أتم الوضوح لا لبس فيها و لا غموض. واستمر الحال على عهد الخلفاء الراشدين المهديين،ثم لما حصل الافتراق بسبب دخول بعض أولئك المندسين في الإسلام للنيل من الإسلام وأهله. عندها ظهرت فرق وبدع أحدثت في الإسلام فرقة واختلافاً أخذت مع الزمن تستشري وتزداد؛ولكنه مع حصول الترجمة لكتب الفلسفة اليونانية وغيرها من كتب العقائد الوثنية أصبح الفساد والانحراف أكثر وضوحاً وانتشاراً؛مما جعل علماء السلف يقفون منها موقف التحذير والنكير على من تلبس بشي من مقالات أهل البدع والأهواء من أهل الفلسفة وعلم الكلام ومن النماذج في هذا الشأن : أبوحنيفة رحمه الله فقد سئل : ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال : " مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة ، فأنها بدعة "[١] .

وقال:أبو يوسف[٢] "من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غرائب الحديث كذب ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس "[٣].

وكان الشافعي من أشد الأئمة على أهل الفلسفة والكلام فقد قال رحمه الله :" ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب ،وميلهم إلى لسان أرسطاليس "[٤].

وكان للإمام أحمد صولات وجولات مع أهل الكلام المتأثرين برواسب الفلسفة ومما قاله في هذا الشأن:"لا يفلح صاحب الكلام أبداً، ولا تكاد ترى أحداً نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل "[٥].

وقد اشتد نكير الغزالي على الفلاسفة حتى ذهب إلى تكفيرهم في ثلاث مسائل وهي قولهم : بقدم العالم ، وإنكارهم علم الله بالجزئيات ، وإنكارهم لمعاد الأبدان[٦].

وقد وقف علماء الإسلام من الفلسفة وعلومها خاصة علم المنطق موقفاً عظيماً جعلت هذه العلوم تتراجع وتنحصر ، بل منهم من ذهب إلى تحريم تعلم أمثال هذه العلوم

---

(١) - صون المنطق ، السيوطي ، ص ٣٢.

(٢) - يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الانصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب الامام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه.كان فقيها علامة،من حفاظ الحديث.ولد بالكوفة سنة ١١٣هـ وتفقه بالحديث والرواية، ولي القضاء ببغداد توفي سنة ١٨٢هـ .من كتبه :الخراج ، والآثار . (انظر الأعلام ٨/ ١٩٣).

(٣) - تبيين كذب المفتري ص ٣٣٣.

(٤) - صون المنطق ص ١٥.

(٥) - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،لابن القيم ،تحقيق د. علي الدخيل الله ٤/ ١٢٦٩،دار العاصمة ،الرياض،ط الثالثة،عام ١٤١٨هـ .

(٦) - تهافت الفلاسفة ص ٢٥٤.

ومن أولئك العلماء ابن الصلاح[1] إذ أجاب رحمه الله بأن الفلسفة أس السفه والانحلال ، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة ، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المطهرة ، المؤيدة بالحجج الظاهرة والبراهين الباهرة ، ومن تلبس بها تعلماً قارنه الخذلان والحرمان،واستحوذ عليه الشيطان. وأي فن أخزى من فن يعمى صاحبه ويظلم قلبه عن نبوة نبينا محمد ﷺ...وأما المنطق فهو مدخل الفلسفة،ومدخل الشر،وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشرع،ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين ، وسائر من يقتدى به من أعلام الأمة وسادهما"[2].

ولا يمكن لأي باحث أن يغفل عن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من الفلسفة وأهلها،وكيف أنه نقد الفلسفة نقداً علمياً مؤصلاً ، مبناه على الدليل والبرهان لا على سبيل الهوى و الطغيان،فنجده مثلاً يقول : " وأما الفلاسفة فلا يجمعهم جامع ، بل هم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى ... فلو حكى اختلافهم في علم الهيئة وحده ؛ لكان أعظم من اختلاف كل طائفة من طوائف أهل القبلة ، والهيئة علم رياضي حسابي هو من أصح علومهم ، فإذا كان هذا اختلافهم فيه فكيف باختلافهم في الطبيعيات أو المنطق ؟ فكيف في الإلهيات ؟!"[3].

وقد انتقد شيخ الإسلام ابن تيمية مقالات كثيرة للفلاسفة يجب تكفيرهم عليها ، وليست المسائل الثلاث التي ذكرها الغزالي فقط ، مثال ذلك قولهم في النبوات ، والملائكة ، وإنكار مشيئة الله وقدرته ، فإنكارهم لقدرة الله ومشيئته أعظم من إنكارهم لعلمه بالجزئيات[4] ، وكذلك اعتقادهم أن الله تعالى لا يقدر على تغيير شئ من العالم ، وأنه لا يعلم دعاءنا[5]،ونظريتهم في الصدور أو الفيض؛لأنها تفضي إلى القول:إن العقل الفعّال مبدع لما تحت فلك القمر،فهذا أيضاً كفر صريح، لم يصل إليه أحد من أهل الكتاب أو مشركي العرب[6] .

---

[1] - هو: أبو عمرو ، عثمان بن عبد الرحمن (صلاح الدين) ابن عثمان بن موسى الشهرزوري الكردي ، المعروف بابن الصلاح: أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسم الرجال.ولد في شرخان سنة ٥٧٧هـ وانتقل إلى الموصل ثم إلى خراسان،وانتقل إلى دمشق، فولاه الملك الاشرف تدريس دار الحديث، وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ .له كتاب " معرفة أنواع علم الحديث (انظر الأعلام ٤/٢٠٧) .

[2] - فتاوى ابن الصلاح، ص٧٠-٧١ ، تحقيق أمين قلعجي ، دار الوعي ، حلب ، ط الأولى ، عام ١٤٠٣هـ

[3] - درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٥٧.

[4] - انظر: الرد على المنطقيين ،ص ٤٤٦

[5] - المصدر السابق ، ونفس الصفحة

[6] - المصدر السابق ، ونفس الصفحة

يقول الجندي:"لقد وصل ابن تيمية إلى قمة من القمم في هذا المجال في كتابه «الرد على المنطقيين »ويعتبر «ابن تيمية» في رده على مناطقة اليونان أكثر ممثل لروح الإسلام تجاه الهيلينية ، فنقد المنطق الأرسططاليسى و لم يقف عند هذا بل استخلص للإسلام منطقاً يعبر عن خصائصه العقلية ويحمل طابع حضارته "[١].

وقد ذهب الجندي إلى قول العلماء السابقين حيث قال:"وحكم الإسلام على هذا الركام الضخم المتخلف عن ما قبل الإسلام سواء من الفكر الغنوصي الشرقي أو الوثني الهليني هو أنه لا يمثل المفهوم الأصيل،و لا يعتبر من الفكر الإسلامي،وإنما جاء الإسلام لرده والكشف عن زيفه وإبطال دعواه القائمة على الأهواء البشرية الطامعة إلى الخروج عن حدود الله والفطرة الإنسانية،وأن البحث الذي قام به علماء المسلمين كالشافعي والغزالي، وابن تيمية انتهى إلى إثبات شخصية إسلامية متميزة في مجال المعرفة ،والمنطق تختلف اختلافاً واضحاً عن المفهوم اليوناني الهليني "[٢].

المطلب الخامس:موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية :

١- لقد أحسن الجندي في بيانه خطأ مؤرخي الفلسفة الغربية في زعمهم أن الفكر الهيليني كان فكراً مبتكراً، لم تعرفه البشرية من قبل وأشار إلى عدة دلائل تنقض هذا الزعم وتبين بطلانه ومن ذلك :

أ- أن هذا القول لا دليل عليه.يقول الجندي:" إن محاولة اليونان الادعاء بأنهم أبدعوا فلسفتهم دون أن يتأثروا فيها بأحد قول تنقصه كل الأدلة ، فقد جاءت حركتهم بعد نزول الأديان والكتب السماوية ، وكلها تحمل من أسباب المعرفة ما يهدي الانسانية إلى الحق"[٣].

ب- استشهد الجندي بأقوال بعض المؤرخين الغربيين في أسبقية الفلسفات المصرية وغيرها على الفلسفة اليونانية ومن أشهرهم «جورج سارطون»[٤] الذي قال في كتابه : «تاريخ العلم » من سذاجة الأطفال أن نفترض أن العلم قد بدأ في الإغريق:فقد سبقت اليونان آلاف

---

[١] - المؤامرة على الإسلام ص ١٧٦.

[٢] - المصدر السابق ص ٧٣.

[٣] الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٦١ .

[٤] - جورج سارطون(١٨٨٤- ١٩٥٦م) عالم أمريكي ، ولد في بلجيكا ، حصل على دكتوراه في العلوم الطبيعية والرياضية ، أقام في لبنان وتعلم اللغة العربية ، والقى في كلية المقاصد الإسلامية محاضرات عن فضل العرب والتفكير الإنساني، من كتبه :تاريخ العلم . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ٣/ ١٢٧٨، موسوعة المورد العربية ٢/ ٥٩٢).

الجهود العلمية في مصر وفي بلاد ما بين النهرين وغيرهما من الأقاليم،والعلم اليوناني كان إحياء أكثر منه اختراعاً،وقد سبق اليونان المصريون والكلدنيون والفرس "[١].

ويقول «ول ديورانت»[٢] في كتابه «قصة الحضارة »: " إن ما ورثه اليونان من الحضارات أكثر مما أبدعوه ، وكانوا الوارث المدلل المغترف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين ، وجاءت إلى مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب " [٣].

ج- كشف حقيقة في غاية الأهمية وهي أن الفلسفة المترجمة لم تكن هي الفلسفة اليونانية فقط فقال الجندي :" إن الفلسفة التي ترجمت للمسلمين في العصر العباسي لم تكن ثقافة إغريق صحيحة بل كانت صورة من عقائد النساطرة واليعاقبة الذين ترجموها والذين عمدوا إلى التبشير بمعتقداتهم النصرانية في عالم الإسلام متخذين من ترجمة الفلسفة اليونانية سبيلاً إلى ذلك ، فضلاً عن أن عدداً من الكتب ترجم منسوباً إلى مؤلفين غير الذين ألفوه ، ومن أخطر ذلك ما نسب إلى أفلاطون وهو من تأليف أرسطو مثلاً ، وقد اعتمد الفلاسفة الذين حملوا هذا اللواء أمثال الفارابي وغيره على هذه الزيوف فكان لها أسوأ الأثر في أبحاثهم "[٤].

د- إثبات زيف الرأي القائل بأن الفكر اليوناني هو الذي شكل الفكر الإسلامي وهو ما أوضحه الجندي بقوله :"الحقائق العلمية تؤكد أن مقومات الفكر الإسلامي قد صيغت وتشكلت قبل الاتصال بالفكر اليوناني أو الفكر الوافد على إطلاقه .وأن مناهج المعتزلة والصوفية[٥]، ورجال الفقه وغيرهم قد تشكلت قبل ترجمة الإلهيات،والفلسفة .فقد بدأت الترجمة بالطب والرياضيات والطبيعيات "[٦].

٢- نّبه الجندي إلى أن الإسلام قد رفض تلك الأفكار والعقائد ولم يقبلها ، مما أحدث تعارض بين الإسلام بوصفه عقيدة واضحة جلية وبين الفلسفة الوثنية على النحو التالي:

أولاً : تتركز أبرز وجوه الخلاف في ذات الله سبحانه وكنهه ، وفي التوصل إلى معرفته . فالفلسفة اليونانية التي تعتمد على العقل وحده في الفهم تقف من الله سبحانه وتعالى موقفاً مضطرباً غامضاً ، فالله في تقدير «أرسطو» عقلاً صرفاً ليس له إرادة ، وهو يحرك العالم

---

[١] - تاريخ العلم الكتاب الأول ص٢٠.

[٢] - ول ديورانت : مؤلف أمريكي معاصر ،يعد كتابه « قصة الحضارة» ذو ثلاثين مجلدا ، واحد من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها المعقدة المتشابكة ، عكف على تأليفه السنين الطوال ،وأصدر جزءه الأول عام ١٩٣٥ ،ثم تلته بقية الأجزاء ومن كتبه (قصة الفلسفة).(انظر : مقدمة قصة الحضارة - عصر نابليون- ترجمة ،د. عبدالرحمن الشيخ ،ص ٢٨، دار الجيل ، بيروت) .

[٣] الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٦١-٦٢ .

[٤] - مقدمات العلوم والمناهج ٤٨٧/٥ ،الإسلام في مواجهة الفلسفة القديمة ص ٩٨.

[٥] - لا مناهج المعتزلة ولا الصوفية شكلت الفكر الإسلامي ، بل هي مناهج دخيلة على الإسلام .

[٦] - الإسلام في مواجهة الفلسفة القديمة ص ٩٧.

باعتباره معشوقاً لا كقوة فاعلة ، وهو عنده يجهل الجزئيات ، وهو في محاولته يهدف للوصول إلى هذا الفهم عن طريق بحث الجوهر [1] ، ولذلك تخطئ الفلسفة اليونانية في هذا المجال،وتضطرب ؛لأن وسائل العقل القاصرة لا تستطيع أن تصل إلى شئ مقنع . أما الإسلام فقد أعطى الله سبحانه مفهوماً كاملاً واضحاً سمحاً ، وأعلن في نفس الوقت قصور العقل الإنساني عن التوصل إلى الماهية والكنه ، فقد حدد القرآن موقف المسلمين من أمور ما بعد الطبيعة وطلب إليهم عدم الخوض فيما خلفها ، ودعاهم إلى ترك بحث الجوهر الذي لا يستطيع العقل أن يصل إليه وحده ، ووجههم إلى بحث الخصائص ، ويتمثل هذا المفهوم في قوله صلى الله عليه وسلم :" تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله "[2] [3].

ويقول كذلك : " الفرق العميق بين مفهوم القرآن لوحدة الله وفاعليته ، وبين مفهوم الفلسفة اليونانية فالله في الإسلام خالق كل شئ ،وأنه خلق كل شيء من لاشيء ، وأوجد العالم من العدم ، وأعلن بدء الزمان ، وأعلن نهايته .أما الفلسفة اليونانية فتقول بقدم المادة وعدم فنائها ، فضلاً عن أن القرآن لم يترك مفاهيمه مطلقة ، بل وضع أصولها كاملة ، ولا شك أن مفاهيم الإسلام في هذه الأمور جميعاً أكثر قبولاً في العقل وأقرب إلى الفطرة "[4].

ثانياً :اليونان يقولون بتعدد الآلهة بينما الإسلام يقول بتوحيد الله وتتريهه :

إن ظهور اليونان كما هو معلوم كان قبل المسيح عليه الصلاة والسلام،وكان شأنهم شأن الأمم الأخرى التي سيطر عليها الفكر البشري،فكانوا مشركين يعبدون الأصنام، والكواكب،ويعتقدون بوجود آلهة متعددة ، ويفسرون الظواهر الطبيعية بأنها من فعل الآلهة وكانوا يصلون بالفرد إلى مقام البطولة ، ثم إلى مقام العبادة[5]. يقول الجندي :" وقد تعددت العبادات في الوثنية بين الأحجار والحيوانات والناس والكواكب ، ومن أخطر ما تمثله الهيلينية عبادة الفرد وتأليه الإنسان ، وإقامة ذلك المجتمع العبودي الذي يقسم الناس إلى سادة يعبدون ، وعبيد أذلاء ، ومن هنا فإن الإسلام حين أعلن التوحيد ، إنما أعلن كرامة الإنسان ، وارتفاعه عن الخضوع للإنسان فالتوحيد تأكيد لمعبود واحد وهو الحق تبارك وتعالى الذي

---

[1] الجوهر هو الموجود القائم بنفسه ، الغني عن محل يحل فيه .(انظر : مجموع الفتاوى ٩/ ٢٧٢ ،التعريفات ص٢٤٠ ،المعجم الفلسفي ١/ ٤٢٤)

[2] - رواه اللالكائي في السنة ٣/ ٢٥٢برقم ٩٢٧ وابن بطة في الإبانة ٢/ ٨٦برقم ٣١٧، والبيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ٤٦برقم ٦١٨ وابونعيم في الحلية ٦٦/٦، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/ ٣٩٥برقم ١٧٨٨وقال : وبالجملة ؛ فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي والله أعلم) .

[3] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٧٩.

[4]- المصدر السابق ص٨٢ .

[5] - انظر الملل والنحل ٢/ ٣٥٨-٣٦٨ ،مجموع الفتاوى ٩/ ١٧٥ ، تاريخ الفلسفة اليونانية ١-٤، الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٩٤.

لا يعبد أحد سواه ،وبذلك أبطل الإسلام سلطان الوسطاء ، وأسقط نظرية تحول الإنسان إلى إله ، وفصل بين البشرية والإلوهية من ناحية،وبين الإلوهية والكون من ناحية أخرى "[(١)]

ويقول كذلك :" وأبرز هذه النواحي التي تكشف عن التباين الواضح بين الإسلام و الهيلينية هو التوحيد الذي حرر العقل البشري من الوثنية ، ومن عبادة عدد من آلهة متعددة ، ومن عبادة الفرد ، ومن تقديس الأبطال ، ومن الطواف حول بيوت النيران "[(٢)].

ويقول : " وقد أخذ الفكر الإسلامي بمبدأ التوحيد واعتبره نقطة الالتقاء والاقتران إزاء كل معطيات الفكر الإسلامي ، ولذلك رفض رأي أرسطو في الله ، وهو رأي ناقص وقاصر ، ورفض مبدأ الجمع والاتحاد ، ورفض مبدأ الحلول والتناسخ ، وحرر الفكر البشري من كل نظرية تصور الحق تبارك وتعالى ، بغير صورته الحقيقية ، وأعلن التحرر من عبودية غير الله ، وأقر وجود حقيقة واحده هي من خلق واحد أحد "[(٣)] .

ثالثاً – الاختلاف بين الإسلام والفلسفة اليونانية في المعرفة :

وقد نبَّه الجندي إلى أن أخطر ما يواجه الفلسفة اليونانية تقديمها المعقول على المحسوس ، وعندهم أن المعرفة التي يجئ بها الحس إنما هي ظنية فحسب ، أما المعرفة الحقيقية فهي العقل ، بينما يرى الإسلام أن العقل جناح من أجنحة المعرفة ، وأن الوحي هو الجناح الآخر ، وأن كلاهما يكمل الآخر ، وأن المعرفة لا تكون صحيحة إلا بهما معاً[(٤)] .

ويضيف الجندي قائلاً:"يقرر الإسلام أن وسائل المعرفة متعددة ، ومنها العقل والحدس[(٥)] والبصيرة[(٦)]،أما العقل والحس فإنهما يعجزان عن الوصول إلى فهم مسائل ما وراء الطبيعة،أما الفلسفة اليونانية فهي تقصر المعرفة على وسيلة واحدة هي العقل ،والعقل وحده لا يكفي في الوصول إلى الحقائق وقد ارتبطت المعرفة في الإسلام بالعقل والنقل،والنقل هنا هو الوحي ،ولا تعارض في الإسلام بين العقل والنقل ولا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي، وصحيح من العلم التجريبي،والعقل في الإسلام مصباح زيته الوحي.وقد رفض الإسلام محاولة جعل العقل أعلى مرتبة من الوحي،أو أن يكون مقامه أعلى من مقام الكتاب

---

(١) - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٩٤ .

(٢) - المصدر السابق ص٩٥ .

(٣) - المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) - انظر: المصدر السابق ص ٨١-٨٢.

(٥) - الحدس هو : الإدراك المباشر لموضوع التفكير وله أثره في العمليات الذهنية المختلفة ، فيلحظ في الإدراك الحسي ويسمى حدساً حسيا ، ويكون أساساً للبرهنة والاستدلال ويسمى حدساً عقلياً . (انظر : المعجم الفلسفي ص ٦٩).

(٦) - البصيرة هي : قوة في القلب تدرك بها المعقولات بمثابة البصر للنفس ترى بها حقائق الأشياء وبواطنها ويسميها الحكماء العاقلة النظرية . (المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ١٥٧).

المنـــزل.هذا العقل المادي الذي أعلن انفصاله عن الوحي الإلهي ، وأعلن عن إنكاره وتنكره له ، ولكن الإسلام يضع العقل في موضعه الصحيح ، بأنه مصدر التكليف وأنه يهتدي بهدي الوحي والنبوة ، وليس في الإسلام مصادرة على العقل ، أما قضية العقل الفعال والعقل المحض، والعقل الهيولاني[1]،فهي كلمات باطلة لا يقرها الإسلام وهي منقولة من الفلسفات اليونانية الهيلينية "[2].

ذهب الجندي إلى أن العقل جناح من أجنحة المعرفة ، وأن الوحي هو الجناح الآخر ، وأن كلاهما يكمل الآخر ، وهذا الكلام لا يمكن قبوله من الجندي حيث جعل العقل مع الوحي طريقاً للمعرفة ، وهذا يعنى الندية وقصور الوحي عن الكفاية بدليل أنه جعل الوحي نداً للوحي هذا أمر ،و الأمر الآخر أنه جعل الوحي من غير العقل ناقص،وهذا لا يوافق عليه أبداً .

رابعاً- إنكار الغيب :

يعد الإيمان بالغيب من أركان الإسلام العظام الذي يدخل المرء في دائرة الإسلام ، ومن لم يؤمن به كما جاء في الكتاب والسنة فهو خارج عن الإسلام ، ولذا كان أكبر ما قدم القرآن الكريم للمسلمين ذلك المنهج الواضح في فهم عالم الغيب " الميتافيزيقيا " أو ما وراء المادة ، فلم يشغل المسلمين بالجوهر أو الماهية [3] أو الكنه .كان مفهوم المسلمين المستمد من القرآن الكريم هو تجاوز البحث عن الشئ في ذاته فقد التزم ذلك الصحابة فلم يتحدثوا في المسائل الاعتقادية ، ثم جرى مجراهم أئمة الإسلام من بعد . فقد تجنبوا الخوض في المسائل الغيبية معللين أنها مراء في الدين ، وأنها أورثت من قبل الأمم السابقة العداوة والبغضاء ، ومزقت وحدة أديانهم وتماسكها .وقد رسم القرآن الكريم للمسلمين ميتافيزيقيا كاملة لها ذاتيتها الخاصة ، وهي مخالفة كل المخالفات للميتافيزيقيا اليونانية ، وأبرز مميزاتها أنها لم تترك للعقل مجالاً للاجتهاد في أكثر نواحيها ، وحدد معالمها تحديداً كاملاً ، ونهى أشد النهي عن تجاوز تلك المعالم "[4].

---

[1] - العقل الهيولاني هو :عبارة عن القوة النظرية حالة عدم حصول الآلة التي بها التوصل إلى الإدراك ،كقوة الطفل بالنسبة إلى معرفة الأشكال الهندسية ونحوها . (انظر : المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، للآمدى ، تحقيق د. حسن الشافعي ، ص ١٠٧ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الثانية ،عام ١٤١٣هـ) .

[2] - التأصيل الإسلامي ص ٥٥.

[3] - الماهية هي الأمر المتعقل من حيث إنه مقول جواب ما هو ،(انظر: التعريفات ص٢٥٠) .

[4] - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص٨٦ .

٣- انتقد الجندي منهج التوفيق الذي سلكه فلاسفة الإسلام ، ومحاولتهم لإيجاد نقاط توافق بين الإسلام ومفاهيمه ، وبين الفلسفة اليونانية فقال :" كان هدف المدرسة الفلسفية الإسلامية وضع نظرية تامة للميتافيزيقيا من خلال الربط بين العقل والدين ، الفلسفة والوحي .وقد حرصوا فعلاً على جذر التوحيد كأساس لنظريتهم، وهي محاولة خرج بها هؤلاء عن مفهوم الإسلام نفسه ،ولكنها عجزت عن أن تحقق شئياً،وعلت عليها موجات الفكر الإسلامي الأصيل. وذلك أن هناك منهجاً قرآنياً قوامه الفطرة،ومنطقه أسلوب المعرفة الإسلامي الذي يمزج بين العقل والقلب ، وهو المنطق الوحيد لتكوين مفهوم إسلامي صحيح لمختلف الجوانب من عقيدة وشريعة وأخلاق،وأن أي أسلوب غيره قد يخطو خطوتين،ثم لا يلبث أن يتغير ؛لأنه مخالف لطبيعة تركيب الإسلام ومنطلقه القرآني الخالص ...والثمرة التي وصل إليها «الفارابي» و«ابن سينا» كانت ثمرة معطوبة لم تزد عن أن تكون شرحاً مشوهاً للمذاهب الفلسفية اليونانية،مع محاولة التأليف بينها وإدخالها في إطار التوحيد الذي يضادها مضادّة كاملة للخلاف الجذري في توحيد الله،وفي الإقرار بالإلوهية والنبوة والبعث[١].

٤ – لقد وجد المنطق اليوناني اهتماماً كبيراً من قبل دعاة إحياء الفكر الفلسفي في العصر الحديث عند المسلمين وأصبح عندهم هذا المنطق قمة ما أخذ الفكر الإسلامي من اليونان فبين الجندي موقفه من هذا المنطق الارسططاليسي بعدة حقائق أوردها وهي كما يلي :

أ– أن هذا مخالف للواقع الذي حدث فعلاً،فإن الذين قبلوا الفكر اليوناني والمنطق الأرسططاليسى هم الشراح،المتابعون على طريق المشايئن اليوم،والذي أطلق عليهم المشاؤون المسلمون وأبرزهم الكندي[٢][٣] والفارابي وابن سينا[٤].

ب– أن المنطق الأرسططاليسى هو منهج البحث في علوم اليونان الفكرية،والفلسفيه فيها على الخصوص،وهو أدق تعبير عن الروح اليونانية في نظرتها إلي الكون وفي محاولة إقامة مذاهبها إلى الوجود،وقد لفظ الإسلام علوم اليونان الفكرية لفظاً قاسياً وحاربها أشد محاربة

---

[١] - انظر: الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ص ٦٤-٦٥.

[٢] - هو : يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي ، أبو يوسف ، يعد أول الفلاسفة المنتسبين إلي الإسلام ، نشأ في البصرة وانتقل إلي بغداد ، تعلو وأشتهر بالطب ، والفلسفة ، والموسيقى ، والهندسة ، والفلك توفي سنة ٢٦٠هـ .له تصانيف عده منها : رسالة في التنجيم ، والقول في النفس ، ورسائل الكندي . (انظر : الفهرست لابن النديم ص٥٢٢ ، الأعلام ٨/ ١٩٥)

[٣] - لا يعتبر الكندي منهم على التحقيق بل أنه نقد بعض أقوال الفلاسفة .

[٤] - انظر: المؤامرة على الإسلام ص ٨٤، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٦٨.

، ذلك أن الروح الإسلامية تستمد مقوماها من بيئة مخالفة وجنس مخالف وتصور حضاري جديد [1].

ج- أن منطق أرسطو مستمد من المجتمع اليوناني الذي يختلف اختلافاً كبيراً عن المجتمع الإسلامي ، ولذلك كان منطقه لا يطابق مجتمع الإسلام بل يتعارض معه [2] .فمنهج أرسطو واليونان جملة هو منطق الاستدلال النظري ،أما منهج الإسلام فهو المنطق الحسي التجريبي[3].

د- يرى الجندي أن الفكر الإسلامي خرج عن النظرة الأرسطية التي ترى أن العلم لا يكون إلا بالكلي . أما العلم الجزئي فليس علماً ، فتقدم الفكر الإسلامي فحطم هذه القاعدة وبدأ الترعة التجريبية من الجزئيات.وبذلك خرج المفكرون المسلمون عن المفهوم الأرسطي للحد والتعريف واستطاعوا أن يقيموا نظرة جديدة للتعريف تقوم على أساس الواقع ، والحصول على نتائج عملية مبنية على طابع التجريب[4].

هـ- وصف الجندي منهج أرسطو بالعقم ، وأنه ضلل كثيراً من مفكري العرب ثم وقف حائلاً دون ازدهار الحضارة العربية ، ويرجع عقمه إلى أنه كان خلواً من الخيال وإلى أنه أكثر اهتماماً بالقضايا العامة المجردة منه لدراسة التفاصيل ، والجزئيات ، ودليل ذلك أن تاريخ النهضة الأوربية فإلها لم تتحرر من الجمود الذي فرضه عليها منهج اليونان إلا بعد أن عرفت مناهج العرب في العلم والفلسفة ، لذا وُصف «روجر بيكون» بأنه الأمير الحقيقي للفكر الأوربي في القرن الثالث عشر؛ لأنه أول من نادى بمهاجمة المنهج الارسطوطاليسي في أوربا ودعا إلى اصطناع نهج العرب[5] .

و- استشهد الجندي بصنيع شيخ الاسلام «ابن تيمية» تجاه المنطق اليوناني فقال :" ولقد كان ابن تيمية رائداً لكل الاتجاهات الحديثة في نقد منطق أرسطو من أرجانون فرنسيس باكون إلى المنطقية الوضعية ، قد عنى ابن تيمية بنقد فلاسفة الإسلام وكل من وافقهم في التشيع لمنطق ارسطو،وعرض للمنهج الاستقرائي فتتبع تاريخ هذا المنطق منذ نشأته على يد المسلمين حتى أوج نضجه ثم أضاف إلى عناصر هذا المنهج الإسلامي مناهج جديدة استحدثها هو مستنداً على روح القرآن والسنة وقمة ذلك كتابه «الرد على المنطقين »،قال: إن الفكر

(1) - المصدر السابق ،نفس الصفحة .
(2) - المصدر السابق ، ص ١٧١-١٧٢.
(3) - انظر التأصيل ص ٢٠ .
(4) - المؤامرة على الإسلام ص ١٧٢.
(5) - المصدر السابق ص ١٧٣.

الإسلامي قد رفض المنطق الأرسطي الذي يقوم على القياس والاستدلال النظري " وأقام منطقاً جديداً أكثر تعبيراً عن خصائصه هو المنهج الحسي التجريبي،وكشف عن الخلاف بين «ارسطو »و«أفلاطون» ومحاولة المشائين المسلمين شراح الفلسفة اليونانية في التوفيق بينهما...لقد نقد ابن تيمية المنطق الأرسطي وهدمه هدماً قوياً ، فذهب إلى أنه من الخير للإسلام أن لا يستعمل مصطلحات الفلسفة والمنطق ، وينكر ابن تيمية استطاعة الحد في المنطق الأرسطي من الوصول إلى كنه الشئ أو ماهيته ، ويرى أن عمل الحد ووظيفته التمييز بين المحدود وغيره،أما تصور المحدود فلا يستطيع الحد القيام به.ونقد ابن تيمية القضايا الأرسطية "[1] .

٥- أحسن الجندي في بيانه لمؤامرة إحياء التراث الفلسفي وعرضه من جديد ، وكان ذلك عن طريق :

١- ترجمة الكتب الفلسفية :

حرص النفوذ الغربي على استغلال كل الوسائل التي يمكن من خلالها إضعاف المسلمين ،وتشويه عقيدتهم فقام الغربيون بإحياء مخلفات التفكير اليوناني وبعثه من جديد وحذر الجندي من ذلك بقوله:" كان من أخطر المحاولات التي جرت في ظل النفوذ الاستعماري إحياء الهيلينية،ومحاولة إغراق الفكر الإسلامي والثقافة العربية في موج متلاطم من مترجمات اليونان والإغريق.قد بدأت هذه الدعوة بترجمة مؤلفات أرسطو،ثم التوسع في ترجمة الأسطورة . واتسع نطاق هذا الاتجاه حين أدخل إلي الدراسات الجامعية مادة اللغتين اليونانية واللاتينية القديمتين . ومن ثم نشأ تيار ضخم أعاد بعث هذا التراث وفرضه على الأدب العربي والفكر الإسلامي"[2].

ويقول : " فلما جاء العصر الحديث حرصت قوى الاستشراق والتغريب والغزو الثقافي على إحيائه وإثارة قضاياه وتصوير الفكر الإسلامي على أنه فكر قد تشكل متأثراً بالفكر اليوناني وأن أرسطو كان له عند المسلمين مكان كبير. ومنذ جاء المستشرقون يدرسون مادة الفلسفة في الجامعة يفرضون مفهوماً زائفاً هو أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية مكتوبة باللغة العربية "[3].

(١) - المصدر السابق ص ٨٦- ٨٧.

(٢) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٨٦.

(٣) - المؤامرة على الإسلام ص ٧٣-٧٤

ويقول:"وماتت الفلسفة المشائية في العالم الإسلامي منذ عهد بعيد . وما كان لها أن تبعث لولا محاولات الاستشراق والتغريب الهادفة إلي تدمير الإسلام من الداخل بإثارة الفرق والمذاهب الفلسفية القديمة وبعثها وفرضها كمنهج علمي مضلل في الجامعات والمدارس... وقد تابعهم في هذا الاتجاه دعاة التغريب أمثال طه حسين "[١] .

٢- تبعية المفكرين المعاصرين للعالم الغربي :

إن ما حصل من افتتان لكثير من المفكرين المعاصرين بالفلسفة وتدريسها في المدارس والجامعات وخاصة شروح أرسطو أو المعلم الأول كما يسمونه إنما كان نتيجة التبعية للعالم الغربي وتأثرهم بمناهجه الفلسفية ، أو انهزامهم أمام صيحات المستشرقين القائلين بأن ليس للمسلمين والعرب فلسفة مما دفعهم إلى قولهم بأن هناك فلسفة !فقام الهيلينيون الجدد كما أطلق عليهم الجندي بإحياء هذا الفكر والتراث في الجامعات والمدارس. يقول الجندي موضحاً ذلك :"محاولة لطفي السيد التي صورها في ترجمة كتاب الأخلاق لأرسطو هي مصدر النهضة العربية الحديثة.وترجمة تمام حسان لكتاب(مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب) تأليف «أوليري»[٢] ،وكتاب الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام لإبراهيم بيومي مدكور[٣] وكلها تحاول أن تجعل من الهيلينية سيادة على الفكر الإسلامي"[٤].

وقد ذكر الجندي أبرز من قام بإحياء هذا الفكر[٥] وسأكتفي بذكر مثالين فقط هما :

أ- أحمد لطفي السيد: وقد ذكر الجندي أن لطفي السيد لم يكن صادقاً في دعواه الأخذ بالفكر اليوناني وتبعيته عندما قال:لا جرم أن نتخذ نحن من فلسفة أرسطو - لاسيما أنها أشد المذاهب ائتلافاً مع طبعنا،والطريق الأقرب إلى نقل العلم إلى بلادنا وتأقلمه فيها - رجاء أن ينتج في النهضة الشرقية مثل ما أنتج في النهضة الغربية،وقال:أن فلسفة المعلم الأول خالدة، ما حدها وطن و لا أخفى عليها زمن ، فقد بنت عليها كل مدينة صروح مجدها العلمي حتى مدينتنا الجديدة [٦].

---

[١] - المرجع السابق ،ص ٨٠ .

[٢] - أوليري مستشرق انجليزي أعتني بكتب الفلاسفة اليونانيين منها : انتقال الثقافة اليونانية إلي العرب . (انظر: المستشرقون لنجيب العقيقي ٥٢٣/٢).

[٣] - إبراهيم بيومي مدكور (١٩٠٢- ١٩٩٦م) ،كاتب ومفكر مصري ، جمع بين التعليم الديني والمدني ، أسهم في إحياء الذكرى الألفية لابن سينا ببغداد عام ١٩٥١م ، وعين رئيساً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، من مؤلفاته : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٦) .

[٤] - المؤامرة على الإسلام ص١٦٣.

[٥] - اهتم الجندي بمناقشة أفكار أمثال : عبدالرحمن بدوي، وعاطف العراقي ، ومراد وهبه ، ومحمد عابد الجابري ،ومحمد أركون. في غالب كتابه القيم كتاب العصر تحت ضوء الإسلام.

[٦] - المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر لأنور الجندي ص ٢٥٩.

ب– د. زكي نجيب محمود:وقد لقيت الفلسفة في العالم الإسلامي كل احتفاء واهتمام من قبل دعاتها – الهيلينين الجدد – وكان إنتاجهم وفكرهم ينصب إلي إعلاء شأن الفلسفة القديمة ، والدعوة إلي الانفتاح على الثقافات الأوربية فمنهم زكي نجيب محمود فقد درست أفكاره لطلاب الشهادة الثانوية في مادة الفلسفة وحفلت بعقائد وافدة مضللة غايتها إنكار ما وراء المحسوس والذي يترتب عليه إنكار حقائق الوجود الكبرى وأولها وجود الله تبارك وتعالى[1].وقد ركز زكي نجيب محمود فكره إلى إحياء الفكر الوثني القديم والفلسفي، وإهمال دور الحضارة الإسلامية لصالح الحضارة الغربية،وتمجيد تلامذة اليونان الذين يسمون بفلاسفة الإسلام،وعرض الفلسفات الماركسية والبراجماتية والوجودية دون إظهار باطلها كل ذلك بهدف زعزعة العقيدة الإسلامية [2] .

---

(1) - المصدر السابق ص ٢٣٧.

(2) - انظر :كُتّاب العصر تحت ضوء الإسلام للجندي ص ١٣٩. بتصرف .

«تعقيب»

لقد كان موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية موقفاً قوياً ، حيث بين فيه حقيقة الفلسفة اليونانية ، والتأثير الذي ألحقته بالفكر الإسلامي في العصر الوسيط ، وما يمكن أن تلحقه في هذا العصر على عقيدة وفكر الشباب المسلم نتيجة تدريسها بتلك الروح الانهزامية التابعة للفكر الغربي . ونجده اهتم ببيان كثير من القضايا خلال كتاباته منها :

١- عرف الجندي بمعنى الفلسفة اليونانية الهيلينية .

١-اعتمد الجندي خلال دراسته لها على مراجع أصيلة مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وخاصة كتابه العظيم الرد على المنطقيين ، وكذلك كتب تلميذه ابن القيم ،وكذلك كتب معاصرة مثل كتاب د. علي سامي النشار مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، وكتاب مصطفى عبدالرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية وغيرها .

٢- اهتم الجندي بذكر الأفكار والمعتقدات التي حملها الفكر الفلسفي ،لكن يؤخذ عليه أنه لم يسلك في ذلك منهجية معينة بل كان يذكرها دون ترتيب علمي منسق ، وكثير من تلك الأفكار والمعتقدات لا يذكر من كلامهم ما يدل عليها ، بالإضافة أنها لم تكن أفكاراً عامة مشتركة بين الجميع ، بل أنها تعتبر سمات لبعض الأشخاص .

٣- ركز الجندي على بيان تهافت النظرة التغريبية في كون تدريس الفلسفة يحرر العقل ويزيد من نمو مدارك عقول الناشئة ، وبين أن هناك ما يمكن أن يسمى بالفكر الفلسفي في الإسلام ، وعد صنيع الشافعي في كتاب الرسالة ، وغيره من علماء أصول الفقه وعلم الكلام خير دليل على ذلك[1].

٤- يؤخذ على الجندي عدم نقده لكل أفكار ومعتقدات فلاسفة اليونان ، مثل القول بقدم العالم ، وإنكار البعث،ولم يكن رده قوياً في بيان الأثر الفلسفي على الجانب الإلهي عندهم .

٥- لم يكن رد الجندي منطلقاً في كثير من الأحيان من المنهج القرآني ، فتجد تلك الردود في الغالب خاليه من الاستدلال عليها من القرآن و السنة النبوية أو كلام علماء السلف .

٦- ذكر الجندي أدلة القرآن على وجود الله تبارك تعالى ممثلاً في العديد من أساليب البحث ومناهجه وهي :

أ- الدليل الكوني المبنى على النظر في هذا العالم .

ب- الدليل العقلي التحليلي قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[الطور: ٣٥]

---

[1] - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ٩٠ ، تيارات ونظريات مسمومة ٤٨٤.

ج- دليل استنبطه العلماء من الآيات التي تتكلم عن سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وملخصه:أن تغير أحوال الأشياء التي نشاهدها يدل على حدوثها وضرورة وجود محدث لها لا يشبهها[1].

لكن الجندي لم يذكر غير هذه الأدلة وبالتالي أغفل دليل الفطرة الذي هو من أقوى الأدلة وهو المقدم عند جمهور أهل السنة والجماعة، وقد دلت عليه نصوص كثيرة من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة الأعراف : ١٧٢-١٧٤) ،وقوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم : آية ٣٠).

٧- ذكر الجندي من العلماء الذين وقفوا في وجه الفلسفة وعارضوها الغزالي ، وأنه قد هوجم من قبل المستشرقين ودعاة التغريب ووصفوه بأنه هو الذي جمد الانطلاق الفكري والثقافي عند العرب[2]،وهذا حق لا شك فيه،لكن الجندي امتدح الغزالي كثيراً و لم يبين الأخطاء التي وقع فيها ومدى تأثره بالمنهج الفلسفي ، وأنه لم يتبع المنهج السلفي في رده على الفلسفة ومن أبرز تلك الأخطاء[3] ما يلي :

* أن الغزالي اتبع في نقده للفلاسفة منهجاً مخالفاً لمنهج أهل السنة والجماعة ، فقد سلك في إبطال آرائهم أسلوب المغالطة ، وبأي مذهب كان ،مدعياً أنه لم يدخل في الاعتراض عليهم إلا دخول مطالب منكر،لا دخول مدع مثبت ،دون أن يتفرغ لإثبات مذهب بعينه ؛ فلذلك لم يسلك في تعامله مع الفلسفة طريقاً واحداً ، ومنهج ثابت ، فهو في سبيل هدم الفلسفة وبيان تناقضها ،يصرح بأنه لا يرى مانعاً ، من إلزام الفلاسفة بأي مذهب من المذاهب المبتدعة المنتسبة إلى الإسلام مهما كان باطلاً ، بحجة أن خطر هذه المذاهب على العقيدة ، أقل من خطر الفلسفة ؟![4].

(١) - انظر: المؤامرة على الإسلام ص٨٠ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٤٧٢

(٢) - انظر : المؤامرة على الإسلام ص ٧٦.

(٣) - وقد سبق الإشارة إلى شئ منها ص ٢٤٠ .

(٤) - انظر : موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها ص ٢٨٠-٢٨١، تهافت الفلاسفة ص ٤٣.

* أن الغزالي اضطرب وتناقض كثيراً في نقده للفلاسفة فبينما هو يكفرهم ويبدعهم في بعض المسائل،إذ نجده فيما بعد يقول بهذه المسائل ، ويقررها في بعض كتبه ، وممن ذكر هذا ابن طفيل،حيث قال :" وأما كتب الشيخ أبي حامد الغزالي،فهي بحسب مخاطبته للجمهور يربط في موضع ويحل في آخر،ويكفر بأشياء ثم ينتحلها،ثم إنه من جملة ما كفر به الفلاسفة في كتابه «التهافت » إنكارهم لحشر الأجساد ، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة ، ثم قال في أول كتاب «الميزان» إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع ، ثم قال في كتابه «المنقذ من الضلال» إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية ، وإن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث "[1]

* تأثر الغزالي بالمنطق اليوناني ،وأعجب به وجعله مقدمة للعلوم كلها ، وزعم أن من لا يحيط به فلا ثقة بشيء من علومه [2]، وخير مثال على ذلك صنيعه في كتابه «القسطاس المستقيم» حيث ذكر أن ميزان معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله وملكه وملكوته بموازين هي بعينها موازين المنطق اليوناني، ولذلك انتقده شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال :"ومازال نظار المسلمين يعيبون طريقة أهل المنطق ، ويبينون ما فيها من العي واللكنة وقصور العقل وعجز المنطق ... وإنما كثر استعمالها من زمن أبي حامد – الغزالي – فإنه أدخل مقدمة من المنطق في أول كتابه المستصفى ، وزعم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف المنطق . وصنف كتاباً سماه:القسطاس المستقيم ، ذكر فيه خمس موازين : الضروب الثلاثة الحمليات ،و الشرطي المتصل ، والشرطي المنفصل ، وغير عباراتها إلى أمثلة أخذها من كلام المسلمين ،وزعم أنه أخذ تلك الموازين من الأنبياء إلى أن قال : والمنطق الذي كان يقول فيه ما يقول ،ما حصل له مقصوده ، ولا أزال عنه ما كان فيه من الشك والحيرة ، بل كان متوقفاً حائراً فيما هو من أعظم المطالب العالية الإلهية ، والمقاصد السامية الربانية ، و لم يغن عنه المنطق شيئاً"[3].

---

[1] - حي بن يقظان ، لابن طفيل ، تحقيق أحمد أمين ،ص ٦٣، دار المعارف ، القاهرة .
[2] - انظر : المستصفى من علم الأصول للغزالي ، تحقيق د. حمزة حافظ ١/ ١٠.
[3] - الرد على المنطقيين ص ٢٣٨- ٢٤٢.

المبحث الرابع : الروحية الحديثة وفيه سبعة مطالب :

المطلب الأول : معنى الروحية الحديثة .

المطلب الثاني : نشأة الروحية الحديثة.

المطلب الثالث : عقائد الروحية الحديثة .

المطلب الرابع : أهداف الروحية الحديثة .

المطلب الخامس : وسائلهم وأساليبهم .

المطلب السادس : الروحية في العالم الإسلامي.

المطلب السادس : موقف الإسلام من الروحية الحديثة .

المطلب السابع: موقف أَنور الجندي من الروحية الحديثة .

المبــحــث الــرابــع
الــروحــيــة الحــديــثــة

المطلب الأول : معنى الروحية الحديثة :

أ–تعريف الروح في اللغة :

اشتقاق الكلمة من الريح ، قال ابن فارس[١] :الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد ، يدل على سعة وفسحة ، وأصل ذلك كله الريح ،وأصل الياء في الريح الواو،وإنما قلبت ياء لكسر ما قبلها ، فالروح روح الإنسان،وإنما هو مشتق من الريح،وكذلك الباب كله "[٢]

ويذكر علماء اللغة للروح عدة معان منها :

منهم من قال : الروح والنفس واحدٌ،غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب ، وقيل الرُوح في كلام العرب أيضاً النَّفخ ، سمي روحاً لأنه يخرج من الروح [٣].

وقال أبو البقاء الكفوي [٤]:الروح بالضم:هو الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه ، واسم للنفس لكون النفس بعض الروح [٥].

وفي المعجم الوسيط : الرَّوْحُ :الراحة و — الرّحمةُ. و-نسيم الروح .

والرُّوحُ:ما به حياة النَّفْس.والروحاني :ما فيه الروح ونسبة إلى الروح.والآباء الروحانيون:علماء النصارى والطب الروحاني:ضرب من علاج النفس [٦].

ب– تعريف الروح اصطلاحاً :

ذكر ابن القيم عدة تعريفات للروح ثم رجح في تعريفها " أنه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية وإذا فسدت هذه

---

[١] - أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب. ولد سنة ٣٢٩هـ، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها سنة ٣٩٥هـ، وإليها نسبته. من تصانيفه : مقاييس اللغة ، والمجمل ، جامع التأويل .(انظر : الأعلام ١/١٩٣).

[٢] - معجم مقاييس اللغة ، ٢/ ٤٥٤.

[٣] - تهذيب اللغة ٥/ ٢٢٤- ٢٢٥، لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٦٠ مادة روح .

[٤]- هو : أيوب بن موسى الحسيني، الكوفي، الحنفي (أبو البقاء) ولد في كفا بالقرم ، تولى القضاء بالقدس ، وببغداد ، وتوفي سنة ١٠٩٤هـ باستنبول ، من آثاره: الكليات، معجم في المصطلحات (انظر : معجم المؤلفين ١/ ٤١٨ ، الأعلام ٢/ ٣٨).

[٥]- الكليات،الكفوي ،تحقيق د.عدنان درويش،محمد المصري ص٤٦٩ ،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط الثانية، عام ١٤١٩هـ

[٦] - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ص٣٨١.

الأعضاء بسب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح "[1]

ج- تعريف الروحية الحديثة:

١- عرفها لالاند[2] بقوله هي :" مذهب يرى أن أرواح الموتى تعيش بعد الموت محتفظة بجسم مادي لكنه بالغ اللطافة ، على الرغم من كونها لا ترى عادة ، تستطيع الاتصال مع الأحياء بفضل بعض الظروف لا سيما بفعل الوسطاء "[3] .

٢- هي "اتجاه ميتافيزيقي معاصر يعتقد في خلود الروح الإنسانية وعودتها إلى العالم الأرضي بعد مفارقة البدن "[4].

٣- أصحاب الموسوعة الميسرة يعرفونها بقولهم :" دعوة هدامة وحركة مغرضة مبنية على الشعوذة. تدَّعي استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية ،وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد ، وتبشر بدين جديد وتلبس لكل حالة لباسها"[5].

المطلب الثاني : نشأة الروحية الحديثة:

تذهب الجمعيات الروحية إلى إن نشأة الروحية قديمة ، و أنها كانت موجودة عند قدماء المصريين ، والهندوس ، والإغريق والرومان والصينيين ، زاعمين أن ((سقراط)) نادى بإمكانية تخاطب الأحياء والأرواح ، ويقول أن هناك روحاً تكلمه وترشده[6].

أما عن ظهورها في العصر الحديث فقد بدأت في أمريكا عام ١٨٤٨م،ثم بأوربا،فأصبح لها مؤسسات وجمعيات ومراكز ففي أمريكا مثل «المعهد الدولي للبحث الروحي »، ومركز آخر في انجلترا اسمه « جمعية ماريليون الروحية ».ومن أهم زعمائها «سلفر برش »،و«هوايت هوك» إذ بث الأول أفكاره في كتابه «التوحيد والتعديد »،و«الحكمة العالية »،و((جان آثر

---

(١) - الروح ، ابن القيم الجوزية ،حققه محمد شريف سكر ص٣٩٢، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤١٢هـ .

(٢) – أندريه لالاند (١٨٦٧- ١٩٦٣م) ، فيلسوف وباحث في علم المناهج ، فرنسي ، أبرز ممثل للعقلانية الكانطية ، درس في عدة مدارس ريفيّة ، وحصل على الدكتوراه سنة ١٨٩٨م ،وعمل أستاذاً في الفلسفة بالسوربون ،وفي الجامعة المصرية . من كتبه : المعجم الفلسفي ، الأوهام التطورية . (انظر : موسوعة الفلسفة لبدوي ٢/ ٣٤٤).

(٣) - موسوعة لالاند الفلسفية ٣/ ١٣٢٦

(٤)- موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب،للطالبة : فادية بنت مصطفى،ص ١٧، رسالة ماجستير، بجامعة أم القرى ،غير منشورة.

(٥) - الموسوعة الميسرة ٢/٢٤٤.

(٦) - أضواء على الروحية ، د. علي راضي ،ص ٣٦، نقلاً عن موقف الإسلام من السحر دراسة نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ٤٢٥/٢، د. حياة با أخضر ، دار المجتمع ، جدة ،ط الأولى ، عام ١٤١٥هـ .

فندلي»[١] وكتابه المشهور «على حافة العالم الأثيري» و «أدين فردريك»[٢] وكتابه المشهور «ظواهر حجرة تحضير الأرواح »[٣].

المطلب الثالث : عقائد الروحية الحديثة :

وقد استقصى الجندي رحمه الله جملة من العقائد والمفاهيم التي يعتنقها دعاة الروحية وأتباعها ، وهي على النحو التالي :

١- تقوم تعاليم الروحية الحديثة على وحدة الوجود (فالله والعالم شيء واحد) عندهم [٤] ،يقول د. علي راضي :" إن الله موجود في كل الوجود صائر في كل مكان وفي كل زمان ، نعم ونحن لا نغيب عن حضرته و لا نبتعد عن قبضته "[٥] .

٢- يذهب غالبية دعاة الروحية إلى القول بعقيدة تناسخ الأرواح وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن فلا فناء للدنيا [٦]،وأقوالهم في التناسخ مشهورة منها قول روحهم سلفربرش :" إني أرجع لأصحابي الذين رافقتهم قروناً كثيرة ،لا تذوق الحياة التي عرفتها منذ أمد بعيد "[٧].

٣- يزعمون أنه ليس هناك يوم للبعث والحساب العام،والعبادات المقررة لا وزن لها عندهم.

٤- إنكار خلق الله للكون ومحاولة الترويج لقدم العالم وإنكار نهاية الخليقة.

٥- يدعون أن الجنة والنار فكرة عقلية ، أو حالة نفسية ، وأن الناس على اختلاف أديانهم ، وعلى اختلاف نحلهم وطبائعهم يعيشون فيما وراء الموت حياة هي نفس حياتهم على الأرض وإن فرص التكفير عن الذنوب لا تنقطع بموتهم [٨]، يقول د. علي راضي :" والأرواح التي تتصل بحجرات التحضير تخبرنا أن الإنسان عند موته تلقى روحه في العالم الآخر ما عمله من خير وشر محضراً ، وهذا العمل يكون على هيئة حياة عقلية رغدة أو منحطة"[٩].

٦- إنكار القرآن والإنجيل أساساً،ثم محاولة الاستشهاد بهما مع التحريف الشديد في سبيل خداع البسطاء وضعاف النفوس .

---

[١] - جان آرثر فندلاي (١٨٨٣-١٩٢٥م) يعد من أشهر كتّاب الروحية الحديثة .من كتبه : « على حافة العالم الأثيري» الذي ترجم إلى أكثر من عشرين لغة ،«طريق الحياة » . (انظر : موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب ، للطالبة : فادية بنت مصطفى ، ص ٢٧).

[٢] - إدوين فردريك باورز ، أستاذ علم النفس والأمراض العصبية بجامعة مينيا بوليس بأمريكا ،ومن أشهر مؤلفاته : «ظواهر حجرة تحضير الأرواح » (انظر : موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب ص ٢٧)

[٣] - انظر: الصوفية معتقداً ومسلكاً ،د.صابر طعيمة ص ٢٦٢، دار عالم الكتب ، الرياض ، الموسوعة الميسرة ٢/ ٢٥١.

[٤] - انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٨١، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٨

[٥] - أضواء على الروحية ص ١٢٦ ،عن موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب ص ٤٦.

[٦] - انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٨١، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٨

[٧] - سفير الأرواح ص ١٢١، عن موقف الإسلام من السحر ٢/ ٤٤٣.

[٨] - انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٨٠،مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٩

[٩] - العالم غير المنظور ص ٢١٣، عن موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب ص ٢٧٢.

٧- محاولة التفريق بين العبادات والأخلاق،والإدعاء بأن العمل الصالح وحده كاف؛لأنه يقرب الإنسان من ملكوت الله.ويشير سلفربرش إلى هذا المعنى حين يقول:"أعطني الرجل الذي لا يعتنق أي دين،والذي لا يركع لذكر الله،ولكنه أمين يحاول إن يخدم ويمد يده للضعيف ، ذلكم أكثر تديناً ممن ينسب إلى أي دين "[١].

٨- تدعو الفلسفة الروحية إلى التحرر من التكاليف والشعائر الدينية [٢]،ولذلك هم ينكرون كل ما في القرآن من أوامر ونواهي ربانية ويصرحون بأنه لا يوجد في القرآن دليل على شئ ، فالقرآن فقط للآخرة وليس للدنيا[٣] .

٩- من أخطر مفاهيم الروحية:القول بأن الإنسان روح لا مادة وهو من الخطأ بما يماثل القول بأن الإنسان مادة لا روح ، فالحق إن الإنسان مادة وروح [٤]

١٠-دعواهم أن الإنسان خالد على الأرض،وأن الوحي لم ينقطع بوفاة محمد ﷺ،وأن الأنبياء ليسوا إلا وسطاء،وأن العالم يتهيأ اليوم للقرآن الجديد الذي تأتي به الأرواح [٥]،يقول سلفربرش:"إن الوحي لا ينقطع أبداً،وهو آخذ في الترقي،ولا وقت له و لا حدّ،وليس هو بامتياز لأمة دون أمة ولا لشخص دون شخص والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئاً "[٦].

١١- يحاولون إضفاء واستغلال مظاهر العلم ، وأساليب البحث الفلسفي رغبة في تحقيق أكبر قدر من الإغراء والخداع[٧].

المطلب الرابع : أهداف الروحية الحديثة :

لقد سلكت الفلسفة الروحية مسلك الهدم والتقويض بغية تحقيق انتزاع المسلمين من دينهم ، وقوميتهم،وإخراجهم من عقائدهم وشريعتهم ، وقيمهم فتشكلت من جديد بمسمى حديث وهو ما دفع الجندي إلى بيان تلك الأهداف الحقيقية لها والتي منها :

١- هدم الأديان :

ويوضح الجندي بكل جلاء ووضوح هذا الهدف قائلاً : " تقوم الروحية الحديثة على معاداة الأديان ، وخاصة الإسلام والمسيحية ، وتكشف في كثير من إيماءاتها عن صلتها باليهودية

---

[١] - انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٨٢، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٩-٤٠٠ .
[٢] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص٢٣٠، مقدمات العلوم والمناهج ٢٢٣/٨
[٣] - انظر : موقف الإسلام من السحر ، حياة با أخضر ٢/ ٤٤٧.
[٤] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص٢٣٣، مقدمات العلوم والمناهج ٢٢٤/٨
[٥] - المؤامرة على الإسلام ص٢٢٤ ، مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٥٦١.
[٦] - مجلة المقتطف ٥٦/ ١٤٩، فبراير ١٩٢٠م ،عن موقف الإسلام من السحر ٢/ ٤٤٦.
[٧] - مقدمات العلوم والمناهج ٣٩٨/٥

التلمودية ، ولذلك فإن دعاة الروحية يهاجمون رجال الدين عامة ، كمدخل إلى مهاجمة الأديان نفسها،ويركزون على السخرية منهم واتهامهم بالتقصير والتأخر والجمود إلى غير ذلك مما يراد إلصاقه بالدين نفسه،فضلاً عن إنكار علماء الدين لما يدعونه من اتصال بالأرواح أو ما يسمونه بالعلاج الروحي،وهم في نفس الوقت يمجدون الوثنية والنحل القديمة ويعلون من شأن الفرعونية ويتخذون من أسمائها رموزاً لهم ولمحافلهم وهم يشيدون ببعض الأرواح الفرعونية مثل روح «رع أمون رع» و «همبوت» ويطلقون اسم «جمعية الأهرام »على محفلهم ويركزون على الآثار والكشف عنها ويولون هذه الكشوف عناية كبيرة " (١)

٢- هدم الأخلاق :

يقول الجندي مبيناً هذا الهدف:"ومنظمات الروحية مع ذلك تشترك مع كل المنظمات التي تعمل في خدمة الصهيونية العالمية في أنها تهدم الخلق حين تهدم الدين فالدراسات الروحية قد أصبحت أداة هدم كالدراسات النفسية المنحرفة سواء بسواء ، فالفريديون يبررون الجريمة حين يرون المجرم مريضاً ويرجعون دوافعهم إلى عقد نفسية مستقرة فيما يسمونه العقل الباطن فليس هناك إذن ما يدعو إلى القصاص بل ليس هناك ما يدعو إلى أن يخجل المجرم من نفسه ولا أن ينبذ المجتمع مجرماً ويطارده بالاحتقار ما دامت المسألة مرضاً لا حيلة فيه ، والروحيون يذهبون هذا المذهب نفسه من طريق آخر فهم يبررون الجريمة بإرجاعها إلى ما يسمونه (المس الروحي) والمجرم في الحالين مكره على الجريمة يرتكبها تحت عامل داخلي عند الفرويديين أو تحت عامل خارجي عند الروحيين وكل منهما يهدم التقنين الخلقي من أساسه لأنه يمحو المسؤولية الفردية التي هي مناط الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة .

ومن الواضح أنه يمحو في الوقت نفسه الشرائع السماوية كلها بل القوانين الوضعية أيضاً،فهو عود إلى الجبرية الضالة المفسدة للدين وللدنيا جميعاً " (٢).

٣- نشر فكرة العالمية(٣) أو الكونية:

يقول الجندي:"فإن هذه الدعوات تبشر بفكرة العالمية أو الكونية،وتلك غاية أخرى من غايات الدعوات الهدامة وهدف أصيل من أهداف الماسونية في خدمة الصهيونية العالمية "(٤).

---

(١) – نفس المصدر ، ونفس الصفحة ، الإسلام والدعوات الهدامة ص ٧٩-٨٠

(٢) – قضايا العصر ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) - سيأتي تعريفها ص ٤٠٢ من الرسالة

(٤) – الإسلام والدعوات الهدامة ص ٧٩، مقدمات العلوم والمناهج ٥/٣٩٨.

ويقول كذلك:"إن الروحية الحديثة هي صورة أخرى من صور العالمية... وهي مخطط إسرائيلي واضح الهدف ، والأسلوب يرمي إلى انتزاع الشخص من دينه وقوميته وصبه في قالب جديد من العالمية ، والكونية مستخدمة لذلك مختلف الوسائل حتى أنها تستخدم الدين في هدم الدين"[1].

المطلب الخامس : وسائلهم وأساليبهم :

إن شيوع الروحية في بلاد المسلمين كان نتيجة استخدامها عدد من الوسائل المختلفة التي جعلت المخدوعين بها يتأثرون بها ويتبعون أفكارها فهي تتخذ أسلوب الماسونية ذاته ، إذ تقوم على رموز وأسرار ، ولها درجات وهذه الوسائل تظهر من خلال كتابات الجندي وهي كالتالي :

أ- الأسلوب النفسي :

يقول الجندي : " وحيث إن الدعوات الهدامة تقوم على المادية فقد كان من الضروري خلق منطلق آخر له مدخل ناعم الملمس يحاول استقطاب المتدينين والذين يكرهون الدعوات المادية ، ومن هنا كانت الروحية أسلوباً للهدم فهم يدعون الناس ممن تحتويهم أساليب المذاهب المادية من إنكار الوحي ورسالات السماء ، ومن أن الأديان كانت تهدف إلى غاية واحدة فليس بينها خلاف وأن الرسل والأنبياء ليسوا إلا وسطاء بين الله وخلقه وأن هذه الرسالة قائمة لا تنقطع وأن هناك من يقومون بها على الدوام وفي الوقت الحاضر أيضاً"[2].

ب- أسلوب الخداع :

مما لاشك فيه أن الشيطان يقذف بشبهاته ووساوسه إلى النفس البشرية ودخوله إليها من الباب الذي تحبه وتهواه ، فنجد فئام من الناس ينجرفون وراء هذه المذاهب لما تمليه عليهم أنفسهم الشيطانية وهو ما عبر عنه الجندي بقوله : " وقد تبين أن المقبلين على هذه الحلقات هم ممن فقدوا أعزاء لديهم فهم يريدون أن يشبعوا شوقهم إليهم بالاتصال بهم ، أو ممن وقعوا في أزمات يطمعون في استقصاء أرواح أقارب أو شخصيات بارزة ، وسماع نصائحهم أو طلاب العلاج من الأمراض ، وقد انتشرت في السنوات الأخيرة أضاليل كثيرة منها

---

[1] - الإسلام والفلسفات الهدامة ص ٨٣ ، مقدمات العلوم والمناهج ٥/٤٠٠.

[2] - الإسلام والفلسفات الهدامة ص ٨١ ،مقدمات العلوم والمناهج ٥/٣٩٩ .

أرواح الموتى تقدم للأحياء أشياء مكتوبة تملي عليهم و قالوا إن أحمد شوقي [1] مازال يرسل بشعره من عالم الأرواح"[2].

ويضيف الجندي قائلاً :" وقد ظهرت كتابات متعددة تحاول أن تصور الروحية الحديثة بأنها دين جديد ، وأنها منظمة لكل البشر وعن طريقها سوف يوضحون لسكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة،يعطون البشر فكرة جديدة عن الله ومشيئته،ويأتون بالسلام والطمأنينة الروحية وبسعادة النفس والقلب،ويحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، وبين العقائد والأديان " [3].

ج- أسلوب التدرج :

لا يظن أحد أن هذه الفلسفات والمذاهب الهدامة تطرح عقائدها ومفاهيمها بوجهها الكالح وحقيقتها المرة دون أن تسترها بثوب الكذب والخديعة فهي تنادي بشعارات وعبارات يحسب السامع أنها حقائق متجذرة ومبادئ متأصلة ولكن عند التمعن والتحري إذا بها كلمات فضفاضة لا تحمل أدنى حقيقة وهي ما تنادي بها الروحية يؤكد ذلك الجندي بقوله :" إنها شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب والتي تلبس مختلف الأثواب ، وتخفي حقيقتها تحت شتى الأسماء وهي تتخذ اسم العلم أو السلام أو الرحمة أو محاربة الإلحاد والمادية "[4] .

د- دعوى القضاء على الاستبداد الديني :

يقول الجندي مبيناً ذلك:"ونحن نعرف أن هذه الفلسفات جميعاً نشأت في غير محيط الإسلام كرد فعل لمفاهيم سبقت بالكبت والحجر على العقول والأبدان،والدعوة إلى الرهبانية وتأليه الإنسان وما يتصل بذلك من دعوات التعدد وغيرها مما دفع الفكر الغربي إلى الصراع بين المثالية والمادية وبين الأديان والفلسفات،وهذا ما دفع بعض الفلاسفة إلى إعلاء الإنسان وإلى عبادة الأجساد،وما دفع الآخرين إلى وصف الدين بأنه أفيون الشعوب ، ودفع بعض الفلاسفة إلى القول بأن الإله الذي عرفوه عن دينهم قد مات وهكذا، ومن هنا كان رد فعل المادية المطلقة الغالية في إنكار عالم الغيب والوحي والأديان وإنكار الله إلى دعوة

---

(1) - أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي ، أشهر شعراء العصر الأخير . يلقب بأمير الشعراء ، ولد وتوفي بالقاهرة ، كانت ولادته سنة ١٢٨٥هـ ووفاته سنة ١٣٥١هـ ،من آثاره الشوقيات ،دول العرب ،عذراء الهند وغيرها .(انظر:الأعلام ١/ ١٣٦- ١٣٧) .

(2) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ٧٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/٣٩٧.

(3) - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص ٢٣١ ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٤٤٦

(4) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/٣٩٨.

غالية في الاتجاه الآخر إلى الروحية والعوالم و الأفلا ك وكلاهما مسرف شديد الإسراف ، وكلاهما يصدر عن العقل الذي تحكمه الأهواء والذي تقوده دعوة الفكر الحر فلا يستطيع أن يصل إلى شئ لأنه يخرج عن نطاقه ووظيفته وأفقه المحدود "[١] .

المطلب السادس :الروحية في العالم الإسلامي:

ثم سرت إلى العالم الإسلامي وتلقفها المتصوفة الخرافية ، وبعض السذج من المسلمين الذين ظنوا أنهم بالروحية الحديثة يمكنهم أن يدافعوا عن الإسلام ضد المادية الملحدة ، فظهر لها مؤيدون ومناصرون ففي مصر رجل اسمه «أحمد فهي أبو الخير »[٢] ترأس جمعية أسماها الجمعية المصرية للبحوث الروحية ، تصدر مجلة توزع شهرياً باسم عالم الروح ، وأنشأ بمصر كذلك جمعية أخري تحت مسمى جمعية الأهرام الروحية [٣].

أما عن المتأثرين بها والمؤيدين لها فقد اجتذبت هذه الفلسفة كثيراً من الأتباع في الشرق حتى أنها استطاعت أن تؤثر في بعض العلماء مثل الشيخ محمد حسنين مخلوف [٤]،الشيخ طنطاوي جوهري[٥]،ومحمد فريد وجدي فهو يؤكد على أن عدد المؤيدين للفكرة بلغ الملايين على حد تعبيره[٦]،ومن أعلامها كذلك والمتزعمين لوائها «الدكتور رؤوف عبيد »[٧] الذي دافع عن الفكرة في كتابه الإنسان روح لا جسد ، ومن معتنقي فكرة التحضير «علي عبدالجليل راضي» [٨] ألَّف حياة محمد الروحية ، العالم غير المنظور ، أضواء على الروحية، ومما يدل على وجودها في العالم الإسلامي إنشاء بعض الجمعيات لها[٩] .

---

[١] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ٧٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٠١

[٢] - يعد المؤسسي الحقيقي لمعظم الجمعيات الروحية الحديثة في مصر ، رأس تحرير مجلة عالم الروح ، توفي سنة ١٩٦٠م ، من كتبه : خلق الإنسان من تراب ، الروحية والجريمة ، ظواهر الطرح الروحي . (انظر : موقف الروحية من قضايا الإيمان بالغيب ص ٢٥).

[٣] - انظر:التيارات الوافدة موقف الإسلام منها لمزروعة ص ٥١- ٥٢، المذاهب الفكرية المعاصرة ،د. غالب العواجي ٢/ ٨٨١، الصوفية معتقداً ومسلكاً، د. صابر طعيمة ص ٢٦٢،

[٤] - محمد حسنين بن محمد مخلوف العدوي المالكي: فقيه عارف بالتفسير والأدب، مصري.ولد عام ١٢٧٧هـ وتخرج بالأزهر ودرس فيه،عين وكيلاً للأزهر ، توفي عام ١٣٥٥هـ من كتبه : المدخل المنير في مقدمة علم التفسير ، بلوغ السؤال . (انظر : الأعلام ٦/ ٩٦.)

[٥] - طنطاوي بن جوهري المصري: فاضل،له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة.ولد في قرية عوض الله حجازي من قرى الشرقية بمصر سنة ١٢٨٧هـ،وتعلم في الأزهر،وألقى محاضرات في الجامعة المصرية توفي سنة ١٣٥٨هـ من كتبه:الجواهر في تفسير القرآن الكريم .(انظر : الأعلام ٢٣٠/٣).

[٦] - الصوفية معتقداً ومسلكاً ،ص ٢٦٥.

[٧] - رؤوف عبيد :أستاذ القانون ووكيل كلية الحقوق في جامعة عين شمس،وهو يعد من أكابر المنظرين المعاصرين لهذه النزعة المنحرفة في العالم العربي،من أشهر مؤلفاته:مفصل الإنسان روح لا جسد،شوقيات جديدة من عالم الغيب .(انظر:موقف الروحية من قضايا الإيمان ص ٢٨).

[٨] - علي عبدالجليل راضي ، من أكابر الباحثين الروحيين المعاصرين في الشرق ، رأس جمعية ألأهرام الروحية ،وأنضم إلى جمعية ماريليون الروحية ، ومن كتبه : اعرف روحك ، العالم غير المنظور ، الروحية والدين . (انظر : موقف الروحية من قضايا الإيمان بالغيب ص ٢٥).

[٩] - مثل :الجمعية المصرية الروحية التي أسسها أحمد فهمي أبو الخير عام ١٩٤٩م ، جمعية الأهرام الروحية ، الجمعية الإسلامية الروحية ، وجمعية البحوث الروحية .

المطلب السادس : موقف الإسلام من الروحية الحديثة :

لقد وقف الإسلام من هذه الفلسفة موقف المعارض لها ، فهي كما تبين من خلال معتقداتها وأفكارها تمثل خروجاً صريحاً عن دين الإسلام. وقد جاءت الأدلة النقلية من الكتاب والسنة وكلام علماء المسلمين ما يبطلها تماماً فمن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [سورة المؤمنون:آية ٩٩ - ١٠٠] ،وهذه الآية من الأدلة القاطعة على أنه لا رجعة للروح في هذه الدنيا،ولا مجال لعمل الروح بعد الموت فالروح إما أن تكون في نعيم أو في عقاب فقط.

ومن السنة أحاديث كثيرة تدل على خروج الروح من الجسد ، وبقاءها بعد الموت ، واعية مدركة لما يدور حولها وليس فيها ما يدعيه أنصار الروحية ، من التقاء أرواح الأموات بالأحياء في اليقظة ،وخطابهم لها ومن ذلك حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدموني وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق"[(١)]، والحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره قالوا بلى قال فذلك حين يتبع بصره نَفْسَهُ"[(٢)] .

فقد كان استخدامهم للجن والشياطين منذ أول التاريخ ، فبعض الناس كانوا يزعمون أن أرواح الموتى تعود إلي الحياة بعد الموت ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" ومن هولاء – أي أهل الحل الشيطاني من الكفرة والمشركين والسحرة ونحوهم – من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت يكلمهم، ويقضي ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا ، فإنه تأتيهم تلك الصورة التي كانت في الحياة ، وهو شيطان تمثل في صورته فيظنونه إياه "[(٣)].

ويقول عنها العلامة «ابن باز»رحمه الله:" لقد شاع بين كثير من الناس من الكتاب وغيرهم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح،وزعموا أنهم يستحضرون أرواح الموتى بطريقة اخترعها المشتغلون بهذه الشعوذة يسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك من الشئون التي يظن أن عند الموتى علما بها في حياتهم ، ولقد تأملت هذا الموضوع كثيراً فاتضح لي أنه علم باطل وأنه شعوذة شيطانية يراد منها إفساد العقائد والأخلاق والتلبيس

(١) - صحيح البخاري ، كتاب الجنائز باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ، ص ٢٥٦، حديث رقم ١٣١٤

(٢) - صحيح مسلم ، ، كتاب الجنائز ، باب شخوص بصر الميت يتبع نفسه ص ٣٥٧، حديث رقم ٩٢٣.

(٣) - جامع الرسائل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ١٩٤- ١٩٥.

على المسلمين والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة ...و لا صحة لما يدعيه المشعوذون من قدرتهم على تحضير أرواح من يشاءون من الأموات ويكلمونها ويسألونها فهذه إدعاءات باطلة ليس لها ما يؤيدها من النقل ولا من العقل،بل إن الله سبحانه وتعالى هو العالم بهذه الأرواح والمتصرف فيها وهو القادر على ردها إلى أجسامها متى شاء ذلك ، فهو المتصرف وحده في ملكه وخلافه لا ينازعه منازع ، أما من يدعي غير ذلك فهو يدعي ما ليس له به علم ، ويكذب على الناس فيما يروجه من أخبار الأرواح ؛ إما لكسب مال ، أو لإثبات قدرته على ما لا يقدر عليه غيره ، أو للتلبيس على الناس لإفساد الدين والعقيدة ، وما يدعيه هؤلاء الدجالون من تحضير الأرواح إنما هي أرواح شياطين يخدمها بعبادتها وتحقيق مطالبها وتخدمه بما يطلب منها كذبا وزورا في انتحالها أسماء من يدعونه من الأموات ، كما قال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام : آية ١١٢ - ١١٣] وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٢٨] ، وذكر علماء التفسير[1] أن استمتاع الجن بالإنس بعبادتهم إياهم بالذبائح والنذور والدعاء وأن استمتاع الإنس بالجن قضاء حوائجهم التي يطلبونها منهم ، وإخبارهم ببعض المغيبات التي يطلع عليها الجن في بعض الجهات النائية ، أو يسترقونها من السمع أو يكذبونه وهو الأكثر ولو فرضنا أن هؤلاء الإنس لا يتقربون إلى الأرواح التي يستحضرونها بشيء من العبادة فإن ذلك لا يوجب حل ذلك وإباحته ؛لأن سؤال الشياطين والعرافين والكهنة والمنجمين ممنوع شرعاً، وتصديقهم فما يخبرون به أعظم تحريماً وأكبر إثماً بل هو من شعب الكفر؛ لقول النبي ﷺ:من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة [2].وفي مسند أحمد والسنن عن النبي ﷺأنه قال: "من أتى كاهناً

[1] - انظر : معالم التنزيل للبغوي ، تحقيق د . محمد عبدالله النمر وآخرون ١٨٨/٣، دار طيبة ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٦هـ ، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن ، للقرطبي ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، ٩/ ٢٨،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ .

[2] - رواه مسلم في صحيحه ،كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، ص٩١٧ حديث رقم٢٢٣٠.

فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ"(١) وقد جاء في هذا المعنى أحاديث وآثار كثيرة ، ولا شك أن هذه الأرواح التي يستحضرونها بزعمهم داخلة فيما منع منه النبي ﷺ ؛ لأنها من جنس الأرواح التي تقترن بالكهان والعرافين من أصناف الشياطين فيكون لها حكمها ،فلا يجوز سؤالها ولا استحضارها ولا تصديقها ، بل كل ذلك محرم ومنكر بل وباطل،لما تقدم من الأحاديث والآثار في ذلك ؛ولأن ما ينقلونه عن هذه الأرواح يعتبر من علم الغيب،وقد قال الله سبحانه :﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾[سورة النمل : آية ٦٥]،وقد تكون هذه الأرواح هي الشياطين المقترنة بالأموات الذين طلبوا أرواحهم فتخبر بما تعلمه من حال الميت في حياته مدعية أنها روح الميت الذي كانت مقترنة به،فلا يجوز تصديقها ولا استحضارها ولا سؤالها كما تقدم الدليل على ذلك.وما يحضره ليس إلا الشياطين والجن يستخدمهم مقابل ما يتقرب به إليهم من العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله فيصل بذلك إلى حد الشرك الأكبر الذي يخرج صاحبه من الملة(٢) .

المطلب السابع: موقف أنور الجندي من الروحية الحديثة :

أحسن الجندي في نقض موضوع تحضير الأرواح وقد كان رده عليه منطلقاً من قاعدة أساسية مبنية على الفهم الصحيح لمفهوم التوحيد الخالص ورد الأمور والمفاهيم إلى الكتاب والسنة فيقول:" إذا عرض للمسلم أمر من الأمور،أو مفهوم من المفاهيم ، فإنه يستطيع في يسر أن يعرضه على نص القرآن فإن وافقه موافقة صريحة تجري مجرى التوحيد قبله،وإلا نفض منه يده وقد ظهرت بعد الإسلام مذاهب ودعوات حمل لواءها أعداء الإسلام منها الروحية الحديثة"(٣).

ويبين الجندي بعبارة مختصرة خطورة عقائد الروحية الحديثة ، فيقول :" إن مراجعة يسيرة للعقائد والمفاهيم ،التي يعتنقها دعاتها وأتباعها ، تكشف عن خطورتها وآثارها البعيدة في تهديم الإسلام والتوحيد "(٤)

(١) - أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٤٠٨ ، وأبو داود في الطب ، باب في الكاهن ، ٤/ ٢٢٥، والترمذي في الطهارة ، باب في كراهية إتيان الحائض ، وابن ماجة في الطهارة ، باب النهي عن إتيان الحائض ١/ ٢٠٩، والدارمي في مسنده ١/ ٧٣٢، والحاكم ١/ ٨ وصححه على شرط الشيخين . والحديث صححه الألباني في الإرواء ٧/ ٦٨، وغاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص ١٤٠ .

(٢) - مجموع فتاوي ، العلامة ابن باز ٣/ ٣٠٩-٣١٢ بتصرف .

(٣) - انظر : مجلة منبر الإسلام العدد الخامس السنة ٢٨ ، ص ٣٢

(٤) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٣٩٨.

وقد رد الجندي على العقائد والمفاهيم التي ادعاها دعاة الروحية الحديثة ومنها زعمهم أن الروح جسم مادي شفاف يستحضرونه متى أرادوا وأن الموتى بعد الموت مباشرة يكونون في عالمهم وبذلك يستطيعون مكالمة الأرواح بعد خروجها من الجسم ورؤيتها مجسمة بواسطة شخص يكون فيه الاستعداد لذلك يقول الجندي مبيناً بطلان هذا الزعم والادعاء: "ولا ريب أن القول بأن أرواح المتوفين يمكن أن تعود إلى عالمنا،وأن تتكلم هو ادعاء ليس لديه أي دليل علمي أو عقلي،ذلك أن عالم الروح عالم غيبي من المستحيل أن يستطيع البشر اختراقه وأن كل ما عرف عنه لا يعدو ما جاء في الكتب المنزلة وفي مقدمتها القرآن[1] .

ويقول كذلك:"ولا ريب أن الروح بعد الموت تدخل في عالم آخر،ومن الزيف أن يقال :إنها مما يمكن الاتصال به والحديث إليه "[2].

ويضيف الجندي قائلاً:"ولعل أخطر اتجاهات فلسفة الروحية الحديثة هي الاتصال بأرواح الموتى،يقول الدكتور «محمد محمد حسين» :"إن إطلاق الاتصال بالموتى وجعله في متناول كل إنسان والاستعانة به في شؤون مرضانا وشؤون دنيانا المختلفة إفساد للحياة التي يقوم بعض عمرانها على التنافس واستباق الخيرات وعلى المحاولة المتصلة الدائبة المتكررة في سبيل التفوق وفي التغلب على الصعاب والانتصار على مصادر التعب والقلق ومن بينها المرض ، وهو كذلك إبطال للحكمة في خلق الموت والحياة وما قدر الله سبحانه وتعالى وقضى من إقامة الحجاب بينهما لحكمة يعلمها تنتظم بها حياتنا في الدنيا والآخرة .

ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن في عالم الخفاء شريرين ومفسدين وكفاراً وضالين ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾[سورة الجن : آية ١١]،وأن معرفة الأحياء والأموات والجن والإنس محدودة بحدود الزمان والمكان الذي لم يحيطوا به ولا سبيل إلى الإحاطة به فالله سبحانه هو وحده الذي أحاط بكل شيء علماً،فمن استنجد بهم واستمدهم وعاذ بهم فقد أرهق نفسه وغامر بها في المهالك وعرضها للشر كله ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[سورة الجن : آية ٦] ومن عاذ بالله وتوكل عليه فهو حسبه سبحانه وتعالى﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[سورة الطلاق : آية ٣] [3].

[1] – انظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ٧٧، مقدمات العلوم والمناهج ٣٩٧/٥

[2] - المؤامرة على الإسلام ص٢٢٤

[3] الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ، ص٢٣٣ ، ٢٣٤ ، قضايا العصر ص١٤٠

ويرد الجندي على زعمهم بأنهم يجرون التجارب على الاتصال بأرواح الموتى لترد الناس عن الانغماس في التيار المادي الإلحادي فيقول:"ولا ريب بأن القول إن العلم الروحي قد أصبح علماً تجريبياً هو من أكبر التجارب الخاطئة التي ليس هناك دليل على صحتها ولا ريب أن التواصل بين الأحياء والموتى أمر مشكوك فيه إلى درجة الاستحالة المطلقة [(١)]، ومن الخطأ في هذا المجال الربط بين هذه المفاهيم الوافدة وبين القرآن الكريم عن طريق التعسف في تأمل الآيات والنصوص" [(٢)].

ومن الأدلة التي يتناقلها دعاة الروحية الحديثة زعمهم إن تلك الأرواح ليست أرواح جن أو شيطانية وإنما هي أرواح حقيقية آدمية طاهرة كما يزعمون فيرد الجندي بقوله : " إن أرواح الموتى لا سلطة لبشر عليها فيحضرها ولا يستطيع التصرف دون إذن ربها فالأحاديث الصحيحة تدل على أن الروح بعد الموت يتلقاها ملكان فيصعدان بها إلى السماء فيؤمران أن ينطلقا بها إلى آخر الأجل إلى قيام الساعة فليست الروح حرة التصرف في عالم ما بعد الموت تفعل ما تشاء بدون إذن ربها ولا سلطة لبشر على تلك الأرواح يستحضرها أو يستجوبها أو يسخرها لاستجواب الآخرين،وبذلك يتأكد بطلان دعوى مستحضري الأرواح بأن الأرواح التي تحضر في الجلسات هي أرواح موتى البشر،فأرواح الموتى ليست حرة في تنقلاتها وتصرفاتها لأن أرواح البشر تسأل بعد الموت عن عقائدها وترى مقعدها من الجنة أو النار وتنعم أو تتعذب بنعم أو لذات خاصة بعالم البرزخ تختلف باختلاف درجات اليقين أو الإيمان فكيف تكون تلك الأرواح المستحضرة أروحاً بشرية،إن استحضار الأرواح وسؤالها عن المغيبات نوع من الكهانة،وإن اعتماد الكهانة وتصديق أخبارها محرم في شرع الله تعالى يقول صلى الله على وسلم"من أتى عرافاً فسأله فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً "[(٣)]،إن مجالس استحضار الأرواح الخالية من الإيحاء والدخل إنما تحضرها أفراد من الجن

---

(١) - هذا الكلام إذا كان المراد به التواصل بين الأجساد فهذا لاشك أنه غير موجود، أما التواصل بين الأرواح فهو موجود وثابت بالأحاديث وإجماع السلف على ذلك فقد نقل الإجماع ابن القيم في كتابه الروح قال العلامة ابن القيم رحمه الله : (والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي له ويستبشر به) ، ثم قال ابن القيم رحمه الله : (وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل) انظر الروح لابن القيم ص ٢٢، ٥٩ ، ودليل ذلك من السنة أحاديث كثيرة منها قصة ثابت بن قيس بن شماس في معركة اليمامة ، فهذا هو الذي عليه السلف من أن أرواح الأموات باقية إلى ما شاء الله وتسمع ، ولكن لم يثبت أنها تتصل بالأحياء في غير المنام (ينظر: مجموع الفتاوى لابن باز ٣٤١/٣) .

(٢) مقدمات العلوم والمناهج ٤٠١/٥

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم ٢٢٣٠.

فهي نوع من الكهانة وإن ما تقدمه من معلومات هو خليط من الصدق والكذب فلا يجوز تصديقها ولا اعتماد أخبارها ولا الاعتقاد بأنها أرواح موتى البشر"[1][2] .

يقول الجندي:"والمسلمون لا يؤمنون بأن الأرواح التي ذهبت تستطيع أن تتصل بعالمنا هذا أو أن يكون لأحد في عالمنا سلطان لاستحضارها ، ولا يقر الإسلام الاتجاه إلى الروحية وحدها،وليس الإنسان روحاً بلا جسد ولا ينصر الإسلام إحدى الكفتين الروحية أو المادية ولكنه يجمعهما معاً ويوازي بينهما ، وهذه الدعوة إلى الروحية ليست إلا أنموذجاً للدعوة إلى المادية وكلاهما تتعارض مع الفطرة وطبيعة الإنسان ومع مفهوم العقل المؤمن بالوحي ، ويبقى الإسلام متميزاً بنظامه ودعوته إلى الإيمان بالله ومقاومته لطغيان المادية أو الروحية على السواء " [3].

لقد اجتهد الجندي في كشف ماهية هذه الدعوة فيقول " إنها من الدعوات التي تسوقها قوى الغزو الثقافي والاستعمار الفكري ، دعوة الروحية الحديثة التي تعتمد على استحضار أرواح الموتى،وهي دعوة تعارض مفهوم الإسلام في أنها تخضع عالم الغيب للتجريب فهي تلبس مسوح العلم وتصطنع اسمه حين تزعم أنها تجري التجارب على الاتصال بأرواح من ماتوا تدعي إنها ليست حرباً على المادية كما يزعم أصحابها ولكنها إغراق فيها وإمعان في التمسك بها ، لأنها لا تقنع بإخضاع المحسوسات للمنهج التجريبي ولكنها تتطاول إلى ما وراءها تريد أن تخضع للتجربة وإذا سلم الناس بذلك انتهى بهم إلى إنكار كل مالا يمكن ثبوته عن هذا الطريق " [4] .

والجندي يرى أن هناك توافقاً بين عقائد الفكر الباطني والروحية الحديثة مما جعله يقول بأن : " من الدعوات الجديدة التي جددت الفكر الباطني والوثني القديم دعوة الروحية الحديثة

---

[1] - ويرد هذا حديث عائشة رضي الله عنها قالت سأل أناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليسوا بشيء " قالوا يا رسول الله : إن يحدثون أحيان الشيء يكون حقاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الجن ، يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة " متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه ،كتاب الطب ، باب الكهانة ، ص ١١٢٧- ١١٢٨، رقم الحديث ٥٧٦٠، ومسلم كتاب السلام ، باب تحريم الكهانه وإتيان الكهان ص ٩١٧ ، برقم ٢٢٢٨، . ويقول الخطابي : معناه أن الجني يقذف الكلمة إلى وليه الكاهن فتسمعها الشياطين ،كما تؤذن الدجاجة بصوتها صواحباتها فتتجاوب (انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، ١٠/ ٢٧٠ ، دار السلام، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ).

[2] – تصحيح المفاهيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، ص١٥٧ ، ١٥٨

[3] – مقدمات العلوم والمناهج ٥/٤٠٤.

[4] - قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، أنور الجندي ص١٣٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط الأولى عام ١٤٠١ هـ .

التي تتمثل في ذلك التيار الذي يغمر عالم الإسلام بالجمعيات الروحية ، وما يتبع ذلك من مؤلفات وكتابات تحاول إقرار هذا المعنى في النفوس "[1].

تعقيب

١- نجد أن الجندي لم يعرف بالروحية لذا قمت بتعريفها من عدة مصادر .

٢- اعتمد الجندي على كتب أساسية لدعاة الروحية سواءً في الغرب مثل كتب «سلفر برش» أو في الشرق ككتب د. علي راضي ونقل بعض تلك النصوص التي تؤيد فساد ما ذهبوا إليه ، كذلك رجع الجندي إلى كتب نقدت الروحية ومن أهمها كتب د. محمد محمد حسين خاصة كتابه «الروحية الحديثة دعوة هدامة».

٣- ذكر الجندي كثيراً من عقائد ومفاهيم الروحية الحديثة ونقل لبعض تلك العقائد نصوصاً من كتبهم ، وإن كان غاب عنه بعضها .

٤- اعتمد الجندي في نقده الروحية على القرآن والسنة فذكر بعض الشواهد التي تبين فساد وانحراف هذه الفلسفة وبُعدها عن الدين .

٥- أساس دعوة الروحية الحديثة قائمة على ادعاء علم الغيب وهذا ما لم يوضحه الجندي، فإن دعاة الروحية يزعمون أنهم يستحضرون أرواح الموتى ويسألونها عن أخبار الموتى من نعيم وعذاب وغير ذلك من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله عزوجل وهذا انحراف كبير في مسألة تعد من أهم مسائل العقيدة وهي الإيمان بالغيب الذي هو أساس الإيمان كله؛لان أركان الإيمان كلها من الأمور الغيبية وكل من ادعى علماً بشئ من الغيب من تلقاء نفسه يكون مشركاً ؛لدعواه مشاركة الله في علمه وفيما هو من خصائصه .قال تعالى:﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [سورة النمل : ٦٥]

---

[1] المؤامرة على الإسلام ، ص٢٢٢ ، مقدمات العلوم والمناهج ٥٥٩/١ .

الفصل الثاني:التيارات الفكرية المنحرفة وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول :الداروينية.

المبحث الثاني :الفرويدية .

المبحث الثالث :الوجودية.

المبحث الرابع:العلمانية.

المبحث الخامس :القومية .

المبحث السادس :العالمية .

المبحث الأول الداروينية وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريفها .

المطلب الثاني : أسس نظرية دارون .

المطلب الثالث : أسباب انتشار نظرية دارون .

المطلب الرابع : آثار نظرية دارون.

المطلب الخامس : نظرية دارون في العالم الإسلامي.

المطلب السادس : موقف الإسلام من الداروينية.

المطلب السابع : موقف أنور الجندي من الداروينية .

المبحث ألأول

الـــداروينـــيـــة

المطلب الأول : مفهومها :

نظرية دارون[(١)]:" فقد افترض داروين أن الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة،وحسب قانون الانتقاء الطبيعي وبقاء النسب نمت الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة الطبيعية ومصارعة الكوارث المفاجئة وتدرجت في سلم الرقي ، وبتعبير داروين فقد وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع بإضافة أعضاء أو صفات جديدة،وقد أدى ذلك إلى تحسن نوعي مستمر نتج عنه أنواع جديدة راقية كالقردة ونوع أرقى وهو الإنسان"[(٢)] .

وعرفت كذلك بأنها:"افتراض أن جميع الكائنات الحية تعيش على الأرض من نبات وحشرات وحيوان وإنسان قد نشأت جميعها عن أصل واحد،أو كانت في بدايتها شيئاً واحداً،وأنه نتيجة للتغيرات المستمرة التي حدثت لها قد تحولت من كائنات بسيطة التركيب إلى كائنات أخرى أكثر تعقيداً وتنوعاً"[(٣)].

وقد ذهب الجندي إلى أصل هذا المعنى حيث ذكر بعض تفسيرات دارون التي منها : القول بوحدة المخلوقات جميعاً،وأن الإنسان والحيوان والطير والأسماك والحشرات مشتقة من أصل واحد أو بضعة أصول [(٤)]،وأن أصل الحياة جاء من كتلة هلامية خرجت من البحر [(٥)]، ويرى دارون بزعمه أن المادة أو الطبيعة الجامدة هي التي خلقت الكائنات الحية من نبات وإنسان،وأن الحياة بدأت من خلية واحدة،وأخذت تتكاثر وتنقسم،وفي كل طور من أطوار انقسامها كانت تتصارع فيها العناصر،وفي كل صراع كانت الطبيعة تتدخل فتختار الأصلح من العناصر ، ثم يقضى على غير الأصلح بالفناء[(٦)].

[(١)]- عالم حيوان إنجليزي،اشتهر خصوصاً بمذهب التطور ولد سنة ١٨٠٩ م،ومات سنة ١٨٨٢م.وقد بنى دارون نظريته على مشاهدات رآها عبر رحلة بحرية،استمرت خمس سنوات،وجمع تلك المشاهدات في كتاب سماه أصل الأنواع،ومن:كتبه تغير الحيوان والنبات تحت تأثير الاستئناس .(انظر: الموسوعة الفلسفية لبدوي ٤٧٣/١،الموسوعة الفلسفية ص١٩٢، تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٣٥١- ٣٥٥) .

[(٢)] - نظرية النشوء والارتقاء _ أصل الأنواع – ترجمة إسماعيل مظهر ص ١١٩-١٢٠

[(٣)] - المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ، ص ١٧، مجلة عالم الفكر ١٢/ ٢٣٦.

[(٤)]– تاريخ الغزو الفكري والتغريب ، أنور الجندي ص ٨٣ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

[(٥)]– الفكر الغربي دراسة نقدية ، ص١٥٣ .

[(٦)] – تراجع الفكر المادي ص٨٠ .

المطلب الثاني : أسس نظرية دارون :

هذه النظرية بناها دارون من خلال أسس وقواعد استوحاها من مشاهداته وافتراضاته وهي:

١-**الانتخاب الطبيعي** ويقصد به:أن الطبيعة تنتخب الأقوى ، والأكمل فتبقيه ، وتلاشي الأضعف والأنقص وتبيده ليكون نتيجة ذلك الارتقاء بمعناه الأعم[1].

٢- **تنازع البقاء** ويقصد به :أن كل الكائنات الحية في تنازع مستمر ، وأن البقاء إنما يكون للأكمل والأقوى من المتنازعين ، أما الأضعف فإنه يتلاشى لأنه غير صالح للحياة[2].

٣- **ناموس المطابقة** ويقصد به:أن لنوع الغذاء وطريقة الوصول إليه أثراً كبيراً في إحداث الاختلافات بين أنواع الكائنات وطبيعتها ، فالأسد مثلاً لو لم يجد اللحم مدة طويلة لأكل النبات وتتحول أنيابه الحادة وأظفاره القوية فتضعف لإهمالها على توالي الأحقاب ، وتضمر وتوجد آلات أخرى أصلح للمعيشة [3].

٤- **ناموس الوراثة** ويقصد به :أن الصفات العرضية التي تحدث في الآباء بسبب اختلاف الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل إلى الأبناء ، ومع مرور القرون والأجيال تتحول تلك الصفات العرضية إلى صفات جوهرية تجعل الكائن الحي يختلف تماماً عن أصله كما في الحمار والحصان [4].

المطلب الثالث : أسباب انتشار نظرية دارون :

توجد عدة أسباب أدت إلى انتشار هذه النظرية وأهمها ما يلي :

١- اليهود: من أعظم الوسائل التي اتخذها اليهود في تقويض عقائد الأميين،وإزالة ما بقي من أثر للدين في حياة الناس استغلال النظريات العلمية فيصور،الجندي ذلك بقوله:"عملت اليهود الصهيونية على احتضان كل فكر ينشر المبادئ الإلحادية والهدامة،ولهذا لم يكن غريباً أن تراهم يتهللون لدارون عندما نشر نظرية النشؤ والارتقاء وينشرون في برتوكولا صهيون

---

(1) - الإسلام ونظرية داروين،محمد باشميل ص ٤٤،ط الثالثة،عام ١٤٠٤هـ،العقيدة في الله،د.عمرالأشقرص٨٥،دار النفائس،عمان، ط الثانية عشر ،عام ١٤١٩هـ .

(2) - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(4)- المصدر السابق ص٤٣-٤٥ ، وينظر : التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، د. محمود مزروعة ص ١٣٠ – ١٣٥،دار الرضا ، الجيزة ،ط الأولى،عام ١٤٢٥هـ ، كواشف زيوف للميداني ، ص٣١٧-٣١٨، دار القلم ، دمشق ، ط الثالثة ، عام ١٤١٩هـ ، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ،د. محمود عثمان ص١٤٥- ١٥٠، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، المنصورة ، ط الخامسة ، عام ١٤٢٥هـ .

إن دارون ليس يهودياً،ولكن عرفنا كيف نشر آراءه على نطاق واسع،ونستغلها في تحطيم الدين "[1]

وقد كشف الجندي هذا المخطط اليهودي في كتابه «المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي»قائلاً:"لما كان هدف الأيدلوجية التلمودية إقامة إمبراطورية الربا العالمية فقد رسم اليهود أهدافهم بدقة حيث أجروا مخططاً كاملاً للسيطرة على العالم،أو الانتقام من الأمميين،وجعلوها من الدعوات الهدامة سبيلهم إلى تحقيق غايتهم ... ويرى المؤرخون أن التلمودية الصهيونية مهدت لاستيعاب الرأي العام المسيحي ابتداء من ظهور الكثلكة،وأنها استخدمت أسلحتها الدعائية في أعقاب حركة الإصلاح الديني، ووقف وراء النظريات العلمية لتحويلها من هدفها الطبيعي إلى الغايات التلمودية،وأبرز مظاهر هذا الاتجاه ما أريد بنظرية دارون التي كانت قاصرة على العلوم البيولوجية لجعلها نظرية اجتماعية عامة تطبق على المجتمعات وتحمل لواء الدعوة إلى التطور المطلق وإنكار الثوابت "[2]

٢- الاستعمار والتغريب :

إن دوائر التغريب ودعاته يهدفون إلى متابعة الفكر الغربي في مبادئه وأفكاره،فلذا نجده قد حرص على أن يطرح مفاهيم دارون وسمومه منذ وقت مبكر،وكان الهدف من ذلك هو إعلاء الفلسفة المادية [3].

ومع سقوط هذه النظرية حتى عند الغربيين إلا أن"هذه القوى التغريبية مازالت تعمل في قوة لتجديد المغالطات والأكاذيب لتستمر هذه النظرية في خداع أكبر عدد من الناس،حيث تقوم على أساسها فلسفات مادية خطيرة منها النظرة الماركسية ذاتها،ومن حيث إنها تقدم مفهوماً زائفاً للإنسان،حيث تصوره بأنه حيوان،ومن حيث تركيز مفاهيم الاستعمار التي تقرر أن البقاء للأقوى والهلاك للأمم الضعيفة "[4].

وقد استطاع الاستعمار أن يفرض نظرية التطور،ومفاهيم دارون على دراسات العلوم الطبيعية في أغلب بلاد العالم الإسلامي،لكون هذه النظرية وخاصة في أساسها المبني على تنازع البقاء يخدم الفكر الاستعماري الذي اعتمد على القوة كوسيلة للسيطرة على الضعيف

---

(١) – التأصيل الإسلامي ص١٩٥ .

(٢) – المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ص١٧٩- ١٨٠ .

(٣) – انظر:أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص٢١٠- ٢١١ .

(٤) – المصدر السابق ص٢٠٩ .

على النحو الذي سارت عليه عمليات الاستعمار والاحتلال والحروب الاستعمارية،تبريراً للاستيلاء على موارد الغير وممتلكاته بالقوة والعنف [1].

٣- العلمانية ودعاتها :

اعتبرت نظرية التطور منطلقاً للفكر العلماني بل لا توجد فلسفة بلورت الرؤية العلمانية الشاملة للكون أكثر من الفلسفة الداروينية،وهو ما جعل بعض الباحثين يعدون نظرية التطور من أبرز أسباب قيام العلمانية في أوروبا [2]،ثم انتقلت إلى بلاد العالم الإسلامي بفضل دعاتها وأعوانها من المنافقين والمغرضين .

يقول الجندي:"ولقد نقلت العلمانية نظرية التطور بمختلف أخطارها وأبعادها إلى الفكر العربي الإسلامي،وجرى كثير وراء بريقها دون تقدير لمفهوم الاسم الجامع دائماً بين التطوير والثبات وهو جمع يقوم على أساس علمي صحيح "[3].

ويرى الجندي أن نظرية دارون من أول السموم التي طرحها الفكر الغربي الوافد في أفق الفكر الإسلامي،لقد جاءت مع الرياح الصفراء التي هبت على بلاد المسلمين بعد الاحتلال البريطاني لمصر،ومع مقدم جماعة خريجي الإرساليات التبشيرية،صروف [4]، ونمر[5]ومكاريوس[6]أصحاب المقطم والمقتطف،ومعهم الدكتور شبلي شميل [7]الذي كانت مهمته الدعوة لنظرية دارون،والذي ترجم أشد الكتب الغربية تطرفاً في فهم هذا المذهب-

---

[1] - انظر:أخطاء الفلسفة المادية ، أنور الجندي ص٢٨-٢٩ ، دار الاعتصام، القاهرة .

[2] – انظر: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة د. سفر الحوالي . ص١٧٧ – ٢٠٦ .

[3]- سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، ص٨٦ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م .

[4] – يعقوب بن نقولا صروف (١٨٥٢- ١٩٢٧م)،عالم بالفلسفة والرياضيات والفلك ، ولد في قرية الحدث بقرب بيروت ، وتعلم في الجامعة الأمريكية ،شارك في إصدار مجلة المقتطف والمقطم ، من كتبه: سر النجاح ، الحرب المقدسة ، الحكمة الإلهية .(انظر الأعلام ٢٠٢/٨).

[5] - فارس نمر (١٢٧٢ - ١٣٧١ هـ)كاتب، من السابقين إلى العمل في الصحافة، في الشرق العربي. ولد في حاصبيا بلبنان " فحملته أمه إلى بيروت ثم إلى القدس، وقد تلقى بعض مبادي العلوم في المدارس الانكليزية وقصد بيروت ثانية، فتخرج بالكلية السورية (سنة ١٨٧٤ م) وقد أصدر مجلة المقتطف .(انظر الأعلام ١٢٧/٥) .

[6] - شاهين مكاريوس (١٨٥٣ - ١٩١٠ م): من مؤسسي جريدة المقطم بمصر، وأحد أصحاب المقتطف، ولد في قرية إبل السقي من مرج عيون بلبنان ونشأ في بيروت يتيما فقيراً، وحملته أمه إلى بيروت حيث كانت تعوله من عملها في خدمة الدكتور فانديك، فتعلم فن الطباعة، وتولى إدارة مجلة المقتطف ببيروت (سنة ١٨٧٦ م) ورحل إلى مصر مع زميليه يعقوب صروف وفارس نمر. وخدم الماسونية بكتبه: الجوهر المصون في مشاهير الماسون و الحقائق الاصلية في تاريخ الماسونية العملية و الدر المكنون في غرائب الماسون.(انظر الأعلام ١٥٣/٣).

[7] – شبلي إبراهيم شميل طبيب باحث كان ينحو منحى الفلاسفة في عيشته وآرائه ، ولد في كفر شيما بلبنان سنة ١٢٦٩هـ ، وتعلم في الجامعة الأمريكية ببيروت،سكن مصر ، وتوفي سنة ١٣٣٥هـ ، من كتبه ملتقى السلسبيل .(انظر : الأعلام ٣/ ١٥٥).

كتاب بخنر[١] -الذي يعد من أشد المتطرفين في المذهب المادي الملحد[٢].

٤- الطغيان والغلو الكنسي :

يقول الجندي مبيناً ذلك :" إن المادية جاءت نتيجة غلو الكنيسة الشديد في رهبانيتها المبتدعة التي أهملت الجانب المادي في الإنسان من جهة والتي غالت في جانبه الروحي من جهة أخرى مغالاة انتهت إلى رفع الإنسان من بيئته البشرية إلى مرتبة الألوهية تماماً كما فعلت المذاهب الوضعية فيما قبل التاريخ أمثال البوذية والكرشيين والهنود الذين رفعوا كرشانا وبوذا إلى مصاف الآلهة ، وكانت هذه المغالاة العامل الرئيسي والسبب المباشر في انتشار فكرة التطور المادية وهي فكرة أبى أصحابها الاعتراف بمبدأ الخالقية وما يترتب عليه من استغلال الإنسان في نشأته على الرغم من تصريحاتهم الصريحة بخلو فكرة التطور وخوائها من أي دليل إطلاقاً على وجه الخصوص ، إن أصحاب نظرية التطور يؤمنون بها كبديل عن الإيمان بالخلق المباشر الذي يرفضونها تماماً "[٣]

المطلب الرابع : آثار نظرية دارون :

لاشك أن الآثار الناجمة عن هذه النظرية وخيمة وجسيمة استطاعت أن تؤثر في بعض المجتمعات الإسلامية فضلاً عن المجتمعات الغربية التي كانت تنتظر الفرصة لقبول مثل هذه النظريات نتيجة الطغيان الكنسي" لقد كانت الكنيسة في العصور الوسطى قد تحولت من معنى الرحمة السابغة والروحانية الصافية التي توحي بها طبيعة المسيحية(النصرانية)،على سلطان دنيوي قاهر مذل ، تفرض عليهم الضرائب المرهقة والعشور التي تثقل كاهلهم ، وتفرض عليهم الخضوع المذل لرجال الدين،وتفرض عليهم أفكاراً معينة بوصفها كلمة السماء من خالفها فهو ملحد وخارج على الدين " [٤] لذا كان الصراع بين العلم والدين على أشده ، فكانت الثورة الفرنسية التي أخذت في طمس البقايا من الدين وصبغت المجتمع الغربي بصبغة التحلل والتفسخ الأخلاقي الذميم.

ذكر الجندي بعض هذه الآثار في ثنايا حديثه عن الفكر الداروبي والتي من أبرزها :

١-انتشار الإلحاد:

---

[١] - بخنر (١٨٠١م – ١٨٨٧م) عالم ألماني،ويعتبر من أكبر قادة الداروينيين،ومن كبار الملحدين ، عمل أستاذا بجامعة ليبز.(انظر : الإسلام ونظرية دارون) .

[٢] - أصالة الفكر الإسلامي ص ٤٦٢ .

[٣] - الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية ص ١٧٦ .

[٤] - انظر: معركة التقاليد ، د. محمد قطب ، ص١٦ ، دار الشروق ، القاهرة ، طبع عام ١٤١٥هـ .

يقول الجندي:"وقد استغلت نظرية دارون استغلالاً بشعاً لتدمير قيم الأديان ، ومفاهيم الروح والنبوة وغيرها،وكان الهدف من استغلال النظرية إشاعة روح الإلحاد والإباحية والتأثير في مفاهيم الأخلاق،والاجتماع،ومن منطلق نظرية دارون ظهرت كل الدعوات الإلحادية والمذاهب الهدامة" [1].

وأشار الجندي إلي أن نظرية التطور التي جاء بها دارون هي أول نقاط تحول العالم الغربي إلي المادية ، وسيطرة المفهوم المادي على المجتمع الإنساني[2].

٢-التمهيد لنظريات فرويد [3] وسارتر[4] وماركس[5] وغيرها من الأفكار الهدامة :

تعد نظرية دارون نقطة تحول في تاريخ العلوم وامتداد تأثيرها في الاتجاه البشري وهو ما نلمسه من قول الجندي :" ولا ريب كانت نظرية دارون قاعدة الفلسفة المادية وتفرعاتها ، فقد أخذ العلمانيون عن دارون أن الكون ليس له صانع قدير هو الله تبارك وتعالى ، وأخذوا عن فرويد أن الدين ليس له وحي مترل بل هو من اختراع البشر أنفسهم في أول عهدهم بالحياة ، وجاء أوجست كونت [6]في القرن التاسع عشر ليقدم للعلمانيين فلسفة جديدة أن المعرفة السابقة مرت بثلاث مراحل مندرجة من النقص إلى الكمال واعتبر العلم أرقى من الدين والفلسفة وأنكر كونت ما لا يقع تحت الحس (الخالق ، الدين ، الوحي ، الحياة ، الآخرة ، ما وراء الطبيعة) أي الغيب ، وهكذا فتحت الدارونية الباب واسعاً أمام الفلسفة المادية ، ثم تبين أن كل النظريات قد تحطمت وانهارت لأنها خالفت الفطرة والعلم الصحيح وأن كل ما قام به دارون وأتباعه ومن جاء من بعده من تفسير أنواع الحياة تفسيراً تطوراً ليس إلا مبنياً على ظنون وفروض لم تثبت "[7].

٣- إحداث الشكوك والشبهات في نفوس الشباب :

---

(١) الإسلام والتيارات الوافدة ص١٣.

(٢) - انظر : الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ، لأنور الجندي ، ص ٣٣، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٥هـ

(٣) - سيجموند فرويد (١٨٥٦- ١٩٣٩) وهو يهودي ، نمساوي ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي،عاش في فيينا درس الطب بجامعتها . من كتبه : تفسير الأحلام ، معالم التحليل النفسي ، الذات والغرائز وغيرها .(انظر : موسوعة الفلسفة لبدوي ٢/ ١٢٢- ١٢٥) .

(٤) - جان بول سارتر (١٩٠٥- ١٩٨٠م) ، روائي وكاتب مسرحي وفيلسوف فرنسي زعيم المدرسة الوجودية الفرنسية ، من آثاره الغثيان ، والذباب ، والوجود والعدم (موسوعة المورد العربية ٢/ ٥٩٢)

(٥) -كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣م) عالم اقتصاد وفيلسوف اجتماعي ألماني،مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة الجدلية والمادية التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي.من كتبه:رأس المال،بؤس الفلسفة .(انظر:الموسوعة الفلسفية ص ٤٣٨-٤٣٩،موسوعة المورد العربية ٤/ ١٠٦٧).

(٦) – أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧م) فيلسوف فرنسي ، مؤسس الوضعية ، أنكر كل فكر ميتافيزيقي ، ولم يعترف إلا بالمحسوس ، من كتبه : دروس في الفلسفة الوضعية . (انظر : الموسوعة الفلسفية من وضع العلماء السوفياتيين ص٣٩٧) .

(٧) – التأصيل الإسلامي ص١٩٤-١٩٥ .

لقد درست نظرية دارون في بعض البلدان العربية على أنها حقيقة علمية مسلم بها لذا يقول الجندي:"ثم جاءت التبعية للمناهج الغربية وفرض منهج دارون على المدرسة العربية والإسلامية والمعاهد والجامعات،فأحدث ذلك ازدواجية خطيرة وحيرة شديدة في صدور الشباب المسلم الذي تلقى عن طريق القرآن مفهوماً للخلق يختلف عن نظرية دارون "[1].

٤-اتخذت نظرية التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقيم :

لم يشهد التاريخ هجوماً على الدين والقضاء على ما بقي منه في نفوس الناس بمثل ما عمدت إليه نظرية التطور،التي استطاعت أن تجر المجتمعا ت الغربية إلى الإلحاد والمادية المضلة ويوضح الجندي هذا الأثر بقوله :" اتخذت فكرة التطور وسيلة للقضاء على الأديان والقوانين وذاتية الأمم باعتبار أن كل شي بدأ ناقصاً يثير السخرية والاحتقار ثم تطور، فلا قداسة إذن لدين ولا لوطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات وظهر كأنما أخرجت النظرية لرجال السياسة وعماد المجتمع ليقتنعوا بها أكثر مما أخرجت لعلماء الأحياء ، فقد تركت آثار الصراع من أجل البقاء في أوساط السياسة والحرب ، وكان لمبدأ بقاء الأصلح أثره في مخططات الاستعمار المختارة (اليهود الألمان) كما صنعت نظرية القوة عند نيتشه[2]،ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان ، وبها انتفع دعاة الارستقراطي ة،فوجدوا فيها سلاحهم فأعلنوا أنفسهم بأنهم الممتازون والمختارون الذين ورثوا مزايا الأجداد سادة البشر ومالكي العروش وصانعي التاريخ وتلقفها معلنو الحرب على الأديان فأخذوا يضربون بها في جدران الدين وإعلاء العلم" [3].

ويقول :" من أهداف الفلسفة المادية الوثنية التي تحاول أن تسيطر بقوة على الفكر البشري كله ، وتفرغه من مفاهيم الإيمان والأديان والرسالات السماوية وتدفع به بعيداً إلى نهاية خطيرة يجدها واضحة وضوحاً لا مرية فيه لكل من راجع بروتوكولات صهيون أو نصوص التلمود أو اتصل بالمحاولات التي جرت في الغرب منذ عصر التنوير في سبيل إخراج الفكر الغربي المسيحي الأصل من كل القيم ودفعة إلى مجال المادية المغرقة،وتشكل هذه المحاولة فلسفة واضحة متكاملة تهدف إلى تدمير قوي الأديان،والتوحيد والأخلاق،والإيمان

---

[1] – تراجع الفكر المادي ص٨١ .

[2] – نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠)فيلسوف ألماني ،مؤسس فلسفة القوة ، ومن أعظم الفلاسفة تأثيراً في القرن العشرين ، وقد سيطر على نظرية العامة للعالم الكراهية من مؤلفاته فيما وراء الخير والشر ، إرادة القوة .(انظر: الموسوعة الفلسفية ص ٥٥٣ ، موسوعة الفلسفة /٥٠٨- ٥١٧).

[3] – سقوط نظرية دارون ، ص٩، أصالة الفكر الإسلامي ، ص٤٦٦،٤٦٥، معلمة الإسلام ٤/ ٤٠٩ .

بالله ودفع الإنسانية كلها إلى الدمار ، بتحطيم قيمها ومعنوياتها وتفريغها من كل القوى التي تحملها على التماسك في وجه الغاية الصهيونية البعيدة المدى وهي السيطرة على العالم "[1].

٥- القول بالتطور المطلق :

إن هذا الأثر لم يكن قاصراً على الحياة الأوربية فقط،بل انتقل إلى العالم الإسلامي بحيث أصبح من يزعم بالتطور العام فيقول إن الزمن قد تجاوز حكم الدين،أو أن على المسلمين أن يجاروا التطور الذي حدث في الأرض وأن يتخلوا عن تحكيم الشريعة؛لأن هذا الأمر لم يعد له مجال في العالم الحديث[2].

وهذه العبارات تلغي كل ثابت أصيل وترحب بكل جديد متطور فكان أنور الجندي من أولئك الذين تبين لهم الخطر بهذا الزعم فأخذ يجلي ذلك بقوله:"أن من أخطر ما تهدف إليه الفلسفة المادية،وربيبتها العلمانية القول بالتطور المطلق الذي لا ثبات معه على نحو يعرض للدين والقيم الروحية والخلقية بالتشكيك والاضطراب.إن التطور والحركة ظاهرة طبيعية،ولكن أين تجري الحركة أو التطور،هل تجري في الفراغ المطلق،أم تجرى داخل إطار ثابت.ذلك هو التجاوز الخطير الذي تجنح إليه الفلسفة المادية جرياً وراء خطها الواضح خط التجزئة والانشطارية "[3].

ويقول"نشأت فكرة التطور في مجال الفكر والثقافة نتيجة للخطوات التي اتخذها خلفاء داروين الذين نقلوا فكرة التطور من مجال الدراسات البيولوجية إلي مجال الدراسات الاجتماعية . وقد جاءت قوى ذات أهداف معينة فركزت على فكرة التطور وأعلتها إعلاء خطيراً دفعها إلي مجال العقائد الثابتة مع إفرادها بالسلطان على كل القيم والمقدرات الأخلاقية والاجتماعية وكان ذلك جريا مع الاتجاه المادي الخالص الذي يحاول أن يتنكر لكل ما سوى الحس والمادة من قيم ... والمفهوم العلمي الصحيح هو : أن هناك عناصر ثابتة ، وعناصر يجرى عليها قانون التطور ، وأن تناسقاً يجرى بين عناصر الثبات وعناصر التطور . وهذا المفهوم العلمي نفسه يطابق مفهوم الإسلام في نظرية التطور والثبات ، فالإسلام يؤمن بثبات الأصول العامة والقواعد العليا مع تطور الجزئيات والتفاصيل والفروع ... أما المفهوم المطروح في أسواق الفكر الغربي والذي وصل صداه إلي الفكر العربي

---

(١) – مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ، ص٤٤

(٢) – انظر: مغالطات ، محمد قطب ص٤٢، ٤٣، دار الشروق ، القاهرة ، ط الأولى عام ١٤٢٧هـ .

(٣) – سقوط العلمانية ، أنور الجندي ص ٨٢، .

الإسلامي فهو مفهوم فلسفي خطير لم يقم على أساس علمي وإن أخذ منطلقه من نظرية دارون في التطور البيولوجي ، وعمد إلي نقله إلي ميدان الاجتماع والفكر"(١).

ويضيف أيضاً " لقد كان القول بالتطور المطلق سبيلاً إلي نزع القداسة عن الأديان والقوانين والقيم والأخلاق والسخرية منها والدعوة إلي التحلل والإباحية وإنكار مقومات المجتمعات والعقائد على النحو الذي كشفت عنه نظريات فرويد ودور كايم وغيرها"(٢).

ورفض الجندي فكرة التطور المطلق من الناحية العلمية والعقلية قائلاً:"لقد هوجمت نظرية التطور المطلق في محيط البحث العلمي الأصيل هجوماً علمياً،ودحضت بمنطق العقل،ومنهج الفطرة جميعاً.ولكن أصوات دعاتها المسرفين في استغلالها علا على كل الأصوات...ومن أبرز من دحض نظرية التطور المطلق الدكتور «كرلسي موريسون» الذي قال:إن حقائق الأشياء ثابتة لا تتغير . وإنما الذي تغير هو الصورة فقط ذلك أن نزعة الطعام لم تتطور ، وإنما الذي تطور هو صورة الطعام . وإن نزعة اتخاذ المساكن لم تتطور ، وإنما الذي تغير هو صور البيوت.وإن نزعة اللباس وستر العورة لم تتطور،وإنما الذي تطور هو صورة الناس.وإن نزعة القتال والصراع فطرة بشرية،وإنما الذي تغير هو صورة القتال.وقال : إن التطور إنما هو في الصور والهيئات لا في الحقائق،لان الحقائق ثابتة لا تتغير.وإن القول بأنه لا شئ ثابت على الإطلاق نظرية زائفة"(٣).

ويقول:" ولقد جرى كثير من الكتاب وراء نظرية التطور وربما بحسن نية دون أن تتبين لهم أبعاد الخطر من القول بالتطور على إطلاقه بعيداً عن مفهوم الإسلام الجامع دائماً بين التطور والثبات وهو جمع يقوم على أساس علمي صحيح . ذلك أنه من السذاجة النظر إلى التطور بعيداً عن القيم الثابتة وبمعزل عن الأصول الأساسية لفكرنا ومقدراتنا،والدعوة إلى التطور إنما تحاول أن تقضي على التراث والقديم ومنها العقائد والأديان والأخلاق.فالجديد لا يمكن أن يقوم إلا على القديم،والحاضر ثمرة الماضي والحي يخرج من الميت.وغاية ما ندعو إليه هو أن لا نقف عند الماضي أو القديم أو الميت وقفة الجمود.وفي ضوء هذه النظرية لا يمكن القول بتطوير اللغة وتطوير الأذواق،وهو يعني تطوير الوسائل والأساليب والأطر مع الاحتفاظ بجوهر القيم.وقد فرق الباحثون المسلمون بين التطور والتطوير وعارضوا القول بأن التطور معناه تفضيل الطور الأخير على الطور السابق له،فالتطور يشمل أي تغير يحدث في

(١) - قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ص ١٦٥- ١٦٦ .

(٢) - المصدر السابق ص ١٦٧.

(٣) – سقوط العلمانية ص ٨٥ – ٨٦ .

أوضاع سواء في اتجاه تقدمي تصاعدي أو في اتجاه عكسي تنازلي،ثم هو فوق ذلك ينبني على أن دوافع هذا التغيير وعوامله إنما يكون منشؤها ذات الشئ ومردها إلى ما فيه من طاقات طبيعية. أما التطوير فهو على عكس ذلك يختص أولاً بالتغيير التصاعدي الذي يهدف دائماً إلى طلب الكمال والحياة الأفضل ويتأثر بدوافع خارجية عن طبيعته " [١]

وينتقد الجندي شبه القائلين بالتطور المطلق قائلاً:"ولقد دارت مناقشات متعددة حول التطور والثبات بافتراض أن هناك تناقضاً حتمياً بينهما،والواقع أن الثبات يبدو نظرياً نقيض التطور والحركة،ولكننا إذا أمعنا النظر من الناحية العقلية والعلمية وجدنا أن للتطور والحركة ضوابط،هذه الضوابط بطبيعتها ثابتة باعتبار المقومات والدوافع الأساسية للحركة والتطور، فالقطار والسيارة والطائرة والصاروخ كلها أجسام متحركة ولكنها في نفس الوقت محكمة الصنع بضوابط ثابتة تنظم حركتها وتيسر اندفاعها باستمرار،ولولا هذه الضوابط الثابتة لكانت الحركة عشوائية أقرب إلى الفوضى.فالقطار يخرج عن مساره إذا أهملت صيانته واختلطت ضوابطه وفقد إحكام صنعه،والصاروخ ينفجر في قاعدته إذا اختلت هذه الضوابط ، كذلك المجتمع الإنساني فهو مجتمع دائب الحركة ولكن هناك ضوابط أساسية ثابتة تنظم حركته وتحكم اتجاهه.ومن هنا يتقرر أن التطور ليس قانوناً أخلاقياً،وليس كل طور أفضل من الطور الذي سبقه،بل التطور قانون اجتماعي واقعي لا يقتضي مطلقاً تفضيل الطور الأخير على الأطوار السابقة،وأن الفكر الإسلامي ثابت الجوهر متطور الصور،وقد أعطى الإسلام مبادئ ثابتة وترك للناس القدرة على التحرك من خلال الفروع والتفاصيل وأقام قيما أساسية لا سبيل إلى تطورها أو الخروج عنها،وهي أشبه بالعمد في البناء "[٢].

المطلب الخامس : نظرية دارون في العالم الإسلامي :

إن نظرية التطور كغيرها من النظريات تم تصديرها إلى العالم الإسلامي عن طريق أوليك الذين تربوا تربية غربية،ودرسوا في الجامعات الأوربية والأمريكية فجاءت ثمرة هؤلاء بأن قاموا بتدريس تلك الأفكار الغربية في بلاد المسلمين وكان في طليعة تلك الأفكار نظرية دارون فنجد مثلاً في مصر درّست هذه النظرية بشكل كامل في كتاب التاريخ الطبيعي الذي يدرس في المدارس الثانوية بمصر حيث يتحدث عن نظرية التطور بطريقة توحى بأنها هي الحق الذي لا شك فيه ، وهي التي تتفق مع الأسلوب العلمي[٣].

---

[١]- مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص٤٨ - ٤٩ .

[٢] - المصدر السابق من ص٥٣-٥٤ .

[٣] - انظر : الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ، د. محمود عبدالحكيم عثمان ، ص ٢٤١.

وقد نبَّه الجندي إلى الكتاب الذين تشبعوا بالفكر الدارويني وأخذوا على عاتقهم نشره في بلاد العالم الإسلامي فاستطاع أن يكشف عن تلك الأفكار التي يحملوها لغزو المجتمعات الإسلامية بها،فكان أول من سلط الضوء عليه"شبلي شميل الذي يعد- بلا منازع- أول من نقل إلى العربية أفكار كل من «دارون» و«بخنر» و«هكسلي»[1]و«سبنسر» [2] أئمة الإلحاد فقال عنه:"الدكتور «شبلي شميل» كانت مهمته الدعوة لنظرية دارون والذي ترجم أشد الكتب الغربية تطرفاً في فهم هذا المذهب كتاب بخنر الذي يعد من أشد المتطرفين في المذهب المادي الإلحادي "[3].

وقال:"لقد كان شبلي شميل يعتقد أن الدين مناف للفكر؛لأنه يعتمد على الوحي والإيمان المطلق وأن الإنسان سيد مصيره ، وقد أداه إيمانه بالعلم كعقيدة إلى رفض الدين المترل،وكان فكره مبنياً على أحكام العلم النهائية،وكان يقول بالطبيعة وأنه لا يوجد شئ خارج الطبيعة،وكان ينكر وجود الله تبارك وتعالى،وكان يعتقد أن المجتمع المثالي هو المجتمع الاشتراكي "[4].

و لم يغفل الجندي صاحب العمالة الكاملة للحضارة الغربية «سلامة موسى» الذي يعد من أولئك الملاحدة الذين قدموا نظرية التطور للقارئ المصري في أسلوب صحفي بسيط ،وكان يسعى إلى مكافحة الغيبيات،ودحض الرؤية الدينية للخلق [5]،فقال عنه الجندي:" والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلاً يحمل التراب فيذروه في وجه الناس حقداً وكراهية لهذه الأمة أن يتحقق لها امتلاك إرادتها،وخدمة لكل التيارات الحاقدة عليها والكارهة لها،ولقد كان الكاتب في هذه الفترة يعرف بأنه ماركسي،أو غربي،أو داعياً لفرنسا أو انجلترا،ولكن«سلامة موسى»كان يعمل لكل هذه الجهات عن طريق الماسونية والمخطط الصهيوني الذي كان يحتضن كل فكر هدام،فكان ينثر من كنانته كتابات عن دارون ومذهبه "[6].

---

[1] – هكسلي (١٨٢٥-١٨٩٥) انجليزي من أتباع المذهب الطبيعي ، وكان صديقاً وتابعاً لدارون ، ألف في علم الأحياء والتشريح المقارن ، دافع عن نظرية دارون ، (انظر : الموسوعة الفلسفية وضع لجنة من العلماء السوفياتيين ص ٥٦٠)

[2] – سبنسر (١٨٢٠- ١٩٠٣) عالم اجتماع ونفس انجليزي ، وواحد من مؤسسي المذهب الوضعي ، نقل فكرة التطور من الأشياء الحية لتشمل كل الأشياء والظواهر . (الموسوعة الفلسفية ٢٤١-٢٤٢) .

[3] – أصالة الفكر الإسلامي ، ص٤٦٢ .

[4] – كتّاب العصر تحت ضوء الإسلام ص٢٣٠ .

[5] – فكرة التنوير بين أحمد لطفي العبد وسلامة موسى . د. عصمت نصار ، ص ١٦٨ ، دار الوفاء ، الإسكندرية .

[6] – شخصيات اختلف فيها الرأي ، أنور الجندي ص٤٩ ، دار الأنصار .

وقال كذلك:"و لم ينس سلامة موسى طوال حياته فكرة التطور ودارون بالرغم من كل الحقائق التي ظهرت وكشفت عن فساد النظرية" [1].

وكما أن هذه النظرية وجدت من يذيعها وينشرها – وقد سرى تأثيرها- وجد من تصدى للرد عليها في الشرق العربي من المفكرين ودعاة الإصلاح، بل حتى من أصحاب الديانات الكتابية فمثلاً الأستاذ إبراهيم حوراني- هو عالم لغوي مطلع على المباحث العلمية -رد على الدكتور شبلي شميل برسالتين أحدهما مناهج الحكماء في نفي النشوء والارتقاء ، والأخرى الحق اليقين في الرد على بطل داروين[2].

وقد أشار الجندي إلي بعض تلك الردود على هذه النظرية فقال:وكان «جمال الدين الأفغاني» قد هاجم النظرية المادية في الرد على الدهريين،كما كتب فريد وجدي في الرد على شبلي شميل عدداً من الكتب[3]" [4].

وانتقد الجندي العقاد – عندما دعا إلي قبول مذهب التطور في صورته المثلى- فقال:" وقد جرى هذا نتيجة رغبة العقاد في التوفيق بين المذاهب والإسلام وقد فاته أن الإسلام منهج متفرد بأصالته ومميزاته الذاتية وأنه منهج رباني يعلو ويفوق المذاهب البشرية كافة ولا مجال للتوفيق بين ما هو رباني شامل وما هو بشري قاصر فالإسلام منهج مستقل قائم بذاته لا يقبل التلفيق أو التوفيق "[5].

المطلب السادس: موقف الإسلام من نظرية دارون:

إن الإسلام يرفض نظرية التطور — خاصة جانبها العضوي — فهي تصادم الوحي ، فإن القرآن الكريم قد أوضح لنا كيف خلق الله تبارك وتعالى الإنسان الأول ومم كان خلقه ، وخلق ذريته من بعده ومما كانوا أو كيف كانوا ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [سورة الحجر : آية ٢٦] هذا بالنسبة لخلق الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام أبو البشر،أما عن خلق أبنائه من بعده فقد قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [سورة الحجرات :آية ١٣] ...وفي معرض الأطوار التي يمر بها خلق الإنسان يقول تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى

[1] - كتاب العصر تحت ضوء الإسلام ، ص ٢٣٤ .

[2] - انظر:الإنسان في القرآن،للعقاد ص١٠٢- ١١٤ففيه مزيد من نقد العلماء الشرقيين على نظرية داروين،الإسلام ونظرية دارون ص٥٤ ، ٦٥

[3] - على إطلال المذهب المادي«في أربعة أجزاء» ، الإسلام في عصر العلم .

[4] - التأصيل الإسلامي ص ١٧٨.

[5] - المصدر السابق ص ١٨٨-١٨٩.

رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾ [سورة الحج : آية ٥] هذه الآيات الكريمة تبين أن الإنسان خلق نوعاً مستقلاً وليس متطورا من نوع آخر من أنواع الحيوانات،أيا كان هذا النوع وكيفما كان التشابه بينه وبين الإنسان في بعض الخصائص وبعض الأوضاع الجسمية ، فلو كان خلق الإنسان بطريق الارتقاء والتطور لكان ما أخبر به القرآن عن خلقه لا يطابق الحقيقة ولا يتفق مع الواقع ، وهذا أمر باطل من أساسه ثم إن نظرية داروين تفرض أن الإنسان ليس إلا طوراً من أطوار الترقي الحيواني وتفرض كذلك أن الحيوان يحمل خصائص التطور إلى مرتبة الإنسان .

والواقع المشهود يكذب هذا الفرض لتفسير الصلة بين الحيوان والإنسان،ويقرر أن الحيوان لا يحمل هذه الخصائص بل يقف دائماً عند حدود جنسه الحيواني ، ولا يتعداه ، ويبقى النوع الإنساني متميزاً يحمل خصائص معينه تجعل منه إنساناً . هذه الخصائص ليست نتيجة تطور آلي أو انتخاب طبيعي بل هي مقصودة ليخرج على الصورة التي كرمه الله تبارك وتعالى بها وفضله على سائر مخلوقاته (1).

وهذا لا يعني أن الإسلام يرفض التطور الذي يأتي بمعنى التدرج في الخلق فهو سنة من سنن الله في خلقه فهناك آيات عديدة تشير إلى أن خلق السموات والأرض لم يحصل دفعة واحدة بل كان في أطوار متتالية استغرقت ستة أيام كما جاء في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [سورة السجدة : آية ٤] (2).

بل إن فكرة التطور التي ترى فيها بعض الأديان غير الإسلامية ما يتناقض مع تصورهم للخلق ، بينما في الإسلام فلا تتناقض معه ؛ وذلك لأن الخلق في الإسلام ليس أمراً يحدث مرة واحدة كما صورته تلك المعتقدات ،بل هو أمر مستمر ، فما من حادث يحدث في الكون إلا بمشيئة الله – تعالى – وقدرته ، فالله – تعالى – خالق كل شيء ، فكل مرحلة من مراحل تطور الجنين في بطن أمه مثلاً هي من خلق الله – تعالى(3).

فلا ضير إذن في أن فكرة التطور لو ثبتت علميّاً فإنّنا لا نجد في الإسلام نصوصاً ترفضها ، ما دام الأمر راجعاً إلى حكمة الله الخالق وتقديره ، باستثناء خلق الإنسان الذي

---

(1) - انظر: الإسلام والتيارات الوافدة ص ٢٥-٢٦.

(2) - انظر: الموسوعة الطبية الفقهية ، د. أحمد كنعان ، ص ٢٠٨ . دار النفائس ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٠هـ .

(3) - انظر: مجلة البيان ، العدد ٢٢١، المحرم عام ١٤٢٧هـ ، ص٢٨ مقال : د. جعفر شيخ إدريس .

جاء في القرآن والسنة وصف صريح حول الطريقة التي تمّ بها خلقه ، فهي طريقة ظاهرها ينافي أن الإنسان متطور من سلسلة الحيوانات التي هي دونه في الخلق(1).

المطلب السابع : موقف أنور الجندي من نظرية دارون .

إن هذه النظرية كغيرها من النظريات التي سلط عليها الجندي معاول الهدم والنقض ، فنجده لم يشغل نفسه ببيان الصراع والظروف التي عاشت فيها النظرية بقدر ما سعى إلى هتك سترها،وفضح أسرارها فقد أورد جملة من المآخذ والأدلة على فسادها ولعلنا نوجزها فيما يلي :

١ - مخالفة النظرية للقرآن الكريم والسنة النبوية يقول الجندي: " ويرى الكثيرون أن نظرية دارون تخالف القران صراحة فهي تقول عن الإنسان الأول ــ وهو أبونا آدم عليه وسلم ــ أنه ناقص في تكوينه العقلي والجسمي لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم ،والقول بهذا يترتب عليه نفي كل ما جاء في القران من قصة ادم وحواء،والجنة،والملائكة،وإبليس،ويجعل هذه القصة خرافة من الخرافات ؛لأنه لا يعقل أن يكون محور تلك القصة الخطيرة إنسانا لا يعقل هذا الإنسان الأول (آدم)خليفة في الأرض وجعله أرقى من الملائكة فهماً وعلماً قال **تعالى**﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة : آية ٣٠] ، وقال ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [سورة البقرة : آية ٣١] ، فالقرآن يصف آدم بالفعل والإدراك وتحمل التكاليف من أمر ونهي" (2).وهذه النظرية تخالف ما ورد في السنة النبوية فقد أورد الجندي قول الرسول ﷺ" خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فيما خلقة قال:"اذهب فسلم على أولئك الملائكة فاستمع ما يحيونك ، تحيتك وتحية ذريتك،فقال:السلام عليكم،فقالوا عليك ورحمة الله وزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن "(3)(4).

---

(1) - انظر: كواشف زيوف ص ٣٣٣.

(2) – تصحيح المفاهيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ص١٥٤

(3) - صحيح البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء ، باب: خلق آدم و ذريته ،ص ٦٣٤، رقم ٣٣٢٦ ويقول ابن حجر : في قول الرسول ﷺ فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن " أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله ، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر على ذلك .(انظر: فتح الباري ٤٤٣/٦)، وهذا فيه رد على نظرية التطور من حيث إن التطور الذي تحدث عنه دارون يكون نحو الأفضل بينما المشاهد في حياة البشر والذي يدل عليه الحديث كذلك التطور نحو الأقل حيث تقلصت أعمار الناس وأجسامهم تصغر كلما تقدم بهم الزمن .

(4) – التأصيل الإسلامي ص١٧٩

٢- انتقد الجندي أسس نظرية دارون التي أقام عليها نظريته فقال:"وقد بنى دارون نظريته في النشؤ والارتقاء على افتراضات،وتقديرات وتخمينات تحتمل الخطأ والصواب،ولم يقيمه على أسس علمية قاطعة "[١].

ثم أخذ في نقد بعض تلك الأسس فالأساس الأول الذي هو الانتخاب الطبيعي ينتقده الجندي بقوله:"فساد نظرية الانتخاب الطبيعي التي جاء بها دارون،فقد أعلن العلماء في الأخير أن هذا التفسير الذي تقدمه نظرية التطور والارتقاء،قد اهتزت أساساته من جذورها ، لقد تبين فساد نظرية دارون التي قال بها حين قال: إن الزرافة حين أعطتها الطبيعة ارتفاع القامة ،فقد أعطتها الأسبقية في البقاء على بقية أبناء فصيلتها ، ففي استطاعتها الحصول على الغذاء من لباب الشجر،بينما ظلت الحيوانات الأخرى تقاسي الجوع،فهلك بعضها واندثر.

ويقول «جين روستند»[٢]:إن نظرية التطور التقليدية بمعناها الحرفي قد غدت الآن شيئاً ماضياً،وأنه لا يجوز تفسير التطور بمثل هذه التعبيرات السطحية التافهة كاصطفاء الطبيعة للجنس الأصلح لمجرد أن علماء البيولوجيا قد أخفقوا حتى الوقت الحاضر في إثبات ما إذا كان بالمستطاع التأثير على تغير الأجناس أو التحكم به أو خلقه عن طريق العملية نفسها وإذا كانت الزرافة الذي يبلغ طولها ثمانية أقدام هي نتاج الاصطفاء الطبيعي،فكيف يكون الحال مع الخروف الذي لا يزيد طول رقبته عن بضع بوصات،أليست الزرافة والنعجة بنات عم تماماً ثم تكادان تكونان أختين في المملكة الحيوانية،فقد تولد كلاهما من أصل واحد ، فكيف يمكن تفسير بقاء بنتي عم كل منهما أصلح للبقاء من الأخرى إحداهما بسبب طول عنقها والأخرى بسبب قصر ذلك العنق.كيف يمكن تفسير مسألة قرونها،يقول: إن القرون نمت بشكل عفوي،وحينما ثبتت فاعليتها للحيوان في صراعه من أجل الحياة،أخذت الطبيعة تصطفى الحيوانات ذات القرون وتفضلها على غيرها ، التي جعلت تنقص تدريجياً،ولكن هل هذا هو الواقع ،إن هناك خرافاً قرعاناً من غير قرون بنفس عدد الخروف القرناء تقريباً، فأيهما أصلح للبقاء "[٣].

ويرد الجندي على هذا الأساس بالواقع المشاهد فيقول :" لو كان البقاء للأصلح لا نمحى وجود القردة من الوجود وبقي نوع الإنسان وحده ؛ لأنه الأصلح "[٤].

---

[١] – تصحيح المفاهيم ص١٥٤.

[٢] - عضو الأكاديمية الفرنسية للعلوم وعميد علماء البيولوجيا الفرنسية.

[٣] – معلمة الإسلام ١/ ٤٠٧-٤٠٨ ، أصالة الفكر الأصالة الفكر الإسلامي ص ٤٦٥ .

[٤] - التأصيل الإسلامي ص ١٩٢.

أما الأساس الثاني: وهو «الصراع من أجل البقاء» فنقده الجندي بقوله:"إن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعة والإنسان،ولقصور نظرته وقلة أدلته أكبر من شأن التنازع:تنازع البقاء،وقد حال هذا بينه وبين رؤية التعاون بين الحيوان والنبات الذي هو أوسع وأكبر من التنازع،ويرى العلماء أن دارون أخطأ خطأ فادحاً عندما زعم أن تنازع البقاء هو كل شئ ، أو يكاد يكون كذلك ، وقد تبين للعلماء أن التعاون في الطبيعة أكثر من التنازع بل لا يكاد يكون هناك تنازع في عالم الحيوان بالمعنى البشري الذي تفهمه لهذه الكلمة "[1].

٣- يجب أن يفرق بين النظرية والحقيقة وقد وجه الجندي هذا الاعتراض إلى من يزعم هذا القول قائلاً:" ما تزال نظرية دارون حتى الآن وبعد مائة عام ويزيد نظرية علمية الفرق بينها وبين الحقيقة العلمية أنها لم تتأكد صحتها عن طريق التجربة في المعامل وهو ما يتمثل في المشاهد بعد التشريح ، ورؤية مكوناتها بالعين المجردة .

فالنظرية العلمية كما يقول د. يوسف عزالدين عيسى : أمر مؤكد ، مبني على فروض تكون صحيحة وقد تكون خاطئة ونظرية دارون لم تزد عن مجرد نظرية و لم تصل إلى مرتبة الحقيقة العلمية " [2]، ولهذا تسقط كل الأقوال التي تبنى عليها .

٤- من فرضيات نظرية التطور أن جميع الكائنات الحية نشأت من أصل واحد ، أو بضعة أصول وقد وجه الجندي ثلاثة اعتراضات على هذه الفرضية :

أولاً:عدم مشاهدة ارتقاء من أي نوع كان في الأحياء الأرضية منذ عهد ألوف عديدة من السنين.

ثانياً :عدم وجود الصور المتوسطة من الأنواع اللازمة لمذهب التسلسل كأن يوجد مثلاً حيوان أرقى من القرد مرتبة واحدة وأدنى من الإنسان مرتبة واحدة .

ثالثاً :طول الزمان اللازم لحصول الترقي بين الأحياء[3] .

٥- إن قول هؤلاء التطوريين: إن التطور عملية مستمرة،وأنه قانون طبيعي مستمر في الأحياء زعم باطل ومطعون فيه يقول الجندي مبيناً بطلان هذا الزعم :" إن كل ما استند إليه دارون هو مجرد ظنون وافتراضات لا يسندها واقع علمي ، أو تأكيد حسي في أي عصر من العصور منذ خلق الله الدنيا إلى يومنا هذا و لم يشهد أحد بل لم يسمع بحادثة واحدة من

---

[1] - سقوط نظرية دارون ص٦ ، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية ص٤٦٤ .

[2] – التأصيل الإسلامي ص ١٧٧

[3] – انظر: سقوط نظرية دارون ص ١١ ، معلمة الإسلام ٤١١/٤ ، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٣٨٧.

حوادث التطور حماراً قد ارتقى إلى حصان ، أو أن قرداً قد تحول كما يزعمون إلى إنسان ولو حدث شيء من التطور لبعض الحيوانات في أي عصر من العصور لظل أبد الدهر خبراً متواتراً وحديثاً لأجيال متعاقبة "[1] .

ومما يزيد بطلان هذا الزعم في نظري ما نراه في العصر الحديث من أن هناك تأثيرا في الكائنات من دون الطبيعة ، فالتدخل الإنساني في النبات والحيوان باستخدام الهرمونات ، وعمليات التركيب النباتي وما أحدثه الإنسان بواسطة التلقيح الصناعي كل هذا أكبر دليل على بطلان مزاعم دارون [2].

٦- زعم التطوريين أن المستقبل والاكتشافات العلمية سوف تدعم نظريتهم وتؤكدها ، ولكن لم يحصل شيء من ذلك بل أثبت العلم الحديث فساد النظرية وبطلانها ومن ذلك :

أ- بطلان القول بوجود حلقة مفقودة بين القرد والإنسان : وقد بين الجندي فساد ذلك بقوله :" ظهور الأبحاث التي هدمتها وكشفت زيفها ومن ذلك كتاب تحت عنوان (هذا التقدم : مأساة مذهب النشؤ) للكاتبن «الوارث» عن مذهب دارون الذي ينكر الخلق الفجائي والذي بدأ ناقصاً بما سماه دارون الحلقة المفقودة التي أثبتت قرابة الإنسان والقرد ، وما دامت مفقوده يبقى مذهباً افتراضيا ويبقى ذلك خارج دائرة اليقنيات الثابتة ، أو يعوزه البرهان يقول «وارث»: إن الدارونية كذبة كانت السبب في تدهور الحضارة الغربية بانياً حكمه هذا على اكتشاف اكتشفة وبرهن فيه على نشوء الطيور خرافة لا كما يقول المذهب الدارويني أن النشوئيين لم يهتدوا بعد إلى الحلقة المفقودة التي تصل الإنسان بالقرد ، كما يزعمون مع أنهم قلبوا باطن الأرض يبحثون عنها،ولكن الجيولوجيا تضحك من بحثهم عن شيء لا وجود له"[3].

ب – الاكتشافات والبحوث العلمية :

إن النظرية تعرضت للنقد من علماء غربيين نتيجة قيامهم ببحوث علمية تبين من خلالها فساد نظرية دارون ، وأنها أسطورة يجب أن تنهار وقد أورد الجندي عدة أقوال لعلماء غربيين يدلل بها على سقوط النظرية ومن ذلك :

---

(1) – الإسلام والتيارات الوافدة ص٢٤ .

(2) – انظر:مذاهب وفرق دراسات نقدية،د.بسام العموش،ص ١٨٤بتصرف،دار الأكاديميون للنشر والتوزيع ،عمان،ط الأولى عام ١٤٢٦هـ.

(3) – الإسلام والتيارات الوافدة ص٢٢-٢٣

١- جاك بيغتو رئيس المجمع العلمي الفرنسي : لقد وقف هذا العالم نصف قرن تقريباً على دراسة أصل الإنسان واستطاع أن يؤكد أخيراً أن الإنسان ليست له علاقة تجانس بالقرد ، وأن النظرية التي تقول بذلك مفتقرة إلى البرهان الحاسم ، وأن هذه المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك للإنسان والقرد[1] .

٢- الدكتور رونالد جونسون : يقول الجندي :" إن نظرية دارون قد تكشف فسادها بعد أن أثبتت التجارب أن لا علاقة بين الجنس البشري والأجناس الحيوانية ، وأن لا توجد علاقة مشتركة بين الجنسين وقد أعلن الدكتور «رونالد جونسون» أستاذ علوم الأجناس البشرية عام ١٩٧٤م أن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بعد دراسات وتجارب امتدت سنوات طويلة بنسبة ٩٩,٩% من الدقة أن الإنسان سار منتصباً على قدميه منذ أن وجد على الأرض ، منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة ، بعد أن عثر على مجموعة من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة "[2].

٣- أذاع البروفسور «جوهانس هوددبر» العالم الذري في سنميال بسويسرا بياناً في ١٠ مارس عام ١٩٥٦م عارض فيه نظرية دارون بشدة وقال:إنه لا يوجد دليل واحد من ألف على أن الإنسان من سلالات القرود ، وأن التجارب الواسعة التي أجراها دلت على أن الإنسان منذ عشرة ملايين سنة يعيش منفرداً وبعيداً جداً .."[3] .

ج- الحفريات أسقطت النظرية :

نتيجة إيمان دعاة التطور بنبوءة دارون أخذوا يفتشون عن الحفريات،ويحفرون في كل بقاع الأرض منذ منتصف القرن التاسع عشر باحثين عن الحلقات المفقودة،وعلى الرغم من جهودهم الحثيثة في ذلك إلا أنه لم تكتشف حتى الآن أية أشكال انتقالية،بل أثبتت الحفريات المكتشفة عكس ما يعتقده دعاة التطور،فإن الحياة ظهرت على الأرض فجأة من تكوين كامل وبالتالي تسبب دعاة التطور دون قصد في انهيار نظريتهم بدلاً من إثباتها [4].

وقد أورد الجندي عدداً من اعترافات علماء الحفريات فقال :" قد كان أول رد علمي على فساد نظرية دارون عندما عثر «ديبوا» الهولندي عام ١٨٩٠م في جزيرة جاوه على

---

[1] – أصالة الفكر الإسلامي ص٤٦٦-٤٦٧.معلمة الإسلام، ١٢٠/٤سقوط نظرية دارون ،ص التيارات الوافدة،ص ٢٧ الفكر الغربي دراسة نقدية ، ص١٥٢

[2] – الفكر الغربي ص١٥٤ ، معلمة الإسلام ٤٢١/٤ ، التيارات الوافدة ص٢٧ .

[3] – انظر: سقوط نظرية دارون ص٢٤-٢٥ ، معلمة الإسلام ٤/ ٤٢٤- ٤٢٥ .

[4] – خديعة التطور ، هارون يحيى ، ص٣٤ دار الأجيال ، بيروت ، ط الأولى عام ٢٠٠٢ بتصرف .

كشف حفري هام:هو عظام جمجمة بشرية وعظمة ساق وتبين أنها كلها لمخلوق بشري ، فأسرع وأطلق عليه الاسم الذي اختاره ، وأضاف إليه صفة بشرية هامة هي أنه منتصب القامة ومن ذلك الحين والكشوف البشرية تتوالى حتى أصبح لنا سجل يكفي لتصور النماذج البشرية التي سبقت نوعنا الحالي "(١).

ويقول :" إن البحث لم يتوقف لتأكيد فساد نظرية دارون ففي السنوات الأخيرة رويت تجربة العالم «ليكي» مدير المتحف الوطني في كينيا التي استمرت ثمانية وعشرين عاماً قبل أن يصل إلى اكتشافه العام ، وكان أول اكتشافاته عام ١٩٥٩م ، عندما عثر على جمجمة وبقايا متحجرة في شمال كينيا لها صفات تختلف كثيراً عن صفات القردة ، ثم اكتشف بعد ذلك جمجمة لإنسان أسمته (هومو هاتلس) أي الرجل البدوي ،ومن عام ١٩٦٠ - ١٩٦٤م اكتشف مجموعة من المخلوقات في جبل كينيا ، وهي تتميز بأصابع سبابه تشبه أصابع الإنسان ، وحجم مخه أكبر ، ثم اكتشف أجهزة الإشعاع الذري وجد أنها ترجع إلى مليون وستمائة سنة تقريباً ، وأهم ما يميزها هو حجم المخ ، فقد وجد أنه حوالي ٨٠ سنتيمتر أي ضعف حجم مخ القرد الجنوبي ويزيد عليه مليون سنة "(٢).

د- اكتشاف اختلاف وحدات الوراثة :

يقول الجندي حول ذلك:"ولعل الاكتشاف العلمي الذي هدم نظرية دارون من أساسها هو اكتشاف وحدات الوراثة التي أثبتت استحالة تطور الكائن الحي وتحوله من نوع إلى آخر ، فقد تبين أن هناك عوامل وراثية كامنة في خلية كل نوع تحتفظ له بخصائص نوعه ،وتحتم أن تظل في دائرة النوع الذي نشأ فيه لا يخرج قط من نوعه،ولا يتطور إلى نوع جديد،هذا الاكتشاف العلمي،هو الذي هدم نظرية دارون وأقبرها وقضى عليها،وهو ما أشار إليه الفيلسوف «برتراندرسل»(٣) في كتابه النظرية العلمية حيث قال:"لقد أخطأ دارون من قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين «مندل»(٤) تغييراً كلياً،وقد تأكد لنا بالدليل العلمي القاطع فساد وزيف هذه النظرية "(٥).

(١) – التأصيل الإسلامي ص١٨٥ .

(٢) – أصالة الفكر الإسلامي ص٤٦٧-٤٦٨ ، معلمة الإسلام ٤/ ٤٢٣-٤٢٤ .

(٣) - برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠م) فيلسوف وعالم منطق وشخصية عامة بريطانية ، وقد ساهم راسل مساهمة كبيرة في تطور المنطق الرياضي الحديث ، من كتبه مسائل الفلسفة ، تاريخ الفلسفة الغربية . (انظر : الموسوعة الفلسفية ص ٢٢٢-٢٢٣ ، تاريخ الفلسفة الحديثة ص٤٣١).

(٤) –غريغور جوهان مندل (١٨٢٢- ١٨٨٤م) راهب وعالم نبات نمساوي.يعد مؤسس علم الوراثة،أكتشف قواعد الوراثة الأساسية .(انظر : موسوعة المورد العربية ٤/ ١١٥٥).

(٥) – أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص٢٠٩ -٢٠١ ، التأصيل الإسلامي ص١٨٧ .

((تعقيب))

١- أوضح الجندي معنى الداروينية ، بعبارة موجزة ومختصرة .

٢- اعتمد الجندي في نقده لنظرية دارون على كتب أساسية هاجمت النظرية منها كتب وأبحاث غربية مثل كتاب د. «موريس بوكاي» القرآن وأصل الإنسان،وبعضها لعلماء من الشرق مثل كتب «جمال الدين الأفغاني»،و«محمد فريد وجدي» .

٣- نبّه الجندي على بعض أسس النظرية،لكن يؤخذ عليه أنه لم يذكرها بترتيب علمي دقيق بل ذكرت في ثنايا كتبه حتى دون إشارة إلى معناها،و لم يفصّل كثيراً في الرد عليها .

٤- استدل الجندي على بطلان هذه النظرية بإدلة من القرآن والسنة وكان واضحاً في ردها بالمنهج الشرعي ثم ذكر الأدلة التجريبية التي تبين انحراف هذه النظرية.

٥- ذكر الجندي أن دارون لم يفهم العلاقة بين الطبيعة و الإنسان ... و لم يذكر لنا دليلاً واحداً على ذلك ،وكذلك ادعى أن التعاون بين الحيوان والنبات أكبر من التنازع و لم يذكر ما يثبت ذلك . فمجرد أن يقول : ويرى العلماء ، وقد تبين العلماء دون ذكر أرقام وحقائق علمية موثقة تعد في البحث العلمي غير كافية .

المبحث الثاني : الفرويدية وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول: تعريفها.

المطلب الثاني : أسسها.

المطلب الثالث : مصادرها .

المطلب الرابع : أسباب انتشارها .

المطلب الخامس : نظرية فرويد في العالم الغربي.

المطلب السادس : نظرية فرويد في العالم الإسلامي .

المطلب السابع : موقف الإسلام من الفرويدية.

المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من نظرية فرويد .

المبحث الثاني

الفـــرويـــديـــة

المطلب الأول: تعريفها:

١- هي نظرية في علم النفس وطريقة في معالجة الاضطرابات العقلية والعصبية أوجدهما «سيجموند فرويد » الذي ينسب السلوك إلى عوامل مكبوته موجودة في اللاشعور،وقد أوجد طريقة للتعرف على هذه العوامل المكبوته اللاشعورية هي طريقة التداعي الحر،وقد تشدد فرويد في أهمية الغريزة الجنسية وأفاد من الأحلام وأحلام اليقظة وسواها في التوصل إلى الرغبات الجنسية الطفولية المكبوته[١].

٢- وعرفت بأنها :فن لدراسة العقل الباطن،يقوم على أسلوب التداعي المطلق لسبر غور أعماق اللاشعور،وكشف ما يحتويه من غرائز وميول فطرية ، أو نزعات وتأثيرات أو مشتهيات مكبوتة يجهلها الفرد ولكنها ذات أثر فعال في حياته الشعورية[٢] .

٣-هي: المدرسة التي تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسيا، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء،كما أنها تعتبر القيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي مما يورث الإنسان عقداً وأمراضاً نفسية[٣].

٤- ويعرفها الجندي بقوله :"هي نظرية قامت في ظل استعلاء العلم المادي،بدعوى أنه يستطيع أن يوجه الكون من دون الدين ، وهي نظرية عنصرية الأساس أريد بها تدمير كرامة الإنسان وشرفه ، وتكامل شخصيته الجامعة بين الأشواق الروحية ، والمطامع المادية ، وفرض مفهوم الجنس كتفسير لكل تصرفاته في الحياة "[٤].

المطلب الثاني : أسسها:

وقد ذكر الجندي أسس الفرويدية وهي :

أولاً : أن الحياة النفسية للإنسان ليست حيوانية فحسب ، ولكنها تنبع كلها من الجنس المسيطر على كل أفعال الإنسان ، وأن مرد السلوك الإنساني إلى الغريزة الجنسية .

ثانياً :إن غرائز الإنسان هي التي تحكمه وتسيطر على نشاطه ، وأن الجانب المسمى بالروح لا وجود له على الإطلاق .

---

[١] - انظر : معجم علم النفس ، د. فاخر عقل ، ص ٩٠، دار العلم للملايين ، ، بيروت ، ط الأولى، عام ١٩٧١م .

[٢] - انظر : الإسلام والتحليل النفسي عند فرويد ، أ.د أحمد السيد رمضان ، ص ٢١، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٠هـ.

[٣] - الموسوعة الميسرة ٢/ ٨٣٢ .

[٤] - إعادة النظر في قضايا الفلسفات المادية ، أنور الجندي ص٥ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

ثالثاً :الدين والأخلاق ليسا قيماً أصيلة في الحياة البشرية ولكنهما انبثاق جنسي .

رابعاً :الكبت الجنسي يصيب النفس بالعقد ، والاضطرابات ، وأن المرض العصبي ينشأ من الأمور الجنسية المكبوتة .

خامساً:القيم العليا -في نظرية فرويد-كلها خرافة،وكذلك دعوات الرسل والأنبياء والمصلحين .

سادساً :تفسر النفس من خلال الجنس وترد كل الحوافز الإنسانية إلى الجنس [(١)].

ثم قال الجندي :"ولا ريب أن هذه الأسس لنظرية فرويد إنما تمثل معارضة كاملة للفطر الإنسانية "[(٢)].

المطلب الثالث : مصادرها :

اعتمد فرويد في نظريته على مجموعة من المصادر والأفكار فاجتهد الجندي في بيانها وإيضاحها وهي على النحو التالي :

١- الأساطير اليونانية القديمة :

يقول الجندي:" اعتمد فرويد على الأساطير اليونانية القديمة وأقام منها قوانين علمية كاعتماده على عقدة أوديب[(٣)] وعقدة الكترا[(٤)]،وقد أثبت العلماء أن عقدة أوديب والعقد الأخرى ليست طبيعية المنشأ،وأنها ظاهرة اجتماعية،قد توجد في مجتمع وتنعدم في مجتمع آخر.وقال «مالي نوفكسى»[(٥)] الباحث النفسي:إن عقدة أوديب ليس لها أثر في أماكن كثيرة،وقال «كلاباريد»[(٦)]:إن فرويد وأتباعه كالبوم لا يرون إلا ما تشمل عليه كهوف اللاشعور "[(٧)].

٢- نظرية دارون :

---

(١) - انظر:الأيدلوجيات والفلسفيات المعاصرة في ضوء الإسلام ص١١٩ -١٢٠، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣٧٣، معلمة الإسلام ١/ ٣٢٢، الفرويدية ص ٥.

(٢) - الأيدلوجيات والفلسفيات المعاصرة في ضوء الإسلام ، ص١١٩ – ١٢٠ ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣٧٣.

(٣) - عقدة أوديب : مصطلح فرويدي يدل على تعلق الصبي بأمه تعلقاً جنسياً ، وهو التعلق الذي يكبته الطفل و يخفيه بطرائق عدة ويكون مصحوباً في رأي فرويد بالغيرة من الأب الذي ينال من الأم ما لا يناله الطفل .(انظر: معجم علم النفس ، د. فاخر عقل ص ٧٨).

(٤) - عقدة الكترا : هي مصطلح يستعمله فرويد ليدل على تعلق البنت جنسياً بأبيها مع غيرتها من أمها . وهذا التعلق قد يكبت ويخفى بطرق مختلفة(انظر : معجم علم النفس ص ٣٩).

(٥) - بردنيسلو كاسبار مالينوفسكي (١٨٨٤- ١٩٤٢م) عالم انتروبولوجيا وعالم اتنولوجيا انجليزي ، من مؤلفاته : الجنس والقمع الجنسي في مجتمع برّي ، جنائن المرجان وسحرها . (انظر : أعلام علم النفس ، إشراف نوربير سيلامي ، ص ١٨٤-١٨٥).

(٦) - إدوار كلاباريد (١٨٧٣- ١٩٤٠م) طبيب ، عالم نفس ، وعالم تربية سويسري ، من كتبه : ترابط الأفكار ، المدرسة المتكيّفة على حاجات الطفل ، التربية الوظيفية . (انظر :أعلام النفس ص ١٥٥-١٥٦) .

(٧) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤٥ ، معلمة الإسلام ١/ ٣٢٣ .

عُدت نظرية فرويد امتداداً لما قرره دارون في الميدان الإنساني فتجد أن نظرته للإنسان نظرة احتقار وازدراء،وأنه حيوان أرضي لا صلة له بالسماء فهو بعيد عن التكريم الإلهي ، وأن غرائزه الامتداد الطبيعي لغرائز الحيوانات السابقة له في سلم الصعود مضافاً إليها قدرٌ من التطور[1]،وهذا ما أكد عليه الجندي بقوله:" إن أسطورة فرويد التي أقام عليها نظريته جاءت من مصادر لا يقبل الأخذ بها أي عالم ، لأنها تستمد من ميدان مختلف تمام الاختلاف ،هو ميدان الحيوان،إن ادعاء فرويد بأن الأولاد أحسوا برغبة جنسية نحو أمهم،ووجدوا أباهم حائلاً فقتلوه ، هذه النظرية الضالة يقرر فرويد أنه أخذها عن أسطورة أوردها دارون عن عالم البقر ، ففي عالم البقر تهيج الثيران في موسم الإخصاب ، فتقتل أباها الشيخ ثم تقتتل فيما بينها على الأم فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها ، ويبقى الثور الأقوى،فهل يعقل حقاً أن ينقل فرويد هذه النظرية،أو الأسطورة من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان"[2].

٣- التراث اليهودي الصهيوني :

يقول الجندي : " وقد أشار كثيرون إلى أن يهودية فرويد كان لها دخل كبير في صياغة الكثير من نظرياته وفرضياته وتعليلاته ؛ ذلك لأنه كان ينتمي إلى أقلية مكروهة بحكم صفاتها المعروفة التي أقل ما ينسب إليها حب المال والانغلاق والتعصب والجمع بين القومية والدين والمصالح الاقتصادية والحنين إلى الماضي "[3].

إن ارتباط فرويد بالفكر اليهودي أثبته الكثير من الباحثين حتى من غير المسلمين فهذا «صبري جرجس» صاحب كتاب «التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي» ، يقول فيما نقله الجندي عنه :" إن التراث الصهيوني يتألف من ثلاثة مصادر:التوراة ،التلمود ،نوع جديد من التراث لم يدون و لم ينتشر لا بين اليهود أنفسهم ولا بين الناس،وإنما نقل خلفاً عن سلف في تلقين شخصي محوط بطابع السرية ... وحيث إن الوجود اليهودي يستمد مباشرة من التراث الديني اليهودي الصهيوني ، فإن تلك الموجودات اليهودية (بما فيها فرويد بطبيعة الحال) إنما تسلك طريقها وفقاً للتراث الديني اليهودي الصهيوني،ولما كان التحليل النفسي نتاجاً لأحد هذه (الموجودات اليهودية) الذي هو فرويد ، كان من المتحتم أن يكون التحليل النفسي فكراً يهودياً صهيونياً " [4].

---

[1] - الإنسان بين المادية والإسلام ، محمد قطب ص٢٤-٢٥ ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الثامنة عام ١٤٠٣ هـ بتصرف ، نظرية التحليل النفسي عند فرويد في ميزان الإسلام ص٦٣ ، الفكر المادي الحديث ص ٢١٢ .

[2] - الصحوة الإسلامية ، أنور الجندي ص ٢١٧.

[3] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة ص ١٢٧ .

[4] - المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ، ص ١٩٨-١٩٩ ، العودة إلى المنابع ص٢٣٩-٢٤٠ .

٤- التجارب والفرضيات :

لذا يقول الجندي:" لم تكن نظرية فرويد في أصلها ومصدرها إلا فرضية طرحها هذا الطبيب الذي عاش عمره كله بين المرضى من الشواذ والمصابين بالاضطرابات النفسية وهم الرصيد الذي شكل من خلاله نظرياته" (١) .

٥- اتخذ فرويد من دراسة نفسه وطفولته قاعدة عامة للبحث وعمد من خلالها إلى استخلاص قوانين عامة بينما لم يكن فرويد يعيش إلا في مجتمع يضطهد اليهود وينتمي إلى أقلية مكروهة وأقل ما ينسب إليها حب المال والتعصب والطموح الاقتصادي (٢).

المطلب الرابع : أسباب انتشارها :

إن آراء فرويد منذ ولادتها كانت تحمل في طياتها قمة الاستخفاف بالدين والقيم والأخلاق ، ومع ذلك انتشرت وأُخذت على أنها حقيقة علمية ثابتة وهذا راجع إلى مجموعة من الخلفيات أذكت هذه النظرية وساعدت على انتشارها وقد أورد الجندي عدة منها :

١- النصرانية :

إن ما تحمله النصرانية المحرفة من عقائد فاسدة وقيود باطلة تعارض الفطر السليمة كانت مدعاة للمجتمع الغربي لكره الدين ، والحنق على قساوسته وتحين الفرصة المواتية للانقضاض على هذا الدين،فلما جاءت هذه النظريات التي منها(نظريات علم النفس الحديث القائمة على أساس النظرية المادية بمثابة رد فعل على المفاهيم التي أقامها الفكر الأوربي المسيحي (النصراني) القائمة على كبح الشهوات والرهبانية واعتزال الحياة وكبت النوازع الفطرية ..ولم تكن المسيحية(النصرانية)في مصادرها الأساسية عاملاً من عوامل نشر التزمت أو الرهبانية،أو دعوة إلى الزهادة جملة ، ولكنها كانت مكملة لدين بني إسرائيل مصححه لانحرافهم إلى المادية،غير أن مفاهيمها لم تلبث أن أدخل إليها بعض النظريات الوثنية والفلسفات المعددة،فدفعت طبيعتها الربانية السمحة إلى الغلو في إنكار الدنيا ومجافاتها على النحو الذي عارض الفطرة والطبيعة الإنسانية في محاولة قاسية للضغط على الجسد البشري وتحميله ما لا يطيق من الانصراف عن طيبات الحياة مما أحل له،إلى نوع من الزهادة والحرمان والتعذيب ومجافاة قنواته الطبيعية إلى الطعام والزواج...ومن هنا جاءت نظرية فرويد في إعلاء الجنس واعتباره مصدراً أساسياً وواحداً لكل نوازع الإنسان

---

(١) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٦٤، مقومات العلوم والمناهج ٤٤٤/٥ ، قضايا العصر في ضوء الإسلام ص١٣٧ .

(٢) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٣٧ ، الإسلام والدعوات الهدامة ، ص ١٦٥- ١٦٦ .

وتصرفاته،متسقاً مع هذا التحدي الخطير الذي واجه به الفكر الغربي في مرحلته الأخيرة للمسيحية(النصرانية)وللدين عامة نتيجة لمفاهيم دخيلة لم تكن من المسيحية(النصرانية)المنزلة أصلاً ، وإنما كانت مجموعة من الزيوف أضافتها الفلسفات والمذاهب خلال الأجيال الطويلة" [١].

٢- النظرية المادية :

بما أن النظرية المادية لا تقبل سوى المادة باعتبارها الشرط الوحيد للحياة فهي ترفض الإله ولا تعترف بالخالق ، كما أنها ترفض الإنسان نفسه فتفسر الأخلاق تفسيراً مادياً وفقاً لقانون طبعي ، فالحاجة هي المحكمة في الأخلاق والإنسانية [٢] فاستطاعت أن تؤثر في تلك النظريات التي طرحت في المجتمع الغربي والتي منها الفرويدية وهو ما بينه الجندي بقوله :" أخطر ما في الفرويدية هو نقلتها العجيبة والخطيرة للإنسان من النظرة التي كانت مقررة لدى الفلسفة الأوروبية نفسها ، فإنه سيد الكون إلى القول بأنه حيوان تحكمه غرائزه ، أو أن الغريزة الجنسية هي المصدر الأول لدوافع الإنسان وتصرفاته هذا التحول الخطير إنما جاء من خلال تطورات مختلفة بدأت حين انحرفت النظرة إلى الكون ، متجاوزة الدين ومنكرة إياه ومتخلية عن مفهومه في الخالق والتزامه في الأخلاق ، ومن شأن النظرية المادية الخالصة أن تنكر أكبر مقررات الدين وهو المسئولية والالتزام الأخلاقي وما يتبعها من جزاء أخروي فإذا أسقطت هذا القيد أصبح من اليسير تقبل نظرة الانطلاق في مجال الرغبات والغرائز وهذا هو أخطر ما في النظرية المادية التي أقام عليها فرويد في الجنس ، ودعوته إلى إطلاق الغرائز وتحريرها من قيود الأخلاق ، وضوابط الدين " [٣].

يويقول كذلك :" ولقد كان للنظرية المادية التي أوجدت التحليل النفسي القائم على الجنس أثرها في الأدب ، وفي القصة وفي إشاعة مفاهيم العري والحيوانية "[٤].

٣- اليهود :

تهدف القوى الصهيونية العالمية إلى تدمير الأخلاق،وإشاعة الفساد والانحلال،فبعد أن نجحوا في تدمير الرابطة الدينية لدى الأجيال مما أدى إلى إضعاف المقومات الأخلاقية،وهذا النجاح نتيجة استغلال النظريات الإلحادية وترتيبهم لها،يقول الجندي موضحاً ذلك:"كشف

---

[١] - الأيدلوجيات الفلسفات المعاصرة ١١٧ - ١١٩ .

[٢] - مجلة المنار الجديد ، مقال د. عبدالوهاب المسيري ، العدد الرابع ص٥٧، ٥٩ بتصرف .

[٣] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٦٣-١٦٤، مقدمات العلوم والمناهج ٤٤٣/٥

[٤] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٦٥، مقدمات العلوم والمناهج ٤٤٦/٥ .

كثير من الباحثين للصلات العميقة بين الفرويدية والأيدلوجية التلمودية ، وإذا رجعنا إلى البروتوكولات وجدنا هذا النص:"يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان،فتسهل سيطرتنا.إن فرويد منا،وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شئ مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه"[١].

ويعلل الجندي انتشار مدرسة التحليل النفسي على غيرها من مدارس علم النفس المعاصر للقوى الخفية وراء هذه النظرية فيقول :" ولقد انتصرت نظرية الجنس في علم النفس على عدة نظريات أخرى ؛ لأن من ورائها التلموديين الذين يعملون على إذاعة روح عبادة الجسد ، وتقديس الشهود "[٢].

وقد تتبع الجندي العلاقة القوية بين فرويد ونظريته – التحليل النفسي – والبعد اليهودي فيها وأكد بشكل لا مرية فيه عن الانتماء الكامل لفرويد تجاه اليهود فقدم لهم هذه النظرية التي خدمت كثيراً من أهدافهم الخبيثة ومن الدلائل والحقائق في ذلك :

أ- ما جاء في بروتوكولات حكماء صهيون من ترتيب لنجاح هذه النظرية وترويجها فيقولون : " لقد خدعنا الجيل الناشئ من الأمميين وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها ولكن نحن أنفسنا الملقنون لها "[٣].

ب- الاستشهاد عن كشف هذه الحقائق ومن أبرز أولئك «دافيد باكان» الذي كشف عن الفكر الفرويدي من آثار التراث اليهودي الصهيوني ، مما كان بداية أساسية لتأكيد هذه الصلة ، ثم جاء كتاب «ترود وابزروز» مارين البقاء اليهودي مصوراً للأسلوب الذي حاولت به اليهودية الصهيونية احتواء العقل الغربي " [٤].

ج- ذكر الجندي بما نقله عن الدكتور «صبري جرجس» في كتابه «التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي» وجود الترابط الكبير بينهما فيقول :" فقد أثبتت الأبحاث العلمية أن ما تحمله هذه العلوم هو عرض عصري للتراث اليهودي الصهيوني ، كشف عن ذلك بالنسبة لعلم النفس الدكتور صبري جرجس الذي قال:" إن مفاهيم التحليل النفسي التي قدمها فرويد هي أداة مقنعة لتحقيق أهداف الحركة الصهيونية ، وأن التحليل النفسي

---

(١) - الفكر الغربي دراسة نقدية ص١٣٣ .

(٢) - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي ص١٥٨ .

(٣) - انظر : بروتوكولات حكماء صهيون ص٦٥ .

(٤) - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة ص١٣٢-١٣٣ .

الذي يعرفه العالم أجمع إنما هو فكر مستمد من التراث اليهودي الصهيوني الممتد مساراً عبر الأجيال ... ويرى الدكتور «صبري جرجس»أن مفاهيم فرويد تهدف إلى تبرير الحركة الصهيونية ، أو إنشاء وطن قومي لليهود ، وإنما ترمي إلى الهدف الأكبر للصهيونية وهي تدمير الكيان الإنساني نفسه،ليتصل الخط بنظرية دارون من حيث يقول بأنه حيوان ليقول بأنه خاضع للجنس"(١).

د- أكد الجندي أن فرويد كان صهيونياً وصديقاً «لهرتزل» (٢) مؤسس الصهيونية الحديثة فقال:"في حياة فرويد نفسه ما يوحي بأنه كان صديقاً لهرتزل الذي حمل لواء الدعوة الصهيونية ، والذي كان على رأس مجموعة الحاخامات الثلاثمائة في بازل عام ١٨٩٢ م ومعهم صحائف بروتوكولات صهيون " (٣).

٤- استغلال الصحافة في نشر النظرية :

يقول أحد حاخامات اليهود:" إذا كان الذهب هو قوتنا للسيطرة على العالم ، فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية " (٤)فكان من أخطر الأدوات العصرية في طرح هذه الأفكار الصحافة باعتبارها أكثر شيوعاً ، وأبعد تأثيراً ، فهي تحفل بضروب من الأفكار المخربة ، وأحاديث الجنس الفاضحة ، والصور العارية ، والقصص البذيئة والمقالات والبحوث التي تتناول كثيراً من المقدسات الدينية بالنقد والتجريح (٥). وهو ما أكد عليه الجندي بقوله :" ولا ريب أن طرح هذه المفاهيم واستمراريتها عن طريق الصحافة ، والكتابة ، والإذاعة ، وتطعيمها بالقصص والمسرحيات والأفلام السينمائية من أخطر المحاولات التي ترمي إلى جعلها مسلمات في نظر الشباب المسلم وفي نظر الذين لم يحصلوا بعد على ثقافة إسلامية كاملة وأصيلة "(٦) .

٥- الفكر العلماني :

أحدث الفكر العلماني تغيراً في المجتمعات وفي نظامها،فكانت لهذه الترعة العلمانية التي خلقها نظام التعليم الحديث خطرها العميق في تشكيل عقليات ووجدان الشباب المسلم

---

(١) - العودة إلى المنابع ص٢٤١ .

(٢) - ثيودور هرتزل (١٨٦٠- ١٩٠٤م)كاتب نمساوي يهودي . هنغاري المولد . مؤسس الحركة الصهيونية . أصدر عام ١٨٩٦م كراساً بعنوان الدولة اليهودية ، ونظم المؤتمر الأول الذي عقد في بازل عام ١٨٩٧م . (انظر : موسوعة المورد العربية ٤/ ١٢٥٩).

(٣) - على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم ، أنور الجندي ص ٦ ، دار الاعتصام ، القاهرة . ،إطار إسلامي للفكر المعاصر ، أنور الجندي ، ص ٨٢ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى عام ١٤٠٠ هـ .

(٤) - النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية ، فؤاد الرفاعي ص٢ .

(٥) - انظر:الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، د. عبدالستار فتح الله سعيد،ص٩٠ ، دار الوفاء ،المنصورة ، ط الرابعة ١٤٠٨هـ .

(٦) - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي ، ص١٥٨-١٥٩ .

وعجزه عن فهم أبعاد قدرة الله تبارك وتعالى ، وعالم الغيب وفهم مهمة الإنسان في هذا الكون من خلال المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي ،ومن هنا يتحتم تطهير المفاهيم الإسلامية من المحتوى غير الإسلامي في هذه العلوم [1].

المطلب الخامس : نظرية فرويد في العالم الغربي:

لقد كان العالم الغربي بيئة خصبة لكثير من هذه النظريات المنحرفة ، فظهر في القرن التاسع عشر نظريات عده ومنها نظرية فرويد ، ومعظم هذه النظريات تنظر إلى الإنسان نظرة احتقار وازدراء فكانت متفقة من حيث المبدأ مختلفة من حيث السبل والاتجاهات .

وقد ظل علم النفس فرعاً من فروع الفلسفة إلى أوسط القرن التاسع عشر،ثم انفصل عنها بعد ذلك متأثراً بالكشوف العلمية التي ظهرت في مجال الفسيولوجيا،والفيزياء والرياضيات ، فقد اكتشف العلماء وظائف الجهاز العصبي ، وتعرفوا على الغدد التي تتحكم في النمو البدني والعصبي ، مما كان له كبير الأثر في نشؤ مدارس علم النفس الحديث والمعاصرة[2].

ونجد من تلك المدارس مدرسة فرويد الذي اتخذ من مجال الطب النفسي مجالاً واسعاً لعرض نظرياته ومفاهيمه المنحرفة لكل ما هو ثابت،وهذا كله يرجع إلى كون علم النفس الغربي الحديث ينظر إلى الإنسان كحيوان مادي هدفه الوحيد هو التكيف مع بيئته المادية والاجتماعية[3].

بالإضافة إلى أنها اقترنت بجو اجتماعي دفع بها وجعلها مرض العصر ، فإن موجة العصر والاضطراب التي أصابت العالم بعد الحرب العالمية الأولى أدت إلى نظرة متشائمة إلى المجتمع وأوضاعه ، وإلى محاولة التحلل من الضغوط الاجتماعية التي اعتبرت أساس الداء ، فقامت الصيحة للتخفيف من ضغوط المجتمع والتنكر لكل عوامل الكبت والتضييق التي تسبب العقد النفسية فتكون سبباً في حصول الأزمات الاجتماعية والسياسية[4].

كما أن آراء فرويد صادفت هوى في مجال الطبقة الوسطى في المجتمع النمساوي في أواخر القرن التاسع عشر ، تلك الطبقة التي كانت تتجاذبها قيم المجتمع الفيكتوري الصارخة والاتجاهات الفردية ، فإن الاتجاهات للتحلل من قيود المجتمع بعد الحرب العالمية الأولى قد

---

[1] - انظر: تجاوزات العلوم الاجتماعية و الإنسانية لمفهوم الفطرة والعلم ، أنور الجندي ، ص١٠ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

[2] - انظر: نظرية التحليل النفسي عند فرويد في ميزان الإسلام أ.د سعد الدين السيد الصالح ص ٣٦. مكتبة الصحابة ،جدة ،ط الأولى،عام ١٤١٤هـ .

[3] - موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث،د. يوسف حسين ص٣٨٩بتصرف،دار الزمان ، المدينة المنورة،ط الأولى،عام ١٤٢٥هـ.

[4] - انظر: القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ص٤٣٠ بتصرف ،

اتخذت هذه الأفكار أداة لتفسير سلوك الإنسان وإلى اعتبار هذا المنهج العلمي السيكولوجي دعامة كافية لإعطاء النزعات الطبيعية المكبوتة مجالها حتى يسعد الإنسان ويتجنب شر الحروب [1].

وقد بدأت هذه الحركة من موطن فرويد فيينا ، وانتقلت إلى سويسرا ، ومن ثم عمت أوروبا ، وصارت لها مدارس في أمريكا وهم يسمون الفرويديون المحدثون[2] .

المطلب السادس : نظرية فرويد في العالم الإسلامي :

قد يكون انتشار نظرية فرويد في العالم الغربي له ما يبرره ، لكن الأعجب أن تنتشر هذه النظرية المليئة بالمغالطات والكفر والإلحاد في بلاد الإسلام ، حيث أصبحت هذه النظرية تدرّس في مدارسها وجامعاتها على أنها حقائق مسلم بها .

و ظهرت في مصر ثلاث اتجاهات مختلفة هي :

١- مدرسة يتزعمها إسماعيل القباني وتلميذه د. عبدالعزيز القوصي[3] ، ومحمد فؤاد جلال ، وهم من علماء النفس والتربية ، وقد تلقوا هذا العلم في الجامعات الانجليزية ، وقد أخذوا بالاتجاه التجريبي الإحصائي التطبيقي ، وجعلوا اهتمامهم بالنمو العقلي للطفل والذكاء والقدرات ، والقيام بتجريب طرق التدريس الحديثة في المدارس النموذجية وكذلك إجراء البحوث في ميدان التربية والجيش والمشاكل التي يقع فيها المجتمع المصري .

٢- مدرسة يتزعمها د. يوسف مراد وهذا الاتجاه ظهر في تكوين جماعة علم النفس التكاملي متفق مع علم النفس الحديث وذلك بالتخلي عن التجزئة في دراسة السلوك والاتجاه نحو دارسة الأنماط السلوكية المتكاملة .

٣- مدرسه يتزعمها «د. مصطفي زيور»[4] وهذا الاتجاه اهتم بعلم النفس التحليلي الفرويدي ،وقد تكون تلاميذ لهذه المدرسة اتضح تأثرهم الزائد بالتحليل الفرويدي وإعجابهم الشديد به مما شكل عندهم إغلاق عقولهم دون ميادين علم النفس الأخرى[5] .

---

[1] - المصدر السابق ص ٤٣١.

[2] - انظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٨٤٠ .

[3] - عبدالعزيز القوصي (١٣٢٤- ١٤١٢هـ) الرائد الأول لعلم النفس في مصر. وهو أول عميد لكلية التربية فيها . من أعماله : أسس الصحة النفسية ، أولادنا بين التعليم والتعلم . (انظر : تتمة الأعلام ١/ ٣٠٢) .

[4] - مصطفى زيور (١٣٢٥هـ - ١٤١٠هـ) أحد أشهر أعلام التحليل النفسي بالعالم ، ولد بالقاهرة ، وحمل إجازة الفلسفة من كلية آداب القاهرة ، نال الدكتوراه من جامعة ليون ، أنشأ مجموعة المؤلفات للتحليل النفسي. (انظر : ذيل الأعلام ص ٢١٠)

[5] - انظر: الإسلام والتحليل النفسي عند فرويد ص ١٩٩-٢٠٠ بتصرف .

يقول الجندي:"وقد حمل هذا المفهوم كثير من الباحثين الذين اعتنقوا نظرية فرويد فقدموه إلى شبابنا في الجامعات أمثال «د.مصطفي زيور» وغيره فأحدثوا في الوجدان المسلم اضطراباً شديداً وأزمة خطيرة وخاصة بالنسبة للفتيات اللاتي درسن علم النفس.وقد كان هناك صراع في هذا المجال سجله بعض تلاميذهم حيث كان «د. يوسف مراد» يحارب هذا المفهوم ويقول:إن الحب لا العدوان هو المحرك الأول للحياة،وأنه ليس في طبيعة الإنسان الفطرية ما يتعارض مع تحقيق التفاهم والوئام بين أفراد المجتمع والوصول إلى التكامل الاجتماعي بالقضاء على أساليب السيطرة والعدوان والتدمير.وكان ذلك كله كمحاولة لهدم رأي فرويد و من سار على دربه أمثال «أنيس منصور»[١] وغيره الذي أعادوا إذاعة هذه الآراء على نطاق واسع عن طريق الصحف التي أفسحت لهم في صفحاتها فكان تأثيرهم شديداً على القراء من الطبقات العامة "[٢].

وكان من الذين تأثروا بالتحليل النفسي الفرويدي «سلامه موسى» الذي قضى زهرة حياته خلال أكثر من أربعين عاماً ينشر أفكار فرويد ويدافع ويتحدث عنه كقديس حيث روّج لهذا الفكر المنحرف من خلال كتاباته في الكتب والصحف ومنها كتابه العقل الباطن ،وعقلي وعقلك[٣].

يقول الجندي :" كان سلامه موسى في مقدمة من دعا إلى هذا الفكر،وظل يكتب عنه يوماً بعد يوم لا على أنه نظريات أو فروض . وإنما على أنه حقائق علمية وصلت من مكان الكمال المطلق،وجرت على الألسنة كلمات : مركب النقص،و العقل الباطن وغيرها "[٤].

المطلب السابع : موقف الإسلام من الفرويدية:

إن الإسلام لم يغفل الجانب النفسي بل اهتم بالنفس البشرية كي يصل بها إلى الكمال المنشود من الرفعة ، والإنسان في نظر الشرائع السماوية – وخاصة الإسلام – ليس كائناً مادياً كما يرى أصحاب المذاهب المادية والتي في مقدمتها نظرية فرويد ، و ليس كائناً

---

[١] - محمد أنيس منصور ، كاتب صحفي،مصري معاصر،يعتبر من دعاة تغريب المرأة ،له أفكار وجودية،عمل بالصحافة بعد تخرجه من جامعة القاهرة في جريدة الأهرام،ودار الهلال،وأخبار اليوم .من كتبه : وداعاً أيها الملل ، كائنات فوق .(انظر:الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٣٥٦).

[٢] - التأصيل الإسلامي ص ١٩٨.

[٣] - انظر : الإسلام والمصطلحات المعاصرة للجندي ص ٢٦٢، وينظر : والإسلام والتحليل النفسي عند فرويد د. أحمد رمضان ص ٢٠١-٢٠٦ حيث أفاض في بيان ذلك الانحراف .

[٤] - على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد وكايم ،أنور الجندي ص٥،دار الاعتصام،القاهرة ،إطار إسلامي للفكر المعاصر ص ٨١، ولمزيد من تسليط الضوء على دور سلامه موسى في نشر نظرية فرويد .انظر:الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ص ٢٣٢- ٢٣٤.

روحياً أو عقلياً خالصاً كما يرى بعض المفكرين ، إنما هو كائن مزدوج الطبيعة ، مكوّن من عنصرين هما الجسد والروح ، لكل منهما خصائصه واحتياجاته .

ويعتبر التحليل النفسي ليس جديداً في أصوله على الفكر الإسلامي ، بل نجد زعماء الفكر الإسلامي كالغزالي وابن القيم ... اهتموا بالناحية النفسية واعتبروها أحدى دعامات المربين الأخلاقيين المسلمين ، وكان هذا تحليلاً نظرياً وتطبيقياً معاً ، ومدفوعاً بدافع الإيمان بالله واليوم الأخر،و باحثاً عن السعادة الأبدية غير ناسٍ نصيب الإنسان من السعادة الدنيوية . بيد أن بعضهم ربما وقع في بعض أخطاء ، بسبب عدم تقيده من منهج الحق بحدود مفاهيم القرآن الصحيحة ، وسنة الرسول القولية والعملية (1) .

يقول الجندي :" يقف الإسلام موقفاً واضحاً صريحاً من النفس والسلوك الإنساني فهو يأخذ الكائن البشري كاملاً و لا يفصل بين نفسه وجسمه أو بين عواطفه وعقله ، أو بين ماديته وروحانيته ، ويؤمن بأن الإنسان ثابت الجوهر متغير الصورة،وأنه لا سبيل إلى تفريغ كيانه من مضمونه ، أو النظر إليه على أنه الهيكل البشري خالياً من الروح والوجدان ، والإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك و لا هو بالشيطان ، له مطامع تربطه بالأرض ، وأشواق تربطه بالسماء . ولذلك كله فالإسلام يعمد إلى إيجاد التوازن في المجتمع نفسه ، فيحاول أن يحفظه من التمزق دون أن يعتزل الحياة بالرهبانية أو يصرع نفسه فيها بالإباحية ، فالتوازن الدائم هو الذي يحقق للإنسان قدرته على أداء رسالته وممارسة تجربته دون أن يفقد المسئولية باعتزالها ، ودون أن يعجز عن احتمال الأمانة بالانحدار عنها .

والإسلام يعترف بالكائن البشري كما هو ويحقق له رغبات جسده وعقله وروحه ، كما يعترف بالنشاط الحيوي للإنسان ويقر حق الفرد في مزاولة هذا النشاط في حدوده الطبيعية هذا الاعتراف بالطبيعة البشرية وحق ممارستها يحول دون ما يسمى بكبت أو تمزق أو ضياع ، و إنما يقع التمزق والضياع والكبت نتيجة الفصل بين القيم وإعلاء شأن إحداها ، إما إعلاء الروحانيات بالزهادة المطلقة ، أو إعلاء الماديات بالإباحة المطلقة ، ومن حيث تكون النظرة إلى الحياة متكاملة جامعة فان الانحراف لا يقع ، ذلك أن النظرية المادية الخالصة هي وحدها التي تخلق التشأوم والشك والقلق الذي يحس معه الإنسان أنه وحيد وغريب وشقي ، وهذا هو معنى التمزق والضياع ، في المفاهيم الاجتماعية والإنسانية الغربية ، وهو طارئ عليهم ، ولا يوجد في مجتمعنا الإسلامي الذي يقوم على تكامل القيم ، فان

(1) - انظر: كواشف زيوف ص ٢٩١-٢٩٢.

الإيمان بالله وحده يؤدي إلى الثقة والطمأنينة﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [سورة الرعد : آية ٢٨] ويجعل معه التفاؤل والرضا بقضاء الله ، ذلك أن الإيمان بالله قوة دافعة تحول دون اليأس، وتزرع الأمل ، وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة في حالة الإخفاق ، ومن هنا فليس في الإسلام طوابع الانهزام أو اليأس ، أو التشاؤم الذي يغمر كتاب الغرب ، كذلك فان مفهوم الإسلام يقوم على الغيرية والتضحية والتقوى ، بينما يقوم الفكر الغربي على فكرة الرفاهية والترف وهي تتعارض مع مفهوم البذل والعطاء"[1]

المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من نظرية فرويد :

بين الجندي أن هذه النظرية وجه إليها نقد من العلماء الغربيين لعلم النفس المعاصر ليبين مدى تهافتها وسقوطها في مكان ظهورها ونشأتها فيقول:"وقد شهد فرويد هذه المعارضة في حياته ، ثم لم تلبث نظريته مع الزمن أن فقدت لمعانها الخاطف ، وتكشفت الحقائق التي تعارضها سواء عن طريق عمليات التجريب والإحصاء ، أو عن طريق العلم نفسه ، ومن أبرز هذه المثل أن الأطباء الذين اجتمعوا لإحياء ذكرى فرويد في مدينة شيكاغو وعددهم نحو أربعة الآف طبيب قد فوجئوا بحملة عنيفة على فرويد ومذهبه يتولاها رجل مسئول عن مركزه العلمي الرسمي وهو د. «برسيفال بيلي» مدير معهد النفسيات بولاية النيواز ، وخلاصة حملته أن البقية من طب فرويد قليلة لا يؤبه لها ، وأن آراءه لا تضيف شيئاً إلى القيمة الإنسانية ؛لأنه يرتد الإنسانية إلى أغوار الباطن ، ويهمل جانبه المنطقي الشاعري ، وأنه لم يكن يفهم المرأة ، ولا يحس جلال العقيدة ، وأنه لمن العجب أن يكون الدكتور أرنست جونس تلميذه الوحيد من غير اليهود .

كما ألقى العالم النفسي «ابيليوت سليتر» عام ١٩٧٠م في المحاضرة السنوية للجمعية الطبية النفسانية في انجلترا بلندن بحثاً كان بمثابة تحول خطير في نظرة السيكولوجين إلى فرويد ومفاهيمه قال : إن التحليل النفسي ليس علماً بل أسطورة ، ولدت في رحم خصب من اللاعلمية ، وهو الرحم الذي ترعرعت فيه فروع كل العلوم . وهاجم «سليتر » التحليل النفسي الفرويدي قائلاً : إنه لن يكون له مستقبل ولا مكان حتى في الحلم الذي يراود العلماء وهو التوصل إلى انصهار جميع علوم الحياة في علم واحد .

---

[1] - الإسلام والتيارات الوافدة ص٥٢-٥٣،أخطاء المنهج الغربي الوافد ص٤٠١- ٤٠٠ ، مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام ص٢٧-٢٩،دار الاعتصام ، القاهرة الطبعة الأولى ، عام ١٣٩٧ هـ .

وفي الحلقة الدراسية التي نظمتها أكاديمية العلوم بنيويورك وضمت ١٨ فيلسوفاً استثنت الحلقة علم التحليل النفسي لفرويد من ميدان العلوم وكانت وجهة النظر أن نظرية خلابة كنظرية فرويد برزت قبل نصف قرن كان يجب أن تكون الآن علماً له مكانته وأسسه، ولكنها لا تزال تدعو للخجل والرثاء لأنها لم تتعد حدود النظريه "(١) .

ويقول : " ومن أجل هذا أعلن كثير من الباحثين وفي مقدمتهم د. «تاتان كلاين» نبذ طريقة فرويد في العلاج النفسي والعقلي . وهي النظرية التي ترجع جميع الاضطرابات النفسية إلى أسس جنسية بحتة ، وقال : إن هذه النظرية ليست إلا معولاً هادماً لعقول الشباب ، ومخدراً مميتاً لنفوس أبناء الشعب" (٢).

ثم بين أن آراء فرويد وأفكاره ما هي إلا مجرد دعاوى ينقضها الواقع العملي والعقلي للإنسان ، ومع ذلك فهي أخذت بمبدأ التسليم وأنها حقيقة علمية ثابتة . فدرست — ولا تزال– في مدارسنا وجامعاتنا على هذا النحو مما جعل أنور الجندي رحمه الله يوجه لها كثيراً من الانتقادات والاعتراضات بغية بيان عوارها ، وتخيلاتها المزيفة لمن أفتتن بها من المسلمين وساق مجموعة من تلك الردود نجملها في النقاط التالية :

١- وجه الجندي نقداً عاماً لهذه النظرية ولغيرها من النظريات وينفع أن يكون بمثابة الإطار العام لرد هذه الأفكار البشرية فيقول : " إن أي نظرية يقوم بها فيلسوف أو مصلح تتمثل فيها حقائق هامة :

أولاً : أن هذه النظرية هي فرضية افترضها هذا الفيلسوف بناء على نظرته إلى الأمور وثقافته ومكونات شخصيته .

ثانياً : أنها نظرية تتصل اتصالاً تاماً بالتحديات الخاصة لشخصية هذا الفيلسوف وبيئته وعصره ومجتمعه وظروف معينة قائمة أمامه .

ثالثاً : إن الإنسان على أعلى درجة من التفكير والنظر ، لا يستطيع أن يخرج عن أبعاد وجوده البشري والعقلي والنفسي ، ولا يستطيع أن يشرع للمجتمع الإنساني كله . ومن ثم فإن ما يقدمه الفكر البشري هو فرض يقبل الخطأ والصواب ، وقد يصلح لمجتمع ولا يصلح لآخر ، وينفع في عصر ولا ينفع في جميع العصور "(٣).

---

(١)- انظر: الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص ١٣٦- ١٣٨ بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣٨٤- ٣٨٥.

(٢) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٤٣، أخطاء المنهج الغربي الوافد ص ٣٩٤، مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام ص ٢٦، ولمزيد من الأقوال . ينظر: مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤٤- ٤٤٥.

(٣) - سموم الاستشراق والمستشرقين ص١٤٦-١٤٧ .

٢- إن فرويد قد انحط بنظرته إلى الإنسان فجعله : في مرتبة دون الحيوان ، وإن الإنسان في جوهره حيوان كغيره من الحيوانات ، وأن غريزته الجنسية هي الأساس الأول لسلوكه في الحياة ، وقد فند الجندي هذه النظرة الأرضية قائلاً : " إن أكبر الدلائل على ضعف نظرية فرويد هي أنها لا تعارض القيم الأخلاقية التي جاءت بها الأديان والتي صاغها الإسلام كخاتم لهذه الأديان في صورتها الإنسانية والعالمية فحسب ولكنها تعارض المنهج العلمي الحديث في المعرفة ولا نجد تسليماً بها في أي مجال من مجالات هذا العلم حتى في مجال التحليل النفسي الذي يعد فرويد مؤسسه وواضع قواعده ؛ وذلك بسبب يسير جداً ، هو أنها تحتقر الإنسان وتصوره كأنه مجموعة من الغرائز والشهوات ، ولا ترتفع عن واقع الأرض المادي ، ولا تنطلق من قيد الغريزة لحظة في فن رفيع أو فكرة عليا ، مع أن شخصية الإنسان فسيحة لها أبعاد واسعة وعميقة تشمل عشرات من الرغائب والأهواء والمطامع والمطامح فإذا جاء فرويد ليحصرها في الجنس وحده ، أو يجعل الجنس منطلقها إلى رغائبها وغاياتها كان واضح الاعتساف والابتعاد عن المنهج العلمي الحقيقي والنظرة الأصيلة . لقد اعتمد فرويد على المدرسة الاجتماعية التي اتخذت من دارون منطلقاً لها في إقرار حيوانية الإنسان وماديته ونفي جوانبه الأخرى النفسية والروحية وطوابعه الاجتماعية والإنسانية وذهب في ذلك إلى أبعد مما ذهب تلاميذ دارون من أمثال سبنسر وغيره .

فالإنسان ليس مخلوقاً أرضياً وليس له جانبه المادي وحده ، ولكنه متميز عن سائر المخلوقات بالسر الذي أعطاه الله تبارك وتعالى له عن طريق العقل والنفس والإرادة والمسئولية وجعله أهلاً لحياة أخرى أعظم من هذه الحياة .

وهو ليس مقطوع الصلة بعالم الغيب ولا بالنبوات ورسالات السماء ، ولكنه موصول بها أعمق صلة وعمله في الدنيا مسئولية رسالة لها تبعتها أولها اتصالها بعالم الآخرة الذي هو الحلقة الأخيرة المرتبطة بالدنيا ارتباطاً عضوياً وثيقاً ، ارتباط التكامل وارتباط التتابع وارتباط الشرط وجواب الشرط .

إن مظهر حيوانية الإنسان من شهوة طعام وشهوة جنس وشهوة امتلاك ليست إلا وسائل لقيام واستمرار عمران هذه الأرض ودوام حركتها إلى أجلها المسمى عند خالقها ، فهي ليست إلا مظاهر الحياة فيه ولكنها ليست جوهرها ، إنها الوسائل الطبيعية التي تمكنه من أداء وتحقيق ذاته ولكنها ليست جوهرها ، إنها الوسائل الطبيعية التي تمكنه من أداء دوره وتحقيق ذاته ولكنها تحمل في الأعماق فكرة عالية ورسالة كبرى هي تحقيق إرادة الله في

الأرض بالاستخلاف وبأداء هذه الرسالة في حدود ضوابطها وفي نطاق مسئوليتها ، بالإرادة الفردية العاملة المسئولة عما استخلفت فيه . ولا ريب أن ذلك كله يغيب عن أصحاب النظرية المادية فلا تبدو الحياة لهم إلا في أحد صورتين : إما أنها أداة الجنس (فرويد) أو الطعام (ماركس) .[1]

٣- زعم فرويد أن غريزة الجنس هي الغريزة الأساسية التي تتحكم في شخصية الإنسان في مراحل حياته ، ورد الجندي هذا الزعم الباطل بما نقله من نقولات لعلماء النفس المعاصرين له والذين رفضوا هذا الإدعاء مع أنهم كانوا من نفس المدرسة فقال " وقد عارض «يونج»[2] و «أدلر»[3] نظرية فرويد في الجنس ، ورفضا رأيه في الغريزة الجنسية ، وفي الطفولة وفي عقدة أوديب .

أما «أدلر» : فإنه نبذ أهمية الغريزة الجنسية النبذ كله ، وأرجع تكوين الشخصية ونشأة الأمراض العصبية إلى مجرد الرغبة في القوة والتعويض عن نقص الكيان . ويعتقد «أدلر» أن حافز تأكيد الذات وليس الدافع الجنسي هو القوة السائدة الإيجابية في الحياة .

ويري «يونج» : أن الجنس ليس هو الدافع الحقيقي ، ولكن هو الرقى والسيادة والرغبة الملحة في التفوق ، وأن الحب الجنسي ليس الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه السيادة ، وأن هناك وسائل أخرى لا علاقة لها بالحب الجنسي .

ويرى «أدلر» أن الشعور بالنقص أهم في عوامل الأمراض العصبية من الأمور الجنسية التي بالغ فرويد في إبراز خطورتها .

ويقول «يونج» : أن آراء فرويد ذات جانب واحد وغير ناضجة تمام النضوج ، وأن مصدر سرور الطفل في الحصول على الغذاء هو اللبن ، ولكن يجب أن لا يوصف بأنه جنسي أبداً ، وذلك باعتبار أن الدافع الجنسي لم يتميز بعد عن الميل الابتدائي للحياة ، وينكر يونج أن اللبن جنسي بكليته وهو يعتبر أن اللبن هو إرادة الحياة "[4].

---

[1]- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ص١٦٦-١٦٧ .

[2] - يونج (١٨٧٥- ١٩٦١) عالم نفس سويسري أسهم بقسط وافر في بيان اللاشعور ، وفي تكوين الطب النفسي درس الطب في جامعة بازل ،التقى بفرويد في مدينة فيينا سنة ١٩٠٧م . من كتبه : علم النفس اللاشعور ، التحولات ورموز اللذة الجنسية ، علم النفس والدين .(انظر : موسوعة الفلسفية ، بدوي ٢/ ٦٤٤) .

[3] - أدلر (١٨٧٠ م – ١٩٦١م) عالم نفس طبي ، وهو مؤسس ما يسمى بعلم النفس الفردي ، ولد بفيينا من أسرة يهودية ، درس الطب في جامعة فيينا ، حصل على إجازة الطب ولكنه أنصرف إلى علم النفس . من مؤلفاته : دراسة عن دونية الأعضاء ، معرفة الناس ، نمط الحياة . (انظر: موسوعة الفلسفية ٩٤/١).

[4] - سموم الاستشراق ص ١٥٢.

ويقول الجندي مبطلاً هذا الزعم : " أثبتت الدراسات العلمية بما لا يقبل الجدل أن الدافع الجنسي يأتي في مرتبة تالية من كثير من الدوافع الأخرى كالدافع إلى الشراب ، أو الطعام ، أو الهواء ، ثم أن الدافع الجنسي يخضع للتربية بمعنى أننا نستطيع تربية الإنسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسي ويتحكم فيه وبذلك تكون العفة أمراً ليس ممكناً فحسب بل ضرورياً "(١).

٤- انتقد الجندي فرويد في مخالفته لأصول البحث العلمي ، وأن المفاهيم التي استخدمها غير قابلة للاختبار وهذه بعض المخالفات :

أ - التعميم:

يقول الجندي:"إن نقطة الضعف في فرويد كعالم أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة التعميم ،والوصول إلى قوانين شاملة بينما وهو يهودي يعيش في النمسا المتعصبة ضد اليهود فكيف يمكن أن يتخذ من وضعه كمضطهد في مجتمعه قاعدة لنظريته يطبقها على الإنسانية كلها" (٢).

ب- اعتماد فرويد على الأساطير مثل أسطورة عقدة أوديب ، واليكترا وأسطورة دارون وهذه الأساطير جعلته يتصور تصوراً خاطئاً عن الدين والأخلاق ، واعتقاده أن كل أعمال الطفل تعبير عن طاقة الجنس(٣) .

وقد نَّبه الجندي إلي بطلان هذه الأساطير فقال : " وقد أثبت العلماء أن عقدة أوديب ، والعقد الأخرى ليست طبيعية المنشأ . وقد أثبت العلماء أنها ظاهرة اجتماعية ، قد توجد في مجتمع وتتقدم في مجتمع آخر . وقال «مالينوفسكي» الباحث النفسي:أن عقدة أوديب ليس لها أثر في أماكن كثيرة . وقال «كلاباريد» : أن فرويد وأتباعه كالبوم لا يرون إلا ما يشمل عليه كهوف اللاشعور "(٤).

ج- اقتصار فرويد في دراسته على حدود ضيقة فكان اعتماده على بعض المشاهدات التي كان مجتمع فيينا يزخر بها ، واقتصاره على اتخاذ الشواذ والمرضى مقياساً له ، يقول الجندي : " إن نظرية فرويد في التحليل النفسي لم تكن إلا مجموعة من الفروض ، والتي استقاها من تجربته مع المرضى والشواذ ، والمصابين وليس مع الأصحاء والأسوياء ، وهي وجهة نظر

---

(١) - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ص ١٦٩.

(٢) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٤٢-١٤٣، معلمة الإسلام ١/ ٣٢٤، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤٤، مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام ص ٢٤.

(٣) - انظر: الشباب المسلم قضايا ومشكلات ص ٣٦،الصحوة الإسلامية ص ٢١٨ ،الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ٣٧٦.

(٤) - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤٥.

مطروحة للنظر وقابلة للصواب والخطأ ، وهي فرضية تشكلت من أحاسيس ، ربما تكون خاصة في مجتمع معين ، وفي الحقيقة أن الأهواء غلبت فيها على العلم "[1].

وفرويد عند اقتصاره على حدود ضيقة في دراسته إنما حكم على نظريته بالفشل والسقوط ؛ لأن المنهج العلمي في مثل هذه القضايا يستلزم من الباحث ألا يعمم الحكم إلا بعد أن يستقرئ كل ما يمكن استقراؤه من عينات البحث ، ولكن فرويد بحث شريحة واحدة من بنى الإنسانية وهي شريحة الشواذ والمرضى ثم عمم الحكم على الجميع مخالفاً بذلك أصول المنهج العلمي السليم "[2].

د- حصول الكذب والخداع عند جمع فرويد للبيانات نتيجة عدم منهجيتها وانضباطها ، يقول الجندي:" أعلن «جفري ماسون» أحد المحللين النفسانيين والمتخصص في علم النفس في مكتبة الكونجرس الأمريكي أن فرويد لجأ إلى الكذب والغش في التحليلات التي وصل إليها خاصة نظرية الدافع الجنسي عند الأطفال والتي توصل إليها عام ١٨٩٦م ويقول ماسون:(إن معظم الأطفال الذين استعان بهم فرويد في تحقيق نظريته كذبوا عليه و لم يقدموا له معلومات حقيقية . وقد اكتشف فرويد هذه الأخطاء ولكنه لم يصححها) وقد طرد ماسون من وظيفته نتيجة لهذه التصريحات.

وقال «ماسون» : إن أنصار فرويد يخافون من تدمير نظريات التحليل النفسي بفضح هذه الأخطاء وقال : إذا كانوا على استعداد لتأكيد صحة تحليلات فرويد فعليهم إعادة استجواب المرضى الذين خضعوا لتحليلاته منذ عام (١٩٠١م) وتعتبر شهادة جفري ماسون من أقسى الضربات الموجهة للفرويدية "[3].

٥- إن شخصية فرويد جمعت مجموعة من المتناقضات مما له دلاله على سقوط هذه النظرية وزيفها وقد جمع الجندي عدداً منها :

أ- انتماؤه لليهودية :

يقول الجندي : " يقرر الباحثون أن ليهودية فرويد دخلاً كبيراً في صياغة الكثير من نظرياته وفرضياته وتعليلاته ، ذلك لأنه كان ينتمي إلى الحركة الصهيونية التي أقل ما ينسب إليها حب المال ، والانغلاق ، والتعصب "[4].

---

[1] - الإسلام والتيارات الوافدة ص ٥٠

[2] - نظرية التحليل النفسي عند فرويد في ميزان الإسلام ، ص ٧٤-٧٥، بتصرف .

[3] - الفكر الغربي دراسة نقدية ص ١٩٠-١٩١، التأصيل الإسلامي ص ١٩٩.

[4] - معلمة الإسلام ١/ ٣٢٧.

ب- صفاته الشخصية :

ذكر الجندي عدداً من تلك الصفات التي تبين اضطراب شخصيته فقال : " أما شخصية فرويد نفسها فإنها لا تثبت لها شخصيات العلماء المتجردين للعلم حتى وصف بأنه كان مجموعة من العقد النفسية إلى آخر حياته ، وكان ينسى الأسماء ومنها اسم أحد معارفه ، وكان يتتبع أوراقه التي تدخل في ترجمة حياته ويحرقها ، وكان يؤمن بأنه سيموت في نهاية الحرب العالمية الأولى ، فمات في بداية الحرب العالمية الثانية ... وكان عرضة للإغماء على أثر بعض المفاجئات ، وكان مرارة طبعه خلة ملازمة له في علاقاته مع غيره ، وكان له ضروب من القلق تنم عن باعث من بواعث الحيرة المكتومة"[1].

ج- سرقة الأفكار:

يقول الجندي : " وقد أشارت معظم الأبحاث الصادرة في السنوات الأخيرة عن ما أطلق عليه سرقات فرويد حيث تعرض بالهجوم العنيف من جانب أكثر من مدرسة من مدارس علم النفس ، والعلوم الإنسانية وأهمها كتابان حركة التحليل النفسي «لرثت جيلر» ، واضمحلال وسقوط الإمبراطورية الفرويدية لمؤلفه «ايزنبك» . وهما يعتمدان على مقولة واحده أن الجديد الذي جاء به فرويد يخلو من الصواب ، والصواب الذي قال به لم يكن جديداً ومما أخذ عليه مذهب التداعي للأفكار الذي زعم فرويد أنه ابتكره كوسيلة للعلاج النفسي يجعل المعالج يطلق العنان لذكرياته دون تدقيق و لم يكن من ابتكاره بل كان من ابتكار «سيرافرستس جالتون» قبل فرويد بأكثر من ربع قرن ، وأشار «جيلر» إلى أن فرويد سرق من «نيتشه» فكرته الأساسية عن ارتباط دوافع الإنسان ورغباته وتصرفاته بدوافع الغريزة الباطنة ، غير الواعية "[2].

٦- الكبت [3]:

يعتبر دعامة نظرية التحليل النفسي ويصوره فرويد بأنه " أخطر الأمراض النفسية التي يتعرض لها الإنسان والتي تؤدي إلى أمراض النورستانيا والجنون ويحيط فرويد هذه القضية بتهويل كبير ، ويعزو إليها مخاوف كبيرة من وراء الوصول إلى القول بإطلاق التربية من جميع قيود التوجيه والعقوبة والزجر والتخويف "[4].

---

[1] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة ص١٢٧- ١٢٨ ،مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣٧٨،الشبهات والأخطاء الشائعة ص ٣٧٦.

[2] - الفكر الغربي دراسة نقدية ص ١٩١ ، التأصيل الإسلامي ص ١٩٩-٢٠٠.

[3] - الكبت هو:إزاحة المشاعر والخبرات البغيضة عن الصعيد الواعي للحياة العقلية ودفعها إلى اللاوعي.(انظر:موسوعة المورد العربية ٣/٩٥٤).

[4] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة ص ١٣٩ ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣٨٦.

وعلى هذا يكون الكبت رفض قبول الانطباعات في الشعور ، أو هو عملية نفسية لا شعورية يقصي بها المرء بعض تصوراته وعواطفه المؤلمة ورغائبه المحرمة ، عن ساحة الشعور الواضح ليخفيها في العقل الباطن (اللاشعور)(1).

والكبت عند فرويد ناتج عن عدم الاستجابة للعقل الباطن (اللاشعور) بقيود صنعها الإنسان والمجتمع وبالتالي يطالب فرويد الإنسان بتحدي هذه القيود ورفضها وعدم الاستجابة لها (2).

وقد أحسن الجندي في بيانه لتهافت الكبت ونقده فقال:" لقد كان فرويد في نظريته تلك واقعاً تحت تأثير بعض المفاهيم الدينية المنحرفة التي كانت تعيشها أوربا،والتي كانت تدعو إلى كراهة الطاقة الجنسية،والعلاقة بين الرجل والمرأة،وتحرص على الرهبنة واعتزال الحياة "(3).

ويقرر الجندي أن مسألة الكبت الذي ادعاها فرويد لا تنشأ في ظل الإسلام فهو يدعو إلى التوازن بين رغبات الجسد ومتطلبات الروح لذا لم يلغ الغرائز إلغاءً تاماً كما في النصرانية و لم يسمح بتحريرها تحريراً مطلقاً كما في الفرويدية فقال:" إن الإسلام يدعونا إلى المجاهدة،والمذاهب النفسية الحديثة تدعونا إلى الانطلاق،فأيهما فيه الخير من أجل بناء الشخصية الإسلامية القادرة على مواجهة أخطار المجتمع،وصناعة الحياة والدفاع عن القيم والمقدسات. إن المجاهدة بمعنى معارضة الأهواء والمطامع ، والكظم بمعنى تأجيل الرغبة ليس هو الكبت الذي صور فرويد أخطاره ، وبالغ في التخويف منه ، وتلك المخاطر الوهمية التي أذاعها فرويد عن الكبت تختلف تماماً ؛ذلك أن الكبت إنما يستمد معناه ومدلوله من إنكار الرغبات أساساً وتحريمها عقيدة وعدم الاعتراف بها واحتقارها كاحتقار الجنس،أو المال والطعام ،بينما الإسلام يقرها جميعاً وينكر تحريمها قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [سورة الأعراف أية :32] . إن الإسلام لا يحتقر الرغبات ، وإنما يعترف بها اعترافاً كاملاً دون إنكار لها ، وإن كان يدعو إلى الاعتدال في استعمالها ، أو تأجيل ممارستها حتى تتحقق القدرة التي تصنعها في إطارها المشروع والصحيح ، فتأخير ممارستها ليس كبتاً ،إنما هو إعلاء "(4).

(1) - انظر : مذهب وفرق دراسات نقدية ص 180.
(2) - انظر: المصدر السابق ، نفس الصفحة .
(3) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص 178.
(4) - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ص 42-43.

ويقول كذلك :" والإسلام لا يفتح الباب أمام الكبت ، بل يزيله قبل أن يحدث ، ولا يترك فرصة مهيأة لحدوثه فهو يعترف بالرغبات ، ويقرر إقامة الحدود التي تحفظ النفس البشرية من الانهيار في نفس الوقت ، هذه الحدود تنظم مدى القيام بالنشاط الحيوي وتحدد له ميادين معينه ، يكون فيها مأمون العاقبة دون أن تحرم الإنسان من الإحساس به والرغبة فيه ودون أن تحول بينه وبين حقه في أنه مباح له ، مسموح به ، وليس في مزوالته أي نوع من الحجر حلالاً ليس حراماً ، بل هناك ترغيب فيه ودعوة إليه حتى لا يوضع في غير مكانه ، كل ذلك شريطة أن يتم في إطاره الشرعي ومع ضوابطه "[1].

ونَّبه الجندي إلى أن ما يزعمه فرويد من حصول الكبت والأمراض إنما نتيجة عدم إشباع الغرائز الجنسية باطل ومخالف لما أثبته الطب الحديث فقال: " هذا وبالرغم من هذه الصيحات التي يصدرها فرويد مهدداً بالكبت فإن العلماء لا يرون ما يراه أن الأمر أهون من ذلك كثيراً وهذا «د. لويس بيش» الطبيب النفسي يقول : إن الدوافع الغريزية الجنسية دوافع غريزة تحاول أن تعبر عن نفسها ، ولكن هذا لا يعني أبداً أن عدم الإشباع يؤدي إلى الدمار ، [و]أن التعبير عن الجنس ليس ضرورة مطلقة ، وليس هناك ثمة ضرر جسمي أو عقلي ينتج عن الامتناع عن الجنس .إن الإثارة الجنسية إنما تجئ من العالم الخارجي ، وأن ما تتخيله عقولنا عن الجنس يكون أشد إثارة من الجنس في واقعه الموضوعي . ومن ثم نستطيع أن نقول أن الكتب الجنسية وأفلام السينما وما إلى ذلك هي المسئول الأول عن إثارة الحيوانية الكامنة في أعماقنا وليس الجنس بذاته "[2].

٧- الأحلام :

ينظر فرويد إلى الأحلام على أنها الطريق الملكي لفهم الشخصية الإنسانية وأنه بواسطة الأحلام ينفذ إلى لا شعوره وباطنه ، فيصف فرويد اللاشعور وصفاً جامعاً يتخيله مخزن الأفكار ، ومصنع الأحداث وأنه يجمع كل شئ داخله فكل شيء في اللاشعور ولا شيء خارجه[3] وبما أن الكبت عنده يرجع إلى الكبت الجنسي،باعتبار أن الجنس في رأيه هو الدافع الوحيد في كيان الإنسان ، فإنه يفسر الأحلام تفسيرات تتصل بكبت الدافع الجنسي ،

[1] - معلمة الإسلام ١/ ٣٤٧-٣٤٨ .

[2] - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٨١-١٨٢.

[3] - انظر: الإسلام والمصطلحات المعاصرة ص ٢٦٣.

وبكل ما يتصل بالجنس ، وقصَرَ الأحلام على بعض أنواعها ، وأنكر الأحلام التي تنبئ عن أمور ستحدث في المستقبل[1] .

وقد ذهب الجندي إلى بيان تلبيسات هذه التفسيرات الخاطئة من عدة نواحي :

١- ذكر الجندي أن هناك محللين نفسانيين قدموا تفسيرات مختلفة للحلم الواحد ، «ففرويد» يجد في الحلم مجموعة من الرموز الجنسية ، و «أدلر» يجد في الحلم تعبيراً عن الرغبة في القوة ، و«يونج» يحتمل أن يقدم تفسيراً آخر ، فمن المستحيل القول بأن أياً من هذه التفسيرات أكثر معقولية عن التفسيرات الأخرى ، وهو أمر مخيب للآمال إذا كان يراد لتفسير الأحلام أن يعتبر علماً ، وهذا الجزء من تعاليم فرويد قد أثار كثيراً من الشك ويركز فرويد على الرغبات الجنسية المكبوتة ، بينما يركز علماء كثيرون على دوافع ورغبات أخرى[2] .

٢- يري الجندي أن رؤية نظرية التحليل النفسي للأحلام تخالف المنهج الصحيح للأحلام حيث ركزت على الأحلام وأغفلت تماماً الرؤيا الحق والتي هي من الله . يقول الجندي : " إذا وضعنا نظرية الأحلام في المنظار الإسلامي لوجدنا عقمها وتهافتها وبعدها عن سواء السبيل . إن الله تبارك وتعالى ذكر في كتابه على لسان العزيز ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾ [سورة يوسف : ٤٣ - ٤٤] ، ومن هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن هناك فرقاً شاسعاً بين الرؤيا الصادقة،وبين الأحلام وهي الأباطيل،فالرؤيا لها تفسيرات كما في رؤيا يوسف ورؤيا إبراهيم عليهما الصلاة و السلام،كان لها تأويل ثبت صدقه وصحته أما أضغاث الأحلام فلا تأويل لها ولا تفسير،تصديقاً لحديث الرسول ﷺ من أن الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان"[3][4].

ويقول:" ولدى المسلمين مفهوم أكثر نضجاً وأكثر سماحة وأكثر مرونة فهو يقيم الأحلام على ثلاثة مناهج منها ما سببه أهواء النفس ، ومنها ما هو نتيجة الاضطراب في المعدة ، ومنها ما هو قادم من خارج الجسد من الروح وهذه هي الأحلام الصادقة "[5].

٨- الدين :

(١) - انظر: كواشف زيوف ص ٢٩٥.

(٢) -انظر: الفكر الغربي ص ١٨٩.

(٣) - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الطب ، باب النفث في الرقية ، حديث رقم ٥٧٤٧ من رواية أبا قتادة ،

(٤) - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ص ٢٦٤.

(٥) - عطاء الإسلام الحضاري ص ١٢٦.

يزعم فرويد أن الدين قد كان نتيجة أسطورة أوديب وأنه نشأ بفعل الصراع الجنسي والعشق الذي يحسه الأولاد نحو الأم :" ذات يوم في الماضي السحيق الموغل في الظلمات ارتكبت البشرية جريمة مروعة : أحس الأولاد برغبة جنسية نحو أمهم . ولكنهم وجدوا أباهم حائلاً دون الوصول إلى هذه الشهوة ، فقرروا أن يقتلوا أباهم ليخلوا لهم الطريق .. وبالفعل قتلوه . وما أن أتموا فعلتهم الشنيعة حتى أحسوا بالندم على ما قدمت أيديهم .. فأقسموا ليقدسن ذكراه .. فعبدوه ونشأت بذلك أول عبادة في الأرض .. عبادة الأب .. التي تحولت فيما بعد إلى عبادة الطوطم ، وهو حيوان تعبده القبيلة كلها وتعتقد أن دماءه تجرى في دمائها ، ويحرمون ذبحه إلا في مناسبات دينية خاصة حيث يحتفل بذبحه ويأكل منه الجميع لتجرى دماؤه في دمائهم من جديد ، ثم وجدوا أنهم سيقاتلون فيما بينهم على أمهم فلا ينالها أحد منهم ... فحرموها عليهم جميعاً ، ونشأ بذلك أول تحريم جنسي وصارت الأم منذئذ محرمة على الأبناء "(١).

إذن هذا هو خلاصة تفسير فرويد للدين بأن جعله أسطورة من الأساطير ، فيكون أمراً أرضياً بحتاً لا يوجد له قداسة ، وبالتالي يكون قد شوه فرويد صورة الدين بجعله نابعاً من الجنسية الأولى.

بين الجندي مزاعم فرويد الباطلة عن الدين وذلك بما يلي :

أ- نبَّه الجندي إلى حاجة البشرية إلى الدين وأنه من صميم الفطرة فقال : "حقيقتان يكاد الإجماع ينعقد عليهما:أن الدين من عند الله ، وأن التدين فطرة ، فإن أصالة الدين والتدين في تاريخ الأمم الماضية ، يؤكد هاتين الحقيقتين،وأنه كما قال «بلوتارك» : من الممكن أن توجد مدن بلا أسوار ، وبلا ثروة ، وبلا آداب ، وبلا مسارح ، ولكن لم ير إنسان قط مدينة بلا معبد ، أو لا تمارس الصلاة . فالدين طابع الإنسان ، وإحدى ضرورات الإنسانية"(٢).

ب- اهتم الجندي ببيان المصطلح والمفهوم الصحيح لكلمة الدين فهو يرى أن هناك اختلافاً واسعاً لكلمة الدين بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي . فكلمة رليجون (Religio) الغربية لا تعطي معنى كلمة الدين بمفهوم الإسلام فهي مأخوذة من الفعل اللاتيني (Religio) بمعنى

(١) - دراسات في النفس الإنسانية ،محمد قطب ، ص ٢٤٦، دار الشروق ، القاهرة ، ط السادسة ، عام ١٤٠٣هـ
(٢) - معلمة الإسلام ١/ ١٦٣.

العبادة المصحوبة بالرهبة أو الوحشة . ويرى جيبيو أنه بمعنى جمع أو ربط : وأن الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإله أو بآلهة .

ومن هذا التفسير تبدو (مادية) معنى (رليجون) وجزئيتها بالنسبة لمفهوم الدين في المفهوم الإسلامي . وفي القاموس الفرنسي : يوصف رجل الدين بأنه (Religuieux) ومعنى هذا الوصف أنه لا يصلح لفهم أمور المعاش لسبب انقطاعه عن صحبة الناس . وليس كذلك مفهوم الاسلام الذي لا يعترف بأن هناك رجل دين له نفوذ واختصاص[1].

ويقول الجندي: " وليست هذه التفسيرات في الفكر الغربي إلا إيماءات للخير الذي يشغله الدين في منهج البحث العلمي الغربي الوافد والذي طرح في أفق الفكر الإسلامي والثقافة العربية ، والذي يجعل من العسير على الفكر الإسلامي أن يتخذ من المنهج العلمي الغربي بديلاً لمنهجه الذي يختلف في هذه الجانب اختلافاً كبيراً . والظاهرة الخطيرة في المنهج العلمي الوافد أنه لا يقتصر على تجاوز الدين نفسه ، ومحاولة خلق بديل له من الأيدلوجيات والفلسفات ، بل أنه يظل يتابعه في عنف وقسوة لإخراجه من دائرة الحياة الاجتماعية والنفسية كلها ، وبذلك يعارض المنهج العلمي الوافد الفطرة ، ويضاد طبائع الأشياء"[2] .

ج- نَّبه على زعم فرويد الباطل في أنه لم يكن هناك دين ، وأن الإنسانية بدأت بالخرافة فرد عليه بقوله:"لقد نسى فرويد أو تناسى أن الدين كان موجوداً من أيام المشاعية الأولى ، ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وابنها ، ومن قبل أن تظهر عقدة أوديب على الإطلاق "[3].

د- ذكر الجندي أن ما قام به فرويد من اعتماده على الأساطير القديمة الزائفة وإقرارها على أنها حقائق علمية مسلم بها بعيد كل البعد عن المنهج العلمي الصحيح - وهو الذي يطالب بتطبيق هذا المنهج - فقال :" إن المنهج العلمي الغربي الوافد لا يخلص من الزيف حين يربط بين الأديان والأساطير . وأن منهج الفكر الإسلامي يفرق بينهما . وهذا في حد ذاته يكشف عن أن المنهج العلمي الغربي الوافد ليس محرراً وليس خالصاً من الهوى والعصبية ، وليس حراً بالقدر الذي يكفل له الإنصاف والرغبة في الوصول إلى الحقيقة . ولا ريب أن هذه المقارنة (غير العلمية) تترك للقارئ أن يستنج أن الأديان ليست إلا مجموعة من

---

[1] - أخطاء المنهج الغربي الوافد ص ٥٢، معلمة الإسلام ١/ ١٦٨.
[2] - أخطاء المنهج الغربي الوافد ص ٥٣.
[3] - الصحوة الإسلامية ص ٢١٨.

الأساطير...كما ينكر الإسلام النظرية الأسطورية الطوطمية عن نشؤ الأديان التي تدعي أن الابن أراد الاعتداء جنسياً على أمه فمنعه أبوه فقتله فنشأت المحرمات "[1].

ويمكن أن نقول أن هذا الزعم الذي قال به فرويد لم يكن قول الباحثين حتى في عصره فهناك عدد منهم يقرر بالطرق العلمية بطلان هذا الزعم ، ويثبت بالعكس أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر مستدلاً بأنها لم تنفك عنها أي أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الوثنيات هي الأعراض الطارئة،أو أمراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة . وهذه هي نظرية فطرية التوحيد التي انتصر لها جمهور من علماء الإنسان وعلماء النفس . ومن أشهر مشاهيرهم «لانج» الذي أثبت وجود عقيدة الإله الأعلى عند القبائل الهمجية في أستراليا وأفريقيا وأمريكا ، ومنهم «شريدر» الذي أثبتها عند الأجناس الآرية القديمة ، و«بروكلمان» الذي وجدها عند الساميين قبل الإسلام[2].

٩- نبه الجندي إلى أن نظرية فرويد لم تسلم حتى من نقد علماء البيولوجيا و الإحصاء في زعمه أن معارضة رغبات الطفل في صغره تؤثر في تصرفاته إذا كبر فهي من ناحية تعتبر هذه وجهة نظر معينة لم تثبت في مجال التجربة ، ومن ناحية أخرى عارض هذا الرأي علماء الإحصاء وعلماء البحث النفسي والاجتماعي الذين أعلنوا بعد دراسات طويلة بضرورة استخدام الضرب كوسيلة لتقويم الطفل ، ووصل العلماء إلى ما يناقض نظرية فرويد مناقضة تامة ، ووصلوا إلى أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل غير البيئة والوسط والحالة الاجتماعية فلا سبيل لإخضاع تربية الطفل لنسق واحد[3] .

«**تعقيب**»

١- اهتم الجندي ببيان معنى الفرويدية ، وأبرز الأسس التي قامت عليها .

٢- اعتمد الجندي في نقده للفرويدية مراجع أساسية لعلماء نفس غربيين منها كتاب «جون كارل فلوجل» الإنسان والأخلاق والمجتمع، وكتابات «أدلر» و«يونج» ، وكتاب فرويد والتراث الصوفي اليهودي لـــ«ديفيد باكان» كما رجع لعدد من الكتاب الذين نقدوا النظرية من الشرق مثل الدكتور «صبري جرجس» في كتابه التراث اليهودي الصهيوني في علم النفس ونظرية فرويد وكذلك كتابات «فاخر عاقل» حول فرويد وأدلر ، وكتاب «محمد قطب » الإنسان بين المادية والروحية وغيرها .

---

(1) - أخطاء المنهج الغربي الوافد ص ٧٣-٧٥بتصرف .

(2) - انظر: الدين . د. محمد عبدالله دراز، ص ١٠٧، دار القلم ، الكويت ، ط الثانية ، عام ١٣٩٠هـ

(3) - انظر: قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٤١بتصرف ، الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة ص١٢٣.

٣- كان رد الجندي على الفرويدية واضحاً من خلال استدلاله ببعض الأدلة الشرعية التي تبين حكم الدين الإسلامي على مثل تلك الأفكار المنحرفة التى جاء الإسلام بتوضيحها وتجليتها.

المبحث الثالث : الوجودية وفيه مطالب :

المطلب الأول : تعريفها.

المطلب الثاني : أهدافها .

المطلب الثالث : انتشار الوجودية وتراجعها .

المطلب الرابع : المعتقدات والأفكار للتيار الوجودي .

المطلب الخامس : نشأة الوجودية في العالم الغربي .

المطلب السادس : نشأة الوجودية في العالم الإسلامي .

المطلب السابع : موقف الإسلام من الفكر الوجودي .

المطلب الثامن : موقف أَنور الجندي من الوجودية .

المبحث الثالث

الــوجــوديــة

المطلب الأول : تعريفها:

الوجودية لفظة مشتقة من الوجود [(١)] وهي تجعل الأولوية للوجود في مقابل الماهية فالوجود سابق على الماهية[(٢)]،وهي " جملة المذاهب التي ترى أن موضوع الفلسفة هو تحليل الوجود العيني ووصفه من ناحية أن هذا الوجود فعل حرية تتكون بأن تؤكد نفسها ، وليس لها منشأ أو أساس سوى هذا التوكيد للذات"[(٣)].

وعرفت كذلك بأنها:"جملة المذاهب التي ترى أن الإنسان هو الوحيد الموجود،وأن كلمة وجود لا تنطبق إلا عليه،أما غيره فهو كائن،وأن تحليل الوضع الإنساني يكشف عن معنى كونه موجوداً ،و أن وجوده سابق على ماهيته"[(٤)].

وعرفها أصحاب مجمع اللغة العربية بأنها:مذهب يقوم على إبراز الوجود ، وخصائصه وجعله سابقاً على الماهية ، فهو ينظر إلى الإنسان على أنه وجود لا ماهية ،ويؤمن بالحرية المطلقة التي تمكن الفرد من أن يصنع نفسه بنفسه،ويملأ وجوده على النحو الذي يلائمه . وصرف بهذا النظر عن البحث في الوجود الميتافيزيقي الذي قال به أرسطو قديماً،وركز بحثه في الإنسان الواقعي المشخص[(٥)] .

ويقول الجندي عنها:"والوجودية في نظر الباحثين في مجال الفلسفة الغربية هي فلسفة عدمية سلبية من ألفها إلى يائها،تود أولاً وقبل كل شيء أن تقتل التفكير ،وتشل القدرة على استخدام العقل،فهي تقول يجب أن تقتل في نفسك العقل والمنطق إذا أردت لنفسك خلاصاً إذ إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بهما "[(٦)].

ويرى الجندي أن الوجودية تركز على الفرد والاعتزاز بحقه ، وهو الكيان الثابت ، وتقدم وجود الفرد على المجتمع ، وترى أن الفرد له الحرية التامة في تحديد مكانه في الحياة،

---

(١) - ينقسم الوجود إلى قسمين :خارجي وذهن. فالوجود الخارجي:عبارة عن كون الشيء في الأعيان،وهو الوجود المادي.أما الوجود الذهني : فهو عبارة عن كون الشيء في الأذهان،وهو الوجود العقلي أو المنطقي. (انظر:المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ،د. عبدالرحمن عميرة ص ٢٠٥،دار الجيل ، بيروت ، ط الرابعة) .

(٢) - انظر : نقد المذاهب المعاصرة ، د. إبراهيم مصطفى ، ص ٢٣٠، دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الاسكندرية ، ط الأولى ، عام ١٩٩٩م.

(٣) - المذاهب الوجودية لجوليفيه ، ص ١٩، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة محمد عبدالهادي أبو ريده ،دار الآداب ، بيروت ،ط الأولى ،عام ١٩٨٨م ،سورين كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية ، د. علي عبدالمعطي محمد ،ص ١٠٥،دار المعرفة الجامعية ، ط الأولى ، عام ١٩٨٥م.

(٤) - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة . حنفي ص ٩٣٥.

(٥) - انظر : المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية بمصر ،ص ٢١١.

(٦) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ١٥٢، القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ص ٣٢٧.

فإذا اختار لنفسه، فعليه أن يتحمل نتائجه؛ وهو صاحب الحق في أن يحكم على الأمور بأنها خير، أو أنها شر حتى لو كان الحق في نظره شرًا في نظر غيره، أو في نظر المجتمع[1].

فالوجودية من خلال التعاريف السابقة تدل على أنها دعوة في سبيل إعطاء الوجود الفردي مكانة غير ما حددها له الشارع ، وتدفع الإنسان إلى التفرد بنفسه وسلوكه بكل الوسائل .

المطلب الثاني : أهدافها :

لقد ذكر الجندي للوجودية عدة أهداف أهمها ما يلي :

١- ترمي إلى تجريد الإنسان من مسئوليته الفردية والتزامه الأخلاقي،وإحالة المسئولية على المجتمع [2]،وكسر جميع القيود والضوابط سواءً منها الدينية أو الاجتماعية أو الأخلاقية التي تحيط بالإنسان ، حتى يتمكن من تحقيق ذاته منفصلاً عن كل قيد [3].

٢-تعمد إلى إغواء الشباب وعزله عن المفهوم الحقيقي للحياة والرسالة الصحيحة للإنسان في الحياة البشرية،و أشار الجندي إليه بقوله:"وقد ابتعثت القوى الهدامة هذه الدعوى ضمن عشرات من المذاهب،والدعوات التي أخذت تزداد سيطرة على الآداب،والفنون في العالم كله وتضيع المفاهيم الاجتماعية والنفسية والأخلاقية،كما ابتعثت هذه القوى مذاهب السحر والغنوصية والإباحة والإلحاد من الفلسفات القديمة، وأعادت صياغة مذاهبها ومفاهيمها على نحو عصري في طابع علمي براق،مستهدفة إغراء الشباب بها قبل أن يستكمل ثقافته الأصيلة،أو سن الوعي والرشد الفكري،مستغلة عواطف وغرائز بشتى وسائل الإغراء عن طريق وسائله المختلفة في القصة والأغنية،ومن خلال السينما والإذاعة والصحافة " [4].

٣- أن كل النظريات [5]-والتي منها الوجودية - ترمي إلى شئ واحد هو تحرير الثقافة الغربية ، والفكر الغربي من عقيدة الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والنبوة والوحي ، والغيب [6].

يقول الجندي:"فسارتر تصدى لقيم المجتمعات وسخر من المفاهيم الأخلاقية،وحرض بالثورة على الآباء وتقاليدهم،والتهكم على المجتمع والاستهتار بأوضاعه،و نادى بأن الإنسان ما ولد إلا ليموت،وما أحقر الحياة إذا لم يقطف الشباب قطوفها دون ما خوف من حساب

---

[1] - انظر: الوجودية ،لأنور الجندي ص ٢، معلمة الإسلام ١/ ٣٧١.

[2] - انظر: أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص١٤٦-١٤٧.

[3] - انظر: معلمة الإسلام ٣٧٥/١ .

[4] - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص١٥٨ ، الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ص٦٤ .

[5] - مثل النظرية الماركسية ، الفرويدية .

[6] - انظر: كُتَّاب العصر تحت ضوء الإسلام ص٢٣٧ .

أو عقاب مشكوك فيه،وقرر أنه ليس وراء الموت إلا الموت وما الله -جل وتعالى عما يقولون علواً كبيرا- وجنته إلا أفيون الشعوب ... ولا ريب أن سارتر وفلسفته قد أدت دوراً كبيراً في هدم المجتمعات الغربية " [١].

المطلب الثالث : انتشار الوجودية وتراجعها :

توجد مجموعة من العوامل في الحياة الأوروبية كانت سبباً لانتشار أفكار الوجودية وقيامها في أمم الغرب . ثم ما لبثت أن انحسرت وتراجعت حتى كان لها السقوط وعدم البقاء ، وكان هذا نتيجة أسباب أدت إلى تراجعها ، وقد ذكر الجندي كلا الأمرين :

١- أسباب انتشار الوجودية وظهورها :

أ- أنها كانت ردة فعل لذوبان الفرد في طغيان الجماعة : حيث كان القرن التاسع عشر حافلاً بكثير من المذاهب التي تنادي بالروح الجماعية على حساب الفرد كالمذهب الماركسي[٢] . فتكون ردة فعل لذلك وهو ظهور الوجودية التي عملت على فردية الإنسان من طغيان الجماعة . وقد بين الجندي ذلك بقوله : " وقد وجدت الوجودية صدى واسعاً في بعض البيئات لأنها جاءت بعد أن أفسحت لها الطريق مذاهب وأفكار من المادية ، وإنكار الله ، وإنكار البعث ، وما حملته الرياح من أفكار تقول بإعلاء الجنس ، وإباحة الرغائب وتصل إلى القول أن الإنسان خاضع لما يقرره العلم بالنسبة للحيوانات والمادة ، وقد سادت في السنوات الخمسين الأخيرة موجة من التنكر للأديان والأخلاق في العالم كله ووجدت فيها مثل هذه الدعوات مجالاً خصباً للازدهار والانتشار ، وقد كانت الوجودية ردة فعل لأشياء كثيرة منها الدعوات التي ترى أن الإنسان ليس إلا " ترساً " في آلة كبيرة — أي المجتمع- ليس له وجود أو كيان منفصل "[٣].

ب- تعتبر — الوجودية — ردة فعل ضد الفرويدية :

أما كون نظرية فرويد أدت إلى انتشار الوجودية فيوضح الجندي ذلك بقوله :"ولا ريب أن استعلاء نظرية فرويد في التركيز على الغريزة الجنسية وتشابكها مع نظرية ليفي

---

[١] - الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي ص٧٨، دار الاعتصام – القاهرة – دون ذكر تاريخ أو رقم الطبعة .

[٢] - الماركسية هي : مذهب فكري يقوم على الإلحاد ، وأن المادة أساس كل شيء ، وتفسر التاريخ بصراع الطبقات وبالعامل الاقتصادي . ظهرت في ألمانيا على يد ماركس ولينين بتخطيط من اليهود . (انظر : الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٢٩)

[٣] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٨٦، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٥٥٥

بريل[1] في القول بأن الأخلاق ليست ثابتة قد فتح الباب واسعاً أمام إسقاط جديد به تتحلل معه الضوابط،والمقومات التي تفصل بين الخير والشر،وبذلك اندفعت النفس البشرية اندفاعاً خطيراً إلى مجال الخوف والذعر والضياع،وقد حسبت أن اندفاعها لتحقيق مطامعها وشهواتها وكسر كل القيود والحدود،سيحقق لها السعادة ، أو الطمأنينة " [٢].

ج- الحروب العالمية المدمرة وما أورثت الشعوب من جوع وتشرد وحرمان كل هذا كان بمثابة تهيئة الجو المناسب لظهور الوجودية وهو ما أوضحه الجندي بقوله:"ظهرت الفلسفة الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية كرد فعل للآثار الخطيرة التي أحدثتها الحروب في أوروبا ،والنتائج الضخمة التي أصابت الأسر والأمم بفقد زهرة شبابها وخيرة أبنائها،حتى لم يعد بيت في أوروبا بدون قتيل أو جريح،ومن ثم علت الصيحة إلى الفزع من الخطر الذي تفرضه أخطار السياسة،وصراع الدول على المجتمعات الآمنة بما يهدد الحياة ،ويجعل أهلها يعيشون في خطر الحرب الدائم،وقد زاد من هذا الخطر الجديد الذي خلفته القنابل الذرية،كل هذا استجاش النفس الغربية بالدعوة إلى تأكيد الذات وإعلائها والدعوة إلى تحريرها من كل قيود المجتمعات واندفاعها إلى الرغبات ، تسابق فيها خطر الحرب الماثل ، وتشفي علتها من مطامعها ما دامت لا تضمن الحياة الرخية المستمرة ، وما دامت ليست للحياة غاية واضحة إلا هذا المتاع السريع الذي قد يزول في أي لحظة حين تنفجر الحرب ، وينتقل الملايين من الشباب إلى ساحة الموت " [٣].

د- انحراف النصرانية وتحكم الكنيسة ورجالها بفرض آراء تخالف العقل والفطرة وادعاء أن ذلك من الدين."فلم تكن الوجودية في حقيقتها مذهباً إنسانياً نابعاً من حاجة الإنسان نفسه ، ولكنها كانت ردة فعل عنيفٍ للتحدي الذي فرضته نظرية الخطيئة الأصلية "[٤] .

ويقول كذلك:"ويرد البعض الوجودية إلى المسيحية(النصرانية)حيث يقول د.«غلاب»:إن منشأ القلق بل الغم أحياناً عند أولئك المفكرين هو أن المسيحية(النصرانية)لا تقدم ترضية تامة إلى مطالب العقل الذي يتوق إلى فهم كل شيء ،بل إن العقيدة التسليمية

---

[1] - ليفي بريل (١٨٩٧- ١٩٣٩)،كان أستاذاً لتاريخ الفلسفة ناصر المذهب الاجتماعي،من كتبه ، فلسفة الأخلاق وعلم الأخلاق ، الروح البدائية . (انظر : تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٤٣٥) .

[٢] الاسلام والتيارات الوافدة ص٥٦ ، الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٨٧، مقدمات العلوم والمناهج ٥٥٦/٥

[٣] - معلمة الإسلام ١/ ٣٦٩ .

[٤] - نحو بناء منهج البدايل الإسلامية ص٢٥٣ .

كثيراً ما تتطلب تخلي الفكر عن رسالته؛لأن بعض مبادئها تصطدم مع العقل الذي لم يعد لقبولها"[١].

هــ- الصهيونية العالمية: لم يعد خافياً أنه متى ما وجد فكر يهدف إلى خدمة المصالح اليهودية من هدمٍ للدين أو الأخلاق فإن اليهود يقومون باحتوائه ونشره،ولما كانت الوجودية من تلك الأفكار الهدامة عمدت الصهيونية العالمية على استغلالها فكانت سبباً في انتشارها ورواجها ولذلك يقول الجندي :" ولا ريب أن هذه الصيحة كان يمكن أن تمضي،ولا تترك هذه الآثار البعيدة في العالم كله ،لولا وجود قوى خفية تحيطها وتدفعها إلى الأمام حتى أن كتاباً يصدر في باريس بالفرنسية عنها تصدر طبعته بالعربية في نفس الوقت في بيروت"[٢].

ويقول الجندي:"ولا شك أن أزمة الإنسان الغربي قد كانت موضع دراسة الفلاسفة ، وعلماء النفس والاجتماع،وهم بين جاد منصف يريد أن يلتمس لها حلاً حقيقياً في ضوء العلم والتجرد الخالص،ومنهم من يستهدف وضع حلول من شأنها تدمير النفس الإنسانية وتمزيقها ، وقد علت هذه الأصوات الأخيرة بالرغم من زيف حلولها ومذاهبها؛لأن قوى الأيدلوجية الصهيونية وغيرها من القوى المناوئة للإسلام كانت من وراء نشرها والإلحاح عليها "[٣].

٢- أسباب تراجع الوجودية :

يعبر الجندي عن ذلك بعبارة في غاية الوضوح، فيقول:"ولقد سقطت وتجاوزها الزمن لأنها خالفت الفطرة،ولم تستطع أن ترضي العقل ولم تعترف بالروح،فهي تجعل الإنسان في عزلة عن الجماعة ، أنانياً غاية الأنانية أولاً،وتجعله يستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة والإنسانية ثانياً ، وتجعله يفضل نفسه عن ربه وعن السماء وعن الدين ، ويتنكر لكل القيم الخالدة ثالثاً ؛ولأنه يؤوس قنوط قلق ممزق لا يجد قراره ولا راحته ولا طمأنينته ولا أمنه النفسي"[٤].

---

[١] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص١٩٨-١٩٩

[٢] - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٥٧

[٣] - مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص١٨٢ .

[٤] - على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم ، أنور الجندي ص ٢٠ ، إطار إسلامي للفكر المعاصر ، أنور الجندي ،ص٩٣ أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص١٤٩ .

المطلب الرابع : المعتقدات والأفكار للتيار الوجودي .

إن للوجودية معتقدات وأفكاراً تنادي بها ، فهي قائمة على جذور إلحادية وأفكار إباحية ، وهي لا تزيد معتنقيها إلا بعداً وضلالاً ، وقد أورد الجندي مجموعة من تلك المعتقدات والأفكار التي يتبين من خلالها تهافت هذه الفلسفة : وهي على النحو التالي :

١- تنادي الفلسفة الوجودية بنفي الألوهية و اعتبار الإله خرافة ،والدعوة إلى عبادة الذات ، فالإنسان في نظرها يجب أن يستمتع بوجوده كل الاستمتاع،ويطلق لحريته العنان ، فيحقق لنفسه أكبر نصيب من المتع والملذات باعتباره إله نفسه وسيد كيانه [١]،حيث يقول سارتر:"أنا موجود،معناه:أنني حر،وقولي:أنا حر،معناه:أن الله لم يعد موجوداً "[٢].

ويقول - أيضاً - في قصته «الجدار» :"فأنت تكفي نفسك بنفسك حتى يخيل إلى من يدانيك أنك خلقت نفسك دون معين "[٣].

٢- الدعوة إلى الحرية المطلقة [٤] :يقول سارتر :"إذا كان الله ليس موجوداً ، فكل شيء مباح "[٥]،ويقول كذلك :" أن الإنسان محكوم عليه بالحرية ؛ محكوم لأنه لم يخلق ذاته وهو حر؛لأنه قد صار مسئولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن يتواجد في العالم "[٦]

٣- إنكار الأخلاق والقيم[٧]، حيث يقول سارتر :" كل فرد عالم قائم بنفسه يضع لنفسه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه ، فيختار الإباحة إن شاء ،أو يختار النسك والزهادة ... فهو مسؤول عما يصيبه من جراء إباحته أو جراء نسكه وزهده "[٨].

٤- يعتقدون أن الموت هو نهاية الحياة ولذلك أنكروا البعث والجزاء [٩]،يقول بدوي :" الموت موجود في الوجود منذ هو وجود ، أي منذ كينونته ، وإنما يجب أن تفهم النهاية بالنسبة إلى الموت،بمعنى أن الوجود منذ كينونته هو وجود لفناء ، وتلك هي المشكلة الحقيقية

---

[١] - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص١٥٢ ، الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٨٨- ١٨٩، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٥٨ .

[٢] - مسرحية الذباب ، لسارتر ، ص ١٨٤-١٨٥، عن الشرك بين القديم والحديث ، أبوبكر زكريا ٢/ ٧٣٣.

[٣] - قصة الجدار ، لسارتر ، ترجمة هاشم الحسيني ص ٢١، عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة ص ٣٠٨.

[٤] - انظر : قضايا العصر ومشكلات الفكر الإسلامي ص ٩٥.

[٥] - المصدر السابق ، نفس الصفحة ،

[٦] - الوجودية مذهب إنساني ص ٢٦، عن الوجودية الحديثة دراسة ونقد في ضوء الإسلام .د. صالح الشريدة ص ٢١٢.

[٧] - انظر :الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ، ص ١٩٦

[٨] - الوجودية مذهب إنساني ص ٦٣، عن الوجودية الحديثة ص ٢٤٣.

[٩] - انظر : الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ، ص ١٩٦.

للموت،فهي مشكلة تناهي الوجود جوهرياً "[1]

٥- تحقر شأن العقل،وتدعو إلى قتل التفكير وإلغاء استخدام العقل .وترى أن أسلوب التحرر يقوم على قتل العقل والمنطق ، وأن الإنسان لا يستطيع أن يحيا بهما .[2]

المطلب الخامس :نشأة الوجودية في العالم الغربي :

إن الوجودية كتيار فلسفي واضح المعالم لم تظهر إلا في العصر الحديث،وكان ذلك على يد المفكر الدانمركي «سورين كيركجورد »[3] عندما قام بالرد على«هيجل» صاحب الفلسفة العقلية،المبنية على التصورات المجردة واعتبر أن الفلسفة هي البحث عن الكائن المركب من لحم ودم . فالموت مثلاً هو مشكلة الإنسان الذي يموت وليس مشكلة فلسفية وعزا قيمة الإنسان إلى وجوده في ذاته باعتبار أنه فرد له وجوده الخاص وله تجربته الذاتية الخاصة[4] .

وقد كانت للحروب العالمية أثر بالغ في تهيئة الجو المناسب لنشوء الوجودية فقد أنهكت قوى الإنسان وبددت موارده وطاقاته ، وحطمت آماله وتطلعاته نحو مستقبل مشرق وحياة أفضل ، بل ولدت لديه الإحساس بخيبة الأمل والضياع وأشاعت في المجتمع الخوف والرعب والفزع والقلق وانهيار القيم والأخلاق،كما كان للنهج الأدبي الذي أطلقه «غبريال مارسيل»[5]،دور في نشر الوجودية بين الناس ومن أهم كتبه الوجود والملك .ثم جاء بعد ذلك «جان بول سارتر» الذي يعد الممثل الحقيقي للوجودية فقد ساعدت مسرحياته ورواياته ومقالاته في شرح القضايا المطروحة للوجودية فسهلت على الجمهور فهمها ونشرها وتوسعها[6] .

المطلب السادس : نشأة الوجودية في العالم الإسلامي

غزت الوجودية العالم الإسلامي وتغلغلت في آراء كثيرٍ من المفكرين والأدباء فكانت الكتب التي تظهر في فرنسا معقل الوجودية تظهر في بيروت في نفس الوقت مترجمة و بطباعة فاخرة مما يعطي دلالة واضحة لحضورها في الفكر العربي وتأثره بها . وقد كان د. عبدالرحمن بدوي الممثل الرئيسي لهذا التيار الفلسفي في العالم العربي ؛ ربما لأنه أول من

---

[1] - موسوعة الفلسفة ١/ ٣٠٥.

[2] - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ، ص ١٩٦ .

[3] - سورين كيركجورد(١٨١٣- ١٨٥٥م) فيلسوف دانمركي نصراني بروتستانتي ، يُعد الرائد الأول للوجودية ، باتفاق الوجوديين ،له كتب منها ، ذرات فلسفية ، الخوف والقشعريرة ، مفهوم القلق . (انظر : موسوعة الفلسفة لبدوي ٢/ ٣٢٦، تاريخ الفلسفة الحديثة لكرم ص)

[4] - انظر: كلمات من الحضارة،د.منصور عيد،ص ٢٤٨- ٢٤٩، دار الجيل ،بيروت،ط الأولى،عام ١٤١٥هـ،نقد المذاهب المعاصرة ص ٢٣٧.

[5] - غبريال مارسيل (١٩٨٨ – ١٩٧٣م) فيلسوف فرنسي من أب كاثوليكي ، أستاذ بجامعة السوربون ، الداعية الرسمي لما يسمى الوجودية الكاثوليكية . أهم أعماله : سر الوجود ، البشر ضد الإنساني . (انظر : الموسوعة الفلسفية ،وضع لجنة علماء السوفيت).

[6] - انظر : نقد المذاهب المعاصرة ص ٢٣٧، كلمات من الحضارة ، د. منصور عيد ، ص ٢٤٩- ٢٥٠ .

أشاعه في مناخ الثقافة المصرية وأوقف كثيراً من إنتاجه الفلسفي عليها،ونجد ذلك واضحاً في كتبه وأبحاثه ففي رسالته للماجستير عن «مشكلة الموت في الفلسفة الوجودية »يعتبرها مشكلة تقع في حدود الشعور بالشخصية والفردية الواحدة والحرية،من حيث إن الموت هو أعلى إمكانية من إمكانيات الموجود البشري،وهذا التأثر واضح أيضاً في رسالته للدكتوراه عن « الزمان الوجودي»،بل نجد روح الوجودية في كثير من كتاباته اللاحقة مثل كتابه «دراسات في الفلسفة الوجودية»،فقد حاول أن يستلهم مفاهيمها ويوظفها في مجال التصوف وذلك في كتابه «الإنسانية والوجودية في الفكر العربي»،ومن هذه المفاهيم التي شاعت في كتاباته الذاتية والفردية والحرية والهم والقلق والموت[١].

يقول الجندي:" وفي مصر تقدم عبدالرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن " الزمان الوجودي"ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك معه المستشرق «بول كراوس» وأعلن «طه حسين »أن «عبد الرحمن بدوى» أول فيلسوف وجودي مصري،وقد قدم بدوي الفكر الوجودي وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم: "الوجود والعدم".ولم يلبث «عبد الرحمن بدوي» أن اختفى وطوته الموجة التى تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة،وكشف الفكر الإسلامي عن أصالته في أنه يرفض كل ما ليس متصلاً بقيمه الأساسية مهما بدأ يوماً وله بريق أخاذ،لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه"[٢].

ويقول كذلك :" وقد خلف الدكتور «عبدالرحمن بدوي» لمذهبه الفلسفي بعض الدعاة في مقدمتهم «مصطفي سويف» وثالثهم «أنيس منصور»،وقد أغرق «أنيس منصور» الصحف التي كتب بها العشرات من الجذاذت والروايات والخطابات والقصص وكلها يدور في دائرة السخرية بالحياة والقيم والعقائد المنقولة من قراءات مريضة لكتاب غربيين منحرفين لم يعرفوا إلا العبث والانحلال "[٣].

المطلب السابع : موقف الإسلام من الفكر الوجودي :

إن الوجودية جاءت بمجموعة من المتناقضات [١] لا يمكن أن يقرها عقل فضلاً عن دين ،فالإسلام يرفضها رفضاً قاطعاً وصريحاً،إذ أنها تعارضه في كثيرٍ من قضاياها فهي تدعي

---

[١] - انظر :أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة ، د. سعيد توفيق ، ص ٦٢-٦٣، دار مجد ، بيروت ، ط الأولى ،عام ١٤٢٨هـ ، أثر الوجودية على العلوم والفنون وموقف الإسلام منها ص ١٣٨- ١٤٢.

[٢] - رجال اختلف فيهم الرأي ص ١٢٦- ١٢٧ ، إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ص ٩٤.

[٣] - كتاب العصر تحت ضوء الإسلام ص ٢٤١.

[١] - فقد زعمت الوجودية أن الإنسان ليس عبداً لعنصر في الأرض أو لكائن في السماء ، ثم أنها نادت بحرية الإنسان حرية مطلقة ، دعت فيها إلى نبذ العبودية حتى ولو كانت لله فكانت النتيجة أن صار عبدا لشهوته وعبداً لحب المال والجاه والسلطان ، كذلك نجد أن الوجوديون أدعوا أن

إنكار الخالق عزوجل بل إلى إنكار أن يكون هناك إله -تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا-أما عندنا نحن أهل الإسلام فإن وجود الله عزوجل أمر فطري وهو من المسلمات والبديهيات في النفس البشرية أودعها الله فيها،فلا يحتاج إلى برهان يقول الشيخ«عبدالحليم محمود»:" فوجود الله أوضح من أن يبرهن عليه" [٢]،والأدلة النقلية والعقلية على وجود الله تبارك وتعالى أكثر من حصرها[٣].

لقد كفرت الوجودية بالأنبياء وبالرسل والكتب المنـــزلة،وكفرت بالإيمان بالبعث فأنكرت قيام الناس لرب العالمين والجزاء والحساب،وهي بهذا تكون أحد التيارات التي تكفر كفراً بيناً لكل ما تحمله الرسالات السماوية من عقائد إيمانية،لقد قطعت الوجودية صلتها بالله فأصبح الإنسان الوجودي يمشي بلا هدف ولا غاية،ولا يدري من أين جاء ولا لماذا يعيش وهذه الأمور جميعها محسومة في الإسلام وواضحة كل الوضوح في عقل وضمير كل مسلم أمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً نبياً وقدوة وإماماً [٤].

كما أن الإنسان المسلم مخلوق وهو يحمل في نفسه الاعتقاد بأنه مكرم مفضَّل كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [سورة ص : ٧١-٧٢] فهذه العقيدة التي وقرت في نفسه قرر القرآن أنها تحمل الإنسان لأن يسجد شكراً لله ، ففهم الذات يعطي في النهاية القرب إلى الله ، والشكر على فضائله الممنوحة للإنسان .فإذا كان الإنسان مخلوقاً لله فلا يمكنه أن يظن أنه مساوٍ لله في أي وجه من الوجوه ، كما لا يستطيع هو نفسه أن يجرأ على مناهضة السلطان الإلهي ؛ فهو غير مستقل . إلا أن روح الله التي نفخت فيه تفضّله عن سائر المخلوقات ، ولفضله عليهم تهب له علاقة فريدة بخالقة "[٥].

ولهذا فمعرفة الإنسان لذاته ، وما خص الله به الإنسان من تكريم في الطبيعة المزدوجة المركبة من المادة والروح ، أو الجسم والعقل يتولد عنده إحساس بقيمته الفردية .

الإنسان حر حرية مستمرة باختياره ، ثم أدعوا أن الإنسان محكوم عليه بالحرية فكيف يشعر الإنسان بأنه حر ويشعر في الوقت نفسه شعوراً متناقضاً بأنه مقسور على هذه الحرية ؟! إنه لتناقض عجيب . (انظر:الوجودية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية ، د.صالح الشريدة ص ٢١٥).

[٢] - التفكير الفلسفي في الإسلام ، عبدالحليم محمود ص ٦٤، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٠٢هـ .

[٣] - انظر : الوجودية الحديثة ص ١٦٧-١٩٩، العقيدة الإسلامية وأسسها ، لحبنكة الميداني ص ٩٧ .

[٤] - انظر : الوجودية الحديثة ص ٣٢٨ ، الموسوعة الميسرة ٢/ ٩٠٠ .

[٥] - الإسلام واتجاهات الفكر المعاصر ، د. محمد الفيومي ص٨٨، نقلاً عن جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة، د. صلاح العادلي ص ٣٦٤- ٣٦٥، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

والإنسان المسلم يعرف أن الموت ليس هو أخر الحياة ، ولا نهاية الوجود،وأن الموت ليس عدماً كما هو عند الوجوديون ،إنما هو انتقال لحياة أخروية فيها الحساب على وفائه والتزامه بما أراد الله منه أن يفعله ، وما لم يرد منه فعله ، ولا بد هنالك من جزاء يكون من جنس العمل ، فإما نعيم مقيم ، وإما عذاب أليم .

المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من الوجودية .

لقد عاصر الجندي ابتلاء الأمة بتلك الأفكار الوجودية وتغلغلها في أوساط المثقفين والمفكرين فلم يغفلها من كتبه ومقالاته وحواراته الإذاعية بل بالعكس كان مدركاً ومتيقظاً لخطرها وفسادها فاستطاع بفهمه الثاقب،وقلمه السيَّال أن يفند ويبين زيف هذه الدعوة الملحدة وأن يقف منها موقف الكاتب المسلم المعارض لأفكارها ومعتقداتها الإباحية وهذا ما سنبينه في النقاط التالية :

١- اهتم الجندي بنقد الوجودية من رؤية غربية ولذلك نجده يلخص لنا نقدهم لها، فيقول :" وقد وجه الغربيون النقد لنظرية الوجودية من حيث إنها :

أولاً : إنها تجعل الإنسان في عزلة عن الجماعة.

ثانياً:إنها تستطيب إبراز القبيح من جوانب الطبيعة الإنسانية ، وتدعو إلى الانحلال .

ثالثاً:إنها تبطل الأوامر الإلهية وتنكر القيم الخالدة .

رابعاً:إنها تدعو إلى اليأس المطلق والتشاؤم الكلي ، وتدعو إلى هدم الحياة.

خامساً:إنها دعوة إلى التمرد على الواقع ، والقيم جميعاً وترفض كل ما يتصل بالغيبيات والنفس الإنسانية ، وتقف عند الإيمان باللحم والدم .

سادساً:إنها تنكر محصول البشرية من القيم والتجارب،وتدعو إلى أن يبدأ الإنسان من جديد.

سابعاً : تحتقر العلم والدين والأخلاق .

ثامناً:ليس فيها نقطة واحدة تفتح الطريق أمام التقدم أو بناء الحياء أو العمل من أجل مجتمع أفضل.

تاسعاً:هي فلسفة موغلة في الفردية تنكر الحقيقة الموضوعية للواقع الإنساني .

عاشرا:الأخلاق الوجودية هي الأخلاق المريضة : القلق ، والقنوط ، والتشاؤم ، والرغبة في الموت،والغموض والأنانية المفرطة .

حادي عشر:الدعوة إلى جدية اليأس والتحريض على الانتحار .

ثاني عشر:تقويض المجتمعات ، وهدم الأمل والخلق ، والغيرة ومعارضة الشجاعة والتضحية.

ثالث عشر:دعوة إلى التحلل من القواعد لأخلاقية .[1]

٢- الرد على إنكار الوجودية للإله :

لقد كان أخطر ما في الفلسفة الوجودية دعوتها إلى نفي الإلوهية خاصة عند سارتر ، ومن هنا وجه الجندي النقد إلى هذا الإنكار قائلاً :" يبدو موقف سارتر من الإلوهية مشوباً بفهم خاطئ مستمد من الفهم القائم على ألوهية الإنسان ولذلك فهو يدعو إلى تأليه كل إنسان ولو فهم سارتر لإلوهية بمعناها الحق:معنى الإله الأعظم الذي لم يلد ولم يولد والذي لم يتصل بأحد ، وليس لأحد أن يتصل به على أي نوع من أنواع الاتحاد والحلول أو وحدة الوجود لكان له موقف آخر من نظرية تأليه الإنسان التي دعت إليها الفلسفات اليونانية ومارستها عقائد ونحل أخرى ، فإنها قد فتحت باباً واسعاً للدعوة إلى عبادة الإنسان ،وتأليه كل إنسان.وفي رواية الذباب يخاطب سارتر رب الأرباب جوبيتر،فيصفه بما عرف في الفلسفة اليونانية من مفهوم خاطئ عن الله .فيقول:ما إن خلقتني حتى انفصلت عنك ، وتخليت عن نسبتي إليك ...الخ.وهذا مفهوم بعيد كل البعد عن مفهوم الإسلام لله سبحانه وتعالى الذي يختلف عن نظرية الأبوة والذي يقوم على مفهوم العبودية "[2].

ويقول :" وقد وصف الحاد سارتر بأنه إلحاد يتصف بميزة غالبة على الإلحاد الحديث وهي أنه ليس مجرد إنكار لله،بل هو أبعد من هذا،أنه يضع الإنسان في مواجهة الله ، أو يعلن تجاهله لوجود الله عز وجل،على حد قوله" الإله موجود فالإنسان عدم "[3].

ويزيد الجندي في بيان بطلان هذا الزعم من جهة المصدر فقال :" ويستمد سارتر مفهومه هذا من نيتشه [4]،ومن المصادر الوثنية اليونانية القديمة،ولا ريب أن سارتر ونيتشه متأثران أبلغ التأثر باضطراب مفهوم الألوهية السائد في الفكر الغربي،قبل عصر النهضة ، ولو أن الفكر الغربي تقبل فيما تقبل من الفكر الإسلامي حين نقل المنهج العلمي التجريبي مفهوم الإسلام في الألوهية لكان هناك اختلاف كبير في اتجاه الفلسفة الحديثة ذلك أن الإسلام لا يقر القول القائل بأن الله صنع الإنسان على صورته[1]،وهو قول لا يؤيده القرآن،

---

(١) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٩٠، مقدمات العلوم والمناهج ٤٦٠/٥

[2] مقدمات العلوم والمناهج ٤٥٨/٥ .

[3] الإسلام والتيارات الوافدة ص٥٧ .

[4] - نيتشه (١٨٤٤- ١٩٠٠م) فيلسوف ألماني ، أنكر البعث والحساب ،ودعا إلى اطّراح العبادة منادياً بضرورة انصراف الإنسان إلى الارتقاء بذاته حتى يبلغ مرتبة الإنسان الأسمى (السوبرمان) ، انتهت حياته بالجنون . من كتبه : هكذا تكلم زرادشت ، ووزراء الخير والشر . (انظر : موسوعة المورد العربية ٤/ ١٢٣٦، عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ ، أحمد الشنواتي ص ٢٣٦-٢٣٨).

[1] وهذا القول غير مسلم به فقد وردت أحاديث صحيحة في السنة النبوية عن النبي ﷺ تبين أن الله خلق آدم على صورة الرحمن . ومنها حديث أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ: " إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته " رواه مسلم في صحيحه

ولا شئ من السنة النبوية الصحيحة وهو قريب من مفاهيم الغنوصية القديمة ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٧] ،وليست فكرة تسلط الإله على البشر في مسرحية الذباب إلا صورة من الفلسفة اليونانية وهي فكرة زائفة،والعودة إلى إحيائها رجوع بالبشرية القهقرى بعد أن صحح الإسلام مفاهيمها في علاقة الله بالإنسان،وهي علاقة الرحمة والعفو "[٢].

٣- الرد على الوجوديين في الدعوة إلى الحرية المطلقة :

وقد رد الجندي على هذا الدعوى الباطلة فقال:" ولا شك أن هذه الحرية المزعومة يخالفها الإسلام مخالفة صريحة فالحرية الحقيقية هي حرية الإسلام التي تتمثل أولاً:في أن للإنسان قدرته على الاختيار وهو أمر يشعر به ضرورة ولكن ليس قادراً بإطلاق لأنه يحس من نفسه ذلك .ويتمثل ثانياً : في أن يرتفع الإنسان بنفسه فوق شهواته ونزواته التي يكون عبداً لها . والإنسان في الإسلام لا يكون حراً بالمعنى الحقيقي للحرية إلا إذا ارتفع عن شهواته وأهوائه بإرادته ، أي بعقل حر . واستشعارنا بأن الله تبارك وتعالى معنا دائماً هو العلاج الحاسم لكل أنواع القلق وليس ممارسة الحرية التي تدعو إليها الفلسفات المادية والتي منها الوجودية . وفي الإسلام حقائق أساسية:أهمها أن وجود الإنسان له هدف وغاية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[سورة المؤمنون آية ١١٥] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ [سورة القيامة : آية ٣٦] والعالم بما فيه الإنسان محكوم بقوانين طبيعية فلا محل للفصل التام بين وجود الإنسان والوجود الخارجي ، فمن الواضح أن الإنسان لا يعيش في فراغ وإنما يعيش في العالم . والواضح أن الإنسان ليس حراً بإطلاق فإرادته ليست خارقة للعادة وإنما هي إرادة محدودة ... وقد نبهنا القرآن الكريم إلى أن الإنسان كائن ضعيف من حيث إرادته محدودة ويقوى على أشياء ولا يقوى على أشياء أخرى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [سورة النساء :آية ٢٨] بل الإنسان لا يكون على

حيث رقم ٢٦١٢ ، وابن أبي عاصم في السنة ص ٢٢٨ ، وابن خزيمه في التوحيد ٨٥/١ ، والآجري في الشريعة ٣/ ١١٤٧ ، ح٧٢١ ، وهذا الحديث مما اختلف فيه أهل العلم فمنهم من قال : أن الضمير يعود على الرحمن ، ومنهم من قال يعود على المضروب ، ومنهم من قال يعود على آدم وهو قول الجهمية ، والذي عليه سلف الأمة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية القول الأول ، وليس في ذلك مماثلة ولا مشابهة حتى يجعلنا نرد هذه الأحاديث ، ولا يلزم من إثبات عود الضمير على الله تعالى موافقة الغنوصية أو المذاهب المختلفة ، فمن الغنوصية من يذهب إلى أن يجد في الخالق صورة المخلوق ، ويلغون ما بين الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية من تمايز وأنية ويقولون إن الإنسان باعتباره (العالم الأصغر) الذي جاء على صورة العالم الأكبر ، وهذه فيه تماثل في الله من كل شئ ، أما مذهب السلف فهو يختلف تماماً عن ذلك فلم يقل أن الصورة مثل الصورة تماماً ، بل الصورة نفسها قالوا فيها : صورة لا كالصورة ، بل إن مصدر هذا القول عند الغنوصية ليس مصدر شرعي بل هو من الأفكار الوثنية . (ينظر : الإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، د. لطف الله خوجة ص ١٨٠) .

(٢)- مقدمات العلوم والمناهج ٤٥٩/٥ .

نفس المستوى من القوة في مراحل حياته كلها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [سورة الروم : آية ٥٤] والقرآن الكريم ينبهنا إلى أن للإنسان إرادة ، ولكن هذه الإرادة محدودة ،وفي القرآن الكريم آيات توحي بأن الإنسان مختار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [سورة الكهف:آية ٢٩] وإن هناك آيات أخرى توحي بأن الإنسان خاضع دائماً لقوة أعلى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة الإنسان : آية ٣٠] وليس ثمة تعارض بين النصوص التي توحى بالاختيار والنصوص التي توحى بالجبر فكل مجموعة منها تعبر عن جانب من جوانب علاقة الإنسان بربه (مجبور) إذا نظرنا إليه في الوجود الأعم ، و(مختار) إذا نظرنا إليه في نطاق وجوده الخاص التي تمتد إليه قدرته واستطاعته .وحقيقته مجموع الاثنين معاً دائرة حريته داخلة في دائرة أكبر هي دائرة القدر الآلهي . فليس هناك جبرية مطلقة وليس هناك اختيار مطلق ، وقد عالج القرآن ما يحس به الإنسان الجائر من قلق ، وبين لنا أن جهاد النفس هو العلاج الحاسم له[1] .

ويقول الجندي :" ونحن حين نرجع إلى مفهوم الحرية في الإسلام نجد وضوحاً وتكاملاً وسماحة لا تصل إليها مفاهيم الفلسفات التي تصدت للحرية منذ جون ستوارت ميل[2] إلى سارتر . فالحرية في الإسلام هي التحرر من قيود الوثنية ،واستعباد الإنسان للإنسان ، هي ضد عبودية الأوثان ، و ضد الرق ، وضد العبودية لأي كائن كان ، وهي حرية الفرد وحرية الجماعة ، وهي حرية الكلمة وحرية الضمير تجمعها آية واحدة من القرآن " قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٦] . فهي حرية الاعتقاد والقول والتفكير . كما دعا الإسلام إلى تحرير الفكر دعا إلى تحرير الجسم ، فالإسلام هو أول صيحة لمحاربة الرق وحصره في أضيق نطاق كمقدمة لتصفيته ، والحرية السياسية واحدة من حريات الإسلام وتقوم على الشورى ، غير أن الإسلام يعطى للحرية ضوابطها وتحفظاتها التي تضمن حرية الغير ، فالإسلام حين يقرر إطلاق الحريات للأفراد فإنه من ناحية أخرى يشترط ألا يكون ذلك طغيان على حريات الآخرين أو إضرار بمصالح الجماعة"[1] .

---

[1] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥١-٥١٦.

[2] - جون ستيوارت مل (١٨٠٦م- ١٨٧٣م) فيلسوف انجليزي برز في المنطق ومناهج البحث العلمي ، ومن أكبر دعاة مذهب المنفعة . من كتبه : في الحرية ، نظام المنطق ، مذهب المنفعة .(انظر : موسوعة الفلسفة ٢/ ٤٦٦- ٤٦٨، الموسوعة الفلسفية ص ٥١٨).

[1] - مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ص ٦٢- ٦٣.

٤- الرد على الوجودية في إنكار القيم الأخلاقية ، وقيم الإلزام :

يقول الجندي مبيناً هذا الرفض : " وترفض الوجودية قيم الإلزام ، والضمير ، والفضيلة ، والخير والعدل والمسؤولية ، وتقف في أنانية عالية النبرة تقول : لا تنكر وجودك حتى تصير مجرد أداة للآخرين ، وتجنح الوجودية إلى الوجدان ، وتعلي شأن الحدس،وترفض العقل والحكمة وتسخر بهما "[٢].

ويرد الجندي على هذا الزعم قائلاً:"ولا ريب أن رفض فكرة الالتزام هي أخطر مقومات الوجودية ، وأخطر معارضاتها للفطرة الإنسانية وللدين الحق. وهي في مجموع القيم التي ترفضها ، إنما ترفض كل ما يضبط الشخصية الإنسانية ، ويحميها ويرتفع بها ويقيم لها وجودها الحق ، فهي بذلك تدفع الإنسان إلى أهوائه لتدمره ، وإلى مطامحه لتحطمه .فالالتزام هو حق الجماعة،والفضيلة هي حماية الذات من حق غيرها ، فإذا رفضت النفس الإنسانية المسؤولية،فماذا يكون موقعها في المجتمع،وفي الحياة نفسها ؟ وعلى هذا النحو يصدق قول الباحثين من أن الوجودية إنما تعني التحرر من المجتمع ومسؤوليته،ومن كل القيم التي جاءت بها الأديان والشرائع،ومن الضوابط التي استقر عليها مفهوم الأخلاق ...وبذلك تتجاوز الوجودية حدود الحرية وضوابط المجتمع إلى الاعتداء على حقوق الآخرين والعودة بالإنسان إلى عهود الهمجية وشريعة الغاب" [٣].

ويزيد الجندي الأمر إيضاحاً قائلاً :" إن زوال فكرة (الإلزام) يقضي على جوهر الحكمة العملية التي تهدف إليها الأخلاق،فإذا انعدم الإلزام انعدمت المسئولية،وإذا عدمت المسئولية ضاع كل أمل في وضع الحق في نصابه،وإقامة أسس العدالة .ومفهوم الإلزام يقتضي أن تكون الفضيلة قوة كامنة إذا ملأت نفس المرء حفزته إلى العمل النافع و إلى النشاط المستمر حيث تتحول الفضيلة من قوة معنوية إلى قوة حسية،ويكون الخير الأخلاقي بمثابة سلطة ملزمة يتقيد بها الجميع. وقد دعا الإسلام إلى الإلزام الخلقي،وكشف عن أن النفس الإنسانية عرفت منذ تكوينها الأول معنى الخير والشر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس : ٧-٨] .وقد ألهمت النفس الإنسانية الحدس الخلقي فعرفت طريقي الفضيلة والرذيلة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[البلد آية ١٠] وقد تنحرف الطبيعة الإنسانية نحو الشر،ولكن الإنسان قادر على أن يردها ويستعيد سيطرته على قيادها.وفي

---

[٢] - معلمة الإسلام ٣٧١/١-٣٧٢ .

[٣] - المصدر السابق ٣٧٢/١ .

النفس قوة كامنة تهئ النصح،وتحدد للإنسان ما يجب عمله وما يجب تحاشية .هذه السلطة التي تسيطر على قدراتنا ، وعلى غرائزنا هي أسمى جزء من نفوسنا وهي العقل،وسلطة العقل هي السلطة الشرعية الوحيدة ،وخارج ما يأمر به العقل لا تكون هناك قاعدة أو سلوك له ما يبرره " (١) .

٤- الرد على الوجودية حول مفهوم الموت :

لقد ضلت الوجودية ضلالاً بعيداً في عقيدة الموت فاعتقدوا أن الموت هو نهاية الحياة ، ولذلك نادى سارتر بأن الإنسان ما ولد إلا ليموت وما أحقر الحياة إذا لم يقطف الشباب قطوفها دون ما خوف من حساب أو عقاب مشكوك فيه ، وقرر أنه ليس وراء الموت إلا الموت (٢).

وقد انتقد الجندي هذا المفهوم الخاطئ الذي أدى دوراً كبيراً في هدم المجتمعات الغربية وإفساد الشباب وتدميره . فقال :" وهناك موقف الملحد الذي يعتقد أن الموت هو نهاية الحياة ، ومن هنا فهو يخشى هذا الأمر الخطير الذي لم يستطع العلم الحديث أن يقضي عليه ، ويصاب بالهلع من أجل وقوعه وفقدان الحياة .ومصدر الهلع والخوف هو الإحساس بأن الحياة مصادفة عمياء ، وأن الوجود بها ليس له هدف وأن نهايتها هي نهاية كل شئ ، ومن ثم فإن ذلك كله يفرض الركض الشديد من أجل الاستمتاع بها ، واقتناص رغباتها والجري وراء متعها ، فالحياة في نظر غير المؤمن متعة كبرى ، فهم يحبونها حباً شديداً ، ويعملون على الاستمتاع بكل ما فيها من وسائل الترف والنعيم واللذة ،اعتقاداً بأن العمر قصير ، واقتناصاً لفرصة قبل أن يموت ، ومن هنا ينشغل هؤلاء بإطالة الحياة والاندفاع وراء الرغبات : رغبات الطعام والشراب والملذات الجنسية والعبث ، ولا يقيمون وزناً لشئ ، وظناً منهم أن هذه هي وظيفة الإنسان في الحياة التي سوف يترل عليها الستار إذا ما مات الإنسان ولقد تجري فلسفة الموت في مفاهيم الوجودية والعدمية ، وغيرها من المذاهب حول سؤال يتردد : لماذا جئنا ، وإلى أين نذهب ، وما هي حكمة وجودنا ؟ ويذهب فلاسفة الوجودية والعدمية وغيرها إلى الإجابة على هذه الأسئلة إجابات متشائمة . يقول : يقول « كاموا»ما دمنا سنموت فليس لأي شئ معنى . ويقول سارتر :" إن الحياة عبث " .ويتردد في هذا المجال كلمة الانتحار ، إذ ما هي قيمة الحياة وضرورتها ؟ يقول البعض : " إن

(١) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ، ص١٩٧-١٩٨ .

(٢) - انظر: الصحافة والأقلام المسمومة ، ص ٧٨ بتصرف .

الأفضل ألا تكون هناك حياة ويشبه سارتر الإنسان بشخص محكوم عليه بالإعدام يتهيأ لساعة التنفيذ يحاول أن يكون رابط الجأش ساعة أن يصعد إلى المقصلة ، ولكنه يموت فجأة قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه ، ويرى غيره أن الموت سخيف مجرد من كل معنى ، ولا ريب أن هذا المفهوم إنما يمثل القلق العميق الذي يملأ نفوس العاجزين عن إدراك أبعاد حكمة وجود الإنسان في الحياة ومفهوم رسالته .

وهذه المعاني كلها على هذه الصورة من الوساوس والأهواء ، إنما تمثل الحجاب الذي حال بين النفس الإنسانية وإدراك حقيقتها .إن السؤال الخالد الذي يتردد على كل لسان وفي أعماق كل نفس (من أين جئنا؟ وإلى أين نذهب ؟) قد أجابت عنه رسالات السماء ، وفي أفق الإسلام أجاب القرآن عنه إجابة مستفيضة واضحة ، تقوم على أساس الفطرة وتتقبلها النفس الصافية الراغبة في المعرفة الحقيقية .والأديان السماوية التي عرفتها عوالم الشرق والغرب – حتى بعد أن أخطأت التفسيرات في كثير من مفاهيمها ، ما تزال تحمل مفهوماً صحيحاً لفكرة الموت والبعث ،وتربط الجزاء الأخروي بالمسئولية الدنيوية " [1]

ويضيف الجندي قائلاً :" إن مصدر القلق هو عجز الإنسان عن فهم الأبعاد الحقيقية للمعرفة والوجود ، وتصوره عن منطلق واحد من منطلقاتها العديدة وهو العقل وما يتصل به من علم ، وقصوره أو إغضائه أو انصرافه عن منطلقات أخرى هي الوحي والوجدان والروح والبصيرة ، وهي منطلقات معطية ومكملة ، خاصة هذه الجوانب التي يعجز عنها العلم التجريبي والعقل لأنها خارج دائرة المحسوس والملموس والمرئي ، والمشاهد ، ومهما تحاول الفلسفات المادية والوجودية في أمر الموت فسوف تخوض بحاراً مظلمة متلاطمة ، تخوضها وليس معها ضياء أو نور أو أثارة من علم ، ولذلك فهي سوف تعجز عن أن تقول إلا كلمات الشك والوهم والسخرية والعبث كلمات يسيرة على كل من يقولها ولكنها لا تشفي صدراً ولا تجيب على سؤال ولا ترضي نفساً ، ولا تبعث طمأنينة ، بل لعل أصحاب هذه الفلسفات إنما قصدوا إلى تعميق الشك وتذويب المر في حلوق الناس وتدمير النفوس ... أما الإسلام فقد قرر فكرة البعث والجزاء كركن أساسي في عقيدته ووضعها على أسس منطقية ونفسية عميقة الجذور في كيان الإنسان بل أنه جعلها أساس السلوك الأخلاقي في الحياة الدنيا وبهذا قضى على اليأس من الفناء وأبعد شبح العدم عن مصير الإنسان ، إذ ليس ثمة عبث في الحياة ، وليس ثمة ضياع للجهد الإنساني اللذان يدفعان الإنسان إلى الاعتقاد بلا

---

[1] مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ص٢١٤-٢١٦ ، مقدمات العلوم والمناهج ٧/ ٤١٢-٤١٣ .

معقولية الحياة وبلا جدوى العطاء الإنساني .. وليس في حياة المسلم هلع من الموت؛لأنه يعلم أن الموت نهاية كل حي ، ويعلم أن هناك وحدة أساسية بين الموت والحياة ، وبين الحياة الأولى والحياة الآخرة ، وبين العمل والجزاء ويؤمن بأن الحياة إذا ما انتهت بالموت فقدت مضمونها الحقيقي لأن أعظم قضاياها مؤجل ليوم آخر للفصل فيه .

إن ترتيب البعث على الحياة والموت ليس أمراً مستحيلاً ولا متناقضاً عقلياً بل إن شبهة افتراض أن الموت نهاية الحياة هي التي تبعث الريبة والشك في النفس فكيف ينتهي عالم لم يفصل في أمره ، و لم تكشف حقائقه ، و لم يستمع أهله الإجابة عن الأسئلة المثارة فيه وعنه ، و لم يفصل بين المختلفين فيه ، من دعاة أهل الحق والباطل ، ومن أهل الفكر الرباني والفكر البشري ، من المؤمنين والملحدين ، من الذين قدموا كلمة الحق خالصة ، ومن الذين زيفوا كلمة الله وأشاعوا الفاحشة وشرحوا الصدر بالكفر والزيغ .

كيف يمكن أن تنتهي الحياة دون حياة أخرى تقدم للناس تفسيراً كاملاً ،وجزاءً كاملاً وتقضي في عشرات من القضايا المعلقة بين حق المنهج الرباني وباطل المنهج البشري إن مفهوم المسئولية الفردية يترتب عليه الحساب والجزاء فإقرار البعث لا ريب مطابق للفطرة ولا يشكل تناقضاً عقلياً﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[سورة المؤمنون : آية ١١٥] [1]

وبعد أن أبان الجندي موقفه من هذا الفلسفة والتيار المنحرف ذكر رأيه فيها فقال :"ومن هنا فنحن نرى أن ثمرة الوجودية واضحة أشد الوضوح في آثارها وإنتاجها وكتاباتها، وهي مزيج من التشاؤم والقلق والاغتراب والخوف من الموت والتمزق والضياع"[2].

وقال كذلك:" تصدق الوجودية حين ترى أن أزمة العصر هي غربة الإنسان، ونقصد هنا الإنسان الغربي ، وذلك حين نرى أن التقدم التكنولوجي قد جعل منه ترسًا في ماكينة أو قطعة غيار في جهاز، ولكن المسلم ليس كذلك، ولا يفهم هذا الفهم لأن دينه علمه مهمته ورسالته، وكشف له عن الغاية، وبذلك عرف أن له دورًا وسعيًا وحركة واسعة، هو مقبل عليها في صدق وإيمان، لأنه يعرف أن من وراء سعيه كسبًا حقيقيًا وبلوغًا لدرجة أرقى ومكانة أعظم، ثم إن المسلم يؤمن بأنه له إرادة مسئولة يجزى عليها بالخير، أو

---

[1] - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ص٢١٧-٢١٨ ، مقدمات العلوم والمناهج٧/ ٤١٤- ٤١٥ .

[2] - الوجودية ص٤.

بالشر في حياة أخرى، وأنه مطالب بأن يخوض معركة الحياة في أخلاقية التقوى والثقة بالله والرحمة بالإنسان، ومن هنا يحس أن حياته جزلة وعامرة وحافلة بالضياء والخير.

وهو في سعيه إلى الغاية الربانية، وفي توكله على الله واستعانته به لا يواجه أبدًا أزمة القلق ولا أزمة التشاؤم، ولا يخاف الموت، فالحياة الإسلامية التي تعرف أبعاد وجودها ورسالتها وغايتها جميعًا تواجه الحياة مواجهة الطمأنينة والسكينة، والعمل الجاد الدائب دون أن تفقد لحظة واحدة وجهتها، أو تقع في بيداء اليأس سواء أكانت الحياة يسيرة أو عسيرة، فإن النفس المسلمة ترضى باليسير، وإذا جاء العصر ، جالدته صابرة حتى ينطوي دون أن تحس بالقلق أو الحزن ، وهي تعرف أن مع العسر يسرًا، وأن الفرج مع الكرب"[1].

تعقيب

لقد كان موقف أنور الجندي وجهوده رائعة وقوية حيث أتى على معظم أفكار الفكر الوجودي وبين من خلالها بطلانها وبُعدها عن الإسلام، ومن أهم القضايا التى عالجها الجندي:

١ - أوضح الجندي معنى الوجودية .

٢ - اعتمد الجندي على كتب أساسية ومهمة خاصة كتب أصحاب الفكر الوجودي مثل كتب «سارتر» حيث أستطاع إدانتهم من خلال ألفاظهم وعباراتهم التي في كتبهم .

٣ - ركز الجندي على ذكر أفكار ومعتقدات الوجودية ، ومن ثم قام بنقدها على ضوء عقيدة الإسلام ، وإن كان غاب عنه رحمه الله ذكر بعض النصوص الموثقة من كتبهم على بعض تلك الأفكار والمعتقدات .

٤ - نجد أن الجندي اعتمد كثيراً على نصوص القرآن الكريم في نقده لبعض أفكار الوجودية.

المبحث الرابع : العلمانية وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : تعريف العلمانية .

(1) - المصدر السابق ص٦

المطلب الثاني : الأسس التي تقوم عليها العلمانية .

المطلب الثالث : نشأة العلمانية في الغرب .

المطلب الرابع :عوامل ظهور العلمانية في العالم الإسلامي.

المطلب الخامس : أهدافها .

المطلب السادس: مجالات تطبيق العلمانية .

المطلب السابع : موقف الإسلام من العلمانية .

المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من الفكر العلماني .

المبحث الرابع
العلمانيـة

وهذا المبحث اشتمل على عدة مطالب هي :

المطلب الأول : تعريف العلمانية :

١- في اللغة :

نجد أن لفظة العلمانية غير موجودة في المعاجم العربية القديمة ، فهي حديثة وكان أول ورودها في قاموس ثنائي اللغة(فرنسي -عربي) وضعه نصراني اسمه إلياس بقطر المصري [١]،ثم تسللت اللفظة إلى أول معجم في اللغة العربية وهو المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة والذي جاء فيه:العلمانية نسبة إلى العَلم بمعنى العَالَم وهو خلاف الديني أو الكهنوتي[٢] .

وجاء في طبعة أخرى مكسورة العين العِلماني نسبة إلى العلم التجريبي،الذي انتصر على الكنيسة[٣].

ويرى الدكتور«عبد الصبور شاهين»-الخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة-أن كلمة "العَلمانية"بفتح العين هو الأصوب،وعليه درجت معظم المعاجم قديماً وحديثاً،إذ لا علاقة بين العَلمانية والعِلم بكسر العين،لا من حيث الضبط ولا من حيث الدلالة[٤].

و لم يرتض الجندي صنيع من ذهب إلى نسبة العلمانية إلى العِلم [٥] فقال:"ومن نسبها إلى العلم فقد وقع في خطأ كبير حتى ظنوا أن ما يعنيه مصطلح العلمانية هو استخدام العلم في صنع الحياة وإذن فالإسلام علماني والعلمانية إسلامية و لا فرق بينهما وهذا هو الخلط وهو أخطر مظاهر التزييف في معاني المصطلحات.ذلك أن العلمانية مصطلح لم يوجد إلا في ظروف الصراع بين الكنيسة والدولة حول السلطة فرأى المفكرون آنذاك أن الحل يكمن في إبعاد الكنيسة عن السلطة وأطلقوا على الوضع الناتج عن هذا وصف العلمانية "[٦].

ونبّه الجندي على "أن مصطلح العلمانية لم يوجد في التراث الفكري العربي القديم ، وأن معنى «**secular**»لا يعنى في قاموس السياسة غير معنى واحد هو لا دينية وقد جرى الناس

---

[١] - إلياس بقطر (١٧٨٤- ١٨٢١م) ، مترجم مصري ، ولد بأسيوط ، ومات بباريس عين مترجماً بالحملة الفرنسية ،عمل مدرساً للغة العربية في المكتبة الملكية بباريس ، وصنف قاموس بقطر عربي وفرنسي . (انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٩٣) .

[٢]- انظر : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ٢/ ٦٢٤، دار الدعوة، استنبول ، ط الثانية ، عام ١٩٧٢م.

[٣] - انظر : موقف الإسلام من العلمانية ، د. صلاح الصاوي ص ٧ ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د. علي جريشة ، ص ٧٣، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الرابعة ، عام ١٤٢٤ هـ .

[٤] - جذور العلمانية ،د. السيد أحمد فرج ،ص ١٢٤، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الخامسة ، عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م

[٥] - وقد ذهب إلى هذا القول عدد من العلماء والباحثين منهم : د. محمد البوطي ، د. يوسف القرضاوي ،د. سفر الحوالي ،و د. عماد الدين خليل ،ود. المطعني وغيرهم .(انظر:العلمانيون والقرآن الكريم،د. أحمد الطعان ص ١٧١- ١٧٢،دار ابن حزم ، الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٨هـ).

[٦] - التأصيل الإسلامي ص ١٧٣.

على ترجمتها إلى علماني أو مدني وهي تسميات مهذبة لتسمية اللادينية تحاول أن تستر بشاعتها بأشياء سائغة مقبولة ومن الواضح أن كل ما ليس دينياً وهو لا ديني"[١].

وفي المعاجم الغربية :

نجد أن كلمة علمانية ترجمة لكلمة «سكيولاريزم secularism» الإنجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية.والكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية «سَيكولوم saeculum»وتعني العصر أو الجيل أو القرن.أما في لاتينية العصور الوسطى،فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا[٢].

أ- يورد معجم «أكسفورد»في شرحه لكلمة secular المعاني التالية :

١ - دنيوي،أو مادي،ليس دينياً ولا روحياً،مثل التربية اللادينية، الفن أو الموسيقى اللادينية، السلطة اللادينية،الحكومة المناقضة للكنيسة.

٢ - الرأي الذي يقول:إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساساً للأخلاق والتربية [٣].

وقد استخدم مصطلح «سكيولار» لأول مرة مع نهاية حرب الثلاثين عام (١٦٤٨م) عند توقيع صلح (وستفاليا) وبداية ظهور الدولة القومية (العلمانية)،وكان معنى المصطلح في البداية محدود الدلالة؛إذ أشار إلى نقل ممتلكات الكنيسة إلى سلطات سياسية غير دينية[٤] .

٢- في الاصطلاح :

توجد معان كثيرة للعلمانية أهمها ما يلي :

١- هي :"حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها، ذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الــ "secularism" تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية، وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة. وظل الاتجاه إلى الــ " secularism" يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية"[١]

---

[١] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٨٨.

[٢] - انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبدالوهاب المسيري ١/ ٢١٧.

[٣] - انظر معجم Oxford Advanced learners Dic.: 785 نقلاً عن العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ،د. سفر الحوالي ص ٢٢- ٢٣، دار الطيب ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤٢٠هـ .

[٤]- انظر : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١/ ٢١٧.

[١] - دائرة المعارف البريطانية ١٠/ ٥٤٩ ، عن العلمانية ، لسفر الحوالي ص ٢٢.

٢- عرفها «جون هوليوك» (١٨١٧ - ١٩٠٦م) بأنها : « الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية دون التصدي لقضية الإيمان سواء بالقبول أو الرفض »[٢] .

٣- أنها " عزل الدين عن حياة الإنسان فرداً كان أو مجتمعاً ، بحيث لا يكون للدين سلطان في توجيهه أو تثقيفه أو تربيته أو التشريع له وإنما ينطلق في الحياة بوحى عقله وغرائزه أو دوافعه النفسية "[٣].

٤- أنها"ظاهرة تاريخية ذات أسباب وغايات مركبة ومعقدة ، تتصل بعوامل إقتصادية وفكرية وحضارية عدة ، ساهمت في مجملها بانقلابات جذرية في حياة الإنسان ونظرته إلى المجتمع والطبيعة والدين . ويصعب تبسيطها وتقديم شروحات قاصرة عنها ، وتصويرها مجرد حركة فكرية ذات جذور مادية " [٤].

٥-وبأنها"الاقتصار على العقل الإنساني وخبراته في إدراك حقائق العالم،وتصريف شؤون الحياة "[٥].

أما العلمانية عند الجندي فهي تعني:فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الله والإنسان وهو ما يعرف باللاهوت،أو الاقتصار على جانب العبادات[٦].

ويقول كذلك :" أن العلمانية تفصل عن الإسلام جانبه الاجتماعي والسياسي والعلمي وتبقى عليه بوصفه دين عبادة"[٧] .

ويقول في معناها كذلك :" إقصاء القيم الفكرية والروحية التي جاء بها الدين الحق عن الحياة الاجتماعية ، وتحرير الفرد والمجتمع عن الالتزام الديني والمسئولية الأخلاقية بهدف دفعه إلى التحرر الخارج عن حدود الله "[٨].

فالعلمانية هي:حركة مضادة للدين وتدعو للفصل الكامل بين الدين والحياة ، وأن تحكم الدولة بغير شرع الله ، وأن لا تنظر إلاّ إلى المادة والعلم المادي البحت[١].

---

[٢] - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ١/ ٢١٧.

[٣] - التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ، د. القرضاوي ، ص ١٥-١٦.

[٤] - تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة،د.عدنان حسين،ص ١١٢،دار الأمواج ،بيروت، ط الأولى ، عام ٢٠٠٢م .

[٥] - مجلة البيان العدد ٢١٥ ، ص ٩٨، محمد إبراهيم مبروك .

[٦] - انظر: الإسلام والتيارات الوافدة ، أنور الجندي ، ص ٣٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .

[٧] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٨٦.

[٨] - تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٢، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٨٧.

[١] - ينظر حول هذا المعنى : تحطيم الصنم العلماني لمحمد شاكر الشريف ، تقييد الشوارد من القواعد والفوائد،للشيخ عبدالعزيز الراجحي ص ١٦٦، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ، د. مفرح القوسي ص ٥٥، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ، أ.د محمد السيد الجليند ، د. منشاوى إسماعيل ص٩ .

المطلب الثاني : الأسس التي تقوم عليها العلمانية هي :

١- المادية.حيث يري «هولباخ»[٢]أن المادة هي وحدها الموجودة منذ الأزل،وهي التي تقوم بكل الأعمال التي نعزوها إلى الله [٣]،واعتبر المادة هي كل ما يؤثر-بطريقة أو بأخرى -في إحساساتنا[٤].

٢- إنكار الغيب والميتافيزيقا.حيث يقول «حسن حنفي»[٥]:"يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين ويكون مسلماً حقا في سلوكه "[٦].

٣-نزع القداسة عن كل المقدس فهم يرون كل شئ يتطور ولا يوجد ثبات أبداً،وأقوالهم في هذا كثيرة ومن ذلك ما ذكر د. «محمد أركون»حول القرآن الكريم الذي هو من أعظم المقدسات حيث قال:"ينبغي أن نعلم أن القرآن هو خطاب متجذر في تاريخ ديناميكي محسوس،ولكن تاريخيته يتم حجبها وتحويلها إلى نوع من الخلاص الأخروي" [٧]،ومن أقواله المنكرة وصفه القرآن الكريم بأنه:"ظاهرة لغوية وثقافية قبل أن يكون عبارة عن تركيبات ثيولوجية أو لاهوتية"[٨]،

٤- العقلانية المطلقة فعندهم حرية الفكر وإطلاقه من كل الضوابط والقيود.حيث يقول د.« محمد عابد الجابري »[٩] حول التجديد الذي يحتاجه المسلمون اليوم :" والحق أن ما يحتاج إليه المسلمون اليوم هو التجديد وليس مجرد الصحوة ، إن التحديات التي تواجه العالم العربي والعالم الإسلامي تتطلب ليس فقط رد الفعل بل الفعل ، والفعل في العصر الحاضر هو أولاً وأخيراً فعل العقل ... لأن العصر يقوم كل شئ على الفعل العقلاني "[١].

---

[٢] - بول هنري ديترش هولباخ (١٧٢٣- ١٧٨٩م) فيلسوف مادي فرنسي.ولد بألمانيا . من مؤلفاته : اللاهوت الحمال ، الأحاسيس الطبية .(انظر : الموسوعة الفلسفية السوفياتية ص ٥٦٤) .

[٣] - تاريخ الفلسفة الحديثة ص ١٩٢.

[٤] - الموسوعة الفلسفية ص ٥٦٤.

[٥] - حسن حنفي :باحث ومفكر مصري ، ولد في القاهرة سنة ١٩٣٥م ، حيث درس الفلسفة ، وأكمل دراسته في سوربون باريس .وهو أحد رواد ما يسمى باليسار الإسلامي،من كتبه :من العقيدة إلى الثورة ،من النقل إلى الإبداع .(انظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين ١/ ٣٦٢).

[٦] - قضايا معاصره في فكرنا المعاصر ، د. حسن حنفي ، ص ٩١ ، دار التنوير ، بيروت .

[٧] - التجديد في الفكر الإسلامي ، د.عدنان محمد إمامه ،ص ٣٨٩، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

[٨] - الفكر الإسلامي نقدٌ واجتهاد ، د. محمد أركون ، ص٧٨، دار الساقي ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ٢٠٠٧م .

[٩] - محمد عابد الجابري : كاتب ومفكر مغربي معاصر ، ولد بالمغرب عام ١٩٣٦م ، حصل على الدكتوراه في الفلسفة عام ١٩٧٠م ، من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ،و بها يعمل أستاذاً للفكر العربي و الإسلامي ،من كتبه : تكوين العقل العربي ، في نقد الحاجة إلى الإصلاح ، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته.(انظر : غلاف العقل السياسي العربي ، ط الخامسة ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية عام ٢٠٠٤م ، موسوعة أعلام العرب في القرن العشرين ١/ ٢٢١)

[١] - وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ،د. محمد الجابري ص ٤٠-٤١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،ط الثانية، عام ١٩٩٤م .

٥- نسبية القيم والأخلاق وارتباط ذلك بالبيئة فهم يرون أن الأخلاق مرتبطة بالمجتمع . حيث يرى «محمد شحرور»[٢] أن العورة ليس لها علاقة بالحلال والحرام لا من قريب و لا من بعيد ؛ لأن العورة جاءت من الحياء وهو رغبة الإنسان في إظهار شئ من جسده أو سلوكه ، وهذا الحياء نسبي وغير مطلق ويتبع الأعراف ، فالعورة متغيرة حسب الزمان والمكان[٣] .

٦- فصل الدين عن الحياة. حيث يقول «حسن حنفي»:" أن العلمانية هي أساس الوحي فالوحي علماني في جوهره ، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور "[٤].

المطلب الثالث : نشأة العلمانية في الغرب :

لقد كان أول ظهور للعلمانية في العالم الغربي نظراً لوجود ظروف وعوامل ساعدت على تكونها ونشأتها والتي منها:

١- أنها جاءت نتيجة طبيعية لطريقة التفكير الذي كان يسلكها التيار الأساسي في الفكر الإغريقي،والذي يعد الفكر الغربي بوجه عام امتداداً طبيعياً له ،فمنذ أن اختلط الدين المسيحي بالعقائد الوثنية القديمة والتي أثرت في عقائدها وأفكارها،وتكونت النصرانية الثالوثية وطقوسها وسلطاتها البابوية التي فرضت عقيدتها الباطلة بقوة السلاح والسلطان ،هذا كله كون مزيجاً من التمرد على اللامعقولية،بالإضافة إلى اتصاف الكهنوت بالاستبداد والطغيان[٥] .

٢- أن الديانة النصرانية ليس فيها تشريع لشؤون الحياة :

إن النصرانية لا تملك تشريعاً مفصلاً لشؤون حياتها فقد كانت رسالة عيسى عليه السلام مكملة وليست ناقضة إياه وكما وصفها القرآن ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [سورة آل عمران :آية٥٠]غير أن رسالة عيسى فسرت بعد ذلك تفسيراً مغايراً لأصولها وحقيقتها

---

[٢] - محمد شحرور : مهندس سوري متخصص في البناء بالخرسانة والهندسة المدنية ، حصل على ماجستير الهندسة من جامعة دبلن بإيرلاندا الشمالية ، له كتب منها : الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، نحو أصول فقه جديدة للفقه الإسلامي ، الدولة والمجتمع . (انظر : موسوعة أعلام القرن العشرين ١/ ٥٩٤) .

[٣] - انظر :الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، محمد شحرور ، ص ٦١١-٦١٢، دار الأهالي ، دمشق ، ط الأولى ، عام ١٩٩٥م .

[٤] - التراث والتجديد ،د. حسن حنفي ، ص ٧٢، دار التنوير ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٨١م .

[٥] - انظر : الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين نشأته وتطوره ومذاهبه ومعاصرة ، د.صابر طعيمة ،ص ١٥٣، دار الجيل، القاهرة ،ط الأولى، عام ١٤٢٥هـ.

فوضعت في إطار جديد على أنها دين عام للبشرية .وحرف مفهوم العلاقة بين الله مالك الملك دين الرسول الذي أنزل الله عليه الرسالة .ولما كانت رسالة عيسى مجموعة من الوصايا و الأخلاقيات،فإنها لم تكن بالطبع منهم ديناً كاملاً،حيث لم تكن لها شريعة مستقلة[1].ومن هنا فإن النصراني إن حكمه قانون مدني وضعي علماني،فلا ضير عنده ولا يزعجه ذلك ولا يشعره بشئ من تناقض بين عقيدته وواقعه[2].

٣- قصور النظرة الدينية الصارفة عن مسايرة حضارة العصر. فالمفاهيم الدينية التي واجهت الفكر الغربي المعاصر القائم على العلم والعقل،عجزت عن أن تصمد له،مما دفع المفكرين والفلاسفة إلى وصف الدين بأنه أفيون الشعوب،أو أنه لا يصلح إلا لتنظيم الشعوب البدائية[3].

وهذه الأفكار وغيرها ما كان لها أن تنتشر لو أن رجال الدين كانوا على المقدرة الكافية لمواجهة الحضارة الحديثة بمشكلاتها العديدة المختلفة.فالدين برجاله في أوربا وقف وقفة المتفرج خلال الفترة الأولى من نشوء وانتشار الأفكار والتيارات والفلسفات المعاصرة[4] .

٣-الطغيان والاستبداد الكنسي :

فقد تجاوز باباوات الكنيسة كل الحدود في هذا النوع من الاستبداد والاستعباد وذلك كله باسم الدين و لم يكن ذلك قاصراً على عوام الناس ودهمائهم بل تعداه إلى الملوك والأباطرة ، فقد سيطرت الكنيسة على التعليم في المدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس،وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها الكنيسة من قبل،وسلم بسياستها في اضطهاد مخالفيها الملوك والاباطرة ،ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة ، وكانت الهرطقة [5] أعظم خطيئة عقابها نار جهنم ، إلى جانب ما تنزله به السلطات الدينية من عذاب،وذلك بنفيهم ومصادرة أملاكهم،وهدم بيوتهم وحرمانهم من الحقوق المدنية .ثم أخذت الكنيسة بإنشاء ما يسمى بمحاكم التفتيش لتتولى مطاردة المارقين وتعذيبهم إلى حد إحراقهم وهم أحياء!!وارتكبت

[1] - انظر : سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، ص ١٥.
[2] - انظر : الغزو الصليبي الجديد وسائل و وغاياته ، رمضان البركي ، ص ٤٩٩، المكتبة المصرية ، الاسكندرية ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ
[3] - مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٣٦ ، سقوط العلمانية ص ٢١.
[4] - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣١٩ .
[5] - الهرطقة : هو نبز أطلقه طغاة الكنيسة على كل مخالف لهم في باطلهم للبطش به ، ومعناها عندهم الكذب والفجور والخروج عن الدين . (ينظر: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ص ٩٠٧).

كل هذا الفظائع باسم دين أخص ما يميزه دعوته إلى المحبة " أحبوا أعداءكم،باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ... "[1].

٤- رفض رجال الكنيسة للعلم ومحاربتهم للكشوفات العلمية:

لم تكتف الكنيسة بحق تأويل الكتاب المقدس ولا بتلك المفاهيم المغلوطة من عقائدهم المنحرفة ، بل أخذوا في فرض مسلمات علمية عصرية ، تتصل بالتاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والفلكية وجعلت تلك المعلومات من المسلمات التي يستحيل مناقشتها و تصحيحها ولا القول بخلافها ، مما جعل البابوات ورجال الكهنوت يضيقون ذرعاً بكل ما هو خلاف مسلماتهم ، فأخذوا الحكم بالكفر والإلحاد على من خالف مقرراتهم ومسلماتهم .

وقد كان الإسلام بعقيدة البسيطة الخالية من الكهنوت والتي تدور حول مفهوم التوحيد ،وإعطاء العقل مكانته الرفيعة نقطة تحول في الفكر الأوربي من خلال الصراع بين الشرق والغرب أو تلقيهم علوم المسلمين كما في الأندلس،كل ذلك ساعد على حصول التقدم العلمي والتحرر السياسي والنقد العقلي لعقائد الكنيسة في نهاية القرون الوسطى،وتم مواجهة ذلك بأقصى درجات التنكيل والبطش من القتل والحرق والشنق وغيرها من العقوبات ونتيجة لتلك الجرائم الفظيعة من الكنيسة قامت الثورات المتتالية عليها وقد أطاحت هذه الثورات برجال الدين المستبدين وقذفت بهم في زوايا المعابد المظلمة ، وأبعدتهم عن ميدان الحياة كلها ولاسيما في مجال الحكم والقضاء والتشريع ، وبذلك تم الفصل التام بين الدين والدنيا وبين الدين والدولة[2].

٥- رغبة اليهود في السيطرة والقضاء على سلطات المسيحية في المجتمعات الغربية :

لقد كانت رغبة اليهود جامحة في إحكام سيطرتها على العالم ليحصل لهم العزة والكرامة وملك اليهود للعالم،وكانوا ينظرون إلى النصرانية وسيطرة البابوات على المجتمع الغربي.و لم يروا سبيلاً لتطبيق صهيونيتهم ومخططاتهم إلا عن طريق الدعوة إلى العلمانية أي فصل الدين عن الدولة ، وبذلك يستطيع اليهود أن يبثوا نشاطهم في المجتمعات الأوربية وغيرها من المجتمعات النصرانية ، ويأخذوا مكانتهم فيها[1].

المطلب الرابع :عوامل ظهور العلمانية في العالم الإسلامي:

[1] - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ، د. توفيق الطويل ، ص ١٠-١١بتصرف ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٩٧٩م .

[2] - انظر : الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ص ٥٨- ٦٠ بتصرف ، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٤، التيارات الوافدة لمزروعة ص ٣٦، محمد إبراهيم مبروك ، مجلة البيان العدد ٢٠٢ ، ص ١٠٣ ، بعنوان العلمانية

[1] - سقوط العلمانية ، ص ١٦بتصرف .

إن العلمانية بما تحمله من أفكار ومعتقدات لا تتوافق مع الدين الإسلامي ومع ذلك قدر لها أن تتغلغل في البيئة الإسلامية وتكون لها السيطرة في كثير من بلاد المسلمين وهذا جاء نتيجة عوامل – مخطط لها أو عفوية – ساعدت على سيطرتها على مناحي الحياة في بلاد المسلمين و الذي منها:

١- النهضة الأوربية :

إن ما حصل في أوربا من نهضة وتقدم والتي واكبت قيام العلمانية وانتشارها كان له انعكاس عند الناس أن ما حصل من نهضة كان نتيجة طرح أوربا للدين وهذا الوهم الفاسد كان له كبير الأثر عند أولئك المفتونين بحضارة الغرب سواءً من القادة والزعماء أو المبتعثين لطلب العلم والتقدم[٢] .

٢- تخلف العالم الإسلامي :

لقد كان للمسلمين دوراً كبيراً في تأخرهم وذلك نتيجة إغلاق باب الاجتهاد وسياسات بعض الزعماء في التقوقع و معاداة كل جديد وأصيل وتسابقهم في نيل شهواتهم ومصالحهم على مصالح المسلمين،فضلاً عن نشوب الصراع على المناصب والرئاسة،مما دفع العلمانية أن تحط برحالها في ديار المسلمين[٣] .

٣- الاستعمار العسكري للبلاد الإسلامية :

منذ أن فرض الاستعمار سلطاته على المجتمع الإسلامي ، وجرت محاولاته الواسعة في إقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة الإسلامية والاقتصاد والتعليم ، وإحلال منهج علماني بديلاً منه ، فقد فرض القانون الوضعي بديلاً للشريعة الإسلامية ، وإنشاء معاهد الارساليات التبشيرية ، والسيطرة على مناهج المدارس الوطنية وإخلائها من دراسات القرآن والإسلام والعروبة ، وإقامة هذه المناهج بلغة المحتل[٤].

٤- الهزيمة النفسية لدى المسلمين :

كان الاستعمار من أول أهدافه هزيمة أمتنا هزيمة نفسية ، وهو ما تحقق عند كثير من أبناء العالم الإسلامي فدفعهم إلى الاستسلام التام لسيطرة المستعمر وحصول التبعية والولاء التام للغرب، فكانت استلاب تلك الحضارة المادية بكل شرورها وملابساتها العفنة في جميع شؤون الحياة والتي كان منها العلمنة التامة للحكم والاقتصاد والسياسة بل نبذ كل ما هو

---

[٢] - انظر : الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د. علي جريشة ص ٦٨، من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ص ١٩.

[٣] - الاتجاهات الفكرية المعاصرة ص ٦٩

[٤] - سقوط العلمانية ص ٢٦.

إسلامي نبذاً تاماً [1].وهذه الرؤية والتي تتمثل في دوام السيادة الحضارية للغرب لاشك في خطئها وعدم صحتها ، فالتاريخ شاهد على أن هذا الاستمرار مناقض لقانون من أهم قوانينه وهو قانون مداولة الأيام بين الناس[2].

٥- الغزو الفكري والثقافي :

لقد استخدم أعداء الإسلام كل الوسائل في سبيل إخراج المسلمين من دينهم فعمدوا إلى إغرائهم بالنصرانية تارة،وبالتغريب تارة،وبتصدير الأفكار الغربية كنظرية دارون و فرويد وماركس أو مذاهب وتيارات منحرفة مثل القومية والوطنية والعلمانية[3].

المطلب الخامس : أهدافها :

نَّبه الجندي على بعض أهداف العلمانية فقال:"تجمع المصادر التي تناولتها على أنها تستهدف الغايات التالية :

أولاً : عزل الدين عزلاً تاماً عن المجتمع ، وإتاحة الفرصة لقيام تربية لا دينية ، وقيام نظام سياسي لا يستهدي بالشريعة ، وتأسيس الاقتصاد على أساس الربا .

ثانياً:إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني ، هو جانب الروح والوحي ، وعالم الغيب ، وكل ما يتصل بالدين من أخلاق وعقائد وإيمان بالله ، وعزله عزلاً تاماً عن الفكر والحياة .

ثالثاً :إعلاء كلمة العقل والمادية ، والإلحاد ، وإقامة منهج علماني يقايس المسائل المختلفة ، سواء ما يتصل بالإنسان والمجتمع والحياة بمقاييس الحس والعقل والتجربة وحدها"[4].

رابعاً : هدم الوحدة الإسلامية :

يقول الجندي :"تعتبر العلمانية ركيزة أساسية لكل دعوات هدم الوحدة الإسلامية الجامعة كالإقليمية والقومية ودعوات الأجناس والعروق والدماء ؛ وذلك لأن هذه الدعوات إنما تقوم في سبيل كسر الروابط الروحية والفكرية التي جمعت بين الأجناس والأمم المختلفة تحت لواء واحد مع اختلاف الفروق اللونية والعرقية "[1].

المطلب السادس: مجالات تطبيق العلمانية :

---

(1) - انظر : من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ص ٢٠ .

(2) - الحضارة الغربية والمجتمع المسلم ، أنور الجندي ى، ص ٢٠ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

(3) - من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر ص ٢١، التأصيل الإسلامي ص ١٦٨

(4) ـ سقوط العلمانية ،ص ٢٠-٢١، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٢٢٤

(1) - تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ص ١٣٣

لقد سعى دعاة العلمانية أن تكون دعوتهم حاضرة وممارسة في كل شؤون الحياة فتدخلت في شتى المجالات التي يمكن من خلالها محاربة الدين وإقصاؤه تماماً ومن تلك المجالات:

١- السياسة:

يعد الجانب السياسي قمة العلمنة فبدلاً من أن يعود الناس أو السلطة الحاكمة في شأن وضع القوانين إلى الدين يستوحون من مبادئه أحكامهم و شرائعهم ، فإنهم يرجعون في هذا الشأن إلى عقولهم أو عقول طائفة منهم ، وما استحسنت ه عقولهم وكان ملائماً لمصالحهم حسب نظرتهم الآنية والمسبقة يكون على ضوءها تشريعهم فبالتالي أن الشرعية التي تدفع السلطة السياسية لتحكم المجتمع وتسيره ليست مستمدة من الدين[٢] .

وإمارات المنهج السياسي العلماني في بلاد الإسلامية ظاهر وبين وهو من خلال تلك النظم السياسية السائدة في العالم العربي والإسلامي ، وهي التي تقوم على أساس إنشاء برلمان ودستور وأحزاب[٣] .

والتشريع في الفكر العلماني يقوم على الفصل المطلق التام بين الدين والسياسة بمعنى أن رجل السياسة والنظام والحاكم في الدولة العلمانية له أن يصدر ما يشاء من القرارات في جميع الشئون التشريعية والعقائدية دون شرط ودون أدنى اعتبار لما اتفقت عليه جميع الأديان في مسألة الحلال والحرام.وإنما القيد الوحيد على قرارات السلطة السياسية في ذلك موافقة أغلبية الشعب[٤].

٢- الاقتصاد:

لقد استغلت العلمانية الاقتصاد في تثبيت أفكارها وتدعيمها فنتيجة ما حصل من الانحراف النصراني وما قامت به الكنيسة من طغيان مالي تجاوزت به كل الحدود.تولد نتيجة ذلك كره للدين ورجاله؛إذ ربطوا بين الدين وما وقع عليهم من ظلم وسلب لحقوقهم، فطوعت العلمانية هذا الفكر المنحرف فقاموا برفع شعارات التحرر من الدين عموماً، ومن كل ما له علاقة بالدين فسرت الأفكار الإلحادية في المجتمعات الغربية كالاشتراكية، والشيوعية والرأسمالية وغيرها من المذاهب المنحرفة و لم تسلم من ذلك بلاد المسلمين [١].

---

[٢] - انظر : الفكر العربي الإسلامي في مواجهة دعوات التغريب دراسة تاريخية فكرية ، حافظ الدليمي ، ص ١٢٨ بتصرف ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ .

[٣] - انظر : سقوط العلمانية ، ص٢٦ بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٢٢٣/٨

[٤] - التأصيل الإسلامي ص ١٦٧.

[١] - انظر المذاهب الفكرية المعاصر ة ، د. غالب عواجي ٢/ ٧٢٥-٧٢٧بتصرف ، مذاهب فكرية ، محمد قطب ص ٤٧١ ، العلمانية ،د. سفر الحوالي ٢٦٩- ٣٢٦.

"فركز الاستعمار على المصرف ونظام الربا . فقد سيطر الاستعمار على الحياة الاقتصادية بواسطة أعوانه من الأجانب ، وخفض أسعار المحاصيل الرئيسية للبلاد ، وباعها بأبخس الأثمان ، وعمد إلى تأسيس البنوك الأجنبية وشركات الرهون . واستطاع أن يسقط نصف ثروة البلاد في أيدي الأجانب في عشر سنوات ، وقد بلغت أرباح هذه الشركات من ميزانيات الدول نفسها ، وأدخلوا إلى البلاد المحتلة ألوفاً من المستوطنين استطاعوا بسلطان الاستعمار الاستيلاء على الآف الأفدنة الجيدة ، والقضاء على الصناعات الوطنية والسيطرة على مالية الدولة ووضعها تحت وصاية النفوذ الأجنبي بفضل سلطات الامتيازات الأجنبية ونفوذ المحاكم المختلطة ، كما فرض الاستعمار على البلاد الإسلامية غزواً غربياً مدمراً يتمثل في المخدرات والحانات والبغاء العلني المصرح به بأمر القانون ، وخلق جوّاً عاصفاً من الانحلال والفساد "(٢).

٣- الاجتماع (المجتمع)

من الأصول الثابتة عند العلمانية أن الحياة العامة في الدولة والمجتمع لا تحكم بأحكام الشريعة الإسلامية ، وإنما تحكم بأي نظام آخر من الشرائع التي يضعها الإنسان لنفسه مما دفعهم إلى تقديم القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية (٣)،وترمى العلمانية من وراء هذه القوانين إلى "هدم شخصية هذه الأمة،وإخراجها عن أطرها وقيمها . واستغلال البلاد لفائدة الأغيار وإسباغ الحماية القانونية على الحانات وبيوت الدعارة على نحو مغاير تماماً لكل القيم .وهذه القوانين هي إحدى المعطيات التي يمنّ بها على المسلمين والعرب دعاة العلمانية ، ويروها مقدمة لخدمة تالية :هي تغيير جلد هذه الأمة ، والإلقاء بها في أتون الأممية،وتحطيم ذاتيتها ومعنويتها،وقد فشلت كل هذه المحاولات وبدأ الآن الاتجاه الواضح في مختلف دساتير البلاد العربية ، إلى أن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً أساسياً للتشريع"(٤) .

٤- التعليم :

يقول الجندي:"وفي مجال التربية والتعليم ركز النفوذ الاستعماري قواه الضخمة مستهدفاً تحقيق مفهوم العلمانية بتشكيل نماذج من النخبة والمثقفين بتجاوز الدين أساساً.ولا تقف عند اللغة العربية أو تاريخ الإسلام،أو قيم القرآن ومنهجه الشامل.وقد كانت مهمة التغريب مركزه أساساً على إنشاء مدارس الارساليات والمدارس الأجنبية والتبشيرية،ونقلت مناهجها

(٢) - سقوط العلمانية ص ٣٣.
(٣) - انظر : مجلة البيان العدد ١٧ ،ص ٣٣، أهمية أصول المعرفة في الإسلام ، د. عابد محمد السفياني.
(٤) - سقوط العلمانية ، ص ٣٠ ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٢٢٩

إدارات التعليم الخاضعة في معظم أجزاء العالم الإسلامي للنفوذ الأجنبي،وبذلك حققت المحاولة الأولى للعلمانية خطوة ضخمة في السيطرة على العقول وتربية النشء وتحويل النفس العربية الإسلامية عن مزاجها الأصيل ودفعها إلى إعلاء مفهوم الغرب واتجاهه واستنقاص التراث والقيم العربية الإسلامية.وقد كان إلغاء تدريس الإسلام أساسياً،وتدريس فلسفات الأديان البائدة منهجاً "[1].

وهكذا استطاعت العلمانية في مجال التعليم أن تفسد أجيالاً من المسلمين بتأثيرها الخطير على النفس المسلمة والعقل المسلم وإفساد مفهوم الإسلام والعروبة والقرآن وسيرة النبي ﷺ وتاريخ الإسلام وإقامة مفاهيم أخرى فيها قيم ليست هي قيم المسلمين والعرب[2] .

٥- الإعلام :

من القضايا المسلم بها أن للإعلام دوراً فاعلاً ومؤثراً في سلوك الأفراد والمجتمعات بما يخدم أفكارها ومعتقداتها لذلك كانت من أولويات العلمانيين السيطرة على وسائل الإعلام مثل التلفزيون والإذاعة والصحف والمجلات والسينما والفيديو والقنوات الفضائية وغيرها من قنوات التأثير،واستطاعوا أن يتحكموا فيها فتملكوا المجتمعات وأصبحوا يسّيرون ثقافاته وقضاياه حسب رؤيتهم لمصالحهم الفاسدة والمنحرفة وقد سلكوا في ذلك محورين :

١- تحقير الدين،والتهوين من شرائعه وأحكامه،والسخرية بعلمائه القائمين على تعليمه وتطبيقه في نفوس الأمة وأجهزتها .

٢- الإشادة بالنظام العلماني في كافة صوره وأشكاله،وعلى كافة المستويات ،وإظهار النظام العلماني على أنه الطريق الوحيد للتقدم والتحضر،وأنه رفضه وممانعته دليل على التخلف والتأخر والجمود[3] .

المطلب السابع : موقف الإسلام من العلمانية :

إن الإسلام يرفض العلمانية و لا يقبل التعايش معها ؛ لأنها تتعارض معه في التوحيد ، وتنكر الغيب وتقول بنسبية الأخلاق ، وأن كل شئ يتطور وبالتالي تكون منازعة لدين الإسلام في أصله ، ومناقضة له في أساسه ولبه.

---

[1] - سقوط العلمانية ص ٣١.

[2] - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٧٦.

[3] - انظر : مذاهب فكرية معاصرة عرضٌ ونقدٌ ، أ.د محمود مزروعة ،ص ٤٩٩بتصرف ، دار الرضا ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .

والعلمانية بهذه الأفكار والمعتقدات تعلن مخالفتها للإسلام صراحة فهي نظام طاغوتي جاهلي كافر يتنافي ويتعارض تماماً مع شهادة أن لا اله إلا الله من جهتين :

أولاً : من ناحية كونها حكم بغير ما أنزل الله : إن من لوازم الإيمان الالتزام بالشريعة الإلهية حكماً بها وتحاكماً إليها ، باطناً وظاهراً ، وأن المقصود بالالتزام الباطن : اعتقاد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وأنه أفضل مما سواه ، وأنه لا يجوز لأحد كائن ما أن يخرج عن شريعته .

ويلزم من هذا الأمر الالتزام الظاهر بذلك بحيث تكون أساس حكم العبد وأساس تحاكمه ،وأن من لم يلتزم بذلك فقد نفى عن نفسه الإيمان حيث قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية ٦٥][1] .

وهذه المسألة من المسائل التي تحدث عنها العلماء قديماً وحديثاً وبينوا رأيهم بكل قوة ووضوح والعلمانية بما تسنه من قوانين وتشريعات يعتبر دخولها أولياً فيما قال به العلماء وسأنقل بعض أقوال أولئك العلماء حتى يتضح المقصود فمن ذلك :

يقول ابن حزم:"وقال عز وجل : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ [سورة التوبة : آية ٣٧] ، قال أبو محمد : وبحكم اللغة التي نزل بها القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون إلا منه ، لا من غيره ، فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال ، وهو تحليل ما حرم الله تعالى ، فمن أحل ما حرم الله تعالى – وهو عالم بأن الله تعالى حرمه — فهو كافر بذلك الفعل نفسه " [2] .

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى :﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة : آية ٥٠]:"ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المُحْكم ، المشتمل على كل خيرٍ ، الناهي عن كل شر،وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ،وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق ، وهو عبارة عن كتاب

---

[1] - انظر : العلمانية ص ٦٨٠، التشريع الوضعي في ضوء العقيدة الإسلامية ص ٢٨٤.

[2] - الفصل لابن حزم ٣/ ٢٤٥.

مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه ، فصارت في بنيه شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله – ﷺ– ، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله،فلا يحكّم سواه في قليل ولا كثير "[1].

ويقول الشيخ محمد بن إبراهيم رحمة الله:"من الممتنع أن يُسمِّي اله – سبحانه – الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً.بل هو كافرٌ مطلقاً،إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد"[2] .

ثم قال في تفصيل كفر الاعتقاد :"وهو أنواع أحدهما : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله ... الثاني : أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً،لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺأحسن من حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن التطور في الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضاً ريب أن كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة أذهان وصرف حثالة الأفكار على حكم الحكيم المجيد.

الثالث : أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله ، لكن اعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله ، في كونه كافراً الكفر الناقل عن الملة ...الرابع : أن لا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله ،فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله فهذا كالذي قبله ...

الخامس:وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسولهﷺ ومضاهاة بالمحاكم الشرعية ،إعداداً وإمداداً و إرصاداً وتأصيلاً، وتفريعاً وتشكيلاً وتنويعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات مرجعها كلها إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فلهذه المحاكم مراجع هى القانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة ...فهذه المحاكم الآن فى كثير من أمصار الإسلام مهيأة مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة ... فأي كفر فوق هذا الكفر وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة ... "[1].

---

[1] - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ١٣١/٣.

[2] - تحكيم القوانين ، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ ، ص ١٥ ، دار الوطن ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١١هـ.

[1] - تحكيم القوانين ، لمحمد بن إبراهيم ، ص ١٦ – ٢١ .

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:"وقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله ، أو أن هدي غير رسول الله – ﷺ- أحسن من هدي الرسول ، فهو كافر ، كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ، أو تحكيم غيرها ، فهو كافر ضال"(٢) .

ويضيف سماحته في فتوى أخرى قائلاً:"فالذين يتحاكمون إلى شريعة غير شريعة الله ، ويرون أن ذلك جائز لهم،أو أن ذلك أولى من التحاكم إلى شريعة الله،لا شك أنهم يخرجون بذلك عن دائرة الإسلام،ويكونون بذلك كفاراً ظالمين فاسقين"(٣) .

ويقول كذلك:"فكل من زعم أن تحكيم القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله أمر جائز أو أنه أنسب للناس من تحكيم شرع الله،أو أنه لا فرق بين تحكيم شرع الله وتحكيم القوانين التي وضعها البشر المخالفة لشرع الله عز وجل فهو مرتد عن الإسلام كافر بعد الإيمان إن كان مسلما قبل أن يقول هذا القول أو يعتقد هذا الاعتقاد "(٤)

وقال الشيخ عبدالرزاق عفيفي (٥):"إن من كان منتسباً للإسلام عالماً بأحكامه،ثم وضع للناس أحكاماً وهيأ لهم نظماً ليعملوا بها ويتحاكموا إليها،وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام،فهو كافر خارج من ملة الإسلام،وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك، ومن أمر الناس بالتحاكم إلي تلك النظم والقوانين أو حملهم على التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام،وكذا من يتولى الحكم بها وطبقها في كل القضايا،ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره مع علمه بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله "(٦).

وهذا التصريح من العلماء رحمهم الله بأن من لم يحكم بما أنزل الله تبارك وتعالى فقد خرج من ملة الإسلام أكبر دليل على ردة هؤلاء العلمانيين عن الإسلام وبعدهم عنه.

ثانياً : من ناحية كونها شركاً في عبادة الله .

---

(٢) - مجموع الفتاوى ٢٧٥/١

(٣) - المصدر السابق ٢٧٦/١،

(٤) - المصدر السابق ١٧٧/٦

(٥) - عبدالرزاق عفيفي : عالم ، مصري المولد والنشأة كان أحد المؤسسين لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر ، ثم انتقل إلى بلاد الحرمين ، وأصبح من علمائها ، ثم عين نائباً لرئيس هيئة كبار العلماء إلى أن توفي عام ١٤١٣هـ ، من مؤلفاته : الحكم بغير ما أنزل الله ، مذكرة التوحيد ، البورصة .(انظر : ذيل الأعلام لأحمد العلاونة ص ١١٨- ١١٩) .

(٦) - الحكم بغير ما أنزل الله ، لعبدالرزاق عفيفي ، ص ٦٤- ٦٥، دار الفضيلة ، الرياض ، عام ١٤١٧هـ

لا شك أن المهمة الأساسية التي خلق الله من أجلها الخلق هي عبادته وحده لا شريك له قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات : آية ٥٦] ومن أعظم لوازم تلك العبادة الصحيحة أن تبنى على التوحيد الذي جاء به الإسلام و العلمانية تخالفه تماماً من جهة الربوبية لما تتضمنه من منازعة صريحة لله تبارك وتعالى فهو الذي تفرد بخلق هذا الكون، ولذا يلزم منه تفرده بحق هدايته ،وتوجيه الخطاب الملزم إليه ، فالخلق والأمر من أخص الربوبية وأجمع صفاتها ، كما قال تعالى :﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ٥٤].وإذا كانت البشرية قل منازعتها لله تبارك وتعالى في عموم الخلق أو الأمر بخلاف الجانب الشرعي فقد حكى لنا القرآن من قال : ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [سورة غافر : آية ٢٩] وفي هذا العصر أخذت العلمانية ودعاتها نفس المقالة فهم يقولون : لا سياسة في الدين و لا دين في السياسة ! بل أن بعض دعاتها يصرح بأن القوانين الوضعية خير من الشريعة الإسلامية [(١)].

وكما يقول محمد رشيد رضا – في بيان معنى الشرك في الربوبية:هو إسناد الخلق والتدبير إلى غير الله تعالى معه ، أو أن تؤخذ أحكام الدين في عبادة الله تعالى والتحليل والتحريم عن غيره ، أي غير كتابه ووحيه الذي بلغه عن رسله[(٢)].

ونجد أن العلمانية قد أشركت في جانب توحيد الإلوهية فكما أنه من المقرر أن توحيد العبادة ينتظم من جانبين رئيسين توحيد الإرادة والقصد وتوحيد الطاعة والاتباع وقد أشار الله تعالى إلى هذين الجانبين في قوله تعالى :﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٦١- ١٦٣] وقد دلت الآية الأولى على توحيد الطاعة والإتباع،الآيتان التي بعدها تشيران إلى توحيد الإرادة والقصد،فلا يتوجه بالأعمال إلا إلى الله .والعلمانية تتمرد على شرع الله وحكمه وتحكيمه في شؤون الحياة فلا يجوز لمسلم أن يقول إن الإسلام لا يعادي العلمانية أو أن العلمانية ليست مضادة للعقيدة، والعلمانية تقول: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين ، وهي تقول:إن الاقتصاد لا علاقة

(١) - موقف الإسلام من العلمانية ص ١٠
(٢) - تفسير المنار ٢/٥٥

له بالدين ، والفن لا علاقة له بالدين ، وشئون الحكم لا علاقة لها بالدين وهي تقول باختصار: لا حكم لله في أي شأن من شئون الحياة الإنسانية[1].

وقد ذهب الجندي إلى أن الإسلام لا يعرف العلمانية،وإنما هي نبات غريب لا تتفتح له الآفاق ولا تتقبله،ذلك أن الإسلام إنما جاء ليقدم منهجاً جامعاً قوامه الروح والمادة والقلب والعقل لبناء المجتمع الأصيل فقد أقام الإسلام كل القيم على أساس العقيدة وقوامها المسئولية الفردية والجزاء الأخروي ... والعلمانية لا تمثل موقفاً حيادياً من الدين ولكنها تمثل موقفاً معادياً يستمد مفهومه من قاعدة أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله فهي تضع المسلم العربي في تناقض حاد مع قاعدة تكامل الإسلام وتنظيمه الواضح لأمور المجتمع من خلال توازنه و وسطيته وارتباطه بالمنابع وقيامه على الفطرة ، وكانت مرونة مناهجه قادرة على نقل كل متغيرات المجتمعات فهي في الوقت الذي تؤكد فيه ثوابت الإسلام تقبل الجديد والمتطور وفق مفهوم التقدم الجامع بين الروح والمادة ولقد كانت الأخلاق في الإسلام قيماً أساسية مرتبطة بالعقيدة وليست من منطلق القيم النسبية المتغيرة.ولذلك فقد أعطى الإسلام الإنسان منظومة جامعة قوامها الإيمان بالله تبارك وتعالى من خلال التوحيد الخالص و الاستفادة من قوة العقل ومن قوة كل ما هو مادي .فالإسلام يدفع إلى العمل بكل ما هو دنيوي والأخذ بكل ما هو دنيوي وأخروي في نفس الوقت "[2] .

المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من الفكر العلماني :

نجد أن أنور الجندي من العلماء القلائل الذين تصدوا للفكر العلماني الغربي وبينوا بكل قوة وصراحة تهافت هذا الفكر المنحرف. وأنه لا يمكن أن يكون هناك ارتباط بين العلمانية والإسلام فهناك حدود فاصلة وواضحة بين الإسلام والعلمانية ومن ذلك :

١- من حيث مصادر المعرفة :

بين الجندي أنَّ الإسلام في بيئته الفكرية الواسعة قد حدد منهجاً للمعرفة يختلف كل الاختلاف عن النظرية المعرفية الغربية فقال:" منهج المعرفة في الإسلام لا يقوم على الأوهام والعواطف والأهواء المضللة .ولا يعترف بالانحياز،أو الميل إلى جانب معين،ولكنه يستقيم على الحق في ضوء البرهان والدليل،ويعتمد على الوحى والعقل،ويجرى في إطار الفطرة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [سورة الروم : آية ٣٠].وهو منهج متكامل ، ليس

---

[1] - انظر : موقف الإسلام من العلمانية ص ١١-١٥ بتصرف.

[2] - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ص ١٤٧- ١٤٩.

عقلياً خالصاً ، وليس روحياً خالصاً ولكنه منهج جامع فريد متكامل ، يعطى للعقل طريقه ومنطلقه في الآفاق التي يستطيع الجري فيها والتحرك داخلها ، وخاصة في مجال العلم و التجربة والانطلاق في آفاق الأرض بالبحث والكشف.ثم يغطي المناطق الأخرى التي لا تستطيع التجربة ، أو العقل أو الحس اقتحامها والوصول إليها . وخاصة فيما يتعلق بالكون والحياة والوجود والنفس الإنسانية. فيطبق فيها منهج الوحى الذي قدمته الأديان إلى البشرية ،واستكمل نموذجه الأوفى في القرآن،عقيدة وشريعة وأخلاقاً.والإسلام في هذا لا يقر الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس وحده؛لأنه بذلك يكون قد تجاهل عالماً واسعاً كبيراً من الحقائق،لا تصل إليه الحواس،ولا يدركه العقل،ولا تصل إليه التجربة ، ذلك هو عالم الغيب"[1].

أما العلمانية فهي تعترف بمصدر واحد للمعرفة هو العقل،وترفض المصادر الأخرى كالوحي والإيمان بالغيب ، وهي بذلك تقف في الطريق المعاكس لكل دين من الأديان[2] .

ولهذا نجد الجندي يقول:إن النظرة العلمانية هي في حقيقتها نظرة جزئية قاصرة؛لأنها توقفت عند التجربة أو المحسوس وحده ، وليس هذا كل شيء في الحياة . وقد يقال إن هذا المذهب جاء نتيجة سيادة الدراسات التجريبية الغربية التي اتصلت بالعلوم الطبيعية ، ولكن المفروض أن المنهج العلمي التجريي له مجاله وميدانه ،وأنه قد اختص بجانب واحد من العلم ، ولكنه ليس صالحاً ؛لأن يكون منهجاً كاملاً للمعرفة ؛لأن المعرفة لا تكون عقلية محضة و لا تجريبية فحسب،و لا قائمة على المحسوسات وحدها "[3] .

٢- نقد الجندي لأسس وأفكار العلمانية :

لقد كان للجندي موقفٌ معارضٌ تماماً لتلك الأسس التي قامت عليها العلمانية فاجتهد في نقدها وتسليط الضوء عليها ومنها ما يلي :

١- المادية .

ويبين الجندي هذا الأساس بقوله:"ذهب غلاة الماديين إلى القول بأن المادة هي كل شيء،وأن الأنواع توالدت من بعضها عن طريق الصدفة،وأنه لا يوجد شئ حقيقي إلا المادة والقوة،وأن القوة من قوى المادة، وأنكرت المادية ما وراء الطبيعة إنكاراً كاملاً،كما أنكرت

---

[1] - سقوط العلمانية ص ٣٩- ٤٠ .
[2] - انظر : تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٨٧ .
[3] - سقوط العلمانية ص ٤١.

وجود الروح،وكل ما لا يدرك بالحواس،وقالت بأن المادة جوهر ومبدأ أول ، وأن المادة هي الكل الموجود،وأن مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطور متصل للقوى المادية"[١] .

ثم أخذ الجندي في نقد هذا الأساس فقال :" ولقد اتسع نطاق مذهب المادية ، حتى عمَّ الفكر الغربي كله ، وخلق ذلك الطابع المادي لحضارة الغرب . وقد جاء هذا الاتجاه نتيجة عدة مقررات توصل إليها بعض العلماء والفلاسفة . و لم تكن في واقع الأمر خالصة لوجه العلم،ولكنها كانت مشوبة بطوابع الخلاف العميق الذي نشب بين الدين والعلم . وكانت له آثاره البعيدة في الفكر الغربي كله . فلقد كانت الترعة المادية في حقيقتها رد فعل عنيف لمقاومة رجال الدين لمقررات العلم مما حدا بالعلمانيين إلى الوصول لآخر الشوط في التحدي ، وإنكار الغيب والروح والوحي ، وكل ما يتصل بالدين جملة غير أن هذه الترعة لم تلبث أن خفت من ناحية،وتضاعفت من ناحية أخرى،فهي قد خفت من ناحية مقررات العلم نفسه ، فقد عدل العلم موقفه،وصحح كثيراً من مفاهيمه،وآب إلى شئ من الاعتدال في الرأي . أما التضاعف فقد جاء من الفلسفة التي أخذت مقررات العلم،فتصرفت فيها تصرفاً خطيراً حيث أعلت من شأن المادية ونقلتها من ميدان العلم الطبيعي إلى مجال الفكر كله،وإلى مجال الاجتماع والنفس والأخلاق.وكان هذا هو أخطر التطورات التي تحركت باسم العلمانية"[٢] .

وقال:" أما العلم نفسه فقد رجع عن النظرية المادية ؛لأن الحقائق التي تكشفت له دفعته إلى أن يصحح موقفه.أما الفلسفة فإنها كلما زاد العلم اعتصاماً بالحق،زادت هي إمعاناً،في دعم النظرية المادية ، وتوسيع آفاقها.وكان أخطر تجاوزاتها في ذلك ما أطلق عليه العلوم الاجتماعية التي وقعت جميعها تحت سيطرة الفلاسفة اليهود،وقد حذر كثير من العلماء من خطورة هذه النظرة المادية إلى الحياة ،و أشاروا إلى خطورة ما قد يكون لها من الآثار السيئة على سعادة الإنسان وحريته .ونجد أن كثير من الفلاسفة وقفوا في صف النظرة العلمية ، وأنكروا تجاوز الفلسفة.بل أن هناك من ربط بين المادية وبين الفلسفة،وليس بينها وبين العلم إذ تجاوز العلم هذه المرحلة من وقت بعيد ، ولكنها ظلت قائمة مع الفلسفة.وأن علاقة المادية بالفلسفة قامت في مواجهة المثالية والروحية،وأن هناك رباطاً وثيقاً بين الفلسفة والمادية.وليس كذلك بين العلم والمادية،ومن أكبر هؤلاء الباحثين «البرت لا نجه » والحق أن

---

[١] - المصدر السابق ص ٥١.

[٢] - المصدر السابق ص ٥١-٥٢.

العلم قد ارتبط بالمادية في مرحلة من تجاربه، لم يكن قد انكشف له وجه الحق.ولكنه لم يلبث أن تجاوز هذه المرحلة حين تبين له أن هناك عالماً مجهولاً،هو عالم الغيب،وأن طرقات خفيفة اليوم على باب الغيب تكشف عن علامة واضحة بين العالمين "[1].

ثم أخذ الجندي في عرض أقوال بعض العلماء الغربيين والمسلمين الذين نقضوا هذا الأساس وسأكتفي بذكر عالمين وهما :

١- كرسي موريسون (رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك) حيث قال:" إن تحطيم ذرة النيون التي كانت تعد أصغر قالب في بناء الكون إلى مجموعة نجوم مكونة من جرم مذنب والكترونات طائرة قد فتح مجالاً لتبديل فكرتنا في الكون والحقيقة تبديلاً جوهرياً . ولم يعد التناسق الميت للذرات الجامدة يربط تصورنا بما هو مادي ، وأن المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم لتدع مجالاً لوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة ، وان الاكتشافات الحديثة قد بعثت النتائج التي وصل إليها الفلاسفة . والتي كانت قد حجبتها تماماً نظرية دارون . إن وجود الخالق لتدل على تنظيمات لا نهاية لها. تكون الحياة بدونها مستحيلة . إن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر الفاخرة لذكائه ، إنما هي جزء من برنامج ينفذه بارى الكون"[2].

٢- د. أحمد فؤاد الأهواني[3] حيث قال:" كان الظن إلى عهد قريب أن المادة لا تنقسم إلى ما لانهاية له. بل تقف عند جزء لا يتجزأ ، هو الذي سموه الذرة أو الجوهر الفرد ثم أثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة ، فبعض الذرات تنفجر من تلقاء ذاتها كذرات الراديوم واليورانيوم وغيرهما من العناصر ذات النشاط الإشعاعي ، وبذلك انطلقت المادة الذرية وأصبحت طاقة يمكن استخدامها في أغراض الحرب والسلم ، وتغير مفهوم المادة القديم فأصبحت المادة طاقة .وأمكن تحول المادة إلى طاقة،والطاقة إلى مادة،وأصبحت المادة والطاقة مظهرين لشئ واحد .وكانت معارضة المادية القديمة للأديان من جهة قولهم:إن المادة هي كل شئ ، هي أصل العقل والشعور،وليس العقل إلا إفرازاً من إفرازات المخ . أما الخلاف الفلسفي بين مادية اليوم ومادية الأمس،فإنه يقع في الاتجاه الحديث الذي يسلم بالقيم "[1].

---

(1) - المصدر السابق ص ٥١- ٥٣.

(2) - المصدر السابق ص ٥٣- ٥٤.

(3) - أحمد فؤاد الأهواني (١٩٠٨م – ١٩٧٠م) ، مفكر مصري . ولد بمحافظة الشرقية وتخرج من قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة .تدرج في عدة وظائف حتى أصبح أستاذاً بكلية الآداب بجامعة القاهرة . توفي بالجزائر عندما كان يعمل بجامعتها . من كتبه : فجر الفلسفة اليونانية ، والمعقول واللامعقول .(انظر : الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٣٥٨).

(1) - سقوط العلمانية ص ٥٧.

٢- إنكار الغيب والميتافيزيقا:

ذهب زكي نجيب محمود وغيره من العلمانيين إلى أن الماورائيات والميتافيزيقيات مجرد خرافات ونقد الجندي هذا الأساس، بقوله:"ولا ريب أن القول بإنكار عالم الميتافيزيقا:عالم ما وراء الطبيعة لم يقل به العلم،وإنما قال به الفلاسفة الماديون وحدهم؛ذلك لأنه المنطلق الوحيد إلى الغاية التي قامت على نظريات ومذاهب مختلفة منها المادية الجدلية والمادية التاريخية"[٢].

ورفض الجندي أفكار زكي نجيب محمود فقال :" ونحن نعرف أن الدكتور زكي نجيب محمود يتمسح بالعلم ، بينما هو يصر على مفاهيمه المادية الفلسفية التي يقول بها:أن كل ما لا يقع تحت حاسة من الحواس مثل موضوع الميتافيزيقا ، فالقول به فارغ؛لأنه قول غير موضوع[٣] ...ولا ريب أن هذا القول هو انسحاب تام من مجال الفكر الأصيل ، ومن ثم فإن القائل به لا سبيل إلى أن يلتقي مع الفكر الإسلامي في طريق؛لأن الفكر الإسلامي يقوم على الإيمان بالغيب والقيم وتوحيد الحق تبارك وتعالى ،ويؤمن بالجزاء واليوم الآخر ، وكلها عند زكي نجيب محمود خرافات "[٤].

ويقول الجندي :" تحاول العلمانية أن تصف العقلية الإسلامية بأنها عقلية غيبية ، وربما وصفت العقلية العربية في العصر الحديث بأنها غيبية.ومرد ذلك في الاتهام يؤمن بالغيب ، ويقرر وجود عالم الغيب . ولكن هل هذا التكامل في النظرة الجامعة بين التجريب والغيب ، أو عالم المحسوس،وعالم الغيب،هل هذا التكامل يمكن أن يصم العقلية الإسلامية بأنها غيبية، أو لا يحق لمفهوم في المعرفة بتجاوز الواقع المحسوس إلى الآفاق البعيدة في اتساع النظرة أن يوصف بأنه فكر قائم على التكامل والشمول.هل إذا قصرت نظرة فكر عند المادة والعقل المحسوس تحت اسم وجهة النظر العلمية يكون ذلك أقدر على استكناه الحياة والوجود من فكر تتسع آفاقه ، فتشمل إلى جانب المادة ، والعقل المحسوس أفقاً آخر هو جانب الروح والقلب.وعوالم البصيرة و الإيمان والفطرة ، هل إذا اتسع الأفق على هذا النحو . فتشمل كل مناهج المعرفة التي تعطي الإنسان اكبر العطاء ، أطلق على هذا الفكر صفة الفكر الغيبي ، ووصفت العقلية الإسلامية بأنها عقلية غيبية . لقد حرر الاسلام البشرية من العقلية الغيبية

---

[٢] - الفلسفات المعاصرة ص٢٨ ، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٣١١.

[٣] - لا بد من التنويه أن د. زكي نجيب محمود قد رجع في آخر حياته عن بعض أفكاره العلمانية ، فنجده على سبيل المثال غير مسمى كتابه «خرافة الميتافيزيقا » إلى « موقف من الميتافيزيقا » ، بل قد تبنى النموذج الإسلامي وأصبح يدعو إليه وهو ما فعله في كتابه « رؤية إسلامية » .

[٤] - الشعوبية في الأدب العربي الحديث ص ٦٦.

التي تقوم على الوهم ومتابعة الآباء دون برهان ، والتقليد الأعمى ، والإيمان بالخرافات والأساطير والأوهام وما أقامه الفكر البشري من وثنية وإلحاد ومادية فكيف توصف العقلية الإسلامية بأنها عقلية غيبية .لربما كان الوصف العقلية العربية في العصر الحاضر بأنها عقلية غيبية من حيث أنها خرجت عن مفاهيم الإسلام،وانحرفت تحت تأثير النفوذ الأجنبي،والغزو الثقافي عن المفاهيم الأصلية التي قدمها لها الاسلام بعد أن خضعت لتعاليم الماسونية، ومناهج الارساليات ، والقانون الوضعي ، والوثنيات التي تسوقها سوقاً إلى عالم الأساطير.هذا هو مدلول الغيبية مدلول الانحراف عن النهج العلمي الأصيل،وعن الدليل والبرهان وعن سلامة النفس في إصدارها للأمور وحكمها في القضايا ... ودعا إلى التجربة هذا المنهج لا يوصف بأنه منهج غيبي ؛ لأنه أكثر اكتمالاً من وجهة النظر العلمية التي تقصر النظرة على المادة و المحسوس والعقل ، وبذلك تفوقها حقائق كثيرة"[١] .

٣- نزع القداسة عن كل المقدس فهم يرون كل شئ يتطور ولا يوجد ثبات أبداً .

وقد ناقش الجندي هذا الأساس عند حديثه عن آثار نظرية دارون[٢].

٤- العقلانية المطلقة فعندهم حرية الفكر وإطلاقه من كل الضوابط والقيود.

لقد نقد الجندي هذا الأساس بقوله :"من أخطر ما تعتمد عليه العلمانية في إقرار منهجها العقل.وقد أعلت المادية من شأن العقل حتى وصفته بالقداسة، والعقل في حقيقته واحد من معطيات كثيرة للإنسان ، منها الإرادة والعاطفة والروح والنفس والقلب ، وبالعقل يتميز الإنسان عن الحيوان والنبات ، وبالعقل تدرك قوانين الأشياء ، والعلاقة الثانية التي تربط أحدهما بالآخر ، وهو مناط التكليف الشرعية في الإسلام . ولكن نظرة الإسلام له تكشف عن أنه جزء من شئ أكبر ... ومن هنا يكون الخطأ الذي تقول به العلمانية والمادية من أنه لا توجد حقيقة غير خاضعة للعقل ، ذلك أن هناك حقائق كبرى لا يستطيع العقل أن ينظر فيها . وأن العقل في حدود وظيفته وقدرته ليس مكلفا بهذه الحقائق ، وليست له القدرة أو الأجهزة التي تمكنه من النظر فيها . والعقل بداهة ترى أن الكون مصنوع ، ولا بد له من صانع ، ولذلك فإن الإلحاد هو عصيان بداهة العقل والاسلام و لم يهدنا إلى شئ يعارض العقل والفطرة . فالشريعة تطابق العقل والفطرة وعوالم الغيب من وجود الملائكة ، ودار الثواب والعقاب كلها أمور ممكنه يدركها العقل و لا تجافي أحكامه ،

---

[١] - سقوط العلمانية ص ١١١-١١٢، مقدمات العلوم المناهج ٨/ ٢٦٦-٢٦٧.

[٢] - انظر: ص ٢٨٢ من الرسالة .

ولا يستطيع العقل أن يقيم الدليل على عدم وجودها . ومن هنا وفي ضوء هذه الحقائق يبدو اعتساف النظرة العلمانية القائلة بسيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة منكرة كل وسائل المعرفة الأخرى من وحى وقلب وتاريخ وفطرة، وهو قول لا يراد به إلا إبعاد الدين عن مجال التوجيه وإحلال العقل محله ،أو إحلال المعرفة بديلا عن الإيمان .ولن تستطيع البشرية أن تجد طريقها الحق إذا أبدلت بالدين العقل ، أو جعلت المعرفة بديلاً للإيمان،فالعقل والمعرفة قيمتان معرضتان للأهواء والأخطار والعجز الذي تحيز منهما من كل مكان.وليس في الإمكان إخضاع الدين للعقل ، وستبقى العقلانية والتجريبية في مكان العجز والقصور [1].

٥- نسبية القيم والأخلاق وارتباط ذلك بالبيئة فهم يرون أن الأخلاق مرتبطة بالمجتمع.

وقد قام الجندي بنقد هذا الأساس فقال :"من أخطر ما وصلت إليه فكرة العلمانية القول بنسبية الأخلاق ، والقول بتطورها تبعاً لعامل الزمان والمكان،واختلاف ظروف الحياة ، وهو منطلق يرمى إلى التحرر من الضوابط الأخلاقية ، والمثل العليا جملة ، وينسجم هذا الاتجاه في الفلسفة المادية مع القول بأن الحياة نهاية كل شئ.وأن حقيقة البعث والجزاء هي في نظرها من الغيبيات التى لا تقع تحت طائلة الحس أو مجال التجربة .والواقع أنه لما كانت إرادة الإنسان أساسا هي منطلق المسؤولية الفردية في الحياة . فقد كان لا بد لهذه المسؤولية من محاسبة وجزاء . ولم يكن أن توجد الحياة عبثاً . وأن رسالة الإقامة في هذا الكون ترتبط مسؤولية وأمانة ورسالة لها قواعدها وأصولها،ثم هي مقدمة لبعث وحساب وجزاء ، وإلى جانب المسؤولية الفردية التي هي مناط التكليف،هناك الالتزام الخلقي في التفرقة بين الخير والشر ، والتماس الخير ، ومفهوم الالتزام يقتضي أن يكون التفرقة بين الخير والشر، والتماس الخير ، ومفهوم الالتزام يقتضى أن يكون الإنسان قادراً على تجاوز الرذيلة والتماس الفضيلة . وقد دعا القرآن إلى الالتزام الخلقي وكشف عن أن النفس الإنسانية قادرة على تجاوز الشر . وأن إرادة الإنسان لكفيلة بردها ، وأن في النفس قوة كامنة تهئ التوجيه و الإرشاد وتحدد للإنسان ما يجب عمله ، وما يجب تحاشيه ، والنفس الإنسانية في تقدير القرآن ليست شريرة في أصلها ، والأمر في الالتزام الخلقي متوقف على مدى استخدامنا للقوى العليا التي أودعها الله فينا . فالأخلاق في مفهوم الإسلام ثابتة ؛لأنها مرتبطة بالإنسان نفسه الذي تشكلت قواه على النحو الذي يجعله قادراً على تبين طريقه في أي عصر وفي أي بيئة ... ومحاولة القول بنسبية الأخلاق في مفهوم العلمانية والفلسفة المادية ،فانه مرتبط بإنكار البعث يستهدف

[1] - سقوط العلمانية ص٨٥، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٢٥٠.

القضاء على فكرة الإلزام التي هي أساس تطبيق الأخلاق،ذلك أنه إذا انعدم الإلزام انعدمت المسؤولية ، وفقدان المسؤولية يؤدي إلى ضياع الحق نفسه، واستحالة إقامة أسس العدالة"(١).

٦- فصل الدين عن الحياة :

رفض الجندي وعارض هذا الأساس وعده من أخطر الشبهات التي جاءت من عند الغرب لغزو العالم الإسلامي فهو يرى أن قاعدة فصل الدين عن السياسة قاعدة أوربية محضة سبب حدوثها أن الدين في أوربا توصل إلى تكوين سلطة مستبدة قادت العامة والملوك فصبرت الحكومات قروناً تحت نيرها ثم بدأت في إلقائه عنها،ونشأت من ذلك حروب حتى تغلب الآخرون ، وقرروا فصل الدين عن السياسة،فهل تنطبق هذه القاعدة على ديانتنا الإسلامية في شكلها الخاص . ليس في كتابنا أن تكون لنا هيئة رئاسة دينية بإزاء هيئة رئاسة دنيوية ،بل إن الإسلام رمى إلى هدم ما كان يسمى بالسلطة الدينية وقوض كل أساس يمكن أن تنبني عليه تلك السلطة والإسلام قانون عام للأفراد والأمم على مثال القوانين الأخلاقية المعروفة . ولكن مع هذا الفارق الكبير،وهو أن الإسلام قانون شامل لجميع مطالب الروح والجسد وقابل للانطباق على كافة الأمم بتوحيد مراميها ومقاصدها،ومعنى فصل الإسلام عن السياسة فصل الأخلاق العامة عن السياسة ولا يقول بهذا عاقل (٢) .

ونبَّه الجندي إلى أن طرح مثل هذه المفاهيم في أفق الإسلام والمجتمع الإسلامي فيه تجاوز كبير؛فالعلم نشأ في أحضان الإسلام و لم يقع خلاف في بلاد الإسلام بين العلم والدين، والمسلمون يعتبرون الأخلاق جزءاً من الإسلام لا تنفصل عنه،ولذلك فإن هذه المحاولة كانت خطيرة وماكرة،لتستهدف إخراج المجتمع الإسلامي من النظام الرباني الذي تشكل عليه منذ خمسة عشر قرناً،ولقد كان منهج الإسلام بطبيعته مرناً قادراً على تقبل المتغيرات وتكامل القيم(٣).

ويقول الجندي:"وجملة القول في هذا:أن الإسلام يربط بين علاقة الإنسان بالله وعلاقة الناس بعضهم ببعض ويوجه العلاقتين،وهو لا يقف عند الجانب الروحي وحده ولكنه يشمل النشاط الإنساني بأسره ، الفردي والاجتماعي.ومثل هذه النظرة تمنع بطبيعة الحال الفصل بين أمور الحياة الدينية والدنيوية وتمنع الفصل بين ما لقيصر وما لله . فالارتباط في الإسلام بين الدين والسياسة عميق وأساسي وهو في هذا يختلف عن الفكر الغربي الذي فصل بين

---

(١)- المصدر السابق ص ٨٩- ٩١.

(٢) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ٢٢٧-٢٢٨.

(٣) - التيارات الوافدة ص ٢٤.

مسائل الاعتقاد ومسائل الحياة العملية واعتبر كلا منهما ينتمي إلى مملكة مغايرة للأخرى . لقد فصلت أوربا بين الدين والسياسة نتيجة تاريخ طويل من تحيز الكنيسة التي فرضت الظلام والتخلف والجمود باسم الدين ، أما الإسلام فقد حرض على العلم والنهضة والتقدم وفتح الآفاق أمام التطور"[1].

وهذا الفصل الذي ينادي به دعاة العلمانية يناقض الفطرة الصحيحة من وجهين :

١- أنَّ الغريزة الدينية الفطرية في الإنسان تتطلب أن يكون الدين شاملاً لشؤون الحياة وليس مقصوراً في مظاهر التعبد المحضة فقط،فقد كانت التشريعات الوضعية القديمة تنسب إلى الآلهة لتبرر مشروعيتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فكانت"الفكرة الدينية الناضجة هي التي لا تجعل من الإلوهية مبدأ تدبير فعال فحسب،بل مصدر حكم وتشريع في الوقت نفسه"[2].

٢- أنَّ الإنسان كل لا يتجزأ،وليس بالإمكان فصل عقيدته ومشاعره عن ممارساته وتصرفاته بصورة دائمة،ولذا فمن التناقض أن يعترف المجتمع بالدين فيما يتعلق بالجوانب الروحية ويستبعده في الجوانب الاجتماعية والممارسات والأنظمة والتشريعات[3].

٣- أجاد الجندي في بيان نظرة وموقف العلمانية من الدين فذكر أن أخطر ما تعارضه العلمانية هو الدين،وأن ما وصلت إليه من إقرار نظرة علمية فلسفية تختلف عن منهج العلوم التجريبية ، ويتميز بالتحرر من العقائد الغيبية ، والعواطف لا تحت أسم العلمانية ، إنما هو تقدير أصحابه بديل عن الدين ، وأن هذا المنهج يستهدف تفسير الحياة والمجتمع : تفسيراً حسياً ،زمانياً دنيوياً ، ليحرر البشرية من الأديان التي تتسم بأشياء ثلاثة خطيرة : الغيبيات ، والأساطير،الغائية والحياة الآخرة ، وأن هذا المنهج يستهدف :

أولاً:التحرر من قيود الأديان التي تضعها للمعرفة البشرية ، والتي لا يمكن تخطيها .

ثانياً:رفض اعتبار الدين أساساً لحياة الجماعات البشرية .

ثم تقدم العلمانية في منهجها مجموعة فروض :

الفرض الأول:أن الكون مستقل في ذاته تفسره القوى والقوانين التي تتشكل منه أو تسوده فلا يحتاج إلى أية قوة خارجية يستعين بها في تفسير ما يحدث فيه .

---

(١) - قضايا العصر في ضوء الإسلام ص ٢٢٨ .

(٢) - التشريع الوضعي في ضوء العقيدة الإسلامية، لمحمد حجر القرني ،ص ٢١٥ ،رسالة ماجستير ،بجامعة أم القرى ،غير منشورة .

(٣) - المصدر السابق ، نفس الصفحة .

الفرض الثاني:أن الطبيعة والمجتمع في حركة وتغير لا ينقطعان ، والنشاط البشري في تطور دوماً إلى الأمام لا يعرف الغائية ولا الاستقرار.

الفرض الثالث:هو أن الأديان مهما اختلفت فهماً في نظرتها إلى الكون والمجتمع والإنسان واحدة،وأنها تعتبر العالم الذي نعيش فيه محطة انتقال إلى عالم أخروي أفضل.ولذلك فإن السلوك أن يتجه بكليته إلى العالم الآخر ...والحق أن العلمانية هي النتاج الأخير للمحاولات الخطيرة الدائبة منذ عصر التنوير في أوربا من اجل هدف خطير تستهدفه الأيدلوجية التلمودية وتعمل دائبة له عن طريق الفلسفة المادية ونظرياتها المتعددة التي انتقلت خلال مراحل عديدة.واستهدفت معارضة وجود الله والأديان والرسل،والكتب السماوية من ناحية أخرى.وإقامة دين جديد يحل محل الدين الحق المترل بالوحي من عند الله،هو دين البشرية المتحررة بالإلحاد من الإلوهية ،والمستعبد بالعلمانية للربا ،والجنس والوثنية،والإباحة، والذهب[1] .

و بيَّن الجندي تهافت هذه النظرة فقال:"لقد كان الخطأ الكبير الذي وقعت فيه العلمانية ،وهي تنعى الدين وتشهر به أنها اعتمدت على تفسيرات زائفة ، ولم تعتمد على أصول أصيلة لدين الله الحق ، وأنها نظرت من خلال مرحلة محدودة لها ظروفها وطبيعتها . وعجزت أن تنظر نظرة كلية لتحيط بالقضية من مختلف أبعادها.وأن العلمانية حين تصف الدين بأنه مجموعة من الغيبيات والأساطير،والخرافات،والأوهام .إنما كانت تصف واقعاً أمامها ، غير أنه لم يكن في الحقيقة كل الدين،وأنها حين تصف أتباع الدين بأنهم أصحاب عقلية غيبية.فإن ذلك لا يزعج أصحاب بيئة معينة،أو أنهم حين يقول قائلهم:الدين أفيون الشعوب،أو مصدر الاستبداد،أو خداع الضعفاء وتعليقهم بالجنة والآخرة .كل هذا وراد في حدود النموذج الذي كان موضع التحدي ورد الفعل"[2] .

ونبَّه الجندي أن العلمانية لم تستطع أن تحقق هدفها في هدم الدين في المجتمعات الأوربية أو تخرجها إخراجاً كاملاً من مضامينه وقيمه. بالرغم من حملتها الضخمة على الإلوهية والأخلاق والبعث . ويقول : "هناك حقيقة لا تقل أهمية : هي أنه يوجد في أوربا المعاصرة يقظة دينية جعلت العلمانية تقف موقف العاجز عن متابعة السير ، هي نقطة الشعور الديني على الصعيد الفردي والاجتماعي والسياسي . وهذا يعني أن العلمانية لم تستطع أن تحصر

---

(1) - سقوط العلمانية ص ٩٥-٩٦، مقدمات العلوم والمناهج ٨/ ٢٥٨- ٢٥٩

(2) - المرجع السابق ص ٩٧ - ٩٨.

الدين في الفرد فقط ، و لم تستطع أن تجعل أبناء الطوائف المختلفة الذين يعيشون في بلد وآخر يشعرون أنهم إخوة في الوطن بصرف النظر عن أنهم إخوة في الدين . ولا يمكن الجزم بأن العلمانية قد نجحت في تحقيق غايتها وهي إقامة دولة ينحصر فيها الدين على الصعيد الفردي فقط ، ذلك أن الصعيدين الاجتماعي والسياسي ليسا سوى نتيجة حتمية الصعيد الفردي"[١].

«تــعــقــيــب»

[١] - انظر : الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام ص ٣٣، سقوط العلمانية ص ١٣٩- ١٤٠.

لقد خاض الجندي مع العلمانيين مواجهات قوية جعلت منه خصماً ونداً لهم مما جعل بعض أولئك العلمانيين مثل «محمد أركون» يحتقر كتابات الجندي ويصفها بالأحكام التعميمية المزعجة ، والتبسيطات السطحية الرديئة ، والتعبيرات الهائجة ، والأوامر الاعتباطية ، والهواجس العصابية التي تُغذّي الوعي الخاطئ للخطاب الإسلامي [1]. وهذا بالتأكيد كلام بعيد عن الصحة والواقعية ، بل هي من التلفيقات و التلبيسات الغرض منها التغطية على سوأته وانحرافاته، مع أن النص الذي نقله «أركون» لم يكن يحمل شئياً من تلك الأوصاف الجائرة ، بل كان الجندي يعدد مبادئ الإسلام وتعاليمه وقيمه بكل هدوء ووضوح[2].

وقد اتضح من خلال جهود أنور الجندي في مواجهة العلمانية ونقده لهذا الاتجاه الفكري الخبيث الذي فرض سيطرته على معظم بلدان العالم الإسلامي ومناقشاته لتلك القضايا بعض الأمور منها :

١- قام ببيان معنى العلمانية ، وتوضيحها بعبارة تعطى دلالة واضحة على ما قامت عليه العلمانية من فكر غربي مادي إلحادي .

٢- ذكر الجندي بعض الأسس والأفكار التي قامت عليها العلمانية ، ولكن يؤخذ عليه عدم ترتيبها ترتيباً علمياً ، بل ذكرها مفرقة،ومن ناحية أخرى لم يذكر شواهد وأدلة من كلام بعض العلمانيين على هذه الأفكار والأسس .

٣- اعتمد الجندي كثيراً على العقل في ردوده ومناقشاته على العلمانية ودعاتها ، وكان استخدامه لنصوص القرآن والسنة قليل مع أنه كان يناقشهم في مسائل تحتاج إلى إيراد النصوص الشرعية في مسألة الفصل بين الدين والسياسة ، وتنحية الغيب .

٤- ذكر الجندي أن العلمانية جاءت نتيجة نظرة أساسية مستمدة من أقوال المسيح"دع ما لقيصر لقيصر وما لله "،لكن الجندي لم يتعرض لهذه العبارة بنقد أو تحليل عن مدى صحتها ، وملائمة تطبيقها على كل الأحوال والظروف ، وخير من ناقش هذه العبارات وبين ما احتوت عليه من مغالطات د. سفر الحوالي حيث ذكر – حفظه الله – ما ملخصه : إن كل ما روي عن المسيح من أقوال ليست منسوبة إليه يقيناً ، بل ولا ظناً راجحاً ؛ فالكنيسة بدلت وحرفت وأضافت وحذفت حتى طمست تعاليمه وأقواله ودفنتها إلى الأبد ، وهذا القول مما يجوز أن يقال فيه – مبدئيا – إن المسيح لم يقله وإنه من إضافات الكنيسة ،

---

[1] - انظر : تاريخية الفكر ، لأركون ص ١٢٣.

[2] - انظر : المصدر السابق ص ١١٩-١٢٣، العلمانيون والقرآن ص ٧٦٨.

ومادام البحث العلمي يقرر أن الأناجيل كلها ظنية الثبوت ظنية الدلالة فكيف يسوغ للكنيسة أن تحتج بهذه الظنيات في مسألة بالغة الخطورة كهذه ؟

ويمكن توجيه النقد لهذا النص من أوجه :

١- أن هذه العبارة ظاهرها الأمر الصريح بالشرك " أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله "فهي تجعل قيصر شريكاً لله في التوجه إليه بالعمل ومن ينفذها عن ظاهرها يقع حتماً في شرك الطاعة والإتباع وهو شرك أعظم،لتنافيه مع توحيد الألوهية ، وهذه الدلالة تكفي لنفي صدور العبارة من المسيح عليه السلام ، لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إنما بعثوا لتحذير الجماعة البشرية من الشرك وتنفيرها منه جليلة ودقيقة ، فكيف يأمر نبي من أنبياء الله من أولى العزم بالشرك ويدعو إليه بهذه الصورة ؟

٢- أن هذه العبارة مجتزأة من نص لا يفهم منه عند تمامه هذا المعني الذي أدعته الكنيسة فالنص كما يقول متى في إنجيله:"ذهب الفريسيون وتشاوروا لكي يصطادوه بكلمة ، فأرسلوا إليه تلاميذهم مع الهيرودوسيين قائلين : يا معلم إنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس ، فقل لنا ماذا تظن : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع خبثهم وقال:لماذا تجربونني يا مراؤون، أروني معاملة الجزية ، فقدموا له ديناراً فقال لهم:لمن هذه الصورة والكتابة:قالوا له :لقيصر:فقال لهم أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله.فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا "[1]،فالمسيح عليه السلام وأتباعه كانوا قلة مضطهدة تتبنى دعوة جديدة ناشئة ، فلم يكن باستطاعتهم أن تصطدم بالإمبراطورية الطاغية وتواجهها بعداوة سافرة ، فكان من غير المناسب إنكار دفع الجزية للجابي الروماني الذي يجمعها من كل الرعايا ويدفعها إلى الطاغوت قيصر ، ولكن هذا لا يعني أبداً أن المسيح عليه السلام يقر ذلك الواقع الظالم ،ويعترف لقيصر بحق مساواة الله في خلقه ويجعله شريكاً له في ألوهيته كما فهمت الكنيسة،وإنما هو إجراء مؤقت تقتضيه ضرورة الواقع وطبيعة الدعوة المرحلية[2] .

المبحث الخامس : القومية و يشتمل على تمهيد و ستة مطالب :

(1) - إنجيل متى ٢٢/١٤-٢٣

(2) - انظر : العلمانية ،د. سفر الحوالي ص ٦٥- ٦٧ بتصرف .

المطلب الأول : تعريف القومية وأسسها .

المطلب الثاني : أهداف القومية .

المطلب الثالث : نشأة القومية في العالم الغربي .

المطلب الخامس : موقف الإسلام من القومية .

المطلب السادس: موقف أنور الجندي من القومية.

المبحث الخامس

القـومـيـة

ويشتمل على تمهيد ومطالب :

التمهيد :

سأتحدث – بمشيئة الله – في هذا المبحث عن القومية من حيث تعريفها،وأسسها، ونشأتها ، وأهدافها،وبيان مواجهة الجندي لها،وسنجد أن هذه الدعوة بالفعل أدت إلى تقويض وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم،وزرعت بينهم الشقاق والخلاف بدلاً من الوحدة وجمع الكلمة،ورفعت شعارات ورايات تنادي بروابط تحصر الولاء والاجتماع في دائرة الجنس واللغة والتاريخ دون النظر إلى رابطة الاعتقاد، وهذه الدعوة كما في ظاهرها تبدو صادقة تخدم المجتمع العربي وتوحد كلمتهم وتجمع رايتهم،ولذلك انخدع بها كثير من العلماء والكتاب الذين لهم مجال كبير في خدمة الإسلام ونشر تراثه ، ولكن بعضهم ما لبث أن عرف حقيقة هذه الدعوة الخبيثة ، وأنها من وسائل الغزو الفكري الذي استخدمها المستعمرون في غزو العالم الإسلامي .

المطلب الأول : تعريف القومية وأسسها :

أولاً: في اللغة :

القومية : نسبة إلى قوم وأنثت وهي مصدر صناعي[1] .

وتأتي في اللغة بمعنى: القوم ، قال الأزهري :"القوم: للرجال دون النساء ومنه قوله الله : ﴿ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ ﴾ [سورة الحجرات: ١١] أي رجال من رجال ، ﴿ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ ﴾ [سورةالحجرات: ١١] قال:وقوم كل رجل شيعته وعشيرته " [2].

وقال الكفوي: القوم هو اسم لجماعة الرجال لأنهم القوامون بأمور النساء"[3].

وقال الفيومي:" قوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه في جد واحد،وقد يقيم الرجل بين الأجانب،فيسميهم قومه مجازاً للمجاورة وفي التنزيل ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة يس:آية ٢٠]، قيل كان مقيماً بينهم و لم يكن منهم ، وقيل كانوا قومه.."[4].

وفي المعجم الوسيط : القوم : الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها.وخصصت بجماعة الرجال [1].

---

[1] - انظر : فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح عبدالله العبود ص ٥، دار طيبة ، الرياض ،ط الأولى ، عام ١٩٨٢م .

[2]- تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٣٦/٩ .

[3]- الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٧٢٨ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية عام ١٤١٦هـ .

[4]- المصباح المنير ، أحمد الفيومي ص٥٢٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ومن خلال ما سبق من معاني للقومية في اللغة يخلص الباحث إلى أن اللفظة تعني :

١- الجماعة .

٢- الشيعة والقرابة.

٣- النهضة يقال :قاموا قومة واحدة .

إذن القومي : من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضرة [٢].

ثانياً : اصطلاحاً :

تعددت وتباينت تعريفات الباحثين للقومية ومن أبرز تلك التعريفات أن القومية هي

١- " حركة سياسية فكرية متعصبة ، تدعو إلى تمجيد العرب ،وإقامة دولة موحدة لهم ، على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ ، وإحلالها محل رابطة الدين ، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا"[٣].

٢- " مجموعة الروابط الثقافية الناجمة عن تعايش مجموعة بشرية في مكان واحد ، ولها تاريخ واحد ، ومصالح مشتركة " [٤].

٣- " إحساس وجداني بالانتماء إلى العروبة ، والرغبة في تحقيق الوحدة السياسية ، وتأكيد القومية العربية " [٥].

٤- "انتماء طائفة من الناس لمكان ما ، وجمعت بينهم وحدة العادات واللغة والتاريخ والثقافة والجنس " [٦].

٥- " ظاهرة تمجد جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت ، ويجمعها تراث مشترك ، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة " [٧].

٦- وعرفها الجندي بقوله :" القومية هي عاطفة ومثل أعلى في وقت واحد ، وهي تمثل خطة لمستقبل وتقتصر على مجموعة من الناس لهم كيان الأمة "[١].

---

(١) - انظر : المعجم الوسيط ص ٧٦٨.

(٢) - المعجم الوسيط ص ٧٦٨.

(٣)- الموسوعة الميسرة ٤٤٨/١.

(٤) - القومية العربية والإسلام ، محمد خلف الله ص ٢٠، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت . ط الأولى ، عام ١٩٨١م .

(٥) - تحليل مضمون كتابات الفكر القومي العربي، السيد يس ص٨٤ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٩٨٤م .

(٦)- أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ص٣٣ ، عن فكرة التنوير بين أحمد لطفي السيد وموسى سلامة ص٢١٩ .

(٧)- الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ص٢٢٥، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط التاسعة ، عام ١٤١٣هـ.

(١)- القومية العربية والوحدة الكبرى ، أنور الجندي ص٧ .

وعند النظر في هذه التعاريف تجد الاختلاف والتباين في التوصل إلى مفهوم صحيح محدد يقنع حتى هؤلاء القوميين،وذلك نتيجة التبعية والتقليد الحاصلة عند العرب وخاصة دعاهًا على حد تعبير «نازك الملائكة»(٢) من أن التعريف أمر عقلاني ، ونحن العرب نتقبل الحقائق ببساطة دون أي تعريف "(٣).

ولكن مع ذلك تجدهم اتفقوا على شئ واحد وهو رفض الإسلام عقيدة وتاريخاً ، ولذا تجد من شعاراتهم الدين لله والوطن للجميع .

ثالثاً : أسس القومية العربية :

توجد مجموعة من الأسس جعلها القوميون بمثابة نقاط التقاء لوحدتهم العربية ، وقد قسم الجندي أسس القومية إلى قسمين كما في كتابه «القومية العربية والوحدة الكبرى»:

أ) مقومات معنوية :

١- اللغة العربية :

يقول الجندي:"اللغة هي أبرز مقومات الأمة لأنها واسطة التفاهم العظمى ووسيلة الاتصال العام بين الأفراد ، ورباط المقومات والعناصر الأخرى وأداة امتزجها في بوتقة الأمة وبها تكتب مختلف فنون العلم والأدب والدين والثقافة ، وللغة أهميتها في حياة الأمم وثقافتها وتطورها ، ذلك أن اللغات تتنازع وتتصارع على مسرح التاريخ ، ويرى الباحثون أن هذا الصراع يؤدي إلى نتائج قد تكون أحياناً أخطر من نتائج الحروب ذلك أن الأمة التي تفقد لغتها تحت ضغط المستعمر إنما تفقد كيانها كله،ولا قومية موحدة بدون لغة واحدة.وكما تكون وحدة اللغة مقوماً هاماً أساسياً في القومية فهي كذلك نتيجة طبيعته للوحدة والتاريخ.

فإذا طبقنا هذا على اللغة العربية ووجدناها عاملاً هاماً من عوامل القومية العربية وهي لغة جميع السكان الذين يقطنون الوطن العربي على اختلاف أديانهم ، وجمعت العرب في مجالي التفكير والتفاهم "(١).

٢- التاريخ :

(٢) - نازك الملائكة ،شاعرة وناقدة عراقية معاصرة ،كان مولدها في بغداد عام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م ،درست في المعلمين العالمية ثم توجهت إلى أمريكا لدراسة الإنجليزية وآدابها ، عملت استاذة في كلية التربية في جامعة البصرة ، تعتبر من رواد الحداثة ومن أوائل الذين رسخوا الشعر الحر . ولكنها ما لبثت أن نقدت الحداثة . من أعمالها : قضايا الشعر المعاصر ، شظايا ورماد . (انظر : موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ٢/ ١٠٩٢، الانحراف العقدي في أدب الحداثة ١/ ١٩١) .

(٣) - الفكر القومي التربوي عند ساطع الحصري، د. محمد بشير حداد ص٨٥ ، دار القلم ، دمشق ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .

(١) - القومية العربية والوحدة الكبرى ص٩-١٠ .

يقول الجندي :" والتاريخ العربي وحدة تاريخية سياسية مترابطة متصلة الحلقات ، هذه الوحدة ولدت وتولد دائماً تقارباً في العواطف والنزعات وتماثلاً في التقاليد والعادات . والذكريات التاريخية تجعل بينها نوعاً من القرابة المعنوية ، وقد صبغ هذا التاريخ الوطن العربي بصبغة واحدة إذا أكد وحدة المصير بين أهل المنطقة ،وأن الوطن العربي وحدة تاريخية سياسية مترابطة تؤلف وحدة اجتماعية عربية ، وأنه سلسلة متصلة الحلقات هيأت كل حلقة منها للحلقة التي بعدها .وارتباط التاريخ ووحدته يؤكد وحدة المصير ، هذا المصير الذي دفع أجزاء المنطقة دائماً للتجاوب ومساندة الأجزاء الأخرى عندما يقع عليها العدوان "[٢].

٣- الثقافة والتجانس العقلي والروحي :

من الأسس التي تقوم عليها الثقافة المشتركة هو ما عبر عنه الجندي بقوله :" إن وحدة اللغة ووحدة التاريخ تؤديان إلى وحدة الثقافة ، وتحقيق التجانس العقلي والروحي بين أبناء الأمة الواحدة ، وقد ظلت الروح العربية محتفظة بسماتها بالرغم من التجزئة التي حلت بها وبقي الترابط الوجداني والفكري والثقافي واضحاً وقائماً .

ولقد كانت الثقافة العربية بعيدة الأثر في حياة الأمة العربية فهي تراث حي له ملامحه المتطورة الفنية ، لقد كان للتراث الثقافي العربي أهميته الدائمة وأثره الواضح في توحيد فكر العرب والطريقة التي يفكر بها العقل العربي نظراً لوحدة الغذاء الثقافي "[٣].

٤- وحدة العادات والتقاليد :

ويعرف الجندي هذا العنصر بأنه مجمل القواعد التي تعارف عليها أبناء المجتمع واتخذوها نبراساً لتنظيم حياتهم وتسجيل مراحل تطورهم،وقد عرفت الأمة العربية بأخلاق وتقاليد وعادات أهمها الكرم والشجاعة والثبات والإيثار والتضحية والنجدة والوفاء بالعهد وحفظ الجوار "[٤].

٥- وحدة الآمال والآلام والذكريات :

ويقصد بالآلام ما حصل للعرب من الاستعمار ، وأما آمالهم فتمكن في الخلاص منه ، واستعادة أمجادهم وسيادتهم [١].

---

[٢] المصدر السابق ١٣-١٤ .

[٣] المصدر السابق ١٥-١٦.

[٤] - المصدر السابق ص١٦ .

[١] - انظر :التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها لمزروعة ص١٦٣-١٦٤ بتصرف .

ولذا يقول الجندي :" لما كانت الآمال والآلام والذكريات هي أداة التفاعل الفكري والاجتماعي بين أفراد الأمة فإن هذا العنصر يعد أساساً هاماً من أسس القومية " (٢).

ب) مقومات مادية وهي :

١- وحدة الأرض :

يرى فريقاً من القوميين أن الأرض تعتبر عنصراً مهما من عناصر قوميتهم ، ولذلك يقول الجندي :" وحدة الأرض مقوم رئيسي من مقومات القومية ، والوطن العربي وحدة جغرافية لا تفصل بين أجزائه فواصل طبيعية من الجبال الشاهقة والبحار الواسعة بينما هي تفصلها عما حولها وهي تضم السهل والجبل والصحراء تتكامل بها وحدة جغرافية واقتصادية .. وجملة القول :" أن الوطن العربي وحدة جغرافية لا تفصل بين أجزائه فواصل طبيعية وهي تحقق تكاملاً اقتصادياً ووحدة اقتصادية "(٣).

٢- وحدة المصالح :

يقول الجندي : " لا ريب أن المصالح المادية المشتركة أساس من أسس القومية . وفي القومية العربية كان هذا الأساس قائماً قياماً متصلاً . فالأمة العربية تؤمن بأنها تتكامل مع بعضها البعض.و أن خيراتها تحقق لها كفاية ذاتية دون حاجة إلى الاستيراد .فاختلاف المصالح الاقتصادية بين البلاد العربية وتنوعها ليس أداة تجزئة لها بل أداة التقاء ووحدة تكامل "(٤).

المطلب الثاني : أهداف القومية :

لقد جرب الغرب الدعوة إلى القوميات ،و تجرع من نكدها وغصصها فكانت النـــزعات والخلافات نتاجها فترة من الزمن ،ولما رأوا أن قوة المسلمين و تجمعهم تحت راية واحدة ودين واحد دفعهم ذلك إلى ترويجها بين المسلمين ليحققوا بها تلك الأهداف التي أعيتهم تحقيقها والوصول إليها بوسائلهم العسكرية ويمكن إجمال تلك الأهداف من خلال ما كتبه الجندي وهي:

١- إلغاء الخلافة الإسلامية :

اتفقت الدول الغربية على القضاء على الرابطة المعنوية التي تجمع المسلمين وهي الخلافة الإسلامية ولذلك كان إلغاءها (آخر المراحل التي تطلع إليها الاستعمار ،و اليهودية العالمية من أجل تمزيق وحدة الإسلام والعروبة،والقضاء على آخر صرح جامع للعرب والترك يحمل

(٢) - القومية العربية والوحدة الكبرى ص١٦.
(٣) -المصدر السابق ص١٧-٢٠ .
(٤) - المصدر السابق ص ٢٠

لواء الجامعة الإسلامية ويتنادى بالمسلمين في كل بقاع الأرض . ولقد كان إسقاط الخلافة عام ١٩٢٤م من أخطر الأحداث في العالم كله . وسيظل من الأعمال الكبرى وسيحمل لاسم مصطفى كمال[1] أكبر التبعات في حكم التاريخ فقد فتح الباب واسعاً أمام صراع الاقليميات والقوميات التي تتحرك في فراغ دون أن ترتبط بدائرة أساسية هي دائرة الفكر الإسلامي أو الوحدة الإسلامية الجامعة في مجال الجغرافيا أو في مجال الفكر ... ولا شك أن إلغاء الخلافة كان عملاً مرضياً لروسيا ولفرنسا وانجلترا ولليهودية العالمية ولأوربا جميعاً التي ما تزال تذكر تاريخ الدولة العثمانية وفتوحاتها في قلب أوربا التي وصلت إلى أسوار فيينا وكان مفهوماً أيضاً أنه جزء من مخطط تمزيق العالم الإسلامي إلى قوميات وإقليميات تحول دون تجمعه أو ترابطه وبذلك يتساقط في أتون الحضارة العالمية عندما تتحول كل قومية وإقليم إلى تبعية كاملة للفكر الغربي، هذه التبعية التي تكون نقطة البدء فيها فصل العروبة عن الإسلام ،وفصل الإسلام عن المجتمعات بإقامة قوميات علمانية "[2]

٢- فصل العروبة عن الإسلام :

يقول الجندي :" هدف دعاة القومية أن يفصلوا العرب عن الفكر الإسلامي ،وعن الامتداد الإسلامي وأن يخلقوا كياناً عربياً جاهلياً يعود بالعرب إلى كنعان وأرم ، إحياء هذا التراث القديم بعد أن سيطر الفكر الإسلامي أربعة عشر قرناً كاملة على هذا العالم الواسع ، واستوعب في أعماقه كل فكرة صائبة ونظرة صالحة من ذلك التراث القديم "[3]

٣- تمزيق وحدة المسلمين :

يقول الجندي:"استهدفت فكرة القوميات التي طرحها التغريب تمزيق وحدة الأمة والقضاء على روح الإخاء الإسلامي،والتعارف الجامع للشعوب التي وحدها الإسلام تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله "[1]

٤- خدمة المصالح اليهودية :

لقد استفاد اليهود من ظهور القوميات في تحقيق مصالحهم وأهدافهم التي يسعون إليها يقول الجندي :" لقد حملت نظرية القوميات مفهوم العنصرية ، وإيقاع الخلاف والصراع

---

(1) - مصطفى كمال أتاتورك ، ولد عام ١٨٨١م في سلانيك ،تقلد مناصب عسكرية عديدة بالدولة العثمانية ، ترأس جمعية وطن السرية ، وكان واحداً من رجال سالونيك ومحافلها الماسونية ، ومن أبرز رجال الاتحاد والترقي ، الغى الخلافة الإسلامية وأعلن الجمهورية التركية ، مات عام ١٩٣٨ م .(انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ٨/ ٢٢٨) .

(2) - العروبة والإسلام ص ٢٥٧- ٢٦٠.

(3) - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٦٣.

(1) - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ٦٦.

بين الجيرة المتلاقية ، وإثارة العصبيات التي تؤدي إلى الفرقة والخلاف ، ولقد كان هدف إثارة دعاوى القوميات والإقليميات بعيد المدى ،ويرمى أساساً إلى غرس الصهيونية على أنها قومية تصارع العروبة ، وقد سبقتها الدعوة إلى إخراج الدولة العثمانية من وحدتها الجامعة بين الترك والعرب بالدعوة إلى الطورانية التي حملت لواء العنصرية البغيضة " [٢].

٥- فصل الدين عن الدولة :

من أغراض أصحاب الدعوة إلى القومية فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء أحكام الإسلام (فالقومية تنادى بالعلمانية وهي تنص على فصل الدين عن الدولة ، أي إبعاد الشريعة الإسلامية عن واقع الحياة)[٣].

٦- إيجاد منهج أشبه بالدين يحل محل الإسلام ، ويقوم على مفهوم الاشتراكية ،و يأخذ مفهوم الماسونية في الحرية ، أي إحلال القومية محل الإسلام ،وأن يصبح العرب بين خيارين إما الشيوعية وإما القومية المادية الوثنية [٤].

المطلب الثالث : نشأة القومية في العالم الغربي .

بدأت القومية في أوربا خلال القرن التاسع عشر،بعد أن فقدت الاجتماع على راية الدين،أخذت تبحث عن رابطة تجمعها وتوحد شتاتها فاهتدت إلى القومية ، وساعد على إظهار الرابط القومي وبعثه من مدفنه ، الذين كانوا من قبل حاربوا الدين والأخلاق والنظم الاجتماعية ، واقنعوا أوربا بالاتجاه إلى العلمانية والأخذ بها[٥].

ويرى «الجندي» أن من أكبر معاول ظهور القوميات في أوربا ظهور البروتستانتية [١] من ناحية ، وسيطرة اليهود على مقدرات الدول الأوربية ، بالإضافة إلى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م التي كانت عاملاً مهماً في إعادة تشكيل الدول في أوربا على أساس رابطة اللغات والقوميات والإجناس [٢] .

---

[٢] - المصدر السابق ، نفس الصفحة ، التيارات الوافدة ص ٧ .

[٣] - عقبات في طريق النهضة ص ١٩٧.

[٤] - انظر: تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٦٦، سقوط مفهوم القومية الوافد ص ٢١، مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٦٥١.

[٥] - انظر: كواشف زيوف ص ٢٦٢.

[١] - هي كلمة لاتينية الأصل تعني الشهادة العلنية وهي اسم أطلق على مجموعة الكنائس المسحية المنتمية إلى الإصلاح باستثناء الاتحاد الانكلينكي ، وتعود كلمة بروتستانتي إلى شهادة الإيمان الإنجيلي التي شهدها اللوثريين في دييد سبريا ١٩/ ٤/ ١٥٢٩م في احتجاجهم على الحل الوسط الذي جاء في القرار الذي أتخذه شارل الخامس وأمراء الكاثوليك . (انظر : معجم الإيمان المسيحي ص ١٠٤، اختيار الأب صبحي حمودي اليسوعي ، دار المشرق ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٩٨م)

[٢] - انظر :الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ص ٢٣٧، مقدمات العلوم والمناهج ١٤٩/٦، العروبة والإسلام ص ٣٣١.

ولا شك أن القومية كانت توافق طبيعة اليهود المغلقة ودينهم المحتكر لمصلحتهم وانعزاليتهم عن جميع المجتمعات إلا بقدر مصلحتهم ، ولذلك ساعدوا اليهود على نشرها وذلك عن طريق اعتقاد الأفضلية على سائر الناس ، وأنهم شعب الله المختار ،ومن نسل الإله[٣] – تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً –

وقد ساعد على إذكاء هذه القوميات كتابات موّجهة ضمن خطط مرسومة ظهرت على أيدي كتاب،وفلاسفة، وعلماء اجتماع عندما نادوا بأن الجماعات التي تمتاز بوحدتها الجغرافية والجنسية ولها تقاليدها ولغتها ودينها لها الحق في تقرير مصيرها السياسي فنشأت من ذلك عدة دول قومية[٤] ، ما لبثت أن انقلبت هذه الحركة القومية إلى حركات هجومية أستخدمها الشعوب في الوصول إلى حدودها الطبيعية ، و لم شعثها وبسط نفوذها على الدول المجاورة ومن أظهر الأمثلة على ذلك حروب «نابليون»[٥] الشهيرة بطل القومية الفرنسية ومحاولاته لفرض السيطرة الفرنسية على الشرق والغرب ، وكذلك الحربان العالميتان الأولى والثانية والتي أعقبت دماراً عظيماً ، وأهلكت الحرث والنسل وكانت دوافعهما قومية[٦] .

المطلب الرابع : نشأة القومية في العالم الإسلامي :

لقد كان من أول القوميات في العالم الإسلامي نشأة القومية الطورانية نسبة إلى طوران وهو اصطلاح فارسي يشير إلى المناطق الواقعة شرقي وشمال شرقي إيران ، وقد كانت بداية ظهورها على أنها حركة لغوية أدبية ، ثم تاريخية ، وكانت المرحلة الأخيرة انتقالها إلى ميادين الحكم والسياسة ، فتكونت الأحزاب فكان منها حزب الفتاه و الترقي والذي عمل على تنظيمه يهود الدونما[١] ، الذين هاجروا من المغرب واستوطنوا البلقان ، ونادوا بضرورة

---

(٣) - انظر :فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ص ٢١٥.

(٤) - جمعت دويلات جرمانية في وحدة ألمانيا . (انظر : كوشف زيوف ص ٢٦٢).

(٥) - نابوليون بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١م) أمبراطور فرنسا ، يعد أحد أعظم القادة العسكريين في جميع العصور ، غزا مصر ، ودوخ بفتوحاته القارة الأوربية . تنازل عن العرش عام ١٨١٤م ، فنُفي إلي جزيرة ألبا . (انظر : موسوعة المورد العربية ٤/ ١١٩١) .

(٦) - انظر : أوربا في مواجهة الإسلام الوسائل والغايات ، د. عبدالعظيم المطعني . ص ٢٤٦، دار وهبة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ، كواشف زيوف ص ٢٦٢، الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ص ٢٣٧، مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ١٤٩

(١) - كلمة تركية تعني المرتد أو الزنديق ، وهي علم على جماعة يهودية هاجرت من الأندلس واستقرت في ربوع الدولة العثمانية ، تظاهروا بالإسلام وأخفوا يهوديتهم وتسموا بأسماء إسلامية ، و وصلوا أعلى المناصب في الدولة مما سهل عليهم القضاء على الخلافة ومنهم مصطفي كمال .(انظر : الموسوعة الميسرة ١/ ٥١٠).

تتريك الدولة ،أي جعل المناصب فيها وقفاً على الأتراك وحدهم لدفع العرب الإحساس بالظلم في الحكم التركي،وأنهم مهضومو الحقوق [٢]

وهذا هو الذي حصل فعلاً فقد شعر العرب في الدولة العثمانية منذ اليوم الأول لتولى الاتحاديين الحكم بالتخوف والحذر والشك فقد كانوا موضع ريبة تشملهم من جميع النواحي فهؤلاء جميعاً كانوا من الماسون ، ومن يهود الدونمة [٣].

يقول الجندي : " وذلك يتفق تماماً مع ما كتبه «ستون وتسون» حين قال : إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صاف ، «فأنور باشا»[٤] مثلاً هو ابن رجل بولندي مرتد ، وكان «جاويد» [٥] من الطائفة اليهودية المعروفة باسم دونمة وكان كراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك ، وكان «طلعت»[٦] بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ديناً أما «أحمد رضا» [٧] فكان نصفه تركياً والنصف الآخر مجرياً إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كانت الفلسفية "[٨].

وحقيقة الحركة الطورانية أنها كانت تركز على أمرين :

الأمر الأول : تحدى العرب ودفعهم إلى ركب مركب القومية والانفصال عن الترك .

الأمر الثاني : هو إعداد تركيا للمرحلة التالية وهي خلق تركيا اللادينية التي قام على إنشائها كمال أتاتورك[١].

---

[٢] - دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ،ماجد المضيان ،ص ٢٢٣، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ،عام ١٤٢٨هـ ، مذاهب فكرية لمحمد قطب ص ٥٨١.

[٣] - انظر: العروبة والإسلام ص ١٨٩ ، بتصرف يسير .

[٤] - أنور بن أحمد بك ، ولد بالآستانة عام ١٨٨١م ، خرج في الكلية الحربية بالآستانة برتبة رئيس وعين في الفيلق الثالث بسلانيك ، وانضم إلى الاتحاد والترقي ، تقلد عدة مناصب وحكم البلاد مع طلعت وجمال حتى انهزام الدولة بالحرب العظمى ، وفرَّخارج البلاد وقتله الروس في سمرقند عام ١٩٢٢م . (انظر : التاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ٨/ ٢٠٠) .

[٥] - جاويد بك ، من يهود الدونمة ومن أقطاب الاقتصاد ومن الأعضاء البارزين في جمعية تركيا الفتاة ، ولد عام ١٨٧٥م بسلانيك ، وأنتخب نائباً عنها في البرلمان العثماني عام ١٩٠٨م ، واشترك في محاولة اغتيال مصطفى كمال فَشنُق عام ١٩٢٦م . (انظر : موقف الشيخ مصطفى صبري من الفكر الوافد ، مفرح القوسي ص ٤٤)

[٦] - محمد طلعت باشا ، ولد بأدرنة عام ١٨٧٤م ، تقلد مناصب عديدة بالدولة العثمانية ، وقد م خدمات كبيرة لجمعية تركيا الفتاة ، ولما أنهزمت الدولة هرب إلى ألمانيا حيث قتل هناك عام ١٩٢١م . (انظر : : موقف الشيخ مصطفى صبري من الفكر الوافد ، ص ٣٨)

[٧] - أحمد رضا بك ، من الأعضاء البارزين في جمعية تركيا الفتاة ، ولد باستانبول سنة ١٨٥٩م وتلقى علومه في جالاطه سراي ، سافر إلى باريس وأقام فيها ، وتأثر كثيراً بالآراء الفلسفية لكونت ،كان أول رئيس لأول مجلس نيابي في الدولة بعد أن أعيد العمل بالدستور .(انظر : : موقف الشيخ مصطفى صبري من الفكر الوافد ، ص ٢٢)

[٨] - المصدر السابق ص ١٨٩-١٩٠.

[١] - العروبة والإسلام ص ١٩٠

أما بالنسبة للقومية العربية فقد بدأت في أحضان المارون [٢] ومع فتح الأبواب لنشاط الإرساليات التبشيرية ،كان للمبشرين الأمريكيين[٣] الأثر الواضح في انتشار القومية[٤].

يقول الجندي:" وقد نشأت القومية العربية نشأة مريبة في حجر مدارس الإرساليات الفرنسية و الأمريكية ذات الأهداف التبشيرية الاستعمارية وعلى أيدي المسيحيين المارون السوريون خاصة.وعملت على تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون اليوم ، وكان للكلية السورية الانجيلية دورها في بعث النعرة العروبية وهي التي أصبحت الآن (الجامعة الأمريكية) فمن هذه المدرسة خرجت كل الثعابين التي نفثت سمومها في الشام ومصر تحت ستار القومية العربية. وأول جمعية سرية كان أعضاؤها من المسيحيين اللبنانيين وكان هدفها الأساسي التفرقة بين العرب والترك "[٥].

وقد اعترف بدور النصارى في هذا الجانب صاحب كتاب "يقظة العرب " جورج أنطونيوس[٦] عندما قال: "يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥م حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية ببيروت- الجامعة الأمريكية فيما بعد- جمعية سرية[٧]، وكانوا جميعاً من النصارى"[٨].

ونبَّه الجندي إلى أن سبب نشأة القومية العربية هو المخطط الاستعماري الذي صنع القومية وشجع فكرها وليس بروز القومية الطورانية،فقال:"وأيد الاستعمار الفكرة العربية المستبعدة لمزج العروبة بالإسلام. فالقومية العربية في الحقيقة أفرزها الاستعمار ووضع مفكروها أصولها من أقطاره وحمل لوائها المسلمون ...بل لقد رأي الاستعمار أنه ليس ثمة ما يمنع أن تعلن القومية والقوميون الحرب على أوربا والاستعمار تحت أعلام الوطنية والتحرر

---

[٢] - جماعة من السريان السوريين ينتسبون إلى الراهب مارمارون ، وقد يتبعون الكنيسة الشرقية ثم أتبعوا الكنيسة الغربية ، وقد أخذت الجمعيات الكاثوليكية الغربية تحتضنهم وتتولي تعليمهم الفرنسية عن طريق مئات المدارس، فازدادوا ميلاً نحو فرنسا وأصبحوا أداة طيعة في يدها .(انظر : العروبة والإسلام ص ١٤٦).

[٣] - أمثال : أيلي سميث ، د. تيلوس فان دايك (انظر : الموسوعة السياسية ، إشراف الكيالي ٢/ ٨٧).

[٤] - انظر: عقبات في طريق النهضة ص١٩٨ بتصرف .

[٥] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٥٦٠ .

[٦] - جورج انطونيس، ولد في بلدة دير القمر في لبنان سنة ١٨٩٢م ، تخرج من جامعة كمبردج بانجلتره حيث حصل على شهادة في الهندسة ، عمل بالإسكندرية ثم انتقل إلى فلسطين وعمل بدائرة المعارف . مات بالقدس سنة ١٩٤٢م . (انظر : مقدمة كتاب : يقظة العرب ص ٧).

[٧] - وهي الجمعية العلمية السورية وقد أنشئت عام ١٨٥٧م ، وقد تكونت على أنقاض جمعيتين سابقتين لها ، وهما جمعية الآداب والعلوم التي ارتبطت بالبعثة التبشيرية ،و أنشئت عام ١٨٤٧م ، والجمعية الشرقية وهي جمعية فرنسية أسست عام ١٨٥٠ .(انظر : موسوعة السياسة ٢/ ٨٧ ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري ، د. خالد الدبيان ١/ ٦٠- ٦٣).

[٨] - يقظة العرب جورج انطونيوس ص ١٤٩ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط الثالثة ، عام ١٩٦٩م.، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ص ١٣٤، مقدمات العلوم والمناهج ١٠/ ٩٤.

والثورة على الاستعمار الأجنبي . والخلاصة: أن القوميين العرب هم الذين نشأت أفكارهم ونبتت وترعرت في حجر الاستعمار والتبشير وليس في مقدورهم أن يخفوا حقيقتهم "[1].

وكان من خدمة الاستعمار لهذه الفكرة أنه هو الذي ساعد على تنشئتها ورعايتها وتيسير كل السبل لإيجادها . يقول «جورج كيرك» مؤلف كتاب «الشرق الأوسط » : إن القومية العربية ولدت في دار المندوب السامي البريطاني " فقد طار إلى القاهرة «أنتوني أيدن» وزير الخارجية البريطانية عام ١٩٤٦م ودعا الملوك والرؤساء العرب إلى الاجتماع به هناك وعرض عليهم في الاجتماع فكرة إنشاء الجامعة العربية في القاهرة لتتبنى قضايا العرب وتدافع عن مصالحهم!! فلما ورثت أمريكا بريطانيا وفرنسا بعد الحرب وبسطت نفوذها على الشرق الأوسط وأقامت أمريكا عن طريق الانقلابات العسكرية زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية في الوقت الذي تحارب فيه الإسلام والمسلمين ، وقالت الدعاية التي أقامتها أمريكا وإسرائيل:إن أمريكا وإسرائيل لا تخشيان شيئاً خشيتهما للقومية العربية ، ولا تخشيان أحداً خشيتهما لزعيم القومية العربية . وفي ظل القومية العربية التي أقامتها الصليبية العالمية مع اليهودية العالمية توسعت إسرائيل وتوسعت حتى توشك أن تبتلع فلسطين كلها وتتطلع إلى المزيد . لقد كانت القومية التي صدرت إلى العالم الإسلامي هي القومية المأكولة لا القومية الآكلة التي قامت في أصلها هناك "[2]

المبحث الخامس : موقف الإسلام من القومية .

يجدر بنا أن ننبه في بداية الأمر أنه ليس هناك تعارض بين الإسلام وبين انتماء الشخص إلي أهله أو قبيلته فقد قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [سورة الحجرات : أية١٣] فالاختلاف بين الناس على أساس الذكورة والأنوثة شئ اقتضته سنة الله في التناسل وتوزيع الخصائص في الحياة ، والاختلاف بين الناس على أساس الشعوب والقبائل شئ اقتضته طبيعة التقسيم للتعارف فقط ، لا ليكون أساساً للتناكر و التخالف والعصبيات [1].وقد نهى الرسول ﷺ أن ينتسب الشخص إلى غير أبيه أو ينتمي إلى غير مواليه ،فقال عليه الصلاة والسلام" ...من ادعى إلى غير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل

[1] - عقبات في طريق النهضة ص ١٩٩.

[2] - مذاهب فكرية معاصرة ،لمحمد قطب ص ١٧

[1] - انظر: أجنحة المكر الثلاثة ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ص ٣٣٢-٣٣٣.

يوم القيامة منه صرفًولا عدلاً "[٢]،أما أنتساب الإنسان إلى الوطن الذي يعيش فيه يعتبر انتساب مشروع لا منقصة فيه فضلاً على أنه من الفطرة إلا أن يصبح ولاء الناس ومعاداتهم ومحبتهم واجتماعهم وتعارفهم قائم على أساس القومية والتعصب إليها وتقديمها على الأخوة الإسلامية عندها تكون قومية جاهلية مقيتة حاربها الإسلام وذمها في آيات بينات من القرآن قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٩] وقال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾ [سورة التوبة : آية ٧١] فإن الإسلام يدعو إلى التآلف والتراحم والتعاطف والتساوي في الحقوق والواجبات ، وأن التفاضل إنما يكون بالتقوى وكل هذه المفاهيم المشرقة غائبة في دعوى القومية القائمة على بغض الآخرين والتعالي عليهم والفخر بالأحساب والأنساب[٣].

لقد وقف الإسلام بكل قوة ووضوح من دعوى القومية بجميع أنواعها سواء كانت عربية أم طورانية أم فارسية، أو غيرها من القوميات فهي دعوة باطلة منكرة، يأباها دين الله عز وجل للأسباب التالية:-

أولاً: أنها تفرِّق بين المسلمين، وتجعلهم أحزاباً وقوميات متنافرة كل منها يتعصب لتاريخه وتراثه، فهي تفصل المسلم العربي عن أخيه المسلم العجمي، وتفرِّق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم لن يرتضوها، وإنما يرتضيها فريق منهم دون فريق، وكذا تفرق بين المسلمين: الأتراك والفرس والعرب فيما بينهم، وبذلك تخالف مقاصد الإسلام في التجمع والاعتصام،يقول الله تعالى :﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣] ، ويقول :﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].ويقول﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [سورة الأنفال: ٦٣].

ثانياً: أنها من دعاوى الجاهلية التي حاربها الإسلام بلا هوادة، إذ حارب الإسلام كل دعوة تخرج عن دعوته المستمدة من مصدريه: القرآن والسنة، سواء كانت تلك الدعوة مرتبطة بلون أو جنس وعرق، أو بلد ووطن، أو مذهب وطريقة. ولا شك أن الدعوة القومية دعوة إلى غير الإسلام، ومناصرة لغير الحق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "كل من خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء

[٢] - رواه مسلم في صحيحه ص ٥٣٩ ، كتاب الحج ، باب فضل المدينة ،ودعا النبي، رقم ١٣٧٠ .
[٣] - انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ٢/ ٩٥١- ٩٥٣.

الجاهلية... قال تعالى:﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [سورةالفتح:آية ٢٦]، وإذا كان دعاة القومية يدعون إلى عصبية قومية ويتفاخرون بالعروبة أو بالطورانية ونحوها من القوميات، فإن الإسلام تبرأ من كل عصبية، قال الرسول ﷺ: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية)(1)،وقال ﷺ: "إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى"(2).

ثالثاً: أنها تؤدي إلى موالاة الكفار والملاحدة، فالدعوة إلى القومية العربية سُلّم إلى موالاة كفار العرب من النصارى واليهود والدروز والشيوعيين والباطنيين وغيرهم من الملاحدة والزنادقة، لأن الفكر القومي العربي يقول: كل العرب أولياء بعض، لا فرق بين المسلم وغيره من أصحاب الأديان والمعتقدات الأخرى.إن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تضافرت على بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١]، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ١]، وقال ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ [سورة المجادلة آية : ٢٢].

رابعاً: إن الدعوة القومية تفضي بالمجتمع إلى إقصاء الإسلام عقيدة وشريعة، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن وشرع الله تعالى، وهذا يوجب لزعماء القومية اتخاذ الأحكام والقوانين الوضعية التي تخالف شرع الله وحكم القرآن الكريم حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام والقوانين وهذا هو الفساد العظيم ، والكفر المستبين والردة السافرة كما قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة آية :٥٠]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٤].

---

(1) - رواه أبو داود ، باب في العصبية ، رقم الحديث ٥١٢١، ص ٧٦٧، وقد ضعفه الألباني في مشكاة المصابيح رقم ٤٩٠٧/ ٦٣،غاية المرام رقم ٣٠٤، ص١٦٨.

(2) - رواه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير باب ومن سورة الحجرات رقم ٣٢٧٠ص ١٢٦٠، وأبو داود ،باب في التفاخر بالأحساب رقم ٥١١٦، ص ٧٦٦، وابن حبان في صحيحه رقم ٣٨٢٨، ٩/ ١٣٧، وقال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط :إسناده صحيح ،وحسنه الألباني في غاية المرام تخريج أحاديث الحلال الحرام ٣١٢، ص ١٩٠ .

ولقد صرَّح قادة القومية العربية، ومثلهم قادة القومية الطورانية التركية، بأنهم لا يرغبون الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية[1].

يقول الجندي : " ليس ثمة تناقض بين كيان الأمم وانتمائها الإسلامي وبين ترابطها العالمي باسم الفكر والدين والعقيدة . فالإسلام لم يعمل على محو القوميات بل اعترف بالشعوب والأمم ، ولكنه دعا إلى محو العصبيات . وقد جعل الإسلام الانتماء إلى الأمم والأجناس وسيلة لخدمة الإنسانية التي رسم الإسلام مثلها وأهدافها . ولقد ترك الإسلام لكل شعب لغته ، والكثير من عاداته وفنونه ولكنه وحد العقيدة ، أي أنه أقام مفهوماً أصيلاً في النظرة إلى الله سبحانه ، والوجود والحياة ، ووحد طريقة العبادة والشريعة ونظم العلاقات بين الناس وأسلوب السلوك والأخلاق"[2] .

يقول الجندي :" إن موقف الإسلام من العنصرية بالغ الأنصاف والسلامة . وإن مفهوم المنهج العلمي الإسلامي كان غاية في العدل والحسم . فقد أطفأ الإسلام جذوة العنصرية ، وحرر البشرية منها على أساس صحيح من العلم والفطرة . ذلك أنه كشف عن حقيقة وحدة البشرية ،ووحدة الجنس البشري . وجاء تطبيق الحضارة الإسلامية لذلك علامة مميزة في التاريخ الإنساني كله . فقد عمد إلى تقارب الأجناس وتداخلها بالزواج المختلط فامتزجت الأجناس العربية والفارسية والرومية والهندية في بوتقة الإسلام ، ثم عمد الإسلام إلى العقول والقلوب فصهرها في مفاهيم التوحيد والأخوة وكان ذلك أكبر أسرار النهضة التي عمت العالم كله ، والتي شملت مختلف نواحي الفكر والمجتمع ، وقد حال مفهوم وحدة الجنس البشري في الإسلام دون التفاخر بالنسب حيث جاء الإسلام قاطعاً في هذا الأمـــر: « إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء:كلكم لآدم وآدم من تراب »[3] وقد أقام الاسلام مجتمعه على نظام الأخوة بديلاً عن نظام القبيلة فانصهر فيه الفارسي والرومي والحبشي وأصبح أمة واحدة من دون الناس ... وفي هذه الاتجاه الذي نفى فيه القرآن العنصرية نفياً باتاً أقر الفقه كفاءة العربي للأعجمي ، فتصاهر المسلمون واختلطوا وامتزجوا.

---

[1] - انظر: نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع ، للعلامة عبدالعزيز بن باز ، ص ١٥-٥٣بتصرف ، دار الإمام أحمد ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ

[2] - أحاديث إلى الشباب المسلم ، أنور الجندي ، ص ٤٧، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ .

[3] - رواه ابن إسحاق في السيرة ص ٥٣١، وابن هشام ٢/ ٤١٢، والطبري في تاريخه ٣/ ٦٠ ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٥٦٧وسكت عنه ، وضعفه الألباني في السلسة الضعيفة ٣/ ٣٠٨رقم ١١٦٣

فالقرآن يعترف بأن الإنسانية وحدة ولا تفاضل بين الناس إلا بالتقوى والعمل ،و لا يقر أي تفرقة بسبب الأجناس أو الألوان أو الأنساب "[١].

المطلب السادس: موقف أنور الجندي من القومية:

يتضح لنا موقف أنور الجندي للقومية من خلال نقده لها فيما يلي :

١- تعرض الجندي في نقده لتلك الأسس التي بنى عليها أقطاب القومية فكرهم والتي منها اللغة ، والذي عدها كبير القوميين ساطع الحصري[٢] الأس الأعظم في تكوين البناء القومي العربي فقال في معرض رده : " لقد جرت محاولات دعاة نقل مفهوم القومية الغربية لتطبيقه على العروبة إلى القول بأن اللغة أساس من أسس الوحدة ، والواقع أنها ليست اللغة بمفهوم الحرف ، ولكنها اللغة بمفهوم الفكر ، فالفكر هو الجامع وهو علامة الوحدة النفسية والعقلية والاجتماعية . فالفكر وليس اللغة هو أساس الوحدة ولذلك فإن النفوذ الاستعماري التغريبي إنما يستهدف تحطيم وحدة الفكر الإسلامي بإدخال لغاته وترجماته . ولذلك فإن المفهوم في إطار الإسلام يختلف عن المفهوم في إطار الفكر الغربي ، فإن اللغة عندما تضيع لا تضيع الأمة لأن الأساس هو الفكر وليست اللغة "[٣] .

ورد الجندي على أحد مزاعم القوميين القائلين بأن القرابة بين الأمم تكون نفسانية ومعنوية أكثر مما تكون جسمانية ومادية ، وأن أقرب العوامل التي تؤدي إلى تكوين القرابة المعنوية هي اللغة والتاريخ قائلاً : " لو كان هذا الباحث منصفاً لوصل إلى أن الجوهر في القرابة المعنوية والنفسانية بين الأمم هو وحدة الفكر الكبرى ، الذي يدخل إليها عناصر لا تحصى ولكن الانتماء للنظرية الغربية وحدها والدوران في فلكها قد حال دون اكتشاف العوامل التي تشكل العروبة والتي تضمها جميعاً وحدة الفكر . وإذا كانت اللغة كما يقول «ساطع الحصري »هي واسطة التفاهم وهي آلة التفكير لأن التفكير ما هو إلا تكلم باطني والتكلم إنما هو نوع من التفكير الجهدى .فمالنا نترك الأصل ونتمسك بالفرع ،نترك الفكر نفسه وهو الأصل الذي جاءت اللغة واسطة له وآلة ، ونتمسك بالآلة الواسطة ونركز عليها

---

[١] - أخطاء المنهج الغربي الوافد ص ١٩٢-١٩٣.

[٢] - هو : أبو خلدون ، ساطع بن محمد بن هلال بن السيد مصطفى الحصري ، ولد في صنعاء عام ١٨٨٠م ، كاتب باحث، من علماء التربية.تترك ثم تعرب، ويعتبر فيلسوف القومية العربية ، شغل مراكز هامة في وزارة التربية العثمانية ، والتحق بالحكومة العربية في دمشق وصار وزيراً للتربية في حكومة الملك فيصل ، توفي ببغداد عام ١٩٦٨م .من كتبه : ما هي القومية ، حول القومية العربية ، أبحاث مختارة من القومية العربية. (انظر: الأعلام ٧٠/٣، معجم أعلام المورد ص ١٧٢، الفكر التربوي عند ساطع الحصري ص ١٦- ٢٦، فكرة القومية العربية في ضوء الإسلام ٢٢)

[٣] - مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ١٢٤.

. ولكن أمر ذلك معروف فإن «ساطع الحصري» ربيب الطورانية والاتحاديين ، والمحافل الماسونية ، والفكر الغربي لا يستطيع أن يفتح باباً خطيراً ، هو باب الفكر العربي الإسلامي ؛ لأن ذلك من شأنه يحطم كل ما يذهب إليه من خلاف وما يدعيه من تعارض بين العروبة والإسلام .وليس صحيحاً ما يقوله «ساطع الحصري» من أن الأمم تتميز بلغاتها في الدرجة الأولى ، وإنما الحقيقة إن الأمم تتميز بفكرها ، هذا الفكر الذي تصنعه مقومات مختلفة ، كما أنه ليس صحيحاً ما ردده من أنه إذا ضاعت لغة أمة فقد فقدت الحياة ، ذلك إن فكر الأمة هو في الحقيقة مصدر ضياعها أو بقائها ، ولقد ضاعت اللغة العربية في الجزائر ولكن الفكر الإسلامي استطاع أن يبعثها من جديد واستطاعت عن طريق فكرها أن تسترد وجودها ولغتها "[1].

ويضيف الجندي قائلاً : " ولقد وجدت نظرية اللغة ردوداً ومعارضات تاريخية وعلمية أسقطتها و لم تجد أمامها دفاعاً ، فإذا قالوا إن اللغة أس الأساس لوحدة الأمة فقد كانت اللغة مشتركة بين بريطانيا وأمريكا وأيرلندا وفي سويسرا ، ثلاث لغات وفي بلجيكا لغتان وكانت هناك قوميات لها أكثر من لغة ، فالاتحاد في اللغة لا يقتضي حتماً نشوء وحدة أو نشوء قومية ، وسقوط اللغة لا يقضى على الأمة ، فالفكر وليس اللغة أساس الوحدة ولذلك فإن الاستعمار يحاول أن يحطم وحدة الفكر الإسلامي بإدخال فكره ومترجماته"[2] .

أما الأساس الثاني الذي تعتمد عليه القومية هو التاريخ فقاموا بإعلاء التنظير القومي للتاريخ الحديث في إطار الأمة العربية على نحو يفصل هذا التاريخ عن تاريخ الإسلام العام وعن هذه الأمة الإسلامية ونبه الجندي أن هذا التيار دخيل وأنه قد تركز في المجتمع الإسلامي نتيجة الآثار التي رتبها الاستعمار والتغريب والغزو الثقافي لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية السياسية والاجتماعية وأنه لذلك تيار مصنوع وليس فيه من الأصالة ما يمكنه من الحياة والنمو ، ولقد أمتد بحكم الضغوط والوسائل وجرياً مع التيار الغربي المثيل له والمنقول منه ولكنه لم يستطع أن يحقق نجاحاً ما ؛ ذلك لأنه لا يتفق مع طوابع الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي وأن تجربته قد فشلت تماماً في أن تعلى شأن الدم والعرق والعنصر على وحدة الفكر والثقافة والعقيدة التي شكلت المجتمع الإسلامي [3].

---

[1] - العروبة والإسلام ص ٣٤٥- ٣٤٦.
[2] - المرجع السابق ص ٣٤٩.
[3] - انظر : تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ص ١٨-١٩.

ويقول : " أن أصحاب هذه الدعوة لم يكفهم أن يقولوا كلمتهم اليوم ، ولكنهم حاولوا أن يقيموا لها تاريخاً طويلاً بعيد المدى ،يسبق ظهور الإسلام ويمتد بعده ، ولا شك أن تلك المحاولة كانت باطلة وزائفة ، ذلك لأنه لم يكن هناك إلا تاريخ واحد ، هو تاريخ الأمة الإسلامية ، والعرب جزء منه ، و لم يكن هناك ما يفرق بين العرب والمسلمين خلال ذلك التاريخ الطويل "[1].

٢- نبَّه الجندي إلى أن النظرية الغربية في القومية،والتي أخذت منها القومية العربية أفكارها كانت تحمل معها ثلاثة محاذير خطيرة وهي :

أ- طابع الاستعلاء الجنسي المغلق في مواجهة الأمم الإسلامية .

ب- طابع الانعزال الكامل عن التاريخ والتراث والمقومات الإسلامية .

ج- خلق وجود معاصر منفصل تماماً عن الإسلام وعن العالم الإسلامي متصل بالغرب ، مندغم في تفسيراته وقيمه وطوابعه [2].

٢- ذكر الجندي أن مصدر فكرة القومية العربية صادر عن مفهوم وافد غربي لا يمت للإسلام بصلة ،وأستطاع الاستعمار الغربي أن يرعاها ويبثها في بلاد المسلمين؛لذا قال :" دعاة القومية جميعاً صدروا عن مفهوم وافد تشكل في إطار المجتمع الغربي،وواجه المسيحية (النصرانية)الغربية،وفاتهم اختلاف العلاقة بين العرب والمسلمين،وبين مفهوم الإسلام كعقيدة تختلف عن المسيحية (النصرانية)،في أنها ليست نظرية لاهوتية أو علاقة بين الله تبارك وتعالى والفرد،ولا صلة لها بأنظمة المجتمع،كما فاتهم أن الإسلام عقيدة ومنهج حياة[3] .

ويقول كذلك : " ومن الأمور التي تحتاج إلى نظرة عميقة أن كل الداعين إلى مبدأ القوميات كانوا غربي النظرة أو على ولاء غربي أو كانوا لا يفهمون حقيقة الإسلام الجامعة بين الدين والدولة وبين الدين والمجتمع وأنه حضارة وثقافة ومنهج حياة ، وأن دعاة القومية لم يكونوا أكثر إيماناً بهذه الأمة من دعاة الإقليميات حتى ليمكن أن يقال أن دعوتهم إلى القومية إنما تمثل طابعاً إقليمياً في النظرة ، وأبلغ أخطائهم ذلك الالتباس الذي يثيرونه ويذكرونه بين العروبة والاسلام ، وذلك الفصل بين الاسلام والمجتمع . وبالجملة فإن دعاة القومية الوافدة قد جانبوا الواقعية والفهم العميق للإسلام والعروبة . وإن محاولتهم فرض

(١) - سقوط مفهوم القومية الوافد ، أنور الجندي ص ١٠

(٢) - انظر :المصدر السابق ص ١١ ، معلمة الإسلام ٤/ ٢١٧.

(٣) - سقوط مفهوم القومية الوافد ص ١١ ، معلمة الإسلام ٤/ ٢٢٠.

مفهوم غريب دخيل وافد إنما كان سبباً في ذلك العجز وذلك الفشل وذلك الاضطراب الذي لازم الدعوة العربية خلال هذه السنوات الطويلة "[1].

٣- من أبرز دعاة القومية العربية الذي خاض معهم الجندي سجالاً فكرياً قوياً منتقداً أفكاره ومبيناً بطلان مزاعمه ساطع الحصري فيلسوف القومية العربية ومن تبعه من دعاتها. فبيَّن الجندي أن هؤلاء القوميين يعارضون ما جاء به الإسلام صراحة فمن جهة هم يرفضون في دعوتهم جعل الدين أساس من أسس وحدتهم مع اعترافهم بأن القومية اليهودية قائمة على الدين وهو ما فعله زعيمهم – ساطع الحصري – يقول الجندي : " لا يحق لهؤلاء القوميين أن يرفضوا الدين لأسباب عدة أهمها : أن الإسلام ليس ديناً لاهوتياً تعبدياً بالمعنى الذي رفضت به أوربا الدين المسيحي (النصراني) وليس للإسلام قوة تتمثل في شئ قبل الكنيسة الأوربية التي قاومتها الدعوة القومية في الغرب . وكل ما أورده ساطع الحصري وغيره في هذا الصدد لم يكن فيه متحرياً جوهر الحقيقة و لم يكن متمثلاً مفهوم الفكر الإسلامي في شموله وتكامله"[2] .

ومن جهة أخرى بيَّن مناقضة القومية لعموم الرسالة المحمدية التي لا تعترف بالحركات القومية الضيقة الأفق ، ولا ريب أن الإسلام يمكنه أن يظل حياً بدون العروبة ولكن العروبة وحدها عاجزة عن إثبات وجودها ، ومعنى هذا أن الإسلام قوة دافعة للعروبة وليس قطاعاً منها ، بل هو سبب قوتها وتماسكها وبقائها ، كما أنه ليس حرباً عليها . وأن أي محاولة للفصل بينهما ، يسئ إلى العروبة أكثر مما يسئ إلى الإسلام[3] .

ومن جهة ثالثة : غاب عن هؤلاء ، أن هناك عاملاً ضخماً لا سبيل إلى تجاهله أو إغفاله من أي نظرة علمية ذلك هو الطابع الفكري العميق الذي صاغه الإسلام للتشكل العربي ،في أول مراحل وجود العرب كأمة ، بعد أن كانوا مجموعة من القبائل المتصارعة ،وأن هذا الطابع قد أقام حدا فاصلاً عميقاً (فكرياً وسياسياً واجتماعياً)بين ماضي العرب والمصريين والشاميين والمغاربة ، وكل من عاش في هذا العالم الممتد ،و أنه لا سبيل إلى إعادة هذه الأمم إلى ماضيها القديم،بعد أن نقلها الإسلام من الأساطير والوثنيات والعصبيات والصراع الفكري والفراغ الاجتماعي إلى ذلك الطابع المتكامل من التوحيد والعدل والحق والمقومات

---

(١) - العروبة والإسلام ص ٣٢٧-٣٢٨ .

(٢) - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٢٤٧ .

(٣) - انظر: سقوط مفهوم القومية الوافد ص ١٦، معلمة الإسلام ٤/ ٢٢٥.

الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الواضحة في ذلك النظام المحكم الذي نزل به القرآن ورفع لواءه الإسلام[١] .

ومن جهة رابعة : أن ساطع الحصري وأتباعه عجزوا عن فهم أبعاد الفكر الإسلامي وأعماقه، وعلاقة العرب بالإسلام، فساطع الحصري عاش في مؤلفاته خادماً لنظرية القومية الأوربية الوافدة التي قدمها النفوذ الأجنبي من بين ما قدم ليحطم الوحدة العربية الإسلامية الجامعة بعد أن عجز عن فرض الإقليميات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والأشورية والبابلية.و لما رأي هذه المحاولات تتهاوى ورأى أن العرب يتجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدي الجامع بين الروح والمادة، والعقل والقلب، والدنيا والآخرة إلى مفهوم اقتصادي مادي صرف، وبذلك فشلت النظرية القومية الوافدة كما فشلت مناهج التعليم الغربي، والقانون الوضعي وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها.

ولقد وقف ساطع الحصرى في وضوح موقف الخصومة والحقد والتعصب على الإسلام كلما عرض له، وقد تجاهله طويلا في أبحاثه كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الإسلامي من ناحية،وبين تاريخ العرب وتاريخ الإسلام محاولة ساذجة. ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين، بينما عارض عنصر الدين في فهم القومية العربية وإن كانت كلمة "دين" لا تؤدي معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة.

وقد ثبت أن ساطع الحصرى قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التي كان النفوذ الغربي حريصا على تلقينها العالم العربي[٢] .

٤- يرى الجندي أن الأمة الإسلامية تتحرك أساساً في ثلاث حلقات متصلة ، الوطنية (بمعنى الأرض) العروبة (بمعنى القوم) الإسلام (بمعنى الوحدة الإسلامية الجامعة) فإذا اجتاحت ديار الإسلام عملية استعمار ، وتراجع المسلمون إلى الأرض ، فإنهم في نظرتهم الوطنية لا ينفصلون مطلقاً عن الحلقتين الأخريين ، وإذا وقف الإسلام في موقف العروبة فإنهم يؤمنون بأنها ليست نهاية ولكنها مرحلة للوصول إلى الوحدة الإسلامية .

---

(١) - انظر : سقوط مفهوم القومية الوافد ص ٨، معلمة الإسلام ٢١٧-٢١٨.

(٢) - انظر : سقوط مفهوم القومية الوافد ص ٣٠-٣١، معلمة الإسلام ٤/ ٢٣٨-٢٣٩، رجال أختلف فيهم الرأي ص ٥١.

وبالجملة فإن العرب يؤمنون تماماً ، بأنه لم يكن لهم وجود حقيقي كأمة ولا كوحدة قبل أن يجمعهم الإسلام ويوحدهم ، وليس في تراثهم شاعر واحد تحدث عن العروبة أو جأت هذه العبارة في شعره ، فقد كانت القبيلة هي الأساس ، وهنا يبدو خطأ محاولة تفضيل العروبة على الإسلام بهذا السبق الجاهلي القبلي ، والعكس هو الصحيح فالإسلام هو الذي صنع العروبة ، والعرب في حقيقتهم مادة الإسلام[1] .

٥- وإضافة إلى ما سبق فقد أخذ الجندي على الفكر القومي بعض الأخطاء والمحاذير وتتمثل فيما يلي :

١- محاولة التفضل على الإسلام بأثر العرب فيه ، والعكس هو الصحيح. فالإسلام هو الذي جعل العرب عرباً وليس العرب هم الذين جعلوا الإسلام إسلاماً . وإنما كان لهم دورهم الواضح المعترف به لاشك في نشر الإسلام . ومن هنا يسقط قول الغلاة القائلين بتقديس الأمة العربية ، والذين يصفونها بعبارة أنها (تجربة رحمانية) أو أنها (عقيدة) أو يعطون المعنى القومي الوافد طابعاً فلسفياً لاهوتياً أو صوفياً أو مثالياً على هيئة المزامير التي يراد بها إغراء الشباب ونقلهم من الدين إلى القومية باعتبارها دين جديد .

٢- محاولة تضخيم تاريخ الجاهلية وتاريخ العرب قبل البعثة ، وأن ظهور الأمة العربية على مسرح التاريخ يُعد كظهور الإلهام على مسرح الوجدان ووصف العربية بالعبقرية .

٣- إضفاء الصبغة التاريخية على الإسلام ، فليس الإسلام عنصراً مرحلياً في تاريخ العرب أو في تاريخ الإنسانية ، بل الإسلام في حقيقته مبدأ التاريخ الحقيقي للعرب والإنسانية جميعاً ، وأنه حين جاء تحددت الحدود والفواصل بين عصر وعصر ، بين عصر الاضطراب الوثني المادي الذي تصارعت فيه الفلسفات اليونانية مع الأديان المتزلة ،وانحرفت مفاهيم الأديان وتغيرت .فكانت رسالة الإسلام أتم الله بها الدين وكان القرآن خاتم الكتب السماوية ومحمد -ﷺ- خاتم الإنبياء والرسل ، وما زال القرآن منذ نزل من السماء إلي اليوم (وسيظل) النص الموثق الذي لا ياتيه التحريف ، والذي يرسم للإنسانية طريقها إلى الحق .

٤- المحاولة التي تطرح العروبة كبديل للإسلام من حيث هو فكر ونظام ومجتمع . ولا ريب أن عروبة الفكر تعني إسلامية فليس هناك فلسفة عربية في الفكر غير مستمدة من القرآن . وأن محاولة خلق فلسفة عربية معاصرة معزولة عن الإسلام هي محاولة لن تحقق كثيراً من النجاح ولا الاستمرار إلا في الظروف التي تساندها فيها الدعايات ومن يفرضونها أو يحمون

[1] - انظر: التيارات الوافدة ص ١٠.

وجودها الزائف ...وأن هذا الفصل المتعمد بين الفكر وبين الإسلام هو فصل غير طبيعي وأبلغ خطأه أن يراد به الفصل بين العروبة والدين ، فليس الإسلام ديناً فحسب ولكن دين وحضارة ونظام مجتمع .

٥- القول بأن الإسلام دين وأن العروبة قومية وأن ما تطبقه أوربا يصلح للتطبيق في العالم الإسلامي ، أي محاولة وضع القومية في مواجهة الإسلام ... وليست هناك في العالم الإسلامي حركة قومية خالصة وحركة دينية خالصة ولكنها كلها حركات عربية إسلامية ، ليست هناك حضارة غربية أو حضارة إسلامية ولكنها حضارة عربية إسلامية .

٦- نقل المعادلة بين القومية والدين ، إلى العروبة والإسلام فالإسلام دين ونظام ومجتمع ، والعروبة دعوة تجمع أمة ذات تاريخ ولغة ووجود شكله الإسلام فكرياً وقومياً . والقومية لا تمتلك منهج حياة و لا نظام مجتمع ، وإنما هي حلقة من حلقات ثلاث هي (الوطنية ـــ الأمة ـــ الفكر) الوطن رابطة الأرض والأمة رابطة اللغة والجنس والفكر رابطة البناء الاجتماعي والعقائدي .

٧- زيف القول الذي تطرحه الصهيونية العالمية والماسونية من أن عنصر الأديان قد انتهى وقد جاء عصر القوميات ، أو عصر اللادينية وهذه تسمى القومية العلمانية التي تهدف إلى إقصاء القيم الفكرية والروحية التي جاءت بها الأديان عن الحياة الاجتماعية وتحرير الفرد والأمة من رابطة العقائد والأخلاق ، هذه العلمانية تعتبر أساساً في النظرية القومية الوافدة ودعوات الأجناس والعروق ، ومن هنا فإنها تتعارض معارضة أساسية مع مفهوم الإسلام الجامع بين العروبة والإسلام تحت لواء وحدة الفكر[1] .

٨- ربط القومية ببعض المذاهب والفلسفات اللادينية كالربط بينها وبين الفكر الماركسي والاشتراكي والعلماني ، فانتهى به إلى أن يكون معارضاً للتصور الإسلامي الصحيح من حيث الاعتماد على المصادر الغربية في مفاهيم الاجتماع والتربية والأخلاق والسياسة[2] .

ومن خلال نقد الجندي للقومية وعرضه للأخطاء والتجاوزات في الفكر القومي نود أن نوضح خلاصة رأيه في هذا التيار الوافد فقال : " وبالجملة فالفكرة القومية كانت تياراً من تيارات الغزو الثقافي تستهدف طعن الوحدة الإسلامية بعد أن سقطت دعاوى الوطنيات والأقليمات ، وكانت مهمتها تفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى

---

[1] - انظر: العروبة والإسلام ص ٣٩٨-٤٠٤بتصرف

[2] - انظر: أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ص ٩٢بتصرف.

الإسلامي ، وإحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الإسلامية بعضها عن بعض عزلاً نهائياً بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلة أي شعب من الشعوب الأخرى التي تدين الوثنية والماركسية وبذلك تنسف الجسور التي تصل بين الشعوب الإسلامية . ولقد كان طرح فكرة القومية العربية بمثابة عامل التمهيد لطرح فكرة القومية الصهيونية ومجالاً لظهور منهج أشبه بالدين يحل محل الإسلام ويقوم على مفهوم الاشتراكية ويأخذ مفهوم الماسونية في الحرية ، أي أن الهدف الحقيقي هو إحلال القومية محل الإسلام وأن يصبح العرب بين خيارين إما الشيوعية والذي تعجز القومية مهما أوتيت من قوة أن تحققه وهو تركيب مفتعل معارض للفطرة الإنسانية مجاف لطبيعة الحياة وقد سموا هذا الخليط الزائف عقيدة قومية "[1].

ويقول : " والواقع أنه لن تصبح القومية ديانة للعرب والمسلمين أبداً ولن يكون لها قداسة العقيدة، فإن العرب والمسلمين إنما يشكلون أنفسهم في ضوء التحديات وظروف الأزمات من خلال فكر واسع عميق قادر على العطاء في كل الأحوال ، مفتوح على التلقي ، قادر على الأخذ والرد ، لا ينصهر و لا يذوب ولا يحتوي "[2].

ويقول : " ونحن الآن مطالبون بإزالة هذا التناقض الموهوم بين العروبة والإسلام والنظر إليهما كجوهر واحد والنظر إلى صلة العروبة بالإسلام على أنها صلة عضوية ، وأنهما وجهان لعملة واحدة ، فالعروبة لم تعز إلا بالإسلام والإسلام لم ينتشر إلا على يد العرب ، وإذا كان الإسلام هو دين المسلمين فإنه قاعدة الثقافة العربية وأن القرآن هو الذي حفظ العربية من مصير كمصير اللغة اللاتينية .

وأنه ليس هناك تعارض ولا تناقض بين العروبة والإسلام كذلك التناقض القائم بين الدين والقومية في الغرب . ولا ريب أن اعتناق بعض القادة للقومية بمفهوم الغرب هو الذي أوصل العرب إلى الهزائم المتصلة منذ ظهور هذه الدعوة إلى سقوط القدس في أيدى الصهيونية "[3].

[1] - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ، أنور الجندي ، ص٦٦، معلمة الإسلام ٤/ ٢٣٠ ، سقوط مفهوم القومية الوافد ٢١-٢٢

[2] - الإسلام والعروبة ص ٤١٥.

[3] - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٢٨.

((تعقيب))

عاش الجندي في بداية حياته أثناء سيطرة القوميين على الإعلام والقنوات الإذاعية الأخرى فكتب عن الفكر العربي وأدبه وتطرق إلى القومية العربية فعالج مشاكلها وقضاياها ومستقبلها حسب ما هو متاح في تلك المرحلة،وهذا العمل أظهره أمام كثير من الباحثين على أنه من دعاة القومية ولكن حقيقة الأمر كما وضح هو عن نفسه قائلاً:"ولما سألني شيخنا العالم الجليل عبدالعزيز بن باز قلت له:"لقد كانت العروبة هي الطاقة الوحيدة المفتوحة لنا كمسلمين لنتناجى منها ونتحدث عن تاريخنا وقيمنا وتراثنا و لم يكن لنا نافذة غيرها (1).

لكن الجندي ما لبث أن بين حال تلك القوميات وكشف عن موقفه منها بكل جلاء ووضوح ، وأخذ على عاتقه كشف حقيقتها و بيان الأخطار والمفاسد التي تجلبها هذه القوميات فكتب عنها مؤلفاً أسماه «العروبة والإسلام »، ورسالة بعنوان: «سقوط مفهوم القومية الوافد» وغيرها من الفصول والمباحث المتفرقة في ثنايا كتبه (2).وجميع هذا مصداقٌ لرفض الجندي لهذه الدعوى وقد اهتم الجندي بجوانب عده منها :

١- بين الجندي معنى القومية .

٢- اعتمد الجندي خلال نقده للقومية على كتب أصيلة في نقد القومية مثل كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية اقتضاء الصراط المستقيم(3) ، بالإضافة إلى رجوعه إلى بعض كتب القوميين ونقد ألفاظهم وكلامهم .

٣- نبَّه الجندي على معارضة الإسلام للقومية ورفضه لها بكل وضوح .

٤- قام الجندي ببيان الأسس التي تقوم عليها القومية ، ونقد أهم تلك المقومات ولكنه أغفل بعضها واستكمالاً لما تركه نبين النقد الذي يمكن توجيه لبقية الأسس والتي منها :

١- الأرض : فإن من دعاة القومية ينادون برابطة الأرض و يمكن الرد على هذا المقوم بأن الذي يتكلمون لغة واحدة وفوق أرض واحدة ليس بالضرورة أن يكون كلهم من جنس واحد وعلى لغة واحدة من أصل وجودهم إل منتاه ، فإنه قد تنشأ لغة جديدة في بلد وتنتهي عن بلد لاعتبارات قد تكون اعتقادية وسياسية ، وأقرب ما يوضح ذلك العرب قبل

(1) - شهادة العصر والتاريخ ص ٦٦.

(2) - معلمة الإسلام ٤/ ٢٢٠ ، أخطاء المنهج الغربي الوافد ص١٨١، مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٢٣٠ ، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ٢٢٥.

(3) - انظر : العروبة والإسلام ص ٣٧٥

الإسلام كانت تنحصر على سكان شبه الجزيرة ، فلما جاء الإسلام وانتشر في أقطار الأرض ودخلت الأمم فيه أفواجاً وبالتالي أحبوه وأحبوا لغته وأصبحت هي اللغة الأساسية بينهم كمصر والمغرب وغيرهما فأصبحت بلدان عربية تعتز بدينها ولغتها فهل بعد هذا يمكن يقال أن الأرض هي التي وحدت بينهم وبين سائر اخوانهم العرب المسلمين !![1]

كما أن الأرض بذاتها لا يمكن أن تكون لها مكانه في قلب المرء إذا كان يجد فيها المعاناة والتضييق والظلم والإساءة ، وقد أمر الله تعالى بالهجرة من دار الكفر فقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء : ٩٧] . وقد أذن الرسول صلى الله علية وسلم لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعدما أشتد عليهم البلاء من أهل مكة وهاجر هو وأذن بها إلى المدينة مع تعلقه الشديد بمكة . ولو ارتضى الرسول صلى الله علية وسلم أن يجمع قبائل العرب على رابطة الأرض أو الأصل المشترك لجأت قريش وقبائل العرب مطيعة ممتثلة لأمره لكنه عليه الصلاة والسلام بدأ دعوته بكلمة لا إله إلا الله التي أغضبت العرب قبل العجم .

٢- المصالح المشتركة : لقد وهب الله عز وجل العالم العربي والإسلامي ثروات متنوعة ومواقع متميزة يندر وجودها في العالم ،و يعتبر هذا مقوم لتجمعهم وتكتلهم ولكن لم يحصل شئ من هذا ! وهذا دليل على بطلان ما ذهب إلية دعاة القومية من أن المصالح المادية المشتركة تكفي لإقامة تجمع واحد " إن المصالح المالية بدون روح مشرقة تستوعبها وتحدد لها الاتجاه ؛ تغدو تافهة وقصيرة الأمد نسبياً و لربما تعثرت وتعثرت ، ولنا من التجارب العديدة في واقعنا ما يشهد بصحة هذا ؛ إذ تتعدد الترعات ، و تتغالب الأنانيات وتشيع الجاهليات السلوكية والاعتقادية أحياناً . إن الغلبة المادية ،أو التشييد الحضاري المادي المشترك وحده لا يحقق السعادة للأفراد بذاته ، لكن الذي يحدد الهدف ، ويضبط الاتجاه، ويدفع من تغلب الترعة المادية الأرضية ، ويصون الثروات ، ويدفع لإنجاز العمل الصالح ، هو الإسلام وحده"[2] .

٣- الثقافة المشتركة : لم تكن هناك ثقافة عربية واحدة فإن العرب قبل الإسلام نجدهم بعيدين عن العلم والتعلم ، فقد شغلتهم الحروب والصراعات القبلية . فلما جاء الإسلام

---

[1] - انظر :المذاهب الفكرية المعاصرة ٢/ ٩٤٧ بتصرف،المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد الصواف ص ٢٧،دار الاصلاح،الدمام .

[2] - الفكر القومي التربوي عند ساطع الحصري ص ١٤٦.

وحد ثقافتهم من خلال المصادر الشرعية القرآن والسنة وجاءت بعد ذلك العلوم الأخرى مثل التفسير والفقه والأصول واللغة وغيرها ، وهذا العلوم لم تكن حكراً على العرب بل اشترك فيها عامة المسلمين عربهم وعجمهم .

٤- وحدة الآلام والآمال والذكريات : زعم أصحاب هذا الأساس أمكانية جمع الشعوب العربية على هذا الهدف المشترك ويرد على هؤلاء أنه لا يمكن للأمة أن تجتمع وتتوحد مع من كان سبب في استعمارها وسيطرة العالم الغربي عليها وهم أهل الذمة والفرق المنحرفة من أهل الأهواء والبدع ، وكيف كيف يمكن التوحد وما ضعفت المنطقة إلا حين تخلت عن الإسلام وأخذت العلمانية نظاماً ودستوراً ؟ وهل ذل المسلمون إلا حين ضعف الإسلام في قلوبهم وابتعدوا عن هدى الله ونبيه صلى الله عليه وسلم واتبعوا اليهود والنصارى ؟ ثم هل هناك من سبيل للخلاص من ذلك الضعف ،و تلك المهانة والذلة إلا بالعودة إلى دين الله الحق الإسلام ؟ إذ هو مناط القوة والعزة والتمكين[1] .

---

[1] - مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد ص ٥١٩.

المبحث السادس : العالمية وفيه تمهيد وخمسة مطالب :

المطلب الأول:تعريفها .

المطلب الثاني:أهدافها .

المطلب الثالث:وسائلها .

المطلب الرابع:موقف الإسلام من العالمية.

المطلب الخامس:موقف أنور الجندي من العالمية ونقده لها.

المبحث السادس

العالمية

تمهيد

تعتبر العالمية من أكثر المذاهب والتيارات الوافدة التي تحمل شعارات براقة، وكلمات مزيفة خادعة.فمنذ أن ظهرت في أوربا في القرن الثامن عشر ميلادي إلي يومنا هذا، ووجد لها مناصرون ومؤيدون حتى من العالم الإسلامي وممن دعا إليها أحمد خان بهادر حيث أطلق عليها إنسانية الأديان.يقول البهي[1]:"ودعا إلى ما أسماه«إنسانية الأديان»أي بالمعنى الإنساني العام الذي تدعو الأديان السماوية إلى اعتباره وحفظه!وهو ما يشبه اليوم فكرة العالمية التي تتبناها اليهودية الرأسمالية والشيوعية الدولية،وكانت من قبل تلقب بالفكرة الماسونية،وفي هذه الفكرة تنمحى كل الفوارق بين الأوطان والقوميات والأديان والمذاهب"[2]

وقد طرحت بعدة أسماء مختلفة فمن مسمياتها الإنسانية ، الأممية ، العولمة ، وحدة الثقافة العالمية وغيرها ، ولكن النتيجة واحدة وهي تعني التبعية . يقول الجندي : " قد تشكلت هذه الدعوة في صور متعددة . في محاولة لإخفاء هدفها الحقيقي ، فأطلق عليها حيناً وحدة البشرية أو وحدة الحضارة أو وحدة الثقافة العالمية ، أو الحكومة العالمية وكلها تعني أمراً واحداً وغاية واحدة." [3] .

ولقد أحسن أنور الجندي عندما أسهم في بيان ما يمكن أن تحدثه العالمية من أثر على عقيدة المسلمين وفكرهم فتناولها بالتوضيح والبيان وسوف أتحدث عنها في المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريفها .

فالعالمية نسبة إلى العالم وهي كمذهب جديد ومصطلح واتجاه حديث تعددت معانيه ودلالاته فجاء على عدة معاني منها :

أ-العالمية:والتي يراد به مذهب يدعو إلي البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة.من أجل جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية ؛لإحلال السلام في العالم محل الخلاف[4] .

---

[1] - محمد البهي ، مفكر إسلامي داعية إلى التجديد الديني والإصلاح الاجتماعي ، ولد بمحافظة البحيرة ، سنة ١٣٢٣هـ ، درس في الأزهر وتخرج فيه ، ونال الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا ، وعاد إلى الأزهر مدرساً ، ثم عين مديراً للجامعة ، فوزيراً للأوقاف وشئون الأزهر . من كتبه : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي . (انظر : ذيل الأعلام ١٦٩).

[2] - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،د. محمد البهي ، ص ٣٧، دار وهبة ، القاهرة ، ط الرابعة عشره ، عام ١٤٢٦هـ .

[3] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤١.

[4] - انظر : الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ص ١٩٣.

ب- الإنسانية: وهي تدل على ما أختص به الإنسان من المحامد كالحنو والجود وكرم الأخلاق[1].

ونجد أن مؤلفي الفلسفة الحديثة اعتنوا بهذا اللفظ فتركزت عندهم على ثلاثة معاني :

أولها : الإنسانية ، وهي المعنى الكلي الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس ، كالحياة والحيوانية ، والنطق وغيرها .

ثانيها : أن الإنسانية هي مجموعة خصائص الجنس البشري ، المقومة لفصله النوعي التي تميزه عن غيره من الأنواع القريبة .

ثالثها : أنها تعني مجموع أفراد النوع الإنساني ، من حيث أنهم يؤلفون موجوداً جماعياً [2] .

وقد ذكر الجندي عدة معاني للعالمية والتي منها قوله : "هي دعوة مسمومة تريد أن تحطم تميز الأمم وطوابعها الخاصة ، ووجهتها الخالصة في محاولة لصهر الشعوب في الأممية أو الدعوة العالمية التي تقوم الآن على الطابع الغربي المسيطر ، وبذلك تدمر قيم الأمم التي تمر بمرحلة ضعف أو تخلف"[3] .

وقوله : "ومعناه في الواقع سيادة الثقافة الغربية ، وحضارتها وتسيدها على ثقافات الأمم وحضارتها ولاسيما الثقافة العربية والفكر الإسلامي "[4].

ووصفها بقوله: محاولة لاستيعاب كل ثقافات الأمم وعقائدها في بوتقة الثقافة السائدة المسيطرة بالنفوذ الاستعماري [5].

ويمكن إيجاد تعريف يوحد هذه المعاني وهو أن العالمية : دعوة مسمومة لاستيعاب كل ثقافات الأمم وعقائدها ، وحضارتها وصهرها في بوتقة الثقافة الغربية ، من أجل التحلل من الدين و تدمير قيم الأمم وتحطيم تميزهم وطوابعهم الخاصة .

المطلب الثاني : أهدافها .

إن ما يطلقه الغرب من شعارات حسنه لهذه الدعوة الوافدة تخالفه ممارساتهم الفعلية تماماً لذلك لا يتطلعون منها إلا لتحقيق أهدافهم الخفية والتي ذكر الجندي منها ما يلي :

١- محاربة الأديان :

---

[1] - انظر : محيط المحيط ، بطرس البستاني ، ص ١٩ .

[2] - انظر : المعجم الفلسفي ، لجميل صليبيا ١/١٥٨- ١٥٩ ، المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية ص ٢٥.

[3] - تراجع الفكر المادي ،ص ٦٠ .

[4] - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤١.

[5] - منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، أنور الجندي ، ص ٥٥ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

إن جوهر هذه الدعوة هو نبذ الدين فمن عباراتهم وشعاراتهم (اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك)،فهم يعلمون أن الدين الصحيح هو الذي يوحد البشرية ويوحدها،وهو ما لا يريدونه فركزوا "حملتهم على الدين بعامة فهم الذين حملوا لواء محاربة الأديان وتصويرها بأن البشرية لم تعد في حاجة إليها،وأنها كانت مرحلة في تاريخ البشرية انتهت "(١) .

يقول د. محمد محمد حسين :" إن كل شعبة من شعبها تريد أن تكون ديناً جديداً يجتمع عليه الناس ومن أجل ذلك فهي تشترك في مهاجمة الأديان لتحطم سلطانها على قلوب الناس وضمائرهم حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد فهدم الأديان مرحلة لابد أن يمر بها الداخل في مذاهبهم لكي يتحقق ما يزعمونه من محو العصبيات التي هي في زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والأمم "(٢) .

٢- إشاعة دعوى الاستسلام وإبطال الجهاد.

يقول الجندي عنها :"وهي دعوة تختلف مع مفهوم الإسلام الجامع بين الاستعداد بالقوة وعدم استعمالها في الظلم أو الاعتداء . وبالجملة فإن الهدف هو صرف المسلمين عن منهج حياتهم الأصيل الذي تعارفوا عليه وعاشوا به عمرهم والذي حقق لهم النصر عند الأزمة والفرج بعد الشدة والخروج من الاحتواء والتخلص من السيطرة الخارجية ، وقد لفت القرآن الكريم نظر المسلمين إلى هذا الخطر ودعاهم إلى كسر قيد هذه المحاولة والاهتداء للعوامل الخفية التي عرفها المسلمون للوحدة بمقاومة خصوم الدعوة عن طريق منهج القرآن ونور الإسلام للخروج من المأزق وذلك إيماناً بأن رسالة الإسلام مدعوة لتنقذ العالم مرة أخرى بعد أن سقط في براثن الوثنية المادية والانهيار الخلقي"(٣).

يقول الجندي مفنداً هذا الزعم الباطل:"ولا ريب أن الإسلام بعيد عن طابع هذه الدعوة – أي الاستسلام- التي تقوم على القضاء على مفهوم الجهاد الإسلامي،وإنما يقوم الإسلام على القوة والرحمة معاً،كل في موضعه ، ودعاة هذا المذهب يحاولون تصور الإسلام معهم، أو هم يريدونه هكذا ،وهم بذلك ينكرون جانباً هاماً من جوانبه فالإسلام يقوم على السلام والتسامح في نفس الوقت الذي يقوم فيه على المقاومة والقوة إذا انتهكت أرضه أو قيمه "(٤).

(١) - المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي ص ١٤٢.
(٢) - الإسلام والحضارة الغربية ص ٢٠٢ .
(٣) - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الإسلامي ص ٦٠ .
(٤) - معلمة الإسلام ٤/ ٥٠٧

٣- إذابة الهوية الإسلامية :

وقد نبه الجندي على ذلك بقوله:"والهدف الكامن من وراء هذه الدعوة هو سوق الناس جميعاً إلى الولاء والعبودية للسيادة الغربية الحاضرة وتذويب الفكر الإسلامي في أتون العالمية ، أو احتواء مقدراته ودمجها في مفاهيم وقيم تختلف في جوهرها عن قيم الإسلام ومصادره الأصلية"(١).

ويقول في موضع آخر : " أن كل هذه المصطلحات إنما ترمى إلى صهر المسلمين في الحضارة العالمية التي تمر الآن في مرحلة السقوط والانهيار بعد أن فقدت أخلاقيتها "(٢).

ثالثاً : وسائلها :

لقد استطاعت أفكار العالمية أن تسيطر على عقول كثير من المسلمين ،وان تكون لتلك الشبهات المثارة خطرها وأثرها في المجتمعات الإسلامية ،وذلك نتيجة اتخاذها وسائل ومناهج قوية انخدع بها المتعلمين فضلاً عن سواهم مما دفع الجندي لبيان تلك الوسائل والتي منها :

١- التغريب :

يقول الجندي : "ولقد رأى الاستعمار في سبيل تحقيق هذه الغاية خلق حركة التغريب التي يرى دهاة النفوذ الغربي أنها تتمثل في إنشاء عقلية عامة تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل والشرقية ، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه ، وبذلك يستغني عن مواجهة الشعور الديني بالعداوة السافرة. ومن هنا كانت محاولة إثارة قضايا التشكيك وبعث اليأس ، ومشاعر النقص والانطواء والحيرة والقلق ، في محاولة لدفع الثقافة العربية المعاصرة إلى مجال التبعية والانقياد للروح الغربية ،ومحاولة دفع الشخصية العربية الإسلامية إلى أن تتخذ مثلها الأعلى من القيم الغربية ، والتركيز على فقدان الثقة بالفكر العربي الإسلامي والتراث واللغة العربية والتاريخ وإثارة الشبهات حوله " (٣).

٢- استخدام مصطلحات عصرية تفقد الشخصية الإسلامية هويتها مثل التقدم (٤)،الحداثة ، المعاصرة(٥) ، الشرق الأوسط وغيرها .

---

(١) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤١ ، أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ص ٣٠.

(٢) - تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ص ١٨.

(٣) - أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ص٣٠-٣١.

(٤) - التقدم : هو مصطلح ماركسي يرمي إلى حجب تاريخ الأمم وقيمها ،ودفع الأمم إلى منهج مغاير في إقامة المجتمعات وهو منهج الصراع الطبقي واعتبار الاقتصاد مصدراً والمادية هدفاً وغاية ، وأنه بهذا المفهوم يحقق للمجتمع البشري السعادة والحرية .(انظر : نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للجندي ٢١٤).

(٥) - المعاصرة : هو مصطلح يطلق على وجهة تسليم الأمم أنفسها لمنهج الغرب ، والتخلص الكامل من الماضي جميعاً والالتقاء بالمعطيات الغربية والانصهار فيها دون تقدير لأي مفهوم يتعلق بتاريخ الأمم وعقيدتها ومكوناتها . (انظر : نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للجندي ٢١٠) .

وقد بين الجندي ذلك بقوله : "وهذه الدعاوى إنما ترمى القضاء على الشخصية الإسلامية والتميز الخاص الذي يختلف به المسلمون عن غيرهم من الأمم وأصحاب العقائد والأيدلوجيات . وهو تميز ضروري وخطير يدخل في صميم العقيدة ، وأقل محاذيره أنه يدع المسلمين هملاً ليس لهم طابع معين أو وجهة واضحة ، فيضيعون في قطيع الأممية العالمية الواسعة التي ترغب الحضارة الغربية اليوم أن تصهر فيها كل الأمم "[١] .

٣- التدرج في بث أفكارهم ومذهبهم :

ينبه الجندي على ذلك بقوله :"ولما كانت هناك خطة مرسومة لإخراج المسلمين من الإسلام ولو خلال مائة عام فإننا يجب أن نكون على وعي بالمكر الذي ينطوي على المراحل والتدرج ، وعلى بث المفاهيم المسمومة التي قد تتشربها الأجيال القائمة اليوم ثم تصبح بعد ذلك مسلمات ومن هنا لابد من التوعية إلى المفاهيم الأصلية الحقيقية المستمدة من القرآن والسنة والمتجهة دائماً إلى التماس المنابع مع الوعي الكامل بفوارق العصور واختلافها"[٢].

المطلب الرابع : موقف الإسلام من العالمية

قبل أن نخوض قي نقد الجندي للعالمية وموقفه منها ، أذكر موقف الإسلام من العالمية أو الإنسانية وهل هي دعوة مرفوضة بالجملة أم أن هناك تفصيلاً وبياناً فيها .

لقد تفضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة بأن جعل لها خصائص ومميزات على سائر الأمم ، فإن الإسلام وحده هو الذي يتصف بصفة العالمية ،فكل الدلالات تشير إلى عالميته فهو لا يشير إلى جنس معين كما تشير اليهودية أو النصرانية ، ولا إلي شخص معين كالبوذية إلى بوذا ، ولا تشير إلى مكان أو زمان بل إنها كلمة لا يحدها شخص ولا جنس و لازمان ولا مكان .

إن العالمية خاصية من خصائص الإسلام، ومبدأ عظيم من مبادئه العظيمة جاء القرآن الكريم منذ اللحظة الأولى، وطبقه النبي ﷺكذلك عند دعوته ،مما يؤكد أن مبدأ العالمية أصيل في الإسلام، وليس أمراً عارضاً أو تطوراً دعت إليه الحاجة واقتضته الضرورة.

كما أن عالمية الإسلام تتميز بالعدالة والتسامح مع سائر الخلق- المسلمين وغيرهم - دون فوراق وبعيداً عن المعاني العنصرية والإقليمية والعرقية ، وبعيداً أيضاً عن مواقف القوة والضعف،والكثرة والقلة ،والقرابة والغرابة،أن كل هذه المعاني لا قيمة لها أمام موازين الحق

---

[١] - تراجع الفكر المادي ص ١٦٦.

[٢] - تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ص ١٨- ١٩.

والعدل التي تحكم عالمية الإسلام وقيمه ومبادئه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٨] [(١)].

يقول الدكتور محمد محمد حسين: عالمية الإسلام تفتح أبوابها لكل طارق،ولا تغلقه دون قاصد ، عالمية تمحو الأخوة الإسلامية فيها كل الفروق العرقية والطبقية ، ويصبح المسلمون متساوين في كل الحقوق والواجبات ، ولكنها تدرك حدود ذاتها إدراكاً يميزها عن غيرها ، ويمنعها أن تذوب فيها وتعد أسباب القوة لحماية ذاتها ولتكون كلمة الله هي العليا ، ولكنها لا تسيء استعمالها ، فغاية القتال في الإسلام إعلاء كلمة الله وإقرار سلامٍ مؤمن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر "[(٢)].

لقد جاء الإسلام والذي عَّرف به القرآن بنـــزعة عالمية واضحة،إنسانية المبادئ والقيم ، لا يتحيز في شرعه وقيمه لقوم دون قوم،يرسى العدالة العالمية التي يستوي في حكمها العربي والأعجمي والأبيض والأسود،بل المسلم وغير المسلم،ففي خطاب الله نجده يتحدث إلى الناس جميعاً دون تمييز ، فإن تحدث عن العقائد وحقائق الكون وجه خطابه إلى الناس جميعاً بقوله:يا أيها الناس،أو يا بني آدم.وإن تحدث عن الأحكام والشرائع التي يأتي دورها بعد مرحلة الإيمان وجه الخطاب إلى الذين سبق أن آمنوا فيخاطبهم بقوله : يا أيها الذين أمنوا ، وفي كل الأحوال لا نجده يخص العرب أو أهل مكة أو أهل المدينة ، أو قريشاً أو أي فئة أو قوم من الناس بأي خطاب يخصهم به دون غيرهم ، وكذلك من حيث المبادئ والأحكام التي يتضمنها القرآن فالمرعيّ فيها دائماً،العدالة الإنسانية العامة ومصلحة الأسرة الإنسانية جمعاء ...ثم أن الإسلام الذي جدد القرآن أركانه وشرحته السنة المحمدية لا يقر بأي وصاية لفئة من الناس على أخرى و لا يسمح بأي تبعية يمليها قوم على قوم .

وجملة القول :أن العالمية التي يدعو إليها الإسلام تقوم على أساس راسخ من الندية المشتركة الهادفه إلى التعاون العالمي لتحقيق أسباب الحياة الإنسانية الرغيدة ، والسليمة على خير وجه،ولن يكون ذلك إلا في النظام الإسلامي المحقق للوحدة الإنسانية العالمية [(٣)].

---

(١) - انظر:حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل ، د.موسي الإبراهيم ،ص١٧٥ ،دار الأعلام،عمان،ط الأولى،عام ١٤٢٣هـ .

(٢) - الإسلام والحضارة الغربية ص ٢٢٣.

(٣) - يغالطونك إذ يقولون ، د. للبوطي ، ص ٣٣٦- ٣٣٧ بتصرف ، دار الفارابي ، دمشق ، ط الثالثة ، عام ١٤٢١هـ

يقول الجندي:"وهكذا يقدم الإسلام نفسه للعالمين جميعاً على أنه منهج حياة ونظام مجتمع كامل جامع ،ويربط بين علاقة الفرد بالله تبارك وتعالى وعلاقة الفرد بالمجتمع وهو ما لا يجده الغرب في عقيدته،ومن أجله أنشأ فلسفاته وأيدلوجياته المضطربة التي ما تزال تواجه المتغيرات .

كذلك فإن الإسلام استجاب للفطرة الإنسانية وأقر حدوداً وقيماً للتعامل قوامها الأخلاق ووقف وقفة طويلة عند المحاولات الماكرة التي تريد إخراج الإنسان من إنسانيته والدعاوى المدعاة ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٢٧][1] ؛لذا فإن الإسلام حكم على تلك الدعاوى برفضها وعدم قبولها ؛لأنها تدعو إلى تخلي المسلمين عن عقيدتهم ،وأن يفقدوا شخصياتهم وعصبياتهم ،فيصبحوا قطعاناً من الأغنام يسهل على اليهود أن يسوقوهم إلى حيث يريدون ، بل أن واقعها انتهى إلى عكس ما زعمت أنها تهدف إليه –جمع البشرية على المنهج الذي يحقق سعادتها– فأصبحت دعوات تفريق لا جمع؛لكونها قدمت نفسها على أنها دين جديد،أو مذهب متميز يدعو أتباعه إلى التخلي عن أديانهم ومذاهبهم،فيأخذ به أناس ليصبحوا فئة متميزة زائدة على الفئات والمذاهب الأخرى[2] .

المطلب الخامس: موقف أنور الجندي من العالمية ونقده لها :

وقد بين الجندي تهافت هذه الدعوى وبطلانها بمجموعة من البراهين والأدلة التي تعطي دلالة واضحة على أن هذه الدعوة من نتاج المخططات التلمودية ويمكن بيان تلك المناقشات بما يلي :

١– نقد الجندي مصطلح وحدة الثقافة العالمية فقال عنها :" وعبارة (وحدة الثقافة العالمية) عبارة خلابة ، ولكنها زائفة ؛ لأنها تخفي في أعماقها احتقار الثقافات الإنسانية .ومعناها الحقيقي سيادة الثقافة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم وثقافاتها "[3].

وتعد وحدة الثقافة العالمية من اخطر الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي؛ ولذا قال عنها الجندي :" ومنها القول بوحدة الثقافة، أو الثقافة العالمية، ذلك أن لكل أمة ثقافتها الخاصة التي تستمدها من مقومات وجودها وعقائدها، فالمعرفة عالمية والعلم عالمي والحضارة

---

(١) - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للجندي ص٢١٤.

(٢) - انظر : السلفية وقضايا العصر ، د. عبدالرحمن الزنيدي ، ص ٦١٧-٦١٨ بتصرف ، دار اشبيليا ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ.

(٣) - مجلة الحرس الوطني ،العدد ٢٣١، السنة الثانية والعشرون ، جمادى الآخرة ، عام ١٤٢٢هـ ، «حوار مع أنور الجندي» ، وانظر : الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥٨، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤١.

عالمية، ولكن الثقافة لا تكون عالمية بحال، وللعرب والمسلمين ثقافتهم المستمدة من القرآن واللغة العربية ولهم تلك الذاتية الخاصة المتميزة المستمدة من التوحيد، ولا ريب أننا في هذا الوقت بالذات إذا قبلنا بالثقافة العالمية فإن دورنا سيكون دور التابع الذليل الخاضع للكيان الضخم الذي تفرضه الثقافة العربية على العالم كله، وهو دور لا نقبله ولا نرضاه؛ لأنه سيقضي على مقوماتنا الخاصة والذاتية، ولقد تقبله أمم ليس لها تاريخ ولا حضارة، أما المسلمون الذين سيطروا بفكرهم وثقافتهم على العالم كله ألف سنة كاملة لا ينازعهم منازع، فإنه من الخزي لهم أن يستوعبوا أو يكونوا تابعين أو يوضعوا في مجال الاحتواء والانصهار"[1] .

٢-نبَّه الجندي على أن دعاة هذا المذهب المنحرف يناقضون أنفسهم بأنفسهم ، فهم بجانب دعوتهم إلى العالمية وعدم التمييز بين البشرية يدعون إلى ما يسمى بالعنصرية فقال:"وليس صحيحاً ما يردده البعض من أنهم يلتمسون ما دعت إليه الأديان من وحدة البشرية فإن الفارق كبير بين غايات الأديان وغايات الصهيونية العالمية ،وإذا كان حملة لواء هذه الدعوة هم الذين يقولون بالعنصرية والتمييز الذي يتميز به الإنسان الأبيض أو من يدعون إلى شعب مختار فإنه من العسير أن تستجيب البشرية لمثل هذه الدعوات،وإنما تكون الاستجابة لدعوة أخرى ، يحمل لواءها الدين الحق فتجمع الناس بغير ظلم ولا عدوان[2] .

يقول كذلك:"ولا ريب أن فكرة وحدة الثقافة العالمية مرتبطة أساساً بالدعوى التي سقطت والتي تقول بأن الرجل الأبيض إنما يعمل على تمدين الأمم المختلفة وتحضيرها . والحقيقة أنها تهدف إلى سوق الأمم إلى الولاء والعبودية للسيادة الغربية في الفكر ، وإحلال قيم الفكر الغربي ومفاهيمه محل القيم الإسلامية العربية — ونحن نعلم أن الغرب منذ بدأ الاستعمار عمد إلى تحطيم قيم الفكر الإسلامي والثقافة العربية ، وزعزعة قوائمها بإثارة الشكوك والريب والشبهات في نفوس المسلمين والعرب لتحطيم تلك القوة الضخمة التي منحها الاسلام لهم . والتي كانت عامل المقاومة الفعال في وجه الغزو الغربي"[3].

٣- يرى الجندي أنه لا يمكن للفكر الإسلامي قبول تلك التبعية للثقافة العالمية أو الاستسلام لها فيقول:"وقد رفض - الفكر الإسلامي - النظرية الغربية في التجزئة بين القيم وأصر على مفهومه في التكامل . ولذلك فقد عجزت حركة التغريب أن تفرض عليه رأي الغرب في

(1) - الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي ص ٢٣- ٢٤.
(2) - الإسلام والدعوات الهدامة ص ١٥٩، مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٤٤٣ .
(3) - أخطاء المنهج الغربي الوافد ص٣٧.

قضايا العروبة والإسلام،والعلم والدين،كما عجز عن فرض نظرية البحر المتوسط [1] ، والفصل بين الدين والمجتمع.لقد ظل الفكر الإسلامي دوماً وجيلاً بعد جيل يواجه هذه النظريات ويدلي برأيه فيها لا يتوقف عن المعارض،ولا يتقبل كل شئ كما هو،لقد ظل الفكر الإسلامي العربي طوال هذه المرحلة معارضاً قبول قيم ليست من أسسه مع سماحته المعهودة في تقبل ما يجدده دون أن يخرج عن مقاومته "[2] .

٤- اجتهد الجندي في نقده للعالمية من خلال مواثيقها ومعاهداتها وبيَّن بُعدها عن الواقع العملي فهي إنما دعايات وهتافات هنا وهناك ليس لها رصيد من الصحة،وأن تلك الحقوق التي يدعونها من مساواة ، وعدل، وحرية، يخالفونها تماماً ، بل أنهم أول من ينتهكها ويخالفها علانية دون خجل ولا ملل. فقال :" ولكن الذين نادوا بهذه الحقوق،هم الذين انتهكوها ، فالولايات المتحدة الأمريكية تفرق قوانينها بين البيض والسود وتقتل جيوشها المطالبين بحرياتهم في فيتنام والدومينكان أيضاً وغيرهما.أن سياسة الاستعمار واحدة في كل زمان ومكان ، سياسة لا تعترف بحقوق البشر ، بل تتنافى مع أبسط القيم والمبادئ الإنسانية .وفي العصر الحاضر عندما وجدت الأمم المتحدة أن حقوق الإنسان مهددة،وأن حرياته مصادره أصدرت «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» في العاشر من ديسمبر عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م الذي ينادي بحق كل إنسان الطبيعي في الحرية والعدالة والمساواة .ولكن بعض هذه الدول لم تنفذ هذا الإعلان وتعتدي عليه اعتداء صارخاً ، بل بعضها الآخر امتنع عن التصويت عندما عرض الإعلان على الجمعية العامة للأمم المتحدة ،كما أن الحكومة الأمريكية بإقرارها لسياسة التفرقة العنصرية ، إنما تعتدى على أهم حق من حقوق الإنسان وهو المساواة بين المواطنين ... والأمم المتحدة التي أصدرت الإعلان العالمي لحقوق الإنسان هي نفسها التي أضاعت حقوق شعب فلسطين باعترافها بقيام إسرائيل و لم ولن تستطيع أن تعيد إليهم حقوقهم ولكن يقع على العرب[3] أنفسهم استعادة هذه الحقوق بأيديهم "[4].

وقد اتسم موقف الجندي من العالمية بشئ من التوازن في التعامل مع الآخر فهو لا يدعو إلى الانغلاق والتقوقع على ما نحن عليه ، وفي نفس الوقت يمنع الدعوة إلى الانفتاح

(١) - وهو محاولة الإدعاء بأن منطقة البحر الأبيض المتوسط شهدت حضارة واحدة ، وهي التي بدأها الفراعنة والفينيقيون ، ونماها الإغريق والرومان ، ثم أتمها الأوربيون المعاصرون وأن دور العرب في هذه الحضارة كان دوراً ثانوياً . (انظر : الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي ص ١٨) .

(٢) - أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ص ٣٢.

(٣) - الأولى التعبير بالمسلمين ؛ لأن قضية فلسطين لا تخص العرب لوحدهم بل جميع المسلمين .

(٤) - مناهج الحكم والقيادة في الإسلام ، ص ٧- ٨ .

العالمي الغير منضبطة بضوابط الشرع؛ ولهذا يقول: " إن الدعوة إلى الانفتاح على الفكر العالمي هي دعوة إسلامية صحيحة وأصيلة وقائمة منذ فجر الإسلام ولكن بضوابطها وحدودها وأساليبها التي تحفظ الذاتية وتحول دون انهيارها وانصهارها في الفكر الوافد وهي دعوة قام المسلمون عليها في عصر الترجمة قوامة أصيلة فملكوا إرادتهم و لم يترجموا إلا ما هم في حاجة إليه وما لا يتناقض مع قيمهم الأساسية ... ومفكرو المسلمين ما زالوا قادرين على التفرقة بين الانفتاح المنضبط على فكر الشرق والغرب وبين الدعوة المسمومة الخفية وراء ذلك إلى ترجمة كل سموم الفكر الوثني والمادي سواء في القديم أو في الحديث وهذا ما يطلق عليه التغريبيون عبارة (تقييد حركة الفكر وشل نشاط العقل والحجر على التأويل العقلي) فالإسلام منهج قرآني لا منهج فلسفي ... ومن هنا فإن القول بأنه (لا خوف على شخصيتنا الإسلامية من الانفتاح على فكر الشرق والغرب) قول يحتاج إلى مراجعة فكيف يمكن أن تحتفظ شخصيتنا الإسلامية بكينونتها ووجودها وذاتيتها وتميزها الخاص إذا تركت بغير ضوابط وتحفظات أمام عواصف الفكر الشرقي والفكر الغربي ، أن أي أمة من الأمم و أي عقيدة من العقائد لا بد أن تحافظ على وجودها وكيانها من الانصهار في ثقافات الأمم . إن الدعوة إلى الانفتاح غير المقيد أو غير المنضبط أو غير القائم على الضرورة وعلى النافع هي مخاطرة شديدة الأثر في تمييع القيم الأساسية للأمة الإسلامية ،ومؤثر خطير على الذاتية الإسلامية التي يجب أن نحميها من الاحتواء والانصهار والذوبان في الأممية والحضارة العالمية . لا بد أن تقوم على المترجمات حراسة قوية فيكشف عن أخطائها وأهدافها وغايات أربابها في نفس مجلداتها المقدمة للمسلمين حتى يعرفوا أنهم يقرأون غير فكرهم وعقيدتهم وفكر أمتهم ودينهم ... نحن لا نهاجم فكر الغرب ولكننا ننظر إليه في ضوء فكرنا فإذا وجدناه معارضاً له تركناه ، نحن لا نرفض إلا الفكر الوثني والمادي ، وإلا فهل يراد منا أمن نقبله" (١)

ويقول : " إن الانفتاح الثقافي له ضوابط وهي أن يكون المتقبل من الفكر البشري مما لا يتعارض مع أصول الإسلام أو مما هو مضاد لها،وإنما يكون عاملاً من أساليب العصر التي ينتفع بها في تبليغ الحقائق وتوصيلها إلى أكبر عدد من الناس.وإلاّ فكيف يأخذ الرباني المصدر من البشري وكيف يأخذ الجامع المتكامل روحاً ومادة من القاصر الناقص الانشطاري الواقف على حدود المادة وحدها،وكيف يأخذ الإنساني الناصع الناطق بالحق من الحامل لأهواء البشرية وأوهامها ؟وكيف يقبل المسلم أن يلقح الفكر الرباني الجامع من الفكر

(١) - الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ص ٢٧-٣٣.

البشري الحافل بالأساطير والأوهام والخرافات والفرضيات التي لم تثبت ؟ إن ما يأخذه الفكر الإسلامي من الفكر الوافد بمثابة مواد خام له الحق في تشكيلها وصياغتها على الوجه الذي يريده على أن تكون خاضعة للقيم الأساسية للفكر الإسلامي القائم على التوحيد والعدل والرحمة والإخاء الإنساني والذي يقيم منهجه على أساس الالتزام الأخلاقي والجزاء الأخروي "[1].

وإذا كان الجندي يرى أن هدف النفوذ الأجنبي استلاب حضارة الأمة التي يسيطر عليها ويكون بهدم الأسس والقيم لحضارة الأمة المستلبة ، والقضاء على مقومات ومظاهر حضارتها في نفسها وقومها ، وفي الواقع المعاش[2]،ولكنه مع ذلك يرى أن هناك بديلاً لمواجهة خطر الاستلاب الفكري و ذلك يكون" بالذاتية الإسلامية" بكل شاراتها وعلاماتها ومقدراتها ربانية قرآنية كما رسمها رسول الله ﷺبسيرته وسنته وخلقه وتصرفه اليومي في كل الأمور، ذلك أن هذه الذاتية الإسلامية هي هدف القوى الثلاث: الصهيونية والماركسية والغربية، من كل محاولات التخريب والغزو الثقافي؛لأنها هي القوة الحامية لهذه الأمة من أن تذوب في العالمية والأممية الدولية وهي في مرحلة الضعف الذي تمر به، وحيث أن الأممية ضالة مسرفة في الوثنية والمادية والإباحية.ولذلك فإن أبرز مطامح القرن الخامس عشر هو تأكيد تمايز هذه الأمة عن الأمم، وهذا التمايز كما يقول «الدكتور محمد محمد حسين » مقصود لذاته ؛لأن الأصل هو تباين الأمم ودفع بعضها ببعض وهو من سنن الله الكبرى، وإذا كانت النظريات الرياضية والتجريبية واحدة لا تختلف باختلاف الأمم فإن النظريات السلوكية التي تقنن سلوك الفرد وسلوك الجماعة مختلفة متباينة تباين أممهم . ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥١] وقوله تعالى :﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: ١١٨]. ويتميز المسلمون بالمقدار الذي يعتمدون فيه على قيمهم وعقيدتهم، هذا الالتقاء على نظام يجعلهم كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ومن طريق المخالفة لغيرهم الذي يصونهم عن الذوبان والفناء في غيرهم وهذا واضح في قوله تعالى :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ **[سورة الأنعام :١٥٣]**، فالآية تدعو المسلمين إلى الاجتماع على طريق الإسلام من ناحية

---

[1] - ترشيد الفكر الإسلامي ص ١٣- ١٤.

[2] - المصدر السابق ص ٢٣.

وتنهاهم من ناحية أخرى عن اتباع طرق غير المسلمين لأنها تؤدي إلى تفرق جماعتهم . إن الخطر هو تطويع الإسلام لأشكال الحضارة الغربية ومفاهيمها وتطوير المجتمع ليكون في نهاية المطاف صورة من صور المجتمعات الغربية. هذا التمايز، وهذه الذاتية الإسلامية، الواضحة العميقة، لا تقتصر على مجال واحد ولا ميدان واحد، ولكنها تشمل كل الميادين والمجالات، من الاقتصاد إلى السياسة إلى الأدب إلى اللغة إلى التاريخ إلى أدق الدقائق في القضايا الاجتماعية والفكرية والثقافية.وهذا التمايز هو الحصانة الوحيدة دون الذوبان والانصهار في بوتقة هذه الحضارة المضطربة التي تمر بأقسى مراحل أزماتها ونهايتها[1].

[1] - المسلمون في فجر القرن الوليد ، أنور الجندي، ص ١١- ١٣، دار الاعتصام ، القاهرة .

«تعقيب»

من خلال ما سطره الجندي عن العالمية يتضح لنا أن هذا التيار الوافد يعد من أقل التيارات تناولاً؛ فهو لم يفرد له كتاباً مستقلاً،بل عبارة عن إشارات متفرقة ضمن كتبه ورسائله[1]،ولكنها تعطى دلالة واضحة على رفض الجندي لهذه الفكرة الخبيثة، وتتضح منها كذلك معالم وجهود الجندي نحو العالمية وهي :

١- قام ببيان وإيضاح فكرة معنى العالمية بكل جلاء ووضوح .

٢- لم يلتزم الجندي بمنهج علمي منسق في العالمية ، بل كان يذكرها دون ترتيب معين ، أو الإشارة إلى مطلب واضح ؛ لذا قمت بترتيب أفكارها كما سبق .

٣- ذكر الجندي في نقده للعالمية «الإعلان العالمي للحقوق الإنسان »على أن هذا الإعلان فيه مناصرة لحقوق الإنسان ، و لم يتعرض له بشئ من النقد . مع العلم أن هذا الإعلان المزعوم لحقوق الإنسان يعتبر فكرة يهودية ماسونية لتمرير مخططاهم الخبيثة ، وقد احتوى هذا الإعلان على مغالطات كثيرة منها ما جاء في المادة الثانية :" إن لكل إنسان التمتع بكافة الحقوق والحريات دون تمييز ؛ كالتمييز بسبب الدين " و لاشك أن هذه مغالطة واضحة فإن الله عزوجل لم يجعل المؤمن كالكافر في كل شيء ، بل للمؤمن معاملة وللكافر معاملة ومن راجع أحكام أهل الذمة في الإسلام عرف الفرق بين حقوق المسلم وحقوق الكافر .وجاء كذلك في المادة الثامنة " لكل شخص أن يلجأ إلى المحاكم الوطنية " وهذا لا يجوز للمسلم اللجوء إلى المحاكم التي لا تحكم بالكتاب والسنة ، قال الله تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩][2].

٤- عدم وضوح الرد الإسلامي ، حول نقد الجندي للعالمية فهو لم يرجع إلى نصوص الوحي من القرآن والسنة.

---

(١) - نجد أن الجندي عقد لها مبحثاً في كتاب: الإسلام والدعوات الهدامة ، ومقدمات العلوم والمناهج ، بالإضافة إلى صفحات متفرقة في كتاب تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ، أخطاء في المنهج الغربي الوافد .

(٢) - انظر : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، أ. د . علي العلياني ص ٤٤٥ وما بعدها .

الباب الرابع : موقف أنور الجندي من قضايا التغريب وفيه تمهيد و فصول :

التمهيد فيه معنى التغريب،مصادر التغريب،أهداف التغريب،الغزو الفكري وصلته بالتغريب .

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من تغريب الشريعة الإسلامية وفيه مطالب

المطلب الأول : خصائص الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني : الشبهات المثارة حول الشريعة الإسلامية وتفنيدها .

المطلب الثالث : إثبات عدم صلاحية العمل بالقوانين الوضعية .

الفصل الثاني : موقف أنور الجندي من تغريب التربية والتعليم وفيه مطالب :

المطلب الأول : أهداف تغريب التربية والتعليم

المطلب الثاني: وسائل تغريب التربية والتعليم .

المطلب الثالث :مظاهر تغريب التربية والتعليم .

الفصل الثالث : موقف أنور الجندي من تغريب اللغة العربية وفيه مسائل :

المطلب الأول : الدعوة إلى العامية .

المطلب الثاني: الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .

المطلب الثالث: اللغة الوسطى .

المطلب الرابع : دعوى تطوير اللغة وإصلاحها .

الفصل الرابع :موقف أَنور الجندي من تغريب المرأة المسلمة وفيه مطالب :

المطلب الأول : إثبات فساد حركة تحرير المرأة وبيان بطلانها .

المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب والتحرر ونقض دعاويهم المسمومة .

المطلب الثالث :وسائل دعاة التغريب في إفساد المرأة المسلمة .

الفصل الخامس : موقف أَنور الجندي من تغريب الشباب وفيه مطلبان :

المطلب الأول :أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الشباب المسلم .

المطلب الثاني : سبل تلافي هذه المخاطر.

الباب الرابع : موقف أنور الجندي من قضايا التغريب .

أولاً : التمهيد وفيه

- معنى التغريب .
- مصادر التغريب .
- أهداف التغريب .
- الغزو الفكري وصلته بالتغريب .

الباب الرابع : موقف أنور الجندي من قضايا التغريب .

تمهيد

لقد ارتبط ذكر أنور الجندي بالتغريب فلا يكاد يذكر اسمه إلا ويتبادر في الذهن ما قام به من مواجهة للتغريب والغزو الفكري خلال نصف قرن. فهو يعد من أوائل المفكرين مواجهة للمد التغريبي في العالم العربي والإسلامي ، بل لا نجافي الصواب عندما نعده أكثرهم تراثاً وأغزرهم مادة فهو لم يترك شاذة ولا فاذة إلا وتحدث عنها وكشف حقيقتها [1] وسأتحدث فيما يلي عن :

أ- معنى التغريب :

أولاً في اللغة :

لم أجد كلمة التغريب في معاجم اللغة ، وإنما وجدت ألفاظاً قريبة من هذا ، منها :

١- المُغرِّب الذي يأخذ بناحية الغرب.

٢- غَرّب ومعناها : الإمعان في الغربة : فيقال غَرَّبَ في الأَرض وأَغْرَبَ إِذا أَمْعَنَ فيها ونَوًى غَرْبةٌ بعيدة وغَرْبةُ النَّوى بُعْدُها.

٣- غَرُب ومعناها بُعد وتوارى : يقال غرُبت النجوم تغرُب غُروباً أي بعدت وتوارت ، وغرُب الرجل أي بعد ، وأغرب الكلام يغرب غرابةً أي غمض وخفي ، ويقال غرُب فلان إذا بلغ المغرب ، وأغرب القوم أتوا الغرب[2] .

ثانياً : في الاصطلاح :

عرف التغريب بعدة معان ، أهمها :

١- طبع العرب والمسلمين والشرقيين عامة بطابع الحضارة الغربية والثقافة الغربية "[3].

٢- هو: دعوى كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها تخدمها مؤسسات كثيرة أهمها التنصير والاستشراق [4].

٣- تعريف الجندي للتغريب ، ويشتمل على عدة معان ،منها :

---

(١) - وهذه بعض مؤلفات الأستاذ أنور الجندي في التغريب والغزو الفكري يتبين من خلالها مدى مواجهته لهذا التيار بصبر وإرادة وعزيمة تعجز عن القيام بهذه المهمة مؤسسات ومراكز أبحاث والذي منها : ١- أهداف التغريب في العالم الإسلامي . ،٢- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي . ٣- الإسلام في وجه التغريب .٤- تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠ -١٩٤٠م .٥- اليقظة الإسلامية في مواجهة التغريب . ٦- أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب . ٧- الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي .٨- الفكر الإسلامي وسموم التبعية والتغريب . ٩- التغريب أخطر التحديات في وجه الإسلام. ١٠- الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية معالم الفكر الإسلامي مع دراسة عن قضايا التغريب والشعوبية.

(٢) - انظر : لسان العرب ، لابن منظور٢/ ٩٦٦ ، المعجم الوسيط ٢/ ٦٥٣

(٣) - حصوننا مهددة من الداخل ، د.محمد محمد حسين ص ١٤٢.

(٤) - العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ،ص ٩٥، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ط أولى ، عام ١٤١٧هـ .

أ- هو حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الاستسلام والاحتواء والتحرك من داخل دائرة الفكر الوافد (وليس من داخل عقلية الغرب نفسه) ودائرة الفكر الوافد تختلف في إنها تحشد الشيء وضده، وتسوق المذاهب المتعارضة كلها في خضم جارف (وجودية وماركسية وليبرالية وهيبية ولا معقولية) حتى تسقط النفس الإسلامية ويسقط العقل الإسلامي صريع الخلاف والاضطراب ويتشكل بالسلبية المطلقة والعدمية[(١)].

ب- هو التعبير عن الخطة التي تقوم بها القوى ذات النفوذ السياسي الخارجي في حمل العالم الإسلامي على الانصهار في مفاهيم الغرب وحضارته،والعمل على إخراج المسلمين من هويتهم الإسلامية التي أقامها الإسلام، وصهرهم في بوتقة الغرب[(٢)].

ج- هو محاولة تغيير المفاهيم في العالم العربي والإسلامي ، والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها ، والعمل على تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها،وإثارة الشبهات حول الدين،واللغة، والتاريخ [(٣)].

د- هو تحويل المسلمين عن مقومات دينهم على مراحل ، وخلق الشبهات المختلفة أمامهم في مختلف ميادين الفكر والاجتماع حتى يتخلصوا تخلصاً كاملاً من القيم الأساسية لشخصيتهم الإسلامية [(٤)].

هـ- هو: دعوة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها . وهي حلقة من مخطط واسع في تأكيد الاستعمار ودعمه ، وعمل استعماري فكري بعيد المدى قصد به إلى القضاء على معالم الشخصية العربية وتحويل هذه الأمة إلي الصورة الغربية ومسخ ملامحها [(٥)].

و على هذا فالتعريف للتغريب الذي قصده الجندي هو التغريب السلبي الذي لا يقتصر على عملية حمل المسلمين على قبول ذهنية الغرب بل يتعداه إلي " محاولة خلق دائرة فكر تهدم بناء المسلمين ، وتنتقص فكرهم ، وتشيع فيه الشبهات والأباطيل ، ثم بعد ذلك لا تدفعهم ولا تشجعهم على البناء والنهضة وتحت أي فكر كان "[(٦)].

ب- مصادر التغريب :

---

(١) - تصحيح المفاهيم الإسلامية ، أنور الجندي ، ص ١ ، دار الاعتصام ، القاهرة .

(٢) - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ٢بتصرف .

(٣) - الصحوة الإسلامية ص٣٧٨.

(٤) - الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ،أنور الجندي ، ص ٣٦ ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، عام ١٩٦٤م .

(٥) - تاريخ الغزو الفكري والتغريب ص ١١٩ .

(٦) - شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، ص ١٥، المكتب الإسلامي ، بيروت عام ١٣٩٨هـ .

ذكر الجندي أن للتغريب مصادر عديدة ، أهمها ما يلي :

١- خليط الأفكار الغربية التي قذف بها الفكر العربي الإسلامي دفعة واحدة،وركز فيها على النظريات التي طالما نظر فيها الغرب ورفضها وعارضها بنظريات أخرى وخاصة ما يتصل منها بإنكار الخالق والشك في الأديان وتغليب جانب المادة والجنس كنظريات دارون وفرويد .

٢- المستشرقون والمبشرون والعلماء الذين وردوا إلي الشرق في أفواج متوالية وتحت أسماء وشعارات مختلفة ، والذين حملوا معهم أفكار جوبنيو وريتان حول فوارق اللون والعقل بين الآرية والسامية ورسالة الرجل الأبيض ، وقد حرص هولاء الكتاب والعلماء على نقل أسوأ الصور ، والاتهامات والأخطاء وكانوا بطبيعة الدراسات التي تلقوها واستعدادهم الطبيعي – إلا القليل من المنصفين أحرار الفكر – منحرفين استعماريين .

٣-كتَّاب العالم العربي المتغربون[1]،الذين سافروا في بعثات علمية إلى فرنسا وبريطانيا وأمريكا ، والتقوا هناك بأساتذة من علماء التبشير والاستشراق فارتبطوا بهم فكريا وحملوا لواء نظرياتهم إلي الوطن العربي.وترجع النظريات التي حملتها كثير من الدراسات والتي أحدثت ضجة في بلادنا إلي اقتباساتها من أراء هؤلاء الكتاب وهي لا تخرج في مجموعها عن آراء مرجليوت،ودوركايم وليفي بريل وماسنيون وجميعهم مستشرقون متعصبون لليهودية المسيحية،يخدمون الاستعمار ويحقدون على الإسلام واللغة العربية ... وأبرز مظاهر عمل هذه الطائفة :التشكيك فهؤلاء أقرب بالطبع إلي أهل أوطانهم ويكتبون باللغة العربية ، ولذلك فإن كتاباتهم من شانها أن تجد قبولا خاصاً إذا قامت بناء على منهج مرسوم ، فيه الموالاة والتدرج والتكرار ... ولقد كان الكتاب المتغربون يوما من الأيام سلاحا بتاراً إزاء كل قلم كريم أو رأي حكيم ، وكانوا يهاجمون كل دعوة إلي الاعتدال في نقل الحضارة أو المحافظة على الدين والقيم أو مقومات الشخصية العربية أو تراث الإسلام فما أن تنطلق دعوة من هذه الدعوات حتى تخرج لها أقلام دعاة التغريب لتدحرها متهمة إياها بالرجعية والسطحية والخيانة للحضارة ومقاومة تيار التمدن ومعارضة التطور .

[1] - أمثال رائد التغريبيين رفاعة الطهطاوي ، وقاسم أمين ، ومنصور فهمي الذي كتب رسالته عن المرأة متأثراً بآراء ليفي بريل الاسرائيلي ، وعميد دعاة التغريب طه حسين وتأثره بآراء دوركايم في رسالته ابن خلدون ، وبمرجليوت و ماسنيون في كتابه الشعر الجاهلي . والقافلة التغريبية لا يمكن حصرها .

ويمكن أن توصف كتابات هؤلاء الكتاب بأنها حملة تغريبية شاملة متعددة الجوانب ، فقد تناولت اللغة والزي والدين و المجتمع والمرأة وموقفنا من الشرق والغرب وإقليمية الأدب والإيمان بفرنسا ومهاجمة الشريعة الإسلامية[(١)] .

ج- أهداف حركة التغريب :

لقد توسع الجندي كثيراً في هذا الجانب بل إنه رحمه الله أفرد لها مؤلفاً أسماه «أهداف التغريب في العالم الإسلامي» ولخص الجندي تلك الأهداف في هدف عامٍ أساسي جامعٍ سعت إليه جحافل التغريب على مر العصور ، وهو ما عبر عنه الجندي بقوله : "إن الهدف هو استسلام المسلمين في أتون التبعية الغربية والعلمانية الضالة . إن الهدف هو تقليم أظافر هذه الأمة حتى تكون عاجزة عن المقاومة والحياطة لكيانها ووجودها ، ثم إن هذا التغريب والغزو الثقافي إنما أعدت له الخطة ليسري في العروق دون أن يرى ، وجرى في الأوردة سماً زعافاً دون أن يكتشف أمره ، حتى يقضى على هذه الأمة فتهوي عاجزة عن حمل أمانة هذه الرسالة التي اعتنقتها وعاهدت الله على الدفاع عنها وحمايتها ونشرها في العالمين "[(٢)].

ويقول بعبارة أخرى : " والهدف من حملة التغريب هو إخراج المسلمين من دائرة فكرهم بما يخلق شعوراً بالنقص في نفوسهم وذلك بالتأثير في النفس والمزاج والروح الإسلامي لإخراجها جميعاً من مفاهيمها ومواريثها وفرض أعراف جديدة عليها مخالفة لها في الأصل مباينة لها في الجذور "[(٣)]

وقد دلل الجندي على تجذر هذا الهدف في نفوس كبار أولئك المفكرين الغربيين بعبارات مختلفة وتصريحات واضحة من ألفاظهم منهم ماسينيون الذي قال :إن هؤلاء الطلاب المسلمين الذين يصلون إلي فرنسا يجب أن يصاغوا صياغة غربية خالصة حتى يكونوا أعواناً لنا في بلادهم .

ويقول المارشال ليوتي:إننا نعد العدة لإنشاء جيل جديد لا صلة له بالماضي،هذا الجيل نصنعه وننشئه على الإيمان بالغرب وبذلك يتم لنا عن طريقهم وضع يدنا على البلاد[(٤)].

وبعد أن حدد الجندي الهدف العام شرع في بيان الأهداف التفصيلية لتلك الحملات التغريبية فقال :" ويمكن حصر أهداف التغريب في النقاط التالية :

---

(١) - تاريخ الغزو الفكري والتغريب ص ١٧١.

(٢) - من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة،أنور الجندي،ص ١٧- ١٨،دار الاعتصام،القاهرة،مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٢١

(٣) - معلمة الإسلام ٣/ ٣٠٤.

(٤) - من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة ص ١٩،مقدمات العلوم والمناهج ٩ /٢٢٢،لمزيد من أقوال هؤلاء الغربيين ينظر : مقدمات العلوم والمناهج ٥/ ٦٨-٦٩، الإسلام في وجه التغريب ص١٣٧-١٣٩.

أولاً :القضاء على وحدة الأمة الإسلامية ، بما يحول دون عودة الخلافة الإسلامية ، وتعميق مفهوم الإقليميات والقوميات .

ثانياً :التعليم الوافد هو الخنجر المسموم الذي طعنت به الأمة الإسلامية .

ثالثاً :فرض الربا على الاقتصاد ، وتمزيق ثروات الأمة الإسلامية .

رابعاً :حجب القانون الرباني المتمثل في الشريعة الإسلامية ، وفرض القانون الوضعي الذي يهدم الخلق والأسرة.

خامساً :القضاء على مقومات الأسرة وهدم قيم المجتمع وإدخاله إلى مرحلة التحلل والتمزق ، وتدمير الشخصية الإنسانية .

سادساً :تمزيق القارة الإسلامية ، وغرس عنصر غريب عنها في قلبها .

سابعاً :كتابة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر غربية مادية .

ثامناً :إثارة النعرات الإقليمية والقومية والعصبية ، وإحياء التاريخ القديم السابق للإسلام.

تاسعاً :إشاعة روح المفاهيم المادية ، وفي مقدمتها نظرية دارون كمدخل إلى الإلحاد ، والتشكيك في مفاهيم الإسلام وقضية الخلق القرآنية .

عاشراً:إشاعة مفهوم المادية في العلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية عن طريق نظرية فرويد (الدوافع الجنسية) والماركسية (دوافع المعدة) وتصور الإنسان حيواناً تحكمه غريزته .

حادي عشر : القضاء على اللغة العربية لأنها لغة القرآن .

ثاني عشر : إنكار فضل المسلمين على الحضارة الإنسانية وإنشاء منهج التجريب .

ثالث عشر : فرض الفلسفات المادية[1] بما تحتوى من أحقاد وأهواء وأوهام الإلحاد وإنكار ما لا يخضع للتجربة وادعاء المنهجية في البحث .

رابع عشر : إنكار الدين واعتباره طوراً متخلفاً من أطوار التقدم الاجتماعي وفصل الإسلام عن السياسة والأخلاق والحملة على العقائد والقيم .

خامس عشر : إذاعة الفرقة والخصومة بين الأديان والأجناس ."[2]

د- الغزو الفكري وصلته بالتغريب :

أولاً : الغزو الفكري :

أ – في اللغة :

---

[1] - مثل المادية الجدلية ، والبرجماتية ، والوضعية ،والوجودية .

[2] - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٥- ١٦.

كلمة الغزو في اللغة تُعطي معنى : القصد ، والطلب ، والسير إلي قتال الأعداء في ديارهم ، وانتهابهم وقهرهم والتغلب عليهم[1] .

أما كلمة فكري : فهي نسبة إلى فِكْر. وقد ورد في المعاجم المعنى التالي :

يقول ابن فارس : " الفاء والكاف والراء تردُّدُ القَلْب في الشَّيء. يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِراً. ورجلٌ فِكِّير: كثير الفِكر"[2].

وفي معاجم اللغة العربية الأخرى يأتي الفكر بمعنى : عمل العقل أو الخاطر في شيء ، والتفكر والتأمل[3].

وقد نُسب الغزو الفكري إلى الفكر؛لأنه جاء من ذلك المصدر وهو الفكر. فهو مجموعة وسائل مأخوذة من أفكار غربية وهدفها هو تخريب الفكر السليم وتشويه بهذه الوسائل .

ب- في الاصطلاح :

١- يقصد بالغزو الفكري : تلك الوسائل غير العسكرية التي اتخذها العدو لإزالة مظاهر الحياة عند الخصم ، وصرفه عن التمسك بعقيدته ودينه وما يتصل بهما من أفكار وقيم وتقاليد وأنماط وسلوك [4].

٢- هو : عنوان أطلق على المخططات والأعمال الفكرية ، والتثقيفية ، والتدريبية ، والتربوية ، والتوجيهية ، وسائر وسائل التأثير النفسي ، والخلقي ، والتوجيه السلوكي الفردي والاجتماعي ، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين ، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلاً كلياً أو جزئياً ، وتجزئتهم ،وتمزيق وحدتهم ، إضعاف قوتهم ، لاستعمارهم فكرياً ونفسياً ، ثم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً سواءً مباشراً أو غير مباشر[5] .

وقد عرفه الجندي بأنه :" محاولة إدخال تفسيرات مضللة لمفاهيم الإسلام عن طريق النحل الجديدة كالقاديانية والبهائية ، أو محاولة تزييف مفهوم الإسلام على النحو الذي جرى عليه كتّاب الغرب"[6].

ج- العلاقة بين التغريب والغزو الفكري :

---

[1] - انظر: مختار الصحاح ، الرازي ،ص ٤٧٤، بيروت ، مكتبة الهلال، منجد الطلاب ، فؤاد البستاني ،ص٥١٩، بيروت ، دار الشروق

[2] - معجم المقاييس ٤/ ٤٤٦.

[3] - انظر : لسان العرب ٥/ ٦٥، مختار الصحاح ص ٥١٧ .

[4] - انظر : واقعنا المعاصر ،محمد قطب ، ص ١٩٥، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، ط الثالثة ، عام ١٤١١هـ

[5] - أجنحة المكر الثلاثة ، عبدالرحمن حبنكة الميداني ،ص ٢٥،

[6] - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ٢٠ .

لقد ذكر الجندي أن التغريب والغزو الفكري يخدمان المعسكر الصليبي المستعمر في تحقيق أهدافه في العالم الإسلامي إلاّ أن التغريب يعتبر أوسع دائرة وأسبق وجوداً. يقول الجندي: " ولقد بدأت حركة التغريب قبل حركة الغزو الفكري وسجلها المستشرقون أمثال : هاملتون جب وزملائه في كتابه وجهة الإسلام فكشفوا حقيقة هذه الوجهة وهي وجهة إخضاع الشرق والسيطرة عليه عن طريق تغيير مفاهيمه الفكرية وإدخاله فيما أطلقوا عليه عالمية الحضارة أو عالمية الفكر وسيكون دخوله دخولاً ذليلاً لأنه الأضعف ، فلن تستطيع إبراز ذاتيته أو الحفاظ على شخصيته وبذلك يذوب في الأتون الواسع الذي سيصهره ويقضى على وجوده الخاص "[١].

و مما يدل على أن التغريب أوسع من الغزو الفكري قول الجندي :" ظهر في منتصف الستينيات من القرن الميلادي ١٩٦٥م ولكنها كانت حلقة من الخطة الكبرى:خطة التغريب .ومن هنا فالغزو الثقافي وجه من تلك الوجوه تلك الحملة الضخمة المثارة على الفكر الإسلامي في العصر الحديث من دوائر التبشير والاستشراق "[٢].

ويقول الجندي:"والغزو الثقافي هو قذيفة مسمومة مسددة إلي قلب الفكر الإسلامي لتحقيق هدف واضح معروف هو التغريب : تغريب المجتمع الإسلامي وصهره في بوتقة الحضارة العالمية والأممية بحيث يصبح المسلمون وقد فقدوا كل مميزاهم الخاصة وذاتيتهم التي بناها الإسلام في قلوبهم وعقولهم خلال أربعة عشر قرناً "[٣] .

ومن الدلائل على أسبقية التغريب على الغزو الفكري أمران :

الأول : من حيث المجالات ، فنجد أن مجالات التغريب أوسع من حيث تحقيق الأهداف .

الثاني : من الناحية الزمنية ، فنجد أن التغريب أسبق زمناً ، ثم كان دخول الغزو الفكري لتحقيق أهدافه .

---

[١] - الغزو الثقافي مدخلاً إلي التغريب والشعوبية ص ١٢، الصحوة الإسلامية ص ٤٠٩- ٤١٠ .

[٢] - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ٢٠-٢١.

[٣] - الغزو الثقافي مدخلاً إلي التغريب والشعوبية ص ٧، الصحوة الإسلامية ص ٤٠٦ .

الفصل الأول : موقف أنور الجندي من تغريب الشريعة الإسلامية وفيه مطالب:

المطلب الأول : خصائص الشريعة الإسلامية .

المطلب الثاني : الشبهات المثارة حول الشريعة الإسلامية وتفنيدها .

المطلب الثالث : إثبات عدم صلاحية العمل بالقوانين الوضعية .

الفصل الأول

موقف أنور الجندي من تغريب الشريعة

إن الحملات التغريبية التي وجهها أعداء الأمة الإسلامية من كل صوب و اتجاه إلي بلاد المسلمين ما كان لها أن تؤتى ثمارها لو لم يوجد لها الجيل المتغرب فكراً وخلقاً ، الذين توجهوا إلي الغرب قلباً وقالباً فانبهروا بما عندهم من التقدم الحضاري والمادي ظناً أن ما حصل عندهم من تطور إنما هو نتيجة تخليهم عن الدين وانسلاخهم من القيم والفضائل فترسخ في عقولهم اقتفاء آثار الحضارة الغربية بوجهها المنحل ، ورافق هذه الحضارة الزائفة ما عند الغربيين من سلوك ، وعادات وأفكار مناقضة لمبادئ الإسلام ومفاهيمه و شرائعه ونظمه . و لم يكتفوا بهذا بل أثاروا الشبهات ووصموا نظام الإسلام بالتخلف والجمود فركزوا حملاتهم التغريبية على الشريعة الإسلامية ، والتعليم واللغة العربية فكانت هذه القضايا وغيرها من مسائل التغريب محل عناية ودراية من الجندي فظهر فيها جهده واضحاً وقوياً وكانت معالجته تتسم بالوضوح والرسوخ مع عزة واعتزاز لشريعة الإسلام وأحكامه الفاصلة. سيتضح لنا موقفه من تغريب الشريعة الإسلامية في المطالب التالية :

المطلب الأول : خصائص الشريعة الإسلامية :

تعد الشريعة الإسلامية هي النظام الوحيد الكفيل بتحقيق الأمن والأمان والسعادة والاطمئنان في العاجلة والآخرة على سواء ، القادرة على إزالة المجرمين ومعاقبتهم ، بل مكافحة الجريمة واستئصالها من منابعها . وهذا كله راجع لما تتضمنه هذه الشريعة الغراء من خصائص ميزتها عن غيرها من الشرائع والقوانين الوضعية لذلك اهتم الجندي في بداية حديثه ببيان تلك الخصائص والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١- أنها تمثل منهجاً ربانياً لبناء الفرد والمجتمع جامعاً متكاملاً للمجتمع والحكم والاقتصاد لا تنفصم عراه . بمعنى أن النظام الإسلامي يهدف إلى بناء مجتمع وإقامة نظام سياسي واقتصادي متكامل .

٢- أنها تحرر العقل البشري من رق التقليد والخرافات،وإصلاح الفرد روحياً ونفسياً وخلقياً وتوجيهه نحو الخير والإحسان والواجب؛كيلا تطغى شهواته وأطماعه على عقله وإرادته .

٣- أنها تشمل كل نشاط الإنسان على وجه الأرض وليست قاصرة على العبادات وحدها أو على الأحوال الشخصية،حيث تشمل كل المعاملات التي يمكن أن تنشأ في المجتمع الإسلامي .

٤- أنها جمعت بين عنصري الاستقرار والتطور ووفقت بينها توفيقاً بديعاً فنياً ، فهناك نصوص شرعية تنـــزل إلى التفصيلات وتنأى عن التأويل والتغيير والتبديل ، كنصوص المواريث والحدود والكفارات وهناك نصوص أخرى تبيح للمشرع أن يبتدع أحكاماً في غير الحالات التي جاءت بها النصوص القطعية ما دام الأمر يحقق مصلحة عامة للمسلمين وأظهر مثل لهذه النصوص المرخصة : المصالح المرسلة[١] ، والاستحسان[٢] بالضرورة والقياس .
فالشريعة الإسلامية هي الوحيدة في الدنيا التي تطورت بوسائل داخلية دون أن تستعير نصاً من خارج نصوصها أو حكماً غير مستنبط من أحكامها .

٥- التقادم في نظر الشريعة الإسلامية غير مسقط للحق ولا مكسب كما هو في حكم القوانين الوضعية،إنما هو تدابير قضائي استعلامي يرفع حماية القضاء للحق فقط وتبقى الحقوق المتعارفة عالقة بالذمة لا حماية لها إلا بالعقيدة الآمرة بوجوب الوفاء خوفاً من العقاب الأخروي .

٦- أنها تبنت مجموعة من المبادئ الإنسانية منها الزكاة ونفقات الأقارب الفقراء،وهما النظامان الإنسانيان الاجتماعيان اللذان حققت فيهما الشريعة كفالة الغني للفقراء و لم تترك الغني لجشعه والفقير لبؤسه .

٧- أنها تفردت بأنظمة لم يعرفها العالم الحديث إلا منذ وقت قريب وقد سبقت التشريعات الحديثة،منها نظام الحسبة وهي وظيفة اجتماعية قانونية إسلامية ، ومنها مبدأ انتقال الملكية بمجرد الاتفاق .

٨- أنها أوجبت فكرة إقامة الدولة وربط الدين بالدولة ، وإقامة الدولة على مبدأ الشورى .
وبنت قواعدها على عدم الحرج ، ورفع المشقة وتقليل التكاليف ورعاية المصالح جميعاً وتحقيق العدالة الشاملة .

٩- أنها ارتبطت بالأخلاق ، لهذا حثت على مراعاة الفضائل من الصدق والعدل والوفاء بالعهود والعقود والرحمة والإحسان ، ولكل حكم في الشريعة الإسلامية مظهران : مظهر ديني و مظهر قضائي .

---

[١] - المصالح المرسلة هي : تشريع حكم لواقعة لا نص فيها ، ولا إجماع ، لتحقيق مصلحة لم يرد في الشريعة دليل خاص على اعتبارها أو إلغائها . (انظر : نظرات في أصول الفقه ،أ. د. عمر الأشقر ص ٢٢٩) .

[٢] - الاستحسان : هو العدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاص من كتاب أو سنة . (انظر : روضة الناظر ، لابن قدامه ١/ ٢٦٩ ، نظرات في أصول الفقه ص ٢٤٨) .

١٠- أنها تركز على توفير السعادة للفرد، وترمى في نفس الوقت إلى حماية مصلحة الجماعة ،كما تحقق السعادة وراء العدالة المطلقة في مساواة المتعاقدين وترمى أحكامها إلى الابتعاد عن كل ما من شأنه خلق القلق أو المنازعة في المعاملات [١].

المطلب الثاني : الشبهات المثارة حول الشريعة الإسلامية وتفنيدها .

إن أعداء الإسلام سوء كانوا مستشرقين أو مستغربين أو حتى من أولئك أصحاب الاتجاه التحديثي في الفكر المعاصر[٢]أثاروا شبهات كثيرة حول الشريعة الإسلامية ومدى صلاحية تطبيقها في البلاد الإسلامية وقد عرض الجندي لتلك الشبهات وأبطلها وبين تهافتها وهي :

أولاً : شبهة صلة الشريعة بالقانون الروماني.

يقول الجندي :" إن من أبرز الشبهات التي حاول النفوذ الغربي طرحها في أفق الفكر الإسلامي في العصر الحديث الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية لها صلة بالفقه الروماني ، وأن بعض علماء المسلمين في الشام قد أطلعوا على القوانين الرومانية ومنها أخذوا ، ردد هذا «جولد زيهر» و«فون كريمر»[٣] وجماعة من المستشرقين " [٤] ، ومن أقوالهم في ذلك :" أن الشرع المحمدي ليس إلاّ القانون الروماني للامبراطورية الشرقية معدلاً وفق الأحوال السياسية في الممتلكات العربية "[٥]

وقد دحض الجندي هذه الشبهة بما يلي :

١- لم يطلع المسلمون على كتب الرومان في الفقه و لم يترجموا منها شيئاً يذكر و لم يذكروا شيئاً عنها ولو فعلوه لاعترفوا بذلك ولكان أثره باقيا في كتبهم كما اعترفوا بترجمة كتب اليونان والفرس في العلوم المختلفة في الأدب والفلسفة.

٢- أن الموافقات بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني طفيفة جداً[٦] بالقياس إلى الفروق ،وهي لا تدل بحد ذاتها على تأثر الشريعة الإسلامية بالقانون الروماني .

---

[١] - الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ،أنور الجندي ، ص ٢١-٢٩ بتصرف ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٣٩٩هـ ، مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ١٠- ١٦.

[٢] - أمثال : د. حسن الترابي ،و الشيخ عبدالله العلايلي ، ود. راشد الغنوشي ، و د. محمد عابدالجابري، و د. محمد سليم العوا ، ود. أحمد كمال أبو المجد . وللرد على شبهاتهم ودحضها.(انظر :كتاب الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ، د. مفرح القوسي ص٢٦٩-٣٢٤).

[٣] - الفرد فن كريمر(١٨٢٨ - ١٨٨٩ م) مستشرق نمساوي، من الوزراء، ولد وتعلم في فينا، وتجول في مصر والشام.وعين قنصلاً في مصر، ثم في بيروت نشر نحو عشرين كتابا عربياً ، منها المغازي للواقدي، و الاحكام السلطانية للماوردي.(انظر الأعلام ٧/٢).

[٤] - الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ، ص ٢١٣، مقدمات العوم والمناهج ٦/ ٥١.

[٥] - انظر : المدخل إلى الشريعة الإسلامية ، د. عبد الكريم زيدان ،ص ٦٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٢ ،عام ١٤١٦هـ.

[٦] - مثل قاعدة عبء الإثبات على المدعي ، والتي جاء مثلها في الشريعة الإسلامية البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ، وقاعدة تحريم أخذ مال الغير بغير حق ، وهذه من القواعد الشائعة في جميع الشرائع التي يهتدي إليها العقل السليم وتقضي بها العدالة و لا تعنى أن الشريعة قد أخذت من القانون الروماني . (انظر : المدخل إلى الشريعة ص ٧١).

٣- لم يعرف فقهاء المسلمين الفقه الروماني و لم يطلعوا عليه و لم تصل أخباره إليهم إلا بعد أن ولد الفقه الإسلامي ونما و بلغ أشده،كما أن الأسس التي بنى عليها الفقه الإسلامي لم تكن في عهد الرومان و لم يعرفوا اللغة اللاتينية التي كتب بها القانون الروماني،كذلك فإن هذه القوانين لم تترجم إلي اللغة العربية مع ما ترجم في عصر المأمون و لم تترجم فعلاً إلاّ في هذا القرن .

٤- بنى الفقه الروماني على العرف والعادة وأوامر رئيس الحكومة،بينما قام الفقه الإسلامي على الاستمداد من كلام الله عز وجل المنـــزل بالوحي.ومعنى هذا أن أساس القانون الروماني مستمد من مشيئة الإنسان،بينما تستمد الشريعة الإسلامية من مشيئة الله عز وجل. وبالمراجعة الدقيقة نجد أنه لا مشابهة مطلقاً في الأسلوب ولا في الحكم ولا في النظرة إلي الأمور[١] .

ويزيد الجندي في دحض هذه الشبهة قائلاً: " لقد كشفت الدراسات التاريخية الحديثة المنصفة أنه لم يقم دليل واحد على أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني بل أن الفقه الروماني هو المقتبس من الفقه الإسلامي وإليك الدليل :

أولاً : أن الفقه اللاتيني المعاصر في أوربا هو غير القانون الروماني القديم وأن هذا الفقه نشأ بعد ظهور الإسلام .

ثانياً:أن الفرنسيين الذين وضعوا القوانين في العالم الغربي قد استفادوا كثيراً من الفقه الإسلامي عموماً ومن الفقه المالكي بالذات الذي حمله نابليون[٢] معه من مصر عند عودته إلى فرنسا [٣].

ثانياً : شبهة القول بأن الإسلام دين عبادة .

هذه الشبهة ذكرها الشيخ علي عبد الرازق [٤] في إطار معارضة الخلافة الإسلامية وهي محاولة علمانية استهدفت فصل الدين عن الدولة على النحو الذي فعلته أوربا في ظل ظروف مختلفة وإزاء دين ليس له تشريع متصل ، يقوم على أساس الوصايا وتعميق المعنويات والروحيات في مواجهة التحدي المادي اليهودي الذي حرف الموسوية المنـــزلة .

---

[١] من التبعية إلى الأصالة ص ٥٣- ٥٥ بتصرف .

[٢] - نابليون بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١م) أمبراطور فرنسا . يعد أحد أعظم القادة العسكريين في جميع العصور . عزا مصر عام ١٧٩٨م، ودوخ بفتوحاته القارة الأوربية ، وقد تنازل عن العرش عام ١٨١٤م ، فنفي إلى جزيرة ألبا . (انظر: معجم أعلام المورد ص ٤٥-).

[٣] من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة ،ص ٥٤- ٥٦بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج٩/ ٢٤٢- ٢٤٣.

[٤] - علي بن حسن بن أحمد عبدالرازق ، ولد بمصر عام ١٣٠٥هـ ، عالم أزهري تولى منصب القضاء الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية ، سحبت منه شهادة الأزهر وأخرج من زمرة العلماء بسبب تأليفه كتاب الإسلام وأصول الحكم،توفي عام ١٣٦٨هـ .(انظر الأعلام ٤/٢٧٦).

وقد دحض الجندي هذه الشبهة بكلام ما ملخصه : أن هذا الفصل الذي حصل في الغرب إنما كان نتيجة الثورة الفرنسية التي أقامها اليهود لتحطيم القوانين التي كانت تعزلهم عن الحياة السياسية والاجتماعية ، ويعتبر هذا الفصل من طبيعة المسيحية الغربية بتفسيراتها التي قدمها بولس وغيره ، استناداً إلى العبارة المأثورة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) ، وقوله : ليس مملكتي في هذا العالم .

أما الإسلام فإنه بوصفه نظاماً متكاملاً ومنهجاً جامعاً فإنه يربط بين القيم ، وقد قدم للبشرية في مطلع عصر رشدها الفكري نظام مجتمع يضم العقيدة والشريعة والأخلاق ولا ريب أن هذه الرابطة الجذرية بين الدين والدولة قد أصبح واضحاً للغربيين من منصفي المفكرين والمؤرخين حيث يقول «أرنولد توينبي»: في الإسلام يتحد العنصران الدين والدولة في كيان وحدة عضوية ، ويقول «ليونارد بانيدر» مؤلف كتاب «الثورة العقائدية » :" الدين والدولة لم يكونا متفرقين عن بعضهما في الإسلام كما هو بالنسبة للمسيحية الغربية ومن هنا ينبع الافتراض باستحالة تفهم شئون السياسة في الشرق الأوسط قبل أن تفهم الإسلام أولاً . ذلك أن سياسات الشرق الأوسط تختلف عن السياسات الغربية بسبب عامل الدين " ... ومن هنا فإن لنظام الإسلامي يختلف عن الأنظمة الغربية : الديمقراطية [(1)] والديكتاتورية[(2)] والماركسية والاشتراكية اختلافاً عميقاً بحيث لا يمكن القول بأن الإسلام ديمقراطي أو اشتراكي أو أنه يمكن الجمع بين العنصرين . هذه الأنظمة ما كانت توجد في أفق المجتمع الإسلامي؛ لولا أن الاستعمار والنفوذ الغربي قد عمل على إدخالها لحجب النظام الإسلامي الذي كان من أكبر القوى العاملة على الحيلولة دون سيطرة الغرب الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية .ولقد وجد دعاة التغريب في هذه النصوص التي قدمها علي عبدالرازق حجة على القول بأن الإسلام يحمل رأيين مختلفين ،مع أنه لم يوجد واحدٌ من فقهاء المسلمين قال بذلك قبله، اعتماداً على مفهوم المسيحية والفكر الغربي في العلاقة بين الدين والمجتمع [(3)].

[(1)] - الديمقراطية كلمة يونانية الأصل وهي مكونة من كلمتين، أضيفت إحداهما إلى الأخرى.أولاهما : ديموس وهي تعني الشعب.وثانيهما : كراتوس وهي تعني الحكم أو السلطة فصارت الكلمة المركبة من هاتين الكلمتين تعني: حكم الشعب أو سلطة الشعب، وعلى ذلك: فـ " الديمقراطية " هي ذلك النظام من أنظمة الحكم الذي يكون الحكم فيه أو السلطة أو سلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو الأمة أو جمهور الناس . (انظر: موسوعة المورد العربية ٢/ ٥١٥ ، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، د. الحفنى ص ٣٥٧) .

[(2)] - نظام حكم يتمتع فيه شخص فرد بجميع الصلاحيات التشريعية والتنفيذية ، سواء أمارس هذه الصلاحيات شخصياً أو عبر عدد من الأعوان أو عبر مجموعات أو أحزاب مرتبطة به وخاضعة لمشيئته (انظر : موسوعة المورد العربية ٢/ ٥١٣).

[(3)] - من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة ،ص ٦١- ٦٤بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٤٧- ٢٤٨) .

ثالثاً : شبهة الصلة بين الشريعة الإسلامية وأعراف الجاهلية.

لقد أثار هذه الشبهة المستشرقون مثل «جولد زيهر» و«شاخت»[1] فقد ادعى هولاء أن التشريع الإسلامي المتعلق بالأسرة والوراثة كما قررها الإسلام كان مستمداً من النظام القبلي أو خاضعاً له. وأن العقوبات في الإسلام كانت تحت حد سلطان النظام القبلي .

وقد اكتفى الجندي بما دحض به الشيخ أبو زهرة[2] ادعاءات و مغالطات شاخت ولخصها بقوله : " نجد أن الدكتور شاخت قد تعرض لما يقوم الدليل القطعي على بطلانه فهو يزعم أن العلاقات الأسرية كانت قبلية فهل الطلاق الذي جاء به الإسلام هل هو ما كان متبعاً في الجاهلية وهل حقوق المرأة كما قررها الإسلام هي التي كانت في الجاهلية أو عند الرومان ، هل كانت للمرأة عند العرب أو الرومان إرادة في تزويج نفسها والولاية الكاملة على مالها ، هل المرأة كان لها كيان كامل عند الرومان أو عند البدو ، هل قرر الإسلام ما قرره البدو والرومان في ثبات النسب ، وهل أقر الإسلام نظام التبني الذي كان معمولاً به عند العرب وعند الرومان ، وهل نظام الولاية على النفس والمال كما هو عند الرومان الإسلام قد اعتبر الولد حراً في التصرف في نفسه وماله بمجرد بلوغه البلوغ الطبيعي والرومان كانوا يعتبرون ولاية أبيه ولو بلغ الستين حتى يمنحه الأب حق التصرف ، وهل نظام الميراث كما قرره الإسلام سبق برأي في شرع من الشرائع؟ إن الدكتور شاخت معذور لأن هذه حقائق لا يعرفها إلاّ الذين درسوا القانون ودراسته لغوية فقط وهي مع ذلك في غير لغته ، إن نظام الأسرة في الإسلام لم يسبقه سابق و لم يلحقه إلي الآن لاحق ، وهو عود من خشب يوضع في أعين المفترين على الإسلام .

أما كلامه حول أن العقوبات في الإسلام مشتق من النظام القبلي فهو بعيد أولاً عن الأمانة العلمية .والإسلام شرع شريعة القصاص وبين أنها شريعة النبيين السابقين وأن التوراة جاءت بها والتوراة التي يذكرها القرآن التي نزلت على موسى و لم يجر فيها تغيير ولا تحريف ولا إهمال للنصوص ونسيان حظ منها.

(1) - جوزيف شاخت (١٩٠٢م-)تخرج من جامعتي برسلاو وليبزج،وعين أستاذاً في جامعة فرايبورج وكونسبرج،والجامعة المصرية عام ١٩٣٤م وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق،وقد أشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوره وتأثره وأثره.من أثاره : نشر كتاب الحيل والمخارج للخصاف،والحيل في الفقه للقزويني،نشأة الفقه في الإسلام . .(المستشرقون لعقيقي ٢/ ٨٠٣-٨٠٥).

(2) - محمد بن أحمد أبو زهرة ، عالم أزهري مصري معاصر ، ولد بمدينة المحلة الكبرى بمصر سنة ١٣١٦هـ ، تعلم بمدرسة القضاء الشرعي ، وَدَّرس في الأزهر وفي كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، له مؤلفات كثيرة منها : الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية ، الأحوال الشخصية ، أحكام التركات والمواريث ، محاضرات في النصرانية ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ . (انظر: الأعلام للزركلي ٦/ ٢٥-٢٦)

وهل كان في النظام القبلي أن الفرد يقتل بالفرد وأنه لا يسأل غير القاتل وأن النفس بالنفس ولا عبره بمقدار ما كان عليه المقتول من جاه ، أو منــــزلة عند الناس ؟ فإن النفوس متساوية بحكم القرآن وأقوال محمد ﷺوليست متساوية بحكم القبائل العربية فزعيم القبيلة يقتل به ألوف ، وهل كان في نظام القبيلة أن يقتل الحر بالعبد؟ بل أن السيد يقتل عبده ، كما قال النبي ﷺ: " ومن جدع عبده جدعناه ومن قتله قتلناه "[١].وهل كان في حكم القبيلة حد الزاني بمائة جلدة أو الرجم، وحد الخمر ثمانين جلدة أو أربعين ،وحد القذف بثمانين جلدة؟ وهل كان في حكم القبيلة أن السارق تقطع يده؟ فكيف لكاتب أن يغفل كل هذه الحقائق ويدعى أن حكم الإسلام في العقاب امتداد لحكم الأعراب ![٢].

رابعاً : الإدعاء بأن الإسلام ليس له نظام سياسي .

هذه الشبهة ذكرها كثير من أتباع المستشرقين وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين حيث يقول: " ادعى أن الإسلام استمد نظريته من الفكر اليوناني أو الروماني " [٣] . وقد بين الجندي المغزى من هذه الدعوى وهو زعمهم أنه ما دام الشريعة الإسلامية خالية من الأصول السياسية أو الدستورية وأنها أخذت في الماضي من الفكر اليوناني والروماني فبالتالي يجوز لها في العصر الحديث أن تأخذ من الفكر الغربي والنظم الحديثة على اختلاف أنواعها من ديمقراطية ، أو اشتراكية ، أو شيوعية دون أن يعد ذلك مخالفاً لأصول الإسلام ، وهم يقصدون بذلك الانطلاق بالشريعة إلى حدود التطوير. وقد صرح علي عبد الرازق بهذا في كتابه الإسلام وأصول الحكم حيث قال :" إن محمد ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالية للدين لا تشوبها نزعة ملك و لا حكومة وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسياً من هذه الكلمة ومفرداتها . فهو ما كان إلا رسولاً كإخوانه السابقين من الرسل وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة و لا داعياً إلى ملك ، وأن ظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي ﷺلم يكن له شأن في الملك السياسي ، وآياته متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معاني السلطان ،ولاية الرسول على قومه ولاية روحية ، لا ولاية الحاكم ولا ولاية مادية ، تلك ولاية هداية إلى الله وإرشاد إليه وهذه

---

[١] - أخرجه أبو داود في كتاب الديات ، باب من قتل عبده أو مثل به أيقاد من ؟ رقم ٤١١٥ص ٦٧٦، والترمذي ،كتاب الديات ، باب ما جاء في الرجل يقتل عبده رقم١٤١٤، وقال: حديث حسن غريب ، والنسائي كتاب القسامة ،باب القود من السيد للمولى رقم ٤٧٣٦ص ٧٢٤، وابن ماجة كتاب الديات ، باب هل يقتل الحر بالعبد ؟ برقم ٢٦٦٣ ، ٤/ ٢٤٤، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي برقم ١٤١٤ص ١٣٢ .

[٢] - من التبعية إلى الأصالة ص ٦٤-٦٦ بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٤٩-٢٥٠

[٣] - انظر : المصدر السابق ص ٦٧.

ولاية تبرير لمصالح الحياة وعمارة الأرض وتلك للدين وهذه للدنيا وتلك زعامة دينية ،وهذه رعاية سياسية ، ويا بعد ما بين السياسة والدين !!"[(١)]

ومن الشبه التي أوردوها محاولة بعضهم تأصيل هذا القول عن طريق تحليل المصادر الشيوعية والخروج من هذا التحليل إلى القول بأنها لا تحوى أصولاً ثابتة محددة من الناحية السياسية والدستورية ومن ثم يسوغ اقتباس أفكار العصر دون أن يعتبر ذلك خروجاً على الإسلام فقالوا إن القرآن جاء على وجه المرونة والعموم لكي ينطبق على كل زمان ومكان فجاء بأفكار عامة مرنة مجردة كالعدالة والحرية والمساواة والشورى وهي تصلح تطبيقها في كل زمان ومكان حسبما تقتضيه مصالحهم فهو لا يقيد الناس في هذا العصر . أما السنة فقالوا إنها لا تعد ملزمة شرعاً للأجيال التالية في أمور السياسة ؛ لأن ما صدر عن النبي ﷺباعتباره إماماً لا يعد تشريعاً عاماً ، إذ إنه بني على مصلحة قائمة في وقته .واستندوا في ذلك إلى ما جاء في فروق القرافي[(٢)] حيث بين الفرق بين قاعدة تصرفه ﷺ بالقضاء وغيره وبين قاعدة تصرفه بالإمامة وأن كل ما تصرف فيه بوصف الإمامة دون التبليغ لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن من الإمام إقتداء به عليه الصلاة والسلام[(٣)] [(٤)].

وقد فند الجندي هذه الدعاوى وبين بعدها عن الصواب فقال: " إن معظم النظريات السياسية الحديثة لم يكن يعرفها الغرب و الرومان وأنها انتزعت من الفكر الإسلامي ، وأن فقهاء المسلمين هم الذين أخرجوها من كنوز فقههم وأن فقهاء الغرب قد جاءوا مرددين لها منكرين في أول الأمر نسبتها ثم معترفين أخيراً ، ولقد تبين لكل باحث منصف زيف دعوى الدكتور طه حسين وغيره من أن الإسلام قد استمد نظريته من الفكر اليوناني أو الروماني وجاءت البينات لتكشف عن الإسلام إنما استمد منهجه السياسي ولا نقول نظريته من القرآن الكريم نفسه وليس من أي مصدر آخر "[(٥)].

---

(١) - انظر: الإسلام وأصول الحكم ص ١٣٦بتصرف وما بعدها ، أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي للجندي ص ١٤٤.

(٢) - هو: شهاب الدين: أبو العباس أحمد بن أبي العلاء: إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين المصري: الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره - أحد الأعلام المشهورين انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله تعالى وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى فهو الإمام الحافظ والبحر اللافظ كان إماماً بارعاً في الفقه والأصول والعلوم العقلية وله معرفة بالتفسير . توفي سنة ٦٨٢هـ، وألف كتباً مفيدة منها: الذخيرة في الفقه ، والفروق ،والتنقيح ، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الرد على أهل الكتاب وغيرها كثير. (انظر: الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب لابن فرحون، تحقيق : مأمون الجنّان ص ١٢٨- ١٣٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ ، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٩٨ ، الأعلام ١/ ٩٥) .

(٣) - الفروق للإمام القرافي ، تحقيق عمر حسن القيام ١/ ٤٢٦، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

(٤) - من التبعية إلى الأصالة ص ٦٧ بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٥١ معلمة الإسلام ٢/ ٣٥١ .

(٥) - من التبعية إلى الأصالة ص ٦٧، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٥٠.

وأضاف الجندي في رده على هذه الشبهة : " إن هذه الرأي قائم على خطأ في الفهم بالنسبة للقرآن ؛ لأن العدل في المفهوم الإسلامي مقيد ومتميز عن غيره مما في النظم الأخرى ، فالعدل في الإسلام هو العدل المبني على التوحيد ، والمستمد من نصوص الكتاب والسنة ، ومن المقاصد الشرعية ، فإن للعدل الإسلامي معياره ووسيلته وطريقته .

وطريقته هي ما أظهرنا الله عليه من شريعة ، فالشريعة هي: وسيلة تحقيق هذا العدل ؛ يتمثل هذا العدل في علاقة الزوج بزوجته ، في حق الإمام في أخذ الزكاة ، في إقامة المصالح والمرافق وتأديب العصاة وكل ما هو على هذا النهج فهو من العدل الإسلامي ، وكل ما ليس على نهجه فليس من العدل الإسلامي ،ثم انه فيما لا نص فيه هناك مقاصد شرعية تقوم على حفظ القرارات ومنع الحرج والمشقة واستكمال المحاسن في أمور خمسة هي الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال . فالعدل في الإسلام ليس عدلاً مطلقاً يجوز أن يصطبغ بصبغة رأسمالية أو شيوعية ، ولكنه عدل موصوف مقيد ، بنصوص معينة ووسائل محدودة للاجتهاد ، هذا العدل يختلف عن العدل في النظم الرأسمـــالية والليبرالية [(١)] . فإن هذا النظم تحمى الحرية الفردية وضمانها ، فكل ما يأتيه الفرد داخل حدود حريته مما لا يخالف القانون و لا يضر بالغير هو عدل ، ولذلك فإن كثيراً من صور الاستغلال الصارخة وكثيراً مما يخالف الآداب يسمح به هذا النظام . فالعدل هنا مختلف عما نعرفه في الإسلام ، فإذا اقتضى صاحب المال أن يعمل العامل عنده بأجر بخس فلا ضير عندهم في ذلك،لان العقد عندهم هو شريعة المتعاقدين و فما دام العامل قد رضي فإنهم لا ينظرون لضعف الظروف الاقتصادية وسيطرة رب العمل و اضطرار العامل للخضوع ، ولا يعاقب القانون في هذه النظم على زنا المرأة الرشيدة غير المتزوجة بلا إكراه؛لأن حريتها قد ارتضت ذلك،ويرون أن العدل في ذلك ، وأن منعها ليس عدلاً ، وهذه معايير لا يرتضيها الإسلام . وفي النظام الشيوعي تختلف فكرة العدل : فالعدل يقوم على منع الاستغلال والصراع الطبقي والمساواة شبه المادية بين الجميع ، فهذه عدالة اقتصادية من نوع معين ليس لها علاقة بالاعتبارات التي ينظر الإسلام بها إلي مختلف مسائل الحلال والحرام "[(٢)].

---

(١) - الليبرالية : مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة في السياسة والاقتصاد ، وينادي بالقبول بأفكار الغير وأفعاله حتى ولو كانت متعارضة مع أفكار المذهب وأفعاله شرط المعاملة بالمثل . والليبرالية السياسية تقوم على التعددية الإيدلوجية والتنظيمية الحزبية ، والليبرالية الفكرية تقوم على حرية الاعتقاد (أي حرية الإلحاد) وحرية السلوك (حرية الدعارة والفجور) . (انظر : الموسوعة السياسية ، تحت إشراف عبدالوهاب الكيالي ٥/ ٥٦٦ ، المؤسسة العربية للدراسا ت و النشر ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٩٠م).

(٢) - معلمة الإسلام ٣ / ٣٥٢-٣٥٤. من التبعية إلي الأصالة ص ٦٩-٧١، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٥٢

وقد فات الجندي توجيه ما ذهب إليه القرافي من تقسيم تصرفه ﷺبالقضاء وغيره وبين قاعدة تصرفه بالإمامة وأن كل ما تصرف فيه بوصف الإمامة دون التبليغ لا يجوز لأحد أن يقدم عليه إلا بإذن الإمام. ويمكن الإجابة عن ذلك بأن القرافي لم يكن مقصوده ما ذهب إليه أصحاب دعاة التغريب والفكر التحديثي بل مراده هو التفرقة بين الأمور الخاصة بالسلطة التنفيذية والتي لا يجوز للأفراد العاديين مباشرتها ، وكذلك الأمور الخاصة بالسلطة القضائية والتي لا يجوز لعامة الأفراد ممارستها إلا بعد حكم قضائي وإذن ، وبين الأمور التي ترك للناس الحرية في التصرف فيها دون حاجة إلى إذن من السلطات . فالمقصود من كلام القرافي البحث عن ذلك في تصرفات الرسول ﷺ بياناً للاختصاصات،وتوزيعاً للسلطات، وحصراً لما يدخل تحت اختصاص كل سلطة من سلطات الدولة [1].

و لا يفهم من كلامه بحال أن تصرفات الرسول في قسمي الإمامة والقضاء ليست تشريعية ، بل أن صفة الرسالة وهي الوظيفة التشريعية لا تفارق الرسول ﷺحتى وهو حين يتصرف باعتباره رئيس دولة ، أوحين ترفع إليه الخصومات ويقضى فيها بوصفه قاضياً،فهو حين يقسم الغنائم،أوحين يقيم الحدود،أو حين يعلن الحرب. فكل هذه الأمور تشريعية ويعتبر تشريع لازم لكل إمام بعده وكذلك أحكامه القضائية[2] .

خامساً : الملاءمة بين الشريعة والحضارة المعاصرة .

ابتدع أهل التحديث والفكر التغريبي العلماني لتلبيس هذا القول وتمريره بشبهة مؤداها:أن الشريعة الإسلامية عظيمة ومن عظمتها أنها تقوم على قاعدة رائعة تتسع لجميع التشريعات الحديثة التي تعرفها الحضارة في العصر الحديث ألا وهي تبدل الأحكام بتبدل الزمان [3] .

وقد بين الجندي أن الهدف من إثارة مثل هذه الشبهة أمران :

الأول : تنازل المسلمين عن بعض القواعد الأساسية والتسامح في الكليات الشرعية وتعليل بعض الأحكام الشرعية بدعوى مسايرة ركب الحضارة ، و بدعوى المقاربة بين ما عند المسلمين من أحكام شرعية منصوصة وبين ما عند أهل الكتاب من أحكام يدعون أنها

---

(1) - انظر: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، للقرافي ص ٨٦-١٠٨، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط عام ١٣٨٧هـ .

(2) - انظر: مفهوم تجديد الدين، لبسطامي سعيد ص ٢٥٦-٢٥٧بتصرف .

(3) - الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ص ١٠٨.

مستقاة من التوراة و الإنجيل ، أو باسم التقارب بين الشريعة والقانون الوضعي أو بتعبير آخر أدق إفراغ الشريعة الإسلامية في إطار القانون الغربي وإذابتها في هذا الأتون .

الثاني : هدم مقومات الأصالة والتماسك الخلقي لدى الشباب والأسرة والمرأة ، حتى لا تكون هذه الأجيال قادرة على حمل أمانة كيانها ووجودها ودينها الحق وبذلك يتاح لمخططات الصهيونية السيطرة على العالم الإسلامي[1] .

أما رد الجندي على هذه الدعوى فيمكن أن نجمله في النقاط التالية :

أولاً: حدد فقهاء المسلمين المدى الذي تتغير به الأحكام الشرعية بتغير الزمان [2] ، وأبانوا أن ذلك أمر لا يترك على إطلاقه حتى يكون من أهواء الدعاة إليه ما يخرج الناس من أصول الشريعة الصحيحة وقوائمها الأساسية أو بغير الحدود والضوابط الثابتة والقوانين العامة وخاصة فيما يتعلق بتحريم الربا والزنا والخمر والقتل والسرقة .

ثانياً:أن الأحكام المستقرة الدائمة مأخوذة من نصوص قطعية في ثبوتها عن الشارع وقطيعتها في دلالاتها على الأحكام المستفادة منها وهي تنظم علاقات ثابتة وغير متطورة وأهمها المحرمات والمواريث، أما الأحكام المتغيرة فإنها تخضع لمدى قابلية العلاقات التي تحكمها التطور والتغيير ، وتدخل فيها الأحكام التي لم يرد عن الشارع نص فيها بذاتها ولا فيما يماثلها .

ثالثاً:أنه ليس معنى تغير الأحكام بتغير الزمان أنها تتغير بناء على شهوات الناس ونزواتهم وأغراضهم الفاسدة وما جرت عليه أعرافهم المفسدة التي لا تدعو إليها مصلحة ولا ضرورة ولا حاجة ، مما جاءت الشرائع لإصلاحها وتصحيحها .

رابعاً: أن كل المحاولات التي تجري لتأويل الآيات القرآنية والأحاديث باطلة وزائفة ، وهي عمل قديم عرفه المشتغلون بالفكر الإسلامي وبالشريعة ومن شأن الباطنية والشعوبية واليهودية وقد ردوه تماماً ووضعوا الحواجز التي تحول بينه وبين النفاد إلى الأصول الأصلية للشريعة والأخلاق ولا يقر الإسلام التأويل الذي يستهدف تخفيف الحدود أو الضوابط

[1] - من التبعية إلى الأصالة ص ٧٤، ٧٦بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٩/ ٢٥٤

[2] - الأحكام التي تتغير بتغير الأزمان هي الأحكام الاجتهادية التي لا نص فيها بل دليلها القياس أو المصلحة ، أما الأحكام التي لا تتغير فهي الأحكام الشرعية سواء كانت قطعية أو ظنية أو كلية أو جزئية فهي أحكام ثابتة محددة غير متغيرة ولا متطورة ؛ لأنه ا مأخوذة من الشرع الإسلامي: الكتاب والسنة فهي ثابتة بثبات الأصل التي أخذت منه ، وقد كمل الدين كمالاً ليس وراءه كمال ، وبموت الرسول ﷺ انقطع الوحى وارتفع أي نوع من أنواع النسخ .(انظر : تحطيم الصنم العلماني ، لمحمد شاكر الشريف ، ص ٨١).

الأخلاقية أو يهون من شأنها ، وليست هذه الضوابط أغلالاً أو قيوداً وإنما هي وسائل وقاية وحماية للكيان الإنساني الفردي من التدمير وللمجتمعات من الانهيار .

خامساً:إن التطور الحاصل لأي شريعة أو أيدلوجية لا يمكن أن يحصل للإسلام وشريعته التي هي من عند الله والتي تحمل في طياتها وسائل تجددها وتغيرها وملائمتها للعصور والبيئات ، كما أن الإسلام نظام حاكم وليس نظاماً مبرراً للحضارات أو المجتمعات الفاسدة ، ولا يطلب من الإسلام أن يتخفف أو يتنازل عن قوائمه وحدوده ، وإنما يطلب إلى المجتمعات أن تتغير و ترتقى وتعلو وتسمو على طفولة البشرية وأن توائم بينها وبين الأصول الثابتة من شريعة الله[1] .

سادساً: التشكيك في تطبيق الشريعة بعد عصر الراشدين .

إن هذه الشبهة ذكرها عدد من أصحاب الفكر التحديثي التغريبي ومنهم الدكتور «محمد عابد الجابري» حيث قال : " أنا لا أجد حرجاً لا في ديني و لا في وجداني ولا في عقلي إذا قلت إن الشريعة الإسلامية لم تطبق قط كاملة في يوم من الأيام "[2].

ويصور الجندي هذه الدعوى بقوله :" إن دعوى التشكيك في تطبيق الشريعة الإسلامية بعد عهد الراشدين هي مقولة مضللة ، يراد بها تزييف تاريخ الإسلام على مدى عصور الزاهرة.وقد جاء هذا الاستنتاج نتيجة للصورة المظلمة التي ترسمها كتب التاريخ المقررة في مدارسنا وجامعاتنا والتي صنفها المستشرقون والمبشرون أساساً من أجل هدم صورة تاريخ الإسلام في نفوس شبابنا المسلم " [3].

وقد دحض الجندي هذا الزعم الباطل والذي تبناه أهل التحديث والعلمنة لأجل هجر الشريعة الإسلامية من أن تكون مصدراً لنظام الحياة والمجتمع وليست في عهد الخلفاء الراشدين فحسب ، فنحن لا نزال نجد على مر التاريخ الإسلامي قمماً من قمم العدالة والتقوى والتفكير لا نجد مثالاً لها في الأمم الأخرى ومع ذلك لا نستهديهم لأنهم ليسوا مصادر للتشريع. وقد وجد على مر التاريخ دول إسلامية كثيرة حكمت بالإسلام في جميع شئون حياتها[4] و لم تكن الدولة الأموية أو العباسية ، أو العثمانية دولاً ظالمة كما يتصورها

[1] - من التبعية إلى الأصالة ص ٧٥-٧٧ بتصرف .

[2] - انظر : وجهة نظر ، للجابري ص ٧٣.

[3] - الدعوة الإسلامية في مواجهة التحديات ، أنور الجندي ، ص ٧٩، دار الاعتصام ، القاهرة .

[4] - هذه العبارة من الجندي فيها نوع من المجازفة والمبالغة ، فإن الشريعة الإسلامية لم تطبق تطبيقاً كاملاً على جميع مجالات الحياة وعلى جميع أفراد الأمة إلا في عهد الرسول ﷺوالخلافة الراشدة بدليل إخبار الرسول بأنه ستكون بعد الخلافة ملكاً عضوضاً ثم جبرياً والأولى أن نقول : إن

بعض الكتاب الذين لم يعرفوا تاريخها ، وإنما كانت دولاً محكومة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺوخاصة الدولة العثمانية – التي تجد حقداً غالياً من الغرب ومن خصوم الإسلام – ولولا ذلك ما استمرت نحو ستة قرون . ومن الظلم أن تتهم الشريعة الإسلامية بأنها لم تتألق بصورة ناصعة إلا في عهد الرسول ﷺ والخلفاء لان التاريخ الإسلامي مليئ بالكثير من الأمثلة الدالة على تطبيق الشريعة الإسلامية إلى أوائل القرن العشرين فقد طبقت الشريعة الإسلامية في الدولة العثمانية رغم الضعف والحملات التي وجهت إليها كانت تسير على نهج الشريعة الإسلامية [1].

ويضيف الجندي قائلاً : " إذا لم تكن الشريعة الإسلامية مطبقة إبان الدولتين الأموية والعباسية فكيف تحقق لهما هذه الدرجة من الرقى الحضاري في الطابع الإسلامي الذي لا مراء فيه ؟ وأن أي حكم في أزهى عصور الحضارة الإسلامية دون أن يستند إلى إحصاءات دقيقة من الحياة الاقتصادية المزدهرة ، ما كان له أن يبلغ هذا المدى إلا في حماية الشريعة الإسلامية . لقد حثت الشريعة الإسلامية في كل العصور عقول الناس فأبدعوا وأموال الناس فأنتجوا ، وبذلك كانت محصلة الدولتين تاريخاً عريقاً على الرغم من اضطراب الأحوال أحياناً وتصارع القوى نظراً إلى سعة المساحة وكثافة السكان وتعدد انتماءاتهم القومية" [2] .

إن من ينكر أن الشريعة الإسلامية لم تطبق بعد عصر الرسالة والراشدين ، نراهم يتنـــزلون بالإنكار على درجتين :

فيبدأون بالإنكار المطلق وأنها لم تطبق أصلاً وهم يسوقون في التدليل على ذلك حكايات عن ظلم أو حمق أو سفك دم ، ولو اتبعنا هذا الأسلوب في تقويم النظم الوضعية لما بقى منها حجر على حجر ، سيَّما تلك التطبيقات التي شاهدتها بلادنا... أما إذا كان المقصود أن الشريعة الإسلامية لم تكن مطبقة بالإشارة إلى حكومات سلاطين تلك العهود وأنهم لم يكونوا ملتزمين بما فرض الله عليه من عدل وإحسان فإن الشريعة ليست نظام حكم فقط ، والعلاقات القانونية المستمدة من الشريعة والتي كان الفقه الإسلامي يضع التفاريع على أصولها ، هذه العلاقات تغطى كل أنواع الأنشطة البشرية في المجتمع شراءً وبيعاً وإيجاراً ورهناً ومضاربة وهى تنظم المراكز القانونية كافة وتنظم وسائل عقاب المجرمين والشُّذَّاذ

الشريعة الإسلامية ظلت بوجه عام نظاماً شاملاً للحياة في معظم المجتمعات الإسلامية طوال عصور الإسلام المختلفة إلى ما قبل فترة الانحراف الواسع الذي شهده القرن الرابع عشر الهجري .

[1] - انظر :المصدر السابق ص ٧٩- ٨٠ .

[2] - المصدر السابق ص ٨٠.

بالحدود والقصاص والتعازير وتنظم علاقات الأسر وما يترتب عليها من آثار كالولاية والميراث والنفقة [1] .

سابعاً : أن العقوبات الشرعية والحدود تتسم بالقسوة والغلظة .

هذه الشبهة أثارها دعاة تغريب الشريعة حول العقوبات الشرعية ووصفها بأنها قاسية ، بل إن بعضهم قال إنها وحشية لا تتفق مع روح المدنية ومن أكثرهم جرأة على ذلك عبدالله العلايلي[2] حيث قال : " إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة ، وإشاعة للأمن العام ، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين : هذا مقطوع اليد ، والآخر مقطوع الرجل ، أو مفقوء العين ، ومصلوم الأذن ، أو مجدوع الأنف "[3] .

وهذه الشبهة رد عليها الجندي بعدة صفحات ونجمل ما ذكره في النقاط التالية :

١- أن زعم هؤلاء العلمانيين ودعاة التغريب بأن الحدود من شأنها أن تخلق مجتمعات يسودها القوة و الإذلال وشيوع العاهات توهم باطل ؛ لأن دولة إسلامية كبرى إذا طبقت الحدود خمسين عاماً فلن تقطع خلالها أكثر من بضعة أيدي ولكنها تكون قد حسمت هذا الأمر بالنسبة للمجتمع فوفرت عليه الملايين[4].

٢- أن الحدود ليست إلا جزءاً صغيراً من الشريعة ، وقد أحاطها الشارع بضوابط شديدة ،وهي لم توضع لتكون عقوبة على عمل بقدر ما وضعت لتكون زاجراً عن الوقوع في الخطأ ، وليست الشريعة الإسلامية هي الحدود،وليست الحدود هي لب الشريعة ولكن الحدود وسائل لحماية المجتمع من التحلل والفساد،والشريعة الإسلامية هي النظام الذي يقوم عليه المجتمع الإسلامي لحماية شخصية الفرد وتكوينه على أنه جزء من المجتمع يعمل للسعي والكسب في حدود الحلال الذي أحله الله تبارك وتعالى،ولكل من الذكر والأنثى مهمته الخاصة التي حددها له النظام الإسلامي [5].

٣- لا ريب أن مقصد الشريعة الإسلامية من إقامة الحدود واضح وهو حماية الأعراض والأنساب وصيانة العقول والأموال ، وقد ثبت عجز القوانين الوضعية عن إصلاح المجتمعات

---

(١) - أصالة لفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ص ٥٣ – ٥٤ .

(٢) - عبدالله بن عثمان العلايلي ، مفتي جبل لبنان سابقاً ، ولد سنة ١٩١٤م بلبنان ، تلقى تعليمه بالأزهر ، من مؤلفاته : دستور العرب القدامى ، المعجم ، المعري ذلك المجهول . (انظر : معجم أعلام المورد ص ٢٨٧) .

(٣) - أين الخطأ ، العلايلي ص ٨٠ .

(٤) - من التبعية إلى الأصالة ص ٨٤.

(٥) - أصالة الفكر الإسلامي ص ٤٧.

، ولا ريب أن شيوع الزنا والفاحشة وشرب الخمور وسرقة الأموال هي نتيجة ضعف العقوبات في القوانين الوضعية[1] .

المطلب الثالث : إثبات عدم صلاحية العمل بالقوانين الوضعية .

من المسائل المهمة التي بين فيها أنور الجندي خلل القوانين الوضعية ونقصها عن مضاهاة الأحكام الشرعية محاولة صهر الشريعة الإسلامية في أتون القوانين الوضعية ، وهم يهدفون إلي القضاء على ذاتية الإسلام وأصالة الشريعة الإسلامية ، واحتواء الفكر الإسلامي وصهره في بوتقة الأممية وإفناء هذه الشخصية التي تحمل لواء لا إله إلا الله فضلاً عن أنه تبديل لشرع الله وتحريف الكلم عن مواضعه [2] .

ويتضح هذا الخلل في النقاط التالية :

أ- فقد بين أن تلك القوانين الوضعية تشمل على فوارق كبيرة وعميقة بينها وبين الأحكام الشرعية سيتبن من خلالها عدم صلاحيتها وكفايتها في مجال التشريع ومنها :

١- يهتم القانون الوضعي بالمساواة ، بينما يهتم الإسلام بتحقيق العدالة لأن المساواة تعني فقط تطبيق القانون القائم على الجميع كيفما كان الوضع أو النظام ، بينما الشريعة الإسلامية تقصد إلى تحقيق العدالة ولا تعترف بأي قانون مناف لمقاصدها . قال الرسول ﷺ: « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد »[3] أي مردود على صاحبه.

٢- تمتاز الشريعة الإسلامية على القانون الوضعي بأن أحكامها شرعت للدنيا والآخرة مما يحمل معتنقها على طاعته في السر والعلانية .والقانون يرى أن مرتكب أي جريمة من حقه إذا أستطاع أن تسترها أن يتفادى العقاب الدنيوي ، بينما ترى الشريعة الإسلامية أن الوجدان اليقظ هو أساس وحارس أمين،حتى إذا حكم القاضي لإنسان على حقه فإن المحكوم له مطالب بأن ينظر فيم إذا كان ذلك متفقاً مع حقه أولا فإذا وجد أنه ظلم لخصمه وجب عليه أن ينصف خصمه من نفسه .

٣- تمتاز الشريعة الإسلامية على القانون بأن الحق لا يسقط بتقادم الزمن ، وأن الاجتهاد أو القضاء لا يحلان حراماً ولا يحرمان حلالاً ؛ لأن الشرع الإسلامي قائم على قواعد العدل المطلق ومقتضيات العقول في حين أن القانون الروماني يسقط حق الفرد المتروك فلا يعود[4].

---

[1] - القانون الوضعي والشريعة الإسلامية ، أنور الجندي ،ص ٢١، دار الاعتصام ، القاهرة.

[2] - من التبعية إلي الأصالة ص ٨١،

[3] - رواه مسلم في صحيحه بلفظ " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "،كتاب الأقضية ،باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور، رقم ١٧١٨، ص ٧١٤ .

[4] - من التبعية إلى الأصالة ص ٨١- ٨٢، مقدمات العلو م والمناهج ٩/ ٢٥٩.

٤- الشريعة الإسلامية ربانية المصدر ، صنعها العليم الخبير بالإنسان ، جعلها ذات حصانة ومنعة للنفس البشرية والمجتمعات من الفساد والضلال والانحراف ، بينما قام القانون الوضعي على تحقيق مطامع النفس وأهواء البشرية وفتح الباب واسعاً أمام السرقة والقذف والزنا والفاحشة وبيع الخمر وترويجها والقتل والربا وأكله والتعامل معه[1] .

ب- بيَّن الجندي الآثار الوافدة نتيجة تنحية الشريعة الإسلامية والعمل بالقوانين الوضعية فإن الشئ تعرف قيمته بآثاره ، ونجاحه أو إخفاقه بعواقبه ونتائجه ومن تلك الآثار :

١- أن البعد عن تطبيق الشريعة الإسلامية كان سبباً في حصول نكسة ١٩٦٧م.

٢- تعد علمانية التعليم من أخطر آثار توقف تطبيق الشريعة الإسلامية،فقد أبعدت علمانية التعليم المناهج الدراسية عن روح الأمة ، وبذلك فقدت قدرتها على بناء الشخصية الإسلامية المستقلة وضعفت مناهج التعليم لدينا عن مقاومة الأفكار المادية الغربية حتى أصبح طلابنا في مهب عشرات الأفكار والاتجاهات المادية البعيدة عن تراثنا وأخلاقنا وتجاربنا التاريخية .

٣- كان لغياب الشريعة الإسلامية بعيد الأثر في مجال الإعلام والصحافة ، وأصبحت الصحافة ووسائل الإعلام في غياب منهج الله مدمِّرة[2].

---

[1] - انظر: الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ص ١٠٨.، مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٤٦، انظر لمزيد: من تلك الفروق بين التشريع الجنائي في الإسلام والقوانين الوضعية في مقال لمجلة البيان العدد ١٩٢ص١٨ ، للدكتور عبدالعزيز الفوزان .

[2] - الدعوة الإسلامية في مواجهة التحديات ص ٦٩- ٧٠ .

الفصل الثاني:موقف أنور الجندي من تغريب التربية والتعليم وفيه مطالب :

المطلب الأول : أهداف تغريب التربية والتعليم .

المطلب الثاني: وسائل تغريب التربية والتعليم .

المطلب الثالث :مظاهر تغريب التربية والتعليم .

الفصل الثاني

تغريب التربية والتعليم

تمهيد:

منذ أن وطئت أقدام المبشرين والتغريبيين بلاد المسلمين اتبعوا كل الوسائل والطرق التي يمكن أن تؤدي إلى تحقيق أهدافهم وأغراضهم ، وكانوا يدركون تماماً أن وسيلة التعليم من أخطر الوسائل وأنجعها بل هي وسيلتهم الأم في سبيل تحقيق فريق من الأتباع ، ومسخ عقيدة المسلمين بشيء من الإقناع ، والانصياع فكان بحق كما أسماه أنور الجندي الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون .

ويصور لنا الجندي ذلك المقتل الأليم وذلك الجرح العميق، بقوله : " لقد تحدث المصلحون عن مقاتل متعددة أصيب المسلمون بها في كيانهم وذكروها وأولوها اهتمامهم وبحثوا أمرها ؛ولأنهم لم يركزوا كثيراً على الخنجر الذي طعنوا به في هذه المقاتل ، وأولى لهم أن ينتزعوه من جسمهم أولاً قبل أن يعالجوا مكانه النازف بالدم ، ذلك لأنهم إذا لم ينتزعوه فسوف يظل ينـــزف وسوف لا يكون جدوى لشيء ما من إصلاح أو تصحيح أو تحرير أو علاج ، إذ لابد أن يبدأ العمل من نقطة أولية : هي نقطة الخنجر ، ذلك الخنجر في تقديري وفيما وصل إليه اعتقادي واعتقاد الكثيرين من العاملين في دراسات التغريب والغزو الثقافي هو التعليم وما يتصل به من شأن التربية والثقافة ، هذا هو الخنجر المغروس في الجسد الإسلامي ، وما يزال ينزف دماً ، ولقد كان المستعمرون غاية في الدهاء عندما بدأوا معركتهم مع المسلمين والعرب من المدرسة وعن طريق برامج التعليم ومن خلال الإرساليات والسيطرة على أجهزة المعارف والتخلص من المناهج والمقررات والكتب التي كانت تدرس في مختلف أنحاء العالم الإسلامي والبلاد العربية "(١).

وقد جعل الجندي تغريب التعليم سبباً في حصول هيمنة العدو الغربي على المسلمين ، ومنفذاً لتغريب الأمة الإسلامية في باقي المجالات " فإذا كان المسلمون قد طعنوا في شريعتهم فأقصيت عن مجال التطبيق في مجتمعاتهم وحل محلها القانون الوضعي فإنما مرد ذلك إلي التعليم الذي أخرج أجيالاً تحتقر الشريعة وتؤمن بعظمة قانون نابليون . وإذا كان المسلمون قد طعنوا في لغتهم وبرزت دعوى العاميات في مختلف أنحاء الوطن العربي وغير

---

(١) - الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، أنور الجندي ص ٧- ٨ ، دار الاعتصام ، القاهرة، التربية وبناء الأجيال في ضوء التربية الإسلامية ، أنور الجندي ، ٧- ٨ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، عام ١٩٨٢م ،

الأبجديات في بعض الأقطار فإنما مرد ذلك إلى مناهج التعليم التي خدعت العرب والمسلمين بدعوى عظمة اللغات الأجنبية ، وإذا كان المسلمون قد طعنوا في مفهومهم الإسلامي للاقتصاد فإنما يرجع ذلك إلى أن المسلمين والعرب درسوا في مدارس الإرساليات وفي المدارس الوطنية ضرورة وجود الربا وأنه هو القاسم المشترك في كل الأنظمة والمشروعات ، وإذا كان المسلمون طعنوا في مفهومهم السياسي الإسلامي ... وفي مفهومهم للعلم ... وفي مفاهيمهم الاجتماعية فإن مرد ذلك كله إلى التعليم ومناهجه . فهذا هو الخطر الواضح من وراء الخنجر الذي طعن به المسلمون"[1].

المطلب الأول : أهداف تغريب التربية والتعليم:

وقد نبَّه الجندي إلي أن هناك أهدافاً خبيثة ونوايا فاسدة استخدمها غزاة التربية والتعليم بحسب المكان والزمان،عاملين على إيجادها بطرق خفيه بخلاف وسائلهم التقليدية التي كان يعمل بها الغزو العسكري بل بطريقة أكثر هدوءاً وأعظم إنتاجاً ومن أبرز أهدافه ما يلي :

١- عزل القطر المستهدف عن أمته العربية ثم عزله عن العالم الإسلامي كله .

٢- الحيلولة بينه وبين الارتباط بالجذور التاريخية والأدبية واللغوية بادعاء أن العصر الحديث بدء بحملة نابليون وأن العصر منفصل تماماً عما قبله مما أطلق عليه زيفاً " عصر الانحطاط" عملاً على إيجاد شعور نفسي بالكراهية والانسلاخ من الماضي كله .

٣- إحياء التاريخ الإقليمي – الفرعوني والفينيقي والأشوري والبابلي – من جهة والارتباط بالغرب وحضارته من جهة أخرى .

٤- إعلاء العامية على اللغة الفصحى والاهتمام باللهجة الإقليمية وما يتصل بها من حكايات وفلكلور وأساطير ، إغراقاً في العمق الإقليمي .

٥- إعلاء اللغة الأجنبية والدعوة إلى تعلمها على اللغة العربية باعتبارها أنها لغة الحضارة ثم السيطرة عن طريقها فكرياً على المثقفين الذين يوجهون بعد ذلك إلى الاعتماد على فلسفات ومفاهيم الغرب .

هذه الأهداف كانت بمثابة خطة التعليم مع تغييرات يسيرة يختلف بها المنهج من قطر إلي قطر ولكن الهدف في الجملة واحد ، وهو ازدراء الوطن والقوم والفكر العربي الإسلامي

---

[1] - المصدر السابق ص ٨- ١٠ بتصرف .

كله ، والالتفات نحو الغرب صاحب الحضارة المستعمرة وبطولاته وأمجاده [1]. بل من أهدافهم الأساسية خلق جيل جديد من الشباب يصل إلى مقاعد الحكم يؤمن بصداقة الغرب ، ويقوم بدورهم التغريبي للأمة ؛ إيماناً منهم بالقاعدة التي تقول الشجرة لا بد أن يقطعها أحد أغصانها فاستخدموا وسائل متنوعة وهذا ما سنبينه في المطلب التالي .

المطلب الثاني : وسائل تغريب التربية و التعليم :

لقد استخدم دعاة التغريب وسائل عديدة ، بينها الجندي فيما يلي :

١- إنشاء مدارس الإرساليات الأجنبية والطوائف الدينية المختلفة .

٢- تجميد الجامعات الدينية الكبرى وخلق نظم دراسية مدنية مستقلة ومنفصلة عنها .

٣- قصر التعليم على أبناء الأغنياء وحدهم الذين يدفعون المصروفات وإلغاء المجانية وحرمان الفقراء من التعليم نهائياً .

٤- وضع برامج مغربة تهدف إلى تخريج موظفين فقط .

٥- التوسع في إنشاء الكتاتيب والحيلولة دون التعليم العالي .

٦- القضاء على اللغة العربية بإدخال لغة المحتل وجعلها اللغة الأساسية في مختلف علوم الدراسة .

٧- إلغاء تدريس الدين الإسلامي نهائيا ، ودراسة فلسفات ترتبط بالأديان البائدة واليهودية والمسيحية(النصرانية) .

٨- تشويه التاريخ العربي الإسلامي بفرض كتب بأقلام المستشرقين تقدم الإسلام على أنه دين السيف ترسم للعرب صورة سيئة.

٩- التوسع في دراسة تاريخ الدولة الفرنسية والدولة الانجليزية وتاريخ أوربا وحروبها وأبطالها [2].

المطلب الثالث : مظاهر تغريب التربية والتعليم

لم تفتأ قوى التغريب في إثارة كل ما من سبيله تغيير عقلية المسلمين وسلبهم قوتهم وإرادتهم بحيث يكونوا أداة طيِّعة تحت تصرف الغرب ونظرهم ، بل يتشربون كل مفاهيمهم ويدعون إليها بكل قوة وصلف؛ ونتيجة لذلك كله ظهرت مظاهر متعددة تبين استغلال

[1] - انظر: أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ٩٦-٩٧بتصرف ، من الأصالة إلى التبعية ص ١٣٤- ١٣٥، إطار إسلامي للفكر المعاصر ص ٢٦٠- ٢٦١.

[2] - انظر: تاريخ الغزو الفكري والتغريب ص ٢٧٣.

هؤلاء الاستعماريين لمجال التربية والتعليم ، وقد ذكر الجندي بعض تلك المظاهر التغريبية والتي منها :

١- فصل التعليم عن الدين :

من المسلمات في عقيدتنا أنه ليس هناك تعارض البتة بين الدين والعلم فهما متساندان غير متصادمين كما هو حال الغرب ، بل إن عقيدتنا الإسلامية هي عِلْم أولاً وقبل كل شيء ؛ لأنه لا مكان في الإسلام لاعتقادٍ لا يؤسس على دليل علمي سواء كان عقلياً صريحاً أو نقلياً صحيحاً قال تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [سورة محمد : ١٩].

وقد كان من منهج التعليم الغربي العمل على فصل العلم عن الدين في بلاد المسلمين فنبه الجندي على هذا المظهر الخطير بقوله:"فقد حرص هذا المنهج على فصل الدين عن المسيرة العامة للتعليم تقليداً للنمط الغربي ، بينما يرجع انفصال التعليم اللاهوتي عن التعليم العام في الغرب إلى جذور تاريخية تتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء ، وهو ما انتهى بتحرير العلوم الطبيعية والتجريبية والاجتماعية من سيطرة الكنيسة وانزواء علوم الدين في أركانها .

وقد اعتقد بعض المسلمين -أو هكذا فرض عليهم - أن هذا الانفصال شرط من شروط قيام الحضارة،وأن التعليم بفروعه المتعددة ومجالاته الواسعة لا يمكن [إلا] أن يكون علمانياً .

وقد كان الفكر الغربي التربوي الذي انتقل إلى أفق التعليم الإسلامي يجعل الاستعلاء بالعنصر والانبهار بالغرب حيث تخرجت أجيال كاملة على هذا الفكر بكل منطلقاته وفرضياته،وكان طبيعياً في هذا الجو أن يتكرر النموذج الغربي في ازدواجية التعليم،وفصل التعليم الإسلامي عن العلوم الحديثة "(١)

ويقول كذلك:" إن مسألة فصل الدين عن مناهج التربية والتعليم هي من أخطر المحاذير وهي من أسوأ الاقتباسات التي تدل على سوء النية والتبعية المغرضة،فقد أساء هذا إلى الأجيال المتوالية إساءة شديدة.وحين يراد منا أن ننفصل في العالم الإسلامي عن عقيدتنا نجد الأمم جميعاً تربط بين التربية والعقيدة.والعقيدة عندنا ليست ديناً عبادياً فحسب ولكنها نظام اجتماعي كامل والتربية نفسها جزء منه ... لا يسمح قادة التربية والتعليم في الغرب

(١) - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٠١- ١٠٢.

باستيراد منهج تعليمي من بلد إلى بلد ولو كانا يلتقيان في العقيدة والفكرة الأساسية في الاجتماع والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون . وبالرغم من اللقاء في اللغة والثقافة بين أمريكا وإنجلترا و وفي المذهب البروتستانتي فإن الموجهين لسير التربية والتعليم لا يرون استيراد مناهج التعليم من بريطانيا ، ومن رأيهم أن نظام التعليم ليس من البضائع التي تستورد من بلد إلى بلد . يقول الدكتور «كانْنت» : إن عملية التربية ليست تعاطياً وبيعاً وشراء ، ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد من الداخل ، إننا في فترات التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية أو الأوربية إلي بلادنا الأمريكية .فإذا كان الغرب يفعل هذا في مثل هذا الدقائق التفصيلية والفرعية في جو تحكمه لغة واحدة وثقافة مشتركة فكيف بنا وبيننا وبين الفكر والثقافة واللغة والعقيدة والآداب والأخلاق الغربية فوراق عميقة. ولماذا يراد لنا أن نكون تابعين،ومحتوين، وساقطين في أحضان التغريب والسيطرة الثقافية ... ونحن نعتقد أن الفلسفة الانشطارية — أو الثنائية — في التربية الغربية تصبح لعنة في حياة الإنسان حين نفصل الدين عن الدولة والروح عن الجسد والفكر عن العمل والعلم عن الدين ، ذلك أن الإسلام لا يفصل الدين عن الدولة ، ولا الدين عن العمل ، ولا الدين عن الأخلاق فالدولة والعلم والأخلاق والعمل ، يجب أن تتفاعل كلها وتتحد وفق قوانين طبيعية وأخلاقية ذات مصدر إلهي "[١].

وينتقد الجندي هذا المنهج العلماني بقوله : "وقد ركز المنهج العلماني في التعليم على إنكار مقومات التوحيد وأصول العقائد التي إن درست في مادة الدين فهي تدرس على نحو لا يملأ بها النفس ولا يحل الإشكال بينها وبين ما تقدمه علوم الطبيعة ، كذلك ففي دراسات الفلسفة وعلم النفس والعلوم الاجتماعية يحس الطالب المسلم أن هناك قوانين تحكم المجتمعات والأمم مخالفة لتلك القوانين التي رسمها القران فهي معارضة حقيقة لكل ما جاء به الإسلام ... وهكذا أقام المنهج العلماني (اللاديني) في التعليم نظاماً كاملاً شاملاً مضاداً لمفهوم الإسلام نفسه يستهدف إخراج الشباب المسلم من كل المقومات الأساسية لعقيدته وللنظام الإسلامي نفسه الذي هو أولى النظم بالدراسة والتطبيق في بيئات العالم الإسلامي ومجتمعاته "[٢]

٢- إفساد المناهج التعليمية :

---

[١] - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ١٤٠-١٤٣بتصرف .

[٢] - المصدر السابق ص ١٩٣ بتصرف .

تعتبر المناهج التعليمية من أهم الركائز الأساسية في التعليم؛ولذلك حرص الغرب على جعلها بعيدة عن عقيدة وأخلاق وثقافة المسلمين فحرص على أن تدرس المناهج الغربية في البلاد المستعمرة وهو ما نبَّه عليه الجندي بقوله: " لا ريب أن سيطرة المناهج الغربية على التعليم الحديث في العالم الإسلامي من الأعمال الخطيرة البعيدة المدى في كل ما وقع في البلاد الإسلامية خلال هذا القرن من الزمان يتبين هذا بجلاء مما يشير إليه عدد من الباحثين الغربيين الذين حاولوا تقييم هذه التجربة ، فيقول «جب »: إن هذا العمل كان من آثاره أن صاغت تلك المدارس والمناهج أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثير بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة "[1].

" وقد جاهدت هذه الأقطار بعد الاستقلال في سبيل تحرير مناهج التعليم من تلك السموم القديمة واستطاعت أن تغير جزئيا ولكنها لم تستطع حتى الآن أن تقيم منهجاً تعليمياً وتربوياً عربياً وإسلامياً أصيلاً وتنبذ المنهج الغربي المضطرب الذي ما تزال آثاره وعقابيه بعيدة الخطر في تشكيل الأجيال الجديدة . ذلك أن محاولة تعديل المنهج التعليمي والتربوي الاستعماري الوافد كانت عملاً مؤقتاً وجزئياً و لم تستطع خلاله من التحرر الكامل من تبعات وأخطار وسموم تلك الآثار التي ما تزال مدسوسة في أعماق المناهج وما تزال نتائجها قائمة في أعماق النفوس .

إن التعليم الغربي كان بعيد الأثر في تكوين الأجيال المتوالية على النحو الذي مكن للاستعمار من السيطرة والبقاء على نحو أو آخر وخاصة في مجال التبعية والتغريب والغزو الثقافي . إن الخطر كله يتركز في أن التعليم العصري عني بتربية عقله وتثقيف لسانه و لم يعن شيئاً بتغذية قلبه وإشعال عاطفته وتقويم أخلاقه وتهذيب نفسه "[2].

وينبه الجندي إلى أخطار المناهج الغربية وتأثيرها على التعليم في بلاد المسلمين فيقول : " وإذا كان لنا أن نتحدث عن أخطار المنهج الغربي في التعليم لقلنا إن أخطر ما هنالك أن مفاهيم السياسة والاجتماع والاقتصاد التي تقدمها هذه المناهج تختلف عن مفاهيم الإسلام ، وهي مفرغة من الإيمان بالله ومن البعد الإلهي لحركة الحياة ومن أخلاقية الحياة .

---

[1] - المصدر السابق ص ٩٤.

[2] - من التبعية إلى الأصالة ص٨٩- ٩٠

ومنها خطر توحيد مناهج التعليم بين الرجل والمرأة ، وقصور التعليم على المفهوم المادي مع استبعاد المفهوم الروحي والمعنوي ، وعدم بروز الوجه العربي الإسلامي لمختلف المناهج ودور الإسلام فيها وكذلك في محاولة إخضاع العلوم الإنسانية لمناهج العلوم التجريبية المادية" [(١)].

وهذا ما جعل الجندي يطالب بالنهوض بالتعليم من تسلط تلك المناهج الغربية أو الفلسفية العقيمة فقال: "ولا ريب أن تحرير التعليم اليوم من مناهج الغرب هو قضية أساسية وخاصة فيما يتصل بالمعاهد المتخصصة (الأزهر والزيتونة والقيروان) التي وجهت إليهم في السنوات الأخيرة سهام التغريب والذين فرضت عليهم مناهج علم الكلام والاعتزال والفلسفة ومفاهيم العقول العشرة ونظرية الفيض وكلها من الفكر الباطني الذي لم يعرفه المسلمون في عصور الأصالة ... وكذلك نحن بحاجة إلى تقديم كل النظريات الغربية إلى المثقف المسلم بمقدمات حقيقة جادة لتكشف الظروف والأوضاع والتحديات التي صاحبتها في بنيتها الأصلية ومدى علاقتها بنا وخاصة نظريات دارون وفرويد وماركس وسارتر ودور كايم التي زيفها الغرب وفرضها على جامعاتنا على أنها علوم وهي ليس كذلك .

فنحن في حاجة إلى أن نحرر مناهجنا التربوية والتعليمية من التبعية لهذا المذهب أو ذاك وأن نعرف أن الفكر المادي والعلماني هو عدونا الأول ، وأننا لا بد أن نعود إلى منهج الإسلام التربوي الجامع الذي يقدم تربية حقيقة للروح والعقل والجسم في وقت واحد والذي لا يفصل بين القيم الذي يحول القيم على سلوك"[(٢)] .

٣- اقتباس كل الأنظمة الغربية:

نبَّه الجندي إلى حاجتنا إلى الاقتباس النافع لا الضار قائلاً:"الاقتباس ضرورة لا محيد عنه بين الأمم في محيط الثقافات والحضارة والنظم ويجب أن يتم في حرية كاملة وفي حالة من حالات الرشد الكامل والإيمان العميق بالجذور والمقدرات الأساسية،ودون أن تفرض أو يلتزم بها المقتبس تحت ضغط نفوذ سياسي أو استعماري أوسيطرة من نوع ما،وقوام الاقتباس المعرفة الكاملة بالفروق الواضحة بين المعرفة والثقافة و بين العلم والفلسفة،وبين الجوانب العقلية والروحية،وبين الحضارة والثقافة،وأن تجرى في إطار كيان الأمة وشخصيتها ومزاجها وطوابعها الأساسية ودون أن يتعرض أي مفهوم من مقوماتها للخطر والاضطراب "[(٣)].

---

(١) - عقبات في طريق النهضة ص ١٤٧.

(٢) - تحفظات على منهج التعليم والتربية الوافدة ، أنور الجندي ، ص ٨-٩، دار الاعتصام (سلسلة على طريق الأصالة)، القاهرة .

(٣) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ١٧٦، معلمة الإسلام ٢/١٦٤

وأهم شروط الاقتباس في نظر الجندي هي نقل الإيجابي الصالح ، والتوسع في نقل العلم التكنولوجي مع التحفظ في نقل الثقافة والأدب مع الإيمان بأن العلم ليس ملكاً للغرب و لا للشرق أما الثقافة (والأدب جزء منها) فإنها ملك خالص لكل أمة [1].

وبين الجندي ما يمكن أن يقتبس من علوم ومعارف بما يتفق مع ثوابتنا فقال : " ولقد تستعير الأمم من الخارج ولكنها لا تعيش على الاستعارة وقد تأخذ في فترات ، ولكنها لا تكون نابغة أبداً ، ومن حقها أن ترفض ما يضيرها ويحول بينها وبين الحفاظ على شخصيتها وذاتيتها ووجودها وكيانها .وذلك هو التأصيل الذي يتجه إليه الفكر الإسلامي انتقالاً من التبعية بعد معركة طويلة ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [سورة الرعد : آية ١٧] نحن لا نأخذ مادة خام نستعملها كما نشاء ، وليس لأحد أن يفرض علينا منهجاً أو مذهباً ؛ لأن لنا مذهبنا الأصيل ، منهجنا الراسخ ، وما فرضنا منهجاً على أحد يوماً ، وعندما أخذت أوربا فكرنا أدخلته في داخل إطارها وثقافتها وعقائدها و لم تتغير به ، وإنما صهرته في جوهرها ، فكيف يراد بنا ونحن الذين نحمل الفكر الجامع المتكامل الذي زود البشرية لأول مرة بالمفهوم الذي يربط بين الروح والمادة ، والفردية والجماعية ، والثوابت المتغيرات ، والذين ينظر إلى الأبعاد المتصلة بالزمن والبيئة وفي نفس الوقت بالأبعاد المتصلة بالسماء وبالأزل وبالبشرية منذ مبدأها ، وما قدم لها من عطاء "[2] .

لقد اجتهد الجندي في بيان الآثار الناجمة عن الاقتباس من التربية الغربية وهى على النحو التالي :

أولاً:أن التربية الغربية و لاسيما تلك التي تقدمها المدارس الأجنبية أو المدارس الوطنية التي تقلد الغرب قد تهمل أحياناً اللغة القومية [3] فتكون النتيجة أن الطبقة المتعلمة تستعمل فيما بينها لغة أجنبية.

ثانياً:تهتم إلى العناية بالقالب والمظهر أكثر من الحقيقة والجوهر فالطالب المسلم اليوم قد يعنى ويقلق من أجل الشهادة واللقب العلمي أكثر من اهتمامه بالضبط العلمي .

---

(1) - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ص ١٧٦، معلمة الإسلام ٢/ ١٦٦.

(2) - من التبعية إلى لأصالة ص ١٠- ١١

(3) - مصطلح خاص بمصر ويراد به الحكومي .

ثالثاً:اقتباس التربية الغربية يؤكد عادة على عملية الحفظ أكثر من التأكيد على التفكير والفعالية والبحث .

رابعاً:إن الذين ينالون قشرة من الثقافة الغربية يصيبهم الغرور والادعاء والبعض الآخر يعوزهم التكيف ، ويصدق هذا حينما يتأخر انتشار الثقافة العامة بين أبناء الشعب .

خامساً:التأكيد حتى الآن على النوع الأكاديمي في التربية الغربية وذلك على حساب التربية العلمية والتقنية .

سادساً:الكثير ممن ينالون الثقافة الغربية لا يعرفون شيئاً كافياً عن دينهم و لا عن حضارة أمتهم وجذورهم الروحية قد قلعت من تربة بلادهم .

سابعاً:اعتيادهم على المشروبات الكحولية والانغماس في التمتع بالشهوات والتحلل الخلقي[(١)].

٤- التوسع في الابتعاث إلي بلاد الغرب :

من الأدوات التي مهدت لعملية التغريب سياسة الابتعاث التي اتبعها محمد علي باشا [(٢)] في مصر بإرسال الطلاب الشبان إلى أوروبا ليتعلموا ، وكان هذا أخطر ما فعله في الحقيقة ؛ لأنه من هناك بدأ الخط العلماني يدخل ساحة التعليم ، ومن ورائه ساحة الحياة الاجتماعية يقول الجندي موضحاً ذلك : " هناك خطر الناشئة الذين يرسلون إلى البلاد الأجنبية للتعليم ، وقد أرسلوا غير مجهزين بشيء من السلاح المعنوي الذي يمكنهم من المحافظة على عقيدهم والدفاع عنها في حالة الخطر ، ولا ريب أن التعليم في الغرب لازم بل ضروري – ولاسيما العلوم الطبيعية والميكانيكية والتكنولوجية – ولكن تلقى هذه العلوم في الغرب لا يستلزم أن تنسخ عقائدنا وعاداتنا وأخلاقنا وأذواقنا وشخصياتنا القومية ومقوماتنا الاجتماعية . ومن هنا نجد المحاذير التي تكتنف إرسال الطلاب المسلمين إلى الغرب غير مزودين بحماية إسلامية كافية،فإن من شأن هذا أن يعود الأبناء،وقد امتلأت أدمغتهم باحتقار بلادهم وتراثهم وفكرهم الإسلامي،ولذلك يلزم برنامج خاص للذاهبين إلى الخارج،يمكنهم من الفهم العميق للعقيدة الإسلامية ، لنحفظ لهم كيانيهم النفسي والمعنوي من أن ينهار في ظل التحديات التي

---

(١) - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ١٣٤.

(٢) - هو : محمد علي باشا بن إبراهيم أغا،ألباني الأصل ، مستعرب أصبح والياً على مصر عام ١٢٢٠هـ وكثرت أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية وأرسل البعثات لتلقى العلم في أوربا . توفي سنة ١٢٦٥هـ . (انظر: الأعلام ٦/ ٢٩٨).

تعيشها المجتمعات الغربية ولابد أن يكون هذا الرعيل تكويناً صحيحاً بحيث يعرف قيمه الإسلامية معرفة جيدة،ويعرف سلامتها وقدرتها على تكوين الإنسان الحق "[1].

ويقول الجندي : " وذهبت البعثات تحمل الشباب الغض الطري الذي لم تشكل له حصانة عقائدية وافرة نحو دينه ووطنه فإذا بالعواصف الهوج تجتاحه ، وإذا به صريع التغريب والولاء للغرب والإعجاب بالعدو الخصم الألد ، و إذا به يعود ليدعو له ولمذاهبه ومناهجه وقوانينه وأيدلوجيته ، ويتنكر للأصل الأصيل الذي عرفته أمته والذي أحياها وأقامها وصنع لها البطولة الحقة ، والتاريخ الناصع بالرحمة والعدل والإخاء حين انتشر ذلك الضوء الساطع الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام فبدد ظلمات البشرية التي كانت قد ارتكست وراء ماديات وإباحيات ووثنيات الفكر البشري " [2].

ويبين الجندي أن هناك صلة قوية بين ما يقدمه الغرب من منح دراسية وبين مؤسسات التغريب فيقول:"إن أغلب المنح الدراسية المقدمة من البلاد الغربية للجامعات بما في ذلك جامعة الأزهر مع الأسف هي منح مقدمة من مؤسسات التبشير والاستشراق والإرساليات،وأن الطالب يحاط به تماماً إذا ما وصل إلى أوربا ويفرض عليه موضوعه ووجهة النظر التي يتحرك فيها،ولابد أن تكون في إطار كتب أستاذه الذي كثيراً ما يكون يهودياً،واليهود الآن يشرفون على الدراسات الإسلامية والعربية في أغلب جامعات الغرب"[3].

٦- انتشار مدارس الإرساليات (الأجنبية) .

تعد من أشد وسائل التغريب فتكاً وأعظمها خطراً على أمة الإسلام،إذ هي معاقل لخيانة المسلمين باستعمار أجيالهم عقديّاً وفكريّاً وثقافياً،وتذويب الشخصية الإسلامية وتشكيل العقل والفكر بما يرفضه الإسلام، وهي بحق: "البيت المظلم". وحرب جلية فكرية من عباد الصليب أعمق من حروبهم الصليبية المسلحة، وهي "السيوف المصلتة" على القلوب، فإنهم لما اغمدوا سيوفهم عن رقاب المسلمين سلوها على قلوبهم، كما أنها: "الخنجر المسموم" الذي طعن به المسلمون فأصاب منهم مقاتل متعددة فأخذوا يعالجون الجرح النازف،والخنجر المسموم ما زال مغروزاً في جسم الأمة الإسلامية، فأولى لهم انتزاع الخنجر ليزول الجرح

[1] - معلمة الإسلام ١/ ٥٠٩- ٥١٠ .
[2] - من التبعية إلى الأصالة ص١٣- ١٤.
[3] - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٩١.

ويقف النــزيف [1].وهذه المدارس منذ نشأها كان لعلماء المسلمين مواقف مشرفة من الصيحات والبيانات المتكررة محذرة ومبينة لخطرها واستطالة شرها فكان من أولئك الجندي الذي فضح أمرها وكشف حالها وما فيها من مخاطر بالغة على جيل الأمة .

ويقصد بالإرساليات قيام طائفة دينية بإرسال ممثلين أو مندوبين عنها لمحاولة نشر معتقداتهم ، وإنشاء مؤسساتها بين أناس يجهلون في الأساس حقيقة مقاصدهم [2]. وعلى هذا يكون المراد من الإرساليات الأجنبية البعثات التنصيرية عموماً والتي انطلقت من أوربا في بداية القرن السادس عشر ميلادي وقد اتخذت وسائل متعددة منها التعليمية ، والخدمات الصحية ، والمساعدات المادية وغيرها وهي كلها تخدم عقيدتهم المنحرفة .

ويقول الجندي مبيناً معنى كلمة المدارس الأجنبية: " تشمل جميع المدارس والمعاهد العلمية التي أنشأها في ربوع الشرق الأدنى الجمعيات الدينية أو بعثات التبشير أو حكومات أجنبية أو شركات أخرى بقصد الربح "[3].

ومهما تعددت وسائل الإرساليات إلاّ أن أخطرها على الإطلاق هو التعليم وقد نبه الجندي على ذلك بقوله : "إن أخطر وسائل التبشير هي دور التعليم حيث يتاح لأعضاء الإرساليات من مدرسين ومدرسات تلقين الناشئة الإسلامية من بنين وبنات تعاليم دين المسيح وتراث فكره وتقاليد حضارته مشوباً ذلك كله بصور من الكيد والدس والتشويه لعقائد الإسلام ... ولا تزال كتبهم ونشراتهم وأبحاثهم تسمم عقول الفتية والفتيات الأغرار ، وتعمق شقة الخلاف بينهم وبين أهليهم وتحول دونما صلات المودة والإخاء . وهي تهدف جملة إلى طمس كل تصور إسلامي في ذاكرة الشباب وقطع كل صلة متينة لهم بالله سبحانه وتعالى "[4] .

ولكي نبرز الموقف والجهد الذي قام به الأستاذ أنور الجندي تجاه هذه المدارس الأجنبية سنتحدث عنها في ثلاث مسائل وهي :

المسالة الأولى : أهداف المدارس الأجنبية :

---

[1] - انظر: المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها، د.بكر بن عبدالله أبو زيد ، ص٥، دار ألفا ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ . الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ص ٨ .

[2] - انظر: الإرساليات الأجنبية إلي بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة التصدي الإسلامي لها دراسة تحليلية تاريخية ،للطالبة / يسرى محمد عبدالهادي الحفني ، ١/ ١٤، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، غير منشورة .

[3] - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٥١.

[4] - المصدر السابق ص ٤٧.

غير خافٍ أن هذه المدارس لم يكن إنشاؤها من أجل المعرفة أو البحث العلمي وإنما جاءت من خلال أهداف مرسومة ومحدده أعلنها صراحة أولئك المبشرين والقساوسة الذين كانوا يعملون ويشرفون على هذه المدارس وقد كشف الجندي تلك الأهداف وتلك النوايا الخبيثة وهي :

١- هدم العقيدة :

يقول الجندي موضحاً ذلك : " إن أول همّ للمبشر هو هدم الاعتقاد في تلميذه فيصبح الطالب مستخفاً بالمعتقدات ،ومن ثم غرس تعاليم جديدة في أرض لم تعد صالحه للاعتقاد ، وذلك يؤدي إلى أخطر النتائج ، وهو حض الطلبة على النفاق والمراءاة "(١) .

٢- هدم الأخلاق :

لقد أدت مدارس الإرساليات إلى إفساد الأخلاق فقد كانت تشجع الطلاب المسلمين على الاختلاط بين الجنسين بدءاً من الفصول الدراسية وانتهاءً بترسيخ هذا المفهوم بشتى المجالات فهو هدف قائم بذاته ، فكانت تقوم بتوجيه أخلاق تلاميذها من المسلمين لعاداتهم وتفكيرهم إلى أنواع عديدة أهمها طابع أجنبي خاص إذا لم تكن روحه نصرانية واضحة فلا ريب أنه تمهيد لبث هذه الروح لأن إضعاف الروح الأصلية وتحطيم للتعاليم والتقاليد القومية هو دائماً أول خطوة في سبيل إدخال روح وتعاليم جديدة (٢).

٣- تنصير الشباب المسلم وإخراجه من دينه:

لقد كانت تهدف تلك الحكومات الأجنبية أو الجمعيات التنصيرية إلى تنصير شباب المسلمين فكانوا يرسلون معها منصّرين يدعون إلى دينهم المحرف وقد نبه الجندي على ذلك بقوله : "استطاعت الإرساليات في مصر في الثلاثينيا ت أن تقوم بحركة ضخمة للتبشير بين المسلمين، وأجبر عدد كبير من الشباب على ترك دينه ، وجرت تحقيقات قضائية حول وقائع متعددة وحوادث متصلة وصدرت أحكام قضائية لم تنفذ ، وقد أشارت الصحف إلى أن معاهد الإرساليات تفلت دائماً من العقوبة لأنهم أجانب لا يمتد إليهم سلطان القوانين المحلية ؛ ولأن سلطاتهم القنصلية توليهم عطفها وحمايتها ولأن معاهد التعليم الأجنبية — وكر هذه المحاولات — تتمتع في ظل الامتيازات الأجنبية بحصانة قوية ... وقد أشار تقرير مطول عن التعليم في الإرساليات إلى أن المؤسسات التبشيرية (إنجليزية وإيرلندية وألمانية وسويدية

(١) - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٥٥.

(٢)- المصدر السابق ص ٤٤.

ودنمركية وأمريكية) متفقة على وضع التوراة بين أيدي الطلاب على أنه كتاب تدريس أساسي وإجبار المسلمين على دخول كنيسة المدرسة مرة كل يوم .ويقول هنرى جب : إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية ، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين،وإن المدرسة شرط أساسي لنجاح التبشير ،وإن المدرسة قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى،ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة في أوطانهم"[(١)].

٤- تنشئه جيل جديد من شباب الإسلام فاقد الهوية لا ينتمي إلي دينه إلاّ بالبطاقة أما التطبيق العملي والممارسة الواقعية فهي مغربة تماماً .يقول الجندي :" ومن شأن هذه المدارس أنها تخرج شباب المسلمين على الولاء لثقافة معينة ؛ نظراً لتعدد هذه المعاهد بين فرنسية وأمريكية وانجليزية وايطالية وألمانية وروسية . فإن شباب العالم الإسلامي ظل يتمزق بين هذه الثقافات وبين الولاء لها على النحو الذي يحول دون قيام وحدة فكر إسلامية أساسية ... وهكذا يكشف العميد الانجليزي عن الغاية من التعليم البريطاني ، أنه يحاول أن يخلق جيلاً مؤمناً بانجلترا متعاطفاً معها ، مغضياً عن استعمارها ونفوذها في بلاده ، عاملاً على دعم المودة والصداقة بين المحتل والوطني وهذه غاية خطيرة فهي لم تقتصر على كلية فكتوريا ، وعلى التعليم الانجليزي "[(٢)] .

ويقول كذلك :" وهذه المدارس صاغت أخلاق التلاميذ وكونت أذواقهم والأهم من ذلك أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في سبيل حياتهم مستعدين للتأثير بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة (أي التعليم على الطريقة المسيحية) "[(٣)]

٥- إثارة النـــزاع الطائفي وإذكاء نار العداوة والبغضاء بين المسلمين ليسهل عليهم هدم الدولة الإسلامية .

لقد قامت هذه الكليات والمدارس بحمل لواء القوميات والعصبيات التي مزقت العالم الإسلامي يقول الجندي : " ولم يكن عجيباً أن يبرز هذا التيار في مثل هذا المحيط ، فقد كان الهدف هو تمزيق الوحدة القائمة في ظل الدولة العثمانية ، وقد رافق هذا الاتجاه حملة ضخمة على الخلافة والخليفة والحكم العثماني ، وكانت هذه الحركة والحملة تهدف إلى تمزيق الكتلة

(١) - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٣٦- ٣٨بتصرف .

(٢) - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٣٣٧- ٣٣٨.

(٣) - الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ص ٢٧.

المرتبطة بإثارة الخلاف والتفرقة باسم " عرب وترك "وإثارة العداء بدعوى اغتصاب الدولة العثمانية حق العرب ومحاولة اعتبار تركيا العثمانية هي الإسلام نفسه ، وفصل مفهوم القومية عن الفكر العربي الإسلامي وإحلال الفكرة العثمانية أو اللادينية للقومية محل مفهومها الطبيعي ، وهكذا كانت دعوة القومية العربية على يد دعاتها الأول سلاحاً لهدم الدولة العثمانية وإسقاطها ثم إسقاط الخلافة وهدم الوحدة بين العرب والمسلمين "[١].

ويقول الجندي مبيناً أسلوب هذا المدارس في عرض الأديان : " إنها تعرض الإسلام عرض عداء وخصومة واتهام للرسول – صلى الله عليه وسلم – والقرآن ، ولا تقف عند هذا بل تحاول أن توقع الخصومة بين المسلمين والمسيحيين في الشرق بإثارة حديث الحروب الصليبية وموقف كارل مارتل ، وينتهي بالإشارة إلى أن قوة الهلال تقهقرت أمام راية الصليبيين وانتصار الإنجيل على القرآن " [٢].

٦- إعداد شخصيات قيادية لا تقاوم النفوذ الأجنبي ، بل تؤيده وتدعمه :

يقول الجندي : "وقد حرص النفوذ الاستعماري أن يجعل من جامعاته ومعاهده مصدراً لتخريج القادة والحكام في العالم الإسلامي ، وكانت خطابات القائمين بأعمال الدول الكبرى في هذه الجامعات في كل عام تكشف عن هذه الأغراض . يقول اللورد لويد ممثل بريطانيا في مصر في حفل كلية فاكتوريا بالاسكندرية عام ١٩٢٦م (إن أبناء هذه الكلية من ثمان أجناس أو تسعة أجناس مختلفة ، وإن من الطلبة الآن مصريون ويونان ويهود وإيطاليون وأرمن وسوريون وأحباش وغيرهم ، كل هؤلاء لا يمضى عليهم وقت طويل حتى يتشبعوا بوجهة النظر البريطانية بفضل العشرة الوثيقة بين المعلمين والتلاميذ فيكونوا قادرين على أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا علينا . وأود أن أشعر أن كلية فكتوريا تنجب نفراً تنمي فيهم الشعور الانجليزي بما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرق والغرب) [٣].

وبين الجندي أن هذه المدارس قد بدأ عملها في بيروت ومصر واستانبول قبل ١٨٦٠م وكان ذلك إرهاصاً بإعداد الركائز الحقيقية لولادة قوى الاحتلال وبناء الجيل الذي سوف يؤازر المحتل بالسيطرة على الثقافة والتعليم والصحافة في نفس الوقت الذي يبدأ فيه الاحتلال ، وقد وصفهم اللورد كرومر بأنهم منحة السماء ، وأنهم خميرة البلاد ، ولم يكن السوريون المتعاونون مع الاحتلال موظفين ومرابين،فمنهم من أنشأ صحفاً وأشهرها صحيفتا

[١] - مقدمات العلوم والمناهج ١/ ٢١١.

[٢] - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٣٨.

[٣] - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٣٣٧- ٣٣٨، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب ص ٢٦.

المقطم والمقتطف اللتان أصدرهما «فارس نمر »و«يعقوب صروف »و «مكاريوس»،وكانت الصحيفتان اللسان الناطق لسلطات الاحتلال باللغة العربية[1].

المسالة الثانية : الواقع التعليمي في المدارس الأجنبية وخصائصها :

من خلال تلك الأهداف التي رسمتها هذه المدارس وسعت إلي تحقيقها بكل ما أوتيت من دعم معنوي ومالي وسياسي استطاعت أن تضع لها أولويات فقام الجندي ببيان تلك الطبيعة التعليمية فيها وخصائصها والتي منها :

١- تركيز هذه المدارس على النشء الصغير :

لقد بدأ اهتمام هؤلاء الاستعماريين في المدارس الأجنبية برياض الأطفال قبل تعليم الكبار عملاً بما أوصى به مؤتمر التبشير عام ١٩٢٤م حيث نصوا على أن : "في كل حقل من حقول العمل يجب أن يكون العمل موجهاً نحو النشء الصغير من المسلمين وموزعاً فيما بينهم ليحيط بهم وليكونوا منه على صلة مباشرة ، ويجب أن يقدم هذا على كل عمل سواه في الأقطار الإسلامية فإن تنور روح الإسلام في الناشئ الحديث يبتدئ باكراً من عمره فيجب والحالة هذه أن يؤتى بالنشء الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم حينئذ وتستعصي على المبشر .

وهكذا تتركز سياسة الإرساليات في توجيه النشء الصغير لتشكيله قبل أن يشكله أهله في إطار الإسلام " [2].

٢- تركيزهم على أبناء الطبقة الراقية :

وقد أشار الجندي أن هذا كان من خصائص وأولويات تلك المدارس فقد استقطبت الطبقة الأرستقراطية في البلاد التي تستطيع أن تدفع المصاريف ؛ مما خلق طبقة ارستقراطية ثقافية تعلمت بهذه المدارس وكانت تسير أمور هذا البلد مما زاد في نفوذ هذا النوع من التعليم إلى حد كبير[3].

٣- اهتمّت هذه المدارس بتعليم الفتاة المسلمة طمعاً في إخراجها من دينها شيئاً فشيئاً :

يقول الجندي : "وقد بذلت — الإرساليات — أقصى الجهد في إدخال البنات المسلمات في الأقسام الداخلية حتى ينعزلن عن محيطهن الإسلامي ويشكلن في إطار الصلاة المسيحية والأدعية ولا يخرجن من المدرسة إلا بعد أن يكنّ قد انطبعن بطابع الحياة الغربية

---

[1] - انظر : التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ١١١- ١١٢.

[2] - المصدر السابق ص ٣٤- ٣٥.

[3] - المصدر السابق ص ٣١.

وروح العقيدة المسيحية . هذه الفتاة هي التي ستكون زوجة مسلمة من بعد وستربي الجيل الجديد "[١].

واستطاعت تلك المدارس أن تحتضن الفتاة المسلمة، فكانت أولى الإرساليات هي مدارس البنات لتعليم المرأة المسلمة في ظل مفاهيم مسيحية وعلمانية.

تقول المبشرة المعروفة (أنا مليمنان): ليس ثمة طريق إلى حصن الإسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة..وقال المبشرون: لقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلجأوا إليها، في سعيهم لإخراج المسلمين من الإسلام [٢].

٤- أن الكتب التي تدرس في هذه المدارس تطعن في الإسلام وتشوه صورة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الجندي:"وقد كشفت الأحداث عن خبيئة كثير من هذه المعاهد والجامعات المختلفة في العالم الإسلامي،واستعلن ما حاولت أن تخفيه،فبين حين وآخر يذاع أن هناك كتاب يدرس يحمل ثمار التبشير أو الشكوك في الإسلام،أو الإساءة إلى نبيه ﷺ،أو اتهام القرآن "[٣].

ويقول كذلك : " وقد أشارت الصحف أكثر من مرة إلي كتب مقررة في مدارس الإرساليات تحوى طعناً في الإسلام وفي رسول الإسلام ... وأشارت إلي كتاب (Histoire Sainte) أي التاريخ المقدس الذي يوزع على الفتيات المسلمات وفيه وصف شائن للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن عقيدته هي مزيج بشع أو وحشي من اليهودية والنصرانية والوثنية ، وأن هذه العقيدة ممثلة في القرآن الذي هو مجموع إيحاءات مزعومة للنبي و وقد كانت الصيحات تتوالى إثر كل حادث من هذه الأحداث ثم تنطفئ وتظل هذه الكتب تترك آثارها في الطلاب المسلمين والمسلمات "[٤].

٥- المعلمون الذين يتولون التعليم والإشراف بمدارس الإرساليات هم من النصارى المبشرين المتحمسين لنشر دينهم وعقيدتهم .

---

[١] - المصدر السابق ص ٣٥.
[٢] - انظر : التبشير الغربي ، الجندي ، ص ١٠.
[٣] - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص ٣٣٨.
[٤] - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٣٦- ٣٧ .

يقول الجندي : " اغلب الذين أشرفوا على مدارس الإرساليات كانوا من الرهبان والقساوسة الذين يحملون قدراً كبيراً من الحماسة لدينهم ورغبة جارفة في تحقيق السيطرة الغربية عن طريق التعليم "[١].

٦- أن المناهج التي تدرس في هذه المدارس تخدم مصالحهم الاستعمارية والتغريبية،فهي لا تهتم بالعلم التجريبي الذي يساعد على تقدم الأمم ونهضتها وإنما تركز على التعليم النظري المجرد.يقول الجندي موضحاً ذلك:"إن هذه المدارس قد شكلت في ثقافة الطالب العربي المسلم مفاهيم خاطئة بما يتناسب مع اتجاهاتها وأهوائها سواء أكانت دينية أم سياسية . وقد كانت الكتب المدرسية المقررة موضوعة بطريقة استعمارية ، وكان قوام هذه المعلومات : مصر بلد زراعي،مصر بلد مستعمر على مدى التاريخ،لا علاقة بين المصريين والعرب ، الغرب هو مصدر النور وهو صاحب الجنس الأبيض،التعلم الإسلامي متأخر ، العرب بدو ورحل والإسلام دين صحراوي وهو سر تأخر المصريين "[٢] .

وقد نبه الجندي على أن هذه المدارس والجامعات الأجنبية تقدم دراسات عن العلوم الإنسانية التي تتصل بالتاريخ وعلم النفس والأخلاق والعلوم الاجتماعية بصورة وروح غربية وهذه كله يخالف المنهج الإسلامي فقال:"إن إصرار هذه الجامعات التي هي إرساليات تبشيرية في الأساس على تدريس هذه المواد من شأنه أن يخرج أجيالاً لا تفهم مجتمعها وقيمه إلا من وجهة نظر الغرب وطبق مقررات الاستشراق،وهي وجهة نظر مخالفة تماماً لمفهوم العرب ومعارضة تماماً لأصالتهم ولأهدافهم... ولا ريب أن تقديم هذه الفروض على أنها مسلمات تبنى عليها نظرة الدارس إلى الإنسان وإلى المجتمع وإلى الحياة من شأنه أن يؤدي إلى فهم مغاير تماماً لفهم الإسلام.وهذا ما تقصد إليه هذه الجامعات بتدريسها العلوم الإنسانية التي ليس المسلمون والعرب في حاجة إليها،وإنما هم في حاجة إلى العلوم الطبيعية والتجريبية التي تنقصهم أساساً "[٣] .

المسألة الثالثة : آثارها.

إن وجود تلك المدارس في العالم الإسلامي أدى إلى ظهور بعض الآثار والمفاسد الخطيرة وقد أجملها الجندي فيما يلي :

---

[١] - المصدر السابق ص ١١٣.

[٢] - المصدر السابق ص ٣٣.

[٣] - المصدر السابق ص ١٢٦- ١٢٧ .

أولاً : إغفال اللغة العربية وهي لغة البلاد القومية ، وكان من الضروري إتقان لغة أجنبية على حساب اللغة العربية ، هذا بالإضافة إلى ما كانت توصم به هذه اللغة من نقص وضعف ، بينما لا توجد أي دولة في العالم تترك أبناءها يتعلمون لغة أجنبية منذ سن الرابعة قبل أن يتعلموا لغة البلاد الأصلية .

ثانياً : أسهمت هذه المدارس في تلقين أبنائنا تاريخ أوربا والدول الأجنبية المختلفة وحرمتهم في نفس الوقت من تاريخهم القومي والعربي والإسلامي .

ثالثاً : كانت هذه المدارس تتجاوب مع رغبات وتوجيهات سفاراتها ودولها بل أن مجالس إدارة أغلب هذه المدارس كان يرأسها السفراء والقناصل ، فمثلاً مجلس إدارة كلية فكتوريا الانجليزية يرأسها السفير البريطاني .

رابعاً : خلا هذا التعليم من رعاية دين وأخلاق أبناء البلاد ، بل كان له الاتجاه العكسي المؤدي إلى الشعور بالتحلل ، كما انه خلق نوعاً من الطبقة المستعلية على طبقات المسلمين في المدارس الوطنية ، وكانت نظرتهم إلى اللغة وإلى الأمة نفس النظرة لا يختلطون بالشعب و لا يحسون بإحساس البلاد لأنهم لم يدرسوا مشاكلها و لم يتمرسوا على مشاركة الوطن مشاعره و أحاسيسه .

خامساً : ساعد في تفكك الأسرة حيث تجد العائلة الواحدة مقسمة بين ثقافات متعددة أمريكية ، وفرنسية وإنجليزية ، ووطنية ، ومن هنا فقد كان لكل فرد تفكيره الخاص وفلسفته الخاصة ونظرته المختلفة إلى الأمور[1] .

ولقد أحسن الجندي عندما ذكر لنا مواجهات أولئك العلماء والكتاب لهذه المدارس حيث كشفوا حالها ومآلها وعمدوا إلى تقديم حلول عمليه من فتح مدارس إسلامية وجامعات فقال : " وقد واجهت حركة اليقظة الأمرين : مدارس الإرساليات ومناهجها وحركة التبشير التي انبعثت منها باهتمام كبير ، ووقفت صحيفتين يوميتين على مقاومة الحملة وهما البلاغ والسياسة وتحول الدكتور هيكل من موقفه في صف التغريب إلى العمل في صف حركة اليقظة ، وأمضى عامين كاملين لا يتوقف يومياً عن مواجهة التبشير "[2].

وأضاف الجندي قائلاً : " وقد تصدى كتّاب اليقظة جميعاً لهذا الموقف ، وهاجموا جميعاً الحملات التبشيرية ودعوا المسلمين إلى الانفصال عن مدارس التبشير ، ودعوا أثرياء

---

(1) - المصدر السابق ص ٣٢-٣٣ .

(2) - مقدمات العلوم والمناهج ١٠/ ٣٤٢.

المسلمين إلى المساهمة في إنشاء مدارس تضم أبناءهم وشكلت جماعة الدفاع عن الإسلام وكانت أهم أهدافها :

١- مقاومة التبشير بجميع الوسائل السلمية المشروعة التي يهدى إليها الإسلام والعلم .

٢ــ تيسير معرفة الروح الإسلامي وقواعد الدين السمح ليكون المسلمون على بينة من حقيقة دينهم وفهم نظمه الاجتماعية وآدابه .

٣- مساعدة الفقراء واليتامى والضعفاء من المسلمين وأولادهم وتنشئتهم تنشئة إسلامية صحيحة حتى يكونوا أداة صالحة في المجتمع الإنساني بإنشاء الملاجئ والمستشفيات ومعاهد التعليم " [١].

وقد قدم الجندي بعض الحلول التي يمكن بها معالجة هذا الواقع التعليمي الأليم بعالمنا الإسلامي فقال : " لابد أن تكون لنا مدارس على مستوى عال حتى نقطع حجة بعض الآباء في إرسال أبنائهم إلى المدارس الأجنبية من أجل أنها تعلم لغة أجنبية ، ولننبه إلى أن العمل التبشيري بعد أن كان يقوم على الدعوة المجردة أصبح الآن يعمل على إتاحة بعض الفرص المادية لفرائسه ، ولابد من أن تكون المؤسسات الإسلامية في درجة توازي المؤسسات الأخرى من ناحية المظهر والأدوات " [٢] .

٧- تأثر وتبعية التعليم الوطني للفكر الغربي :

إن الاستعمار الغربي استخدم جميع الوسائل في سبيل تحقيق أهدافه فبعد أن تبين لهم أن عامة الناس أدركوا خطر تلك المدارس التبشيرية اتجهوا إلى أسلوب آخر أكثر خبثاً ، وأشد فتكاً و هو ما يقوم على إضعاف التعليم الديني وإبداله بنظام التعليم الوطني (اللاديني) وقد بين الجندي ذلك بقوله : " إذا كانت صورة التعليم في معاهد الإرساليات قد كشفت عن هذه المحاذير الخطيرة فإن التعليم الوطني في البلاد المستعمرة قد مر بتجربة أشد خطورة وأبعد أثراً في هدم شخصية الطالب المسلم وتدميره وجعله أداة طيعة للنفوذ الغربي،وموالياً مستسلماً للأجنبي المحتل " [٣] .

ويصور لنا الجندي وجه الخطورة في التعليم الوطني قائلاً : " الخطر الخطير والتحدي الشديد الذي بدأ به النفوذ الغربي تعامله مع المسلمين حين أقام مدارسه ومعاهده وإرسالياته ، ثم فرض هذه المناهج على التعليم القومي الذي كان يشرف على إعداده بواسطة رجاله

(١) - المصدر السابق ١٠/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٢) - الصحوة الإسلامية ص ٨٠ .

(٣) - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ٥٧.

أمثال دنلوب[1] في مصر ومثيله في سوريا والمغرب والعراق ، من أجل إنشاء ما أسماه كرومر: تلك الأجيال المؤمنة بالغرب المستسلمة له ، أولئك المتفرنجين الذين أعدهم ليمتلكوا إرادة النفوذ في مختلف دوائر السياسة والثقافة والتربية والتعليم "[2].

لقد كانت للسياسة التعليمية التي اتخذها الاستعمار الغربي في سبيل أيجاد الفصل وخلق الثنائية بين التعليم الوطني والتعليم الديني السبب في دعم التعليم الوطني بحيث جعل صاحبه يتسلم المناصب ويكون له النفوذ والثروة على خلاف التعليم الديني الذي لا يوصل إلى شيء من المناصب ولا النفوذ وقد بين الجندي هذه الخطة الماكرة بقوله : " ويعلق اللورد لويد (المندوب السامي في مصر) بعد كرومر بعشرين عاماً في كتاب له تحت عنوان «مصر منذ أيام كرومر» على خطة التعليم فيقول:(إن التعليم الوطني «في مصر» عندما قدم الإنجليز كان في قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين والتي كانت أساليبها الجافة تقف حاجزاً في طريق أي إصلاح تعليمي وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدراً عظيماً من غرور التعصب الديني، فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر، فليس من اليسير أن يتصور لنا أي تقدم طالما ظل الأزهر متمسكاً بأساليبه هذه، ولكن إذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فعندئذٍ يصبح الأمل محصوراً في إيجاد التعليم اللاديني الذي ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح). وقد حقق الاستعمار هذا تماماً حين فرق التعليم في العالم الإسلامي إلى ديني ومدني فجمد الأول وحجب خريجه عن مناصب القيادة ودفع الثاني دفعة قوية إلى الصراع والتعارض والخصومة وأعلاه في خبث ومكر شديدين "[3].

ويقول هاملتون جب المستشرق الانجليزي في تصوير أثر منهج التربية الغربية في العالم الإسلامي: " لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة العصرية والصحافة أن يترك في المسلمين ولو من غير وعى منهم أثراً يجعلهم في مظهرهم العام "لا دينيين" إلى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من أثار"[4]،ويمكن بيان موقف الجندي من التعليم الوطني فيما يلي:

---

[1] - (دنلوب - ١٨٦١م) ولد في اسكتلندا ، وتخرج من القسم اللاهوتي من إحدى كلياتها ، جاء إلى مصر مبشراً عام ١٨٨٩م ، وعين مدرساً للغة الانجليزية في اسكتلندا ، وأصبح نظارة المعارف في مصر من قبل كرومر ويعتبر هو مؤسس الاستعمار التربوي والعقلي والتعليمي بمصر .(انظر الإسلام والثقافة الغربية ، أنور الجندي ص١٦١، دار المعرفة القاهرة) .

[2] - من التبعية إلى الأصالة ص ١٣٢.

[3] - الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ص ٣٠-٣١

[4] - من التبعية إلى الأصالة ص ١٣٣.

أ- أهداف التعليم الوطني :

أما عن أهداف التعليم الوطني فلما كان الاستعمار المسيطر على تلك الأوطان وهو صاحب النفوذ فقد حرص على أن تكون هناك أهداف عامه قائمة على أسس سياسية مرسومة وتخطيط دقيق تحقق غاياته ونفوذه وقد بين الجندي بعض تلك الأهداف والتي منها:

١-إبعاد القيم الأساسية للفكر الإسلامي عن أن تكون القاعدة التي تنبثق منها المناهج .

٢- حرصت مدارس التعليم الوطني على إهمال القيم والعقائد والأخلاق والعلوم العلمية والمعارف الكونية ووجهت الأجيال إلى صرف الأوقات في فلسفات نظرية وعلوم خيالية سقيمة،وتفاهات تشغل الوقت ، ودراسات جانبية لا نفع لها في الحياة العملية وأحاطت ذلك كله بشئ من القداسة والاهتمام حتى تحول دون تغييره إلى ما هو خير منه .

٣- عزل كل قطر عن الآخر ، وعزلت جماعات مختلفة في كل قطر عن الأخرى ولقد حرصت الغايات العليا لمناهج التعليم الوطني في ظل النفوذ الاستعماري على الفصل بين كل قطر وتعزيز إقليميته الخاصة ولهجته العامية ، وإقناع كل قطر بأنه صاحب وجود وكيان منفصل عن القطر الآخر الذي هو جزء منه عربياً وإسلامياً .

٤- حرص على ثنائية التعليم الديني والمدني لإيجاد طبقتين متميزتين مختلفتين متصارعتين وقد ارتبطت ثنائية التعليم بامتياز طائفة واحتقار الأخرى وقد عمق ذلك الفرق بين الطبقتين وأقام بينهما عوامل الصراع والاحتقار .

٥- جعل الشخصية الغربية هي المثل الأعلى ، وجعل نهضة الغرب وبيئته وأبطاله هم المصدر الأصلي لما تحشى به عقول الشباب ، بل أن الاستعمار بنى مناهج دروس الدين والتاريخ على الأساس الغربي.

٦- تخريج طائفة من أهالي المستعمرات يخدمون المستعمر[١] .

يقول الجندي : " وقد حقق الاستعمار أهدافه في السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق التعليم عندما لم تمر سنوات قليلة حتى خرج ثماره ممن تولوا أمور البلاد وقيادتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية "[٢]

[١] - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ص٣٤١، تربية الأجيال في ضوء الإسلام ص ٧٦، ٧٩

[٢] - تربية الأجيال في ضوء الإسلام ص ٧٦.

يقول الجندي مبيناً هذا الأمر بقوله : " ولقد قام رجال الاحتلال في الأقطار المستعمرة على مهمتهم حتى استطاعوا حين انفكوا عنها أن يكونوا قد أعدوا الركيزة الحقيقة من أبناء البلاد أنفسهم ، وكرومر في مصر بعد أن مضى ربع قرن غادر مصر عام ١٩٠٧م كان قد أحس تماماً بأنه ركز ركيزة صالحة للعمل سنوات طويلة ، وقد كان يدعو الشباب المتعلم في المدارس الوطنية وفق منهج الغرب أن يتقدم ليتسلم أمانة الحكم في بلده ويتصور المستقبل وقد جاء وفق ما خطط ورسم "(١).

ب- خطورة التعليم الوطني :

لقد أحسن الجندي عندما ذكر مجموعة من المحاذير والأخطار التي تكتنف التعليم الوطني يتضح من خلالها الارتباط والولاء الكامل للغرب وللفكر الاستعماري من خلال هذه المدارس الوطنية والتي منها :

١- خضوع مناهج التعليم الوطني للفكر المستعمر .

يقول الجندي : " لا ريب أن سيطرة المناهج الغربية على التعليم الحديث في العالم الإسلامي من الأعمال الخطيرة البعيدة المدى في كل ما وقع في البلاد الإسلامية خلال هذا القرن من الزمان يتبين هذا بجلاء . وقد أشار عدد من الباحثين الغربيين الذين حاولوا تقييم هذه التجربة !! فيقول جب : "إن هذا العمل كان من آثاره إن صاغت تلك المدارس والمناهج أخلاق التلاميذ وكونت ذوقهم ، والأهم أنها علمتهم اللغات الأوربية التي جعلت التلاميذ قادرين على الاتصال المباشر بالفكر الأوربي فصاروا في مستقبل حياتهم مستعدين للتأثير بالمؤثرات التي فعلت فعلها أيام الطفولة ... ويؤكد هذه المعاني ويزيد عليها «ولفرد كانتول» الذي يعترف بالتأثير العقلي العميق الذي يتركه التعليم الغربي الحديث ومراكزه في العالم الإسلامي فيقول : إن من أهم أسباب حركة الحرب والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي ومن أكبر عواقبها نفوذ الغرب . فقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب واطلعوا على روح أوربا وقيمها وأعجبوا بها إلى حد ما . وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوربا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام وهم الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي "(٢).

(١) - المصدر السابق ص ٨١.

(٢) - من التبعية إلى الأصالة ص ٩٤-٩٥.

ويقول : "وقد مضى التعليم في المدارس الوطنية قسمة بين المناهج الفرنسية ، والانجليزية كما رسمتها أنظمة الإرساليات وعلى شاكلة مناهجها حتى أوائل الحرب العالمية الثانية ، ثم سيطرت عليه بعد ذلك مناهج التعليم الأمريكية ونظرية ديوي على وجه أخص .وقد كانت هذه المناهج الثلاثة الفرنسية والانجليزية والأمريكية قد وضعت في بيئاتها وطبقاً لظروف هذه البيئات وأوضاعها ثم تطورت وتغيرت مرة بعد مرة في مواجهة ما كان يواجهها من تجارب ، ثم نقلت هكذا إلى أنظمة التعليم العربية دون مراعاة فوراق البيئة أو تباين العصر ، أو اختلاف الثقافة والعقائد . ولقد ظل العرب والمسلمون يخضعون لهذه المناهج خضوعاً شديداً ويحاول البعض التخلص من هذه التبعية وهذا النفوذ بعد أن ثبت فشل هذه المناهج في تكوين الطالب العربي والمسلم" [(١)].

لقد كان هذا هو الخطر والتحدي الشديد الذي بدأ به النفوذ الغربي تعامله مع المسلمين حين أقام مدارسه ومعاهده وإرسالياته. ثم فرض هذه المناهج على التعليم القومي الذي كان يشرف على إعداده بواسطة رجاله أمثال دانلوب في مصر وضريبة في سوريا والمغرب والعراق من أجل ما أسماه كرومر تلك الأجيال المؤمنة بالغرب المستسلمة له، أولئك المتفرنجين الذين أعدهم ليمتلكوا إرادة النفوذ في مختلف دوائر السياسة والثقافة والتربية والتعليم[(٢)].

٢- اقتصار الباحث على مجال تخصصه ، وعدم الانسجام والتوافق مع المجتمع وبالتالي لا يهتم بمصير الأخلاق .

وقد أبان الجندي هذا المحظور بقوله:"أن التربية الغربية تعوزها الوحدة والترابط ، ويعوزها الانسجام والتوافق بين نواحي الوجود ، ذلك أن الغرب قد أنجب علماء عظاماً وأخلاقيين ومبدعين وإداريين قديرين ، كل واحد يمتاز في حقل اختصاصه ولكن الواحد منهم قلما يعنيه التوافق والانسجام مع المجموع،وكل واحد يتعمق في حقل اختصاصه بدرجه متناهية بدون أن يكون له تماس مع الاختصاصات الأخرى أو اكتراث بوجهة نظر أصحابها ، فالعالم مثلاً لا يهمه كثيراً مصير القيم الأخلاقية ، والسياسي أو الإداري قد يصوغ مقاييسه الأخلاقية العملية الخاصة به . وتربية الفكر قد لا تسير جنباً إلى جنب مع بناء الأخلاق الفاضلة وتقديم الذوق الجميل،كذلك في التربية الغربية اللادينية خطر جسيم ينجم

---

(١) - التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام ص ١١٣- ١١٤.

(٢) - من التبعية إلى الأصالة ص ١٣٢.

عن نسيان خصائص الإنسان الروحية والاكتفاء بالتأكيد على نواحي حياته الجسدية والاجتماعية وبالجملة فإن أهم نقص في التربية الغربية هو فقدان الانسجام بين المتطلبات الزمنية للإنسان والمتطلبات الخلقية والروحية .والنتاج التربوي لهذا التوجيه الناقص : هو إنسان منحط في إنسانيته ، ومن نتائج فقدان الوحدة والانسجام في التربية ما يؤدي إلى الإفراط والتفريط في معالجة بعض الأمور على حساب أمور أخرى ، والانحياز إلى جهة من الجهات يصبح من الأخطار التي تفقد الحياة اتزانها واستقرارها [١].

٣- تأثر التعليم الوطني بالتربية الغربية التي حملت في طياتها التفسخ الاجتماعي والأخلاقي والروحي للعالم الإسلامي وهذا من المقاصد الرئيسية عند الاستعمار الغربي .

وقد بينه الجندي بقوله:"يرد المستشرق جب ولفرد كابتول سمث:الإباحية والإلحاد للذين يسودان الشباب المسلم إلى مناهج المدرسة العصرية يقول جب:إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدرسة والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعى منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ،ثم يعقب بقوله " وذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضاراته من آثار"

ويقول:"إن التجدد والتفرنج في الشرق إنما هما خاضعان لمقياس نظام التعليم الغربي ومدى سيطرته وتغلغله في المجتمع الإسلامي الشرقي،والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب أو الفرنجة هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي وعلى التفكير الغربي .

أما «كابتول سميث» فيقول: إن أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي ومن أكبر عواملها نفوذ الغرب . فقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب واطلعوا على روح أوربا وقيمها وأعجبوا بها إلى حد ما . وينطبق هذا بخاصة على الطلاب الذين درسوا في جامعات أوربا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام وهم الذين سببوا استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمه إلى العالم الإسلامي...ومن هنا نعرف إلى أي حد أضعف النظام الغربي في التعليم الروح المعنوية في الشباب المسلم وجنى على رجولته فأصبح شباباً رخواً رقيقاً مائعاً لا يستطيع الجهاد ولا يتحمل المكروه ، وكيف فتح له الطريق إلى الأهواء في عالم الفكر والبحث وإلى الترف والإباحية في محيط الحياة ، وكيف يحمل الدارس المسلم للغرب في ذهنه صورة رائعة بينما يحمل صورة ساخرة لمجتمعه وأمته " [٢] .

---

[١] - انظر: تربية الأجيال في ضوء الإسلام ص ١٤٦-١٤٧بتصرف يسير ، من التبعية إلى الأصالة ص ١٠٥.

[٢] - انظر: المصدر السابق ص ٢١٠-٢١٢بتصرف .

٤- الاختلاط بين الجنسين :

وتعتبر هذه المدارس الاستعمارية هي وراء حصول هذه المكيدة الخطيرة من أجل هدم العفة والاحتشام ليعم بالتالي الفساد والانحلال . يقول الجندي : " إن تعليم المدرسة العصرية هو عمل من أخطر الأعمال البعيدة الأثر في فساد نظام الأسرة والمجتمع ، ذلك ؛ لأنه يقوم على تعليم الفتاة والفتى منهجاً واحداً دون التفريق بين القدرات والغايات والوظائف التي يحصل عليها كل منهما ، والوجهة التي يتجه إليها وبذلك تفقد الفتاة فهم قيمتها الحقيقية في الحياة . وخاصة مهمتها كأم وزوجة وربة بيت [1] .

٥- تدريس اللغات الأجنبية وإهمال اللغة العربية ومحاربتها أو إعلاء اللغة الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية على اللغة العربية والدعوة إلى تعلمها بحجة أنها لغة الحضارة، ثم السيطرة عن طريقها فكرياً على المثقفين الذين يوجهونه بعد ذلك إلى الاعتماد على الفلسفات الغربية.

هذه كانت خطة التعليم العامة مع تغييرات يسيرة، اختلف بها المنهج من قطر إلى قطر، ولكن الهدف في الجملة واحد. هو ازدراء الوطن والأمة، والفكر العربي الإسلامي كله، والالتفات نحو الغرب صاحب الحضارة المستعمرة وبطولاته وأمجاده،و قد امتدت هذه الخطة بعد انتهاء الاحتلال.

وكانت قد أنتجت ثمارها في تلك التشكيلات الفكرية المختلفة التي فرقت الأمة شيعاً والتي ارتبطت بولاءات مختلفة مع هذا المعسكر أو ذاك،ومع هذه الثقافة أو تلك[2].

---

[1] - من التبعية إلى الأصالة ص ١٠٧.
[2] - التربية الإسلامية هي الإطار الحقيقي ص ٤

الفصل الثالث : موقف أنور الجندي من تغريب اللغة العربية وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : الدعوة إلى العامية .

المطلب الثاني : الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .

المطلب الثالث : اللغة الوسطى .

المطلب الرابع : دعوى تطوير اللغة وإصلاحها .

الفصل الثالث

تغريب اللغة العربية

تمهيد

لقد بدأ الهجوم على اللغة العربية منذ صدر الإسلام الأول ، عندما خاض أئمة اللغة تلك المعارك الطاحنة مع الشعوبية الفارسية ، ولكنها مهما بلغت من الضراوة والمناضلة فإنها تتضاءل مع الحملات التغريبية عليها في العصور المتأخرة ، فقد وجّهت إليها سهام الحرب المعلنة والمنظمة باسم البحث العلمي ، وتارة باسم التطوير والإصلاح بأقلام وأجناس مختلفة يرمون إلى قطع حبال الاتصال بين حاضر المسلمين وماضيهم ، ولجعل القرآن والسنة غريباً على آذانهم وأفهامهم ، يقول الجندي :"لقد بدأت المواجهة بين اللغة العربية وبين اللغات الأجنبية منذ اليوم الأول لدخول النفوذ الأجنبي إلى قلب الأمة الإسلامية ، وكان تركيز التغريب والغزو الثقافي على اللغة العربية بالغ الدقة من حيث إنه المفتاح لكل حرب توجه نحو العقيدة أو الفكر أو التراث أو التاريخ أو اللغة العربية الفصحى بانتشار الدعوة الإسلامية و مدى ارتباط اللغة العربية الفصحى بانتشار الدعوة الإسلامية ومدى ارتباط جماعة المسلمين – خارج نطاق البلاد العربية – باللغة العربية بوصفها لغة عقيدة وفكر وثقافة ، يجب أن تكون تالية للغة البلاد الأولى ، بل لقد كانت لغات الترك والفرس والملايو والأردوا تكتب جميعها بالحروف العربية . ولقد كان تركيز النفوذ الأجنبي على اللغة العربية هو بمثابة الحرب على القرآن الكريم نفسه فإنه إذا نزلت اللغة إلى مستوى في البيان هابط واستمرت على ذلك التنازل جاء اليوم الذي يبدو بيان القرآن وكأنه مختلف وغامض لارتفاعه عن مستوى اللغة العامة وعند ذلك ينفصل القرآن عن لغة الكتابة ويقرأ بقاموس ويتحقق هدف النفوذ الأجنبي بعزل اللغة العربية لا قدر الله"[(١)].

لقد أدرك حماة اللغة العربية خطر تلك الهجمة على اللغة العربية ومدى تأثيرها على لغتنا وفكرنا وقيمنا فتعالت صيحات الغيورين على سلامة اللغة العربية الفصحى منددين بتلك الحملات ومبينين لخططها ومؤامراتها فبدأت تلك الجهود من سوريا عندما أقترح «أحمد الشدياق»[(٢)] عام ١٨٦٠م إنشاء مجمع لغوي للحفاظ على اللغة العربية ، وفي

---

(١) - اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية ، أنور الجندي ، ص ٥-٦ ، دار الاعتصام ، القاهرة (د. ت) .

(٢) - هو: أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق: عالم باللغة والأدب.ولد في قرية عشقوت بلبنان عام ١٢١٩هـ ، وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارسا.ورحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها.وتنقل في أوربا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى أحمد فارس).توفي بالأستانة عام ١٣٠٤هـ . من مؤلفاته : كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، سر الليال في القلب والإبدال . (انظر: الأعلام ١٩٣/١)

مصر دعا «عبدالله فكري»[١] إلى إنشاء هيئة قومية لإحياء اللغة العربية ، ثم تتابعت جهود أولئك العلماء أمثال «عبدالعزيز جاويش» ، و«أحمد زكي »[٢] الملقب بشيخ العروبة و«مصطفى صادق الرافعي»[٣] و«مبارك زكريا» و«محمد محمود شاكر» وغيرهم. وقد لحق بهذه الزمرة العطرة من حماة اللغة العربية من العلماء والمفكرين والأدباء «أنور الجندي» الذي استطاع أن يبين جذور تلك المؤامرة وخطورتها على اللغة العربية فكتب مجموعة من المؤلفات والمقالات[٤] التي بين فيها مراحل وفصول تلك الخصومات والحملات ضد اللغة العربية ولعلنا نجملها في المطالب التالية :

المطلب الأول : الدعوة إلى العامية:

بين الجندي أن الحرب على اللغة العربية ومواجهتها لم تكن قاصرة على البلاد الإسلامية التي لا يتكلمون العربية،بل أخذت في ضرب اللغة العربية في مواطنها وهدمها في معاقلها حيثما وصل نفوذ الاستعمار وسلطانه حيث فرض لغة المحتل واعتبرت اللغة الأولى في المدارس والمعاهد وهمشت اللغة العربية تماماً،فكانت بعد ذلك الدعوة إلى العامية وتشجيعها والاهتمام بها وبثها في مختلف جوانب الحياة من حديث وكتابة وإذاعة ومسرحيات وقصص [٥].

وقد فصل الجندي عن بداية هذه الدعوة وفصولها فهي دعوة قديمة خطط لها الغرب المستعمر من القرن الثامن عشر ميلادي ،وكان من أوائل الذين دعوا إلى العامية وإحلالها محل اللغة الفصحى في العصر الحديث جماعة من المستشرقين وفي مقدمتهم:

---

(١) - عبدالله فكري (١٨٣٤- ١٩٩٠م) ،كاتب وشاعر ووزير مصري، تعلم بالأزهر ، وأتقن اللغة التركية ، وعين مترجماً ، وتنقل في الوظائف إلى أن تولى نظارة المعارف . من كتبه : إرشاد الألباء إلى محاسن أوروبا . (انظر الموسوعة العربية الميسرة ٣/ ١٥٩٩)

(٢) - أحمد زكي (١٨٦٦- ١٩٣٤م) ، عالم لغوي ، ومؤرخ عربي ، ولد بالإسكندرية ، وتعلم في القاهرة .كان من رواد البحث العلمي في التراث العربي القديم . من كتبه : علامات الترقيم ، الرق في الإسلام . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ٨٥/١) .

(٣) - مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي،عالم بالأدب، شاعر،من كبار الكتاب.أصله من طرابلس الشام، ومولده في بهتيم سنة ١٢٩٨هـ،ووفاته في طنطا سنة ١٣٥٦هـ.من كتبه: إعجاز القرآن،تحت راية القرآن،وحي القلم.(انظر: الأعلام ٧/ ٢٣٥)

(٤) - من تلك الكتب : الفصحى لغة القرآن ، اللغة العربية بين حماتها وخصومها ، اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية ، المؤامرة على الفصحى لغة القرآن. وتحدث عنها في أبواب وفصول من كتب أخرى مثل : العودة إلى المنابع ص ٢٦٨- ٢٨٩، أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٦٤- ١٧٣، تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص١١٩-١٥٥، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ٧٥-٧٨ ، معلمة الإسلام ١/ ٥٨١-٦٠٦، تاريخ الغزو الفكري والتغريب ص٢٩٣-٣٠١، مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٥-١٣٩.

(٥) - الفصحى لغة القرآن ص ١١

أ-المهندس «وليم ويلكوكس»[١] ١٨٩٢م فقد ألقى محاضرته المشهورة في نادي الأزبكية " لماذا لا توجد قوة الاختراع عند المصريين؟ قال فيها :" أن الأمم التي استطاعت أن ترتقي هي الأمم التي تركت اللغة الفصحى إلى لغتها العامية الشائعة بين فلاحيها كما فعلت انجلترا وأن اللغة الدراجة هي مصدر الترقي " [٢].

ب- «ولهلم سبيتا»[٣] الألماني مدير إدارة الكتب ١٩٠٢م ألف كتاب «قواعد اللغة العامية» في مصر وقد أشار في كتابه هذا إلى ما أسماه الخلاف الواسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة . ودعا إلى الكتابة بلغة وإن لم تكن لغة الحديث الشائعة فليست العربية الفصحى[٤] .

ج- «ويلمور القاضي»[٥] عام ١٩١٠م الذي دعا إلى استعمال العامية بدلاً من العربية الفصحى وأطلق على كتابه اسم «لغة القاهرة» فجعل للعامية القاهرية قواعد ، واقترح أن تكون لغة للعلم والأدب[٦].

د- «لويس ماسنيون» دعا في سوريا والمغرب إلى العامية،والتحدث بها وإلى الكتابة بالحروف اللاتينية [٧].

لقد كانت هذه بداية الدعوة إلى العامية من دعاة الاستشراق والاستعمار ثم جاء بعد ذلك من حمل لواء هذا الدعوة من التيار التغريبي.

يقول الجندي:"والأمر الأخطر هو إعداد هؤلاء النفر الذين حملوا لواء الخصومة والحرب للغة العربية تحت أسماء براقة زاهية أهمها الإصلاح والتمصير وتيسير النحو ودراسة اللهجات ، وقد جمعت باقة من أخطر الدعاة في مقدمتهم: «طه حسين» و«لطفي السيد» و«قاسم أمين»[٨] و«سلامة موسى» و«الخوري

---

[١] - وليم ويلكوكس: هو المبشر المهندس ، قدم من الهند إلى مصر عام ١٨٨٢م ، وكان موظفاً بمصلحة الري وقد مكث في مصر حتى مات عام ١٩٣٢م ، وكان دائب العمل لدعوته ضد اللغة العربية ، والتبشير وقد أشترى من أجل غايته هذه مجلة الأزهر . (انظر مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٥٨، الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التغريب ص ٢٣٢) .

[٢] - انظر : من التبعية إلى الأصالة ص ١٤٧-١٥٠ بتصرف ، الفصحى لغة القرآن ص ١٣،

[٣] - ولهلم سبيتا (١٨١٨م- ١٨٨٣م) رحل إلى مصر ، وعمل مديراً لدار الكتب المصرية ، وأصدر كتابه قواعد اللغة العامية في مصر ، ونشر كتاب أبي الحسن الأشعري ومذهبه . (انظر : الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التغريب ص ٢٣٢)

[٤] - انظر : من التبعية إلى الأصالة ص ١٤٧-١٥٠ بتصرف ، الفصحى لغة القرآن ص ١٣،

[٥] - سلدن ولمور قاض إنكليزي ، أحد قضاة المحاكم الأهلية في القاهرة ، أصدر كتاباً سماه العربية المحكية في مصر(. انظر : الفكر العربي الإسلامي في مواجهة التغريب ص ٢٣٢).

[٦] - انظر : من التبعية إلى الأصالة ص ١٤٧-١٥٠ بتصرف ، الفصحى لغة القرآن ص ١٣،

[٧] - انظر : المصدر السابق ، نفس الصفحة

[٨] - قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها.كردي الأصل.ولد ببلدة " طرة " بمصر عام ١٢٧٩هـ .وانتقل مع أبيه إلى الاسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة.وأكمل دراسة الحقوق في " مونبلييه " بفرنسة.وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥ فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة.فمستشارا بمحكمة الاستئناف.وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ .له " تحرير المرأة - " و " المرأة الجديدة - ".(انظر :الأعلام ٥/ ١٨٤).

غـــصـــن»[١] و«لويس عوض» و«أمين الخولي »[٢] و«محمود تيمور»[٣] وقد أتيح لعدد من هؤلاء الالتحاق بالمجامع اللغوية وبثوا سمومهم في أبحاثها ومكن لهم المشرفون عليها باسم علوم اللغة وعلم اللغات المقارن وعلم اللهجات "[٤].

وذكر الجندي أن الصحف والمجلات كان لها الأثر الكبير في نشر هذه الدعوة فقد صدرت في عام ١٩٠٠م سبع عشرة جريدة ومجلة عامية[٥].

وقد نبَّه الجندي إلى بعض تلك الحجج التي أوردها دعاة العامية وبين تهافتها وسقوطها وأنها لا تقوم بها حجة ومن تلك الاتهامات والادعاءات :

١- أن تطوير الفصحى حتى تقترب من العامية هي دعوة مريبة ترمى إلى التحلل من القوانين والأصول التي صانت الفصحى خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد فإذا تحللنا من هذه القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة كانت نتيجة ذلك تبلبل الألسنة واتساع رقعة الاختلاف بين الأقطار العربية حتى تصبح عربية الغد شيئاً يختلف كل الاختلاف عن عربية القرن الأول أو عربية اليوم وتصبح قراءة القرآن الكريم والتراث العربي الإسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري الطلاسم [٦].

٢- ادعى بعضهم أن هناك فرقاً واسعاً بين اللغة واللهجة وبين لغة الكتابة ولغة الكلام وأنه لابد من أن تكون لغة الكلام والكتابة واحدة وتبين أنها دعوى باطلة فإن اللهجات المحلية موجودة في كل بلد أوربي وأن الجميع يستعملون الفصحى كلاماً وكتابةً،وأن استعمال العامية أو اللهجة الخاصة أمر نادر[٧].بل إن الفجوة بين الفصحى واللهجة العامية ليست بهذه الصورة التي يحاول أعداء اللغة إظهارها بها وأن الخلاف بين عبارة الكتاب العلماء وبين

---

[١] - مارون بن غندور الخوري عبد الله غصن: أديب من الكهنة بلبنان.مولده سنة ١٢٩٧هـ ووفاته في بيروت سنة ١٣٥٩هـ . من كتبه بستان السلوى حياة اللغة وموتها : اللغة العامية . (انظر :الأعلام ٢٥٣/٥)

[٢] - أمين الخولي ولد سنة ١٣١٣هـ بقرية شوشاي بالمنوفية ، وتعلم بالأزهر تخرج بمدرسة القضاء الشرعي ، ثم تدرج حتى عين مديراً عاماً للثقافة بوزارة المعارف توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٥هـ . من كتبه : كناش في الفلسفة ، فن القول ،المجددون في الإسلام ، مشكلات حياتنا اللغوية .(انظر : الأعلام ١٦/٢، الموسوعة العربية الميسرة ٣٢٤/١) .

[٣] - محمود بن أحمد بن إسماعيل تيمور: كاتب قصصي نابغة مصرى . مولده في القاهرة سنة ١٣١١هـ وبدأ كتابة القصة بالعامية وتقدم في لغته حتى كان من حملة لواء الفصحى، وأصبح من أعضاء مجمع اللغة العربية توفي سنة ١٣٩٣هـ . من كتبه : صقر قريش ، مشكلات الفصحى .(انظر: الأعلام ١٦٥/٧).

[٤] - مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٦٢.

[٥] - الفصحى لغة القرآن ١٢٧.

[٦] - اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية ص ١٦-١٧.

[٧] - من التبعية إلى الأصالة ص ١٥٢.

عبارة العامة أمر مألوف في كل أمة وفي كل لغة حية [1].

٣- الادعاء بعجز اللغة العربية عن أداء مهمتها إزاء المصطلحات الحديثة ، وصعوبة تعلمها . فتعالت الأصوات بتمصير اللغة العربية وإدخال الكلمات العامية إليها ، وقد بين الجندي زيف هذا فقال : " تلك الدعوى العريضة الباطلة التي تدعي بعدم قدرة العربية على استيعاب علوم العصر ، وهي دعوى لا سند لها من ناحية أن الفصحى هي التي احتضنت علوم اليونان والرومان والفرس والهنود في القرن الثالث الهجري وما ضاقت عن ذلك أبداً ، وحولت كل هذا الفكر إلى مصطلحات عربية وكان أبرز عملها في مجال العلوم التجريبية ، فهل تعجز اليوم عن علوم العصر؟ ،إن العجز يكمن في موقف العلماء الذين يدرسون هذه العلوم باللغات الأجنبية ويعجزون عن أن يستوعبوها بالعربية "[2].

ويقول كذلك: " العامية التي يرى أصحاب هذا الاتجاه استخدامها في الشؤون التي تستخدم فيها العربية الفصحى لغة فقيرة كل الفقر في مفرداتها ، فلا يشمل متنها على أكثر من الكلمات الضرورية للحديث العادي ، وهي كذلك مضطربة كل الاضطرابات في قواعدها وأساليبها ومعاني ألفاظها ، ولا ريب أن أداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة ،ولا عن حقائق الآداب والعلوم والإنتاج الفكري المنظم ،والعامية في لغة ما غير ثابتة على حال واحدة،بل هي عرضة للتطور في أصواتها ودلالتها ومفرداتها وقواعدها ، وهي تختلف باختلاف الشعوب، وتختلف في الشعب الواحد باختلاف مقاطعاته "[3] .

أما ادعاؤهم صعوبة اللغة العربية فيقول الجندي : " هي دعوى باطلة أريد بها التشكيك في قدرة اللغة العربية على الأداء ، وقد أجاب الكثيرون بأن اللغات الأوربية بالنسبة للغة العربية أشد صعوبة ، فاللغة الألمانية أصعب من اللغة العربية وإعرابها أشد من إعراب اللغة العربية ، ومع ذلك فإن هذه اللغة تكلمها دولتان هما ألمانيا والنمسا و لم يفكر أحد منهم في تسهيلها بترك الإعراب ، ولا يتبرم منهم أحد بل يفتخرون بها"[4] .

٤- الادعاء بأن العامية لغة لها علاقة بالأدب والشعر، وأنها هي الأصل :

وقد فند الجندي هذا الادعاء بقوله : هناك لغة واحدة هي اللغة العربية ولهجة هي العامية ، وأن الفصحى هي اللغة المشتركة بين العرب واللهجة العامية مسألة مرحلية وأن

---

[1] - اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية ص ١٨ .

[2] - نحو منهج البدائل الإسلامية ص ٧٧.

[3] - معلمة الإسلام ١/ ٥٩٨-٥٩٩.

[4] - الفصحى لغة القرآن ص ٢٢، مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٧٩.

الفصحى هي الامتداد الطبيعي للفكر الإسلامي وثقافته ، وأن الروائع لا تكتب إلا بالفصحى ، وأن العامية أقليمية بل أكثر من أقليمية بحيث يكون لكل بلد لهجته،ولقد عجزت العامية عن معالجة الموضوعات الرفيعة ، وأكد الباحثون أن العامية من المحال أن تكون لغة مستقلة مكتملة التكوين صالحة للاستخدام في مختلف شئون التعبير والكتابة [١] .

٥- الادعاء بأن تدريس هذه اللهجات يفضى إلى معرفة مشكلات الفصحى و إلى مداواة أدوائها :

وقد بين الجندي ضعفه فقال: " وهذا قول ضعيف في نظرنا فأدوات الفصحى معروفة تحتاج إلى من يعالجها بإخلاص ونشاط وصبر ومثابرة وأهمها وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها وتبسيط قواعد الكتابة والإعراب والصرف والنحو وتبسيط الكثير من تعليلات القواعد الصرفية والنحوية، وجميع هذه الأمور الشائكة يعرفها علماؤنا الإثبات ولا علاقة لها باللهجات العامة وقواعد تدريسها "[٢].

المطلب الثاني: الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية :

وبعد أن انخفضت بيارق الدعوة إلى العامية وكشف حماة اللغة مزاعمها الظالمة أخذت الحرب على اللغة العربية صورة أخرى وهي الكتابة بالحروف اللاتينية والتي حمل لواءها مستشرقون ودعاة أجانب وكان على رأسهم «ماسينيون» الذي زعم أنّ ذلك ضرورة لمسايرة الركب الحضاري، وناصره في ذلك القاضي «عبد العزيز فهمي »[٣]عضو مجمع اللغة العربية ،و«سلامه موسى» الذي يرى أن في اتخاذ الحروف اللاتينية مظهر من مظاهر الرقى والتمدن، و«سعيد عقل»[٤] الذي ألف ديواناً من الشعر وكتبه باللغة اللاتينية كمحاولة لوضع التجربة موضع التنفيذ وكان ذلك استمراراً لخطة دعا إليها «أنيس فريحة»[٥] لكتابة العامية بالحرف اللاتيني كل ذلك استمراراً للمحاولة التغريبية في إحلال اللهجة

---

[١] - معلمة الإسلام ١/ ٦٠١ .

[٢] - المؤامرة على الفصحى لغة القرآن ص ٢٨-٢٩، ترشيد الفكر الإسلامي ص٥٧.

[٣] - عبدالعزيز فهمي (١٨٧٠- ١٩٤٨م) ، سياسي مصري ، اشتغل بالمحاماة ، وانتخب عضواً بالجمعية التشريعية ، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ١٦٠٦/٣).

[٤] - سعيد بن فاضل بن بشارة عقل ، صحفي ، له شعر ، ولد في لبنان سنة ١٣٠٦هـ ، وتعلم ببيروت ، وأصدر جريدة البيرق ،واعتقل واعدم شنقاً بتهمة السعي إلى إنشاء مملكة عربية مستقلة عام ١٣٣٤هـ .(انظر الأعلام ٩٩/٣) .

[٥] - أنيس فريحة : باحث في اللغة متجنٍ على الفصحى ،ولد برأس المتن بجبل لبنان سنة ١٣٢١هـ ، وتعلم في الجامعة الأمريكية ببيروت ،وعمل أستاذاً للغات السامية بالجامعة الأمريكية ببيروت مات سنة ١٤١٣هـ . من كتبه : معجم الألفاظ العامية في اللهجة اللبنانية ، وفي اللغة العربية ومشكلاتها . (انظر : ذيل الأعلام لعلاونة ص ٤٩، مقدمات العلوم والمناهج للجندي ٤/ ٩٢)).

اللبنانية محل اللغة العربية والهدف هو قطع الحاضر عن الماضي وتحطيم وحدة اللغة بين العرب والوحدة الفكرية بين المسلمين[1].

وقد ذهب الجندي إلى رد تلك الدعوى، وبين مزاعمها الباطلة فنقل عدة أوجه منها:

١- أن هناك الحروف (ث ح خ ذ ص ض ط ظ ع غ ق) وهي أحد عشر حرفاً ليس لها مقابل في الحروف اللاتينية .

٢- خزانة الكتب العربية وهي ثروة قيمة ليس للعرب و حدهم بل للمدينة والثقافة القديمة كلها فإذا أخذنا بالأبجدية اللاتينية نفقد هذه الثروة النفيسة ويفقدها معنا العالم أجمع و لا يمكن أن يعاد طبع جميع هذه الآثار الغالية بالحروف الجديدة فتبقى الكتب الموجودة جميعاً الغاز ومعميات لا يحل رموزها إلا المنقبون عن الآثار .

٣- الكتابة العربية بالحاضرة هي نوع من الاختزال ستوفر فيه السرعة والاقتصاد وما يكتب فيها سطر واحد يقتضي سطرين أو أكثر بالحرف اللاتيني .

٤- الحرف العربي أحلى للنظر بسبب التباعد بين أشكال حروفه فلا يلتبس الواحد فيها بالآخر وتستطاع قراءته بالليل والنهار وعلى النور الضئيل بدون الاستعانة بالمعينات[2].

٥- تبين أن الحروف اللاتينية لا تصلح لكتابة اللغة العربية، فالحروف العربية ضرورة لازمة لا يمكن العدول عنها، ذلك أن الخط العربي حفظ حتى الآن وحدة اللغة العربية، وإن كان النطق يختلف من قطر إلى قطر، أما الحروف اللاتينية، فهي مبنية على أساس أن صوت الحروف واحد غير متبدل، أما في العربية فهناك أصوات لكل حرف لاسيما فيما يختص بالحركات ومع تغيير الأصوات واللهجات في العربية على حسب الأشخاص أو على حسب الأفكار...ثم إنه ليس هناك معادلة بين الحروف العربية واللاتينية، فالحروف مثلا في الألمانية والروسية قريبة الشبه باللاتينية، أما في العربية فوجه الشبه بعيد جدًا، وإذا تغير الخط العربي بالخط اللاتيني أصبحت النتيجة خطيرة للغاية، فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه والعلوم والآداب والفنون وغيرها، وكلها مدونة معروفة بالخط العربي [3].

٦- أستشهد الجندي ببعض الباحثين الغربيين الذين عارضوا مثل هذا الاتجاه وفي مقدمتهم «سير إدورد بنسون» مدير مدرسة اللغات الشرقية في لندن الذي قال:" أحذر من هذا — أي

[1] - انظر : من التبعية إلى الأصالة ص ١٦٠ بتصرف،الثقافة العربية إسلامية أصولها وانتماؤها ص ٣١٧.

[2] - من التبعية إلى الأصالة ص ١٥٧- ١٥٨ بتصرف .

[3] - اللغة ، أنور الجندي ص ١٤، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، معلمة الإسلام ١/ ٥٩٩ .

استعمال الحروف اللاتينية في كتابة اللغة العربية – لأن الحروف العربية هي حروف لغة القرآن وإذا مسستم الحروف العربية مسستم القرآن بل هدمتم صرح وحدة الإسلام ، إن الإسلام أساسه اللغة العربية فإذا ضاعت ضاع الإسلام" [1].

المطلب الثالث : اللغة الوسطى (التوفيق بين الفصحى والعامية)

وقد حمل لواءها «فريد أبو حديد»[2]و«توفيق الحكيم»[3]و«أمين الخولي» و«لطفي السيد» وهي محاولة ماكرة لفصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام، ولغة الكتابة بإعلاء اللهجات واعتماد اللغة الصحفية لغة أساسية. فلا هي عامية ولا هي فصحى؛ولكنها تنـزل درجة عن الفصحى لتنفصل عن بيان القرآن وتكون مقدمة لمرحلة أخرى تصل بها إلى العامية[4].

وقال الجندي منتقداً ذلك : " لقد كانت مداخل البحث عند لطفي السيد بارعة دقيقة فهو لم يفاجيء القارئ في الوقت المبكر بالحملة على اللغة العربية أو الدعوة إلى ترك الكتابة بها إلى العامية ، وإنما تسلل إلى ذلك بطريقة فيها كثير من المداورة . وقد وقف «عبدالرحمن البرقوقي» و«مصطفى صادق الرافعي» لهذه الدعوة موقفاً حاسماً حملا فيه لواء الاتهام مؤمنين بأن القضاء على اللغة قضاء على مقدسات الفكر العربي الإسلامي"[5]

المطلب الرابع : دعوى تطوير اللغة وإصلاحها :

وهذه دعوة خبيثة ماكرة أطلق عليها تطوير اللغة ، وتهذيب وتيسير وتجديد ، وهي أسماء لبقة مرنة تخفى وراءها هدفاً خطيراً هو التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو زيادة ، وهي القوانين التي ضمنت لنا القدرة على مطالعة آثار المسلمين والعرب منذ نزول القرآن وقبله[6] .

وقد حمل لواء هذه الدعوة رواد المجامع أمثال «لطفي السيد» والذي ترأس مجمع اللغة العربية أكثر من ثلاثين عاماً ، و « أحمد أمين» ، و«الدكتور طه حسين» ، و«قاسم أمين»

---

(1) - مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٧٨.

(2) - محمد فريد أبو حديد (١٨٩٣- ١٩٦٧م) ، أديب مصري حصل على ليسانس الآداب والتربية ، وشارك وأنشأ لجنة التأليف والترجمة والنشر ، انتخب عضواً بالمجمع اللغوي بالقاهرة ، حصل على جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٦٤م. من كتبه : عنترة بن شداد ، الملك الضليل . (انظر : موسوعة العربية الميسرة : ٤/ ٢٢١٧) .

(3) - توفيق الحكيم (١٨٩٣- ١٩٦٧م) ،قصصي ، وكاتب مسرحي مصري ، عين عضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، حصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٦٠م . من كتبه : فن الأدب ، زهرة العمر . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ٢/٧٦٨).

(4) - المؤامرة على الفصحى لغة القرآن ص٥ ، أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٦٥، إطار إسلامي للفكر المعاصر ص ٢٩٣.

(5) - مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٦٧.

(6) - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٦٥، من التبعية إلى الأصالة ص ١٦٢، تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة إلى منابع الفكر الإسلامي الأصيل ص ١٨٥بتصرف .

، و«أنيس فريحة» وقد بث هؤلاء في نفوس الناس وفي عقولهم تحسين تغيير اللغة وزوال صفة الثبات عن العربية ، والفصل بينها وبين القرآن ، بإطلاق تلك الكلمات الزائفة بحجة الدفاع عن اللغة العربية كما قال طه حسين : اللغة ملك للأمة وليست ملكاً لرجال الدين .ويقول أحمد أمين : مذهبي أن اللغة ملك لنا ولسنا ملكا للغة [1] .

وقد نقد الجندي هذا الادعاء بأدلة وحجج دامغة نجملها فيما يلي :

١- نبَّه الجندي إلى أن زعم هؤلاء بأنهم أصحاب لغة ولهم حق التصرف فيها قول باطل بكل المقاييس وغير صحيح ومردود يرده واقع التاريخ ومنطق البحث العلمي ويرده أن هذه اللغة أمانة لدينا للأمة الإسلامية كلها التي تملك فيها مثل ما نملك والتي لم تفوضنا في مثل هذا التصرف.وقد يكون قولهم في اللغات الأوربية ،أما العربية فإنه منذ أن نزل بها القرآن فقد أعطاها واقعاً مختلفاً ، إذ لم تصبح العربية لغة أمة هي العرب وحدهم، وإنما هي لغة فكر وعقيدة ودين وثقافة [2].

٢- أنكر الجندي مبدأ التطوير في اللغة فقال : " ليس الخطر في الدعوة إلى العامية ، ولا في الدعوة إلى الحروف اللاتينية ولا إلى إبطال النحو وقواعد الإعراب أو إسقاطها ؛ وإنما الخطر في هؤلاء العتاة الذين يعرفون كيف يخدعون الصيد بإخفاء الشراك .. إن الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها خبثاً الهدامون مِمَن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس ولا يطمعون في كسب عاجل ، ولا يطلبون انقلاباً كاملاً سريعاً .. إن الخطر الحقيقي هو قبول (مبدأ التطوير) نفسه ؛ لأن التسليم به والأخذ فيه لا ينتهي إلى حد معين أو مدى معروف يقف عنده المتطورون ، ولا ريب أن التزحزح عن الحق كالتفريط في العرض... إن الإصلاح في الألفاظ والتراكيب والأساليب لا يكون إلا بتغيير قواعد أبنية اللغة وهي (الصرف) وتحوير ضوابط إعرابها والأحوال العارضة على الألفاظ باختلاف الوضع في الجملة وهو (النحو) وتبديل الموضع اللفظي في المفرد والمركب من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية وهو (البيان) وبتغيير وإهمال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهي (المعاني) ، ومعنى إصلاح قواعد الصرف انتقالاً من الصعب إلى السهل إنما يعني أن نهدم علم الصرف من أساسه وننسخه نسخاً تاماً لتعدد قواعده وتنوع ضوابطه ، وبعد أن يتم الهدم يبني المصلحون على أنقاضه صرفاً جديداً محدود القواعد ، قليل التنويع ، خفيفاً على العقل

[1] - انظر : الفصحى لغة القرآن ص ١٨٥- ١٨٦ بتصرف ، مقدمات العلوم والمناهج ٤/ ٦٩، ٨٣-٨٤.

[2] - اللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية ص ٢٥.المؤامرة على الفصحى لغة القرآن ص١٤.

والفكر... وبهذا يكون معنى الإصلاح في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية. ذلك أن الإصلاح هو التغيير، والتغيير يعني الإزالة والوضع"[1].

[1] - أهداف التغريب في العالم الإسلامي ص ١٦٦، المؤامرة على الفصحى لغة القرآن ص ٦- ٧، من التبعية إلى الأصالة ص ١٦٢- ١٦٣، تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة إلى منابع الفكر الإسلامي الأصيل ص ١٨٥-١٨٦ ، إطار إسلامي للفكر المعاصر ٢٩٤-٢٩٥.

الفصل الرابع :موقف أَنور الجندي من تغريب المرأة المسلمة وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : إثبات فساد حركة تحرير المرأة وبيان بطلانها .

المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب والتحرر ونقض دعاويهم المسمومة .

المطلب الثالث :وسائل دعاة التغريب في إفساد المرأة المسلمة .

الفصل الرابع
تغريب المرأة المسلمة

لقد وجه الغرب أسهم الحرب على الإسلام في جميع الميادين ، فبعد أن قوض الإسلام من أنظمة الحكم والتشريع ألحق بهما التعليم ، ونعى اللغة العربية بكل قبيح وذميم ،ثم سطا على حصن المجتمع المنيع فكانت الأسرة المسلمة وعلمنتها ومسخ هويتها هي هدفهم المنشود ، وخاصة هرم الأسرة وأسُّها المرأة.وقد بين الجندي ذلك بقوله:"ركزت الفلسفات المادية ومناهج العلوم الاجتماعية والدعوة الماركسية ومذاهب التحلل والإباحية الغربية المبثوثة من خلال القصة والمسرحية والرواية السينمائية والتي تستمد مفاهيمها من آراء فرويد وماركس وسارتر وغيره على هدم الأسرة بصفة عامة.وحين تطرح هذه المفاهيم في أفق الفكر الإسلامي فإنما تكون بمثابة أخطر التحديات التي تواجه المجتمع الإسلامي "[(1)]

وأسهم الجندي بجهد واضح وقوي لصد تلك الضربات الموجهة لتغريب المرأة المسلمة ، فكانت قضايا المرأة وتحدياتها من جملة القضايا التي أخذت حيزاً كبيراً من تراث أنور الجندي الفكري ؛ولذلك ألف بعض الكتب والرسائل في هذا الشأن[(2)] .

ولبيان جهد وموقف أنور الجندي من هذه الدعوى ومدى معالجته لتلك القضايا المثارة وبيان حكم الإسلام عليها سنتحدث من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : إثبات فساد حركة تحرير المرأة وبيان بطلانها .

بدأت حركة تحرير المرأة في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي مطالبة باقتفاء أثر المرأة الغربية ومحاكاتها في زيها ولباسها ، واختلاطها بالرجال،وخروجها للعمل في كل مجال ومصاحبة الأخدان،رافعة شعار الحرية والتحرر من كل القيود ، وهذه الأفكار كانت نتاج تلك البعثات العلمية التي أرسلها والى مصر «محمد على باشا» وكان بواكير ه ا و روادها «رفاعة الطهطاوي»[(3)] و«قاسم أمين» و «لطفي السيد» و«طه حسين»

[(1)] - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ١٩٠.

[(2)] - من الكتب في هذا الشأن : حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ، المرأة المسلمة في وجه التحديات ، المرأة والبيت الإسلامي ، وهناك فصول ضمن كتبه منها: معلمة الإسلام ١/ ٤٤٥- ٤٦٨، ٢/ ٤٢٣-٤٤٧، ٤/ ٢٤٣- ٢٩٥، مقدمات العلوم والمناهج ٣/ ٦٥٣، ٦/ ١٩٠-٢٤١، نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ١٠٩- ١١٦.

[(3)] - هو:رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ولد في طهطا سنة ١٢١٦هـ ،تعلم في الأزهر. أرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أوربة لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية وثقف الجغرافية والتاريخ توفي عام ١٢٩٠هـ ، وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة، منها تخليص الإبريز في تلخيص باريز .(انظر: الأعلام ٢٩/٣ .)

و«مرقص فهمي»[1] وغيرهم من دعاة الانحلال والفساد .

لقد عارض الجندي حركة تحرير المرأة ورفض الأفكار التي تقوم عليها وبين ذلك بعدة أمور نجملها فيمل يلي :

١-كتب الجندي حول هذا الموضوع كتابه «حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام »وبيَّن فيه أهداف تلك الحركة ،وما استخدمته من وسائل مضلله في إفسادها وإخراجها من خدرها لتكون سلعة رخيصة في أيدي الذين يبحثون عن الاستمتاع بها في كل مجال وفي كل حين ، وبيَّن فيه كذلك تكريم الإسلام للمرأة وما وهبه الله لها من حقوق تعجز عنها جميع الشرائع والحضارات .

٢- انتقد الجندي دعاة التغريب والاختلاط والسفور تسمية دعوتهم ومؤامرتهم بتحرير المرأة فقال :"إن حركة تحرير المرأة هو عمل من أعمال الماسونية ، وأنه بدأ في أوروبا تحت لواء إذلال المرأة وتحطيم بكارتها ودفعها إلى سوق النخاسة بأيدي القوى العاتية التي كانت تخطط لها برتوكولات صهيون ، وإن الاستعمار والنفوذ الأجنبي حاول أن ينقل هذه الصورة إلى مجتمعنا ، وأنه ليس هناك ذلك الوهم الذي يرى أن المرأة انتزعت حريتها من أنياب الرجل فليس الأمر كذلك ، وإنما هو الرجل الذي فتح لها هذا الباب لغاية في نفسه ، ولكنها مع الأسف انخدعت به وتركت أطفالها للخادمات حتى أصبحت البيوت مظلمة كئيبة "[2].

ويقول :" إن الصيحة الضخمة ذات الدوي الشديد في العالم كله في هذا العصر الحديث باسم تحرير المرأة التي لم تكن وجهتها خالصة لدفع المرأة إلى الأمام أو تحقيق رسالتها أو تأكيد شخصيتها بقدر ما كانت دفعاً لها إلى الاتجاه الذي رسمته الحضارة الأهواء والرغبات والقوى الكبرى . ويمكن أن يقال إن المرأة من وجهة كونها إنساناً كانت ضحية من ضحايا هذا لاضطراب الاجتماعي الذي ساد المجتمع العالمي والغربي على وجه الخصوص فقد كان الهدف ليس إخراج المرأة من قيودها بل إخراجها من فطرتها ودفعها إلى العمل حيث لا تجد من قواها ما يمكنها وإلى التعليم على مناهج لا تصلح لها ومن التخلي عن مكان السيادة والعمل الحقيقي والمسئولية في داخل البيت من أجل الأبناء والزوج من أجل كرامة المرأة وأصالتها"[3] .

---

[1] - مرقص فهمي:مسيحي متعصب،حقود على الإسلام وأهله،وهو من أولياء كرومر،من كتبه التغريبية المرأة في الشرق .(انظر : حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ، د. عماد محمد عمارة ،ص ٣٧، دار اليقين ، المنصورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ)

[2] - عقبات في طريق النهضة ص ٣٣٦.

[3] - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ص ١١٢، مقدمات العلوم والمناهج ٧/ ٣٤٦.

٣- نبَّه الجندي على أن مفهوم التحرر في الإسلام يختلف تماماً عما يطلقه دعاة تغريب المرأة من حيث :

أولاً:إن الإسلام مكن المرأة من أن تتحرر تحرراً كاملاً باعتبارها عضواً إنسانياً فعالاً .

ثانياً:أن هذا التحرر لا يتحقق إلا بالاستناد إلى معيار الإيمان وهو معيار تحرر الرجل نفسه ، وذلك لأن الإيمان الواعي يكسبها القوة التي بها تتحدى أي مواجهه .

ثالثاً:إن التحرر لم يكن انتفاضة ثورية ، وإنما يكون نتيجة حتمية لخلفية تربوية حادة تشمل الرجل كما تشمل المرأة(١) .

٤- أكد الجندي على أن الهدف الأسمى لحركة تحرير المرأة هو هدم الأسرة المسلمة. فقال :" استهدفت حركة تحرير المرأة تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة ، ترمى إلى هدم الأسرة وتدمير المجتمع ، ودفع المرأة عن مكانتها ورسالتها ، وتحطيم القيم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية في شأن العلاقة بين الرجل والمرأة ، وبين الأجيال المتتابعة وبين الشباب والفتيات بل إن دراسة مستوعبة لأهداف هذه الحركة لتكشف في وضوح أن كل مقدرات النفوذ الأجنبي في هدم المجتمع الإسلامي ، إنما تركز في العمل وراء هذا المخطط الذي يأخذ أسماً لامعاً براقاً من أسماء الأضواء . ذلك أن الهدف من تحرير المرأة في مفهوم المخططات الغازية إنما يرمي في الحقيقة إلى استعباد المرأة وتدمير وجودها الشخصي وكيالها النفسي والاجتماعي ، وتحويلها إلى أمة بعد أن حررها الإسلام ، وأعطاها حقوقها السياسية والاجتماعية والمالية "(٢).

ويقول :" كانت تحرير المرأة من أبرز ما عمل له النفوذ الأجنبي بإزاحة الحجاب وإشاعة روح السفور وخلق طابع الاستهانة بالقيم الأخلاقية ، ذلك أن الإسلام في الحقيقة هو الذي فتح للمرأة باب حريتها وامتلاك إرادهّا بعد عصور الظلم والظلمات ولكن ما كانت تطمح إليه القوى الغازية هو هدم الأسرة وإفساد الأجيال إيمانا بأن هذا هو منطلق إفساد المجتمع الإسلامي كله"(٣) .

٥- بيَّن الجندي أن مؤامرة تحرير المرأة وإفسادها انكشف بكل جلاء ووضوح وأنها تتعارض:

أولاً : مع مسئولية المرأة الأولى وهي بناء الأسرة والمنـــزل ورعاية الطفل .

---

(١) - انظر: نحو بناء منهج البدائل الإسلامية ص ١١٠.

(٢) - حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ،أنور الجندي،ص ٣-٤،دار الأنصار،القاهرة ، ط الأولى .

(٣) - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ص ٣٣٩- ٣٤٠، العودة إلى المنابع ص ١٩٤.

ثانياً : مع تركيب المرأة الفسيولوجي ، والعقلي والروحي وقد تكشفت هذا اليوم ليس في أفق المجتمع الإسلامي بل في أفق المجتمعات الغربية، وأن هناك دعوة واسعة عريضة لعودة المرأة إلى المترل وقد تبين للمرأة في الغرب أو في العالم الإسلامي أنها كانت ضحية قوى عاتية تلمودية واقتصادية تريد هدم المجتمعات وتدميرها[1].

٦- نبَّه الجندي إلى أن حركة تحرير المرأة في الغرب قد نادت بالاختلاط والسفور مما نتج عن ذلك آثار وخيمة منها :

أ- عزوف الرجال عن الزواج ؛ لأن المرأة سهلة المنال بلا تكاليف ولا مسئوليات .

ب- منع الحمل والإجهاض مما أدى إلى تناقص للسكان نتيجة لزيادة الوفيات على المواليد.

ج – ازدياد الأولاد غير الشرعيين .

د- كثرة الأمهات غير المتزوجات .

هـــ - شيوع الأمراض السرية القاتلة كالسيلان والزهري التي غدت من الأوبئة التي أستفحل أمرها .

و- ظهور جيل من الخنافس وهو شباب رافض لكل القيم هادم لما بنته البشرية [2].

٧- ركز الجندي على حماية المرأة المسلمة من الانخداع بدعاة تحرير المرأة وما يطلقونه من شعارات زائفة ولذلك عليها ما يلي :

أولاً : أن تعد نفسها لتكون مؤمنة بربها محبة لنبيها صلى الله علية وسلم متعلقة بقرآنها ، ساعية لفهم دينها ومنهج العبادة وفقه الطهارة في وسطية إسلامية مطلوبة في كل الأمور بعيداً عن المغالاة.

ثانياً : أن تعد نفسها لتكون لفهم مهمتها في الحياة ودورها الذي أعدها له الله تبارك وتعالى لأدائه في بناء البيت المسلم والطفل المسلم .

ثالثاً :أن تعد نفسها لفهم ما حولها ولفهم مسئوليتها إزاء دينها وإزاء أمتها وإزاء وطنها .

رابعاً : أن تعرف الحقيقة الإسلامية الأساسية بأن هذه الصورة التي قدمت لها عن تحرير المرأة هي خدعة كبيرة ، وأنها محاولة لإخراج الفتاة المسلمة والمرأة عن مسئوليتها الربانية التي أعدها لها الله تبارك وتعالى .

---

(١) - انظر: العودة إلى المنابع ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) - انظر: مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ١٩٩- ٢٠٤.

خامساً:إن قوامة الرجال للنساء ليست سلطة تحكمية ولكنها رعاية وحماية تفهم، فالحقوق والواجبات من المنظور الإسلامي للأسرة أساسها المودة والرحمة وحسن المعاشرة[1].

المطلب الثاني :الرد على دعاة التغريب والتحرر ونقض دعاويهم المسمومة:

لقد أثار دعاة التغريب والسفور قضايا عدة خلال مؤتمراتهم ولقاءاته م لإغراء الفتاه المسلمة بها وتشجيعها على مؤازرتهم في دعوتهم المتحررة،فقام الجندي ببيان تلك القضايا وتفنيدها والرد عليها والتي منها :

١-المساواة بين الرجل والمرأة :

أثيرت هذه القضية بعد قيام الثورة الفرنسية في القرن التاسع عشر نتيجة ما كانت تعانيه المرأة الغربية من ظلم وتسلط وابتزاز عليها وقد نادت هذه الدعوى بالمساواة التامة بين الرجل والمرأة في جميع ميادين الحياة.وما تزال مزاعم دعاة تغريب المرأة يثيرون هذه القضية بصور مختلفة وفي أماكن متعددة من العالم الإسلامي، ومن أولئك ما سطره « د.تركي الحمد »[2]قائلاً :" مبدع الخلق ...يقرر أن الإنسان عبارة عن ذكر وأنثى،وليس ذكراً فقط،وأن الأفضل عند الله هو الأتقى،وليس الذكر أو الأنثى؛وبالتالي هي المساواة المطلقة بين جناحي الإنسان فيما عدا ذلك من معيار "[3] .

وقد كشف الجندي قصور هذه النظرة وبيَّن زيفها فقال : "ليس الذكر كالأنثى أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء في الصورة والسمة والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياء النسجية ومع بلوغها سن الشباب بمرورها المحيض الذي تتأثر به أفعال كل أعضائها وجوارحها وتدل مشاهدات أساطين علمي الأحياء والتشريح على المرأة تطرأ عليها في مدة حيضها ، تقل في جسمها قوة الحرارة فتنخفض حرارتها ، ويبطئ النبض وينقص ضغط الدم وتقل عدد الخلايا وتصاب الغدد الصماء واللوزتان والغدد اللمفاوي بالتغيير ، ويختل الهضم وتضعف قوة التنفس ويتبلد الحس وتتكاسل الأعضاء وتختلف الفطنة وقوة التركيز والفكر ، واشد على المرأة من مدة الحيض زمن الحمل ، حيث لا تستطيع المرأة خلال الحمل أن تحتمل الجهد البدني أو العقلي ما تتحمله في عامة الأحوال مما يختل نظام جسمها كله.

(١) - انظر: أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي ص ٩٦- ٩٧.

(٢) - تركي الحمد ، كاتب سعودي معاصر،ولد في بريدة سنة ١٣٧٢هـ ،يعتبر من دعاة الفكر العلماني الليبرالي . حصل علة الماجستير والدكتوراه من جامعة جنوب كاليفورنيا ، عمل فترة من الزمن أستاذاً في جامعة الملك سعود . من كتبه : أطياف الأزقة المهجورة ، الثقافة العربية في عصر العولمة . (انظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة ١/ ٣١٢، موسوعة أعلام العرب ١/ ٢٦٢) .

(٣) - جريدة الشرق الأوسط ، العدد ٧٤٦٠ ، بتاريخ ١٩٩٩/٥/٢م ، بعنوان :«وخلق الله المرأة» .

ويرجع اختلاف المرأة عن الرجل إلى عد عوامل منها :

١- أن خصائص الأنوثة ومواهبها كقانون الزوجية والأمومة وذكاء العاطفة ليست أسباباً للتكسب .

٢- أن حظها من العقل الذي لم تبلغ به مبلغ الرجل ، فُصّل على قدر ما تفهم به نفسها وواجبها ومكان وظائفها في الحياة .

٣- ما يطرأ على قواها البدنية والنفسية والفكرية من ضعف بسبب عوارض الحيض والحمل والولادة [1].

ويقول :" وقد أكدت الأبحاث أن تركيب المرأة مختلف عن تركيب الرجل من جميع النواحي التشريحية والعقلية والنفسية ، وأن المرأة قد خلقت وخلق كيانها على نحو يمكنها من أداء رسالتها التي خلقها الله تبارك وتعالى لها فإذا تجاوزتها اضطراب كيانها العصبي والنفسي ، كما أكدت الأبحاث أن المساواة بين الرجل والمرأة لا سند لها من علم أصيل أو فكر سليم إلا في ناحية واحدة وهي ناحية العمل والإيمان والحساب . أن هناك فروقاً بين الرجل والمرأة من النواحي الأربع : البيلوجية ، الفسيولوجية ، السيكلوجية ، العقلية .

يقول «الكسيس كاريل»[2]:إن الاختلاف الموجود بين الرجل والمرأة لا يأتي من ناحية الشكل الخاص للأعضاء التناسلية،ومن وجود الرحم والحمل، أو طريقة التعليم. إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك.. إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيمائية محددة يفرزها المبيض. ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً ، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل. فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها.. والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبي فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قانون العالم الكوكبي.. فليس في الإمكان إحلال الرغبات الجنسية محلها. ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هي. فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن من غير أن يحاولن تقليد الذكور فإن دورهن في تقدم

(1) - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٢١٨-٢١٩.

(2) - الكسيس كارل (١٨٧٣- ١٩٤٤م) طبيب فرنسي عمل ودرس الطب بفرنسا ، ثم رحل إلى أمريكا وعمل بمعهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيورك قرابة ٣٠ عاماً ثم عاد إلى بلده ، منح جائزة نوبل لأبحاثه الطبية وكتابه « الإنسان ذلك المجهول » .

الحضارة أسمى من دور الرجل، فيجب عليهن ألايتخلين عن وظائفهن المحددة)[١] .

ويقول «د. درفاييي» في دائرة المعارف الكبرى: أن المجموع العضلي عند المرأة أقل منه كمالاً عند الرجل وأضعف منه بمقدار الثلث ، والقلب عند المرأة أصغر وأخف منه بمقدار ٢٠ جراماً في المتوسط ، فالرجل أكثر ذكاء وإدراكاً والمرأة أكثر عاطفة وانفعالاً.

أما الفروق السيكولوجية فهناك فارق بين الرجل والمرأة في العاطفة والمرأة أكثر حساسية وتأثراً بالظواهر الطبيعية ، والمرأة لا تستطيع حفظ الأسرار،والمرأة تجذب انتباهها حادثة ما أكثر من فكرة وانفعالات الرجل أعمق أثراً من انفعالات النساء .أما الفروق العقلية فقد ثبت من الدراسات أن هناك فروقاً في النواحي العقلية بين الرجل والمرأة وهناك فترا ت خاصة تمر بها المرأة و لا يمر بها الرجل وتظهر فيها أمراض كثيرة تكون خلاله مضطربة قلقة و لا يمكن أن تسير سيراً طبيعياً وهي حالة الدورة الشهرية والحمل والولادة والنفاس"[٢]

ويقول الجندي : " قال –الله تعالى في– القرآن منذ أربعة عشر قرناً ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [سورة آل عمران : ٣٦] ،وقرر أن المرأة لها تكوين دقيق خاص ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [سورة الزخرف: ١٨]، ومع الاختلاف في وظائف المرأة فإن الإسلام لا ينقصها شيئاً في نظر الإسلام من مسارقما في الحقوق العامة باستثناء قيادتها للدولة ، والنصوص الشرعية لا تحول دون تمتعها بكافة الحقوق ولكن في إطار الضوابط الإسلامية التي تحاول أن تصبح المرأة سلعة في الأسواق التجارية والسياسية و التى تحول دون أن تصبح مجالات العمل معرض للأزياء وتجارة الأشياء نلمس آثارها في أكثر البلاد"[٣].

٢- عمل المرأة:

لقد أثار أدعياء تحرير المرأة قضية عمل المرأة،ليصلوا إلى السيطرة التامة على المرأة حتى تصبح دمية في أيديهم يحركونها حيث شأوا،فطالبوا بخروج المرأة للعمل في جميع الميادين

---

(١) - الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل ، تعريب شفيق أسعد فريد ، ص ١٠٢ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ، العودة إلى المنابع ، أنور الجندي ،ص ١٩٦.

(٢) - العودة إلى المنابع ص ١٩٥-١٩٨.

(٣) - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٢٢٠ ، المرأة المسلمة في وجه التحديات ص ١٦.

ومساواتها بالرجل في ذلك،حيث تقول «د. نوال السعداوى»[١] :" إن اختيار المرأة للبيت، وعدم دخولها سوق العمل هو بطالة أشد خطراً على شخصية المرأة؛لأنها طواعية أو اختيارية ،وقد لا يفرض عليهن في بعض الأحيان – تعني القعود في البيت – إلا رواسب القهر النفسي الداخلي "[٢].

وقد بين الجندي بطلان هذه الدعوى فقال : " لا يقر الإسلام عمل المرأة إلا في حدود ضيقة،هي الإعالة لنفسها أو لأهلها،ويشترط أنواعاً معينة من العمل وهو موضع مختلف تماماً عن ظاهرة تشغيل النساء القائمة حالياً وأن يكون ذلك في وظائف معاونة الزوج في نشاطه الزراعي أو الاشتغال بالتجارة،أو ممارسة الحرف الحقيقية التي تصلح للدار،وتعليم الأطفال ، وتعليم البنات وخدمة النساء في شئونهن الخاصة،ولا يفرض الإسلام التكليف الشاق لكسب المعاش على المرأة ذلك أن الإسلام يقدر مدى احتمال المرأة لأنواع من الأعمال اليسيرة لا الأعمال الشاقة التي لا تتفق مع طبيعة أجهزتها الحيوية[٣].

ويقول الجندي:"وفي المجال الأوسع وهو مجال عمل المرأة،تواجه المرأة عشرات التحديات والأزمات والمشاكل. فقد عرضها إلى أن تفسد بيتها وتفسد دينها وتفسد أسلوب تعاملها مع الرجل وعرضها لمخاطر كثيرة ، ولو أن المرأة لم تأخذ بتلك المسلمات الكاذبة التي ظلت محاولات النسائيين دعاة تحرير المرأة يثار سنوات وسنوات حتى صدقها الكثيرون ثم كشفت التجربة عن الارتطام بالحقائق فما يزال عمل المرأة في حقيقته على حساب الأسرة والطفولة والبيت،ذلك أن هذا الوقت التي تقضيه المرأة في المكتب أو المصنع أو المتجر لا يحقق من الأثر ... ما يفقده البيت والأسرة والطفل فضلاً عن أن ما تحصل عليه من دخل مادي لا ينفق في خدمة الأسرة،بل في سبيل تغطية مطالب يتعلق بالملبس والمواصلات ، ولا يوازي في مجموعة تلك الخسارة التي يفقدها الأبناء في حضانة المرضعات والحاضنات فتفقد أهم ما تعطى الأم ولا يعطى غيرها بديلاً منه العاطفة ولبن الأم والوجدان "[٤].

---

[١] - نوال السعدواي ، دكتورة وكاتبة مصرية ، ولدت في بلدة كفر طحلة سنة ١٩٣٠م ، ومن جامعة القاهرة نالت بكالوريوس في الطب ، وسافرت إلى أمريكا حيث نالت الماجستير من جامعة كالومبيا بنيويورك ،ودرّست في جامعة عين شمس . وهي كاتبة إباحية تعرض الإسلام صراحة ، وتنادي بمناقضته جهرة ، وتسعى لفرض النموذج الغربي والإباحي في المجتمع والمرأة خاصة . من كتبها : الأنثى هي الأصل ، معركة جديدة في قضية المرأة . (انظر : موسوعة أعلام العرب ١/ ٥٣٧، الانحراف العقدي في أدب الحداثة ١/ ٢٦٢)

[٢] - العقبات أمام المرأة العربية والتنمية . د. نوال السعداوى ١/ ١٤٠ ، من بحوث المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية .

[٣] - انظر : مقدمات العلوم والمناهج ٢٣١/٦.

[٤] - المرجع السابق ٦/ ٢١٧.

ويقول الجندي :" والواقع أن هذه النظرة كاذبة وباطلة حين ننظر إليها من واقع الإحصائيات والأحداث والأوضاع التي نراها ... فضلاً عن أن هذه الأمور لا يمكن أن تقاس بالمقاييس المادية وإنما تقاس بالتقسيم الطبيعي للمسئولية الاجتماعية والدور الذي أعده الله تبارك وتعالى للمرأة "[1].

٣- القوامة :

يصور أعداء الدين القوامة في الشريعة الإسلامية على أنها تسلط الرجل على المرأة ، وأنها تتعارض مع مبدأ حرية المرأة ومساواتها بالرجل،وأن هذا المبدأ لم يعد مقبولاً في زمان استعادت المرأة مكانتها الاجتماعية ، وأنها تفوقت على الرجل في بعض المجالات فلم يعد للرجل حق في فرض الوصاية على المرأة[2] .حيث تقول أمينة السعيد:"القوامة لا مبرر لها، لأنها مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي،في مجال الثقافة والمال،وما دامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة"[3].

وقد رد الجندي على هذه الشبهة المثارة من دعاة التغريب قائلاً:"القوامة أساس مكين في الأسرة إذ لابد لكل تجمع من إشراف ورئاسة ومسئولية ودرجة القوامة التي أعطاها الإسلام للرجل هي ركن أساسي في البناء يقتضيها نظام الجماعة بل إن الأبوة لها مكانتها الأصلية . مكانة الربان في السفينة وعنه تصدر التوجيهات ويلتزم بها الجميع بما في ذلك الأم ، وقد عرفت المجتمعات الغربية ذلك التمزق الخطير حين دخلت الأم ميدان العمل وأخذت توجه الأسرة فأصبح في الأسرة رأيين ووجهتين مما أحدث آثاراً بعيدة المدى في نفسيات الأبناء والبنات حيث أخذت تذهب توجيهات الأب في ناحية وتوجيهات الأم في ناحية أخرى بينما يقرر الإسلام وحدة الجهة الأساسية التي لها حق القوامة على المرأة والأبناء جميعاً وهي الأب الذي يستمد مسئوليته وتوجيهاته من مفاهيم الإسلام لا من أهوائه الخاصة بقصد المحافظة على الأسرة الإسلامية وقيامها في دائرة أحكام الإسلام وقوانينه والحيلولة دون انحرافها عن الطريق المستقيم أو سقوطها في مجال الانحلال والتقليد"[4].

يقول الجندي:"ونحن نؤمن بأن القوامة أساس العلاقة بين الرجل والمرأة،وأنه لا يتغير و لا يزول مهما كانت المرأة من الغنى أو الرزق أو القدوة أو الثقافة،وأن عوامل الاختلاف بين

[1] - الصحافة والأقلام المسمومة ص ٤٦

[2] - انظر : حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية ، د. نوال العيد ، ص ٩١٦ بتصرف ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ

[3] - الصحافة والأقلام المسمومة ص ٤٨.

[4] - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٢٢٨.

واقع المرأة من الغنى أو الرزق،لا يغير منه شيئا فهو بمثابة الميزان الدقيق والمفتاح الصحيح لهذه العلاقة ولهذه الرابطة. والمرأة المسلمة مهما كانت غنية ومثقفة فإنها دائماً تضع مالها وثقافتها بين يدي زوجها ، وتقف منه موقف التسليم "[١]

٤- تحديد النسل :

من أكبر التحديات التي تواجهها المرأة المسلمة تحديد النسل وهي دعوة غربية صرفة "تهدف إلى إضعاف الوجود الإسلامي وتحطم النمو البشري الإسلامي الذي يتعاظم اليوم ، حرصاً على موقفهم وسيطرتهم على مواد البشرية في نفس الوقت الذي يتضاعف فيه هجرة اليهود وغيرهم بينما توجه سهام تلك الدعوة إلى المسلمين وحدهم"[٢].

ويقول: " وهكذا نجد الخلفية الواضحة لموقف الغرب إزاء التفوق البشري في عالم الإسلام، وتجنيده اتباع المحافل الماسونية وأندية الروتاري و الليونز للكتابة عن الانفجار السكاني والأخطار المتوهمة للكوارث التي ستصيب البلاد من زيادة السكان. وهذه الحشود من العلماء الذين تجمعهم مؤتمرات الوالدية في تحديد النسل ومؤتمر الغذاء العالمي وقد أكدت عشرات المصادر والدراسات أن الخوف من نمو السكان في البلاد النامية والمتخلفة ، هو الذي يقلق سادة الغرب فإن هؤلاء سيصبحون قوة عددية متزايدة على غير هوى المتصدرين للنفوذ الاقتصادي العالمي"[٣].

وقد نّبه الجندي على معارضة الإسلام لهذه المؤامرة فقال : " قول علماء الإسلام: أنه لا يجوز للإنسان أن ينظم تخطيطاً جماعياً على الشكل الذي تدعو إليه هذه المنظمات، لأن ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة الإسلامية التي جعلت من غايات الأسرة "تكثير النسل" وقد قال ﷺ: "تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"[٤].

---

[١] - الصحافة والأقلام المسمومة ص ٤٨

[٢] - المرجع السابق ص ٢٢٩.

[٣] - مؤامرة تحديد النسل وأسطورة الانفجار السكاني ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة (د.ت) ص ٩

[٤] - الحديث بهذا اللفظ ضعيف انظر: ضعيف الجامع للألباني رقم ٢٤٨٤، ولكن أخرج أبو داود من حديث معقل بن يسار قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال ، وإنها لا تلد؛ أفأ تزوجها قال لا. ثم أتاه الثانية ؟ فنهاه. ثم أتاه الثالثة فقال تزوجوا الودود الولود؛ فإني مكاثر بكم الأمم" كتاب النكاح ، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء رقم ٢٠٥٠،ص ٣١٢، والنسائي ، كتاب النكاح ،باب كراهية تزويج العقيم ،رقم ٣٢٢٧،ص ٤٩٩، وابن حبان في صحيحه ،كتاب النكاح ،باب ذكر الزجر عن تزويج الرجل من النساء من لا تلد رقم ٤٠٥٦، ٩/ ٦٣٦، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم ١٧٨٩ ،٦/ ٢٩١،وفي إرواء الغليل برقم ١٧٨٤ ٦/ ١٩٥، ومشكاة المصابيح رقم ٣٠٩١، ٢/٢٠٠ ، وآداب الزفاف رقم ٦١، ص ١٣٢ .

وقد نص«الإمام الشاطبي»[1] في الموافقات على أن مما أجمعت عليه الملل والنحل وجوب حفظ المال والنفس والعرض والنسل فمحاولة المساس بواحدة من هذه الأربعة بغير حق مناف للشرائع كلها ولا يقع إلا من الظالمين الذي قال الله تعالى فيهم :﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٠٥] ،وقد التبس على بعض المتملقين ما قاله بعض الفقهاء في مسألة إباحة العزل، مع أن قضية العزل هي قضية التخطيط العائلي ؛لأنها مسألة تتعلق بحالات فردية اختيارية، لا تتدخل فيها الدولة ولا تنظمها ولا تدعو إليها وتجعلها جزءاً من برنامجها يقول العلامة« علال الفاسي»[2] : إما إدعاء أن التنقيص من عدد السكان ضروري لتنفيذ التخطيطات الاقتصادية وتحقيق النمو فهو خطأ من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الاجتماعية، لأن المواليد لا يولدون بأفواههم فقط بل يولدون بعقولهم وسواعدهم، فهم مادة وعامل قوي في النمو الاقتصادي وتقوية الإنتاج، وليسوا مجرد طفيليين في المجتمع وإنما عجز التدبير من الحاكمين وسوء توزيع الثروة على المواطنين ، والتخلي عن الأقاليم الوطنية للمستعمرين هو الذي يدفع إلى هذا التفكير الكسول، الذي يرضى بهذه التدابير غير الإنسانية ، ولا يعلم أن مقتضيات التطور الحديث يقضي بتحمل الدولة لتكاليف العائلة"[3].

٥- تعدد الزوجات :

من القضايا المثارة من قبل أعداء الدين إباحة الإسلام لتعدد الزوجات ، وادعاؤه م أن في إباحة التعدد ظلماً للمرأة وهضماً لحقوقها ، وإهداراً لكرامتها ووسيلة لتسلط الرجل عليها من أجل إشباع شهواته ، حيث يقول قاسم أمين :" لا أرى تعدد الزوجات إلا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية ، وهو علامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس وشره في طلب اللذائذ"[4] .

وقد بين الجندي بُعد هذا الشبهة عن الصحة وبيَّن تهافتها، بقوله :" أما تعدد الزوجات فقد شرعه الله تبارك تعالى لمصلحة راجحة فقد تكون هي مصلحة الزوجة نفسها أو مصلحة

---

(1) - هو : إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة.كان من أئمة المالكية توفي سنة ٧٩٠هـ .من كتبه :الموافقات في أصول الفقه،الاعتصام .(انظر: الأعلام ٧/١).

(2) - علال بن عبدالواحد بن عبدالسلام بن علال الفاسي ، من كبار الخطباء والعلماء في المغرب ، ولد بفاس سنة ١٣٢٦هـ وتوفي سنة ١٣٩٤هـ . من كتبه : دفاع عن الشريعة ، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها . (الأعلام ٢٤٦/٤).

(3) - مؤامرة تحديد النسل ص ١٠.

(4) - تحرير المرأة ، قاسم أمين ، ص ٩٢.

الزوج أو مصلحة الأبناء أو مصلحة الأمة ، والواقع أن تعدد الزوجات تشريع طوارئ[1] فإن هذا التعدد ليس بواجب ولا مندوب ولكنه مباح مشروط بالعدل بين الزوجات وعدم الخوف من الحيف فإن خاف ألا يعدل منع التعدد .ولقد عجز إلغاء التعدد بالقانون وفشل ووجد التعدد الخفي ذلك؛ لأنه كان محاولة ضد طبيعة الإنسان وطبيعة العلاقات الزوجية والإسلام لم يدع إلى التعدد وإنما نظمه على أنه رهن بالحياة الاجتماعية وظروف البيئ ة فقد كان التعدد لأكثر من عشر نسوه فحده إلى أربع ، وكان التعدد نزوة و لا حقوق للمرأة أو الأولاد فيه فرفعه إلى المستوى اللائق بالإنسان وأوجب على طرفيه عدة التزامات ومن الطبيعي أن يلجأ المجتمع إلى التعدد لأسباب منها ما يكون إلى الزوجة كعجز أو نشوز أو استعلاء ، و منها ما يكون سببه حفظ التوازن والعدل الاجتماعي للزيادة المطردة في عدد النساء"[2].

المطلب الثالث :وسائل دعاة التغريب في إفساد المرأة المسلمة:

أ- اللباس والزينة .

لقد اخترع دعاة تغريب المرأة جملة من الوسائل في سبيل إفسادها وإضلالها وكان من أشد الوسائل أثراً وإخلالاً بالقيم والأخلاق اللباس والزينة و إحداث ما يسمى بالموضة لذلك " كان التخطيط الصليبي الصهيوني للمرأة المسلمة أن تسير في ذات الخط الذي دفعت إليه المرأة الأوربية من قبل ، ضماناً لإفساد المجتمع الإسلامي كله، حين لا تكون هناك أم مسلمة، تلقن أبناءها مبادئ الدين والأخلاق وهم في مرحلة الطفولة ، وبذلت الصليبية الصهيونية كل ما في وسعها، واستخدمت كل وسائلها لجعل عودة المرأة المسلمة إلى الإسلام، وإلى الحجاب الإسلامي، مستحيلة بعد أن تعرت بجسدها كله أو معظمه، وبعد أن أصبح العري أصلاً من أصول المجتمع «المتمدن!» وعلامة على الرقى والتحضر والتطور والانطلاق"[3].

لم يكتف اليهود ببث تلك النظريات المفسدة للقيم والأخلاق ودفع المرأة للخروج من بيتها وجعلها سلعة رخيصة يتلهون بها، بل أنهم أخذوا في إغراءها ودفعها إلى متابعة الزينة

---

[1] - الواقع أن التعدد ليس تشريعاً طوارئ ، بل هو أمر مندوب إليه فقد بين ابن قدامه رحمه الله في معرض حديثة عن النكاح أن الإسلام يحث على تعدد الزوجات ، وأن التعدد ليس مجرد إباحة ولكنه مندوب إليه فقال : " ولأن النبي - ﷺ- تزوج وبالغ في العدد ، وفعل ذلك أصحابه ، ولا يشتغل النبي - ﷺ- وأصحابه إلا بالأفضل)) (المغنى ،لابن قدامة ٩/ ٣٤٣)

[2] - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٢٢٩-٢٣٠.

[3] - واقعنا المعاصر ، محمد قطب ،ص ٤٤٥

والموضات فتجد " أن اغلب معامل العطور والمساحيق والأقمشة إنما يملكها اليهود في الغرب . هؤلاء الذين يسعون إلى السيطرة على العالم،ويحكمونه بعد أن يدمروا أخلاقنا،وأسلوبهم في السيطرة ذو شقين:أولهما:الاستيلاء على المال في كل بلد ينـــزلونه .الثاني:هدم الأخلاق والقيم والمثل والمعتقدات.ولقد أشار «هنري فورد» في كتابه اليهودي العالمي بأن اليهود من اجل تحقيق غايتهم ، قد سيطروا على ثلاثة أشياء البنوك للرباء والسينما لتقديم مفاهيمهم المسمومة ، ومعامل الملابس والمساحيق والعطور،وسواها من مستلزمات (المودة)،فكلما غيروا الألفاظ زادوا النساء شراً وإنفاقاً،وتسربت الأموال إلى جيوب اليهود وهم يحققون أيضاً قتل الأخلاق،ويشيعون التفسخ وينشرون الشهوات،وإنما الملابس القصيرة ابتكار يهودي فقد رفعوا أزياء النساء فوق الركبة ليزول الحياء وتنتشر الرذيلة ويشيع الاختلاط غير البريء بين الشبان والشابات ، وتضيع طهارة الفتاة وتتهدم الأسرة وتنتشر الأمراض الجنسية ، ويبلى الأطفال وينشأ جيل ضائع موبوء مريض ، والمرأة المسلمة تسعى إلى حتفها وحتف أمتها دون أن تدري ، وقبل أن تفيق من أحلامها وأهوائها"[1].

وقد حذر الجندي المرأة المسلمة من هذه الوسيلة الخطيرة وبين الأثر الذي تحدثه عليها فقال : "لم تجد الدعوات الهدامة التي عملت على إخراج المرأة من مهمتها و رسالتها ميداناً أكثر أهمية وتأثيراً من ميدان اللباس والزينة فعارضت برسائلها وأدواتها ومؤسساتها الخطيرة أسلوب ستر العورة والثياب الواسعة والغطاء فدعت إلى العرى والكشف وإبراز المفاتن معارضة في ذلك الغاية الحقيقية وهي الحماية والكرامة ، ولقد حملت دعوى العرى فلسفة خبيثة تبرر بها هدفها وتستهدف التحلل الكامل من ضوابط المجتمعات وترمى إلى تقليد المرأة لملابس الرجل فتلبس مثل لبسه وتتساوى في تقليده وتسريحه شعرة فتقص شعرها إلى درجة أدنى منه ، وتلبس القصير وتكشف عن فخذيها وتعرى أجزاء من جسمها .لقد دعا الإسلام إلى حسن اللباس والتجمل على أساس أن اللباس مهمة أساسية هي ستر العورة وحسن لقاء الناس ، وحض على الثوب الأبيض والثوب الواسع مع الاحتفاظ بالفصل بين أزياء الرجال وأزياء النساء كراهية أن يختلط الجنسان أو يتشبه الرجال بالنساء ودعا إلى الطهارة والتواضع فلا يجر المسلم ثوبه خيلاء ، ولا يرخى شعره ولا يمشى مشية التبختر وأن لا تتشبه المرأة بالرجل في لباسها ومشيتها ... لا بد من توجيه مستنير إزاء هذا الإعصار المدمر من إغراءات المودات والأزياء وتسريحات الشعر وأصناف العطور المستعارة والرموش والأظافر

(1) - حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ص ٢٢-٢٣، معلمة الإسلام ٤/ ٢٦٢-٢٦٣

الصناعية ، ولنعلم أن لكل دين خلقاً ، وأن خلق الإسلام الحياء وأننا يجب أن نقف وقفة أمام الأغنية والكلمة الجارحة والمسميات الكاذبة المطروحة في المسرحيات والأفلام ، ونعلم أن هذا من الدعائم الأساسية لحماية الأسرة والجماعة كلياً ، وقد أصبح التبرج أمراً هيناً في نظر الناس وهو جد عظيم في مقاييس الدين وحدود الله وضوابط المجتمع .إن أجزاءاً من الجسم حرم الله كشفها ليحفظ الشخصية ويرفع الخلق وقد نطق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسديد من الأحكام في سبيل منع تفشى الأزياء المترفة الباذخة بين ظهراني أتباعه"[1].

ويقول الجندي :" لا ريب أن هذا الانحراف الذي أصاب المجتمع الإسلامي في مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر في إضعاف الأسرة ، وإصابتها بالوهن ؛ لأنه زلزل كثيراً من الضوابط التي تحمى وجودها وكيانها ولا ريب أن وراء مؤامرة الأزياء والزينة قوى كبرى تعمل على السيطرة الاقتصادية وهدم المجتمعات ، وتقليد الفنانات ، هذه القوى التي تملك بيوت الأزياء ويخترع كل يوم زياً جديداً تلبسه أجمل الفاتنات ، من شأن هذه المؤامرة أن تفسد حياة الأسرة وتزلزل ميزانية البيت وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد ، وآية الخطر في هذا أن الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى وأن عملية الكشف والعرى قد حلت بديلاً من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات السفور وعبادة الجمال والأجساد "[2]

ب- الصحافة :

ارتبطت الصحافة بالنصارى فانتشارها في العالم الإسلامي كان على أيديهم وبالتالي استطاعت أن تؤدي دوراً خطيراً في حياة المسلمين المعاصرة ، وقد بدأت تدريجياً في تغريب الأمة وفقدها هويتها حتى استطاعت أن تكون الصحافة من أعظم الوسائل التي استخدمها أعداء الأمة في تغريب المرأة المسلمة وخير وصف لها ما قاله «محمد التابعي» — الذي كانوا يعدونه أستاذ جيل الصحافيين الذين خرجتهم مجلة روز يوسف — عن واقع الصحافة فقال ما نصه : " هذه الصحيفة صنيعة أمريكا ، وهذه الصحيفة مأجورة للإنجليز ، وهذه المجلة تصدر بأموال شيوعية ، وهذا الصحفي يتلقى أوامره ومرتبه الشهري من موسكو أو وارسوا أو براج .وهكذا أصبحنا جميعاً نحن الصحفيين بين فاسدين ومفسدين ، ومنافقين وخونة ، مأجورين للكتلة الغربية أو الكتلة الشرقية ، وأصبح الشعب في حيرة من لسانه المسموم :

---

[1] - مقدمات العلوم والمناهج ٦/ ٢٣٦-٢٣٧.

[2] - المرجع السابق٦/ ٢٣٨.

الصحف التي أيدت الطغيان ، ودافعت عن الفساد ، الصحفيون الذين مرغوا جباههم تحت أقدام الطغيان ، بعد أن أسفر الطغيان "[1].

وقد لخص الجندي عمل الصحافة التغريبية في إفساد المرأة المسلمة في ميادين مختلفة منها:

١- في مجال الدعوة إلى حريتها الزائفة والتهليل والتصفيق لكل امرأة وليت عملاً من الأعمال : منادية في البورصة ، سائقة تاكسى ، كناسة في شوارع روسيا.. إلخ .

٢- إشاعة جو من التبرج الصارخ والخروج عن الفطرة بالدعوة إلى موضات الملابس المتعددة ، حيث تدفع بيوت الأزياء كل يوم صنفاً جديداً أكثر تبرجاً وإبرازاً لمحاسن المرأة وأكثر إغراء للرجال ، وقد وقف وراء بيوت الأزياء ووسائل الزينة والإغراء والدعاية يهود وسماسرة للجنس .

٣- أنها تعمل لتحقيق هدف خطير ألا و هو : دمج الرجولة في الأنوثة وتحويل الأنوثة إلى رجولة والعكس ، وإلباس الرجل ثياب المرأة ، والمرأة ثياب الرجل ،وذلك معارضة لحكمة الإسلام في حتمية الفصل الدقيق والعميق بين الرجل والمرأة .

٤- أنها تدعو إلى إغراء المرأة باتخاذ حبوب منع الحمل ، تحمل في طياتها خطراً شديداً ، فإن انتشارها بلا رقابة من شأنه أن يؤدي إلى إشاعة الفاحشة ، وترويج للحرام، وهدم الأسر .

٥- أن الصحافة تستهدف من وراء نشر عشرات الحوادث والقصص على طريقة الإغراء بها ، وما تنقله عن المجتمعات الغربية إنما تستهدف أن تبدو العلاقة غير الشرعية في نظر الفتيات سهلة يسيرة ، بل ومقبولة ، ويحاول بعض كتاب القصة عن طريق الصحافة الإيحاء بأن الشرف والفضيلة والعرض كلها مسائل تافهة لا يتمسك بها إلا السذج والبسطاء .
ويحاول كتاب القصة تعميم هذه الظاهرة التي لا توجد لا في أعداد قليلة جداً على المجتمع كله بإيحاء أن المجتمع كله لا يرى أهمية للشرف أو البكارة، ولا ريب أن ذلك من أسوأ ما حملته الصحافة الاجتماعية العربية ، وإنه معارض تمام المعارضة لهدف حماية المرأة وحماية الأسرة من الفساد واختلاط الأنساب وفساد الفطرة .

٦- أنها تأخذ الأحداث ذريعة لنشر الرذيلة ، و تهوينها لدى القارئ ، وتوحي من وراء التعدد والموالاة والتكرار أن الظاهرة عامة ، وأنها طبيعية ،و أنها لا تؤثر على المجتمع . وهي لا تقدم مطلقاً مع الحدث الوجهة الصحيحة أو مصدر الخطر أو الدعوة إلى الإصلاح فذلك

[1] - الصحافة والأقلام المسمومة ص ٦٨-٦٩

أمر تتجاهله تماماً ولا ترى أنه من مهمتها أو وظيفتها ، ولا ريب أن عرض مثل هذه الأحداث والجرائم أسبوعاً بعد أسبوع ويوماً بعد يوم وتخصيص صفحات دائمة وأبواب ثابتة لها هو من أخطر ما تقوم به الصحافة في سبيل توهين روابط المجتمع .

٧- إن أخطر محاولات الصحافة بالنسبة لتغيير العرف الإسلامي للمرأة هي رفع قدر الممثلات والراقصات والمغنيات وجعلهن مثلاً عالياً للفتاة في أمور الملبس والمأكل والعادات والتقاليد .

٨- فساد توجيه الصحافة لطالبات الإجابة عن المشاكل والقضايا ، وما يتخلل الردود من سخرية واضحة بالدين ، واستهانة بالخلق ، ودعوة إلى التخفيف من العقوبات الشرعية ،واللامبالاة الاجتماعية بالآثام ، والميل إلى اعتبار الآثام الخلفية داخلة في إطار الحرية الشخصية .

٩- أنها تقوم بحملة شعواء على العلماء الذين قدموا حكم الإسلام في المرأة ، في مواجهة سمومهم وضلالاتهم .

١٠- حاولت الصحافة تصوير الدعاة إلى تحرير المرأة بأنهم أنصارها الذين يدفعونها إلى الحرية والعمل ، وأنهم هم المخلصون لها ، و أنهم يختلفون عن الذين يريدونها متاعاً فقط . والواقع غير ذلك فإن أنصار المرأة هؤلاء الذين يكتبون عنها في الصحف ويردون على أسئلتهم بالغش والغلط هم أعداؤها الحقيقيون الذين يريدون أن يخرجوها من طبيعتها ورسالتها وجوهر مسئوليتها وعن بيتها وعن تربية الأجيال الجديدة إلى أن تكون متعة خالصة في المرقص والعمل والشارع .

١١- أنها تقود مؤامرة خطيرة ترمى إلى إخراج المرأة المسلمة من قيمها وأعرافها والحدود والضوابط التي رسمتها لها شريعة الإسلام والأوضاع الأخلاقية الكريمة ، وإحلال أعراف جديدة من شأنها أن تدفع المرأة إلى كراهية الأسرة وانتظار الحمل والولادة ، والهروب من مسئولية تربية الأطفال للبحث عن الأهواء والملذات والسهرات والتخفف من عملية البيت نهائياً . وأن الهدف من وراء ذلك هو إسقاط الأسرة ، وذلك هدف كشفت عنه مخططات بروتوكولات صهيون وأسس الفكر الماركسي والمادي ، فالصحافة تعمل بكل ما وسعها على تدمير كيان المرأة لإخراجها ودفعها إلى مجالات العمل التي لا تصلح له ، وللخروج من فطرتها وبيتها وذلك بالسخرية من رسالتها وعملها الأصيل والتركيز دائماً على نلك الصور الكاذبة التي يصورونها على أنها انتصارات للمرأة.

١٢- أنها تحمل لواء المعارضة والهجوم على المصلحين الذين دعوا المرأة إلى العودة إلى المنـــزل وقد استجابت المرأة لهذا النداء فقامت الصحافة تهاجم الدعوة وتتنكر لها وتصف الداعي بأنه عدو المرأة وقالوا عن هذه العودة رجوع إلى عهد الحريم ، وكيف تضعون الأسوار على المرأة بعد أن حطمتها[1].

[1] - الصحافة والأقلام المسمومة ص ٣٧-٦٠ بتصرف .

الفصل الخامس : موقف أَنور الجندي من تغريب الشباب وفيه مطلبان :

المطلب الأول :أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الشباب المسلم .

المطلب الثاني : سبل تلافي هذه المخاطر.

الفصل الخامس

تغريب الشباب

إن العالم الإسلامي يزخر بثروة غالية ونفيسة وهم شباها فنسبتهم هي الأكبر بالنسبة لبقية السكان إذ تصل إلى ٦٠ % ، فهم أكثر شرائح المجتمع ، ولذلك هم المستهدفون الحقيقيون بكل تلك الأخطار التي توجه إلى العالم الإسلامي من غزو فكري وتغريب ؛ لأن مرحلة الشباب هي مرحلة البناء الفكري والنمو العقلي – مرحلة التأثُّر والتأثير– فتحصل له تقلبات سريعة ويرد على قلبه من المشاكل الفكرية و النفسية ،ما يجعله يعيش في قلق من الحياة بل قد يصل إلى مرحلة يقبل فيها كل ما يُلقى عليه من أفكار تغريبية تخريبية ، فأصبح الشاب بالتالي هو المستهدف الحقيقي لكل غازٍ، ومطمع كل دعوة فاسدة ، وضحية لكل انفتاح مغرض[١]، ولذلك يقول أنور الجندي : " إن الشباب هو الطور الحاسم في حياة الإنسان ، وهو الدور الذي تبنى فيه كل العقائد والمُثل ، وتتشكَّل فيه النفس الإنسانية والعقل البشريّ ، بحيث تكون متأهبِّةً لأداء دورها في حمل أمانة الحياة ومسؤولية المجتمع "[٢].

وهؤلاء التغريبيون يستهدفون الشباب في أغلى ما يملك من ثوابت وقيم ومفاهيم . يقول الجندي :"يستهدفون – دعاة الغزو الفكري والتغريب – إلقاء بذور الشك والشبهات حول حقائق الإسلام ، وحول مكانة القرآن ، وشخصية الرسول صلى الله علية وسلم ، واللغة العربية "[٣]

يقول الجندي :"ليعرف شبابنا أن هناك قوى غاصبة من وراء نقل القضايا من بيئة إلى أخرى ، من وراء ذلك قوى تريد تدمير الأمم وتحول دون نهضة هذه الأمة المسلمة بالذات وإني لأرجو من شبابنا أن يقرأ بروتوكولات حكماء صهيون وغيرها من كتابات كشفت عن هذا المخطط ، وفضحت هذه المحاولة الخطيرة التي ترمي إلى تدمير الشباب؛ لأنه هو صاحب السيطرة على أمته ومجتمعه في الجيل القادم ، وإذا دمر هذا الشباب استسلمت هذه الأمة للنفوذ الأجنبي الذي يحاول أن يلتهمها "[٤] .

---

[١] - الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها ، د. عبدالقادر صوفي ، ص ١٨ بتصرف ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .

[٢] - معلمة الإسلام ١/ ٤١٩ ، دراسات إسلامية معاصرة ، أنور الجندي ، ص ١٣٣، نشر وتوزيع المكتبة العصرية ،صيدا ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٠١هـ .

[٣] - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ص ٢٨.

[٤] - مقدمات العلوم والمناهج٦/ ٢٤٣.

من خلال ما تقدم من نصوص نجد أنها تعطى دلالة واضحة على اهتمام الجندي بهذه الفئة وقد وجه بعض جهوده للشباب وطرح بعض الأخطار والمشاكل والقضايا التي تواجه الشاب المسلم ولكي نبين تلك المخاطر التي وضعها دعاة التغريب وبيان أنور الجندي لها و التحذير منها نسوقها فيما يلي :

١- أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الشباب المسلم :

أ- المذاهب الفلسفية والدعوات والنظريات الهدامة :

يوضح الجندي ذلك بقوله :" إن من أخطر ما يقدم للشباب ، وما يحتاج إلى يقظة كبيرة في النظر إليه تلك المذاهب الفلسفية والدعوات والنظريات التي ليست من أصول فكرنا ، وليست من ثمرة بيئتنا ، والتي عجزت أن تقدم خيراً لأهلها وقومها ، هذه التي قامت في أمم لها نظرتها المادية في الحياة، واتجاهها الخاص إلى أمور الحياة والمجتمع والمرأة ، والتي تختلف اختلافاً واضحاً مع المزاج العربي الإسلامي ، وكلها دعوات لا تدعو إلى عزيمة ولا إرادة ، ولا إيجاب ولا بناء ، وإنما تدعو إلى أن تحل عرى الكيان البشري واحدة بعد أخرى ، بالدعوة إلى التحرر والانطلاق ،والاستهانة بالأخلاق ،و تجاوز الضوابط ،ومعارضة كل ما أعطاه الدين للإنسان ، من أجل حماية كيانه ،و حفظ وجوده ورضا ربه "[١].

ب- الجريمة والجنس :

يقول الجندي :" لا ريب أن من أخطر التحديات التي تواجه الشباب المسلم الجريمة والجنس فإنهما فرسا رهان الأفلام السينمائية والقصص والمسرحيات ،وهما عاملان خطران تستهدف القوى العالمية المسيطرة على وسائل الثقافة والتسلية والصحافة أن تتخذها وسيلة لدفع الأجيال الشابة عن الأصالة والقوة والإرادة المؤمنة وقد طرحت هذه السموم في أفق الإسلام عن طريق أدواتها وأجهزتها المبثوثة في كل مكان ... وقد كشف كثير من الباحثين الاجتماعيين عن مدى خطر أفلام العنف (الكاراتيه والوسترن) وأنها تدفع النشء الشباب إلى تقمص الروح الشريرة فيصبحوا مقلدين لذاك وتلك من الذين يشاهدونهم على الشاشة الفضية أو البلورية . ولا ريب أن أفلام الجنس و الإباحة والمخدرات والسرقات هي دعوة مباشرة وغير مباشرة للإباحة والفساد . والمعروف أن الهدف من وراء تلك الأفلام إفساد خلق الشباب وصرفه عن مساره الطبيعي بنشر الرذيلة والدعارة[٢] .

---

[١] - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ص ٥١، معلمة الإسلام ١/ ٤٢٤- ٤٢٥.

[٢] - مقدمات العلوم والمناهج ٦/٢٧٨

ج- المسرح :

يقول الجندي :" إن التغريب حين احتال إلى إدخال المسرحية إلى الأفق العربي الإسلامي وهي غريبة عنه غير معقولة لديه ،إنما كان يستهدف إدخال مفاهيم مسمومة تتعارض مع القيم الإسلامية الأصلية عن طريق الفن والقصة والمسرح ، نظراً للإقبال على هذا الفن والإعجاب به لغرابته ، ولما كانت المسرحية هي حوار معد أساساً لإدخال مفاهيم مسمومة تتعارض مع القيم الإسلامية الأصلية عن طريق الفن والقصة والمسرح ، نظراً للإقبال على هذا الفن والإعجاب به لغرابته ، ولما كانت المسرحية هي حوار معد أساساً لإدخال فكرة ما إلى النفس والعقل فإن هناك محاذير كثيرة تواجه الشباب المسلم الذي لم يتحصن تحصناً كافياً بالمفاهيم الإسلامية . ومن ذلك مسرحيات سارتر وبكيت ويونسكو التي تحاول أن تسخر من قيم الأخلاق والدين وتصف كل شيء بأنه غير مقدس وتثير الشبهات في كل أفق سليم ولا شك أن مسرحيات العبث واللامعقول والرفض المكتوبة والمشاهدة تقدم سموماً كثيرة للعقل الذي لم تحصنه معطيات إسلامية كثيرة في طور النشأة"[1] .

د- السينما :

تعتبر الصور المتحركة أو السينما واحدة من أدوات التسلية والترفية العصرية التي أصبح لها بعد المسرح مكاناً واسعاً في المجتمعات العالمية وقد استطاعت القوي المسيطرة أن توجهها توجيهاً خطيراً يستهدف بها دفع الشباب والفتيات إلى مفاهيم خطيرة في العلاقات الاجتماعية وخاصة في شئون الزواج والحب والتعامل. يتعارض تماماً مع كل القيم والمقررات والضوابط التي حملت لوائها الأديان وما يتصل بها من أخلاقيات وفضائل فكان لها أبعد الأثر في خلق طابع من الشرعية على الفساد والانحرافات وأساليب الاغتصاب وخاصة فيما يتصل بمجال الجريمة والجنس[2] .

وينبه الجندي على خطورة هذا الفن الرخيص في تدمير المجتمعات فيقول :" ولا ريب أن هذه الأفلام التي تخصص العالم الإسلامي والبلاد العربية تستهدف أمراً خطيراً هو إلهاء الشعوب عن حقيقة واقعها وظروفها والتحديات التي تواجهها . أما السينما المحلية فقد جرت هذا المجرى فأفسدت أذواق الجماهير بعرض أشياء لا هدف لها " الضحك للضحك " و لم يعد عالم السينما سوى مايوهات وصدور عارية ، وأن الجيل الجديد من الممثلين

---

(1) - المصدر السابق ٦/ ٢٧٩.

(2) - المصدر السابق ٦/ ٢٨٠.

والكتاب والمخرجين قد أجرم إجراماً شديداً فقد عمد إلى صهر الإنسان وراء الرمزيات والجرائم والإباحيات مما أفسد كثيراً من الأذواق ونقل إلى الواعية الخفية للشباب مفاهيم فاسدة مسمومة ستظل بعيدة التأثير في حياتهم كلها ... وهي في مجموعها تهدف إلى تدمير النفس العربية الإسلامية والعقل العربي الإسلامي ، وتصوره بصورة المغلوب على أمره خاصة عندما يرى أبطال وهميين غربيين يقهرون السود والشرقيين ،والمشاهد القاسية البعيدة عن اللطف والبشاشة واللياقة ،ولقد وصف كتاب الغرب السينما بأنها أفيون الإنسان المتمدن ، وأنه يذهب إليها هارباً من نفسه لينسى واقعه السيئ بأن يعيش في خيال كاذب مدمر وإذا عاد إلى حياته وجد أنه لم ينتقل خطوة واحدة ، وهذا ما يعترض عليه المفهوم الإسلامي الذي يدعو المسلم أن يواجه الحياة بطبيعتها ويعالج واقعها وأزماتها "[1]

٢- سبل تلافي هذه المخاطر:

لقد أحسن الجندي في بيان السبل التي يمكن من خلالها مواجهة هذه المخاطر وذكر منها:

١- تحذير الأجيال الشابة من خطر المؤامرة :

من الدين كشف الستر عن كل تلك المخاطر وهي من إبانة طريق المجرمين كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الأنعام : ٥٥] يقول الجندي :" هذه الأجيال يجب أن تعرف هذه التحديات الخطيرة التي تواجهها وتواجه أمتها ، وذلك المخاطر الماثل في المنطقة العربية الإسلامية من صهيونية واستعمارية وماركسية ، وما تحاول به كل القوى احتواء هذه الأمة بالسيطرة على شبابها وإخراجه من منطقة الإيمان ومن رحاب الدين ومن منهج الخلق ليكون عاجزاً بالتحلل والإباحية والفردية والأهواء عن مقاومة الخطورة التي تضمرها الصهيونية للمجتمعات البشرية والاستيلاء عليها ، وما نراه الآن لينذر بالخطر وليكشف بصورة واضحة ما أضمرته بروتوكولات صهيون التي ركزت على هدم شباب الأمم وتمزيق قلبه وتزييف عقله . واحتوائه والسيطرة عليه وصهره في بوتقة الأممية عن طريق حرية الجنس والجريمة وعن طريق لغة التمثيليات والحوار الهابط ، وعن طريق الأغنية المكشوفة والصورة العارية ، والقصة الإباحية وعن طريق تلك الهواجس وما يجرى من لعبة كرة القدم التي تسيطر على تلك الجماهير الكثيفة فتحرمها من أن تفهم رسالتها في بناء هذه

---

[1] - المصدر السابق ٦/ ٢٨٣.

الأمة وتفهم رسالتها البشرية في هذا الوجود ، وتعرف حق الله عليها والتزامها الأخلاقي ومسئوليتها التي يقوم عليها الحساب والجزاء الأخروي "[١]

٢- غرس الوعي الديني والثقافي :

يقول الجندي :" وليس من ريب في أن الدين وغرسه منذ الطفولة في النشء هو الدرع الأكبر ضد الانحراف وضد الفساد ، وهو الحائل الحقيقي دون وقوع الأبناء فريسة التطرف والفساد والانحراف ،و أن كل محاولة لحل مشاكل الشباب لا تعتمد بناء الأخلاق وروح الدين في نفس الشباب هي محاولة فاشلة لن تحقق شيئاً ولن تستطيع البحوث العلمية أو السيكلوجية تحقيق أي تقدم إيجابي في شأنها ولا ريب أن محاولة تعمية شباب الإسلام عن الطريق الصحيح وتزييف فكره ودفعه إلى طرق متشعبة مضطربة هي غاية من غايات المخططات التلمودية والشيوعية والغربية التي تحاول احتواء الشباب إيماناً بأنها بذلك تحطم مستقبل البلاد الإسلامية بإفساد الأجيال الحديثة ومن هنا تلك المحاولات التي ترمي إلى بث الشبهات التي تقول بأن جيل الشباب : جيل بلا قيم وبلا إيمان ، وأنه جيل يبحث عن نفسه في الجنس والرقص والمجون والمخدرات ، وأنه جيل بلا هوية "[٢].

٣- بناء نظام تربوي إسلامي جديد يختلف اختلافاً واسعاً وعميقاً عن النظام التعليمي الغربي الذي يطبق الآن ، يقوم على أساس الأخلاقية الإسلامية والمسئولية ، ويفرق في التعليم بين تعليم الرجال وتعليم النساء .

٤- إعداد المجتمع إعداداً تاماً لقيام المنهج الإسلامي في المعاملات التجارية والاجتماعية .

٥- بناء القوانين الجديدة على أساس الإسلام الذي تختلف منطلقاته عن منطلقات القوانين الغربية ، التي قامت في مجتمعات لها طوابع وثنية ومادية وإباحية ، تختلف عن مجتمع التوحيد الإسلامي ،ولذلك فإن إصلاح القوانين الحالية مع الإبقاء على منطلقاتها يجعلها قاصرة على تحقيق النهضة الإسلامية المرتجاة ، ويمكن للمفهوم الغربي من الاستمرار مرة أخرى[٣] .

---

[١] - المصدر السابق ٦/ ٢٨٩- ٢٩٠ .

[٢] – المصدر السابق ٦/ ٢٤٥-٢٤٦.

[٣] – المعاصرة في إطار الأصالة ، أنور الجندي ، ص ١٤١، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٠٧هـ ،

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد بن عبدالله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين وبعد ...

وبعد أن انتهيت و بحمد الله من خوض غمار هذا البحث الذي عشت معه سنوات أسجل هنا بعض النتائج والتوصيات :

أهم النتائج :

١- أن حياة أنور الجندي وما فيها من تضحيات واتصافه بجملة من الصفات والخصال تنم عن رجل كان همه العمل لهذا الدين،والبعد عن كل وسائل الشهرة والرفاهية .

٢- أن الجندي مر بعدة مراحل فكرية وصل من خلالها في آخر حياته إلى قمة النضج الفكري فاستطاع أن يساهم في البناء والتأصيل للأمة .

٣- أن قراءة كتب أنور الجندي تزيد الباحث إلماماً بواقع وتاريخ الأمة الإسلامية المعاصر، فهو يعد من المؤرخين القلائل الذين كتبوا عن واقع الحركات الإسلامية المعاصرة بكل جرأة وصراحة .

٤- أن الجندي جارٍ على عقيدة أهل السنة والجماعة في منهجه العقدي،وإن كان في بعض الأحيان ينقل نصوصاً قد تكون مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، دون أن يعلق عليها .

٥- كانت عناية الجندي فائقة بتتبع دعاة إحياء التراث المنحرف من المستشرقين ودعاة الفكر التغريبي والتحديثي .

٦- اهتم الجندي بتصحيح كثير من المصطلحات المعاصرة وسعى إلى تأصيل المفاهيم الإسلامية وتعميقها في المجتمع الإسلامي .

٧- جعل الجندي من نفسه محامياً عن الشريعة الإسلامية؛لذلك أهتم بقضية تحكيم الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين وإحلالها بدلاً عن القوانين الوضعية .

٨- سلامة مواجهة الجندي للأفكار التي تعرض لها ورفض مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد ونقده لكثير من التيارات الغربية الوافدة كالعلمانية والماركسية والحداثة .

٩- كان الجندي يهتم بذكر مواجهات العلماء السابقين في ردودهم ومناقشاتهم للأفكار المنحرفة.

١٠- سعى الجندي لبيان قصور الفكر الغربي الحديث، وعدم صلاحيته للتبني كفكر سليم ومنهج قويم لحياة إنسانية ناجحة ، وطرح البديل الإسلامي الصحيح للفكر الغربي الحديث

في قضايا هامة وحساسة وخطيرة على شبابنا وعقولنا ودنيانا وآخرتنا ، وإبرازه من حيث إنه تصور وبديل إسلامي أصلح للإنسانية وأجدر بالإتباع .

١١- حاز الجندي القدح المعلى في منازلة ومواجهة دعوات التغريب والغزو الفكري والتبعية الثقافية الأجنبية ،فهو لم يترك مجالاً ولا وسيلة من وسائل التغريب إلاّ وتحدث عنها وتناولها بالنقد والتمحيص،فكان رائداً في هذا المجال بين أبناء جيله لأكثر من نصف قرن.

التوصيات :

- أن تقوم مؤسسة علمية بجمع كتب أنور الجندي بحيث يتم عرضها على أهل الاختصاص لمراجعتها وتصحيحها، ومن ثم إعادة طباعتها ، خاصة الكتب التى تعالج قضايا ما زالت تعاني الأمة منها .
- الكتابة عن دور الجندي في نقده للمصطلحات المعاصرة .

وفي الختام أسال الله تعالى الإخلاص في القول والعمل وصلى الله على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفهارس

- فهرس المصادر
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

❖ الرسائل الجامعية :

١ - الإرساليات الأجنبية إلي بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر الهجري وحركة التصدي الإسلامي لها دراسة تحليلية تاريخية ،للطالبة / يسرى محمد عبدالهادي الحفني ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، غير منشورة.

٢ - أنور الجندي وجهودة في الدفاع عن الإسلام ضد الاستشراق والتبشير والتغريب ، للطالب: عمر أبو سلامة ، جامعة الأزهر ، غير منشورة .

٣ - التشريع الوضعي في ضوء العقيدة الإسلامية ، لمحمد حجر القرني ،رسالة ماجستير ،بجامعة أم القرى ،غير منشورة.

٤ - د. علي سامي النشار وموقفه من الفرق عرض ونقد ، للطالب : أبو زيد بن مكي، رسالة دكتوراه ، بجامعة أم القرى ، غير منشورة.

٥ - عقيدة الإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، للطالب: لطف الله خوجة ، رسالة دكتوراه ، بجامعة أم القرى ، غير منشورة .

٦ - الغنوصية الشرقية وخطرها على الإسلام وأثرها على الفرق الإسلامية ، للطالب : سعد خلف عبدالوهاب ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر - فرع أسيوط ، غير منشورة.

٧ - الغنوصية وموقف الإسلام منها، هدى المالكي ، رسالة ماجستير ، بجامعة أم القرى ، غير منشورة .

٨ - موقف الروحية الحديثة من قضايا الإيمان بالغيب ،للطالبة : فادية بنت مصطفى، رسالة ماجستير، بجامعة أم القرى ، غير منشورة.

٩ - النفس والروح عند الفلاسفة والمتكلمين عرض ونقد ، للطالبة: مريم الحربي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى غير منشورة .

❖ المصادر المطبوعة

١٠ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ،للإمام أبو عبدالله بن بطة العكبري،تحقيق رضا بن نعسان وآخرون ، دار الراية ، الرياض ، ط الثانية ، عام ١٤١٥ﻫ .

١١ - ابن تيمية وموقفه من الفكر الفلسفي،د. عبدالفتاح أحمد فؤاد ،دار الوفاء لدنيا الطباعة ، الاسكندرية ،ط الأولى ، عام ٢٠٠٢م .

١٢ - ابن سينا بين الدين والفلسفة ،د. حمود غرابة، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة ،ط الأولى ، عام ١٣٩٢هـ .

١٣ - الاتجاهات العقلانية الحديثة ، أ .د : ناصر بن عبدالكريم العقل ، دار الفضيلة ، ط الأولى ، ١٤٢٢هـ

١٤ - الاتجاهات الفكرية المعاصرة ، د. على جريشة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الرابعة ، عام ١٤٢٤ هـ .

١٥ - إثبات النبوة ، السجستاني ، تحقيق عارف تامر ، دار المشرق ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٨٢م

١٦ - أثر الوجودية على العلوم والفنون وموقف الإسلام منها، أ. د . أحمد السيد رمضان ، الدار الإسلامية للطباعة والنشر ، المنصورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢١ﻫ .

١٧ - أجنحة المكر الثلاثة ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط السادسة ، عام ١٤١٠ﻫ .

١٨ - أحاديث إلى الشباب المسلم ، أنور الجندي ،، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٤ﻫ .

١٩ - احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام ، د. سعد الدين السيد صالح ، ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، ط الأولى ، عام ١٤١٩ﻫ .

٢٠ - الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام ، للقرافي، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط عام ١٣٨٧هـ

٢١ - إحياء علوم الدين، للغزالي ، تحقيق سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، عام ١٤١٤ﻫ / ١٩٩٤م .

٢٢ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطي ، أعادت نشره ،دار المثنى ،بغداد .

٢٣ - أخرجوا من بلادنا ، أنور الجندي ، ، دار الطباعة ، القاهرة ، عام ١٩٤٦م

٢٤ - أخطاء الفلسفة المادية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٢٥ - أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٨٢م .

٢٦ - آراء المرجئة في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية ، د. عبدالله السند ، دار التوحيد ، الرياض، ط الأولى ، عام ١٤٢٨هـ .

٢٧ - أربع رسائل إسماعيلية - الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، الطيبي ، تحقيق عارف تامر، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٧٨م .

٢٨ - أرسطو المعلم الأول ، ماجد الفخري، الدار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٧٧م .

٢٩ - أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة ، د. سعيد توفيق ، دار مجد ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٨هـ ،

٣٠ - الاستشراق ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٣١ - الاستقامة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم .

٣٢ - الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني ،أنور الجندي، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، عام ١٩٦٤م .

٣٣ - الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط الأولى ، .

٣٤ - الإسلام في وجه التغريب ،أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٣٥ - الإسلام وأصول الحكم ، علي عبدالرازق ، ط دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٣٦ - الإسلام والتحليل النفسي عند فرويد ،أ.د أحمد السيد رمضان ،مكتبة الإيمان ،المنصورة،ط الأولى،عام ١٤٢٠هـ..

٣٧ - الإسلام والتيارات الوافدة ، أنور الجندي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٩٨٧م .

٣٨ - الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب، أنور الجندي

٣٩ - الإسلام والحضارة ، أنور الجندي - دار الاعتصام ، القاهرة.

٤٠ - الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط التاسعة ، عام ١٤١٣هـ

٤١ - الإسلام والدعوات الهدامة ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط الأولى ، عام

٤٢ - الإسلام والمصطلحات المعاصرة ، أنور الجندي ، دار الهداية ، القاهرة ، عام ١٩٩٧م

٤٣ - الإسلام ونظرية داروين ، محمد باشميل ، ط الثالثة ، عام ١٤٠٤هـ

٤٤ - الإسلامية نظام مجتمع ومنهج حياة ،أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٣٩٩هـ

٤٥ - أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، د. عمر الأشقر ،دار النفائس،عمان ،ط الثانية ،عام ١٤١٤هـ.

٤٦ - الإسماعيلية المعاصرة ، د. محمد الجوير ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤٢٧هـ.

٤٧ - أصالة الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب والعلمانية والتنوير الغربي، أنور الجندي ، دار الفضيلة ، القاهرة

٤٨ - أصالة الفكر العربي الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام ١٤١٣هـ .

٤٩ - أصول الاسماعلية دراسة تحليل نقد وتحليل،د.سليمان السلومي،دار الفضيلة،الرياض،ط الأولي،عام ١٤٢٢هـ.

٥٠ - أصول الدين عند الإمام الطبري ، طه رمضان ، دار الكيان ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .

٥١ - أصول العلاقات الدولية ،د عثمان جمعة ضميرية، دار المعالي ، عمان ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ .

٥٢ - الأصولية في مصر غياب الديمقراطية أم فشل التنمية ، د. هدى رزق ، ، دار الفرات للنشر ، بيروت ،ط الأولى ، عام ٢٠٠٣م .

٥٣ - إطار إسلامي للفكر المعاصر ، أنور الجندي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى عام ١٤٠٠ هـ .

٥٤ - إعادة النظر في قضايا الفلسفات المادية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٥٥ - إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٥٦ - الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط السادسة عشرة ، عام ٢٠٠٥م .

٥٧ - أعلام الإسماعيلية ، مصطفى غالب، دار اليقظة العربية ، بيروت ، عام ١٩٦٤م .
٥٨ - أعلام علم النفس ، نوربير سيلامي ، ترجمة د. رالف رزق الله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
٥٩ - الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ،« الرد على الدهريين » تحقيق محمد عمارة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٦٨م .
٦٠ - الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، جمع وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٧٨م .
٦١ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق : مجدي السيد ،دار الحديث ، القاهرة .
٦٢ - آفاق جديدة في الأدب ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٦٣ - آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب،أنور الجندي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط الثانية،عام ١٤٠٥هـ.
٦٤ - الأفلاطونية المحدثة والتوحيد الاسماعيلي ، محمد عبدالحميد الحمد، دار الحمد ،دمشق،ط الأولى،عام ٢٠٠٣م.
٦٥ - الاقتصاد في الاعتقاد ، للإمام الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط الأولى، عام ١٤٠٣هـ .
٦٦ - اقتضاء الصراط المستقيم،لابن تيمية ،تحقيق د. ناصر العقل،مكتبة الرشد،الرياض ،ط الأولى،عام ١٤١٧هـ.
٦٧ - الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين نشأته وتطوره ومذاهبه ومعاصرة، د.صابر طعيمة ، دار الجيل، القاهرة ،ط الأولى، عام ١٤٢٥هـ
٦٨ - الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي،تحقيق:هيثم خليفة،المكتبة العصرية ،صيدا ،عام١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.
٦٩ - الانتصار في الرد على ابن الراوندي الملحد ، لأبي الحسن الخياط ، تحقيق د. نيبرج، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط الثانية ،عام ١٤١٣/ ١٩٩٣م.
٧٠ - الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ،د.سعيد الغامدي،دار الأندلس الخضراء،جدة،ط الأولى،عام ١٤٢٤هـ.
٧١ - الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، علي بخيت الزهراني ، دار الرسالة ، مكة المكرمة .
٧٢ - الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر ،عبدالكريم بن إبراهيم الجيلي،مطبعة البابي الحلبي،القاهرة،ط الرابعة ، عام ١٤٠٢هـ .
٧٣ - أهداف التغريب في العالم الإسلامي، أنور الجندي ، طبع الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر .
٧٤ - أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية ، أ.د . علي العلياني، دار طيبة ، الرياض، ط الثانية ، عام ١٤١٦هـ.
٧٥ - أوربا في مواجهة الإسلام الوسائل والغايات ، د. عبدالعظيم المطعني ، دار وهبة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام
٧٦ - الأيدلوجيات والفلسفات المعاصرة في ضوء الإسلام أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٧٧ - أين الخطأ ، عبدالله العلايلي، دار الجديد ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٩٢م .
٧٨ - البابية لمحمد إبراهيم الحمد ، دار القاسم ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ .
٧٩ - البداية والنهاية، لابن كثير ، تحقيق د. عبدالله التركي، دار هجر للنشر والتوزيع ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ
٨٠ - بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة ،محمد الناصر،مكتبة السوادي،جدة،ط الأولى،عام ١٤١٦هـ .
٨١ - البرهان في معرفة عقائد الأديان ،لأبي الفضل السكسكي،تحقيق د.بسام عموش،مكتبة المنار،ط الأولى،عام ١٤٠٨هـ.
٨٢ - بروتوكولات حكماء صهيون ،ترجمة وتقديم د. احسان حقي ، دار النفائس ، عمان ، ط الثانية ، عام ١٤١٠هـ.
٨٣ - بعث التراث الزائف للجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٨٤ - البهائية ، محمد إبراهيم الحمد ، دار القاسم ، الرياض، ط الأولى ،عام ١٤١٧هـ
٨٥ - البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ، عبدالرحمن ا لوكيل ، مراجعة أحمد حمدي إمام ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤٠٦هـ .
٨٦ - البهائية من الدعوات الهدامة ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .

٨٧ - البهائية نقدٌ و تحليل، إحسان إلهي ظهير ، دار ابن حزم ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٩هـ .
٨٨ - البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها ،د.عبدالله نومسوك ،أضواء السلف،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٠هـ .
٨٩ - بيان مذهب الباطنية وبطلانه، للديلمي ، لاهور ، إدارة ترجمان السنة ، ١٤٠٢هـ.
٩٠ - البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط السابعة،عام ١٤١٨هـ .
٩١ - تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٩٢ - التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثامنة ، عام ١٤٢١هـ .
٩٣ - تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني ،د .عبدالرحمن بدوي،وكالة المطبوعات ، الكويت ، عام ١٩٩٣م .
٩٤ - تاريخ التصوف في سوريا النشأة والتطور،د. عبود العسكري ، دار النمير ،دمشق ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٦م .
٩٥ - تاريخ الرسل والملوك ،للطبري،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٩٧١م.
٩٦ - تاريخ العلم الأول الكتاب الأول: العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ،جورج سارطون، ترجمة ،د. إبراهيم مدكور وآخرون ، ط دار المعارف ، القاهرة ، عام ١٩٥٧م .
٩٧ - تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال ما بين الحربين العالميتين، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٩٨ - تاريخ الفلسفة الحديثة ،ليوسف كرم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الخامسة .
٩٩ - تاريخ الفلسفة العربية ، د.جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، ط الثالثة ،عام ١٤١٥هـ .
١٠٠ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، دار النهضة،القاهرة .
١٠١ - تاريخ بغداد ، ،للخطيب البغدادي،مكتبة السعادة ، القاهرة ، عام١٣٤٩هـ.
١٠٢ - التأصيل الإسلامي، أنور الجندي ، دار الهداية ، القاهرة ، ط الأولى .
١٠٣ - تأصيل اليقظة وترشيد الصحوة ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
١٠٤ - تأصيل مناهج العلوم والدراسات الإنسانية بالعودة إلى مناهج الفكر الإسلامي الأصيل، أنور الجندي ،دار المكتبة العصرية ، بيروت ط الأولى عام ١٤٠٥هـ
١٠٥ - تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ،تحقيق محمد عبدالرحيم ، دار الفكر ، بيروت ،عام ١٤١٥هـ
١٠٦ - التبشير الغربي ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
١٠٧ - التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، لأبي المظفر الاسفرايني ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ،ط الأولى .
١٠٨ - تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ط الثالثة ، عام ١٤٠٤هـ .
١٠٩ - تتمة الأعلام ، محمد خير يوسف ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٢٢هـ .
١١٠ - تجاوزات العلوم الاجتماعية و الإنسانية لمفهوم الفطرة والعلم ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
١١١ - تجديد الفكر الإسلامي ،د. الحسن العلمي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ط الأولى عام ١٤٢٤هـ .
١١٢ - التجديد في الفكر الإسلامي ، د.عدنان محمد إمامه ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .
١١٣ - تحرير المرأة ، قاسم أمين ،تحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، عام ١٩٧٦م.
١١٤ - تحطيم الصنم العلماني ، محمد شاكر الشريف ، دار طيبة الخضراء ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ.
١١٥ - تحفظات على منهج التعليم والتربية الوافدة ،أنور الجندي، دار الاعتصام ،القاهرة.
١١٦ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، للبيروني ، تقديم د. محمود علي مكي ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط أولى ، عام ٢٠٠٣م .
١١٧ - تحكيم القوانين ، للعلامة :محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، دار الوطن ، الرياض ، ط٣ ، ١٤١١هـ .

١١٨ - تحليل مضمون كتابات الفكر القومي العربي ، السيد يس ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٩٨٤م
١١٩ - التراث والتجديد ،د. حسن حنفي ، ، دار التنوير ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٨١م .
١٢٠ - التراث وقضايا العصر ، د.محمود أسماعيل، دار رؤية ، القاهرة ،ط الأولى ، عام ٢٠٠٥.
١٢١ - تراجع الفكر المادي ،أنور الجندي ، دار الهداية ، القاهرة ، ط الأولى ' عام ١٤١٥هـ .
١٢٢ - التربية وبناء الأجيال في ضوء التربية الإسلامية ، أنور الجندي ، ، دار الكتاب اللبناني،بيروت،عام ١٩٨٢م
١٢٣ - تصحيح المفاهيم في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ،القاهرة .
١٢٤ - التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ،د. زكي مبارك، دار الجيل ، بيروت.
١٢٥ - التصوف في مصر إبان العصر العثماني، د. توفيق الطويل ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، عام ١٣٦٥هـ
١٢٦ - التصوف والتفلسف الوسائل والغايات ، د. صابر طعيمة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ،ط الأولى،عام ٢٠٠٥م
١٢٧ - التطرف العلماني في مواجهة الإسلام ،د.القرضاوي ،دار أندلسية للنشر والتوزيع،المنصورة،ط الأولى،عام ٢٠٠٠م
١٢٨ - تطور الفكر السياسي من الاشتراكية إلى الليبرالية الجديدة ، د. عدنان السيد حسين ، دار الأمواج ، بيروت ، ط الأولي ، عام ٢٠٠٢م .
١٢٩ - التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلاباذي ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط الثالثة، عام ١٤١٢هـ
١٣٠ - التعريفات،للجرجاني،وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل،دار الكتب العلمية،بيروت،ط الثانية،عام ١٤٢٤هـ .
١٣١ - تفسير القرآن الحكيم (المنار) ، محمد رشيد رضا ، دار المنار ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٣٦٦هـ .
١٣٢ - تفسير القران العظيم،لابن كثير ،تحقيق:سامي بن محمد سلامة،دار طيبة ، الرياض،ط الثانية عام ١٤٢٠هـ
١٣٣ - التفكير الفلسفي في الإسلام ، عبدالحليم محمود، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٠٢هـ .
١٣٤ - تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، محمد أحمد لوح ، دار الهجرة ، الثقبة ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ.
١٣٥ - تقرير الحالة الدينية بمصر ، الصادر عن مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام .
١٣٦ - تكملة معجم المؤلفين،محمد خير يوسف ، دار ابن حزم ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ.
١٣٧ - تلبيس إبليس لابن الجوزي ، تحقيق ودراسة د .أحمد بن عثمان المزيد ،دار الوطن،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٣هـ.
١٣٨ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي ، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٩٧٧م
١٣٩ - تهافت الفلاسفة للغزالي، د. علي بو ملحم ، دار ومكتبة الهلال ، عام ٢٠٠٢م .
١٤٠ - تهذيب اللغة ، لأبي منصور الأزهري ، تحقيق : عبدالسلام هارون .
١٤١ - التيارات الفكرية دراسة وتحليل ، د. أحمد السايح ، د. سامي عفيفي، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٥هـ.
١٤٢ - التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، د. محمود مزروعة. دار الرضا ، القاهرة ، ط الأولي ،عام ١٤٢٥هـ .
١٤٣ - التيارات الوافدة، أنور الجندي ،دار الصحوة ، القاهرة ،ط الأولى ،عام ١٤١٤هـ .
١٤٤ - تيارات مسمومة ونظريات هدامة معاصرة ، أنور الجندي، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة .
١٤٥ - الثغرات التي يتسلل منها الغزو الفكري وسبل تلافيها ، د. عبدالقادر صوفي ، ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .
١٤٦ - الثقافة العربية الإسلامية أصولها انتماؤها،أنور الجندي،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط الأولى،عام ١٩٨٢م.
١٤٧ - جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : د. محمد رشاد سالم، دار العطاء ، بالرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ.
١٤٨ - جامع كرامات الأولياء، النبهاني، اعتنى به سمير رباب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، عام ١٤٢٣هـ .
١٤٩ - الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ،للقرطبي ، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ، ١٤٢٧هـ .

١٥٠ - الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي ، تحقيق د. عبدالعلي عبدالحميد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ .
١٥١ - جامعة الجامعة من رسائل إخوان الصفا ، تحقيق عارف تامر ، نشر مكتبة الحياة ، بيروت .
١٥٢ - الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي . د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط السادسة عام ١٤٠٢ هـ .
١٥٣ - جذور العلمانية ، السيد فرج نوح، دار الوفاء ، المنصورة ، ط الخامسة ، عام ١٤١٥هـ .
١٥٤ - جمال الدين الأفغاني ، د. علي عبدالحليم محمود، دار عكاظ ، جدة ،
١٥٥ - الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري ، د. خالد الدبيان ، دار المسلم ،الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢هـ .
١٥٦ - الجمهورية لأفلاطون، ترجمة حنا خباز ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٩٨٥م .
١٥٧ - جناية التأويل الفاسد ، د. محمد لوح ، دار ابن عفان ، الخُبر ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ .
١٥٨ - الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، د. محمد خير هيكل ، دار البيارق ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ
١٥٩ - الجهمية والمعتزلة نشأتها وأصولها ومناهجها وموقف السلف منها قديماً وحديثاً ، د. ناصر العقل ، ، دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ .
١٦٠ - جهود الأزهر في الرد على التيارات الفكرية المنحرفة ،د. صلاح العادلي ، مكتبة الصحابة ، الشارقة ، ط الأولي ، عام ١٤٢٤هـ
١٦١ - جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي ،د. محمود عبدالحكيم عثمان،مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولي عام ١٤٠١هـ
١٦٢ - جهود علماء السلف في القرن السادس في الرد على الصوفية ، د. محمد الجوير، مكتبة الرشد ،الرياض ،ط الأولى ، ١٤٢٤هـ
١٦٣ - حاضر العالم الإسلامي ، د. جميل المصري ، دار م القرى ، عمان ، ط الثانية ، عام ١٤٠٩هـ ،
١٦٤ - حاضر العالم الإسلامي . د. علي جريشة ، دار المجتمع ، جدة ، ط الرابعة ، عام ١٤١٠هـ .
١٦٥ - الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ،د. محمد عنان،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ، ط الثانية ،١٣٧٩هـ.
١٦٦ - حتى لا تضيع الهوية الإسلامية والإنتماء القراني ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
١٦٧ - الحداثة من منظور إيماني ، د. عدنان النحوي دار النحوي ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٩٨٩م .
١٦٨ - الحركات الباطنية في الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها ، د. محمد أحمد الخطيب ، دار عالم الكتب ، الرياض، ط الثانية ، عام ١٤٠٦هـ
١٦٩ - حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ، أنور الجندي ، دار الأنصار ، القاهرة ، ط الأولى .
١٧٠ - حركة تحرير المرأة في ميزان الإسلام ، د. عماد محمد عمارة ، دار اليقين ، المنصورة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ
١٧١ - حصوننا مهددة من الداخل ، د.محمد محمد حسين ، دار الرسالة ، مكة المكرمة ، ط التاسعة ، عام ١٤١٩هـ .
١٧٢ - الحضارة الغربية والمجتمع المسلم ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
١٧٣ - حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية ، د. نوال العيد ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ .
١٧٤ - الحكم بغير ما أنزل الله ، لعبدالرزاق عفيفي ، دار الفضيلة ، الرياض ، عام ١٤١٧هـ .
١٧٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لابي نعيم الأصفهاني ، دار الفكر العربي ، بيروت .
١٧٦ - حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل ،د.موسي الإبراهيم،دار الأعلام،عمان،ط الأولى،عام ١٤٢٣هـ .
١٧٧ - حي بن يقظان ، لابن طفيل ، تحقيق أحمد أمين، دار المعارف ، القاهرة .
١٧٨ - خديعة التطور ، هارون يحيى ، دار الأجيال ، بيروت ، ط الأولى عام ٢٠٠٢
١٧٩ - الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .

١٨٠ - درء تعارض العقل والنقل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم .
١٨١ - دراسات إسلامية معاصرة ، أنور الجندي ، نشر وتوزيع المكتبة العصرية ،صيدا ،ط الأولى،عام ١٤٠١هـ .
١٨٢ - دراسات في الفكر العربي الإسلامي ،د . عبدالحميد عرفان ،دار الجيل،بيروت،ط الأولى ، عام ١٤١٢هـ.
١٨٣ - دراسات في الفلسفة الإسلامية ، د. محمود القاسم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الخامسة ، عام ١٩٧٣م .
١٨٤ - دراسات في النفس الإنسانية ،محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط السادسة ، عام ١٤٠٣هـ
١٨٥ - دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر ،د. جمال المرزوقي،دار الآفاق العربية،ط الأولى،عام ١٤٢١هـ .
١٨٦ - دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين،د.أحمد جلي،مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية،الرياض،ط الثانية
١٨٧ - الدرة لابن حزم، تحقيق د. أحمد بن ناصر الحمد ، د. سعيد القزقي ، توزيع مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ .
١٨٨ - الدعوة الإسلامية في مواجهة التحديات ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
١٨٩ - دعوة التقريب بين الأديان ، د. أحمد القاضي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .
١٩٠ - دمعة على التوحيد، المنتدى الإسلامي ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ .
١٩١ - دور أهل الذمة في إقصاء الشريعة الإسلامية ،ماجد المضيان دار الفضيلة ،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٨هـ
١٩٢ - الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون، تحقيق : مأمون الجنَّان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ .
١٩٣ - الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب ، لابن فرحون، تحقيق : مأمون الجنَّان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ .
١٩٤ - الدين . د. محمد عبدالله دراز، دار القلم ، الكويت ، ط الثانية ، عام ١٣٩٠هـ
١٩٥ - ديوان الحلاج ، جمعه ، لويس ما سنيون ، منشورات أسمار ، باريس ، عام ٢٠٠٨م .
١٩٦ - ذم ما عليه مدعوا التصوّف ، لابن قدامه المقدسي ، ت زهير الشاويش ،،المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٤٠٤هـ.
١٩٧ - ذيل الأعلام ،أحمد العلاونة ، دار المنارة ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ
١٩٨ - الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ،تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ.
١٩٩ - راحة العقل ، للكرماني ، تقديم مصطفى غالب ، نشر دار الأندلس ، ط الأولى ، عام ١٩٦٧م
٢٠٠ - ربيع الفكر اليوناني ، د. عبدالرحمن بدوي ، دار القلم ، بيروت ، ط الخامسة ، عام ١٩٧٩م ،
٢٠١ - الرد على المنطقيين ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق عبدالصمد شرف الدين الكتبي ، مؤسسة الريان ، بيروت ،ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .
٢٠٢ - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء ، دار صادر ،بيروت .
٢٠٣ - الرسالة الأضحوية لابن سينا، تحقيق د. حسن عاصي، المؤسسة الجامعية للنشر ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٠٧هـ .
٢٠٤ - رسالة جامعة الجامعة ، لإخوان الصفا، تحقيق:عارف تامر،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، عام ١٩٧٠هـ.
٢٠٥ - الرسالة للقشيري،للإمام أبي القاسم القشيري،تحقيق د.عبدالحليم محمود،د.محمود الشريف،دار المعارف، القاهرة.
٢٠٦ - الروح ، ابن القيم الجوزية ، حققه محمد شريف سُكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤١٢هـ
٢٠٧ - روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لابن قدامه ، تعليق : د. محمد بكر إسماعيل ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .
٢٠٨ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث، لأحمد أمين، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط الأولى ، عام ١٤٢٨هـ.
٢٠٩ - السحر بين الحقيقة والخيال ،د، أحمد بن ناصر الحمد، ط الثانية ، عام ١٤٢٠هـ .

٢١٠ - سقوط الايدلوجيات ، وكيف يملأ الإسلام الفراغ ، أنور الجندي ، سلسة دعوة الحق يصدر عن رابطة العالم الإسلامي .
٢١١ - سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ م .
٢١٢ - سقوط مفهوم القومية الوافد ، أنور الجندي ، دار الأنصار ، القاهرة.
٢١٣ - سقوط نظرية دارون ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢١٤ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها و فوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض، عام ١٤١٥هـ .
٢١٥ - سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الثانية ، عام ١٤٠٨هـ .
٢١٦ - السلفية وقضايا العصر ، د. عبدالرحمن الزنيدي ، دار اشبيليا ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ.
٢١٧ - سموم الاستشراق ، أنور الجندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة.
٢١٨ - سنن ابن ماجة ، للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد القزويني ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ .
٢١٩ - سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولى .
٢٢٠ - سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمد بن عيسى ، تحقيق : الشيخ خليل مأمون ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٣هـ .
٢٢١ - سنن الدارمي ، للإمام الحافظ الدارمي ، تحقيق حسين الداراني ، دار المغني ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ .
٢٢٢ - سنن النسائي ، للإمام أبي عبدالرحمن بن شعيب ، اعتنى به : أبوعبيده مشهور بن حسن ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولى .
٢٢٣ - سورين كيركجارد مؤسس الوجودية المسيحية ، د. علي عبدالمعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية ، ط الأولى ، عام ١٩٨٥م.
٢٢٤ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ،لابن تيمية،تحقيق علي بن محمد العمران ،دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٩هـ
٢٢٥ - سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية ،عام ١٤٠٢هـ
٢٢٦ - الشباب المسلم قضاياه ومشكلاته ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٥هـ
٢٢٧ - شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي ، أنور الجندي ، المكتب الإسلامي ، بيروت عام ١٣٩٨هـ .
٢٢٨ - الشبهات المطروحة في أفق الفكر الإسلامي ،أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٢٩ - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٣٠ - شخصيات اختلف فيها الرأي ، أنور الجندي ، دار الأنصار ، القاهرة .
٢٣١ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للإمام أبي القاسم اللالكائي ، تحقيق د. أحمد سعد الغامدي ، دار طيبة ، ط الرابعة ، عام ١١٦هـ .
٢٣٢ - شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبدالجبار ، تحقيق د. عبدالكريم عثمان ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ط الأولى، عام ١٣٨٤هـ
٢٣٣ - شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ،تحقيق د.علي بخيت الزهراني ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الأولى، عام ١٤٢٣هـ
٢٣٤ - شرح لمعة الاعتقاد محمد بن صالح العثيمين ،تحقيق أشرف عبدالمقصود ،مكتبة الإمام البخاري ، الإسماعيلية ، ط الثانية ، عام ١٤١٢هـ .

٢٣٥ - الشرك في القديم والحديث ، أبو بكر زكريا، دار الرشد ، الرياض ، ط الثانية ، عام ١
٢٣٦ - شطحات الصوفية ، د. عبدالرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط الثالثة ، عام ١٩٧٦م .
٢٣٧ - الشعوبية ، د. عبدالله السامرائي ، المؤسسة العراقية للطباعة والنشر ، بغداد ، عام ١٩٨٤م .
٢٣٨ - الشعوبية في الأدب العربي الحديث ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٣٩ - الشعوبية والزندقة و وأثرهما في ظهور العقائد والفرق المنحرفة ،د . محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمان ،ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ ،
٢٤٠ - الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للإمام القاضي عياض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٤١ - شهادة العصر والتاريخ ، أنورالجندي ، دار المنارة ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤١٣هـ .
٢٤٢ - الشيخ إحسان الهي ظهير منهجه وجهوده في تقرير العقيدة والرد على الفرق المخالفة د. علي بن موسى الزهراني، دار المسلم ، الرياض،ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .
٢٤٣ - الشيخ محمد الغزالي حياته وعصره وأبرز من تأثر بهم، د. رمضان الغريب ، دار الحرم ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٢٣هـ .
٢٤٤ - الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد ، مفرح القوسي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ .
٢٤٥ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،للجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط الرابعة، عام ١٣٩٠م.
٢٤٦ - الصحافة والأقلام المسمومة ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٤٧ - الصحافة السياسية في مصر منذ نشاها حتى الحرب العالمية الثانية، أنور الجندي ، مكتبة الأنجلوا ، القاهرة ، عام ١٩٦٢م .
٢٤٨ - الصحوة الإسلامية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٤٩ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لابن بلبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ، عام ١٤١٤هـ .
٢٥٠ - صحيح البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ،اعتني به : أبو صهيب الكرمى ، بيت الأفكار الدولية ، الرياض ، عام ١٤١٩هـ .
٢٥١ - صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، اعتنى به : أبوصهيب الكرمى ، من منشورات بيت الأفكار الدولية ، الرياض ،عام ١٤١٩هـ .
٢٥٢ - الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، عام ١٤٠٦هـ
٢٥٣ - الصواعق المرسلة الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، تحقيق د. علي الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٨هـ .
٢٥٤ - الصوفية في الإسلام ،د. نيكلسون ، ترجمه وعلق عليه : نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٥٥ - الصوفية في نظر الإسلام دراسة وتحليل لسميح عاطف زين، دار الكتاب العالمي ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ١٤١٣هـ..
٢٥٦ - الصوفية معتقداً ومسلكاً ، د. صابر طعيمة ، دار عالم الكتب ، الرياض ،
٢٥٧ - الصوفية نشأتها وتطورها ، محمد العبده ، وطارق عبدالحليم ، ، دار الأرقم ، الكويت ، عام ١٤٠٦هـ .،
٢٥٨ - الصوفية والفقراء ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ترتيب وتحقيق محمد طاهر الزين ، مكتبة السندس ، ط الأولى ، عام ١٤١٣هـ .
٢٥٩ - صون المنطق ، السيوطي ، تحقيق د. علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٦٠ - ضحى الإسلام ، أحمد أمين دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى عام ١٤٢٥هـ .

٢٦١ - طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى الحنبلي ، تحقيق د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين ، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة ، عام ١٤١٩هـ .
٢٦٢ - طبقات الشافعية للسبكي، تحقيق محمود الطناحي ، عبدالفتاح الحلو ، دار إحياء الكتب العربية ، بمصر .
٢٦٣ - طبقات الصوفية ، لأبي عبدالرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريبه ،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط الثالثة ، عام ١٤١٨هـ
٢٦٤ - الطبقات الكبرى، للشعراني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة.
٢٦٥ - الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٦٦ - العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي ،أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٨٣م .
٢٦٧ - عبدالرحمن بدوي ومذهبه الفلسفي ومنهجه في دراسة المذاهب عرض ونقد ، د. عبدالقادر الغامدي ، دار الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٨هـ .
٢٦٨ - العروبة والإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٦٩ - العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب ، محمد حامد الناصر ، مكتبة الكوثر ، الرياض ، ط أولى ، عام ١٤١٧هـ .
٢٧٠ - عطاء الإسلام الحضاري ، أنور الجندي ، سلسلة رابطة العالم الإسلامي ، العدد١٦٣،السنة الرابعة عشرة ، عدد١٦٣.
٢٧١ - عظماء ومشاهير معاقون غيروا مجرى التاريخ،أحمد الشنواتي، دار الكتاب العربي ، ط الثانية ،عام ٢٠٠٤م.
٢٧٢ - العقبات أمام المرأة العربية والتنمية،د.نوال السعداوى،من بحوث المؤتمر الاقليمي الثاني للمرأة في الخليج والجزيرة العربية .
٢٧٣ - عقبات في طريق النهضة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٧٤ - العقد الفريد، لابن عبد ربّه ، تحقيق أحمد أمين نشر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، عام ١٩٥٢م .
٢٧٥ - العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر قضايا ومذاهب وشخصيات ،د. عاطف عراقي ،دار قباء ، القاهرة ،ط عام ١٩٩٨م
٢٧٦ - العقيدة الإسلامية وأسسها ، حبنكة الميداني، دار القلم ، دمشق ، ط الثالثة ، عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٢٧٧ - عقيدة الصوفية : وحدة الوجود الخفية، د. أحمد القصير،مكتبة الرشد ، الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٤هـ.
٢٧٨ - عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ، د. أحمد سعد حمدان ، دار طيبة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٠٥هـ.
٢٧٩ - العقيدة في الله ،د. عمر الأشقر ، دار النفائس ، عمان ، ط الثانية عشر ، عام ١٤١٩هـ .
٢٨٠ - العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ ، للمقبلي ، ، دار البيان ، دمشق .
٢٨١ - علم الملل ومناهج العلماء فيه ، للدكتور أحمد جود ، دار الفضيلة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .
٢٨٢ - علماء ومفكرون عرفتهم ، محمد المجذوب ، دار الاعتصام، القاهرة .
٢٨٣ - العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة،د. سفر الحوالي، دار الطيب ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤٢٠هـ
٢٨٤ - العلمانيون والقرآن الكريم ، د. أحمد الطعان، دار ابن حزم ، الرياض ،ط الأولى،عام ١٤٢٨هـ.
٢٨٥ - على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودور كايم ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٢٨٦ - العودة إلي المنابع دائرة معارف إسلامية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة ،عام ١٩٨٤م .
٢٨٧ - غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ،للعلامة الألباني،المكتب الإسلامي، دمشق،ط الأولى، عام ١٤٠٠هـ .
٢٨٨ - الغزو الثقافي مدخلاً إلي التغريب والشعوبية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة
٢٨٩ - الغزو الصليبي الجديد وسائل و وغاياته ،رمضان البركي،المكتبة المصرية ، الإسكندرية ،ط الأولى،عام ١٤٢٣هـ.

٢٩٠ - الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ،د.عبدالستار فتح الله سعيد،دار الوفاء،المنصورة،ط الرابعة ١٤٠٨هـ .
٢٩١ - فتاوى ابن الصلاح ، تحقيق أمين قلعجي ، دار الوعي ، حلب ، ط الأولى ، عام ١٤٠٣هـ
٢٩٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، دار السلام ، الرياض ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢١هـ .
٢٩٣ - الفتوحات المكية ، لابن عربي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٤٠٥هـ
٢٩٤ - فرق الشيعة ، للنوبختي ،تحقيق د. عبدالمنعم حفني ، دار الرشاد ،القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٢هـ
٢٩٥ - الفرق بين الفرق ،للبغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ،بيروت ، عام ١٤٢٤هـ .
٢٩٦ - فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ،د. غالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط الرابعة ، عام ١٤٢٢هـ .
٢٩٧ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحي،دار طويق، الرياض،ط الأولى،عام ١٤١٤هـ
٢٩٨ - الفروق للإمام القرافي ، تحقيق عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .
٢٩٩ - الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٠٠ - فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، لابن رشد ، دار العلم للجميع ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٣٥٣هـ .
٣٠١ - الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصير ، د. عبدالرحمن عميرة ، دار عكاظ ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤٠٢هـ .
٣٠٢ - فضائح الباطنية، للغزالي ، اعتنى به : محمد علي القطب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، عام ١٤٢٣هـ .
٣٠٣ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، محمد البهي، دار وهبة ، القاهرة ، ط الرابعة عشره ، عام ١٤٢٦هـ.
٣٠٤ - الفكر الإسلامي نقدٌ واجتهاد ، د. محمد أركون ، دار الساقي ، بيروت ، ط الرابعة ، عام ٢٠٠٧م .
٣٠٥ - الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية ، أنور الجندي ، دار الفضيلة ، القاهرة ،
٣٠٦ - الفكر الإغريقي ، محمد الخطيب ، دار علاء الدين،دمشق ، ط الثانية ، عام ٢٠٠٧م .
٣٠٧ - الفكر العربي الإسلامي في مواجهة دعوات التغريب دراسة تاريخية فكرية ، حافظ الدليمي ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ .
٣٠٨ - الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية ، أنور الجندي.
٣٠٩ - الفكر الغربي دراسة نقدية ، أنور الجندي ، وزارة الأوقاف و الشئون الإسلامية،الكويت ،عام ١٤٠٧هـ.
٣١٠ - الفكر القومي التربوي عند ساطع الحصري ، د محمد بشير حداد،دار القلم، دمشق،ط الأولى،عام ١٤١٦هـ.
٣١١ - الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ،د. محمود عبدالحكيم عثمان ،الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة ، ط الخامسة،عام ١٤٢٥هـ
٣١٢ - فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام ، صالح بن عبدالله العبود ، دار طيبة ، الرياض .
٣١٣ - فكرة التنوير بين أحمد لطفي العبد وسلامة موسى. د. عصمت نصار ، دار الوفاء ، الإسكندرية
٣١٤ - فكرة الزمان عند إخوان الصفا ،د. صابر أبا زيادة ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٩٩٩م
٣١٥ - فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، د . عبدالفتاح أحمد فؤاد ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٦م
٣١٦ - فلسفة الأخلاق في الإسلام وصلاتها بالفلسفة الإغريقية ،د. محمد يوسف موسى ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ط الثالثة ،عام ١٩٦٣م.
٣١٧ - فلسفة الاستشراق ، د.أحمد سمايلوفيتش ،دار الفكر العربي ، بيروت ، عام ١٤١٨هـ .
٣١٨ - الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٣١٩ - الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب ، د. محمد بيصار ، طبع جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية ، ط الأولى .
٣٢٠ - الفهرست ، لابن النديم ، تحقيق د. ناهد عباس عثمان ، دار قطرى بن الفجاءة ، ط الأولى ، عام ١٩٨٥م.
٣٢١ - القادياني والقاديانية دراسة وتحليل ، لأبي الحسن الندوي ،طبعة الدار السعودية ، ط الرابعة .
٣٢٢ - القاديانية ، إحسان إلهي ظهير ،دار ابن حزم ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
٣٢٣ - القاديانية ، محمد الحمد ، دار القاسم ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٧هـ .
٣٢٤ - القاديانية ،د. عامر النجار ص ٦٢، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢هـ / ٢٠٠٥م .
٣٢٥ - القاديانية خروج على النبوة المحمدية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٢٦ - قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لأحمد امين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٩٥٣م .
٣٢٧ - القاموس المحيط ، للفيروزابادي ،مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، عام ١٤٠٠هـ .
٣٢٨ - القانون الوضعي والشريعة الإسلامية ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة.
٣٢٩ - قصة الصراع بين الدين والفلسفة ،د. توفيق الطويل،دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط الثالثة ،عام ١٩٧٩م .
٣٣٠ - قصة الفلسفة اليونانية،أحمد أمين،د. زكي نجيب،مطبعة دار الكتب المصرية،القاهرة،ط الثانية،عام ١٩٣٥م.
٣٣١ - قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط الأولى عام ١٤٠١هـ .
٣٣٢ - قضايا معاصره في فكرنا المعاصر ، د. حسن حنفي ، دار التنوير ، بيروت .
٣٣٣ - قضية التصوف – المدرسة الشاذلية ، عبدالحليم محمود ،دار المعارف ، القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٩٩٨م .
٣٣٤ - القومية العربية والإسلام ، محمد خلف الله، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط الأولى،عام ١٩٨١م .
٣٣٥ - القومية العربية والوحدة الكبرى ، أنور الجندي، دار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .
٣٣٦ - القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية ، أنور الجندي، مطبعة الرسالة ، القاهرة .
٣٣٧ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (المطبوعة مع شرحها للهراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤١٥هـ .
٣٣٨ - كتَّاب العصر في ضوء الإسلام، أنور الجندي، دار الفضيلة ، القاهرة .
٣٣٩ - الكتاب والقرآن قراءة معاصرة ، محمد شحرور ، دار الأهالي ، دمشق ، ط الأولى ، عام ١٩٩٥م .
٣٤٠ - كلمات من الحضارة ، د. منصور عيد ، دار الجيل ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤١هـ .
٣٤١ - الكليات لأبي البقاء الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الثانية عام ١٤١٦هـ .
٣٤٢ - كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ،عبدالرحمن الميداني،دار القلم،دمشق،ط الثالثة،عام ١٤١٩هـ.
٣٤٣ - كيف ندعو الناس . محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الثالثة ، عام١٤٢٤هـ .
٣٤٤ - لسان العرب ، لابن منظور ،دار صادر ،بيروت ، ط الأولى .
٣٤٥ - لسان الميزان لابن حجر،اعتنى به :عبدالفتاح أبوغدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .
٣٤٦ - لطائف الإعلام في إشارات أهل الإلهام ، للقشاني، تحقيق:سعيد عبدالفتاح ،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ، عام ٢٠٠٥م.
٣٤٧ - اللغة ، أنور الجندي، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .
٣٤٨ - اللغة العربية في موا جهة اللغات الأجنبية ، أنور الجندي ، ، دار الاعتصام ، القاهرة.
٣٤٩ - اللمع في التصوف ، للطوسي ، تحقيق عبدالحليم محمود ، ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
٣٥٠ - مؤامرة تحديد النسل واسطورة الانفجار السكاني ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٥١ - المؤامرة على الإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٩٧٧م .

٣٥٢ - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي، أنور الجندي ، سلسلة دعوة الحق ،رابطة العالم الإسلامي ، العدد ٥٢، عام ١٤٠٦هـ.
٣٥٣ - المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين ، للآمدى ، تحقيق د. حسن الشافعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٤١٣هـ
٣٥٤ - مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق عامر الجزار ، أنور الباز ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ.
٣٥٥ - مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ، طبع على نفقة الملك فهد رحمه الله.
٣٥٦ - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، للعلامة الشيخ ابن باز ، جمع د. محمد بن سعد الشويعر ، طبع دار الإفتاء ، الرياض ،ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ .
٣٥٧ - محاضرات في الفلسفة الإسلامية ،د.محمد الكمالي،مؤسسة الفاو للنشر والتوزيع ،صنعاء ، ط الأولى،عام ١٤١٣هـ .
٣٥٨ - محاكمة فكر طه حسين ، أنور الجندي ، ، دار الاعتصام ، القاهرة.
٣٥٩ - محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة ، سليمان صالح الخراشي ، دار الجواب ، الرياض ، عام ١٤١٣هـ .
٣٦٠ - محيط المحيط ، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ، بيروت ، مصور عن طبعة عام ١٨٧٠ م .
٣٦١ - مختار الصحاح ، الرازي، بيروت ، مكتبة الهلال .
٣٦٢ - مختصر سيرة الرسول ﷺ ، محمد بن عبدالوهاب ،طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية ، ط عام ١٤١٨هـ
٣٦٣ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ، محمد الصواف،دار الاصلاح ، الدمام .
٣٦٤ - المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٦٥ - المد الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٦٦ - المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها ، د.بكر بن عبدالله أبو زيد ، دار ألفا، القاهرة،ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ
٣٦٧ - المدخل إلى الشريعة الإسلامية ، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١٢ ،عام ١٤١٦هـ.
٣٦٨ - مدخل إلى الفلسفة ، د. أحمد السيد رمضان، مكتبة الفيصليه ، مكة المكرمة ،ط الثانية ، عام ١٤٢٦هـ
٣٦٩ - مدخل إلى الفلسفة ، د.حسام الآلوسي،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط الأولى،عام ٢٠٠٥م .
٣٧٠ - المدرسة الإسلامية على طريق الأصالة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٧١ - المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ،د. غالب عواجي،المكتبة العصرية الذهبية ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٧هـ .
٣٧٢ - المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ،للدكتور عبدالرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط الرابعة.
٣٧٣ - المذاهب الوجودية لجوليفيه، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة محمد عبدالهادي أبو ريده ،دار الآداب ، بيروت ، ط الأولى ،عام ١٩٨٨م ،
٣٧٤ - مذاهب فكرية معاصرة عرضٌ ونقدٌ ، أ.د محمود مزروعة ، دار الرضا ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ .
٣٧٥ - مذاهب وفرق دراسات نقدية ، د.بسام العموش ، دار الأكاديمون للنشر والتوزيع ، عمان ، ط الأولى عام ١٤٢٦هـ .
٣٧٦ - مذكرة التوحيد ، للشيخ عبدالرزاق عفيفي ، دار الوطن ، ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ.
٣٧٧ - مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات ، د. أحمد القاضي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط الثانية ، عام ١٤٢٤هـ .
٣٧٨ - المرأة المسلمة في وجه التحديات ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٣٧٩ - مروج الذهب ، المسعودي ، تحقيق : محمد محيي الدين ، دار المعرفة ، بيروت ، عام ١٤٠٢هـ.

٣٨٠ - المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ أبي عبدالله النيسابوري ، دار المعرفة، بيروت .

٣٨١ - المستشرقون ، نجيب العقيقي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٩٨٠م .

٣٨٢ - المستصفى للغزالي، تحقيق د. حمزة بن زهير حافظ .

٣٨٣ - المسلمون في فجر القرن الوليد ، أنور الجندي ، ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٣٨٤ - مشكاة الأنوار(ضمن مجموع رسائل الإمام الغزالي) ، تحقيق إبراهيم أمين محمد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة.

٣٨٥ - المصابيح في إثبات الإمامة للكرماني ، تحقيق مصطفى غالب ، ط الأولى .

٣٨٦ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد الفيومي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٨٧ - مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، إدريس محمود ، ١/ ٣٧- ٣٩، دار الراشد ، الرياض ، ط الثانية ، عام ١٤٢٦هـ .

٣٨٨ - مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ،إدريس محمود،دار الرشد، الرياض،ط الثانية ، عام ١٤٢٦هـ.

٣٨٩ - المعاصرة في إطار الأصالة ، أنور الجندي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٠٧هـ ،

٣٩٠ - معالم التنزيل ، للبغوي ، تحقيق د.محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة،الرياض،ط الثالثة،عام ١٤١٦هـ .

٣٩١ - المعتزلة بين القديم والحديث ، محمد العبده وطارق عبدالحليم، دار الأرقم ، برمنجهام ، ط الأولى ، عام ١٤٠٨هـ.

٣٩٢ - المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، د. عبدالله عواد المعتق ،دار الرشد ، الرياض ، ط الثانية، عام ١٤١٦هـ .

٣٩٣ - معجم أعلام المورد ، إعداد ، د. رمزي البعلبكي ، دار العلم للملايين ،بيروت،ط الأولى،عام ١٩٩٢م.

٣٩٤ - معجم الإيمان المسيحي،اختيار الأب صبحي حمودي اليسوعي،دار المشرق،بيروت،ط الثانية ، عام ١٩٩٨م.

٣٩٥ - معجم البلدان، لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت ، عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

٣٩٦ - المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ،د. عبد المنعم حفني ، دار مدبولي ، القاهرة ، ط الثالثة ،عام ٢٠٠٠م.

٣٩٧ - المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، عام ١٩٩٤م

٣٩٨ - المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة

٣٩٩ - معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ.

٤٠٠ - معجم المناهي اللفظية بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٧هـ .

٤٠١ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، دار الشروق الدولية ،القاهرة ، ط الرابعة ، عام ١٤١٦هـ.

٤٠٢ - معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ،سميح عاطف زين ، الدار الأفريقية العربية،بيروت،ط الرابعة،عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .

٤٠٣ - معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ،لسميح زين، الدار الأفريقية العربية ،بيروت،ط الرابعة،عام ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٤٠٤ - معجم علم النفس ، د. فاخر عقل ،، دار العلم للملايين ، ، بيروت ، ط الأولى، عام ١٩٧١م .

٤٠٥ - معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ، ط الثانية ، عام ١٣٩٢هـ .

٤٠٦ - المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها ،د.عبدالله القرني ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤١٩هـ.

٤٠٧ - معركة التقاليد ، د. محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، طبع عام ١٤١٥هـ .

٤٠٨ - معلمة الإسلام ، أنور الجندي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٤٠٥.

٤٠٩ - معيار العلم في فن المنطق ، للغزالي ، د. علي بو ملحم ، دار الهلال ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٩٣م .

٤١٠ - مغالطات ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الأولى عام ١٤٢٧هـ .

٤١١ - المغني ، لابن قدامة ، تحقيق د. عبدالله التركي ،عبدالفتاح الحلو،عالم الكتب،الرياض،ط الثالثة،عام ١٤١٧هـ.

٤١٢ - مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام ، أنور الجندي. دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٧ .
٤١٣ - مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع في ضوء الإسلام ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٤١٤ - مفهوم تجديد الدين، لبسطامي سعيد ، دار الدعوة ، الكويت ، ط الأولى ، عام ١٤٠٥هـ .
٤١٥ - مقاربات وبحوث في التصوف المقارن،د. محمد الكحلاوي،دار الطليعة،بيروت،ط الأولى،عام ٢٠٠٨م.
٤١٦ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين لإبي الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ،عام ١٤١١هـ .
٤١٧ - مقالة التعطيل والجعد بن درهم ،د. محمد خليفة التميمي،أضواء السلف،الرياض،ط الأولى،عام ١٤١٨هـ .
٤١٨ - مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون .
٤١٩ - مقدمات العلوم والمناهج محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل ، أنور الجندي ، دار الأنصار ، القاهرة .
٤٢٠ - مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، د. ناصر العقل ،دار الوطن ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٤
٤٢١ - مقدمة ابن خلدون ، دار الفكر ، بيروت .
٤٢٢ - الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني،مكتبة البابي الحلبي،القاهرة،ط الأولى،عام ١٣٩٦
٤٢٣ - من التبعية إلى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة ، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٤٢٤ - من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية،د. محمد عبدالرحمن مرحبا، دار عويدات ،بيروت،عام ٢٠٠٧م
٤٢٥ - مناهج الحكم والقيادة في الإسلام، أنور الجندي ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م .
٤٢٦ - مناهج اللغويين في تقرير العقيدة ، د. محمد الشيخ عليو محمد،دار المنهاج ، الرياض ، ط الأولى، عام ١٤٢٧هـ .
٤٢٧ - المناهي اللفظية لابن عثيمين
٤٢٨ - منجد الطلاب ، فؤاد البستاني ، بيروت ، دار الشروق .
٤٢٩ - المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال ، للغزالي ، تحقيق د . علي بو ملحم ، دارومكتبة الهلال ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٩٩٣م .
٤٣٠ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، ط الأولى ، عام ١٤٠٦هـ .
٤٣١ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة . عثمان علي حسن ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط الثالثة ، عام ١٤١٥هـ .
٤٣٢ - منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة .د. عثمان علي حسن، دار الرشد ، الرياض ، ط الثانية ، ١٤١٣هـ .
٤٣٣ - منهج الإسلام في بناء العقيدة والشخصية ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة (د.ت).
٤٣٤ - المنهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، د. زين شحاته ، دار بلنسية ، الرياض ، ط العاشرة ، عام ١٤٢٢هـ .
٤٣٥ - منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ، تامر متولي ، دار ماجد عسيري ، جدة ، ط الأولى ، عام
٤٣٦ - المنية والأمل في شرح الملل والنحل لابن المرتضي ، تحقيق محمد جواد مشكور ، دار الفكر ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٣٩٩هـ .
٤٣٧ - المورد قاموس إنكليزي – عربي ، لمنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، عام ١٩٦٩م .
٤٣٨ - موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ،د.خليل أحمد خليل ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط الأولى ، عام ٢٠٠١م.
٤٣٩ - موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين ،د.خليل أحمد خليل،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط الأولى ، عام ٢٠٠١م.

٤٤٠ - موسوعة أعلام الفكر الإسلامي،إشراف، يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر ، أ.د محمود حمدي زقزوق، عام ١٤٢٥هـ .
٤٤١ - موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، د. أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط الخامسة ، عام ٢٠٠٠م .
٤٤٢ - الموسوعة السياسية ، تحت إشراف :عبدالوهاب الكيالي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط الثانية ، عام ١٩٩٠م .
٤٤٣ - الموسوعة الطبية الفقهية ، د. أحمد كنعان دار النفائس ، بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٠هـ .
٤٤٤ - الموسوعة العربية العالمية ، الناشر مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ .
٤٤٥ - الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ،دار الجيل ،بيروت، ط الثالثة، عام ٢٠٠١م .
٤٤٦ - موسوعة الفلسفة ،د. عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط الأولى ، عام ١٩٨٤م .
٤٤٧ - الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء و الاكاديميين السوفياتيين ،دار الطليعة ،ط الثانية ، عام٢٠٠٦م
٤٤٨ - موسوعة المستشرقين ، د. عبدالرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الثالثة ، عام ١٩٩٣م .
٤٤٩ - موسوعة المورد العربية ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الأولى ، ١٩٩٠م .
٤٥٠ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف د. مانع الجهني ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط الثالثة ، عام ١٤١٨هـ.
٤٥١ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،د. عبدالوهاب المسيري،دار الشروق،القاهرة ،ط الأولى،عام ١٩٩٩م .
٤٥٢ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،د. عبدالوهاب المسيري،دار الشروق،القاهرة ،ط الثانية،عام ٢٠٠٥م .
٤٥٣ - موسوعة لالاند الفلسفية،أندريه لالاند،تعريب.خليل أحمد خليل،دار عويدات،بيروت،ط الثانية،عام ٢٠٠١م
٤٥٤ - موقف ابن القيم من بعض الفرق،د. عبدالله عواد المعتق،مطابع الفرزدق،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٠٨هـ .
٤٥٥ - موقف الإسلام من السحر دراسة نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، د. حياة با أخضر ، دار المجتمع ، جدة ،ط الأولى ، عام ١٤١٥هـ .
٤٥٦ - موقف الإسلام من العلمانية ، د. صلاح الصاوي ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ ،
٤٥٧ - موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة ، سليمان الغصن ، دار العاصمة ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤١٦هـ .
٤٥٨ - الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية ،مفرح القوسي،دار الفضيلة،الرياض،ط الأولى،عام ١٤٢٣هـ
٤٥٩ - موقف شيخ الإسلام من آراء الفلاسفة ، د. صالح الغامدي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٤هـ .
٤٦٠ - موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث ،د. يوسف حسين ، دار الزمان ، المدينة المنورة،ط الأولى،عام ١٤٢٥هـ.
٤٦١ - ميزان الاعتدال ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي، تحقيق : علي محمد البجاوي، دار المعرفة ، بيروت ، عام ١٣٧٠هـ).
٤٦٢ - النجاة، لابن سينا ، تحقيق د. ماجد فخري، دار الأفق الجديد ، بيروت ،ط الأولى .
٤٦٣ - نجم الإسلام ما يزال يصعد ، أنور الجندي ، دار الفضيلة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٩٩٨م
٤٦٤ - نحو بناء منهج البدائل الإسلامية، أنور الجندي ، دار الاعتصام ، القاهرة .
٤٦٥ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ،د. علي سامي النشار ، دار المعارف ، القاهرة ، ط التاسعة .
٤٦٦ - نظرات في أصول الفقه ، أ. د. عمر الأشقر، دار النفائس ، عمان ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ.

٤٦٧ - نظرية التحليل النفسي عند فرويد في ميزان الإسلام ، أ.د . سعد الدين السيد الصالح ، مكتبة الصحابة ، جدة ، ط الأولى ، عام ١٤١٤هـ .
٤٦٨ - نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة ،د. راجح الكردي، دار الفرقان ، عمان ، ط الثانية ، عام ٢٠٠٤م.
٤٦٩ - نظرية النشوء والارتقاء - أصل الأنواع – ترجمة إسماعيل مظهر.
٤٧٠ - النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية ، فؤاد الرفاعي ، دار صلاح الدين .
٤٧١ - النفي في باب صفات الله عزوجل بين أهل السنة والجماعة و المعطلة ، أرزقي سعيداني ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط الأولى ، عام ١٤٢٦هـ .
٤٧٢ - نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، للعلامة عبدالعزيز بن باز ، ، دار الإمام أحمد ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٥هـ
٤٧٣ - نقد المذاهب المعاصرة ، د. إبراهيم مصطفى،دار الوفاء لدنيا الطباعة ،الإسكندرية،ط الأولى،عام ١٩٩٩م.
٤٧٤ - نقد المسلمين للثنوية والمجوس مع الردَّ على ابن المقفع ،الرسي ، تحقيق إمام حنفي، دار الآفاق الجديدة ، القاهرة ، عام ١٤٢٠هـ
٤٧٥ - النور من كلمات طيفور ، تحقيق بدوي، مع شطحات الصوفية
٤٧٦ - هدية العارفين،لإسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ، عام ١٩٥١م
٤٧٧ - الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق : أحمد الأرنأووط ، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط الأولى ، عام ١٤٢٠هـ
٤٧٨ - واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتآمرين،لسعيد عبدالحكيم زيد ،مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط الأولى ، عام ١٤١٨هـ .
٤٧٩ - واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة مدينة للصحافة ، جدة ، ط الثالثة ، عام ١٤١١هـ- ١٩٩٠م .
٤٨٠ - الوجه الآخر للمسيح ، فراس السواح ، دار علاء الدين ، دمشق ، ط الأولى ، عام ٢٠٠٤م .
٤٨١ - وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ،د. محمد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط الثانية ، عام ١٩٩٤م .
٤٨٢ - الوجودية ، أنور الجندي ،منشورات المكتبة العصرية ، بيروت .
٤٨٣ - الوجودية الحديثة ، د.صالح الشريدة .
٤٨٤ - الوعد الأخروي شروطه وموانعه ، د. عيسى السعدي،دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة ، ط الأولى ، عام ١٤٢٢هـ .
٤٨٥ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ،تحقيق د، إحسان عباس، دار صادر،بيروت ،عام ١٣٨٩هـ
٤٨٦ - يغالطونك إذ يقولون ، د. محمد البوطي ، ، دار الفارابي ، دمشق ، ط الثالثة ، عام ١٤٢١هـ
٤٨٧ - اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار ، أنور الجندي، دار الاعتصام ، القاهرة .
٤٨٨ - يقظة العرب جورج انطونيوس ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط الثالثة ، عام ١٩٦٩م.،
٤٨٩ - الينابيع،للسجستاني ، تحقيق مصطفى غالب،دار المكتب التجاري للطباعة ،بيروت،ط أولى،عام ١٩٦٥م .

❖ الدوريات :

٤٩٠ - جريدة الشرق الأوسط .
٤٩١ - جريدة معلمة الإسلام ، تصدرها جمعية محبي أنور الجندي للفكر المعاصر والأدب الإسلامي ، مصر .
٤٩٢ - مجلة آفاق عربية .
٤٩٣ - مجلة الأدب الإسلامي ، مجلة فصلية ، تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، السعودية .
٤٩٤ - مجلة البيان ، مجلة شهرية تصدر عن المنتدى الإسلامي ، الرياض .
٤٩٥ - مجلة الحرس الوطني ، عسكرية ثقافية شهرية ، تصدر من السعودية .
٤٩٦ - مجلة الداعي ، تصدر عن الجامعة الإسلامية بالهند .
٤٩٧ - مجلة المجتمع ، أسبوعية ، تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي ، بالكويت .
٤٩٨ - مجلة المنار الجديد ، فصلية ، تصدر من مصر .

٤٩٩ - مجلة المنهل ، مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة ، تصدر من السعودية.
٥٠٠ - مجلة منار الإسلام ، مجلة شهرية ، تصدر من الإمارات العربية المتحدة.

❖ مواقع اليكترونية :

٥٠١ - موقع معلمة الإسلام للجندي، www: anwaraalgendi.com
٥٠٢ - موقع إسلام أون لاين رابط biblio islam .

فهرس الموضوعات

الموضوع
الصفحة

مقدمة :	٥
أسباب اختيار الموضوع .	٦
دراسات سابقة .	٦-٧
الصعوبات .	١١
الباب الأول : عصره وحياته .	
الفصل الأول:عصره ويشتمل على ما يلي .	
المبحث الأول : الحالة السياسية .	١٥-٢٠
المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية.	٢١-٢٢
المبحث الثالث : الحالة الفكرية والثقافية .	٢٣-٢٥
المبحث الرابع : الحالة الدينية .	٢٦-٢٩
الفصل الثاني: حياة أنور الجندي :	
المبحث الأول : اسمه ونسبه ونشأته.	٣١- ٣٧
المبحث الثاني : عقيدته.	٣٨- ٤٢
المبحث الثالث : مؤلفاته ومقالاته.	٤٣- ٦٦
المبحث الرابع : جهود أنور الجندي الدعوية .	٦٧-٦٩
المبحث السادس:مرضه ووفاته وأقوال العلماء والمفكرين فيه.	٧٠-٧٢
الباب الثاني : موقف أنور الجندي من الانحرافات العقدية.	
الفصل الأول : موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي.	
التعريف بالمعتزلة نشأتهم وأصولهم ومنهجهم	٧٥- ٧٩
المبحث الأول : إحياء الفكر الاعتزالي في الغرب الحديث .	٨٠-٨١
المبحث الثاني : إحياء الفكر الاعتزالي في العالم الإسلامي الحديث .	٨٢-٨٤
المبحث الثالث: موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الاعتزالي .	٨٥- ٩٠
الفصل الثاني : موقفه من إحياء الفكر الصوفي الفلسفي.	
المبحث الأول: معنى التصوف .	٩٤-٩٧
المبحث الثاني : نشأة التصوف ومراحله .	٩٨-١٠١
المبحث الثالث : قضايا التصوف الفلسفي .	١٠٢-١٠٥
المبحث الرابع : إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في الغرب الحديث .	١٠٦- ١٠٨
المبحث السادس : إحياء الفكر الصوفي الفلسفي في العالم الإسلامي.	١٠٩-١١٠
المبحث السابع : موقف الإسلام من التصوف .	١١١
المبحث الثامن : موقف أنور الجندي من التصوف الفلسفي.	١١٢- ١٢٧
الفصل الثالث: موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني والشعوبي.	
المبحث الأول : إحياء الفكر الباطني.	
التمهيد.	١٣٢-١٣٥
المطلب الأول : إحياء الفكر الباطني في الغرب الحديث .	١٣٥- ١٣٩

المطلب الثاني : إحياء الفكر الباطني في العالم الإسلامي	١٣٩-١٤١
المطلب الثالث : موقف الإسلام من الفكر الباطني .	١٤١-١٤٢
المطلب الرابع :موقف أنور الجندي من إحياء الفكر الباطني .	١٤٢-١٦١
المبحث الثاني :إحياء الفكر الشعوبي .	
التمهيد وفيه .	
أولاً: تعريف الشعوبية .	١٦٩
ثانياً : نشأتها .	١٧٠
ثالثاً : عقائد ومبادئ الشعوبية .	١٧١
المطلب الأول : إحياء الفكر الشعوبي في الغرب .	١٧١
المطلب الثاني : إحياء الفكر الشعوبي في العالم الإسلامي .	١٧٢
المطلب الثالث : موقف الإسلام من الشعوبية .	١٧٣
المطلب الرابع : موقف أنور الجندي من الشعوبية .	١٧٥
المبحث الثالث :جماعة إخوان الصفا.	
المطلب الأول :التعريف والنشأة .	١٨٠
المطلب الثاني :عقائدهم .	١٨١
المطلب الثالث :مصادر الفكر عند جماعة إخوان الصفا .	١٨١
المطلب الرابع :الصلة بين إخوان الصفا والباطنية .	١٨٣ -١٨٧
المطلب الخامس :إحياء فكر جماعة إخوان الصفا في العصر الحديث .	١٨٧
المطلب السادس :موقف الإسلام من جماعة إخوان الصفا .	١٨٨ -١٨٩
المطلب السابع :موقف أنور الجندي من جماعة إخوان الصفا.	١٨٩ -١٩١
المبحث الرابع : موقف الجندي من الفرق الباطنية الحديثة.	
المطلب الأول : موقف أنور الجندي من البهائية.	
المسألة الأولى : معتقدات البهائية .	١٩٥ -١٩٩
المسألة الثانية : مصادر الفكر البهائي .	١٩٩
المسألة الثالثة : علاقة البهائية بالاستعمار واليهودية العالمية .	١٩٩-٢٠٢
المطلب الثاني : موقف أنور الجندي من القاديانية .	
المسألة الأولى : عقائد القاديانية .	١٩٩ -٢٠٧
المسألة الثانية : مصادر الفكر القادياني .	٢٠٨ -٢٠٩
المسالة الثالثة : صلة الاستعمار البريطاني بالقاديانية .	٢٠٩ -٢١١
الباب الثالث : موقف أنور الجندي من الفلسفات الهدامة والتيارات الفكرية المنحرفة .	
المبحث الأول : الدهرية .	٢١٦
المطلب الأول : التعريف بالدهرية .	٢١٦ -٢١٧
المطلب الثاني : عقائد ومبادئ الدهرية.	٢١٧
المطلب الثالث : الدهرية في العصر الحديث .	٢١٧ -٢١٨
المطلب الرابع : موقف الإسلام من الدهرية.	٢١٩
المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الدهرية .	٢١٩ -٢٢٢
المبحث الثاني : الغنوصية .	
المطلب الأول: معنى الغنوصية.	٢٢٢ -٢٢٣

المطلب الثاني : نشأتها .	٢٢٣-٢٢٤
المطلب الثالث : عقائدها.	٢٢٤- ٢٢٥
المطلب الرابع : موقف الإسلام من الغنوصية.	٢٢٥- ٢٢٦
المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الغنوصية .	٢٢٦- ٢٣٢
المبحث الثالث : الفلسفة اليونانية .	
المطلب الأول : المطلب الأول: مفهوم الفلسفة لغة واصطلاحاً .	٢٣٥- ٢٣٧
المطلب الثاني : مراحل نشأة الفلسفة.	٢٣٧- ٢٣٨
المطلب الثالث : عقائد الفلاسفة .	٢٣٨- ٢٤١
المطلب الرابع : موقف الإسلام من الفلسفة.	٢٤١- ٢٤٣
المطلب الخامس : موقف أنور الجندي من الفلسفة اليونانية.	٢٤٣- ٢٥٢
المبحث الثاني : الروحية الحديثة .	
المطلب الأول : معنى الروحية الحديثة .	٢٥٧-٢٥٨
المطلب الثاني : نشأة الروحية الحديثة.	٢٥٨- ٢٩٥
المطلب الثالث : عقائد الروحية الحديثة.	٢٩٥- ٢٦٠
المطلب الرابع : أهداف الروحية الحديثة .	٢٦٠- ٢٦٢
المطلب الخامس : وسائلهم وأساليبهم .	٢٦٢- ٢٦٤
المطلب السادس : الروحية في العالم الإسلامي .	٢٦٤- ٢٦٥
المطلب السادس : موقف الإسلام من الروحية الحديثة.	٢٦٥- ٢٦٧
المطلب السابع: موقف أنور الجندي من الروحية الحديثة .	٢٦٧- ٢٧١
المبحث الأول : الداروينية .	
المطلب الأول : تعريفها .	٢٧٥
المطلب الثاني : الأسس التي قامت عليها نظرية دارون .	٢٧٦
المطلب الثالث : أسباب انتشار نظرية دارون .	٢٧٦- ٢٧٩
المطلب الرابع : آثار نظرية دارون .	٢٧٩- ٢٨٤
المطلب الخامس : نظرية دارون في العالم الإسلامي .	٢٨٥- ٢٨٧
المطلب السادس : موقف الإسلام من الداروينية.	٢٨٧- ٢٨٨
المطلب السابع : موقف أنور الجندي من الداروينية .	٢٨٨- ٢٩٤
المبحث الثاني : الفرويدية .	
المطلب الأول: تعريفها .	٢٩٧
المطلب الثاني : أسسها.	٢٩٧-٢٩٨
المطلب الثالث : مصادرها.	٢٩٨- ٣٠٠
المطلب الرابع : أسباب انتشارها.	٣٠٠- ٣٠٤
المطلب الخامس : نظرية فرويد في العالم الغربي.	٣٠٤- ٣٠٥
المطلب السادس : نظرية فرويد في العالم الإسلامي.	٣٠٥- ٣٠٧
المطلب السابع : موقف الإسلام من الفرويدية.	٣٠٧-٣٠٨
المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من نظرية فرويد.	٣٠٨-٣٢١
المبحث الثالث : الوجودية .	
المطلب الأول : تعريفها .	٣٢٣- ٣٢٤

المطلب الثاني : أهدافها.	٣٢٥-٣٢٤
المطلب الثالث : انتشار الوجودية وتراجعها.	٣٢٧-٣٢٥
المطلب الرابع : المعتقدات والأفكار للتيار الوجودي .	٣٢٩-٣٢٨
المطلب الخامس : نشأة الوجودية في العالم الغربي .	٣٢٩
المطلب السادس : نشأة الوجودية في العالم الإسلامي .	٣٣٠- ٣٣١
المطلب السابع : موقف الإسلام من الفكر الوجودي .	٣٣٢-٣٣١
المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من الوجودية .	٣٤١-٣٣٢
المبحث الرابع : العلمانية .	
المطلب الأول : تعريف العلمانية .	٣٤٦-٣٤٣
المطلب الثاني : الأسس التي تقوم عليها العلمانية .	٣٤٧-٣٤٦
المطلب الثالث : نشأة العلمانية في الغرب .	٣٥٠-٣٤٧
المطلب الرابع :عوامل ظهور العلمانية في العالم الإسلامي .	٣٥١-٣٥٠
المطلب الخامس : أهدافها .	٣٥٢-٣٥١
المطلب السادس: مجالات تطبيق العلمانية .	٣٥٥-٣٥٢
المطلب السابع : موقف الإسلام من العلمانية .	٣٦٠-٣٥٥
المطلب الثامن : موقف أنور الجندي من الفكر العلماني .	٣٧٠-٣٦٠
المبحث الخامس : القومية .	
المطلب الأول : تعريف القومية وأسسها.	٣٧٨-٣٧٤
المطلب الثاني : أهداف القومية .	٣٧٨- ٣٨٠
المطلب الثالث : نشأة القومية في العالم الغربي .	٣٨١-٣٨٠
المطلب الرابع : نشأة القومية في العالم الإسلامي .	٣٨٤-٣٨٢
المطلب الخامس : موقف الإسلام من القومية .	٣٨٨-٣٨٥
المطلب السادس: موقف أنور الجندي من القومية .	٣٩٦-٣٨٨
المبحث السادس : العالمية .	
المطلب الأول:تعريفها .	٤٠٢-٤٠١
المطلب الثاني:أهدافها .	٤٠٣- ٤٠٤
المطلب الثالث:وسائلها.	٤٠٤- ٤٠٥
المطلب الرابع:موقف الإسلام من العالمية .	٤٠٥- ٤٠٧
المطلب الخامس:موقف أنور الجندي من العالمية ونقده لها .	٤٠٨- ٤١٢
الباب الرابع : موقف أنور الجندي من قضايا التغريب.	
التمهيد فيه معنى التغريب ،مصادر التغريب ، أهداف التغريب ، الغزو الفكري وصلته بالتغريب.	٤٢٣-٤١٦
الفصل الأول : موقف أنور الجندي من تغريب الشريعة الإسلامية.	
المطلب الأول : خصائص الشريعة الإسلامية.	٤٢٥- ٤٢٧
المطلب الثاني : الشبهات المثارة حول الشريعة الإسلامية وتفنيدها .	٤٢٧- ٤٣٩
المطلب الثالث : إثبات عدم صلاحية العمل بالقوانين الوضعية .	٤٣٩ – ٤٤١
الفصل الثاني : موقف أنور الجندي من تغريب التربية والتعليم.	
المطلب الأول : أهداف تغريب التربية والتعليم .	٤٤٣- ٤٤٤
المطلب الثاني: وسائل تغريب التربية والتعليم .	٤٤٤
المطلب الثالث :مظاهر تغريب التربية والتعليم.	٤٤٤- ٤٦٦

الفصل الثالث : موقف أنور الجندي من تغريب اللغة العربية.	
المطلب الأول : الدعوة إلى العامية .	٤٦٩ -٤٧٣
المطلب الثاني : الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .	٤٧٣- ٤٧٥
المطلب الثالث : اللغة الوسطى.	٤٧٥
المطلب الرابع : دعوى تطوير اللغة وإصلاحها .	٤٧٥- ٤٧٧
الفصل الرابع :موقف أنور الجندي من تغريب المرأة المسلمة.	
المطلب الأول : إثبات فساد حركة تحرير المرأة وبيان بطلانها	٤٧٩- ٤٨٣
المطلب الثاني : الرد على دعاة التغريب والتحرر ونقض دعاويهم المسمومة	٤٨٣- ٤٩٠
المطلب الثالث :وسائل دعاة التغريب في إفساد المرأة المسلمة	٤٩٠- ٤٩٥
الفصل الخامس : موقف أنور الجندي من تغريب الشباب.	
المطلب الأول :أهم المخاطر والتحديات التي تواجه الشباب المسلم	٤٩٨- ٥٠٠
المطلب الثاني : سبل تلافي هذه المخاطر	٥٠٠- ٥٠١
الخاتمة	٥٠٢-٥٠٣
الفهارس	
المصادر	٥٠٥- ٥٢٢
الموضوعات	٥٢٣-٥٢٧